NURUOSMANIYE
2036
2451

كتاب شرح عين العلم وزين الحلم لعلي القاري ٧٧

٢٤٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول البائس الفقير محمد المرعشي المدعو بساجقلي زاده اكرمه الله بالفلاح والسعادة من تعسر عليه امر من الرزق وعلم او قضاء دين او ازدواج او غير ذلك من الخيرات فليشتغل لهذه الورد يظفر المقصود ان شا الله تعالى سبحانه ومن شرايط تأثيره ان يتوب الى الله من سيأته ويستغفرها ويباشر التقوى ما استطاع ويستعين على حصول مراده بالتصدق وكثرة الاستغفار والتوجه اليه تعالى بالتوكل عليه

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا سيجعل الله بعد عسر يسرا فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم سبحانك اللهم يا الله يا رحمن يا حنان يا منان يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام يا حي يا قيوم يا ملك يا فرد يا قدوس يا عزيز يا حكيم يا علي يا عظيم اجب دعوتي واقض حاجتي لا اله الا انت حسبي ونعم الوكيل عليك توكلت

ثم يسئل بعده حاجته

اللهم انى اسئلك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين

NURUOSMANİYE KÜTÜPHANESİ
Kısmı: N: 8
Yeni Kayıt No. 2036
Eski Kayıt No. 2453
Tasnif No.

٢٤٥٣

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله

هذا وقف ظل الله المخصص والنور اللامع المشخص السلطان ابن السلطان
ابن السلطان الغازي السيد عثمان خان ابن السلطان مصطفى خان وفقه الله
في حل رموز الالهام وجعل الطافه سارية على العباد بالسلام
وانا الداعي الحاج ابراهيم حنيف المفتش
باوقاف الحرمين المحترمين
عفي عنه

اللهم انك تعلم سريرتي وعلانيتي
فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني
سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي
ذنوبي اللهم اني اسئلك ايمانا
يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم
انه لن يصيبني الا ما كتبت لي وارضني
بما قسمت لي يا ذا الجلال والاكرام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي العظيم العليم على ما هدينا الى الصراط القويم والصلوة والسلم على نبيه
الكريم وعلى آله واصحابه واتباعه واحزابه المقيمين الدايمين على الصراط المستقيم
اما بعد فيقول خادم كلام ربه القديم وحديث رسوله الفخيم علي بن سلطان محمد
القاري عاملهما الله الباري بلطفه الخفي وكرمه الوفي ان هذا فتح شرح مجمل مجمل غير مطل
ولا مخل لكتاب عين العلم وزين الحلم الذي هو غاية الايجاز ونهاية الالفاظ كاد ان يكون
من انواع الاعجاز وهو في الحقيقة مختصر احياء العلوم لحجة الاسلام وبرهان الانام
رجاء ان استفيض من بركات كلمات الاصفياء واستفيد من نفحات اصحاب
المشايخ الاولياء فاني ان اذكر في جملتهم واحشر في زمرتهم وان قصرت في متابعتهم وعن
خدمتهم اغترارا بمحبتهم واكتفاء بمودتهم واقول كما قال القائل من ذوي الفضائل
لي سادة من عزهم اقدامهم فوق الجباه ان لم اكن منهم فلي في حبهم عز وجاه قال المص رحمه الله
ونفعنا ببركة علومهم وتقواه وهو من فضلاء الهند وصلحائهم على ما صرح به شيخ ابن حجر في
شرح مقدمته وقيل انه منسوب الى بعض علماء بلخ ومشايخهم والله اعلم بتصحيح نيته في
تحقيق ترجمته بسم الله الرحمن الرحيم قد بسطنا الكلام في غير هذا المقام على مفردات البسملة
ومركباتها ومبانيها ومعانيها وما ورد فيها وسائر متعلقاتها وبه ثقتي وتوفيقي واعتمادي
بكرمه وجوده لا بغيره اذ لا عبرة بوجوده وشهوده وقد اكتفى بالبسملة مبني لتضمنها الحمد
معنى يا رب اغنني في شيد في وهو على حذف ياء المتكلم وابقاء الكسرة دلالة عليها واشارة
اليها في الابتداء به في مقام المناجاة والدعاء بالنداء اشعار بانه رب العالمين عموما كما
يفيده فاتحة الكتاب وايماء بانه فصل الخطاب ورب كل فرد من افراد بني ادم
خصوصا كما يومي اليه حديث ادبني ربي فاحسن تاديبي وقول بعضهم حسبي ربي
من كل من لي ويدل عليه رضيت بالله ربا ثم زاد في مقام التاكيد ونظام التاذ
لافادة اظهار العبودية في موضع الربوبية بقوله يا رباه بلفظ المندوب ولعل ثمة
المطلوب في الندبة والمرغوب في البكاء والمنادي يحتمل تعلقه بتقي والاظهر
تعلقه بقوله باسمك اي لا بغيره ابتدي كما هو واجب على المنتهي والمبتدي او بك
اي بحكمك اهتدي وبهدايتك اهتدي وبنور قدسك اي المطهر المصنوع في صدره صدره

الذي

الذي هو محل ظهوره انسك اشارة الى قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور
من ربه اهتدي ايماء الى قوله سبحانه ومن يهدي الله فهو المهتدي وهو فعل الهدي
هدي الله والمعنى انه يهدي عبده بالقاء نوره في قلبه ويهديه الى طريق ربه ويفرق
بين الحق والباطل فيختار الحق ويترك الباطل في اعتقاده وعمله الله الله اي اتق
الله مرة بعد اخرى في امر الدنيا والعقبى واحذر عن مخالفة المولى فلا يراك فيما نهاك فان
العاقبة للتقوى والاعادة مشيرة الى زيادة الافادة كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون اي ظاهرا و
باطنا او التقدير استغيث بالله واستعين بطلب رضاه فيما ارجوه واخشاه والحاصل
انه تنكير حذر دخل في قلب بعض انسه وتنبيه له لما ظهر ورأى نفسه
متعلقة بالدنيا ومعرضة عن العقبى وغافلة عن المولى حذرها بقوله الله الله اي اتق الله
اتق الله لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه ولقوله عز وجل واتقوا الله ويعلمكم الله وعلامة
التقوى الخروج في الدنيا والميل في العقبى رجاء لمرضات المولى ولما كان النفس بطبعها
مائلة الى الدنيا وشهواتها وغافلة عما خلق له من تحصيل عباداتها قال مخاطبا النفسه
او معاتبا او مخاطبا عاما لا سيما اذا كان له مصاحبا الام اصله الى ما حرف الجادة وما
الاستفهامية وكتب الى بالالف من لا لشدة الاتصال في المرتبة النظامية وحذف الالف
من ما اكتفاء بالحركة الفتحية البنائية واقتداء برسم المصاحف العثمانية والمعنى الى متى
ايها المخاطب المعاتب تمد اي تطمح وتتوجه الى زهرة الحيوة الدنيا اي بهجتها وزينتها
عينيك وفيه اقتباس من قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة
الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وقوله سبحانه ولقد اتيناك سبعا
من المثاني والقران العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم وذلك انه عم
راي باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر
وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل
الله فقال صلى الله عليه وسلم لقد اعطيتم سبع ايات هي خير من هذه القوافل السبع يعني
قراءتها مع التامل في مبانيها والتعمل بمعانيها خير من تلك القوافل وما فيها بل لا مناسبة
بين الاموال الفانية والاحوال الباقية ومن هيهنا قال الصديق في مقام التحقيق
من اوتي القران ورأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما او عظم
صغيرا وقال ابو القاسم القشيري عاد سما على عينيه ان يستعملها في النظر الى غيره

واذرعات بلد الى الشام مقابل موضع بالشام
ينسب اليها الخمر وهي معروفة مصروفة
مثل عرفات

عوبقال اذا لم يسلم له اشباع نظر ظاهره الي الدنيا فكيف يسلم له كون قلبه الي غير المولى وحتام
اي حتى متى تنكص اي ترجع عن القيام بالاقدام على الله والاقبال على سبيل رضاه وفيه
تلميح الي فعل ابليس وما وقع منه من نوع تلبيس كما اخبر الله تعالى عنه بقوله واذ زين لهم الشيطان
اعمالهم الي ان قال نكص على عقبيه الاية وتلويح الي قوله سبحانه قد كانت اياتي تتلى عليكم فكنتم
على اعقابكم تنكصون بعد ايناس نار اي بعد ابصار نار واستئناس انوار واحساس
اسرار واخبار من ديار ليس بها بعض اغيار على عقبيك اي متوجها الي دار اكدار فيها انواع
حجاب وغبار وفي الكلام اقتباس من قوله تعالى انس من جانب الطور نارا اي نارا نورا دارا
والمعنى بعد ظهور الحق وطريق الصدق اثارا قيل ايناس النار كناية عن استيناس النفس
بالافات الدنيوية المانعة عن العبادات الاخروية هذا على تقدير ان يكون على عقبيك
ظرف الايناس واما على تقدير كونه متعلقا بتنكص فالمعنى الي متى ترجع على عقبيك عن طريق
العبادة وسبيل اهل الارادة التي يسلك بهم الي مقام السيادة والسعادة بعد ما علمت
يقينا نارا هداية الحق التي بها من نار جهنم يقينا اي يحجبك من جهنم بالتخفيف اي رده او
بالتشديد اي نكس راسه اي ابعدك عن مقام القبول ويقعدك عن طلب الموصول الشهوات
المضحية اي المانعة عن المقامات النفيسة والحالات الانيسة واللهوات الفانية الحاجزة عن الدرجات
الباقية للاحجام اي للاعراض عن الدنيا والاقبال على المولى ام تعوقك من عاق او عوق اي تمنعك
وتصدك الزخارف المموهة اي الزينة المتوهمة الملفقة عن الاقدام على عمل الاخرة الفاخرة
المحققة مالك اي ما حالك او اي شيء حاصل لك في مال حال كونك في مقام اقبالك وزمان
استقبالك تسعى في المهابات والمجادلات اي المسابقة والمقاطعة في المحاورات وجمع الحطام اي جمع
اموال الشبهة والحرام لنشر الصيت اي لانتشار الجاه عند العوام كالانعام وترفع القدر اي
بالقعود في مقام الصدر عند معرض القدر وصرف وجوه الانام اي بالتردد اليك في الليالي
والايام وتنسى نعيم جنات اي بساتين موعودة للمتقين باقية ونهر اي وانهار جارية فيها
عافية من افات سادية في مقعد صدق اي مكان مرضي ومجلس حق عند مليك مقتدر
اي مقربين في غاية الاعتبار عند من تفرد بالملك والاقتدار بحيث ابهم على ذوي الافهام
والاسرار فهي عندية منزلة ومكانة لا عندية منزل ومكان لعلو شانه ورفعة برهانه
قال جعفر الصادق مدح المكان في الصدق فلا يقعد فيها الا اهل الصدق وهو
المقعد الذي يصدق الله فيه مواعيد اوليائه بان يبيح لهم النظر الي وجهه الكريم و
يبشرهم بلقائه وقال الواسطي ليس محل من اشتغل بنفسه وتلذذ بمطعمه ومشربه وملبسه

٧ اي المفاخرة في غير المقامات الفاخرة التي تنفع في الاخرة وفي نسخة المباهات اي المجادلة صح

وملبسه كمن كان شغله بالحق والسعي والقيام باوامره ونظره الي ربه في مقعد صدق
عند مليك مقتدر وقيل الصادق في عبادته من لا يتعبد على ملاحظة الاطماع والاغراض
ومطالبة الاعراض ومالشانك اي وما عذرك في مقام حذرك ترغب اي تعرض وتبعد عن علم
سماه ربك الاعلى بالفقه حيث قال تعالى لعلهم يفقهون وقال فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة
ليتفقهوا في الدين والحكمة حيث قال عز وجل يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا والنور حيث قال سبحانه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال افمن
شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه والهدى حيث قال عز وجل قل ان هدى
الله هو الهدى والسلام على من اتبع الهدى وهو علم الكتاب والسنة واجماع الامة بهم يقتدي
وهو علم المعاملة واما ما سبق من قوله بنوره فتوسله اهتدى هو علم المكاشفة لان من كوشف
فعرف الحق يتعين عليه ان يرغب في علم المعاملة الذي يعرف به احكام الله وطريق عبادة مولاه
وترغب اي تميل وتخوض فيما احدثه قرونه اي طبقات بعد خير القرون من قرن الصحابة
والتابعين واتباعهم فشا فيها اي شاع وظهر فيما بينهم الكذب اي في حكاياتهم و
البدعة في اعتقاداتهم والهوى اي هوى ارباب النفوس ومشتهياتهم من العلوم التي
غير نافعة ولا دافعة بل ضارة رافعة كعلم المنطق والكلام والهيئة ونحوها علوم الفلاسفة
قفا خطاب لصاحبه كانه شبه نفسه ان يكونه في سفر يسير مع رفيقه فاذا بلغ منازل
الاحباب وقد ارتحلوا ومضوا ودخلوا في مقام الحجاب غلب عليه وجد فراقهم وحرارة
اشتياقهم وغشية البكاء في ميدان البيدا فلم يتمالك في مهالك الازمنة ان يتجاوز
مسالك الامكنة فوقف لديه واستوقف صاحبه وقال قفا نبك بالاتفاق على حزن
الفراق وقيل اصله قف قف فحذف الثاني وعوض عنه الالف لان الفاعل كالجزء من الفعل
وقيل اصله قفن ابدل نونه الفاء والمعنى قف ايها المخاطب مع الرجل المصاب نبك
على رسوم علوم الدين اي اثارها المندرسة في ديارها المنقلبة بعد اقبالها الي ادبارها
لقلة علماء الشريعة واحبارها واطلال اعمال اليقين اي على انطماس علامات اهل اليقين
حيث اختلط بافعال ارباب الرياء والسمعة ولو كانوا من المجتهدين في امر الدين
بفقد المشايخ العالمين العاملين في مقام الطريقة والجامعين للاخلاق الواصلين الي
مرتبة الحقيقة ودمن كمالات الاحوال بكسر الدال وفتح الميم اي وعلى زوال اثار كمال ارباب
الاحوال واصحاب الاقوال بعدم وجود اهل الشهود زوايا المشاهد الحقيقة والمعارف
الدقيقة . وواردات مشاهدات الجمال وكذا على صادرات مطالعات الجلال لغيبة

ارباب الحضرة في مقام التوحيد واصحاب الجذبة في مرتبة التأييد غدت الديار اي
صارت ديار العلوم وحدود الفهوم عافية اي خربة واهية وظلت الاثار اي وصارت
اثار الاسلام واخبار الاحكام باقية وفيه ايماء الى قوله عم يأتي على الناس زمان لم يبق
من الاسلام الا اسمه ومن القران الا رسمه ومساجدهم عامرة وقلوبهم خربة واصبح
الاصحاب اي العلماء الكبار الذين بمنزلة الاصحاب الوارد فيهم اصحابي كالنجوم بايهم
اقتديتم اهتديتم راحلين اي مرتحلين من دار الدنيا الى دار العقبى كما يشير اليه قوله
افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها اي باخذ العلماء من اكنافها واضحى الاعراب
اي الجهال الذين بمنزلة الاعراب الوارد فيهم قوله تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر
ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله نازلين اي في مقام العلماء العاملين وفيه
ايماء الى قرب القيمة وعلامة وقوع الساعة التي تورث الندامة لاهل الملامة كما ورد في
حديث جبرئيل وان ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان
فيا اسفي اي تأسفي على منام القلوب وقيام الالسنة اي على غفلة القلوب القاسية
وحركة الالسنة الراغبة وفيه اشارة الى ما ورد في ذم علماء اخر الزمان ان قلوبهم امر من
الصبر والسنتهم احلى من العسل ومضاء العلوم اي على مضي العلوم الفاخرة وذهاب علماء
الاخرة وبقاء الاوعية اي علماء السوء الذين اكتفوا بمجرد حفظ الرواية دون ضبط
الدراية والكتب البالية والحجب العالية ويا لهفي بفتحتين اي تعطشي على صيرورة الحال
اي حال ذوي شمائل واظهار فضائل كتب او رسائل اي مشحونة بقيل وقال واظهار فضائل
وانقلاب العمل اجوبة ومسائل اي يتحققون فيها ولا يعملون بها بل يخوضون فيما ليس تحتها
طائل ويا حسرتي اي تحسري على انطماس المعنى عن الاسم اي محو المعنى المراد عن المبني و
المراد واندراس الحقيقة عن الرسم اي رسم الشريعة والطريقة ويا سوءتي اي فضيحتي
على خلق القشر اي العلوم العالية من الاعراب والاغراب عن اللباب اي لباب العلوم
الماخوذة من الكتاب الذي تذكره اولوا الالباب في جميع الفصول والابواب وا غرارا
لقوم اي اهل الزمان من ارباب الحجاب بلامع السراب اي الاعمال الظاهرة الخالية
عن الاحوال الظاهرة وفيه تلويح الى قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه
الظمان ماء ولله در القائل من اعمالهم • لا والذي حجت قريش بيته • مستقبلين الركن من
بطحائها • ما ابصرت عيني خيام قبيلة • الا بكيت احبتي بفنائها • اما الخيام فانها
كخيامهم • اي في منازل الحي ومقامهم وادي نساء الحي غير نسائها اي الالات التي كن فيها

و وصف كمال من العفة والحياء والخدمة والسخاء والمعنى انه ظهر السفهاء في صورة
الفقهاء والجهلاء في هيئة المشائخ العرفاء خطر ببالي جواب شرط مقدر اي لما كان الامر
كذلك خطر في خاطري هنالك ان ازيح بلبالي اي ادخل في الراحة قلبي في ميدان حب
زلتي وفي نسخة بالزاء اي ازيل حزن قلبي وتشتت بالي وتفرق حالي بتصفح تلك العلوم
اي بتفحص صفحات العلوم النافعة الزاجرة في الدنيا والاخرة واسرارها اي ودقايقها
وحقايقها الفاخرة وتتبع سير الرجال اي سلوك اصحاب الكمال وفي نسخة ميسر
وفي اخرى بكسر السين وفتح الياء اي شمائل ارباب الفضائل واصحاب الفواضل واثارها
اي الامة بانوارها تحت استارها رجاء ان احث اي احرض واحرص على اتباعهم
بتشديد التاء اي متابعتهم وموافقتهم في الدنيا وان بعث في اشياعهم اي احشر
في اتباعهم في العقبى فامتريت اطباء الطاقة اي حاولت وعالجت صروف الوسع والقدرة
واحتملت اعباء المشقة اي تحملت اثقال المشاق في طريق المحبة وسبيل المعذرة و
بالغت في جمعها اي ضبط افرادها وتهذيبها اي تنقيتها وحذف زوايدها واستقصيت
في ضبطها وترتيبها اي ضبط معانيها وحفظ مبانيها مع اني سكيت نادي البيان بكسر
السين وتشديد الكاف اي كثير السكوت في مجلس التبيان وسكيت حلبة الرهان بضم
السين وتخفيف الكاف المفتوحة وتشدد اي واخر الخيل في ميدان المسابقة والجولان والجريان
ممتحن فيه الافراس العشرة على عرف ذلك الزمان ويوجد للسبق مال ياخذ من سبق فرسه ذلك
المكان وفيه تلويح الى قول من قال عند الامتحان يكرم المرء او يهان واتحفت به اي بتصنيفي
هذا الفرع العلي اي الرفيع من الاصل العلوي اي المنسوب الى علي المنيع والغصن السني اي المنسوب
الى اهل السنة والجماعة العزيز الوجود فيما الان ادق او السني بفتح فكسر اي الشريف الجلي الحسيني
من الشجر الحسيني وفي نسخة الحسني اي المنسوب الى اولاد فاطمة الزهرى رضي الله عنها وفيه تنبيه على ان كل
علوي ليس بحسني ولا بحسيني كمحمد بن الحنفية وسائر اولاد علي رضي ادفع السراة جمع السري عمادا
بكسر العين اي على الاشراف اعمادا يقال فلان رفيع العماد اي شريف سني الذكر على الصيت وقيل
العماد في الاصل عيدان يرفع بها البنيان فكني بذلك عن رفعة نسبه وقوة حسبه وقيل بل يراد بها
حقيقتها اي مرتفع العماد فوق البنيان يراه الضيفان فيقصدونه وذو الحاجات فيطلبونه واطول
الكماة جمع الكمي نجادا بكسر النون بعده جيم وهو حمائل السيف وهي كناية عن طول قامته وطول
نشا والمعنى افضل شجعان زمانه استنادا واكثر الكرام رمادا كناية عن كثرة الجواد المستلزم لكثرة
الطبخ في منزل الشهود المستلزم لكثرة الرماد ولدوام وقود ناره ليلا في تلال البلاد فيهتدي به

الضيفان من العباد والكبر العظام وسادا كناية عن كونه معظما موقرا في قلوب العباد والزهاد
وهو ابن بني عدنان فانه عليه السلام محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف
بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة
بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان والى هنا من النسب الشريف لا خلاف
فيه بين العلماء الاعيان وانما الخلاف فيما فوقه مختلف البيان ولذا روي ان النبي عم كان اذا بلغ
في النسب الى عدنان امسك عما بعده من عنان البيان وقال كذب النسابون اي في هذا الشان
قال الله تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا قال ابن عباس رضي الله عنه ولو شاء الله لعلمه لعلم وقال ابن دحية
اجمع العلماء والاجماع حجة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انتسب الى عدنان ولم يتجاوزه وفي
مسند الفردوس عن ابن عباس رضي الله عنه انه عليه السلام كان اذا انتسب ولم يتجاوز معد بن عدنان
ثم يمسك ويقول كذب النسابون وقال السهيلي الاصح في هذا الحديث انه من قول ابن مسعود رضي الله عنه
وقال غيره كان ابن مسعود اذا قرأ قوله تعالى الم ياتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود
والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون انهم يدعون علم الانساب ونفى الله تعالى
علمها عن العباد في الكتاب وعن ابن عباس رض بين عدنان واسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون وسئل
عن الرجل يرفع نسبه الى ادم فكره ذلك وقال من اخبرها هنالك وسمي جده خليل الرحمن يعني
اسم الممدوح ابراهيم كاسم جده الكريم الخليل الى ولده الجليل اسمعيل جد نبينا عليه السلام
وشرف وكرم ركن الدنيا اي المدار عليه المشار اليه اي المنتهى لديه قطب الشرع النافع في العقبى
المدار عليه كالنفس لما قبله مشيرا الى علمه ومعرفته والحاصل انه جامع بين الفضائل الاخروية
طاهر الذيل عن دنس الهوى كناية عن صلاحه وديانته عارف القلب اي صارفه عن لذة الدنيا
اشارة الى ورعه وزهده وحسن رعايته راسخ القدم في شريعة المصطفى ايماء الى ثباته في امر
الدين واستقامته صارف العنان الى طريقة المصطفى اشعار بانه على مذهب الصوفي وسلوك
طريقته وايماء الى انه متصف بصفات الانبياء ومقامات الاولياء وانه تابع لجده الاعلى والادنى
بلغه الله الى الكمال الاعلى اي في الدنيا والاخرة واوصله الى السعادة القصوى اي البشارة العظمى وهي
رضاء المولى وادام المجد بين ثوبيه اي العظمة في ذاته واقام الكرم بين برديه اي السماحة في
صفاته قال صاحب المفتاح المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه من الكناية المطلوب بها
تخصيص الصفة بالموصوف اراد القائل ان يصرح بتخصيص المجد والكرم بالممدوح فجعلهما
بين ثوبيه وبرديه تنبيها بذلك على ان محلهما ذو ثوبان وبردان وهما مشتملان على الممدوح فتم غرضه
بذلك ذكره الطيبي وانا بحمد الله سبحانه لم اجمل تصنيفي هذا ولا ما سبق لي من تاليفي باسم

احدى

احد من الامراء والوزراء وانما هو ابتغاء وجه الله وشفاعة نبيه يوم القاه فحصل بحسن لطف
رحماني وعميم فضل رباني اي بتوفيقه وتسهيله لهذا التاليف وتحصيل كتاب حجمه عندي
صغير لانه في اوراق معدودات يتم بها الكتاب من غير طول الاطناب ليسهل الحفظ اي بالجنان
والاستصحاب اي مع الابدان وعلمه اي معلوماته على ظني غزير اي كثير لاشتماله على جميع ما في
الاحياء من اربع مجلدات لكمال الاستقصاء فهو كالباب وانما قال على ظني هضما لنفسه في هذا
الباب ولان صاحب البيت ادرى بما فيه لعدم الحجاب يعني عما عداه في الباب اي باب
التصوف فصل الخطاب وابوابه عشرون بابا فيها كفاية لارباب الالباب فالباب الاول
في الورد والثاني في الانفاق الثالث في الصوم الرابع في السفر الخامس في الخروج والسادس
في الكسب والسابع في المعايشة والثامن في الصحبة والتاسع في الصمت والعاشر في الانابة
والحادي عشر في العزلة والثاني عشر في التواضع الثالث عشر في الاخلاص الرابع عشر في التفويض
الخامس عشر في نفي الخواطر السادس عشر في التوبة السابع عشر في الصبر والشكر الثامن عشر في
الخوف والرجاء التاسع عشر في الفقر والزهد العشرون في التوحيد والتوكل واليقين قد
صدرت اي ابتدأت بمقدمة في العلم والمعرفة هي احرى اليق واولى بالتقديم وذيلت
اي ختمت واخرت بخاتمة في المحبة حق اي اجدر واحق ان يقع بها التختيم لئلا يحتاج الى وسم
المطابق للمسمى عين العلم الذي نتيجته وثمرته ان يكون زين الحلم بل هو معدن الاسرار الشريعة
والطريقة ومنبع انوار المعرفة والحقيقة واساسا اي مدار ثباته ونبراس الكتاب والسنة وشيم
الصحابة الشم بضم الشين وتشديد الميم جمع الاشم اي مير الاصحاب الكبار من ذوي الافتخار وفيه
الاشعار بان اجماع الصحابة واكثرهم اولى بالاعتبار لانهم اولو الايدي والابصار معري اي خال
ومجرد عما حدث اي اخترع وابتدع من وضع غير مشروع كالاراء الفاسدة والاهواء الكاسدة
لا يسمن ذلك الموضوع او غير المشروع ولا يغني من جوع اي لا يفيد الزيادة والاستزادة ولا ينفع
حين الافادة والاستفادة وليس التكحل في العينين كالكحل بفتحتين اشارة الى ان عربة الكتاب
بالتكلف من الاعمال المحدثة كالتكحل مشقة وتهذيب على ما اتفق عليه جمهور من السلف كالعين
المكحلة خلقة لا يزول بازالة احد ولو تكلف في مشقة وفيه تنبيه نبيه على ان طريق النجاة للانام
هو متابعة عليه السلام واصحابه الكرام في جميع احكام كما يشير اليه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله ويدل حديث اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وخبر لا يجتمع
امتي على الضلالة وعليكم بالسواد الاعظم والله سبحانه اعلم فالحمد لله ازلا وابدا لا شريك له
بل احمده في كل آن ونشكره في كل زمان ونستعينه في كل شان ونتوكل عليه في كل مكان

وقف انساب النبي صلى الله عليه وسلم

المرتضى بدل

ونعوذ بالله من شرور انفسنا اي من الاخلاق الدنية ومن سيئات اعمالنا من الاحوال الردية ونشهد
ان لا اله موجودا او معبودا الا الله اي الذي المستجمع لكمال الصفات فلا نعبد الا اياه ولا نلتفت
الى ما سواه وحده منفردا بالذات لا شريك له في كمال الصفات ونشهد ان محمدا عبده ورسوله وحبيبه
وخليله اعطاه الله تعالى خيرا ودعاء الوسيلة وقد سئل عم عن الوسيلة فقال هي درجة لا ينالها الا
واحد وارجو ان اكون انا فمن سال لي الوسيلة من الله تعالى حلت له الشفاعة والفضيلة اي الزيادة في
المرتبة المنيعة والدرجة الرفيعة اي في المنزلة البديعة وبعثه اي حشره ونشره مقاما محمودا يحمده
الاولون والاخرون ويغبطه النبيون والمرسلون والملائكة المقربون الذي وعده اي بقوله عسى
ان يبعثك ربك مقاما محمودا وما وعده لم يكن الا موجودا وانما عبر عنه بعسى للاشعار بانه لا يجب
على الله سبحانه شيء للعباد وان الامور انما تكون وفق ما قضاه واراد وصلى الله عليه الصلوة وعلى اهله
اي اهل بيته من ازواجه واقاربه واحبابه واله اي من يؤل اليه امره من اتباعه واصحابه واحزابه
وسلم تسليما اي بقرنه تعظيما وتكريما **المقدمة في العلم** وقد ورد العلم ثلثة وما سوى ذلك
فهو فضل اية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة يعني بها اجماع الامة واتفاق الائمة رواه ابو داود
وابن ماجة وللحاكم في مستدركه عن ابن عمر وفي رواية الديلمي عنه العلم ثلثة كتاب ناطق وسنة
ماضية ولا ادري وانما لم يذكر الاجماع لان مستنده اما الكتاب او السنة والحديث رواه ابو داود
وابن ماجة عنه مرفوعا وقد روى ابو داود والحاكم وصححه من حديث ابي هريرة ما ادري
اعزير نبي ام لا وروى احمد والحاكم وابو يعلى والبزار وصحح اسناده الطبراني من حديث
جبير بن مطعم ولابن حبان والحاكم وصححه نحوه من حديث ابن عمر انه لما سئل عن خير البقاع
وشرها قال لا ادري حتى نزل جبريل وفيه تنبيه على ان العجز عن درك الادراك ادراك
ومنه قول الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا وقول الرسل يوم القيمة لا علم لنا ۰۰۰۰۰۰۰
بسم الله الرحمن الرحيم ولا يحيطون به علما وهو بكل شيء عليم العلم علمان اي علم
الاخرة والمعتبر في الاحوال الفاخرة او النافع في المرتبة الزاخرة او علم التصوف والاحوال
الفاخرة نوعان وقد ورد العلم علمان فعلم بالقلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان
وذلك حجة الله على ابن ادم رواه ابن ابي شيبة والحكيم عن الحسن مرسلا والخطيب عنه عن جابر
مرفوعا علم المكاشفة وهو ما يطلب منه كشف المعلوم فقط المعبر عنه بعلم الباطن مثل علم علم المكاشفة
المحبة والشوق والرضاء والقبض والبسط والمحو والصحو والهيبة والانس والفناء والبقاء
واللوامع والطوالع واللوائح والروائح والاستتار ومقابلة المعاملة وهو ما يطلب مع الكشف
العمل وهو نور يظهر في القلب اما بالجذبة الالهية او بالرياضة الشرعية عند تطهير القلب

وتزكيته من الاخلاق الدنية والصفات الردية فيشاهد به الغيب اي ما غاب عن غيره من
علوم متعلقة بالرب من وجود ذاته وشهود صفاته في مكنونات مصنوعاته كما يشير اليه قوله
عز وجل سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وهو متحقق اي ثابت
الى يوم القيمة لاصحاب السلامة من الندامة والملامة فورد دليلا لقوله فيشاهد به الغيب
اذا دخل النور في القلب انشرح اي انفتح اي على الغيب من غير الريب وانفسح اي انبسط
واتسع وانفتح اي احتمل البلاء وحفظ السر اي في مقام الولاء والابتلاء وفي المعالم عند قوله
فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام اي للقبول وما فيه من الاحكام ولما نزلت هذه الاية
سئل عم عن شرح الصدر فقيل فهل لذلك امارة اي علامة قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي
عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت وعن علي كرم الله وجهه علم الباطن من اسرار
الله عز وجل وحكم من حكم الله تعالى يقذفه في من يشاء من عباده رواه الديلمي وابو عبد الرحمن
السلمي ولا يصرح به اي لا يمكن التعبير عن علم المكاشفة لفقد الرواية اي بقصد بها بل دوي
احيانا تلويحا لانه من الامور الوجدانية فلا يمكن ان يروى وينقل الا بالرموز والاشارات الايمائية
الوجدانية فان العاقل يكفيه الاشارة والغافل لا ما يفيده الا صريح العبارة ولذا قيل العلم
نقطة كثرها الجاهلون ومع هذا كل حزب بما لديهم فرحون فالمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة
دون علم المكاشفة التي لا رخصة في ابداعها الكتب وان كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر
السالكين وعلم المعاملة طريق اليه ودليل عليه ولكن لم يتكلم الانبياء مع الخلق الا في علم الطريق و
الارشاد الى الحق واما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه الا بالرموز والايماء على سبيل التمثيل والاجمال
علما منهم بقصور افهام الخلق عن الاحتمال والعلماء ورثة الانبياء فالهم سبيل الى العدول عن نهج التاسي
ومنهاج الاقتداء • وورد ان من العلم اي من جملة علم خفي في الفنون كهيئة المكنون اي من الدر
المصون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله رواه الديلمي في مسند الفردوس عن ابي هريرة رض بلفظ
ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لا ينكره الا اهل الغرة بالله عز وجل
وفي هذا المقام قيل من عرف ربه كل لسانه فان بيان حقائق الذات والصفات تعظم شانه ويجل
برهانه واما قول من قال من عرف ربه طال لسانه فمحمول على العلوم الظاهرة والرخائر الفاخرة من
سائر العلوم المتعلقة بالدنيا والاخرة وقيل من عرف انه كل لسانه محمول على عرفه في بيان الذات وطال
بيانه في شان الصفات فقيل من عرفه بالصفات الجمالية طال لسانه ومن عرفه بالنعوت الجلالية
كل بيانه وهو اي علم المكاشفة افضل من علم المعاملة لان شرف العلم بشرف المعلوم اشرفية ما يتعلق
سيما من الذات والصفات وما اخبر به من المغيبات ولانه المقصود الاكمل والمطلوب بالذات

علم المعاملة

ونذا ينتقل بانتقاله حال الحياة بخلاف علم المعاملة فانه ليس مقصودا بالذات بل ليعمل به في ساير
الاوقات ولذا ينتهي بانتقاله منا الي دار الاخرة حيث لا تكليف فيها وعلم المعاملة اي النوع
الثاني وهو العلم بما يقرب الى الله تعالى من المامورات وما يبعد منه من المنهيات وينقسم الي قسمين الي علم
ظاهر يتعلق باعمال الجوارح والي علم باطن يتعلق باحوال القلوب ثم الجاري على الجوارح اما عبادة
واما عادة والوارد على القلوب التي بحكم الاحتجاب على الحواس من عالم الملكوت اما محمود واما
مذموم وهو اي علم المعاملة مقدم اي على العمل او على علم المكاشفة وهو اظهر من حيث دليله
الوارد ولكن يشكل بقوله لانه الشرط فتدبر فانه قد يتقدم الجذبة على السلوك في الجذبة اللهم
الا ان يقال انه الشرط الغالبي كما يدل عليه استثناؤه الاتي فورد اي في كلامه سبحانه وتعالى والذين
جاهدوا فينا اي اجتهدوا في طاعتنا وعبادتنا لنهدينهم سبلنا اي طريق معرفتنا ووصلنا
او للعمى والذين جاهدوا فينا بما علموا امنا لنهدينهم سبلنا التي ما فهموا عنا كما يشير اليه قوله عم
من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم ويدل عليه قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم واصبت
اي ورد اصبت فالزم حين اخبر حارثة رضي الله عنه بانكشاف الغيب اي من احوال العقبى بعد
عزوفه اي بعد صرف السالك قلبه واعراضه عن الدنيا والحديث في الجامع الكبير لشيخ مشايخنا
المرحوم جلال الدين السيوطي عن الحارث بن مالك وحارثة بن النعمان الانصاريين ففي رواية
الطبراني وابي نعيم عن الحارث بن مالك الانصاري قال مررت بالنبي عليه السلام فقال كيف
اصبحت يا حارث قلت اصبحت مؤمنا حقا فقال انظر ما تقول فان لكل شيء حقيقة وما حقيقة ايمانك
قلت قد عزفت نفسي عن الدنيا واسهرت لذلك ليلي واظمأت نهاري وكاني انظر الى عرش ربي
بارزا وكاني انظر الى اهل الجنة يتزاورون فيها وكاني انظر الى اهل النار يتضاغون وفي رواية
يتعادون فيها فقال يا حارث عرفت فالزم قالها ثلثا وفي رواية ابن عساكر قال له عليه السلام
انت امرؤ نور الله قلبه عرفت فالزم وفي رواية العسكري في الامثال عن انس ان النبي عليه السلام
قال لحارثة بن النعمان كيف اصبحت الى ان قال ابصرت فالزم ثم قال عبد نور الله الايمان في قلبه فقال
يا نبي الله ادع الله لي بالشهادة فدعا له قال فنودي يوما يا خيل الله اركبي فكان اول فارس
ركب واول فارس استشهد وفي رواية ابن النجار فبلغ ذلك امه فجاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت يا رسول الله ان يكن في الجنة لم ابك ولم احزن وان يكن في النار بكيت ما عشت في
الدنيا فقال يا ام الحارث او يا حارثة انها ليست بجنة ولكنها جنة في جنان والحارث في الفردوس
الاعلى فرجعت وهي تضحك وتقول بخ بخ يا حادثة الا استثناء من قوله مقدم اي لكن قد
يؤخر علم المعاملة ان جذبته العناية كما في سحرة فرعون فانهم وصلوا الى الحق تحقيق بدون

المجاهدة

مطلب فضل العلم

المجاهدة في الطريق فانه روي انهم راوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها وقد ورد جذبة من جذبات
الحق توازي عمل الثقلين وورد ان الله في ايام دهركم نفحات اي فتعرضوا لها والحاصل ان
السلوك الى الله اما بتقديم المجاهدة على الجذبة واما بتقديم الجذبة على المجاهدة كما يشير اليه
قوله تعالى الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب والطريق الثاني سلوك الحكماء والكثير الاول
والاول مسلك الانبياء وبعض الاصفياء كما يدل عليه قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا
الايمان اي تفصيله في الخطاب ومعرض البيان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء اي
من اهل العرفان وابلغ منه وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك ولا
ينفعك اي علم المعاملة عنه اي من علم المكاشفة كما قدمنا من لزوم وجود احدهما مقدما
او مؤخرا والحاصل ان بعد الجذبة وحصول المكاشفة يلزم علم المعاملة واما قبل الجذبة
فلا بد من المجاهدة فانها شرط وجود المكاشفة وخلاصته ان علم المعاملة غير لازم
لحصول علم المكاشفة ابتداء واما الدوام فلا بد منه انتهاء كما ان عمر حصلت له الجذبة
وعلم المكاشفة ثم التزم علم المعاملة والخدمة ولو عاش سحرة فرعون لكان علم المعاملة
لازما لهم ايضا لدوام علم المكاشفة والمراد بالجذبة هنا الجذبة القوية الالهية الفجائية
الاتية من عالم الامر والا فصاحب علم المعاملة ايضا لا يخلو عن نوع جذبة دبانية الا انها
ضعيفة تدريجية من عالم الخلق وقد قال تعالى الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين
ومن هنا قيل الطرق الى الله بعدد انفاس الخلايق لانها تختلف باختلاف حجب العلايق
ثم اعلم انه لا يلزم من وجود المعاملة حصول المكاشفة بخلاف العكس في المقابلة وزبدته
ان كل من سعى لم يدرك ما تمنى لكن ما ادرك الا من سعى فله الاخرة والاولى فورد اي
الحديث مما يدل على لزوم المعاملة بعد تقدم المكاشفة التجافي عن دار الغرور اي التبعد
والتزهد عن الدنيا والانابة الى دار الخلود اي الرجوع الى دار العقبى والاستعداد للموت
قبل نزوله اشياقا لقاء المولى حين سئل اي النبي عليه السلام عن علامة ذلك النور كما قدمنا
هذا اي العلم المنقسم الي قسمين من المكاشفة والمعاملة ما ورد بفضله اي فضل تعلمه و
تعليمه الشرع المطابق للعقل والطبع من الكتاب والسنة واخبار الائمة اما الكتاب فكقوله
تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم وقوله يرفع الله الذين امنوا منكم
والذين اوتوا العلم درجات عن ابن عباس رضي الله عنه للعلماء درجة فوق درجة المؤمنين
بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقوله قل هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون وقوله انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله قل كفي بالله شهيدا بيني

وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن
وعمل صالحا وقوله وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقوله ولو ردوه
الي الرسول والي اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم وقوله بل هو آيات بينات في صدور الذين
اوتوا العلم اما السنة فمنه عليه السلام من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين متفق عليه وزاد
الطبراني ويلهمه رشده العلماء ورثة الانبياء ابو داود والترمذي وابن ماجه وابن
حبان في صحيحه من حديث ابي درداء ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتي
تجلسه مجالس الملوك ابو نعيم في الحلية عن انس فقد نبه بهذا علي ثمرته في الدنيا ومعلوم ان
الآخرة خير وابقي خصلتان لا يجتمعان في منافق حسن سمت وفقه في الدين الترمذي عن
ابي هريرة افضل الناس المؤمن العالم اذا احتيج اليه نفع واذا استغني عنه اغني نفسه البيهقي في
شعب الايمان موقوفا علي ابي الدرداء الايمان عريان ولباسه التقوي وزينته الحياء وثمرته العلم
والعمل للحاكم في تاريخ نيسابور عن ابي درداء رض اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم
والجهاد واما اهل العلم فدلوا الناس علي ما جاءت به الرسل واما اهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم
علي ما جاءت به الرسل ابو نعيم عن ابن عباس لموت قبيلة ايسر من موت عالم الطبراني وغيره عن ابي
الدرداء الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا
فقهوا متفق عليه عن ابي هريرة يوزن يوم القيمة مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح مداد العلماء ابن
عبد البر عن ابي الدرداء من حفظ علي امتي اربعين حديثا من السنة حتي يؤديها اليهم كنت له شفيعا
وشهيدا يوم القيمة ابن عبد البر عن ابن عمر من حمل مني امتي اربعين حديثا لقي الله يوم القيمة
فقيها عالما ابن عبد البر عن انس من تفقه في الدين كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب
الخطيب عن ابن جزء اوحي الله تعالي الي ابراهيم عم يا ابراهيم اني عليم احب كل عليم ابن عبد البر تعليقا
العالم امين الله في الارض ابن عبد البر عن معاذ صنفان من امتي اذا اصلحوا اصلح الناس واذا
فسدوا فسد الناس الامراء والفقهاء ابو نعيم عن ابن عباس اذا اتي علي يوم لا ازداد علما
يقربني الي الله فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم الطبراني في الاوسط وابو نعيم في الحلية
وابن عبد البر في العلم عن عايشة رض يشفع يوم القيمة ثلثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء ابن
ماجه عن عثمان رض ما عبد الله بشيء افضل من فقه في الدين الطبراني في الاوسط عن ابي هريرة
خير دينكم ايسره وافضل العبادة الفقه ابن عبد البر عن انس اصبحتم في زمان كثير
فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسياتي علي الناس
زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل الطبراني

مطلب

صنفان

كنحو ام

عن خزام بن حكيم عن عمه والمعني اظهار العمل خير من اظهار العلم ليقتدي الناس فلا ينافيه
ما سبق من الاحاديث الدالة علي افضلية العلم مطلقا قيل يا رسول الله اي الاعمال افضل
قال العلم بالله عز وجل فقيل نسئل عن العمل وتجيب عن العلم فقال ان قليل العمل ينفع مع العلم
بالله وان كثيرا من العمل لا ينفع مع الجهل بالله تعالي ابن عبد البر عن انس يبعث الله العباد يوم
القيمة ثم يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء اني لم اضع علمي فيكم لاعذبكم اذهبوا
فقد غفرت لكم الطبراني عن ابي موسي فالمراد اي مراد الشارع المكاشفة اي ولان المراد علم
المكاشفة فيما ورد فالفاء للتعليل فضل العالم علي العابد كفضلي علي امتي ولفظ الترمذي والدارمي
عن ابي الدرداء كفضلي علي ادناكم وفيه مبالغة لا تخفي اي في حديث مشهور رواه احمد
والترمذي وابو داود وابن ماجه والدارمي وابن حبان ولفظه ان فضل العالم علي العابد
كفضل القمر ليلة البدر علي سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء والانبياء لم يورثوا
دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر وفي لفظ الترمذي عن ابي امامة
فضل العالم علي العابد كفضلي علي ادني رجل من اصحابي وقال حسن صحيح وورد فضل المؤمن
العالم علي المؤمن العابد سبعون درجة ابن عدي عن ابي هريرة وابو يعلي عن عبد الرحمن بن عوف
الاصبهاني في الترغيب والترهيب عن ابن عمر بين العالم والعابد سبعون درجة وكذا في مسند
الفردوس عن ابي هريرة واما ما في الاحياء مائة درجة فلا اصل له اذ غيره اي غير علم المكاشفة وهو
علم المعاملة تبع للعمل لثبوته اي العلم شرطا له اي للعمل فلا عمل بلا علم وقد يوجد علم بلا عمل والمعني
ان كلما وجد العمل لزم وجود العلم بخلاف عكسه فالعمل بغير العلم غير ممكن فعلم ان المراد بالعالم هو
العالم بعلم المكاشفة والا فلو اريد به فضل العالم بعلم المعاملة لزم تفضيل العام علي العالم او علي
العالم العابد وهذا فاسد فتعين ان المراد بقوله فضل العالم هو العالم بعلم المكاشفة هذا حل كلامه
وبيان مرامه والظاهر ان المراد بالعالم هو الجامع بين علمي المكاشفة والمعاملة بل المستجمع بين علم
الشريعة وعمل الطريقة المؤدي الي مرتبة الحقيقة ثم التحقيق ان العلم بدون العمل غير مفيد
والعمل بغير العلم غير صحيح فلا بد للعالم من العمل وللعابد من العلم فالمراد من العالم في
الحديث من يعمل بما يجب عليه ويصرف الي العلم ما يفضل من الاوقات الديه وبالعابد من يعلم ما يجب
عليه من العلم ويصرف بقية اوقاته الي العمل وانما فضل العالم علي العابد لان نفع العلم متعد ونفع
العمل قاصر ولان العلم اما فرض عين واما فرض كفاية وكلاهما افضل من النوافل كما لا يخفي علي
ذوي الفضائل ولان العلم من صفات الله تعالي والعمل من صفات العبد ولان الفضيلتين خير من واحدة
فلان العلم ايضا عمل اي عمل وخلاصته ان زيادة العلم خير من زيادة العمل والمراد هنا العالم العامل

ابن ماجه

رضي الله عنهم

كما يشير اليه قوله عم نعوذ بالله من علم لا ينفع رواه ابن ماجه باسناد حسن عن جابر
وعن عمر من حدث بحديث فعمل به فله مثل ذلك العمل ويؤيده الحديث الدال على الخير كفاعله
رواه الترمذي من حديث انس وعن الحسن لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم وقال
عطاء دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي فقلت ما يبكيك قال ما احد يسألني عن شيء
والمعاملة اي والمراد علم المعاملة القلبية الواجبة فيما ورد طلب العلم فريضة على كل مسلم رواه
ابن ماجه وضعفه احمد والبيهقي وغيرهما لامتناع ارادة غيرها اي غير المعاملة القلبية
اولى بل الحمل على المعنى الاعم هو الاتم يشمل المعاملة القلبية الواجبة وانما يصح كلام الماتن على
قضية نادرة الوقوع ثم يمتنع ارادة غير المعاملة القلبية لان الفرض بعد التوحيد نوعان احدهما يكون
فرضا على العبد بحكم الاسلام وهو علم المعاملة القلبية واصلاح الباطن لازدياد الانوار اليقينية وازالة
الاخلاق الردية واثبات الشمائل المرضية وثانيهما ما هو فرض عليه عند تجديد الحادثة كدخول وقت
الصلوة والصوم ووجوب الحج والزكوة وعلم البيع والشراء وفي المعاملة واما العبد اذا اسلم في وقت
لم يجب عليه في هذه الاشياء فليس عليه ان يعلمها بفرض ادائها لانه لم يدرك وقتها ولم يدرك وقتها
لا يكون فرضا عليه اذ لو فقد بموته قبل تجدده تعالى لم يطالب يوم القيمة بتعلم علمها وانما يكون الفرض
عليه ح علم المعاملة القلبية وتحصيل الاخلاق الزكية لان العبد بعد الاسلام لا يخ اما ان يكون
متصفا بذلك فيجب عليه ازالتها واثبات ضدها مكانها او لا يكون فيجب عليه تحصيل علم
الباطن ايضا لتحصيل ازدياد اليقين ومعرفة خداع النفس وغرورها ووساوسها الخفية و
معرفة الخواطر الردية وما يكون بينه وبين الله في ذلك الوقت من الاحوال الباطنة القلبية فلو وجد
فرصة وفراغا بعد الاسلام ولم يشتغل بتحصيل علم المعاملة القلبية كان تاركا للفرض مسئولا منه
يوم القيمة وان لم يتجدد من تلك الفروض الظاهرة شيء كالصلوة ونحوها فافهم والله اعلم وهذا
بيان ما اجمل بقوله اما التوحيد اي علمه فليس المراد فالحصول اي لحصوله لكل مسلم وفيه انه لا بد له
من بقائه ودوامه وحفظه من تهذيب نظامه واما الصلوة اي امتناع ارادة الصلوة فلجواز
ان يتاهلها شخص اي يصير اهل وجوبها رجل او امراة وقت الضحى بالبلوغ او الاسلام ومات
قبل الظهر يعني فلا يجب على كل مسلم ويدفع بان هذا امر نادر على انه مشروط بشرائطها في
تعلقها فالحكم بعد تحققها واما غيرهما من التوحيد والصلوة ونحوه من علم الفقه المسمى بعلم
المعاملة فاظهر اي في امتناع ارادته والجواب ما تقدم والله اعلم وبسط الكلام في مرام هذا
المقام ان العلماء اختلفوا في العلم الذي هو فرض عين على كل مسلم فتحزبوا فيه اكثر من عشرين
فرقة وتعصبوا ونزل كل فريق وجوبه على الذي هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام اذ به

يدرك التوحيد وبه يعلم ذات الله وصفاته وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة اذ
بهما يتوصل الى العلوم كلها وقال الفقهاء هو علم الفقه اذ به تعرف العبادات والحرام من المعاملات
وقال المتصوفة المراد به علم الاخلاق وما يتعلق به من علم المعاملة والمكاشفة والتحقيق ان هذه
العلوم كلها من فروض الكفاية واما فرض العين على كل احد فبعضها مما يجب فيه الرعاية و
علم الاخرة اي والمراد علم ينفع في الاخرة مطلقا اي مع قطع النظر عن المعاملة والمكاشفة فيما
ورد اي في كلام المجيد قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون لئلا يفضل علماء الزمان
على الصحابة وفيه ان الظاهر في معنى الاية عدم استواء العلماء والجهلاء واما مراتب العلماء من الانبياء
والصحابة والتابعين والفقهاء والمشايخ والاولياء فمختلفة بحسب منازل مؤتلفة فجادلة الكلام
اي علم المنطق والكلام والتعمق في فتاوي ندر وقوعها محدث اي بدعة الا ان الاولى مذمومة
والثانية في الجملة محمودة وما ورد اي جاء من القرآن فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا
في الدين لاختصاص الانذار والحذر في قوله تعالى ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم
يحذرون به اي يختص بعلم الاخرة فالمحدث فيما سبق ذكره يقسي القلب اي لعدم مدخليته في
الانذار والحذر وانما يتأثر القلب بذكر الرب وما يتعلق به من الترغيب والترهيب ففي العوارف
لما صار الانذار مستفادا من الفقه والانذار احياء المنذر بالعلم والاحياء بالعلم رتبة الفقه في
الدين صار الفقه فيه اكمل رتبة المجتهدين وهو علم الزاهد في الدنيا الراغب في العقبى الطالب
للتحقيق وهو الاعلى وايضا ما يؤيد ما قدمنا انه وصف الشارع الفقيه بانه يمقت الناس اي يبغضهم
بالمعاصي في ذات الله تعالى اي لاجل رضاه ولم يقنطهم من رحمته لقوله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله
وقوله لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ولم يؤمنهم من مكر الله لقوله تعالى فلا يأمن مكر
الله الا القوم الخاسرون بل يجعل نفسه وغيره بين الخوف والرجاء ولو ظهر له مقامات الاولياء
لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والانسان لا يخ من العصيان
ولو بالنسيان ولم يرغب عن القرآن اي وما هو مقتبس منه الى غيره اي الى غير القرآن من العلوم المحدثة
ويرى له اي للقرآن وجوها كثيرة اي من ظاهر وباطن وحد ومطلع وتأويلات عبارات ورموز
واشارات ولفظ الوارد عنه عم انه قال الا انبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط
الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة الى ما
سواه ابو بكر بن لال في مكارم الاخلاق وابو بكر بن السني وابن عبد البر من حديث علي وقال
ابن عبد البر اكثرهم يوقفونه على علي وفي حديث اخر لا يفقه العبد حتى يمقت الناس في ذات
الله وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة ابن عبد البر من حديث شداد بن اوس وقال لا يصح

مرفوعا وروي ايضا موقوفا علي ابي الدرداء مع قوله ثم يقبل علي نفسه فيكون لها اشد مقتا قلت فيه ايماء
الي ما قيل وجودك ذنب لا يقاس به ذنب فظهر ان المراد بالفقه ما يحصل به الانذار والحذر وهو علم
الاخرة فقد سئل فرقد السبخي الحسن البصري عن شيء فاجابه فقال ان الفقهاء يخالفونك فقال الحسن
ثكلتك امك فريقد فهل رايت فقيها بعينيك انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الاخرة البصير بذنبه
المداوم علي عبادة الله تعالي الورع الكاف عن اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم الناصح لجماعتهم ثم اعلم
انه ورد في فضيلة التعلم والتعليم آيات واخبار كثيرة واثار شهيرة منها قوله تعالي فسئلوا اهل الذكر
ان كنتم لا تعلمون وقوله عم من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الي الجنة رواه مسلم
من حديث ابي هريرة وقوله ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع احمد وابن حبان و
الحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال وقوله لان تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من ان تصلي مائة ركعة
ابن عبد البر من حديث ابي ذر والخبر عند ابن ماجه بلفظ اخر وقوله باب من العلم يتعلمه الرجل
خير له من الدنيا ابن حبان في روضة العقلاء وابن عبد البر موقوفا علي الحسن البصري وجاء مرفوعا
بلفظ خير له من مائة ركعة رواه الطبراني في الاوسط من حديث ابي ذر وقوله اطلبوا العلم ولو
بالصين ابن عدي والبيهقي في المدخل والشعب من حديث انس وقال متنه مشهور واسانيده ضعيفة
وقوله العلم خزائن الله مفاتيحها السؤال فاسئلوا فانه يوجر فيه اربعة السائل والعالم والمستمع والمحب
لهم رواه ابو نعيم من حديث علي مرفوعا باسناد ضعيف وقوله لا ينبغي للجاهل ان يسكت علي جهله ولا
للعالم ان يسكت عن علمه الطبراني في الاوسط وابن مردويه في التفسير وابن السني وابو نعيم في رياضة
المتعلمين من حديث جابر بسند ضعيف وقوله من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام فبينه
وبين الانبياء في الجنة درجة واحدة الدارمي وابن السني في رياضة المتعلمين من حديث الحسن اي
علي والبصري فالحديث مرسل واما قول الغزالي وفي حديث ابي ذر حضور مجلس علم افضل من صلوة
الف ركعة وعيادة الف مريض وشهود الف جنازة فقيل يا رسول الله ومن قراءة القران قال وهل
ينفع القران الا بالعلم فقد ذكره ابن جوزي في الموضوعات من حديث عمر وقال الحافظ العراقي ولم
اجده من طريق ابي ذر قلت قد ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الكبير في مسند ابي ذر لان تغدو
فتعلم بابا من العلم عمل به اولم يعمل به خير من ان تصلي الف ركعة تطوعا رواه ابن ماجه والحاكم في
تاريخه عنه واما ما ورد في فضيلة التعليم فمنه قوله تعالي واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب
لتبيننه للناس ولا تكتمونه وهذا ايجاب للتعليم وقوله وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون
وهذا دليل علي ذم كتمان الحق والتحريم وقوله ومن احسن قولا ممن دعا الي الله وعمل صالحا وقوله
ادع الي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقوله ويعلمهم الكتاب والحكمة ومنه قوله عليه السلام

فضيلة التعلم

فضيلة التعليم

ما تعلم

ما اتي الله عالما علما الا اخذ عليه من الميثاق ما اخذ من النبيين ان يبينه للناس ولا يكتمه
ابو نعيم من حديث ابن مسعود وقوله لما بعث معاذ الي اليمن لان يهدي الله بك رجلا
واحدا خير لك من حمر النعم احمد من حديث معاذ وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد
انه قال ذلك لعلي عم وقوله اذا كان يوم القيمة من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس اعطي ثواب
سبعين صديقا الديلمي من حديث ابن مسعود وقوله اذا كان يوم القيمة يقول الله تعالي
للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله
انتم عندي كبعض ملائكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة ابو العباس المرهبي
من حديث ابن عباس وقوله ان الله لا ينزع العلم انتزاعا من الناس بعد ان يؤتيهم اياه ولكن
يذهب بذهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتي اذا لم يبق عالم اتخذ الناس
رؤسا جهالا ان سئلوا افتوا بغير علم فيضلون ويضلون متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر وقوله
من علم علما فكتمه الجمه الله يوم القيمة بلجام من نار ابو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان
والحاكم وصححه من حديث ابي هريرة وقوله نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوي عليها
ثم تحملها الي اخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة سنة الطبراني من حديث ابن عباس نحوه و
قوله ان الدنيا ملعونة وملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه او معلم او متعلم الترمذي وابن ماجه
من حديث وقوله ان الله وملائكته واهل السموات واهل الارض حتي النملة في جحرها وحتي
الحوت في البحر ليصلون علي معلم الناس الخير الترمذي من حديث ابي امامة وقوله ما افاد المسلم
اخاه فائدة افضل من حديث حسن بلغه فبلغه ابن عبد البر من رواية محمد ابن المنكدر
مرسلا نحوه ولابي نعيم من حديث عبد الله بن عمر بلفظ ما اهدي مسلم لاخيه هدية افضل من كلمة
تزيده هدي او ترده عن ردي ورواه البيهقي في الشعب ايضا وقوله كلمة من الحكمة يسمعها
المؤمن فيعمل بها او يعلمها خير له من عبادة سنة ابن المبارك في الزهد والدقائق من رواية زيد بن
اسلم مرسلا نحوه وقوله علي خلفائي رحمة الله فقيل ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها
عباد الله ابن عبد البر من حديث الحسن فقيل هو ابن علي وقيل ابن يسار البصري فيكون
مرسلا ولابن السني ولابي نعيم في رياضة المتعلمين من حديث علي نحوه وخرج رسول الله صلي الله
عليه وسلم ذات يوم فراي مجلسين احدهما يدعون الله ويرغبون اليه والثاني يعلمون الناس
فقال اما هؤلاء فيسئلون الله ان شاء اعطاهم وان شاء منعهم واما هؤلاء فيعلمون الناس
وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم وجلس معهم ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر ثم حصر ابحاث
علم المعاملة وهو اثنان وعشرون منها العمل والمعني لابد للعبد من العمل بالعلم فان العلم

بمنزلة الشجرة والعمل بمنزلة الثمرة فالشجرة لكونها الاصل لكن الانتفاع بالثمرة التي هي الفرع
فكذا حقيقة العلم والعمل في قواعد الشرع والكمال هو الجمع بين العلم والعمل والتعليم لقوله
عيسى عم من علم وعمل وعلم يدعي في الملكوت عظيما وقول نبينا عليه السلام خيركم من تعلم القرآن
وعلمه والحاصل ان العالم العامل في منزلة النبيين اذا انضم اليه التعليم فهو في مرتبة المرسلين فورد
في ذم ترك العمل كبر مقتا عند الله الاية والمقت اشد الغضب تمامها ان تقولوا ما لا تفعلون
وفي معناها اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون وانشد
لا تنه عن الخلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم ثم اعلم انه كثر في التصانيف ذكر
الاية والحديث والبيت قبل تمامها وقد يكون الباعث على ذلك اختصار ما هناك وقد يكون
الاستدلال على المطلوب يتوقف على اواخرها وهو محفوظ ومعروف عند اهلها فيذكر
صدرها ويشير الى اخرها بقوله الاية ونحوها اما بالنصب على اضمار اقرأ وهو الوجه الظاهر
ويجوز الرفع بتقدير مبتدأ او خبر كالمقرو والمروي والجر على الى اخر الاية وامثالها
اشد الناس يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه اي لم يوفقه للعمل به ومن جملة عمله نفعه
ان احتياج الى علمه والحديث رواه الطبراني في الصغير وابن عدي في الكامل والبيهقي في
شعب الايمان من حديث ابي هريرة وورد ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات والاحتراز
اي ومن علم المعاملة اجتناب صاحبه عن الفتوي اي اذا لم يتعين له العدم قيامهم اي
الصحابة بها الا بضعة عشرة بكسر الموحدة ما بين الثلث الى التسع وكان قبض عليه السلام عن
مائة الف واربعة وعشرين الفا من الصحابة الكرام فهم يسير من اهل الفتوي وورد لا يفتي
الا امير او مامور او متكلف الطبراني عن عبادة الصامت وعن عوف بن مالك ايضا
قال الامير هو الامام وقد كانوا هم المفتون والمامور نائبه والمتكلف غيرهما وهو الذي يتكلف
تلك العهدة من غير حاجة فلا يخلو عن الخطر فينبغي له الحذر وعن حذيفة انما يفتي احد ثلثة
من عرف الناسخ والمنسوخ او رجل ولي سلطانا فلا بد من ذلك او متكلف ابن عساكر قال الحجة
وقد كان الصحابة يحترزون عن الفتوي حتى يحيل كل واحد منهم على صاحبه كما يحترزونه اذا
سئلوا عن علم القرآن وطريق الاخرة في بعض الروايات بدل المتكلف المرائي فان من تقلد
خطر الفتوي وهو غير متعين عليه للحاجة اليه فلم يقصد به الا طلب الجاه والمال وعن
ابي حصين قال ان احدهم ليفتي في المسئلة ولو وردت على عمر بن الخطاب رضي لجمع لها
اهل بدر ابن عساكر وعن ابن سيرين ان عمر قال لابي موسى اما بلغني انك تفتي الناس
ولست بامير قال بلى قال فول حارها من تولى قارها عبد الرزاق والدينوري في

عذابا

مطلب الاحتراز عن الفتوي

في المجالسة وابن عبد البر في العلم وابن عساكر وعن عبد الله بشير ان علي بن ابي طالب
سئل عن مسئلة فقال لا علم لي بها ثم قال وابردها على الكبد سئلت عما لا اعلم فقلت
لا اعلم رواه سعدان بن نصر وسئل مالك عن اربعين مسئلة فقال في ست وثلثين لا ادري
ومن يرد وجه الله بعلمه فلا تسمح نفسه بان يقر على نفسه بانه لا يدري وعن ابي يوسف
سمعت اباح يقول لولا الفرق من الله تعالى ما افتيت احدا لكون الهنا لهم والوزر علينا وسئل
علي عن مسئله فقال سلوا مولاي الحسن ذكرها الكردري وناهيك عن نهي الفتوي قوله عم اجرؤكم
على الفتيا اجرؤكم على النار رواه الدارمي عن ابي عبد الله ابي جعفر مرسلا والاستبصار اي ومن
علم المعاملة بعد الفتوى المفتين طلب البصيرة بعين الاعتبار واخذ القول بدليل الخاص من غير
استبعاد بالنظر من بين الاخبار فورد استفت قلبك وان افتاك المفتون احمد من حديث وابصة
ويؤيده حديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك الترمذي وصححه والنسائي وابن حبان من حديث الحسن
بن علي وحديث لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة ما به باس الترمذي وحسنه وابن ماجه
والحاكم وصحح اسناده من حديث عطية السعدي وحديث الاثم حواز القلوب البيهقي في شعب الايمان
من حديث ابن مسعود وهو بتشديد الزاء جمع حازة وهي الامور التي تحز فيها اي تؤثر كما يؤثر الحز والملك
في الشيء وهو ما يخطر فيها من المعاصي لفقد الطمانينة اليها وروي بتشديد الواو اي يحوزها
ويغلب عليها وروي حواز بزائين الاولى مشددة فقال من الحز فيعتمد في العلوم على بصيرة
وادراكه بصفاء قلبه لا على صحفه وكتبه ولا على تقليد ما يسمعه من غيره كما اشار اليه بقوله ولانه القلد
وعاء العلم عطف على فقد ورد لانه في معنى التعليل والمعنى ان الذي يقبل قول الغير
ولو كان مجتهدا انما هو وعاء العلم اي ظرفه بمنزلة الرواية فليس له حظ في الدراية وانما نصيبه
الرواية ومن هذا قال ابو حنيفة وغيره لا يحل لاحد ان يقول بقولنا ما لم يعلم من اين قلنا
والشفقة في التعليم اي ومن حق علم المعاملة بالنسبة الى المتعلم فورد انا لكم مثل الوالد لولده ابو
داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث ابي هريرة وكما قال تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم
وازواجه امهاتهم وفي قراءة شاذة وهو اب لهم بل هو افضل واكمل من الوالدين فانه قصده انقاذهم
من نار الاخرة وهو اهم من انقاذ الابوين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم اعظم من
حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحيوة الفانية ولولا المعلم لساق ما حصل من
جهة الاب الى الهلاك الدائم وانما المعلم هو المفيد للحيوة الاخروية الدائمة اعني معلم علم
الاخرة واما علم الدنيا فهو هلاك واهلاك نعوذ بالله ثم كما ان حق ابناء الواحد ان يتحابوا
ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذا حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتواد ولا يكون الا كذلك

فتوي

مطلب الاشارة الي الاعتبار او لعبرة

ان كان مقصودهم الاخرة ولا يكون الا التحاسد والتباغض ان كان مقصودهم الدنيا فان العلماء
وابناء الاخرة مسافرون الى الله سبحانه وتعالى سالكون اليه والطريق هو الدنيا وسنوها وشهورها
منازل الطريق والتوافق في الطريق بين المسافرين الى الامصار سبب التوادد والتحابب فكيف
السفر الى الفردوس الاعلى والترافق في عرصته ... والاضيق في سعادات الاخرة فلذا لا يكون بين
ابناء الاخرة تنازع ولا سعة في سعادات الدنيا فلذا لا ينفك عن ضيق التزاحم والعادلون الى طلب
الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى انما المؤمنون اخوة وداخلون في مقتضى قوله سبحانه
الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ومعزولون عن منصب قوله عم لا يؤمن احدكم حتى
يحب لاخيه ما يحب لنفسه فلا يضنن بفتح الضاد وكسرها نفيا ونهيا اي لا يبخل على احد علمه لان العلم
لا يعلم منعه ورد من كتم علما الجم بلجام من نار ابن ماجه وغيره من حديث ابي هريرة الا استثناء من قوله
فلا يضنن اي فلا يبخل بالعلم الا عن غير اهله وهو الذي يريد ان يتوصل الى المال والجاه وهو الذي وقع
ورد لا تطرحوا الدر في افواه الكلاب رواه ابن النجار عن انس ولفظ لا تطرحوا الدر في افواه الخنازير
وقال عيسى عم لا تعلقوا الجواهر في اعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من
الخنازير وقال ايضا لا تضعوا الحكمة عند غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم وكونوا
كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء وفي لفظ آخر من وضع الحكمة في غير اهلها فقد جهل ومن
منعها اهلها فقد ظلم ان للحكمة حقا وان لها اهلا فاعط كل ذي حق حقه وسئل بعض العلماء عن
شيء فلم يجب فقال السائل اما سمعت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيمة ملجما بلجام
من نار فقال اترك اللجام واذهب فان جاء من يفقه فكتمته فليلجمني وقوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم
فيه تنبيه على ان حفظ العلم ممن يفسده ويضره اولى وليس الظلم في اعطاء غير المستحق باقل من الظلم
في منع المستحق شعر فمن منح الجهال علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم والتعريض
اي لا التصريح بالمنع ابقاء للهيبة وهو المأمور اي في المنع كما ورد في الحديث المأثور والمعنى انه من
المعلم ان يزجر المتعلم بالتعريض اذا وقع منه تقصير وقلة ادب في القول او الفعل حال تقرير ولا يتهم
ما امكن وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجراءة على الهجوم
بالمخالفة كما روي ابن جريج مرسلا انه عليه السلام بينما هو يخطب يوم الجمعة اذ رأى رجلا يتخطى
رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى عم عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك ان تجمع
اليوم معنا فقال يا نبي الله اني قد جمعت معكم فقال عم او لم ارك تتخطى رقاب الناس فعرض عليه السلام
بالمنع عن التخطي بانه يحبط اجر عمله ولم يصرح لمع ما فيه من امالة النفوس الزكية والاذهان البهية الى
استنباط المعاني الخفية فيفيد فرح التفطن رغبة في العمل به بخلاف التصريح فانما يوقع في الاصرار على القبيح

فقد روي

فقد روي لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شيء يطلب وقد جبل الانسان
حريصا على ما منع كما يشير اليه قوله تعالى حكاية ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا
من الخالدين والاقتصار على قدر الفهم ورد امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم ابو داود من حديث
عائشة رضي الله عنها بلفظ انزلوا الناس منازلهم وفي رواية عن ابن عمر نحن معاشر الانبياء امرنا ان ننزل
الناس منازلهم ويؤيده حديث كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون البخاري موقوفا على علي كرم الله وجهه
ورفعه ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق ابي نعيم ويقويه حديث ما حدث احدكم قوما
بحديث لا يفهمونه الا كان فتنة عليهم العقيلي في الضعفاء وابن السني وابو نعيم في الرياضة من حديث
ابن عباس باسناد ضعيف ولمسلم في مقدمة صحيحه موقوفا على ابن مسعود رضي الله عنه وفي رواية ما احد يحدث
قوما بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم وفي رواية لابي نعيم عن ابن عباس لا تحدثوا امتي
من الاحاديث الا بما تحمله عقولهم وعن علي قال حدثوا الناس بما يعرفون اتريدون ان يكذب الله ورسوله
البخاري وفي رواية عنه ايها الناس اذ لا تحبون ان يكذب الله ورسوله حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا
ما ينكرون الخطيب وفي رواية عنه واشار الى صدره ان ههنا العلوما جمة لو وجدت لها حملة ولقد صدق
فقلوب الابرار قبور الاسرار وقطع الطمع اي عن الخلق خصوصا عن التلميذ وهو سكون القلب والنفس
الى منفعة مشكوكة ورد اي في ايات كثيرة قل لا اسئلكم عليه اجرا انما ان اجري الا على رب العالمين
ولان فساد الدين الطمع كما ان صلاح الدين الورع على ما روي عن الحسن ونية العمل بنفسه والتعليم
لغيره في التعلم اي لا قصد المال والاغراض الفاسدة والاعواض الكاسدة وهذا من حقوق يجب على
المتعلم ورد من تعلم للمباهات اي المفاخرة او المماراة اي المجادلة او نصرف وجوه الناس اليه تعظيما و
تكريما فهو في النار ابن ماجه من حديث جابر باسناد صحيح ولفظ لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا
السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو في النار وفي رواية لابن ماجه عن ابي هريرة
بلفظ من تعلم العلم ليباهي به العلماء او يماري به السفهاء او يصرف وجوه الناس اليه ادخله الله جهنم وفي رواية
لابي داود عنه من تعلم صرف الكلام ليسبي به قلوب الناس لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وفي رواية الترمذي
عن كعب بن مالك رضي بلفظ من تعلم العلم ليجاري به العلماء او ليماري به السفهاء او يصرف به وجوه الناس اليه
ادخله الله تعالى النار وقد كثر طرقه كاد ان يكون متواترا والانقطاع اي عن سائر الامور التي فيها نوع من
النزاع لشغل العلائق اي العوائق بتعلق الخلائق عن خدمة الخالق ويشير اليه قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا
اي انقطع اليه واعتمد عليه واقصد الحضور لديه وقوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وقال
بعضهم العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فانت من اعطائه اياك بعضه على خطر والتملق وهو
الافراط في التواضع والتذلل ورد ليس من اخلاق المؤمن التملق الا في طلب العلم رواه الخطيب والتسليم

اي تسليم المتعلم للمعلم لانه العالم الرباني يربي المتعلم لصغار العلم قبل كباره ولقوله لهلاك مريض لا يسلم اي امره
للطبيب اي فيما يحتميه وفيما يعينه والحضور للانتفاع اي ومن حق العلم حضور القلب مع الوقت ليحصل به
الانتفاع في تمام الكسب فورد اي في قوله تعالى ان في ذلك اي فيما سبق من اول سورة ق اي في القرآن لذكرى اي
تذكرة ومنفعة وموعظة لمن كان له قلب اي حاضر وتمام الاية او القى السمع وهو شهيد اي بجميع حواسه
وترك الاستنكاف اي الانفة عن الطلب او المطلوب منه فان العلم يؤتي ولا يأتي ولا يتكبر اي بغير حق وقد
قال تعالى ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل
الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا والقبلى اي ومن حق العلم تركه قبلى المبتدي
على المنتهي في كثرة الطاعة وقلة اجتناب الشبهة لاستبداله اي لاختيار المنتهي الحضور اي مع الله بالنوافل
اذ النهاية رد الاعمال الى الباطن وتسكين الجوارح الا عن رواتب الفرائض فيتراى الناظر
انه كسل وبطالة واهمال عفلة وهيهات فذكر مرابطة القلب في عين الشهود والحضور مع الرب والبحر
اي ولتقتيه النجاسة ما دون الكوز شبه المنتهي بالبحر والمبتدي بالكوز فلا يقاس الملوك با
لحدادين ومن قال بعض المشايخ من رآني في البداية صار صديقا ومن رآني في النهاية صار زنديقا وتقديم
الاهم اي من العلوم تعلما وتعليما فبدأ بفرض العين اي المتعين على كل احد وهو علم ما يجب من اعتقاد
اي اجمالا او تفصيلا او تقليدا او تحقيقا كما بينته في شرح الفقه الاكبر تدقيقا وفعل اي عمل من صلاة
او صوم او نحوهما وترك اي من قتل نفس وشرب خمر وامثالها ومحلها كتب الفقه ظاهرا وهو ظاهر و
باطنا كترك ارادة المعصية ثم علم الاخرة اي معرفة تفاصيل احوالها ومواقفها واهوالها او علم
لا ينفع الا في الاخرة واعمالها والمراد به علم التصوف وتحلية الاخلاق الباطنة وتزكية الاحوال الشرعية
فهو المقرب اليه تعالى اي ظاهرا او باطنا بخلاف غيره اذ قد يبعد عنه سبحانه لما يشتمل عليه من احوال النقصان
واصناف التكدير من الرياء والسمعة والعجب والغرور في التقرير والتحرير ومن هنا قال الامام مالك
من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن جمع بينهما فقد تحقق
وقال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم اخاف عليه سوء الخاتمة وادنى النصيب منه التصديق به
والتسليم لاهله وقال اخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم بدعة وكبر وقيل من كان
محبا للدنيا او مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم واقل عقوبة من ينكره ان لا يرزق
منه شيئا وانشد وارض لمن غاب عنك غيبته فذاك ذنب عقابه فيه هذا ومجمل ما يجب عليك من

مطلب ما يجب من الاعتقاد

الاعتقاد على وجه الاقتصاد في مقام الاستناد انه تعلم ان الله الها عالما قادرا حيا
مريدا متكلما سميعا بصيرا واحدا احدا فردا صمدا لا شريك له ابدا ولا ضد له ولا
ند ولا شبيه ليس كمثله شيء لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد متصفا بصفات الكمال جامعا

بين ثبوت الجلال والجمال فهو ذو الجلال والاكرام وصفات الافضال والانعام منزها عن الحدوث
منفردا بالقدم مخالفا لكل شيء من حيز العدم كلامه قديم وارادته وعلمه مقدس سبحانه عن كل نقص
وافة لا يوصف بصفات المحدثين ولا يجوز عليه ما يجوز على المحدودين ولا يتضمنه الامكنة والجهات
ولا تمر عليه الازمنة والساعات ولا تحله الحوادث والافات وان محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله
ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وهو الصادق المصدق فيما جاء به عن الله تعالى وفيما رواه
على لسانه من امر الاخرة وغرائب شتى ويجب عليه اعتقاد ما كان عليه السلف من ان الله يرى في الاخرة
لانه موجود لكنه غير محدود وان القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ليس بحروف مقطعة ولا اصوات مختلفة
فهو حال وحادث فينا محفوظ في قلوبنا مقروء بالسنتنا مكتوب بايدينا ملحوظ باعيننا وتعتقد
ايضا ان لا يقع في الملك والملكوت فلتة خاطر ولا لفتة ناظر الا بقضاء الله وقدره وفق ارادته
ومشيئته من الخير والشر والنفع والضر والايمان والكفر وانه لا واجب على الله لاحد من خلقه
وان حقه واجب على غيره وهو العبادة ثم من اثابه فهو بفضله ومن عاقبه فهو بعدله ولا يسأل عما يفعل
وهم يسألون ويعتقد ان جميع ما ثبت بالشرع من امور الاخرة كالجنة والنار والحشر والنشر وعذاب
القبر وسؤال منكر ونكير والصراط والميزان فهذه اصول الايمان درج السلف الصالح من
الصحابة والتابعين رضي الله عنهم اجمعين على اعتقادها والتمسك بها والاجماع عليها قبل نبوغ البدع وبدو الاهواء
وقال الحجة علم الاخرة ينقسم الى المعاملة والمكاشفة والمراد بعلم المكاشفة معرفة الله تعالى ولست اعني بالمعرفة
الاعتقاد الذي تلقفه العامة وراثة بل ذلك نوع يقيني من دراية هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى في قلب عبد
طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهي الى رتبة ايمان ابي بكر الصديق رضي الله عنه والله ولي التوفيق ومن
اهم المهمات معرفة الواجبات ليكتسبها والسيئات ليجتنبها اذ كيف يقوم بطاعة لا يعرف ما هي او كيف يفعلها
مع وجود الملاهي ام كيف يجتنب المعاصي من غير ان يعرف انها من المناهي فيجب عليك ان تحكم احكام
الشرع من الاصل والفرع فربما انت تقيم على كفر وبدعة او على غفلة مما يفسد عليك طهارتك او
صلاتك او تخرجهما عن كونهما على وفق السنة ثم هذا الشأن ايضا العبادات الباطنية التي هي من فروض
الاعيان من التوكل والتفويض والتسليم والرضاء بالقضاء والتوبة والانابة والصبر والشكر والاخلاص
في النية ونحوها مما يجيء ذكرها ويجب الاتصاف بها وكون المعاصي الباطنية من السخط والغضب والحقد والحسد
والبخل وطول الامل وخوف الفقر والرياء والكبر مما سيأتي بيانها ويجب اجتنابها حتى تصونه النفس
عما شانها وتكون منعوتة بما زانها فان هذه المذكورات كلها فرائض نص الله تعالى على الامر بها والنهي عن
اضدادها في كتابه القديم قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين واشكروا لله ان كنتم اياه
تعبدون واصبروا ان الله مع الصابرين وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وكذلك

من الآيات كالنص على الامر بالصوم والصلوة فما بالك اقبلت على العبادات الظاهرة وتركت الطاعات
الظاهرة والامر بهما من رب واحد في كتاب واحد على لسان رسول واحد بل غفلت عنها ولا عرفت شيئا
منها وعلى الجملة فكيف لا يؤمن من الهلاك مع جهله فطلب علم فرض لا يسوغ لاحد تركه فاذا فرغ اي عن
القيام بفرض العين علما وعملا اي فعلا وتركا ساغ ان يشرع في فروض الكفاية كالتفسير اي مما يتعلق
من علم القراءة واسباب النزول ومعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر وكيفية
استعمال البعض منه مع البعض وهو الذي يسمى اصول الفقه ويتناول السنة ايضا وما يتوقف
علم اللغة والصرف والنحو والاخبار اي الاحاديث والآثار المسندة وغيرها ومعرفة رجالها وسائر
احوالها والفتاوى اي في فروع الفقه واصوله غير منجاوز الى النوادر اي كما نقل عن السلف الاكابر
فيكفيك من التفسير وجيز الواحدي والجلالين ووسط المدارك او المعالم ونهاية الدر المنثور
في التفسير المأثور ومن الحديث يكفيك ما في الصحيحين والتوسط في المشكاة والنهاية تيسير الوصول
الى جامع الاصول والجامع الكبير للحافظ السيوطي واما الاستغراق في علم واحد طلبا للاستقصاء
فنوع فان العلم كثير والعمر قصير ولا مستغرق اي بكليته في فروض الكفاية وهي كما قال الحجة كل علم
لا يستغنى عنه في قوام امور الدنيا كالطب اذ هو ضروري في حاجة بقاء الابدان وكالحساب فانه
ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها قال ولا تتعجب من قولنا ان الطب والحساب من
فروض الكفاية فان اصول الصناعات كذلك كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة وهي اخس الصنائع
فانه لو خلا بلد عن الحجام تسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريضهم انفسهم الهلاك فان الذي
انزل الدواء وارشد الى استعماله اعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله قلت
واغرب من هذا ان صنعة سواد يه ايضا من فروض الكفاية مشتغل عن المقصود اي الذي
هو المقصود اي الذي هو الحضور بين يدي المعبود والاستغراق في لجج بحار الشهود فقد قال
الطحاوي حدثنا ابن عمران قال انبأنا محمد بن مروان الخفاف قال سمعت اسمعيل بن حماد بن
ابي حنيفة يقول قال محمد بن الحسن كنت آتي عند داود الطائي فاسئله عن مسئلة فان وقع في قلبه
انه مما احتاج اليه لامر ديني اجابني فيها وان وقع في قلبه انها على خلاف ذلك تبسم في وجهي و
قال ان لنا شغلا ولا قصارا اي ومن حقوق علم المعاملة الاقتصاد على الواقع اي من القضايا و
القريب منه اي من الواقع في البلايا في المناظرة اي بطريق المشاورة فهو المأثور اي عن الجمهور فان
الصحابة ما تناظروا ولا تشاوروا الا في مسئلة واقعة او قريبة الوقوع غالبا واختيار الخلوة اي للمناظرة
لقربها الى جمع الهمة وصفاء الفكرة والبعد عن الرياء والعجب لان في حضور الجمع ما يحرك دواعي الرياء
ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا كان او مبطلا وسبيل التشاور اي واختيار لغو

وامرهم شورى بينهم والحديث ما خاب من استشار والتعاون لقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى
فهو المأثور لا على سبيل المراء والخصومة والرياء فتجويز الانتقال اي فيجوز انتقال خصمه
من معاونة ومشاورة عن دليل واشكال الى دليل اخر واشكال اظهر بان اعتقدا ولا انه دليل و
اشكال قبل المشورة والتعاون فعلم بعدهما انه غير دليل واشكال فينتقل ولا يدعى علم مجهول كما
اذا قال احد المتناظرين هذا ما ظهر لي فانه ظهر لك ما هو اوضح فاذكره فيصير المعترض ويقول فيه
معان سوى ما ذكرته وقد عرفته ولا اذكره اذ لا يلزمني ذكره ولا يعرف هذا المسكين انه قوله اما
كذب ولا يعرف معنى وانما يدعيه بتعجيز الخصم فهو فاسق كذاب عصى الله تعالى ويكون دعواه دعوى
علم مجهول او قوله صدق فقد فسق باخفاء ما عرفه من امر الشرع وقد سأله اخوه المسلم واظهار
مثل ذلك واجب كما لا يخفى فيكون سكوته سكوتا عن معلوم زاعما عدم لزوم الذكر وهو قد وجب
عليه وهذا معنى قوله ولا يسكت عن معلوم زاعما اي مدعيا انه عالم بعد اي بعد سؤال مناظره
لزوم الذكر كما شأنه المناظرة اذا قاس المستدل على اصل بعلة يظنها فيقال له ما الدليل على ان الحكم
في الاصل معلل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لي فان ظهر لك ما هو اوضح واولى فاذكره الى اخر ما
سبق لانه اي المذكور آنفا من عدم اجازة الانتقال والادعاء والسكوت قواعد محدثة اي اصطلاح
مبتدعة مستقبحة جاذبة الى المهلكات من الحسد والتكبر وكتمان الحق واذى المسلم وغير ذلك فحرم
التمسك بها اي يجب العمل بخلافها ويشكر اي المناظر له المصيب ويعرف بالخطاء فقد حكي عن محمد بن كعب
قال سأل رجل عليا رضي عن مسئلة فقال فيها فقال الرجل ليس هكذا ولكن كذا وكذا فقال علي اصبت
واخطأت وفوق كل ذي علم عليم اخرجه ابن جرير وابن عبد البر وقد ثبت ان امرأة ردت
على عمر رض ونبهته على الحق وهو في خطبته على ملاء من الناس فقال اصابت امرأة واخطأ رجل
واستدرك ابن مسعود على ابي موسى الاشعري فقال ابو موسى لا تسئلوني عن شيء وهذا الحبر بين اظهركم
وذلك لما سئل ابو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل فقال هو في الجنة وكان اذ ذاك امير الكوفة
فقال له ابن مسعود اعده على الامير فلعله لم يفهم فاعادوا عليه واعاد الجواب فقال ابن مسعود
انا اقول ان قتل واصاب الحق فهو في الجنة فقال ابو موسى الحق ما قال وهكذا يكون انصاف طالب الحق
ولو ذكر مثل هذا الآن لاقل فقيه لانكره واستبعده وقال لا يحتاج الى ان يقال انه اصاب الحق فان ذلك
معلوم لكل احد فانظر الى مناظري زمانك اليوم كيف يسود وجه احدهم اذا اتضح الحق على بيانه
خصمه فكيف يخجل به وكيف يجتهد في مجاهدته باقصى قدرته وكيف يذم من افحمه طول عمره ثم لا
يستحيي من تشبيه نفسه بالصحابة في تعاونهم على النظر للحق ولا يهتم اي برأيه للخطاء لان هذا شأن
الاجتهاد ولانه ان اصاب فله اجران وان اخطأ فله اجر فلا يخرج عن الخير بالكلية فهو المأثور اي المنقول

عن الجمهور قيل ولا يعتد ذهن الثلثة الا العالم الرباني والولي الصمداني ولانه دليل اخر لعدم الاهتمام
اي ولان المناظر اذا كان طالب الحق منشد ضالة فلا فرق بين ظهورها منه او من غيره كما يشير اليه قوله
عليه السلام الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو احق بها اخرجه الترمذي عن ابي هريرة مرفوعا
ويقدم اي للناظر قبل البحث اتهام النفس اي استكمال نفسه والزامها بان يحكم عليها بانها امارة بالسوء
والشيطان وكذا اتهام الشيطان لشدة معاداتهما قال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا
وقال عم اعدي عدوك نفسك التي بين جنبيك ومن يناظر الشيطان وهو مستول علي قلبه وهو
اعدي عدوه فلا يزال يدعوه الي هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره في مسائل المجتهد فيها مصيب او مساهم
للمصيب في الاجر فهو ضحكة الشيطان وعبرة المخلصين في حزب الرحمن والله المستعان فهذا فقد ورد
من ترك المراء وهو مبطل بني الله له بيتا في ربض الجنة اي وسطها ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا
في اعلي الجنة الترمذي وحسنه من حديث انس والتمسك عطف علي اختيار الطلوع اي والاعتصام
في الاصول اي الاعتقاديات بالكتاب اذا كان مقطوع الدلالة والسنة اي المتواترة مبني او معني
والاجماع اي اجماع الامة واتفاق الائمة والاعراض عن اعتراض خاطر او ناظر ومن حق العلم
ان يعرض عما اعترض في خاطره او في قول مناظره اذا كان هذا الاعتراض مخالفا للادلة الثلثة المذكورة
لاعتصامها عن الهواء اي هوي النفس والوسوسة اي وسوسة الشيطان دون غيرها اي بخلاف ما عداها
من المقايسات العقلية ونحوها وتأييد الاعتقاد اي تقويته وتأكيده بالعمل والمعني انه اذا علم
واعتقد شيئا واجبا او سنة او مندوبا فمن حقه ان يؤيد هذا الاعتقاد بالعمل به وكذا اذا اعتقد
شيئا حراما او مكروها فمن حقه ان يؤيد اعتقاده ذلك بالترك فهو اي تأييده بها طريق المكاشفة اي
الموصل الي علم المكاشفة والمشاهدة فمن اشتغل بالعلم بالهدي ولازم طريق التقوي ونهي النفس
عن الهوي يفتح له ابواب الهداية وما يوصله الي المقام النهاية كما يشير اليه قوله سبحانه والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله والذين اهتدوا زادهم هدي وقوله عم من عمل بما
علم ورثه الله علم ما لم يعلم وادلة القرآن اي وتأييده بادلة القرآن خصوصا فانها
قطعية لا محالة ويرجع الاجماع والسنة اليها فيها اي بالادلة القرآنية كانوا اي السلف
يحاجون اي يباحثون من فهم القرآن ويقاتلون من لم يقنعه فلا بيان اي يوجد بعد
بيانه اي بيان القرآن وقد قال تعالى هذا بيان للناس وقال تعالى هذا بلاغ للناس اي كفاية
لهم في امر دينهم ودنياهم واخريهم وفي الحديث من لم يتغن بالقرآن فليس منا اي من لم يستغن
به عن غيره ويؤيده قوله تعالى اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلي عليهم ان في ذلك لرحمة
وذكري لقوم يؤمنون وصحبة الصالحين اي وتأييد الاعتقاد بصحبة الصالحين لانه قد ينكشف

لهم بنور

لهم بنور الصلاح ما لم ينكشف لغيرهم من العلوم وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا
مع الصادقين واصغاء الوعظ اي وتأييده باستماع الوعظ اللين اي المؤثر للقلوب اما من الوعاظ
او من كتب الصوفية وترك مجادلة الكلام اي وتأييده بترك مجادلة علم الكلام علي طريقة المتفلسفة
والحكماء الخارجين عن دائرة الاسلام فهو صنعة جدل بفتح وكسر اي مجادل او بفتحتين فان
المجادلة مراء يتعلق باظهار المذاهب وهو يعرف بكراهة اصابة الخصم وارادة خطائه واظهار
فضل وهو موضوع لتعجيز العامي الذي يضر بصيغة المجهول ضرره اي يضر الجدل ضرر العامي
وضرر العامي خلل اعتقاده بواسطة المناظرة بانه يقع في خاطره ان العلماء يترددون في المسئلة
كيف نعتقدها علي سبيل الجزم وهذا معني قوله لتشويشه الحق ببعث الشبهة وتحريك العصبية
وازالة الجزم فهذا ضرره بالنسبة الي العامي واما ضرره بالنسبة الي العالم فقد بينه بقوله وتوكيد
عطف علي التعجيز اي فهو صنعة جدل لتأكيده الباطل بتأييد الاصرار اي بتقوية الاستمرار
علي المجادلة في الايات والاخبار التقنت للجدلي اي لطلب زلة من يجادل معه ومشقته وحمل
الافحام اي وحمل الالزام علي قصور الطبع وذلك لان المماراة تصير عادة في طبعه فلا يسمع
كلاما الا وينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتي يغلب ذلك علي قلبه في ادلة القرآن والفاظ
الشرع فيصرف البعض منها بالبعض ولو ادام للجدل في الكتاب والسنة فقد ورد ما ضل قوم بعد
هدي كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون الترمذي وابن ماجه من
حديث ابي امامة قال الترمذي حديث حسن صحيح وقال عز وجل وكان الانسان اكثر شيء جدلا وفي الحديث
في معني قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ الاية هم اهل الجدل الذين عني الله تعالى بقوله فاحذرهم
متفق عليه من حديث عائشة رض وقال بعض السلف يكون في آخر الزمان قوم يغلق عنهم باب العمل ويفتح
لهم باب الجدل وفي بعض الاخبار انكم في زمان الهمتم فيه العمل وسيأتي قوم يلهمون الجدل ذكره
النجم وقال العراقي لم اجد له اصلا وفي الخبر المشهور ابغض الخلق الي الله تعالى الالد الخصم متفق عليه
من حديث عائشة رضي الله عنها ولعله مقتبس من قوله ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد
الله علي ما في قلبه وهو الد الخصام ومن ههنا قيل اعتقاد العامي الذي لم يشتغل بالكلام
راسخ قوي في احكام الاسلام غاية الاحكام واعتقاد الجدلي الممارس اعتقاد بتقسيمات الجدل
كخيط مرسل في الهواء بل ليشتبه الهواء تلقيه الرياح المختلفة في الصحراء كما في الاحياء ومن ثمة تكتب
بالهاء لئلا يشتبه بثم ثم تقرأ بفتح المثلثة ومن غير تاء وصلا وهاء وقفا وخلاف ذلك عد من
غلط العامة كذا في غاية التحقيق اي ومن اجل ذلك ويتفرع عليه هنالك ترجح اي تزلزل عقيدة
المتكلم المشتغل بالنظر اي بالادلة النظرية العقلية فقط دون الفاء المتقي اي المعتمد علي الادلة

مطلب ذم التعصب والجدل

مطلب
كون علم المناظرة مباحا بل فرضا كفاية

انواع م

هذيانات المبتدع

العقلية والحجج الشرعية فان المشتغل بالكتاب والسنة ومتابعة الصالحين من الائمة لا يتزعزع بل يزداد
رسوخا بما يسمعه من ادلة القرآن وبما يرد عليه من شواهد الحديث في ميدان التبيان وبما يسري
اليه من سير الصالحين وسلوك الصادقين الا استثناء من قوله لتغيير العالم الذي يتضرر
الا في عالم اعتقد بدعة مسموعة اي من جماعة مبتدعة والف الجدل حتى لا ينفعه سواه والغا
انه لا ينفعه بل لا يزيده الا ضلالا وتبارا كما اشار اليه قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة
للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا كالسيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين كما يومي اليه قوله تعالى
يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فمن ثمة اي من اجل انه ينفعه في الجملة ولاقامة الحجة صار اي
علم المناظرة مباحا عند بعضهم بل من فروض الكفاية عند ارباب الدراية في زمان البدع
اي ايام ظهور البدع صونا للعقايد اي عن تزلزلها في القواعد لتحصيله وانما يكون مباحا او فرضا
كفاية على الذكي اي العقل الفصيح اي القادر على التقرير والتحرير المتدين المتجرد لتحصيل في
هذا الفن ليقدر على الفهم اي اولا والتفهيم اي التفهيم ثانيا والثبات على الحق اي ثالثا والاستعمال
لازالة الشبهة دون العامة اي لا يباح لعامة الناس ان يخوضوا في هذا البحر العظيم فان فيه من
الخطر الجسيم والمراد بالعامي هنا من لم يستحكم عقايده بالكتاب والسنة واجماع الامة وساير
الادلة العقلية والحجج النقلية لانه اي علم النظر دواء فيحتاج اليه عند الحاجة كالادوية والعامي ليس له
معرفة بكيفية استعمال هذه الدواء فلا حاجة اليه بل استعماله وبال عليه بخلاف ما سبق من الادلة
الثلثة التي هي الكتاب والسنة واجماع الامة فهو غذاء اي فانها كالغذاء للبدن فلا بد للعامة منها فقد
قال فتح الموصلي اليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدواء يموت فقالوا بلى فقال فكذلك
القلب اذا منع عنه الحكمة والعلم ثلثة ايام يموت واما دقايق المعتقدات وحقايق المختلفات فيستغني
عنها العامي حتى لو مات قبل ان يعتقد ان كلام الله تعالى قديم وانه مرئي وانه ليس محلا للحوادث
الى غير ذلك فقد مات على الاسلام اجماعا بكلام واضح اي هو من فروض الكفاية على الذكي الفصيح
بكلام ظاهر سديد اي مسدد ظاهر قريب من الشرع ليقرب اي ذلك الكلام من الفهم اي الذي
يقتضيه الطبع ويبعد عن ورود الشبهة والهوى اي هوى النفس او هوى البدعة والوسوسة اي
الناشئة من النفس والشيطان دون التعمق المشوش اي ولا يباح لمن ينظر في علم النظر لا يتعمق فيه
بحيث يوسوس عليه ما يعنيه والتجاوز اي ودون التعدي الى هذيانات اي وترهات تزدريها
الطباع وتمجها الاجماع اخترعها المبتدعة اي من الخوارج والروافض والمعتزلة ثم اعلم ان المقصود في
هذا المقام تبع حجة الاسلام في اباحة علم الكلام واقتفاه في تفاصيل ما ذكره من المرام الا ان السلف
الكرام وجماعة من الخلف العظام اتفقوا على ان علم الكلام من العلوم المذمومة وهو منتصب فم الادلة

مطلب
تسمية علم المنطق بدهليز الكفر
واتفاق الائمة بحرمة علم النحو

الناس م

العقلية وتنقل فيه اقوال الفلاسفة والحكماء الطبيعية والاولى العقايد بالحجج الشرعية والبراهين
النقلية اشرف العلوم الدينية لانه يجب فيه عما يتوقف صحة الايمان عليه وتتمة اللازمة لديه
نص الشافعي لان يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من ان يلقاه بشيء من علم الكلام و
ذكر في غياث المفتي عن ابي يوسف انه لا يجوز الصلوة خلف المتكلم وان تكلم بحق لانه مبتدع ولا
يجوز خلف المبتدع وكان ابو حنيفة يكره الجدال على سبيل الحق حتى روي عن ابي يوسف انه قال كنا
جلوسا عند ابي حنيفة اذ دخل جماعة في ايديهم رجلان فقالوا ان احدهما يقول القرآن مخلوق
وهذا ينازعه ويقول غير مخلوق وقال لا تصلوا خلفهما فقلت اما الاول فنعم فانه لا يقول بقدم القرآن
واما الاخر فما باله لا يصلى خلفه فقال انهما يتنازعان في الدين والمنازعة في الدين بدعة كذا في مفتاح الشفاء
ومن جملة العلوم المذمومة علم المنطق الذي هو مسمى بدهليز الكفر فقد صنف شيخ مشايخنا جلال
الدين السيوطي رسالة مستقلة في تحريمه ونقل عن الائمة الاربعة ما يدل على تسليمه ومن جملتها علم السحر
كما يدل عليه قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا
يعلمون الناس السحر ومنها علم النجوم فقد ورد تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم
انتهوا ابن مردويه والدارقطني عن ابن عمر رب معلم حروف ابي جاد دارس في النجوم ليس له عند الله
خلاق يوم القيمة الطبراني عن ابن عباس من اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد احمد وابو داود
ابن ماجه عن ابن عباس مثل الناظر في النجوم كالناظر في عين الشمس كلما اشتد نظره فيها ذهب بصره الديلمي
عن ابي هريرة وعن الربيع بن سبرة الجهني قال الناغزا عمر رضي الله عنه واراد الخروج الى الشام خرجت معه فلما
اراد ان يدلج نظرت فاذا القمر في الدبران فاردت ان اذكر ذلك لعمر فعرفت انه يكره ذكر النجوم
فقلت له يا ابا حفص انظر الى القمر ما احسن استواءه الليلة فنظر فاذا هو في الدبران فقال قد عرفت
ما تريد ابن سبرة تقول ان القمر في الدبران والله ما نخرج بشمس ولا قمر الا بالله الواحد القهار الخطيب
وابن عساكر عن عبد الله بن عوف بن الاحمر ان مسافر بن عوف بن الاحمر قال لعلي ابن ابي طالب رضي الله عنه
حين انصرف من الانبار الى اهل النهروان يا امير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة وسر في ثلث ساعات
يمضين من النهار قال علي رضي الله عنه ولم قال لانك ان سرت في هذه الساعة اصابك انت واصحابك بلاء
ومن شديد وان سرت في الساعة التي امرتك بها ظفرت وظهرت وطلبت فقال علي ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم
منجم ولا لنا من بعده هل تعلم ما في بطن فرسي هذه قال احسبت علمت قال من صدقك بهذا القول كذب
القرآن قال الله تعالى ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام الاية ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم
يدعي ما ادعيت علم تزعم انك تهدي الى علم الساعة التي تصيب السوء من سافر فيها قال نعم قال من صدقك
بهذا القول استغنى عن الله في صرف المكروه عنه وينبغي للمقيم بامرك ان يوليك الامر دون الله رب

مطلب انما المنجم كالكاهن

لانك انت تزعم هدايته الى الساعة التي يحوم من السوء من سافر فيها فمن امن بهذا القول لم آمن عليه ان يكون
كمن اتخذ دون الله ندا وضدا اللهم لاطير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك نكذبك ونخالفك ونسير
في هذه الساعة عيانا منها ثم اقبل على الناس فقال ايها الناس اياكم وتعلم هذه النجوم الا ما يهتدى به في ظلمات
البر والبحر انما المنجم كالكاهن والكاهن في النار والله لئن بلغني انك تنظر في النجوم وتعمل بها لاخلدنك في الحبس
ما بقيت ولاحرمنك العطاء ما كان لي سلطان ثم سار في الساعة التي نهاه عنها فاتى اهل النهروان فقتلهم
ثم قال لو سرنا في الساعة التي امرنا بها فظفرنا وظهرنا لقال قائل سار في الساعة التي امر بها المنجم ما كان لمحمد صلعم
منجم ولا لنا من بعده فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان ايها الناس توكلوا على الله وثقوا به
فانه يكفي ما سواه للحارث والخطيب وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا علي لا تجالس اصحاب
النجوم خرايطي في مساوي الاخلاق والديلمي ومنها علم الرمل والفال ولو من المصحف فانه من قبيل الازلام

مطلب علم الرمل والطلسمات والشعبذة والطامات

المنصوص في القرآن من الحرام وعن معاوية بن الحكم مرفوعا كان نبي من الانبياء يخط فمن وافق خطه فذاك
احمد ومسلم وابو داود ومنها علم النسب والتوغل في الصرف والنحو وغيرهما فعن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا تعلموا
من انسابكم ما تصلون به ارحامكم ثم انتهوا البيهقي وعن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا علم النسب علم لا ينفع
وجهالة لا تضر ابن عبد البر وعن ابن عباس مرفوعا كذب النسابون قال الله تعالى وقرونا بين ذلك
كثيرا ابن سعد وابن عساكر وفي رواية الديلمي عن عطاء عن ابن عباس وابي هريرة رضي الله عنهم ان النبي
عليه السلام دخل المسجد فراى جمعا من الناس على رجل فقال ما هذا فقالوا يا رسول الله رجل علامة
قال وما العلامة قالوا اعلم الناس بانساب العرب وبالشعر وبما اختلف فيه العرب فقال النبي صلى الله عليه
وسلم هذا علم لا ينفع وجهالة لا تضر الديلمي ومنها علم الطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات
كالكيمياء والسيمياء واما مباح فالعلم بالاشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الاخبار وما يجري مجريها
ومنها الشطحيات وهي الدعاوي الطويلة العريضة من العشق مع الله والوصال المغني عن الاعمال
الظاهرة حتى ينتهي قوم الى دعوى الاتحاد من العينية وغيرهما من انواع الالحاد ودعوى ارتفاع
الحجب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه
بحسين ابن منصور الحلاج الذي صلب لاجل اطلاقه كلمات من هذا الجنس ويتشبهون بقوله انا الحق
وبما حكي عن ابي يزيد البسطامي انه قال سبحاني سبحاني وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام
حتى ترك جماعة من الفلاحة فلاحتهم واظهروا مثل هذه الدعوى فان هذا الكلام يستلذه الطبع
اذ فيه البطالة من الاعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والاحوال فلا تعجز الاغبياء عن دعوى
ذلك لانفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ومهما انكر عليهم لم يعجزوا ان يقولوا هذا انكار
مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس وهذا الحديث لا يلوح الا من الباطن بمكاشفة

الاستطراد الكتابة ...

نور الحق فهذا ومثله قد استطار في بعض شرره وعظم في العوام ضرره حتى من نطق بشيء فقتله
افضل في دين الله من احياء عشرة واما ابو يزيد البسطامي فلا يصح ما حكي وان سمع ذلك منه
فلعله كان يحكيه عن الله تعالى في كلام يردده في نفسه كما لو سمع وهو يقول انني انا الله لا اله الا انا
فاعبدني فانه ما كان ينبغي ان يفهم ذلك منه الا على سبيل الحكاية كذا في الاحياء ومنها قراءة
كتاب الفصوص المخالف للنصوص فانه مشتمل على انواع من كفريات صريحة التي ليس لها تاويلات
صحيحة وقد قال ابن المقري في الارشاد ان طائفة ابن عربي شر من اليهود والنصارى وقد عملت
في هذه المسئلة رسالة مستقلة وقد حرم بعض فقهائنا مطالعة تفسير الكشاف لما فيه من الاعتزال
وكذا ينبغي الاحتراز عن مواضع في البيضاوي وتبع فيه مذاهب الحكماء والله سبحانه اعلم بحقائق الاشياء
ومنها الطامات وهو صرف الفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى امور باطنة لا يسبق فيها الى الافهام كداب
الباطنية في التاويلات فهذا ايضا حرام وضرره عظيم فان الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها
الى الافهام بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع من غير ضرورة تدعو اليه من دليل العقل اقتضى
ذلك بطلان الثقة بالالفاظ وبسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله عليه السلام فان ما سبق
منه الى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له يتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله وجوه شتى وهذا ايضا من
البدع الشايعة العظيمة الضرر وانما قصد اصحابها الاغراب لان النفوس مائلة الى الغريب ومستلذة
له وبهذا الطريق توصل الباطنية الى هدم جميع الشريعة بتاويل ظاهرها وتنزيلها على رأيهم كما
حكى الغزالي من مذاهبهم في كتاب المستظهري المصنف في الرد على الباطنية ومثال تاويل اهل الطامات

المستظهري

قول بعضهم في تاويل قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى اشارة الى قلبه وقال هو المراد بفرعون و
هو الطاغي على كل انسان وفي قوله وان الق عصاك وكلما توكا وما تعتمد مما سوى الله فينبغي
ان يلقيه وفي قوله صلعم تسحروا فان في السحور بركة اراد به الاستغفار في الاسحار وامثال ذلك
حتى يحرفوا القرآن من اوله الى اخره عن ظاهره وعن تفسيرها المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء
وبعض هذه التاويلات يعلم بطلانه قطعا كتنزيل فرعون على القلب فان فرعون شخص محسوس
تواتر الينا النقل بوجوده ودعوة موسى له كابي جهل وابي لهب وغيرهما من الكفار وليس من جنس
الشياطين والملائكة وما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التاويل الى الفاظها وكذلك حمل السحور على
الاستغفار فانه كان صلعم يتناول الطعام في السحر كما في البخاري ويقول تسحروا وهلموا الى الغداء
المبارك كما رواه ابو داود وغيره فهذه امور تدرك بالتواتر والحس وبعضها يعلم بغالب الظن
وذلك في امور لا يتعلق بها الاحساس فكل ذلك حرام وضلالة وافساد للدين على الخلق ولم
ينقل شيء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصري مع اكبابه على دعوة الخلق ووعظهم

فلا يظهر بقوله عم في الترمذي ومن فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار معنى الا هذا
الفظ وهو ان يكون غرضه ورأيه تقرير امر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن عليه من غير ان يشهد
لتنزيله عليه دلالة لفظية او نقلية او لغوية ولا ينبغي ان يفهم من الحديث انه يجب ان لا يفسر
القرآن بالاستنباط والفكر فان من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والتابعين خمسة معان وستة
وسبعة واكثر ويعلم قطعا ان جميعها غير مسموعة عن النبي عم فانها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع
فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر ولذا قال عم لابن عباس اللهم فقهه في الدين و
علمه التأويل كما رواه احمد وابن حبان والحاكم قال صحيح الاسناد ومن يستجيز من اهل الطامات
مثل هذه التأويلات مع علمه بانه غير مرادة بالالفاظ ويزعم انه يقصد بها دعوة الخلق الى الحق
يضاهي من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو في نفسه حق ولكنه لم ينطق به الشرع
كمن يضع في كل مسئلة يرى انه حق حديثا عن رسول الله عليه السلام فذلك ظلم وضلال
ودخول في الوعيد المفهوم من قوله عم في الصحيحين من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار بل
الشر في تأويلات هذه الالفاظ هم اعظم لانها مبطلة للفهم بالالفاظ وقاطعة طريق الاستفادة
والفهم من القرآن بالكلية واما اذا اورد الالفاظ والتأكيد على مراد الشرع من المعاني بحسب العبارة
ثم زاد على ظواهرها مما يستفاد من سرايرها بطريق الارشاد فذلك نور على نور وجمع بين بطون
وظهور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وفي الفروع عطف على في الاصول اي ومن
حق العلم التمسك في علم الفروع المسمى بالفقه بالمجمع عليه اي ان وجد اجماعا او بالمتفق عليه
بين الاربعة مثل تعجيل صلوة المغرب ثم الاحوط كمسح كل رأس فان الخروج عن الخلاف
مستحب بالاجماع وكذا اذا كان حنفيا ومس ذكره او لمس امرأة يتوضأ واذا كان شافعيا
لا يتوضأ من القلتين واذا رعف او افتصد ونحوه يتوضأ وهذا الطريق السني للصوفية
حتى قيل انها مذهب خامس في القواعد الفقهية ثم الاوثق اي اذا لم يمكن الاحوط للتعارض
فيتمسك بالاقوى دليلا كالاسفار في الفجر دون الغبش ووضع اليمين على اليسار دون
الارسال وقد بينا الادلة بيننا وبين المخالفين في شرح النقاية واللباب والهداية في
البداية والنهاية ثم قول من ظن اي اذا لم يكن مجتهدا او لم يظهر له دليل لا بد له ان يتقلد
فيتمسك بقول من غلب على ظنه انه افضل وفي مقام الفقه اكمل لان نفعه يتعدى الى قوله ويخضع
لرأيه ويتبادر الى امتثال امره ونهيه وزاد ابن حجر في نسخة اصله قوله والعمل به اكثر وهذه
زيادة فائقة ان صحت لها منفعة عائدة ثم قال وكل من ابي حنيفة ومالك والشافعي امتاز
باقليم لا يعرف فيه غير اتباعه او يكون فيه اتباعه اكثر كاقليم الحجاز واليمن ومصر والشام وحلب

الغبش بفتحتين البقية من الليل وقيل ظلمة آخر الليل

مطلب الائمة الاربعة

وعراق العرب والعجم بالنسبة الى الشافعي وكالمغرب على سعته بالنسبة الى مالك وكالروم والهند وما وراء
النهر بالنسبة لابي ح رحهم انتهى ولا يخفى ان المغرب مختص بالامام مالك واما ما ذكره من اقليم الحجاز
وما بعده فمخلوط بالشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية فان الحنابلة موجود وفي النجد ونواحيه وكذا
في البصرة والبغداد والحصار ونواحيها واما شمس علم ابو حنيفة فقد اشرق على الشرق وغلب على فرق اكثر
الفرق فان كثرة الاروام وغلبة الهنود والاعجام ربما يكون اضعافا مضاعفة على اتباع مالك والشافعي
واظن ان الحنيفة يكون ثلثي اهل الاسلام كما يكون المؤمنون ثلثي اهل الجنة في دار المقام ثم الكثرة اصل
معتبر عند العلماء الاعلام كما يشير اليه ما روي عليكم بالسواد الاعظم والله اعلم كابي حنيفة عندنا

مطلب مناقب ابي حنيفة رحمه الله تعالى عليه

معشر الحنفية وكغيره من الائمة الاربعة عند غيرنا فقد علم كل اناس مشربهم وتبع كل طائفة مذهبهم هو رد
اي من طرق لكنها كلها واهية ابو حنيفة سراج امتي حديث موضوع كما قال الصغاني وغيره بل قال السيوطي
وما يورد في ذكر ابي ح من الاحاديث فباطل لا اصل له نعم اخرج الشيخان عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لو كان العلم عند الثريا لتناوله رجال من ابناء فارس قال السيوطي هذا اصل صحيح يعتمد عليه
في البشارة بابي حنيفة وفي الفضيلة التامة لم قلت مع زيادة كونه من التابعين اتفاقا على اختلاف فيه
هل روى عن الصحابة ام لا كما بينته في شرح مسند الامام وقد ورد خير القرون قرني ثم الذين يلونهم
ثم الذين يلونهم ومما يصلح للاستدلال على عظم شان ابي ح ما روي عنه عليه السلام انه قال ترفع زينة الدنيا
سنة خمسين ومائة ومن ثم قال شمس الائمة الكردري ان هذا الحديث محمول على ابي ح لانه مات تلك
السنة كذا ذكره ابن حجر المكي في الخيرات الحسان في مناقب ابي حنيفة النعمان وقد ثبت ان اباه ثابتا
ذهب به الى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته وسمع بصيغة المجهول
او المعلوم في المنام انه عليه السلام قال بعدما قيل اين اطلبك يا رسول الله انا عند علم ابي حنيفة وفي شرح
ابن حجر وسمع في المنام البادي تعالى يقول انا عند علم ابي ح اي بالحفظ والقبول وانزال البركة فيه وفي
الآخذين به وسلم المخالفون كمالك والشافعي وغيرهما سبقه في الفقه اي غلبته في هذا الفن اصولا وفروعا
فقد قال الشافعي قيل لمالك هل رأيت ابا ح قال نعم رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية ان يجعلها ذهبا
لقام بحجته وهذا من كمال انصاف مالك مع علو مقام هنالك وغاية مبالغة في بلاغة الامام وبيان
المرام في جميع المقام وقال الشافعي الخلق كلهم عيال ابي ح في الفقه وفي رواية عنه من اراد ان يتبحر
في الفقه فهو عيال على ابي ح في الفقه وقال ايضا من اراد ان يعرف الفقه فليلزم ابا ح واصحابه ذكره
ابن حجر وذكر ايضا ان الشافعي لما دخل بغداد وزار قبره وصلى عنده ركعتين فلم يرفع يديه في التكبير
وفي رواية ان الركعتين كانت الصبح وانه لم يقنت فقيل له في ذلك فقال ليس ادبنا مع هذا الامام
ان يظهر خلافه بحضرته والفضل ما شهدت به الاضداد وقال النضر بن اسمعيل كان الناس نياما

حتى ايقظهم ابو حنيفة ودخل على امير المؤمنين المنصور وعنده عيسى بن موسى العابد الزاهد فقال
للمنصور هذا عالم الدنيا فقال المنصور عمن اخذت العلم عن اصحاب عمر وعن اصحاب علي وعن اصحاب
ابن مسعود لقد استوثقت وكان يقول اذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس
والعين وعن الصحابة اخذنا ببعض اقوالهم ولم نخرج عنها او عن التابعين فزاحمناهم هم رجال ونحن رجال
وذكر الامام الاسفرايني باسناده الى علي بن مديني وهو من استاذه البخاري وهو الذي طعن في حديث
القلتين سمعت عبد الرزاق يقول قال معمر ما اعرف احدا بعد الحسن اي البصري يتكلم في الفقه احسن معرفة
من ابي ح ومجمل الكلام في مرام هذا المقام ان تقليد الافضل افضل باتفاق علماء الاعلام وقيل بل يتعين
وهو ضعيف لعموم قوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقوله عم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم
اهتديتم وكذا قيل من تبع عالما لقي الله سالما ثم تقليد الاقدم في الاستنباط اولى واتم فالامام الاعظم
والهمام الاقدم هو ابو ح فانه افضل زمانا واكمل شانا فانه من التابعين دون سائر المجتهدين ثم انه
اقدم برهانا واتم تبيانا التقدم واختصاصه بتدوين الفقه اصلا وفرعا فانه صنف المسائل واجاب عنها
واوضح الاسباب والعلل منها وبنى ما يتفرع عليها فهو الذي اخذ الناس عنه المآخذ وعضوا عليها بالنواجذ وغيره انما التقط ما من اقلامه سقط ومع هذا ينبغي ان لا يعتقد من ان اصحابنا مصيبون
قطعا وان مخالفيهم مخطئون جزما فان المجتهد يخطئ ويصيب والحق عند الله واحد على ما ذكر في
المصفى وشرح البزدوي ولا يمكن للمجتهد من اصابة الحق قطعا بل على غلبة الظن اذ اسئلنا عن مذهبنا
ومذهب مخالفنا في الفروع يجب بان مذهبنا صواب يحتمل الخطأ ومذهب مخالفنا خطأ يحتمل الصواب
على ما في جواهر الفقه وغيره وهذا لا ينافي قولنا الاجماع ان مذهب الاربعة حق لاتفاقهم على ماخذهم من
الكتاب والسنة واما قول بعضهم يجب ان يجيب بما قدمنا فليس في محله ان لم يظهر دليل وجوبه نعم ينبغي
ان يقول كذا بناء على غلبة ظننا وفي الاصول نقول نحن على الحق ومخالفنا على الباطل كالمعتزلة وامثالهم
من اهل البدعة لمنابذتهم ظواهر الكتاب والسنة وكان يقوم كل الليل بعد ان كان يحيي نصفه فاشار
اليه انسان وهو يمشي فقال هذا هو الذي يحيي الليل كله فلم يزل بعده يقوم الليل كله وقال انا استحيي
من ان اوصف بعبادة لست فيّ يعني احترازا من دخوله في قوله تعالى يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا
وقال بعضهم ما رأيت اصبر على الطواف والصلوة والفتيا بمكة من ابي ح انما كان كل الليل والنهار في
طلب الاخرة كذا ذكره ابن حجر وقال عروة مناقبه انه صلى الفجر بوضوء العشاء اربعين سنة فقيل له ما الذي
قواك على هذا فقال دعوت الله باسمائه على حروف المعجم وهي مجموعة في كل من الايتين محمد رسول الله الى اخر
سورة الفتح ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم الاية في سورة آل عمران وانه كان
يختم في رمضانه ستين ختمة ختمة بالليل وختمة بالنهار وسمع هاتفا اي في المنام كما قاله ابن حجر او بين النوم

مطلب

مطلب

واليقظة

واليقظة كالالهام في الكعبة اي بعد ان يختم القرآن في الركعتين ان يا ابا حنيفة اخلصت خدمتي
واحسنت معرفتي فقد غفرت لك ولمن تبعك الى قيام الساعة ذكر في آخر خزانة المفتين انه حكى ان
ابا حنيفة لما حج حجة الوداع دخل الكعبة وقام بين العمودين على رجله اليمنى حتى قرأ نصف القرآن
وركع وسجد ثم قام على رجله اليسرى ووضع قدمه اليمنى على ظهر رجله اليسرى حتى ختم القرآن
فلما سلم بكى وناجى وقال الهي ما عبدك هذا العبد الضعيف حق عبادتك لكن عرفك
حق معرفتك فهب نقصان عبادته بكمال معرفتك فهتف هاتف من جانب البيت قد عرفت واخلصت
المعرفة وخدمت واحسنت الخدمة وقد غفرنا لك ولمن تبعك وكان على مذهبك الى قيام الساعة
انتهى ولا يخفى ان الصلوة على قدم واحدة مكروهة فلعل فعله هذا قبل بلوغه لم هذه المسئلة
او الكراهة مختصة بالفريضة فان امر النوافل مبني على التوسعة وهذا اشكال آخر حيث قال الامام
والمشهور على السنة سائر الاعلام ما عرفناك حق معرفتك والجواب انه اراد نفي حق المعرفة قدر ما اوجب
الله عليه بحسب الوسعة والطاقة وانهم ارادوا نهاية المعرفة وغاية العلم المعبر عنها بالاحاطة في
قوله تعالى ولا يحيطون به علما وقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا ولا يحيطون بشيء من علمه
الا بما شاء واما العبادة حق العبادة المعبر عنها بالتقوى حق تقاته المفسر بان يطاع ولا يعصى
ويذكر ولا ينسى فكل احد عاجز عن ذلك كما اخبر الله به عنه بقوله كلا لما يقض ما امره فالانسان محل
النسيان والمخلوق في مقام النقصان والله المستعان وتلميذه كان من المشايخ مثل ابراهيم بن ادهم وفضيل
بن عياض وداود الطائي وابن المبارك والليث بن سعد ومالك على ما ذكره ابن حجر وغيرهم لكن
لا يخفى ان تلمذ مالك لابي ح غير ظاهر نعم قد يكون كل منهما اخذ عن صاحبه والله اعلم بحقيقة منصبهما
واما مشايخه فقد ذكر الكردري ان ابا حنيفة ادرك الامام محمد بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم وسمي
محمد الباقر لتبقره في العلوم وتبحره وكذا ادرك ولده الامام جعفر الصادق وكذا زيد بن اسلم مولى امير
المؤمنين عمر بن الخطاب وكذا شعبة الراوي شيخ الامام مالك وكذا شعبة بن الحجاج الذي يقال له امير
المؤمنين في الحديث ومنهم الامام الاوزاعي امام اهل الشام وكان من جلالته ان مالكا والثوري احدهما
يقود حماره والاخر يسوقه ومنهم عطاء بن ابي رباح المكي كان جعد الشعر اسود افطس اشل اعور
ثم عمي بعد ذلك قال ابو حنيفة ما رأيت افقه من حماد ولا اجمع من عطاء ومنهم ابو بكر بن عاصم بن
ابي النجود بفتح النون وضم الجيم الامام في القراءة تابعي جليل القدر ومنهم عامر بن شراحيل الشعبي قال
ادركت خمسمائة من اصحاب النبي عم وكان يعجبه هذا البيت شعر ليست الاحلام في حين الرضى
انما الاحلام عند الغضب قلت وهو مقتبس من قوله عم الصبر عند الصدمة الاولى وفي الحلية بلغ عدد
مشايخ امامنا اربعة الاف واما اصحابه فلا يعد ولا يحصى بلا خلاف وقد نظم بعضهم هذا

عرفناك

مطلب تلامذ ابي ح

مطلب مشايخه وادراكه

اصحاب ابي حنيفة

المبني تحسينا للمبني ۰ غدا مذهب النعمان خير المذاهب ۰ كالقمر الوضاح خير الكواكب ۰ تفقه في خير القرون
مع التقى ۰ فشرعه لا شك خير المشارب ۰ ثلثة الاف والف شيوخ ۰ واصحابه مثل النجوم الثواقب ۰ وتحمل
لتقلد القضاء بان يكون قاضي قضاة جميع الدنيا وكون التولية مفاتيح خزائن بيت المال شرقا وغربا
وعجما وعربا ما تحمل اي من الضرب والحبس والشتم ايثار العذاب الدنيا على عذاب العقبى من كمال التقوى
وعن الامام الاحمداني ذكر اباح فقال كان زاهدا وقد ضرب على القضاء احدى وعشرين سوطا
فابى وعن سهل بن مزاحم بذلت بحذافيرها وضرب عليها بالسياط فلم يقبلها من قليلها وكثيرها
وما خالط الظلمة اي باختياره وما قبل منهم شيئا لكمال اقتداره فعن النضر بن محمد الرقي قال قدمت
بغداد وانا اريد الكوفة فقال قل لابي حماد قوتي في الشهود دهماه من سويق وقد حبسه
عني فعجله الي وكان في ذلك اليوم حبسه المنصور للقضاء ببغداد وروي ان المنصور كان
يريد ان يقرب الامام فيقول الامام لا لانك ان قربتني فتنتني وان ابعدتني اخزيتني وليس
عندك ما ارجوك له وليس عندي ما اخافك عليه وانا غني بمن اغناك فلن اغشاك فمن حرى
ومثله ذكر عن الامام محمد بن الحسن انه قال لعيسى بن موسى والي الكوفة وزاد في اخره مما انشاد
قائلا كسرة خبز وجب ماء وقود ثوب مع السلامة خير من العيش في نعيم يكون من بعده ندامة ثم
ما ذكرنا من افعال المنصور بالامام فعل يزيد بن هبيرة والي الكوفة به مثله ايضا في زمان المروانية
كما رواه العسكري وغيره عن يحيى بن اكثم عن ابي داود وقال اراد ابن هبيرة ان يولي الامام
قضاء الكوفة فابى فحلف ابن هبيرة ان لم يقبله يضربه بالسياط على راسه ويحبسه فحلف الامام على انه لا
يلي منه قيل له انه حلف على ان يضربك قال ضربه في الدنيا اهون من معالجة مقامع الحديد في العقبى والله
لا افعل ولو قتلني فقيل له انه حلف ان لا يخليك وانه يريد بناء قصر فتولى له عد اللبن فقال لو سألني
ان اعد له ابواب المسجد ما فعلت فذكر للامير فقال ابلغ قدره ان يعارضني في اليمين فدعاه فشافهه
وحلف ان لم يقبل يضرب على راسه عشرين سوطا فقال اذكر مقامك بين يدي الله تعالى فانه اذل من
مقامي هذا ولا تهددني فاني اقول لا اله الا الله محمد رسول الله والله يسئل عني حيث لا يقبل منك الجواب
الا بالحق فاوى الى الجلاد ان امسك ومات في الحبس وقد انتفخ وجهه وراسه من الضرب وعن ابن
المبارك ان الرجال في الاثم سواء حتى يقع في البلوى فقد ضرب ابو حنيفة على راسه في الحبس
حتى يدخل في الحكم فصبر على الذل والضرب في الحبس طلبا للسلامة في دينه وعن ابي عبد الله بن
حفص الكبير البخاري ان الفتنة لما ظهرت بخراسان دعا ابن هبيرة العلماء كابن ابي ليلى وابن شبرمة
وداود بن هند وولى كل واحد منهم شيئا من عمله وعرض على ابي حنيفة ان يكون له الخاتم في يده لا ينفذ
كتابا من تحت امره فابى فحلف الامير انه ان لم يلي يضربه في كل جمعة سبعة اسواط فقال الفقهاء

ذكر ضرب ابي ح اسواطا للقضاء في منع الصحيح

لابي حنيفة

لابي ح انا اخوانك ننا شدك الله ان تهلك نفسك وكلنا نكره عمله ولكن لم نجد بدا منه فقال
لو ارادني ان اعد ابواب مسجد واسط لم اعد له فكيف وهو يريد مني ان يكتب في دم رجل
واختم له والله لا ادخل في ذلك فقال ابن ابي ليلا دعوه فانه مصيب فحبسه الشرط جمعتين وضربه
اربعة عشر سوطا ثم اجتمع مع الامير فقال الا ناصح لهذا ان يستمهلني فاستمهله وقال اشاور اخواني
فخلاه فهرب الى مكة في سنة مائة وثلثين الى ان صارت الخلافة للعباسية اقام بها فقدم الكوفة في
زمن المنصور فعظمه فامر له بجائزة عشرة الاف درهم وجارية ولم يقبلهما وروي انه يتمثل كثيرا
عطاء ذي العرش خير من عطائكم ۰ وسيبه واسع يرجى وينتظر ۰ انتم يكدر ما تعطون منكم ۰ والله
يعطي فلا من ولا كدر ۰ وروي انه لما ارسل اليه ابو جعفر المنصور بعشرة الاف على يد الحسن بن
قحطبة ولم يمكنه ردها اوصى ابنه حماد انه اذا مات ودفن يردها الحسن ففعل فقال رحمة الله
على ابيك لقد كان شحيحا على دينه وما اشتغل بالدعوة اي بدعوة الناس على مذهبه الا بالاشارة
السنوية في المنام اليه ليدعوهم الى مذهبه بعد ما قصد الانزواء اي الاستخفاء عن الانام وحكاية
رؤيا الامام مشهورة بانه نبش قبره عليه السلام ويؤلف العظام الكرام يوضع بعضها في موضع مناسب
للمقام فعبر ابن سيرين من اجلاء التابعين المنام ان صاحبها رجل يحيي به سنن الاسلام مما اميتت
فيما بين الانام والاظهر ان يقال مما تفرقت بين الصحابة الكرام والتابعين العظام فجمعها الامام
ورتبها اصولا وفروعا يلتئم بها الاحكام على وجه الاحكام وما استظل بحائط المديون حتى اتاه
متقاضيا اي طالبا لقضاء دينه فعن يزيد بن هارون انه رأيته يوما بفناء دار غريم له قد قام
في الشمس فانكرت فقال لي على مالكم مال اخاف ان اجلس في ظله ومثله عن يحيى بن زائدة الانه
قال احلفته بالله العلي العظيم عن مانع الاستظلال فقال اخاف ان يكون قرضا جر منفعة قال وما
اراه على الناس لكن على العالم ان ياخذ بعلمه اكثر مما يدعو اليه والمفتي انه ينبغي له ان يعمل بالتقوى
لا بظاهر الفتوى كما يشير اليه قوله عليه السلام استفت قلبك وان افتاك المفتون وقد اغرب
شمس الائمة حيث رد هذا في كتاب الصرف وقال انه من التكلف لا من التزاهد انتهى وهذا جرئة عظيمة
منه وجريمة جسيمة عنه ومما يدل عليه ما ذكر في صفة الصالحين ان امرأة قالت للامام احمد ان شموع
الطاهر يقبل من محلنا ونغزل في ضوئه ونحن على السطوح طاقة او طاقتين فهل يحل لنا ثمن ذلك
الغزل فقال الامام احمد من انت فقالت اخت بشر الحافي قال ما زال هذا الورع الصافي يخرج من آل
بشر فعلم بهذا ان دقائق الورع مما لا غاية لها ولا نهاية فلا يقاس الملوك بالحدادين وتصدق
بجميع مال اتى به وكيله لما خلط به ثمن ثوب معيب بيع مخفيا كان حفص بن عبد الرحمن شريك الامام
فبعثه الى تجارة وقال له في ثوب كذا عيب فباع بلا بيان وجاء بثمنه فتصدق بحصته وفاسخ

الشركة قال المرغيناني وكان الربح خمسة وثلثين الف درهم وعن ابي المليح انه قال الامام ما
ملكت اكثر من اربعة الاف درهم منذ اكثر من اربعين سنة الا اخرجتها وانما امسكها لقول علي
رض اربعة الاف درهم وما دونها نفقة ولولا اخاف ان الجي الي هؤلاء ما تركت واحدا منها وانما
لم يرد غشه لمشتريه ويسوده كانه لجهل بالمشتري مع الياس بعلمه اولانه رأي في هذه نفع المشتري
في الدنيا ورأي نفع نفسه في العقبي وعن ابن المبارك ان الامام اراد شراء امة فمكث عشرين سنة
يستخير ويشاور من اي شيء يشتري وترك لحم الغنم اي اكله لما فقد شاة في الكوفة وعن ابن
المبارك وقعت اغنام من الغارة في ضال عن مدة حياة الغنم فقيل سبع سنين وهذه المذكورات
بعض مناقبه ونبذة يسيرة من جملة مراتبه منضمة الي مناقب اي كثير بعسر تعدادها اي ان قصد
استيفاء ايرادها وقد لخصت مناقبه العلية ومناقب اصحابه الجلية وذيلته بطبقات اتباعه
الحنيفية وسميته بالاثمار الجنية في الاسماء الحنفية واختصرت على مناقب الامام هنا تبعا
للمص اختصارا وقد اوردت مناقب الائمة الاربعة في المرقاة شرح المشكاة اشكارا الباب
الاول في الورد اصل الورد قصد الماء ومنه قوله تعالى ولما ورد ماء مدين والماء المرتبع المعدا
المهيأ للورود ومنه قوله تعالى بئس الورد المورود ويسمى كل قول وفعل يأتيه الانسان في وقت
معين على وجه مبين وردا وهو المراد هنا واما حديث صاحب الورد ملعون وتارك الورد ملعون
فباطل لا اصل له ورد اي في قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليعرفون فيعبدون
او ليعبدون فيعرفون كما هو شان المراد في مسالك المعبر عنهما بالمجذوب والسالك وهي اي العبادة
المأخوذة من يعبدون انواع اصناف ستة منها الصلوة وهي افضلها واكملها واشملها واجملها
فورد ما فرض الله على خلقه بعد التوحيد اي الايمان بالله ورسوله احب اليه من الصلوة كذا في الاحياء
مع زيادة ولو كان شيء اليه منها لتعبد به الملائكة فمنهم راكع ومنهم ساجد وقائم وقاعد وقال العراقي
لم اجده هكذا وآخر الحديث عند الطبراني من حديث جابر وعند الحاكم من حديث ابن عمر من ترك
الصلوة متعمدا فقد كفر البزار من حديث ابي الدرداء باسناد فيه مقال ذكره العراقي وفي رواية
الطبراني عن ابن عباس من ترك صلوة لقي الله عليه غضبان وفي الاوسط عن انس من ترك
الصلوة متعمدا فقد كفر جهارا اي قارب الكفر لان المعاصي بريده يقال دخل البلد لمن قاربها فالمراد به
المعنى المجازي المعبر عنه بالمشارف خلافا للخوارج ومن تبعهم في حمله على الكفر الحقيقي ومعناه كفر نعمة الله
بترك عبادة مولاه او عمل عمل الكفرة او كفر في عاقبة امره او محمول على مستحل تاركه او منكر فرضيته وفي رواية
احمد والبيهقي من حديث ام ايمن رجال اسناده ثقات من ترك صلوة متعمدا فقد برئ من ذمة محمد عم
وفي رواية الطبراني في الاوسط من حديث انس اول ما يحاسب العبد الصلوة فان فسدت فسد سائر عمله

الباب الاول

مطلب كون العبادة ستة انواعها الصلوة

وهو

والاحاديث في هذا الباب كثيرة شهيرة وناهيك في شرفها قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء
والمنكر وحقها اي حق الصلوة اللايق بها ان يطهر الظاهر اي ظاهره عن الحدث اي النجس الحكمي من
الاصغر والاكبر بدنا والنجس بالفتح عين النجاسة وبالكسر المتنجس والجوارح عن الجريمة اي اعضاءه
عن اكتساب الاعمال الظاهرة الذميمة والقلب عن الذميمة اي الاخلاق الباطنة الذميمة والاحوال
الواردة الوهمية والسر اي الذي لا يطلع عليه الا الله عما سواه اي يطهر عن حضور غير الله وخطوره لا
لاستهلاك غيره في جنب تجلي نوره والغاية القصوى في عمل السر ان ينكشف له جلال الله وعظمته ولن تحل معرفة
الله بالحقيقة في السر ما لم يرتحل ما سوى الله تعالى عنه ولذا قال عز وجل قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
لانهما لا يجتمعان في قلب واحد وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه واما عمل القلب فالغاية القصوى
عمارته في العقائد السنية وبالشمائل البهية المرضية ولم يتصف بها ما لم ينظف من نقائضها من العقائد
الفاسدة والاخلاق الخاسرة فتطهيرها احد الشطرين وهو الشطر الاول الذي هو شرط في الثاني فهذا الطهور
شطر الايمان بهذا المعنى وكذا تطهير الجوارح عن المناهي والملاهي احد الشطرين وعمارتها بالطاعات الشطر
الثاني وخلاصته ان التخلية نصف الايمان والتصفية نصف الايقان وبهما كمال العرفان فهذه مقامات
الايمان ولكل مقام طبقة من طبقات الايقان ولن ينال العبد الطبقة العالية الا ان يجاوز الطبقة السافلة
فلا يصل الي طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة ما لم يفرغ عن طهارة القلب عن المناهي
وعمارتها بالطاعات كما هي وكلما عز المطلوب وشرف المحبوب صعب مسلكه ولا اماني اهل الاية هذا اي المذكور
من الطهارة في كل رتبة نصفها اي نصف حق عمل الصلوة والاخر اي نصف الثاني هو العمارة بالطاعة ظاهرا
وباطنا اي عمارة الجوارح والجوانح بالعبادة المختلفة من القيام والقراءة والركوع والسجود وسائر الاحوال
المؤتلفة فورد الطهور بفتح الطاء وضمها بمعنى المصدر او ما يطهر به نصف الايمان احمد ومسلم والترمذي
عن ابي مالك الاشعري في حديث طويل والمعنى ان الايمان يطهر نجاسة الباطن والطهور يطهر نجاسة
الظاهر كذا في النهاية وقيل المراد بالايمان الصلوة كما قال تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلوتكم الي
البيت المقدس فيراد بنصفها شطرها وبعضها فانه اقوى شرطها والاصل اي في التطهير الذي عليه مدار العمل
طهارة الباطن لان محل النظر الالهي حيث ورد ان الله تعالى لا ينظر الي صوركم واعمالكم ولكن ينظر الي قلوبكم واحوالكم
فهم اي الصحابة كانوا يبالغون فيها اي في طهارة الباطن ويتساهلون في الظاهر اي يتسامحون في طهارة
الظاهر حتى كانوا اي احيانا يمشون حفاة اي بلا نعل في الطين اي طين اللازقة ويجلسون عليها ويصلون
معها اي من غير غسل ويأكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون
عن عرق الابل والخيل والجلال مع كثرة تمرغها في النجاسات وقد انتهت النوبة الآن الي طائفة يتعمق احدهم في
الطهارة الظاهرة ويستقصي في مجاريها ويستوعب جميع اوقاتها في الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر

مطلب الصحابة يمشون في الطين بلا نعل
ويصلون معهم بلا غسل

مطلب الصلاة بالنعل

وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وخيل العقل ان الطهارة المطلوبة المشرفة هي هذا
فقط وجهالة سيرة الاولين واستغراقهم جميع الهم والفكر في طهير القلب وتساهلهم في امر الظاهر حتى ان
عمر رضي الله عنه مع علو منصبه توضأ من ماء في جرة نصرانية وحتى انهم ما كانوا يغسلون اليد من الدسومات
والاطعمة بل كانوا يمسحون اصابعهم باخمص اقدامهم وعدوا الاشنان وغيره من المغسولات والصابون
من البدع المحدثة وكانوا يقتصرون على الحجارة في الاستنجاء وصلى عليه السلام متنعلا اي لابسا نعليه مرة
فاخبره اي اخبره جبرائيل عليه السلام بتلطخهما اي باصابة نجاسة فنزع اي نعله بعمل قليل واتم صلوته من غير استئناف
ولا اعادة والحديث رواه ابو داود والحاكم وصححه من حديث ابي سعيد الخدري وقد قال بعضهم الصلوة
في النعلين افضل اذ لما نزع رسول الله صلعم نعليه باخبار جبرئيل عليه السلم له ان عليها نجاسة وخلع الناس نعالهم
قال صلعم لم خلعتم نعالكم قالوا رايناك خلعت فخلعنا نعالنا وقال النخعي في الذين يخلعون نعالهم وددت
لو ان محتاجا جاء فاخذها منكرا لخلع النعال واما اهل زماننا فلو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر او مشى على
الارض حافيا او صلى على الارض على بواري المسجد من غير سجادة مفروشة او مشى على الفرش من غير غلاف للقدم
من ادم ونحوه او توضأ من آنية عجوز او رجل متقشف اقاموا عليه النكير ولقبوه بالقذر واستنكفوا
عن مواكلته واستكبروا وامتنعوا عن مخالطته فسموا البذاذة التي هي من الايمان قذارة والرعونة نظافة فانظر كيف صار
المنكر معروفا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس تحقيقه وعلمه ولم يبق الا رسمه ووسمه ولكن للظاهر
اي لطهارته ايضا اثر في تنوير الباطن للارتباط الذي بينهما ولهذا قيل الظاهر عنوان الباطن حتى ان
المجامع في حال المباشرة لو ادام النظر الى بياض مشرق او حمرة قانية الى ان غلب تلك الصورة على نفسه مال لون
المولود الى ذلك اللون الذي غلب عليه وان الجنين اذا تحرك في البطن وكانت الام مشاهدة في تلك الحال
لصورة حسنة من الجمال بحيث غلبت تلك الصورة على نفسها في عالم الخيال من باطنها نزعت صورة ذلك
الجنين الى تلك الصورة الحسنة التي شاهدتها الام فعلم من هاتين الصورتين ان للظاهر اثرا في عالم الباطن كما
يصادف اي يوجد اثره عند اسباغ الوضوء بفتح الواو وضمها اكماله واتمامه وسائر الاعمال الظاهرة اي
حيث تتاثر بها الاحوال الباطنة لارتباط الملك اي عالم الظاهر السفلي بالملكوت وهو عالم الباطن العلوي
فاذا كان شخص يرشح كل يوم بالماء جانب جداره البراني فلا شك انه اثر ذلك الترشيح يظهر في الجدار مع
الجانب الطرف الداخلاني وقد ورد مثل الصلوة كمثل نهر جار عذب على باب احدكم يغتسل منه كل يوم خمس
مرات فما يبقى ذلك من الدنس احمد ومسلم وجابر في الاحياء اذ الانسان اذا اسبغ الوضوء واستشعر
نظافة وجد في قلبه صفاء وانشراحا لم يكن يصادفه قبله وذلك النظافة العلاقة التي بين عالم الملك
وعالم الملكوت فان ظاهر الانسان من عالم الملك والشهادة وقلبه من عالم الملكوت والغيب فان كنت
لا تصادف بعد الطهارة واسباغ الوضوء شيئا من الصفاء الذي فاعلم ان الجد الذي استولى على قلبك

مطلب المداومة على الوضوء
مطلب كيفية الاستنجاء

من كدورات شهوات الدنيا وشواغلها اقتضى كلال القلب فصار لا يحس بالالطائف والاشياء اللطيفة ولم
يبق في قوته الا ادراك الامور الجلية فاشتغل بجلاء قلبك وتصفية باطنك فان ذلك اوجب من كل شيء
انت فيه ومن ثم اي ومن اجل ارتباط الملك والملكوت تصدق رؤيا من اعتاد الصدق اي وتكذب
رؤيا من اعتاد الكذب كما قيل كل اناء يترشح بما فيه فدوام تفريع على قوله لكن للظاهر اثر في تنوير
الباطن والمعنى اذا كان كذلك فيواظب على الوضوء فقد ورد دم على الطهارة يوسع عليك الرزق
بل ينبغي ان يجدد الطهارة بكل صلوة كما كان يفعله عم نظرا الى ظاهر الاية وانما صلى عام الفتح خمس
صلوات بوضوء واحد فسأله عمر عن ذلك فقال عمدا صنعت يا عمر يعني ليعرف انه ليس بفرض فتقدير الاية
اذا قمتم الى الصلوة وانتم محدثون لان الاصل في الامر ان يكون للوجوب والحديث من توضأ على طهر
كتب الله له عشر حسنات ابو داود والترمذي وابن ماجه من حديث عمر باسناد ضعيف والضعيف
يعمل به في فضائل الاعمال اتفاقا مع ان كثرة الطرق ترقي الضعيف حسنا وفاقا واما حديث الوضوء على
الوضوء نور على نور فقال العراقي لم يجد له اصلا وتعقبه العسقلاني بقوله رواه رزين في مسنده
وهو حديث ضعيف وينبغي ان يستنجي للمقعدة بثلثة احجار فان انقى بها كفى والا استعمل رابعة فان
انقى بها والا استعمل خامسة لان الانقاء والايتار مستحب قال عم من استجمر فليوتر متفق عليه من حديث
ابي هريرة فيأخذ الحجر بيساره ويضعها على مقدم المقعد قبل موضع النجاسة ويمرها بالمسح والادارة
الى المؤخرة ويأخذ الثانية ويضعها على المؤخرة وكذا يمرها الى المقدمة ويأخذ الثالثة فيديرها
حول المسربة ادارة ثم يأخذ حجرا كبيرا بيمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار
فيمسح ثلثا في ثلثة مواضع او في ثلثة احجار او من ثلث مواضع من جدار جاز له ذلك الى ان لا يرى الرطوبة
في محل المسح ثم ينتقل من ذلك الموضع الى موضع اخر ويستنجي بالماء بان يفيضه على محل النجو ويدلك
باليسرى حتى لا يبقى اثر يدركه الكف بحس اللمس ويترك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن فان ذلك منبع
الوسواس لاكثر الناس ويقول عند دخوله في المطهر بسم الله اللهم اني اعوذ بك من الخبث والخبائث واذا
فرغ غفرانك الحمد لله الذي اذهب عني ما يؤذيني وابقى ما ينفعني واذا فرغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبي
من النفاق وحصن فرجي من الفواحش والجمع بين الماء والحجر مستحب فقد روي انه لما نزل قوله تعالى فيه
رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء ما هذه الطهارة التي
اثنى بها الله عليكم فقالوا كنا نجمع بين الماء والحجر كذا في الاحياء وقال العراقي الحديث في اهل قباء وجمعهم بين
الماء والحجر البزار من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث
ابي ايوب وجابر وانس رضي الله عنهم في الاستنجاء بالماء ليس فيه ذكر الحجر فقول النووي تبعا لابن الصلاح
ان الجمع بين الماء والحجر في اهل قباء لا يعرف مردود بما تقدم والله اعلم ويتوضأ بعد نحو الغيبة وهو

وهو بكسر الغين ان تذكر اخاك بما يكرهه في الغيبة وقد ورد الغيبة تنقض الوضوء والصلوة رواه الديلمي
في مسند الفردوس عن ابن عمرو وفي معناها الكذب والنميمة وساير احوال الذميمة بل قال بعض المشايخ اذا
ذكرت الدنيا اذ توضأ واذا ذكرت الاخرة اذ تسل يعني ان الدنيا هي الشهوة الصغرى والعقبى هي الكبرى
وكل منهما مانع عن كمال التوجه الى الحضرة المولى وفي شرح السنة والمستحب ان يتوضأ لكل صلوة وان كان
على طهارة لانه ربما جرى على لسانه كذب او غيبة او سيئة بها اثم قلبه فينبغي ان يجدد الوضوء لدفع ذلك
كما يتوضأ لرفع الحدث الظاهر فان كان لا يمكنه الوضوء تيمم وينوي بتيممه رفع الاثم وفي العوارف
تجديد الوضوء مستحب بشرط ان يصلي بالوضوء ما تيسر والا فمكروه والقهقهة وان لم تكن في الصلوة
اي في اثنائها اذا كانت في الصلوة فينقض الوضوء عندنا ولكل صلوة قبل الوقت عملا بقوله تعالى وسارعوا
الى مغفرة من ربكم الاية في شرح السنة من المستحب اذا فرغ من البول والغائط ان يتيمم الى ان يبلغ الماء
فيتوضأ هكذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الاحياء في بيان طول الامل وقصره انه عم كان يتيمم
مع القدرة على الماء قبل مضي الساعة وقال لعلي لا ابلغه وحكي عن ذي النون المصري انه كان على شط النيل
يتيمم ويقول اخاف ان يدركني الموت قبل ان اتوضأ وفي شرح السنة وعلى الاناء للاتية اي استعدادا
للصلوة الاتية ويكره ان يستخلصها لنفسه كذا في السراجية ويطيل الغرة والتحجيل عند غسل وجهه
ويديه ومرفقيه والغرة بياض الجبهة والحجل بياض قوائم الفرس ونحوه وقد ورد ان هذه الامة يحشرون
يوم القيمة غرا محجلين من اثر الوضوء وقال عم من استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل متفق عليه
من حديث ابي هريرة وورد تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء اخرجه مسلم من حديثه ويستقبل
القبلة اي حين الوضوء فورد اشرف المجالس ما استقبل به القبلة الطبراني عن ابن عباس ولا يستعين
بغيره اي مهما امكن فانه افضل لان الاجر على قدر المشقة ولا يتكلم بكلام الدنيا والبشر اي في اثناء الوضوء
في الفتوى الحجة التكلم في اثناء الوضوء مكروه وفي الاغتسال اشد كراهة وفي العوارف ادب الصوفية
في الوضوء حضور القلب في غسل الاعضاء سمعت بعض الصالحين يقول اذا حضر القلب في الوضوء يحضر
في الصلوة واذا دخل السهو فيه دخلت الوسوسة في الصلوة وينوي رفع الحدث او استباحة الصلوة او القربة
الى الله سبحانه ويبدأ بتسمية الله تعالى فقد ورد لا وضوء لمن لم يسم الله الترمذي وابن ماجه من حديث سعيد
بن زيد احد العشرة والتسمية في اول الوضوء سنة عند الجمهور وواجب عند احمد بهذا الحديث ويستحب
ان يقدم على البسملة التعوذ فيقول اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون
بسم الله العظيم والحمد لله على دين الاسلام ويغسل يديه ثلثا قبل ان يدخلهما الاناء لقوله عم اذا
استيقظ احدكم من منامه فلا يغمس يده في الاناء حتى يغسلها ثلثا فان احدكم لا يدري اين باتت يده
مالك والشافعي واحمد والشيخان والاربعة عن ابي هريرة ويقول عند غسل يديه اللهم اني اسئلك اليمن

مطلب ادعية الوضوء

والبركة

والبركة واعوذ بك من الشؤم والهلكة ثم يتمضمض ثلاثا ويبالغ فيه الا ان يكون صائما كما ورد به الخبر
ويقول اللهم اعني على ذكرك وشكرك وتلاوة كتابك ويستنشق ثلاثا ويقول اللهم ارحني رايحة الجنة
مع الابرار واعذني من روايح اهل النار ويستنثر ثلثا فقد ورد اذا استيقظ احدكم من منامه فتوضأ
فليستنثر ثلث مرات فان الشيطان يبيت على خياشيمه عن ابي هريرة ويغسل وجهه ثلثا ويقول اللهم بيض
وجهي بنورك يوم تبيض وجوه اوليائك ولا تسود وجهي يوم تسود وجوه اعدائك ويفتح العينين
اي عند غسل الوجه وهو غير معروف بل قيل انه في حفظ العين اخرجه مرفوعا عنه ثم يدخل الاصبع في محاجر
العينين وموضع الرمص ومجمع الكحل وينقيهما وقد روي انه عم فعل ذلك اخرجه احمد من حديث ابي امامة
كان يتعاهد الماقين وروى الدارقطني من حديث ابي هريرة باسناد ضعيف اشربوا الماء اعينكم اي
اي حواليهما المقدم والمؤخر ويغسل اللحية اللطيفة والكثيفة ويخللها فقد خللوا لحاكم وقصوا اظفاركم
فان الشيطان ان يجري بين اللحم والظفر الخطيب في الجامع وابن عساكر عن جابر ويجب ايصال الماء
الى منابت اللحية الخفيفة يعني ما يعقل من الوجه واما الكثيفة فلا بل يفيض الماء على ظاهر ما استرسل من
اللحية وقد ورد كان عم اذا توضأ خلل لحيته بالماء رواه احمد والحاكم عن عائشة وفي رواية ابي داود
والحاكم عن انس كان اذا توضأ اخذ كفا من ماء فادخله تحت حنكه فخلل به لحيته وقال هكذا امرني
ربي وفي رواية ابن ماجه عن ابن عمر كان اذا توضأ عرك عارضيه بعض العرك ثم شبك لحيته باصابعه من تحتها
والعرك المعالجة والدلك ثم يغسل يديه مع مرفقيه ثلثا ثلثا فقد ورد انه عم اذا توضأ ادار الماء على مرفقيه الدار
قطني عن جابر وفي رواية ابن ماجه عن ابي رافع كان اذا توضأ حرك خاتمه ويبدأ باليمنى ويقول اللهم
اعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا اللهم اعوذ بك ان تعطيني كتابي بشمالي او من وراء ظهري
ثم يستوعب رأسه بالمسح ويقول اللهم غشني برحمتك وانزل علي من بركاتك واظلني تحت ظل عرشك
يوم لا ظل الا ظلك ثم يمسح اذنيه ظاهرهما وباطنهما ويقول اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه اللهم اسمعني منادي الجنة ثم يمسح الرقبة لقوله عليه السلام مسح الرقبة امان من الغل
يوم القيمة ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر وهو ضعيف ويقول اللهم فك
من النار واعوذ بك من السلاسل والاغلال ثم يغسل رجله اليمنى ثلثا ويقول اللهم ثبت قدمي
على الصراط المستقيم يوم تزل فيه الاقدام ويقول عند غسل اليسرى اللهم اني اعوذ بك ان تزل
قدمي على الصراط يوم تزل اقدام المنافقين في النار ويخلل باليد اليسرى من اصابع رجله اليمنى
ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من الرجل اليسرى وقد ورد خللوا اصابع يديك
ورجليك احمد عن ابن عباس وفي رواية الدارقطني عن ابي هريرة خللوا بين اصابعكم لا يخللها الله يوم القيمة
بالنار وفي رواية الطبراني عن وائلة من لم يخلل اصابعه بالماء خللها الله بالنار يوم القيمة ويسمي في كل

مطلب قراءة الادعية في كل عضو من الوضوء

دكر

مطلب دعاء بعد الوضوء

عضو وقيل ويسلم ايضا علي النبي عم ويتشهد فيه اي في كل عضو ففي المحيط من الادب ان يقول عند كل عضو
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله وبعد الفراغ اي ويتشهد بعد الفراغ ايضا
فقد ورد من توضأ فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الي السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا
شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت عملت سوءا و
ظلمت نفسي استغفرك واتوب اليك فاغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم اللهم اجعلني
من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني عبدا شكورا و
اجعلني اذكرك ذكرا كثيرا واسبحك بكرة واصيلا يقال ان من قال هذا بعد الوضوء ختم علي وضوئه و
رفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الي يوم القيمة كذا في الاحياء وقال
العراقي في حديث من توضأ فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الي السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا
شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء ابو داود من
حديث عقبة بن عامر وهو عند مسلم دونه قوله ثم رفع ويشرب بقية الماء اي فضل الوضوء كله او بعضه
قائما مستقبلا لما في اثر علي موقوفا ومرفوعا ففي شمس الائمة الحلواني ان شاء قائما وان شاء قاعدا وذكر
شيخ الاسلام المعروف بخواهر زاده انه يشرب ذلك قائما الا في موضعين احدهما هذا والثاني عند زمزم
والله اعلم ويسرح اللحية بعده اي بعد فراغ الوضوء الترمذي في الشمائل من حديث انس كان يكثر
دهن راسه وتسريح لحيته وفي الشمائل ايضا باسناد حسن انه عليه السلام كان يترجل غبا وعند ابي داود
والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن مغفل النهي عن الترجل الا غبا باسناد صحيح وفي الخبر المشهور
انه عم كان لا يفارق المشط والمدري والمرآة في سفر ولا حضر وهي سنة العرب كذا في الاحياء والمدري
القرن يقال ادري راسه حكه قال العراقي حديث كان لا يفارق المشط والمدري في سفر ولا حضر ابو
طاهر في كتاب صفة التصوف من حديث ابي سعيد كان لا يفارق مصلاه سواكه ومشطه رواه الطبراني
في الاوسط من حديث عايشة واسنادهما ضعيف قال الحجة وفي حديث غريب انه كان يسرح لحيته
في اليوم مرتين قال العراقي تقدم حديث انس كان يكثر تسريح لحيته وللخطيب في الجامع من حديث
الحكم مرسلا كان يسرح لحيته بالمشط وكان عليه السلام كث اللحية قد ملأت ما بين منكبيه ذكره
في الاحياء وقال العراقي حديث كان كث اللحية الترمذي في الشمائل من حديث هند بن هالة وابو نعيم
في دلائل النبوة من حديث علي واصله عند الترمذي قال وفي حديث اغرب منه قالت عايشة رضها
اجتمع قوم الي باب رسول الله صلي الله عليه وسلم فخرج اليهم فرايته يطلع في الجب يسوي من راسه
ولحيته قلت او تفعل ذلك يا رسول الله فقال نعم ان الله يحب من عبده ان يتجمل لاخوانه اذا خرج
اليهم قال العراقي ابن عدي وقال حديث منكر هذا وقيل لداود الطائي لم لا تسرح لحيتك

مطلب تسريح اللحية

مطلب المشط والمدري والمرآة

قال اني اذا لفارغ وفي قوت القلوب قال السري في اللحية شرك ان كان يسرحها لاجل الناس وتركها
لاجل اظهار الزهد رياء وقالوا دخل علي داخل فمسحت لحيتي لاجله لظننت اني مشرك وتحقيقه ما قاله
الحجة ان الجاهل ربما يظن ان فعله ذلك من حب التزيين للانام قياسا علي اخلاق غيره في الدين وتشبيها
للملائكة بالحدادين وهيهات فقد كان رسول الله صلي الله عليه وسلم مامورا بالدعوة وكان من وظائفه ان
يسعي في تعظيم امر نفسه في قلوبهم كيلا تزدري نفوسهم وفي تحسين صورته في اعينهم كيلا يستصغروه
اعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك في تنفيرهم وهذا القصد واجب علي كل عالم تصدي
لدعوة الخلق الي الحق وهو ان يراعي من ظاهره ما لا يوجب نفرة الناس عنه والاعتماد في مثل هذه الامور
علي نيته فانها في انفسها اعمال تكتسب الاوصاف من المقصود فالتزين علي هذا القصد محبوب وترك
الشعث باللحية اظهارا للزهد وقلة المبالات بالنفس محذور وتركه شغلا بما هو اهم منه محبوب و
مشكور وهذه احوال باطنة بين العبد وبين الله تعالي والناقد بصير والتلبيس غير رائج عليه بحال وكم
من جاهل يتعاطي هذه الامور التفاتا الي الخلق وهو يلبس علي نفسه وغيره ويزعم ان قصده الخير فيري جماعة
من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون ان قصدهم ارغام المبتدعة والمجادلين والتقرب الي رب العالمين
وهذا امر سينكشف يوم تبلي السرائر ويوم يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور فعند ذلك تتميز السبيكة
الخالصة من البهرج فنعوذ بالله من الخزي الاكبر وفي اللحية عشر خصال مكروهة سياتي في محلها هذا وفي
الشرعة وفي الحديث تسريح اللحية عقيب الوضوء ينفي الفقر وروي من امتشط قائما ركبه الدين ويجتنب
اناء ينفر ريحه الملائكة كالصفر ومثل النحاس تبع الاحياء لكن ورد انه عم كان يحب ان يتوضأ من مخضب
من صفر ابن سعد عن زينب بنت جحش لكن يؤيدهما ما في شرح السنة من الادب ان يتوضأ من اناء الخزف
ولا يتوضأ من النحاس والصفر لان الوضوء به منهي عنه وفيه ايضا روي عن ابن عمر انه كره الوضوء في اناء صفر
وفي الشرعة لا يتوضأ من اناء نحاس وصفر لان الملائكة ينفرون من ريحهما والماء المشمس اي ويجتنبه
لانه يورث البرص اذا كان في اناء نحو الصفر في بلاد حارة وهذا في الاواني دون الحياض وفي الاحياء ويكره
ان يتوضأ في اناء صفر وان يتوضأ بالماء المشمس وذلك من جهة الطب وروي عن ابن عمر وابي هريرة كراهية
الاناء الصفر وقال بعضهم اخرجت لشعبة ماء في اناء صفر فابي ان يتوضأ منه ولعل كراهية ذلك عن ابن
عمر انتهي وفي الشرعة لا يتوضأ بالماء المسخن بالشمس وفي درر البحور ولا يكره الوضوء بالماء المسخن بالنجاسات
وبه قال ابو حنيفة خلافا لمالك واحمد ولا بماء زمزم وبه قال ابو حنيفة ومالك خلافا لاحمد ولا باس
بالمشمس في البرك والبحار والانهار اتفاقا والاسراف في الماء قال تعالي لا تسرفوا انه لا يحب المسرفين وتوضأ
ثلثا وقال من زاد فقد ظلم واساء ابو داود والنسائي واللفظ له وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب
عن جده وقال عليه السلام سيكون قوم من هذه الامة يعتدون في الدعاء والطهور ابو داود وابن حبان

الشعث بتغيير ... مصدر الاشعث وهو تغيير الناس

وفاقا ل

والحاكم من حديث عبد الله بن مغفل وفي شرح السنة انه عم مر على رجل من اصحابه وكان يسرف في صب الماء
فقال عم لا تسرف فقال او في الوضوء سرف قال عم نعم ولو كنت على صفة نهر جار وكذا في الجامع الصغير
في الفقه وقيل يوزن يوم القيمة ماء الوضوء فان اسرف يعاقب والضرب بينهما اي يجتنب لطم وجهه
بالماء وتنشف على وجه اي قوله فهو يوزن اي في ميزان العمل دون وجه اي قوله فهو ورو في الاحياء
كره قوم التنشيف وقالوا الوضوء يوزن قاله سعيد بن المسيب والزهري لكن روي انه عم مسح وجهه
بطرف ثوبه وروت عايشة انه كانت له منشفة ولكن طعن هذه الرواية عن عايشة قال العراقي حديث معاذ
الترمذي وقال غريب واسناده ضعيف وحديث عايشة الترمذي وقال ليس بالقايم قال ولا يصح عن
النبي عم في هذا الباب شيء ونفض اليد اي يجتنبه في الاحياء ويكره ان ينفض اليد فرش الماء ويواظب
على السواك اي استعماله او على الاستياك من الاراك اي خصوصا فهو الافضل الوارد والا فيجوز من
كل شجرة مرة لانه اطيب لنكهة الفم واقطع للبلغم وانقى للصدر واقوى للمعدة واهضم للطعام
وليكن رطبا مستويا قليل العقد طول الشبر وغلظ الخنصر ولا يقوم الاصبع مقام الخشبة عند
وجودها طولا وعرضا وان اقتصر فرضا في كل صلوة حتى عند بعض ائمتنا ايضا ووضوء اي في كل
وضوء اتفاقا ومحله ابتداء الوضوء كما في الاحياء او حال المضمضة لانه من تكميلها وقد قال عم صلوة
على اثر سواك افضل من خمس وسبعين صلوة بغير سواك ابو نعيم في كتاب السواك من حديث ابن
عمر باسناد ضعيف ورواه احمد والحاكم وصححه البيهقي وضعفه من حديث عايشة بلفظ من سبعين
صلوة وقال لولا ان اشق امتي لامرتهم بالسواك عند كل صلوة متفق عليه من حديث ابي هريرة وفي رواية
لامرتهم بالسواك مع كل وضوء مالك والشافعي والبيهقي عن ابي هريرة وفي رواية احمد والنسائي
عن ابي هريرة لامرتهم عند كل صلوة بوضوء ومع كل وضوء بسواك وفي رواية الحاكم عن ابن عباس
لفرضت عليهم السواك مع الوضوء وفي عند كل صلوة كما فرضت عليهم الوضوء وفي رواية الحاكم و
البيهقي عن ابي هريرة لفرضت عليهم السواك مع الوضوء وفي رواية ابي يعلى عن مكحول مرسلا لامرتهم
بالسواك والطيب عند كل صلوة وفي رواية ابي نعيم عن ابن عمر لامرتهم ان يستاكوا بالاسحار وعند
قراءة القران فقد ورد ان افواهكم طرق القران فليطيبوها بالسواك ابو نعيم في الحلية من حديث
علي ورواه ابن ماجه موقوفا على علي وكلاهما ضعيف ورواه البزار مرفوعا واسناده جيد وتغير
الفم بنحو الجوع والنوم ونحوهما من طول الصمت او اكل ما يكره رايحته ورد مالي اراكم تدخلون علي
قلحا استاكوا والقلح صفرة الاسنان البزار والبيهقي من حديث العباس بن عبد المطلب واحمد والبغوي
من حديث تمام ابن العباس والبيهقي من حديث ابن عباس وهو مضطرب وكان عم يستاك في الليل مرارا
مسلم من حديث ابن عباس وهذا يدل على ان السواك سنة مستقلة غير مختص بالوضوء والصلوة

مطلب المواضع على السواك وفضيلته ووقته

وعن ابن عباس

وعن ابن عباس انه قال لم يزل صلى الله عليه وسلم يامر بالسواك حتى ظننا انه سينزل عليه فيه شيء رواه احمد
وقال عليه السلام عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم ومرضاة للرب البخاري تعليقا نحوه من حديث عايشة
والنسائي وابن خزيمة موصولا وقال على السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلغم وكان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يروحون السواك على اذانهم الخطيب في كتاب اسماء من روى عن مالك وعن ابي داود والترمذي
وصححه ان زيد بن خالد كان يشهد الصلوة وسواكه على اذنه موضع القلم من اذن الكاتب وفي شرح السنة
اما كيفية استياكه فينبغي ان يبدا بالجانب الايمن من الاعلى والاسفل ثم بالايسر كذلك ثم فيما بين ذلك
ويستاك بالوتر لان الله تعالى وتر يحب الوتر وفي الخلاصة كيفيته ان يعالج السواك بعرض الاسنان الظهر
وبطولها لغيرها ويبدا للعليا من جانب الايمن وللسفلى من جانبيها ثم العليا من جانب الايسر ثم للسفلى
من جانبيها وفي شرح واما النهي فيه فينبغي ان لا يستاك قايما ولا بين القوم ولا في الحمام ويكره عند
الشافعي بالعشي للصايم وتحقيقه في غير هذا المقام وفي الخانية عن ابن المبارك لو ان اهل بلدة تركوا السواك
لقاتلهم كما يقاتل المرتدين ويحافظ الجماعة عطف على يداوم الوضوء ويراعي الصلوة بالجماعة فورد صلوة
الجماعة تفضل صلوة الفرد بسبع وعشرين درجة متفق عليه من حديث ابن عمر في اقرب المساجد الا
ان يكون في الابعد نية صالحة للعدول عن الاقرب لحضور عالم او شيخ او واعظ او كونه اقدم المبنا او عمر
بالمال الحلال ونحوه من الاحوال ففي الكبرى مسجد ان يصلي الرجل في اقدمها بناء لانه زيادة حرمة فان
كانا سواء ففي اقربهما وان استويا فهو مخير لانه ترجيح لاحدهما فان كان هو فقيها يذهب الى الذي قومه
اقل ليكثر الناس بذهابه الى ذلك المسجد وان لم يكن يذهب حيث احب وجل في محلته مسجد يحضر
المسجد الجامع لكثرة جماعته فالصلوة في مسجد قل اهل مسجده او كثر لان لمسجده حقا عليه وليس
لذلك المسجد حق عليه فلم يقع الترجيح بكثرة الجماعة وفي الخانية اذا كان امام الحي مرابيا ياكل الربوا له
ان يتحول الى مسجد اخر ساعيا اليه اي حال كونه ماشيا الى المسجد مطلقا لقوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله
بنية اجابة النداء اي نداء الداعي الى عبادة الله رب السماء قال الله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا
الى الله الاية فقد قال ابن عباس من سمع النداء ثم لم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به وقال ابو هريرة لان
يملاء اذن ابن ادم رصاصا مذابا خير له من ان يسمع النداء ثم لا يجيب خاشعا اي خاضعا متواضعا
متذللا في طريقه غير متخطي رقبة اي عند دخوله ولا مار بين يدي مصل فقد ورد لو يعلم المار
بين يدي المصلي ماذا عليه لكان ان يقف اربعين خيرا من ان يمر بين يديه مالك واصحاب الكتب
الستة عن ابي جهيم وفي ابن ابي شيبة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن مرسلا لو يعلم المار بين يدي المصلي
لاحب ان ينكسر فخذه ولا يمر بين يديه والمختار ان المرور حرام اذا وقع بين المصلي وسجوده سواء
كان له سترة او لا ويحمل عليه ما روي الطحاوي من ان المرور بين يدي المصلي بحضرة الكعبة يجوز او يحمل

كيفية الاستياك

النهي في السواك

مطلب الجماعة واي مساجد افضل

علي انه في وقت غير قائم الفرض واعتدال صفه بان يصلي في طريق الطائفين فان الاحرام لم يجي واما ان كان
بينهما فرجه فلا بأس لما روى ابو داود والنسائي وابن ماجه عن المطلب ابن ابي وداعه قال رأيت النبي
صلى الله عليه وسلم يصلي في المسجد الحرام مما يلي باب بني سهم والناس يطوفون بينه وبين القبلة تمامه
يديه ليس بينه وبينهما سترة ولا يتكلم فيه بكلام الدنيا فورد في الاثر وفي الخبر الحديث في المسجد
ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش كذا في الاحياء وقال العراقي لم اقف له على اصل قلت ومعناه صحيح
اذ قد ورد يأتي في آخر الزمان ناس من امتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا لا تجالسوهم
فليس لله بهم حاجة ابن حبان من حديث ابن مسعود والحاكم من حديث انس وقد قال صحيح
الاسناد ويؤدي في الصف الاول فان الافضل بازاء الامام اي بحذائه ثم الافضل الاقرب
المنظرين للجانبين ثم عن يمينه وقد يكون يساره افضل اذا كان الناس هنا اقل ويتم الاركان
اي لصلوا الاركان ويراعي السنن اي الرواتب او السنن الصلوة والاداب المستحبات في جميع الابواب
لورد في الكل اي في كل ما ذكر فضائل اما في الصف الاول فقوله عم لو يعلمون ما في الصف الاول
ما كانت الا قرعة مسلم وابن ماجه عن ابي هريرة واما في اتمام الاركان فقوله اتموا الركوع والسجود
فوالذي نفسي بيده اني لاراكم من وراء ظهري اذا ركعتم واذا سجدتم احمد والشيخان عن انس واما
في السنن فقوله عم من صلى في اليوم والليلة اثني عشر ركعة تطوعا بنى الله له بيتا في الجنة
مسلم وغيره عن ام حبيبة وتفصيله ما روي في الحديث ركعتان قبل الفجر وبعد الظهر والمغرب والعشاء
واربع قبل الظهر ولا يدافع الامامة فان من امارة القيمة فقد ورد عن سلامة بنت الحر قالت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان من اشراط الساعة ان يتدافع اهل المسجد لا يجدون اماما يصلي بهم احمد وابو داود
وابن ماجه وروى عبد الرزاق في مسنده حديثا بلفظ ثلثة في الامام يخسف بهم وعلم انا اعلم
من نفسه القيام بشروطها والقوم لا يكرهونه وليس وراءه احد هو افضل منه وكان مدافعتهم
اي مخالفة بعض الصحابة من ذوي التقوي لايثار الاولى اي بذلك المقام الاعلا او خوف السهو
اي في المبني او التشويش اي تشويش الخاطر في حضور المعني واحتياجه الي الخلاص في تطويل الصلوة
وتخفيفها لا استماد اذ لم يكن لهم عادة الامامة وكان مستحييا في تلك الامامة وهي اي الامامة افضل من
الاذان فهو عليه السلام وخلفائه اي اصحابه الكرام اختاروها اي من بينه الانام وما ورد
اي كما ورد البخاري في التاريخ والعقيلي في الضعفاء والطبراني في الاوسط عن ابن عباس باسناد
ضعيف انه عم قال له رجل يا رسول الله دلني على عمل ادخل به الجنة فقال كن مؤذنا قال
لم تستطع فكن اماما وفي رواية فقال لا استطيع فقال كن اماما فقال لا استطيع فقال صل بازاء
الامام فلعله محمول على ان القوم كانوا لا يرضونه اماما اذ الاذان اليه والامامة الي الجماعة وتقدمهم

مطلب أولوية [illegible] على الامام

لما ثم بعد ذلك توهم انه ربما يقدم عليها فورد فيه انه لا تجاوز الصلوة الراس اصل الحديث
هذا من ام قوما وهم له كارهون فان صلوته لا تجاوز ترقوته اي حلقه وراسه رواه الطبراني
عن جنادة وفي رواية العقيلي عن ابن عمر من ام قوما وفيهم من هو اقرأ منه بكتاب الله واعلم لم يزل
في سفال الي يوم القيمة ويراعي الاعمال الباطنة فانها اهم ونفعها اتم وهي ستة الحضور اي مع
الرب وهو استغراق القلب بما هو فيه اي ما الركن الذي شرع فيه والافراغ اي تفريغ القلب وتخليصه
عن غيره اي غير ما هو بصدده مما يوافقه او ينافيه وهو اي الافراغ انما يكون بصرف الهمة اي الاهتمام
اليه اي الي ذلك الركن الواجب عليه وهي اي الهمة تتبع القلب في صرفه الي ذكر الرب وهو اي صرف
الهمة بذكر منافعها اي فوائد الصلوة ومرافقها كقربته تعالى ورضاه اي بالمقام الاعلا والمجالسة اي
قربه بالمشاهدة التي هي المرتبة الاعلى على علائهم في الدنيا والفوز بالسعادة الابدية اي والسيادة
السرمدية والنظر الي وجهه الكريم الذي اعلى مراتب النعيم اجلا اي في العقبى وخسة الدنيا ومهانتها اي وبذكر
كثافتها وانقلاباتها فانها كثيرة الاسناد قليلة الغناء دنية الشركاء سريعة الفناء عديمة البقاء والفهم اي
الادراك لمعنى الكلام وهو امر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ والمبنى فاشتمال القلب
على العلم ببعض اللفظ هو الذي اريد بالتفهيم وهذا معنى قوله وهو اشتماله اي القلب بتوجيه الذهن الي الذكر
من الثناء والحمد والقراءة والتسبيح والدعاء ونحوها ومداومة الفكر اي في لفظ الذكر ومبناه وتفهم معناه
ورفع الخواطر اي المانعة عن فهم مقتضاه وهذا المصلي في اثناء صلوته ولم يكن حضر ذلك قبله ببالم وفكره
ومن هذا الوجه كانت الصلوة ناهية عن الفحشاء وناهية عن المنكر فانه تفهم تلك الامور تمنع عن الفحشاء
لا محالة فقد ورد من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا الطبراني وابن ابي حاتم في تفسيره
من حديث عمران بن حصين وابن جرير في تفسيره من حديث ابن مسعود ومن مرسل الحسن واحمد في
الزهد عن ابن مسعود مرفوعا والتعظيم اي عرفان المرتبة وعنوان المنزلة المرتبة على المحبة وهو
بذكر عظمته تعالى مع رفعة الجلالة وحقارة النفس اي مع رداءتها وكمالها في الرذالة والسفالة والجهالة
وهو امر وراء الحضور والفهم اذ الرجل يخاطب غيره بكلام هو حاضر القلب في مبناه ومتفهم بمعناه ولا يكون
معظما له فالتعظيم امر زائد عليهما والهيبة وهي خوف ينشأ عن التعظيم كما روي انه عم من رآه بداهة
هابه ومن خالطه احبه وهو اي الخوف المسمى بالهيبة بذكر نفاذ قدرته تعالى ونفوذ مشيته وحكمه وفهم مع
عدم المبالاة بجميع من في يد قبضته كما ورد خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالي وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالي
وتحقيقه انه من لا يخافه لا يسمى هائبا والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجري مجراه من الاسباب
الخسيسة لا يسمى مهابة بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة فالهيبة خوف مصدره من الاجلال والرجاء
اي الامل وهو اي الوثوق بذكر عموم رحمته اي شمول رفعته ورأفته وسبقها غضبه كما ورد سبقت رحمتي

مطلب [illegible]

على المعنى وهو اي اشتمال [illegible]

غضبي وفي لفظ غلبت وصدقت مواعيده اي عدم تخلف اخباره لعباده من وعده ووعيده لقوله
تعالى ان الله لا يخلف الميعاد ومن شك انه امر زائد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه اذ يخاف سطوته
ولكن لا يرجو عدته والعبد ينبغي ان يكون راجيا لصلوته ثواب الله كما انه يخاف بتقصيره عقاب الله
ومنه قوله تعالى يدعوننا رغبا ورهبا وادعوه خوفا وطمعا والحياء وهو انكسار النفس من الجلالة
وظهور التقصير وعند بعض الصوفية انه ناشي من مشاهدة شدة التنزيه وهو بذكر العجز والتقصير
عن شكره تعالى فان العجز عن درك الادراك ادراك كما قال الصديق رض ومنه قوله عم سبحانك لا احصي
ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وهو زائد على الجملة لانه مستلزم استشعار تقصير و
توهم ذنب او بتصور التعظيم والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب صغير
او كبير فان تعسر المراعاة بان لم يتيسر مراعاة اعمال الباطنة المذكورة وما يتعلق بها من ظهور
الحقايق يجتهد في قطع العلايق اي التعلقات ودفع العلايق المشغلات المتعلقة بالخلايق
ليتحصل حضور القلب مع الخالق فظاهرا بتسعة اشياء بضم العين اي في النوافل دون الفرايض
وانما كره في الفرايض دون النوافل مع ان التعميض لدفع الشواغل لان مبنى النوافل على الرغبة
والنشاط والرخصة ولذا جوز اداؤها قاعدا وراكبا من غير عذر فيها والاداء في بيت مظلم
قريب الجدار ومنه الخلاوى الصوفية الابرار حتى لا يتسع مسافة بصر النظار والاحتراز عن
البيت المنقش اي بانواع الزينة والكتابة والاية والفراش المصبوغ اي بالالوان والاشكال وكذا
لا يترك بين يديه ما يشغل حسه لديه وكان ابن عمر لا يترك في موضع الصلوة مصحفا ولا سيفا
الا نزعه ولا كتابا الا محاه ومسحه وقد قال عليه السلام لعثمان بن ابي شيبة اني نسيت ان امرك
تخمر القرنين الذين في البيت فانه لا ينبغي ان يكون في البيت شي يشغل الناس عن صلوتهم كذا في الاحياء
وتعقب العراقي بانه الحديث رواه ابو داود من حديث عثمان الحجبي وهو عثمان بن طلحة كما في مسند
احمد فقوله لعثمان بن ابي شيبة وهم وكونه حاقبا اي محبوس البول لحديث ابن ماجه من حديث ابي
امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يصلي الرجل وهو حاقن ولابي داود من حديث ابي هريرة لا
يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الاخر ان يصلي وهو حاقن ولابي داود والترمذي وحسنه من حديث
ثوبان وحاقبا بالموحدة ما محبوس الغائط والريح لحديث مسلم عن عائشة لا صلوة بحضرة
طعام وهو يدافعه الاخبثان واما حديث النهي عن صلوة الحاقب ففي الاحياء وقال العراقي لم اجد
بهذا اللفظ وحازقا ضيق الخف وفي معناه السروال وقد ورد النهي عن صلوة الحازق وعزاه رزين
الى الترمذي لكن قال العراقي لم اجده عنه والذي ذكره صاحب الغريب بحديث لا رأي لحازق وهو صاحب الخف
الضيق وجايعا لحديث اذا حضر العشاء والعشاء واقيمت الصلوة فابدؤا بالعشاء متفق عليه وفي معناه

قطع العلايق ظاهرا وباطنا في الصلوة

اذا كان

اذا كان عطشانا واخص منهما ان يكون شبعانا وغضوبا اي ممتلئ الغضب لحديث لا يدخل احدكم وهو مغضب
لا يصلين احدكم وهو غضبان كذا في الاحياء وقال العراقي لم اجده ونحوها اي كل فعل حظر للمصلي ان
يفعل بعد الصلوة ويفعل قبلها ان امكن وباطنا بخمسة اشياء بذكر الاخرة وبتصور مواقفها واحوالها
وشدايد اهوالها وتفاوت منازلها في امالها وموقف المناجاة اي مع قاضي الحاجات فورد المصلي بباب ربه
وخطر المقام اي بين يدي الملك العلام المذكور يوم الفزع يوم يقوم الناس لرب العالمين ودفع
الخواطر اي المشغلة للسرائر والضمائر وصرف النفس الى الفهم اي ودفعها عن خطرات الوهم ويبالغ فيه
اي في دفع العوايق عن عمل الباطن ومراعاته وكانوا اي السلف يبالغون اي في تحسين حالاته وترتيب
مقاماته حتى لو كان يشغلهم ذكر مال عن فكر حال يتصدقون به تكفيرا وان كان اي المال خطيرا اي عظيما كثيرا
فروي ان ابا طلحة الانصاري رضي الله عنه صلى في حائط له شجر فاعجبه دبسي طار في الشجرة يلتمس
مخرجا فاتبعه بصره ساعة ثم لم يدر كم صلى فذكر ذلك لرسول الله عم وما اصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله
هو صدقة فضعه حيث شئت رواه مالك عن عبد الله بن ابي بكر وعن رجل اخر انه صلى في حائط له والنخل
مطوقة بثمرها فنظر اليها فاعجبه فلم يدر كم صلى فذكر ذلك لعثمان رض وقال هو صدقة فاجعله في سبيل
الله فباعه عثمان بخمسين الفا وكانوا يفعلون ذلك قطعا لمواد الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلوة
بسببه فاذا اردت الخلاص من الافات فاقلع شجرة الشهوات فانها اذا تفرعت باغصانها انجذبت اليها
الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار فلا تطمعن ان تصفو لك لذة المناجاة في الصلوة مع تلك الشهوات
والاصل في مراتب العبادة عمل الباطن لانه النافع في مقام الزيادة السعادة فورد ان الصلوة لذكري
اي لاجل ذكركم اياي او لاجل ذكري اياكم ولذكر الله اكبر فاذكروني اذكركم او وقت ذكركم صلوتي وفكركم
صلوتي وفي الاحياء ظاهر الامر للوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلوته كيف يكون مقيما للصلوة
لذكره وقوله تعالى ولا تكن من الغافلين نهي وظاهره التحريم ولا تقربوا الصلوة وانتم سكارى اي من حب
الدنيا او حاوي في ذكر الموت او من كثرة الهموم في الامر المقسوم وقد ورد من جعل الهموم هما واحدا هم
الدين كفاه الله هم الدنيا والاخرة وقوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون تعليل النهي السكران وهو مطرد في
الغافل المستغرق الهم بالوسواس وافكار الدنيا واشغال الاخرة لا ينظر الله الى صلوة اي نظر قبول ورحمة
او نظر رعاية وعناية لا يحضر الرجل قلبه فيها مع بدنه اي عند عبادة ربه لم اجد له اصلا بهذا اللفظ قال
العراقي ان العبد ليصلي الصلوة وانما يكتب ما عقل منها وفي الاحياء ليس للعبد من صلوته الا ما عقل منها
قال العراقي لم اجده مرفوعا وروى محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلوة من رواية عثمان بن ابي دهرش مرسلا
لا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه ابو منصور الديلمي في مسند فردوس من حديث
ابي بن كعب ولابن المبارك في الزهد موقوفا على عمار لا يكتب للرجل من صلوته ما سها عنه والتحقيق فيه

بدل الناس هم

ان المصلي يناجي ربه متفق عليه والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة فمتى يكون في قوله اهدنا الصراط
المستقيم داعيا وسائلا اذا كان قلبه ساهيا وغافلا وورد كم من قائم حظه من صلوته التعب و
النصب وما اراد به الا الغافل كذا في الاحياء وقال العراقي رواه النسائي وابن ماجه من حديث ابي هريرة
رب قائم ليل ليس له من قيامه الا السهر ولاحمد رب قائم حظه من صلوته السهر واسناده حسن هذا
اي خذ هذا والامر هذا وانما يكون القول كالقراءة ونحو والفعل كالركوع والسجود عبادة لما في القول
والتعظيم في الفعل دون اللفظ اي غير تلفظ الانسان والحركة اي التحرك بالجوارح والاركان فقد
قال بعض اهل الشان في موضع هذا البيان ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا
قبلما سمع الجنيد هذا اعادة صلوة ثلثين سنة صلاها بلا حضور الجنان وفي الاحياء لو حلف
انسان وقال لاشكرن فلانا ولاثنين عليه ولاسألنه حاجة ثم جرت هذه الالفاظ الدالة على هذه المعاني على
لسانه في النوم لم يبر في يمينه ولو جرت على لسانه في ظلمة وذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا
يراه لا يصير بارا في يمينه اذ لا يكون كلامه نطقا معه ما لم يكن حاضرا في قلبه ولو كانت تجري هذه
الكلمات على لسانه وهو حاضر في بياض النهار الا انه غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من الافكار ولم يكن
له قصد توجيه الخطاب اليه عند نطقه لا يصير بارا في يمينه ولا شك في ان المقصود من القراءة
والاذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله تعالى وقلبه بحجاب الغفلة محجوب
فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة وما ابعد هذا عن
المقصود بالصلوة التي شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الرب ورسوخ عقد الايمان به
وهذا مما يؤذن من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب مع الرب فان قلت فعلى هذا الذي ذكرته
من جعل القول والفعل المعنى للتعظيم تبطل الصلوة دونه للحضور اي عند عدم حضور القلب
حيث جعلته شرطا في صحتها وهو خلاف الاجماع اي اتفاق الفقهاء لما سيأتي من مخالفة بعض
العلماء فالمراد اتفاق الجمهور فانهم لم يشترطوا حضور القلب في صحتها الا عند التكبيرة الاولى
المقرونة بالنية الاصلية قلت انه اي ادعاء الاجماع ممنوع والاتفاق مدفوع لبطلانها عند سفيان
اي الثوري في رواية اي مما نقل بشر بن الحارث فيما روى عنه ابو طالب المكي عن الثوري انه قال
من لم يخشع قلبه في صلوته فسدت صلوته قلت ويؤيده قوله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم
خاشعون وعن الحسن اي البصري انها اي الصلوة بلا حضور القلب توجب العقوبة قلت واي عقوبة
اقوى من العضل وقد قيل الحجاب اشد العذاب قال الله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وفي
الاحياء روي عن الحسن انه قال كل صلوة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع وفيه انه
الصلوة يشترط فيها النية لا بحضور المطولة واما استيعاب الحضور فغير مفهوم من كلام ومن كلام

بحزم فيمكن الجمع بين قوليهما المذكورين وبين قول الجمهور وعن معاذ بن جبل رضي قال من عرف من على يمينه وشماله متعمدا
وهو في الصلوة فلا صلوة له كذا له وروي ايضا مسندا كذا في الاحياء وسكت عنه العراقي وقال عم ان العبد اي م
ليصلي الصلوة لا يكتب له منها سدسها وعشرها وانما يكتب للعبد من صلوته ما عقل منها ابو داود والنسائي
وابن حبان من حديث عمار بن ياسر بنحوه وان كلا منا في المنفعة الاخروية هذا جواب اخر وبيانه ان الفقهاء
لا يتصرفون في الباطن ولا مطلع لهم على ما في القلوب ولا يتكلمون في طريق الاخرة بل يبنون ظاهر احكام الدنيا
على ظاهر اعمال الجوارح فظاهر الاعمال كاف لسقوط تعزير السلطان فاما انه هل ينفع في الاخرة فليس هذا من
حدود الفقه وعن عبد الواحد بن زيد رح وقوع الاجماع على عدم النفع اي النفع الكامل قال الحجة فجعله
اجماعا فما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء والمتورعين ومن علماء الاخرة اكثر من ان يحصى والحق الرجوع الى
ادلة الشرع والايات والاخبار والاثار ظاهرة في هذا الشرط وهذا معنى قوله وان اشتراط الشرع اياه
اي الحضور ظاهر غير ان مقام الفتوى في تكليف الظاهر على حسب قصور الخلق يقع للعلماء والسبب اي بتقيد
بقدره فلو اشترط اي الحضور للجواز اي لصحة الصلوة لوقعوا اي الجمهور في حرج اي عظيم يؤدي الى المحظور
لعجزهم عن كمال الحضور وادي اي ولا في اشتراطه الى تركها اساسا وهو المحذور وهو التحقيق اي في مقام
التدقيق فانه لا يمكن ان يشترط على الناس كلهم احضار القلب في جميع الصلوة فان ذلك يعجز عن كل
البشر الا الاقلين واذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له الا ان يشترط فيه ما يطلق عليه الاسم
ولو كان في لحظة واحدة واولى اللحظات به اول الصلوة فاقتصر على التكليف لذلك ومع ذلك نرجو
ان لا يكون حال الغافل في جميع صلوته مثل حال تارك الصلوة بالكلية فانه بالجملة اقدم على الفعل
ظاهرا فاحضر القلب لحظة فكيف لا والذي يصلي مع الحدث ناسيا فصلوته باطلة عند الله تعالى
ولكن له اجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ومع هذا الرجاء فيخشى ان يكون حال
الغافل اشد من حال التارك وكيف لا والذي يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل
المستحقر اشد حالا من الذي يعرض عن الخدمة ويتهاون بالحضرة فاذا تعارض اسباب الخوف
والرجاء صار الامر مخطرا في نفسه فاليك الخيرة بعده في ترك الاحتياط او التساهل ومع هذا فلا مطمع
لاحد في مخالفة الفقهاء فيما افتوا به من الصحة مع الغفلة فان ذلك من ضرورة الفتوى الثانية كما
من عموم البلوى هذا وقد روي من احب غير الله لا تصفو له صلوته عن الخواطر المذمومة فانه
من احب شيئا اكثر ذكره كما ورد في الخبر فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة فهذه فخذ
ما صفا ودع ما كدر ثم من امعن اشبع النظر واسبغ الفكر فيما ورد ان الصلوة تنهى عن الفحشاء
والمنكر وانما الصلوة تمسكن وتواضع وتضرع حيث جاء بصيغة الحصر رواه الترمذي والنسائي
من حديث ابن عباس باسناد مضطرب علم انها اي الصلوة هو الحضور اي بكمال الشعور والا

فصلوة الغافل لا تمنعه عن الفحشاء وقد انقسم الناس الى غافل يتم صلوته ولم يحضر قلبه في لحظة منها والى
من يتمها ولم يغب قلبه في لحظة عنها بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث لا يحس بما يجري بين يديه ومن
هنا لم يحس مسلم بن يسار اسطوانة في المسجد اجتمع الناس عليها وبعضهم حضر الجماعة مدة ولم يعرف قط
من على يمينه وشماله وكان وجيب قلب عمر يسمع من ميلين وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم
هذا مضى هذا او خذ هذا والاولياء انما كان شغلهم فيها اى في الصلوة مع حضورها ودوام نورها
لا سيما في السجود فانه اقرب مقام الى واجب الوجود وصاحب الكرم والجود على حسب الصفا اي على تفاوت
درجات ارباب الوفاء ومن هنا قال بعض الصلحاء يحشر الناس يوم القيمة على مثل هيأتهم في الصلوة من
الطمانينة والهدو ومن وجود النعيم واللذة ولقد صدق فانه يحشر كل على ما مات عليه ويموت
على ما عاش عليه وقد قيل كما تعيشون تموتون وكما تموتون تحشرون ثم اعلم ان كل ما يشغل عن
خشوعه في دينه فليتخلص منه باخراجه عن طينه ليقوم في مرتبة يقينه كما روي عنه عم لما لبس
الخميصة التي اتاه بها ابو الجهم وعليها علم وصلى فيها نزعها بعد صلوته وقال اذهبوا بها الى ابي
الجهم فانها الهتني عن صلوتي واتوني بانبجانية ابي جهم متفق عليه من حديث عائشة اذ كان له
جديدا فامر ان ينزع عنها ويرد الشراك الخلق فيها ابن المبارك في الزهد من حديث ابي النضر
مرسلا باسناد صحيح وكان عم قد احتذى نعلا فاعجبه حسنها فسجد فقال تواضعت لربي كيلا
يمقتني ثم خرج بها فدفعها الى اول سائل لقيه ثم امر عليا ان يشتري له نعلين سبتيتين جردا وين
فلبسهما ابو عبد الله بن خفيف في شرف الفقراء من حديث عائشة باسناد ضعيف كان في يده
خاتم ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال شغلني هذا نظرة اليه ونظرة اليكم كذا في الاحياء
وقال العراقي اخرجه النسائي من حديث ابن عباس باسناد صحيح وليس فيه بيان ان الخاتم كان ذهبا ولا فضة
انما هو مطلق والحاصل ان الاكابر اجتهدوا ان يصلوا ركعتين ولا يحدثون انفسهم فيها بشيء
من امور الدنيا فعجزوا عن ذلك فاذا لا مطمع لامثالنا من الاخلاف ما هنالك وليسلم من الصلوة شطرها
او ثلثها من الوسواس والخواطر المتعلقة بالوسواس فنكون ممن خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وعلى
الجملة فهمة الدنيا وهمة الاخرة في القلب مثل الماء الذي يصب في قدح مملو خلا فبقدر ما يدخل فيه
من الماء يخرج من الخل منه لا محالة فلا يجتمعان والله المستعان ومنها اي من انواع الورد قراءة القرآن
فورد خيركم من تعلم القرآن وعلمه البخاري من حديث عثمان رضي الله عنه ومن قرا القرآن ثم راى ان احدا
افضل مما اوتي فقد استصغر ما عظم الله الطبراني من حديث عبد الله بن عمر بسند ضعيف
ولعله مقتبس من قوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى
ما متعنا به ازواجا منهم ومن هنا قال الفضيل ينبغي لحامل القرآن ان لا يكون له الى احد حاجة ولا الى الخلفاء

مطلب فضائل قراءة القرآن

فمن دونهم ويؤيده حديث من لم يتغن بالقرآن فليس منا اى من لم يستغن به عن غيره من شغله
القرآن عن ذكري ومسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين الترمذي من حديث ابي سعيد و
حسن غريب افضل عبادة امتي القرآن ابو نعيم من حديث نعمان بن بشير اهل القرآن اهل الله
وخاصته النسائي وابن ماجه والحاكم من حديث انس باسناد حسن وحقها اي القرآن ان ينزوي ايناس
وحشة الدنيا اي يذكر العقبى والدرجات الحسنى وقضاء حق الشوق الى المولى لان المناجاة والمكالمة معه
تعالى منه تهيج الى الشوق وزيادة الذوق الى القربة الاعلى وضبط احكام العبودية بحفظ حقوق مقام الربوبية
ويتوضأ اى يتطهر ويتطيب اي طيب كان او يتنظف في جميع الاركان ويتادب اى بقدر الامكان
ويكون الاضطجاع لورود الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم قال علي رضي من قرا القرآن و
هو قائم في الصلوة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرا وهو جالس في الصلوة فله في كل حرف خمسون
حسنة ومن قرا في غير الصلوة وهو على وضوء فخمس وعشرون ومن قرا على غير وضوء فعشر حسنات وعن
عليه اقرا القرآن على كل حال الا انت جنب ابو الحسن به صحح في فوائده والافضل في الليل لانه اقرب الى
الليل فالقلب فيه افرغ قال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا ان لك في النهار سبحا
طويلا اي شغلا كثيرا وفي المصحف افضل فانه يضاعف الاجر لاعمال الجوارح اي من اللسان والعين
والاذن والمعنى لزيادة حظ النظر من الحواس وافادة نقص الوسواس من اشتغال الناس ومع هذا
لا بد من حضور القلب وشهوده بكلام الرب وقد قيل الختمة في المصحف بسبع وقد خرق عثمان رضي
مصحفين لكثرة قراءته فيهما وكان كثير من الصحابة يقرؤن القرآن من المصحف ويكرهون ان يخرج يوم ولم
ينظر والى المصحف ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي في السحر وبين يديه المصحف فقال
شغلكم الفقه عن القرآن اني لاصلي العتمة واضع المصحف بين يدي اطبقه حتى اصبح وقد ورد
اعطوا اعينكم حظها من العبادة النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه الحكيم الترمذي
والبيهقي عن ابي سعيد ويستظهره اي وحقها ان يحفظ غيبا ويضبط قلبا كما كان عليه النبي عم
واصحابه رعاية لقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقد قيل كن حافظا نقيا لا مصحفيا
نقيا فورد فيه اي في الاستظهار تخفيف العذاب عن الوالدين وان كانا مشركين لم اجده وقد ورد
ابو داود عن سهل بن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا القرآن وعمل بما فيه البس والداه
تاجا يوم القيمة ضوؤه احسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا
وفي رواية البس والداه حلة لا يقوم لها الدنيا وما فيها وورد اقرؤوا القرآن فان الله تعالى لا يعذب قلبا
وعى القرآن تمام في فوائده عن ابي امامة مرفوعا لو كان القرآن في اهاب ما مسته النار احمد والدارمي
والطبراني ولا ينساه فورد انه يذنب اي ذنب كبير فهو خبر اذ وزيده الباء لان الكلام في قوة النفي

اليس ينساه القرآن بذنب ونظيره قوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي
بخلقهن بقادر وقد يقال انه اطلق المصدر واراد به الفاعل على طريقة رجل عدل اي فهو رد
انه مذنب وفي نسخة يذنب اي يصير ذا ذنب عظيم وروي من اعظم الذنوب ان يتعلم الرجل
اية من القرآن ثم ينساه قيل ونزل قوله تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا و
نحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها
وكذلك اليوم تنسى مع ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ونسيانه عندنا محمول على انه لم يقدر
ان يقرأ نظرا وعند الشافعي ومن تبعه ان ينسى غايبه حفظا وهو كبيرة اتفاقا ولا يختم في اقل
من ثلثة ايام فورد انه يمنع التفقه ولفظ الحديث من قرأ القرآن في اقل من ثلثة لم يفقه رواه
اصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمرو وصححه الترمذي وذلك لان الزيادة عليه يمنع الترتيل
وتدفع ادراك معاني التنزيل وقد قالت عايشة رضي الله عنها لما سمعت رجلا يهذ القرآن هذا ان هذا
ما قرأ ولا سكت وجاء في اربعين وهو مناسب لاربعينات الصوفية الصفية وقد ورد اقرأ القرآن
في اربعين الترمذي عن ابن عمرو ومنهم من يختم في شهر مرة يقرأ كل يوم جزءا من ثلثين اجزاء وورد
اقرأ القرآن في كل شهر اقرأه في عشرين ليلة اقرأه في عشر اقرأه في سبع ولا تزد ذلك رواه الشيخان
وابو داود وابن عمرو وفي رواية الطبراني عنه اقرأ القرآن في خمس وبعضهم قرأه في اليوم والليلة مرة
وبعضهم مرتين وبعضهم الى الثلثة وفي اسبوع وقد امر النبي عم عبد الله بن عمرو ان يختم القرآن في كل سبع
متفق عليه من حديث وكان جماعة من الصحابة يختمون القرآن في كل جمعة كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود
وابي بن كعب ففي الختم اربع درجات الختم في كل شهر والختم في يوم وليلة وفوقهم جماعة والختم في كل شهر
وكانه مبالغة في الاقتصار كما ان الاولى مبالغة في الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان احديهما الاوراد
احديهما في الاسبوع مرة وهي الاولى والاحرى والثانية في الاسبوع مرتين تقريبا من الثلث وهو الرخصة في
الكثرة والاحزاب المروية سبعة اي الاوراد المأثورة سبعة اقسام ثلث سور وبعد الفاتحة
البقرة وآل عمران والنساء ثم خمس وهي المائدة والانعام والاعراف والانفال والتوبة ثم سبع
وهي يونس وهود ويوسف والرعد وابراهيم والحجر والنحل ثم تسع وهي بني اسرائيل والكهف
ومريم وطه والانبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان ثم احدى عشرة وهي الشعراء والنمل
والقصص والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة والاحزاب وسبأ وفاطر ويس ثم ثلث
عشر وهي والصافات وص والزمر وحواميم السبع والقتال والفتح والحجرات ففي كل مرتبة
بزيادة سورتين ثم الباقي وهي قاف الى الناس وينسب الى علي رضي الله عنه اشار الى هذا الترتيب ايماء
بطريق الرمز والايماء حيث قال في بشوق فالفاء فاتحة والميم مائدة والياء يونس والباء بني اسرائيل

فالشين

مطلب كيفية الختم وقراءته

مطلب احزاب القرآن

والسين الشعراء والواو والصافات والقاف ق وقد قال العراقي تحزيب القرآن على سبعة احزاب رواه ابو
داود وابن ماجه من حديث اوس بن حذيفة قال اوس فسألت اصحاب رسول الله عليه السلام كيف
تحزبونه القرآن قالوا ثلث وخمس وسبع وتسع واحدى عشر وثلث عشر وحزب المفصل وفي رواية
الطبراني فسألنا اصحاب رسول الله عم كيف كان رسول الله عم يجزي القرآن فقالوا كان يجزيه ثلثا
فذكره مرفوعا باسناد حسن وكان عثمان رض يبدئ ليلة الجمعة فانها في الليالي افضل والقراءة بالليل امثل
ويتم المائدة اي في ليلة او بقية يوم جمعة ثم هود اي يبدئ في ليلة السبت او نهاره ثم مريم ثم طسم
ثم ص ثم الرحمن ثم الباقي وهو يحتمل ان يكون باجتهاده حيث لم يبلغه ما سبق مرفوعا وهو رواية اخرى
عنه عم وان كان في الظاهر مرفوعا وهذا اي التحزيب بهذا الترتيب للعامل ظاهرا فهو في مقام التذهيب
من الصوم والصلوة والتلاوة والاذكار اما صاحب الباطن اي المراعي لاحوال القلب وحضوره مع
الرب فيلي حسب حاله اي ما يقتضيه من الكثرة والقلة في قراءته كسائر افعاله فانه ان كان من العابدين السالكين
بطريق العمل فلا ينبغي ان ينقص عن ختمتين في الاسبوع وان كان من السالكين باعمال القلب وضروب
الفكر او من المشغولين بنشر العلم فلا بأس ان يقتصر في الاسبوع على مرة وان كان نافذ الفكر في معاني
القرآن وفي مباني الفرقان فقد يكتفي في الشهر بمرة لحاجته الى كثرة الترديد والتأمل في الوعد والوعيد
ويرتل اي يترسل ويتمهل ليتوقف التدبر عليه وقد قال عز وجل كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا
اياته وليتذكر اولوا الالباب وكونه اقرب الى التعظيم والتأثير اي تعظيم الرب وتأثير القلب قال
تعالى ورتل القرآن ترتيلا وهو مستحب في قراءته وقال عز وجل الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته
وهو المروي فقد نعتت ام سلمة رض قراءة رسول الله عم قراءة مفسرة حرفا حرفا ابو داود والنسائي
والترمذي وقال حسن صحيح وقال ابن عباس لان اقرأ البقرة وآل عمران ارتلهما واتدبرهما احب الي
من ان اقرأ القرآن كله هذرمة وقال ايضا لان اقرأ اذا زلزلت والقارعة اتدبرهما احب الي من
ان اقرأ البقرة وآل عمران هذرمة ويبكي فانه مستحب قال تعالى حكاية عن الانبياء والاصفياء اذا
تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا وقال تعالى ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم
يخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا ومن هنا قال ابن عباس اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا
بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه قلت وكذا اذا قرأ سجدة مريم فلا بد من
البكاء او التباكي او الحزن على فقدها فورد اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا ابن ماجه من
حديث سعد بن ابي وقاص باسناد جيد فاذا قرأتموه فتحازنوا صدر الحديث ان القرآن نزل بحزن
فاذا قرأتموه فتحازنوا ابو يعلى وابو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف ويقويه حديث
ان الله يحب كل قلب حزين الطبراني والقضاعي بسندهما الى ابي الدرداء مرفوعا ويؤيده قوله تعالى ان الله

لا يحب الفرحين ويعضده حديث اقرؤا القران بالحزن فانه نزل بالحزن رواه ابو يعلى وابو نعيم
في الحلية والطبراني في الاوسط عن بريدة وعن الحسن والله ما اصبح اليوم عبد يتلو هذا القران
يؤمن به الا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغلته وقلت راحته وبطالته
وقال عم لابن مسعود اقرا علي قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا رايت عيناه تذرفان بالدمع فقال لي حسبك الآن وهو اي وجه احضار
الحزن انما يحصل بالتامل في مواعيده من التهديد والوعيد ومواثيقه من العهد الاكيد والتقصير فيها
اي في لوازمها من الاوامر والزواجر فيحزن له لا محالة ويبكي والا اي وان لم يحضر حزن
وبكاء كما يحضر ارباب القلوب الصافية والصدور الوافية فيبكي على فقدان بكائه اي فليبك
على فقد حزنه وبكائه فهو اعظم المصائب في مقام بلائه ويتعوذ في الافتتاح اي ابتداء القراءة
مطلقا فقد ورد فاذا قرات القران اي اردت قراءته وقيل بعد فراغه ولا منع من الجمع
فاستعذ بالله اي من الشيطان الرجيم والامر للاستحباب عند الجمهور وقيل للايجاب ويفتتح اي
يبتدا ختمة اخرى عند الختم اي الختم الاولى رغما للشيطان اي ورضاء للرحمن ولقوله تعالى فاذا
فرغت اي عن عبادة فانصب اي فاتعب في الاخرى وللآخرة خير لك من الاولى فهو ماثور بل
مروي مشهور فعن زرارة بن ابي اوفى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل اي الاعمال افضل
فقال عم الحال المرتحل اي عمل فقيل ما الحال المرتحل فقال الخاتم المفتتح وفي رواية فتح القران وختمه
صاحب القران يضرب من اوله الى اخره ومن اخره الى اوله كلما احل ارتحل رواه البيهقي في شعب الايمان
بسند مرفوعا ولفظه عليكم بالحال المرتحل ووافقه الطبراني في سنده وينبغي انه اذا قرا سورة الناس
ان يقرا سورة الفاتحة وصدر سورة البقرة الى المفلحون ويدعو بما كان يقوله عم عند ختم
القران اللهم ارحمني بالقران واجعله لي اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت
وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته اناء الليل والنهار واجعله حجة لي يا رب العالمين رواه
ابو منصور المظفر بن حسين الارجاني في فضائل القران وابو بكر بن الضحاك في الشمائل كلاهما
من طريق ابي ذر الهروي من رواية داود بن القيس معضلا ويسال اي امرا مرجوا عليه ويتعوذ
عن مخوف اي اذا وصل اليه او قرئ لديه ويوافق ذكرا اي فيذكر بنية وكذا يوافق تسبيحا وتكبيرا
كما اذا قرا يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا فيذكر ثلث مرات او اكثر
ويسبح كذلك او دعاء دعا كما اذا قرئ ادعوني استجب لكم واجيب دعوة الداع اذا دعان وكذا
استغفر في مقام يليق به كقوله تعالى واستغفروا ربكم انه كان غفارا فالكل ماثور بل مروي
مذكور قال حذيفة صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدى سورة البقرة فكان لا يمر باية عذاب

ح ابن حجر

الا استعاذ ولا باية رحمة الا سال ولا باية تسبيح الا سبح رواه مسلم باختلاف لفظ ويسر اي
يخفي القران ان خاف الرياء اي على نفسه او تشويش مصل في حضوره ولا يجوز الجهر به لتلذذ الاذن
بسببه وحصول الاستماع لغيره فورد يفضل عمل السر على العلانية سبعين ضعفا البيهقي في شعب
من حديث عائشة وفضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية وفي
لفظ اخر الجاهر بالصدقة والمسر بالقران كالمسر بالصدقة ابو داود والنسائي والترمذي وحسنه
من حديث عقبة بن عامر وخير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي احمد وابن حبان من حديث سعد
بن ابي وقاص وفي الخبر لا يجهر بعضكم على بعض في القراءة بين المغرب والعشاء كذا في الاحياء وقال
العراقي رواه ابو داود من حديث البياضي دون قوله بين المغرب والعشاء والبيهقي في الشعب من
حديث علي قبل العشاء وبعدها وفيه الحارث الاعور وهو ضعيف وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة
في مسجد النبي عم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلوته وكان حسن الصوت فقال لغلامه اذهب
الى هذا المصلي فقل له يخفض من صوته فقال الغلام ان المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد
صوته وقال يا ايها المصلي ان كنت تريد الله عز وجل بصلوتك فاخفض صوتك وان كنت تريد
الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله شيئا فسكت عمر وخفف فلما سلم اخذ نعليه وانصرف وهو
يومئذ امير المدينة والا اي وان لم يكن خوف رياء ولا تشويش مصل فيجهر اي جوازا او استحبابا
فهو ينبه القلب اي يوقظ قلب القاري ويجمع الهمة في ذكر الرب الباري ويصرف السمع اليه اي فيلتذ
باستماعه لديه وينفي النوم والكسل ويزيد في النشاط اي نشاط النفس اليه ويوقظ الراقد اي في اول الليل
واخره فيكون هو سبب احيائه وباعث ذكره ودعائه ويرغب في العبادة اي من سمعه من اهل الطاعة و
السعادة وورد ان الملائكة صدر الحديث اذا قام احدكم من الليل يصلي فليجهر بقراءته فان الملائكة
اي الحفظة وعمار الدار بضم العين وتشديد الميم جمع العامر اي سكنوها من مسلمي الجن يستمعون قراءته
ويصلون بصلوته رواه نحوه بزيادة فيه ابو بكر البزاز ونصر المقدسي في المواعظ من حديث معاذ بن جبل
وهو حديث منكر منقطع والمتعدي اي العمل الذي يتعدي ثوابه الى الغير افضل من العمل اللازم القاصر
على منا وتضاعف النية يضاعف الاجر فمهما حضر شيء من النيات المتقدمة فالجهر افضل واذا
اجتمعت النيات المتعددة يتضاعف الاجر والمثوبة وبكثرة النيات في العبادات تزكو عمل الابرار
ويزيد الدرجات والاحب في السر والجهر النظر الى صلاح القلب اي في حضوره مع الرب فصوب
عليه السلام ابا بكر في الاسرار وعمر في الجهر رضي الله عنهما بعد الفحص عن النية ورد وي انه عم مر على
ثلثة نفر من اصحابه مختلفي الاحوال فمر على ابي بكر وهو يخافت فساله عن ذلك فقال ان الذي اناجيه
هو يسمعني ومر على عمر وهو يجهر فساله عن ذلك فقال اوقظ الوسنان واجز الشيطان ومر على

ظ كالجاهر بالقرآن

بلال وهو يقرأ ايا من هذه السورة وايا من هذه السورة فسأله فقال اخلط الطيب بالطيب فقال كلكم
قد احسن ابو داود من حديث ابي هريرة باسناد صحيح وفي رواية انه عم قال لابي بكر لم خفضت
صوتك فقال اسمعت من ناجيت وقال لعمر ولم رفعت صوتك فقال كي اوقظ الوسنان واطرد الشيطان فقال
لابي بكر ارفع قليلا وقال لعمر اخفض قليلا اي هو المناسب دليلا لقوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا
تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا والحاصل انه عم دعاهما المقام جمع الجمع فان الصديق كان في جمع الفرق
والفاروق في مقام التفرقة وقليل ما يكون كل منهما عاملا الا بمتابعته في جميع حالته ويحسن الصوت
اي بتزيد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم به اي بالقرآن لورود ما اذن الله لشيء اي ما استمع
وقبل واقبل اذنه بفتحتين منصوب بالنبي عم اي من المسموعات اي مثل سماعه وقبوله واقباله لحسن الصوت
بالقرآن متفق عليه من حديث ابي هريرة بلفظ ما اذن الله لشيء ما اذن لنبي يتغنى بالقرآن زاد مسلم لنبي
حسن الصوت وفي رواية كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن وقال عم زينوا القرآن باصواتكم ابو داود والنسائي
وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث البراء بن عازب وقال من لم يتغن بالقرآن فليس منا اي ممن لم يتغن
وهو اقرب لغة من معنى الاستغناء وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ليلة ينتظر عائشة رضي
فابطأت عليه فقال ما حبسك قالت يا رسول الله كنت استمع قراءة رجل ما سمعت احسن صوتا منه فقام عم
حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى ابي حذيفة الحمد لله الذي جعل في امتي مثله ابن ماجه
من حديث عائشة ورجال اسناده ثقات واستمع عم ايضا ذات ليلة الى عبد الله بن مسعود ومعه
ابو بكر وعمر رض فوقفوا طويلا ثم قال من اراد ان يقرأ القرآن غضا كما انزل فليقرأه على قراءة
ابن ام عبد احمد والنسائي في الكبرى من حديث عمر والترمذي وابن ماجه من حديث ابن مسعود
ان ابا بكر وعمر بشراه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب ان يقرأ القرآن الحديث قال الترمذي
حسن صحيح وقال عم لابن مسعود اقرأ علي فقال يا رسول الله اقرأ عليك انزل فقال اني احب ان اسمعه
من غيري فكان ورسول الله عم عيناه تفيضان متفق عليه من حديث ابن مسعود واستمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى قراءة ابي موسى فقال لقد اوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود متفق عليه من حديث ابي موسى وفي الخبر
كان اصحاب رسول الله عم اذا اجتمعوا امروا احدهم ان يقرأ سورة من القرآن وقال عم من استمع الى
آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت نورا يوم احمد من حديث ابي هريرة مكتفيا على الترغيب
اي على قدر الرغبة والتأثير اي وتأثير النية وورد اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا
اختلفتم فلستم تقرؤون وفي بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه كذا في الاحياء وقال العراقي متفق عليه من حديث
جندب بن عبد الله البجلي باللفظ الثاني دون قوله ولانت جلودكم قلت ولعل الحديث مقتبس من قوله تعالى الله
نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر

مطلب حسن الصوت بالقراءة من غير افراط

الله وورد

الله وورد ان من احسن الصوت بالقرآن الذي اذا سمعته يقرأ رأيت انه يخشى الله تعالى ابن ماجه من حديث
جابر بسند ضعيف ولا تسمع القرآن من احد لنهيه عم ممن يخشى الله تعالى الحاكم ابو عبد الله غير مغير نظمه اي
مبناه بتغيير مخرج حروفه وصفاته وتبديل حركاتها وسكناتها وزيادة في مداتها وكيفياتها ولا مراع قواعد
الموسيقى في نغماتها المذموم في الشريعة المنسوب الى المبتدعة بل الى الكفرة الفجرة كما يشير اليه قوله تعالى افمن حديث
تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون اي معرضون او هامدون وخامدون ولا مستغل عن التدبر
اي في آياته وآلائه وقصص رسله وانبيائه وانواع بلائه لاهل ولائه واهلاك اعدائه وانجاء احبائه والتأمل
في احكام من اوامره وزواجره والتفكر في مبدأ امره ومنتهى عمره ومواقف القيمة واحوالها ودرجات الجنة وحسن
آمالها ومنالها ودركات النار واختلاف احوالها وتعظيمه كما كان عكرمة بن ابي جهل اذا انتشر المصحف غشي
عليه ويقول هو كلام ربي هو كلام ربي لورود لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من
خشية الله وتمام الاية وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون من قرأ القرآن فرأى ان احدا اوتي افضل
مما اوتي فقد استصغر ما عظم الله اي واستعظم ما صغره الله ومتدبر في مبناه ومعناه ويحضر القلب في التلاوة
لما سبق في حق الصلوة انه الاصل في معرفة الرب وبه تم ما ورد في التنزيل يا يحيى خذ الكتاب بقوة اي بقوة القلب
او حضاره في مكتب الرب ويتدبر لورود في التنزيل ليدبروا آياته تمام وليتذكر اولو الالباب فالتدبر سبب
التذكر وكان اهتمامهم بالتفقه اي الدراية دون التقلة اي كثرة القراءة والرواية قال علي لا خير في عبادة
لا فقه فيها ولا قراءة لا تدبر فيها وكان بعضهم يقول كل آية لا افهمها ولا يكون قلبي فيها لا اعد لها ثوابا
وقد روي عن عامر بن قيس انه قال الوسواس يعتريني في الصلوة فقيل له افي امر الدنيا فقال لان يختلف
في الاسنة احب الي من ذلك ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدي ربي واني اذهب وكيف انصرف قال الحجة
فانظر كيف عد ذلك وسواسا وهو كذلك لانه يشغله عن فهم ما هو فيه والشيطان لا يقدر على مثله الا ان
يشغله بمهم ديني ولكنه يمنعه من الافضل ولما ذكر ذلك للحسن فقال ان كنتم صادقين عنه فما اصطنع
ذلك عندنا هذا وقد كثر اعتناء الصحابة بالقرآن من حيث معناه دون حفظ مبناه حتى لم يستكمل
اي لم يحفظ جميعه الا بضعة عشر صحابيا من اكابر الصحابة واجلاؤهم في القراءة كالخلفاء الاربعة
وابي بن كعب وابن مسعود وزيد بن ثابت وسالم مولى ابي حذيفة وفي الاحياء مات رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن عشرين الفا من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم الا ستة اختلف منهم في اثنين قال العراقي قوله مات عن
عشرين الفا من الصحابة ولعله اراد بالمدينة والا فقد روينا عن ابي زرعة الرازي انه قال قبض عن مائة
الف واربعة عشر الفا من الصحابة ممن روي عنه وسمع منه انتهى واما من حفظ القرآن في عهده ففي الصحيحين
من حديث انس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة كلهم من الانصار ابي بن كعب
ومعاذ بن جبل وزيد وابو زيد قلت من ابو زيد قال احد عمومتي وزاد ابن ابي شيبة في المصنف من

تعظيم القرآن

مطلب ستة من الصحابة حافظا يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم

رواه الشعبي مرسلا وابو الدرداء وسعيد بن عبيد وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو
استقرؤا القرآن من اربعة من عبد الله بن مسعود وسالم مولى ابي حذيفة ومعاذ بن جبل وابي بن كعب
بل الكثير منهم لم يحفظ الا سورة كالبقرة او سورتين كالزهراوين وكان الذي يحفظ البقرة والانعام
من علمائهم وروى ابن الانباري بسنده الى عمر وقال كان الفاضل من اصحاب النبي عم في صدر هذه الامة
من يحفظ من القرآن السورة او نحوها الحديث وسنده ضعيف وللترمذي وحسنه من حديث ابي هريرة قال
بعث رسول الله عم بعثا وهم ذو عدد فاستقراهم كل رجل ما معه من القرآن فاتى على رجل من احدثهم سنا
فقال ما معك يا فلان قال معي كذا وكذا وسورة البقرة فقال امعك سورة البقرة قال اذهب فانت اميرهم
الحديث ويردده مرارا اي من حق القراءة ان يكرر المقروء مرة بعد مرة فقد قام عليه السلام ليلة باية واحدة
يرددها وهي ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم النسائي وابن ماجه بسند
صحيح عن ابي ذر وقرا عليه السلام اية بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة ابو ذر الهروي في معجمه
عن ابي هريرة بسند ضعيف وقام تميم الداري ليلة بهذه الاية ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان
نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات الاية وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الاية وامتازوا
اليوم ايها المجرمون ويتفهم بان يتكلف ضبط مبانيه وفهم معانيه ويستوضح من كل اية ما يليق بها
اذ القرآن يشتمل على ذكر ذات الله وصفاته وافعاله ومصنوعاته وذكر احوال الانبياء واوليائه وبيان مآل
اعدائه وذكر اوامره وزواجره وبيان درجات جنته ودركات ناره وهو يتفاوت بحسب صفاء الباطن وانواع
وظهور المكاشفة للقلب واسراره وورد ان للقرآن ظهرا وبطنا تمام وحدا ومطلعا ابن حبان في صحيحه
من حديث ابن مسعود وروي عن ابن مسعود مرفوعا ايضا ان القرآن انزل على سبعة احرف لكل اية منها ظهر
وبطن ولكل حرف حد ومطلع فالظاهر تلاوة المبنى والباطن تفهم المعنى والحد احكام الاحكام والمطلع
ما ينكشف من المرام بعد هذا المقام واخرج النسائي من رواية ابي جحيفة قال سألنا عليا رض فقلنا هل عندكم
من رسول الله عليه السلام شيء سوى القرآن فقال لا والذي فلق الحبة وبرا النسمة الا ان يعطي الله عبدا فهما
في كتابه الحديث وهو عند البخاري بلفظ هل عندكم شيء ما ليس في القرآن وقال مرة ما ليس عند الناس لا يفقه
العبد اي الفقه حتى يرى القرآن وجوها كثيرة قال ابو الدرداء رض لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها
وعن الامام جعفر الصادق ان كتاب الله على اربعة اشياء العبارة والاشارة واللطائف والحقائق
فالعبارة للعوام والاشارة للخواص واللطائف للاولياء والحقائق للانبياء اولئك وفي الحقيقة لا يعرف
حقائق كلامه ودقائق مرامه غيره سبحانه بتمامه لان كلامه الازلي من صفته العليا وكما لا نهاية لذاته و
لا غاية لصفاته فان تحت كل حرف من حروفه بحرا من بحار الاسرار ونهرا من انهار الانوار وقد قال
عز من قائل ايماء الى عجز معرفة من سواه ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده ابحر

ما نفدت كلم

ما نفدت كلمات الله اي ظرائف مبانيها ولطائف معانيها ومن هنا قال علي رض لو شئت لاوقرت سبعين
بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب وقد قيل لا يكون المريد مريدا حتى يجد في القرآن كلما يريد ويعرف منه النقصان
من المزيد ويستغني بالمولى عن العبيد وفي الخبر لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا
الى الملكوت ومباني القرآن من جملة الحديث رواه احمد عن ابي هريرة اعربوا القرآن والتمسوا
غرائبه ابن ابي شيبة في مصنفه وابو يعلى الموصلي والبيهقي في شعبه من حديث ابي هريرة بلفظ اعربوا
وسنده ضعيف وعن ابن مسعود رض من اراد علم الاولين والآخرين فليثور القرآن هذا وقد شرط
الله عز وجل الانابة في الفهم والتذكر في العلم فقال تبصرة وذكرى لكل عبد منيب وقال وما يتذكر
الا من ينيب وقال انما يتذكر اولوا الالباب والذي اثر غرور الدنيا على سرور العقبى فليس من ذوي
الالباب فلذا لا ينكشف له اسرار الكتاب وانوار الخطاب وقد ورد اذا عظمت امتي الدنيا والدرهم
نزعت منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرموا بركة الوحي قال الفضيل يعني
حرموا فهم القرآن كذا في الاحياء وقال العراقي رواه ابن ابي الدنيا في كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
معضلا من حديث الفضيل بن عياض قال ذكر النبي عم وقد قال تعالى واوحي الي هذا القرآن لانذركم به
ومن بلغ قال محمد بن الكعب القرظي من بلغه القرآن فكانما كلمه الرحمن وقال بعض اهل الفضل هذا
القرآن رسائل اتتنا من قبل ربنا بعهود نتدبرها في الصلوة ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات
بالسنن المتبعات وكان مالك بن دينار يقول ما زرع القرآن في قلوبكم يا اهل القرآن ان القرآن ربيع
المؤمن كما ان الغيث ربيع الارض وقالت قتادة لم يجالس هذا القرآن احد الا قام بزيادة او
نقصان قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا
ولذا قيل من لم يكن متصفا باخلاق القرآن فاذا قرا القرآن ناداه الله تعالى ما لك ولكلامي وانت
معرض عني دع عنك كلامي ان لم تتب الي ومما يدل على ان مدار القرآن على فهمه والعمل بامره
والنهي بما نهاه رواه ابو داود والنسائي في الكبرى وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عبد الله
بن عمرو قال اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقرئني يا رسول الله فاقرأه اذا زلزلت
الارض حتى فرغ منها فقال الرجل والذي بعثك بالحق لا ازيد عليها ابدا ثم ادبر الرجل فقال عم
افلح الرجل ولاحمد والنسائي في الكبرى من حديث صعصعة عم الفرزدق انه صاحب القضية وقال
حسبي لا ابالي ان لا اسمع غيرها وعن جعفر الصادق والله لقد تجلى الله سبحانه لخلقه في كلامه
ولكنهم لا يبصرون وقال ايضا وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلوة حتى خر مغشيا عليه فلما سري
عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد الاية في قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة
قدرته وكان رضي الله عنه تصور ان الله تعالى جعل لسانه بمنزلة شجرة موسى عم وانه نودي في شانه ما صدر

في الكلام في ذلك المقام وفوق الكرام ومن هنا قال بعض الحكماء كنت اقرأ القرآن فلم اجد له حلاوة
حتى تلوته كأني اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على اصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه وكنت
اتلوه كأني اسمعه من جبريل عم يلقيه على رسول الله عم ثم جاء الله بمنزلة اخرى فانا الان اسمعه من المتكلم به
حتى فصرت ها وجدت له لذة ونعيما لا اصبر عنه وقال عثمان وحذيفة لو طهرت القلوب لم يشبع من
تلاوة القرآن وعن ثابت البناني كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وبمشاهدة المتكلم
دون ما سواه يكون العبد ممتثلا لقوله تعالى ففروا الى الله قيل ليوسف بن اسباط اذا قرأت القرآن
بماذا تدعو قال بماذا ادعو استغفر الله عز وجل من تقصيري سبعين مرة فيستغني الله عما سواه ولا نعبد
الا اياه ولا نقصد في الدارين ما عداه وانما ورد من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار اي
فليهيئ مكانه من نار جهنم رواه الترمذي من حديث ابن عباس وحسنه وهو عند ابي داود في رواية ابن
العبد وعند النسائي في الكبرى فمحمول اي وعيده على القطع على مراده تعالى اي اذا لم يعلم انه مراده كما في الايات
المتشابهات والالفاظ المشتركة في اللغات والا فمن المعلوم ان قوله تعالى اقيموا الصلوة وآتوا الزكوة اراد بهما
العبادتين احدها بدنية والاخرى مالية خلافا لبعض الملاحدة من الصوفية حيث قالوا المراد بالصلوة وصل
الصلوة وبالزكوة طهارة القلب عن الكائنات والاحتجاج لاثبات الهوى بان يكون له في الشيء رأي واليه
ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على مقتضاه ليحتج على تصحيح غرضه ومدعاه ولو لم يكن له ذلك الرأي
والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى دون الاستنباط المعاني من مدارك المباني في الايات المحتملات
لفقد السماع اي لعدم سماع جميع المعاني من رسول الله عليه السلام في تفسير السبع المثاني الا في بعض
الايات فقد نادر في واقعات واختلافهم اي واختلاف الصحابة والمفسرين على اقوال مختلفة يمتنع
التوفيق بينهما اي لا يمكن الجمع بينهما لتناقض مبانيها وتعارض معانيها فعلم على القطع ان كل مفسر قال في المعنى
ما ظهر له باستنباط في المعنى حتى قالوا في الحروف التي هي اوائل السور سبعة اقاويل مختلفة بل سبعين قولا غير
مؤتلفة فورد لعلمه الذين يستنبطونه منهم الاية والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فاثبت لاهل
العلم استنباطها ومعلوم انه وراء السماع فجاز لكل واحد ان يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله
بشروط يذكر في محله الاليق به ومن ذلك استخراج ابو بكر رضي الله عنه موته عليه السلام من قوله سبحانه
وتعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فان الكمال يشير الى الزوال كوصول الشمس الى وسط
السماء فهو استخراج المعنى لا يفهم من ظاهر المبنى اللهم فقهه اي ابن عباس في الدين وعلمه التأويل
البخاري من حديث ابن عباس فلو كان التأويل مسموعا كالتنزيل فما معنى تخصيصه بذلك ثم اذا كان
الاستنباط ممنوعا فينبغي ان يبطل ما يقوله ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من قبل انفسهم على قدر
فهمهم ويقال هو تفسير بالرأي لانهم لم يسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس كذلك فافهم فان

فان اكثر القرآن الا بقوله عم ثم يبتني باقوال الاصحاب الكرام واتباعهم العظام من العلماء الاعلام وتجنبه
من الموانع اي يجتنب عن موانع الفهم كتحقيق المخارج اي مخارج الحروف وترقيق صفاتها واداء اللفظ
من ترقيق وتغليظ وروم واشمام ومد وقصر ووقف مراعيا بالمبالغة في تحسين حالاتها ولا فهما
من الواجبات المتعلقة بالقراءة وقواعد الموسيقى اي ويتخلى عنها بانه لا يلحن في القراءة لحنا جليا كما لا ينبغي
الذي يلحن فيها لحنا خفيا في مقدمة الجزرية والاخذ بالتجويد حتم لازم من لم يجود القرآن آثم لانه
به الاله انزلا وهكذا منه الينا وصلا والاصرار على الذنب اي ويتخلى عن الاصرار على الكبائر والصغائر
لانه لا صغيرة مع الاصرار كما لا كبيرة مع الاستغفار وقد قال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا
انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون
والاتصاف بالذميمة اي من الاخلاق الردية والاحوال الدنية فورد اي في نعت القرآن تبصرة وذكرى
اي تذكرة لكل عبد منيب والانابة هي الرجوع من الغفلة الى اليقظة كما ان التوبة الرجوع من المعصية
الى الطاعة فهي والاوبة اخص من التوبة ولذا جاء في وصف الانبياء والاولياء انه اواب فاستغفر ربه
وخر راكعا واناب ويقدر اي يفرض القارئ ويعد انه المراد في كل خطاب من الامر والنهي وغيرهما كالوعد
والوعيد في كلام الباري فورد في التنزيل واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ وقد سبق
الكلام عليه ومما يناسب المرام لديه اقرأ القرآن ما نهاك اي ما دام ينهاك عن الكسل والغفلة ونحوهما من المذمة
وتمام الحديث واذا لم ينهك فلست تقرؤه الطبراني من حديث عبد الله بن عمر بسند ضعيف وقصة
اي ويقدر انه المراد في كل قصة مشتملة على محن ونعم او محنة وغضب فهي المبينة فورد في التنزيل وكلا
اي كل ما يحتاج اليه ويصنع بقوله نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك بدل من كلا واذا كان
قلبه الاعلى يحتاج الى التثبيت فغيره اولى فورد اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ويتأثر اي القارئ
باختلاف حال القلب اي تقلبه بحسب المعنى اي بتفاوت معنى كلام ربه فيفرح ويشتاق ويخاف كلها الف
ونشرها المرتب عند آية رحمة وجنة وعذاب ونحوها من التوبيخ والتهديد والوعد والوعيد والا
نذار والابشار ويترقى فيه اي في مراتب التأثير من المقام الادنى الى المقام الاعلى فالادنى اي في مقام
الترقي تقديرا انه يقرأ بين يديه تعالى اي كما يقرأ بين يدي معلمه كما قال تعالى الرحمن علم القرآن فيعتقد انه سبحانه
ناظر اليه وسامع لما يبدو لديه ويجري عليه فيفيد هذا الحال التملق والسؤال والتضرع والابتهال ثم انه تعالى
اي يقدر انه تعالى يخاطبه اي من وراء حجاب فتورثه الهيبة والعظمة وحقارة نفسه اذ يكون متكلما بكلامه
او مستمعا لخطابه او واقفا بجنابه ومتعلقا ببابه فيفيد التأدب بادابه ثم رؤية المتكلم بان يرى اسم الذات
كاسم الله والحق وصفاته كاسم الحي والعليم والسميع والبصير والمريد والقدير وافعاله اي كاسمائه افعاله
مما اثره محسوس في مخلوقاته كالمحيي والخالق والرازق والمصور والوهاب في الكلام وهو المصدقين و

الاولان اي من الاحوال لاصحاب اليمين اي المطيعين من المسلمين وغيرها اي المراتب المذكورة من انواع حالات
الترقي للغافلين وقد تقدم تحقيق حصول الاحوال الحاصلة للعلماء العاملين وبري اي وينبغي لذوي
المسالك ولو كان في اعلى المسالك دخوله فيما ورد في العاصين المقصرين دون المقربين وذوي اليقين اي
المعتبرين في امر الدين ومنها اي من انواع الورد الصلوة عليه اي على النبي صلى الله عليه وسلم ففيه وعد
صحبته اي رفعته في منزلته وشفاعته لاهل محبته اما دليل الاول فقوله عم اولى الناس اي اقربهم الي في القيمة
اكثرهم علي صلوة اي في الدنيا الترمذي وابن حبان عن ابن مسعود ويؤيده رواية البيهقي باسناد
حسن عن ابي امامة فمن كان اكثرهم علي صلوة كان اقربهم مني منزلة واما الثاني فورد اذا سمعتم المؤذن
فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا ثم سلوا الله لي الوسيلة فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وورد
شفاعتي لاهل الكبائر من امتي الترمذي وحسنه البيهقي وصححه وورد انها صدقة رواه ابو يعلي
من حديث ابي هريرة بلفظ اكثروا الصلوة علي فانها زكوة لكم اي بمنزلة زكوة وصدقة لفقرائكم واغنيائكم
ومن صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة فانها زكوة لكم تستغفر له مادام اسمي في ذلك الكتاب الطبراني في الاوسط
وابو الشيخ في الثواب والمستغفري في الدعوات من حديث ابي هريرة بسند ضعيف وفي رواية ابن
ابي عاصم عن انس مرفوعا صلوا علي فان الصلوة كفارة لكم فمن صلى علي واحدا صلى الله عليه عشرا
وفي رواية ايضا عن ابي كاهل من صلى علي كل يوم ثلث مرات وكل ليلة ثلث مرات حبا لي وشوقا
لي كان حقا على الله ان يغفر له ذنوب تلك الليلة وذلك اليوم وحقها ان يقترن اي الصلوة
بالسلام لورود صلوا عليه وسلموا تسليما وظاهره للجمع بينهما في كل موضع لكن لا يجب كما توهم النووي
اذ الواو لمطلق الجمع فاذا صلى في وقت وسلم في آخر فقد خرج عن عهدة الامر كما في قوله تعالى واقيموا
الصلوة واتوا الزكوة وقد جعلت في المسئلة رسالة مستقلة والصلوة بالحفظ ويقرن بالصلوة على
الانبياء او بالرفع اي ومن حق الصلوة على النبي عليه السلام الصلوة على سائر الانبياء وكذا الملائكة المقربين اصالة
واهل البيت واصحابه تبعا فهو المأثور وعليه الجمهور وقيل جمع الصلوة والسلام لنبينا ويقتصر في الانبياء
والملائكة ولا تذكر عند العطس فيه خلاف والذبح وهو مكروه قال صاحب المحيط لان فيه ايهام الاهلال
له والتعجب اي رؤية ما يستغرب فانه ممنوع وفي فتاوي قاضيخان رجل يقرأ القرآن وسمع اسم النبي عليه السلام
ذكر الناطفي انه لا يجب عليه الصلوة لان قراءة القرآن على النظم والتاليف افضل من الصلوة ولو
فيها من التشريف فاذا فرغ من القراءة ان صلى عليه كان حسنا وان لم يصل لم يأثم والله اعلم والظاهر
انه يسمى ما اذا قرأ او سمع آية يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فانه يجب عليه الصلوة و
السلام ح ونوى في الصلوة كما صرحوا بذلك في حال الخطبة وقد ورد من ذكرت عنده فليصل علي
النسائي والطبراني في الاوسط وابو يعلي وابن السني ورواه وابن حبان والحاكم وصححه من ذكرني

فليصل

فليصل علي ابو يعلي عن انس والظاهر ان الامر للوجوب لكن قال الطحاوي انه يتداخل في المجلس
كسجدة التلاوة ومما يدل على الايجاب حديث رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي اي ذل في الب
ولصق بالتراب وابتلي بالحجاب رواه الترمذي وابن حبان والبزار والطبراني من حديث ابي
هريرة وحسنه الترمذي البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي الترمذي والنسائي عن علي وابن
حبان والحاكم عن حسين بن علي رضي الله عنهما والاخبار في هذا كثيرة والاثار شهيرة وقد ذكرت
نبذة يسيرة في شرح الصلوة المحمدية والصلوة الاحمدية ومنها اي من جملة الاوراد بل اجل
ورد للعباد والعباد في جميع البلاد الاذكار ككلمة التوحيد والتمجيد واسماء الله والتسبيح و
التحميد المروية في الاخبار المرضية الوارد فيها الفضائل اي الكثيرة الشهيرة في الكتاب والسنة المصطفوية
اما الكتاب فقوله تعالى فاذكروني اذكركم قال ثابت البناني اني اعلم متى يذكرني ربي سبحانه وتعالى ففزعوا
منه قالوا كيف تعلم ذلك قال اذا ذكرته ذكرني وقوله اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا
وقوله حكاية كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا وقوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم
مغفرة واجرا عظيما وقوله فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم قال ابن عباس
اي بالليل والنهار والبر والبحر والسفر والحضر والغناء والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية
وقوله في ذم المنافقين ولا يذكرون الله الا قليلا وقوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة
ودون الجهر من القول بالغدو والاصال ولا تكن من الغافلين وقوله ولذكر الله اكبر قال ابن عباس
له وجهان احدهما ان ذكر الله لكم اكبر من ذكركم اياه والاخر ان ذكر الله اكبر من كل عبادة
سواه واما السنة فقوله عم ذاكر الله في الغافلين بمنزلة الصابر في الفارين رواه البزار والطبراني
في الاوسط عن ابن مسعود وقوله تعالى انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه ابن ماجه وابن حبان
من حديث ابي هريرة والحاكم من حديث ابي الدرداء وقال صحيح الاسناد وقوله من احب ان يرتع
في رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى ابن ابي شيبة في مصنفه والطبراني من حديث معاذ وقوله لما
سئل اي الاعمال افضل ان تموت ولسانك رطب من ذكر الله ابن حبان والطبراني في دعاء والبيهقي
في الشعب من حديث معاذ وقوله عز وجل اذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني في ملاء
ذكرته في ملاء خير منه واذا تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا واذا تقرب الي ذراعا تقربت منه باعا
واذا مشى الي هرولت اليه يعني بالهرولة سرعة الاجابة لربه والحديث متفق عليه من حديث ابي هريرة وقوله
عز وعلا من شغله ذكري عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين البخاري في التاريخ والبزار
في المسند والبيهقي في شعب الايمان من حديث عمر بن الخطاب وقوله عم لو ان رجلا في حجره دراهم
يقسمها واخر يذكر الله تعالى كان الذاكر لله تعالى افضل الطبراني في الكبير عن ابي موسى وقوله مثل الذي

مطلب الصلاة على النبي

على السلام

مطلب من الاوراد والاذكار

يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت رواه الشيخان عن ابي موسى الاشعري وقوله اذا
مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا يا رسول الله ما رياض الجنة قال حلق الذكر رواه احمد والترمذي
والبيهقي عن انس واخرج الترمذي من حديث ابي هريرة مرفوعا اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قلت وما
رياض الجنة قال المساجد وما الرتع قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقوله
ليس يتحسر اهل الجنة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله تعالى فيها رواه الطبراني وابن السني عن معاذ و
قوله اكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون احمد وابن حبان وابن ابي ليلى وابن السني والحاكم والبيهقي
من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ومنها اي من اصناف الورد الدعاء فورد الدعاء مخ العبادة
الترمذي من حديث انس والدعاء هو العبادة اصحاب السنن الاربعة والحاكم وقال صحيح الاسناد وقال
الترمذي حسن صحيح ليس شيء اكرم عند الله من الدعاء الترمذي وقال غريب وابن ماجه وابن حبان والحاكم
وقال صحيح الاسناد ما من مسلم ينصب وجهه لله في مسألة الا اعطاها اياه اما ان يعجلها له واما ان يدخرها
له احمد عن ابي هريرة الدعاء سلاح المؤمن ابو يعلى والحاكم عن علي رضي الله عنه من سره ان يستجيب الله له عند
الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء الترمذي والحاكم عن ابي هريرة وقال صحيح الاسناد من لم يدع
الله غضب عليه ابن ابي شيبة في مصنفه من حديث ابي هريرة ونعم ما قيل الله يغضب ان تركت سؤاله و
ابناء ادم حين تسأل تغضب واختلف هل الافضل هو الدعاء او السكوت تحت جريان القضاء مع
ان الدعاء لا ينافي الرضاء فقيل الاول لحديث الدعاء مخ العبادة وقيل الثاني اكمل لقوله عم من شغله ذكري عن
مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين ويؤيده قول الخليل علمه بحالي يغني عن سؤالي وقيل يختلف باختلاف
الاوقات وقيل ما كان لنفسه من البسط والقبض والخوف والرجاء ونحوها من الحالات وقيل ما كان لنفسه فا
لاولى وما كان لغيره والدعاء احرى وحقه اي الدعاء ان يترصد اي ينتظر شرايف الاوقات مما ورد فيه
فضيلة من يوم كيوم عرفة ويوم الجمعة وليلة كليلة الجمعة وليلة القدر وسحر وهو قبيل الصبح على
ما ذكره الجوهري والسدس الاخير على ما قال الزمخشري والثلث الاخير على ما يفهم من كلام الغزالي لقوله عليه السلام
ينزل الله كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من
يستغفرني فاغفر له وقيل ان يعقوب عم انما قال لبنيه سوف استغفر لكم ربي ليدعو في وقت السحر فقيل انه قام في وقت
السحر يدعو واولاده يؤمنون خلفه فاوحى الله عز وجل اليه قد غفرت لهم وجعلتهم انبياء وعن عائشة رضي
الله عنها ما القى رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر الاعلى في بيتي او عندي الا قائما متفق عليه ولم يقل البخاري
على
الا وجوف الليل اي وسطه واثناؤه كله او نصفه وعند الزوال اي استواء فانه يعني به نصف
الليل ولانهما غالبان وقت الغفلة او بعد الزوال لما ورد فيه من فتح ابواب السماء وصعود الاعمال يوم
الجمعة وفي جلسة الخطيب اي على المنبر وغروب الشمس فيها اي وعنه في الجمعة اول الحساعة الجمعة وقد

مطلب الدعاء وشرايف الاوقات من الورد

باب السحر

وقد بيناها مع غيرها من الاقوال وما ورد فيها سبق من المواقيت في شرح حصن الحصين وبين الاذان و
الاقامة وعندهما اي يوم الجمعة ومطلقا فورد الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد وقد جعل صاحب
الحصن في الاحوال والحديث رواه ابو داود والترمذي والنسائي وابن حبان عن انس وزاد الترمذي
قالوا فما نقول يا رسول الله قال سلوا الله العافية في الدنيا والاخرة وبين الظهر والعصر يوم الاربعاء
لم اجده وكان حقه ان يذكر رمضان في اوقات الاجابة فروى البزار والطبراني عن عبادة بن الصامت ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يوما وحضر رمضان اتاكم شهر بركة يغشاكم الله فيه وتنزل الرحمة وتحط الخطايا ويستجيب الدعاء
للحديث والاحوال اي وان يترصد شرايف الاحوال كالزحف ونزول المطر رواه الشافعي في الام مرسلا
وقال قد حفظت عن غير واحد طلب الاجابة عنده واداء الفرض ظاهره بعدها دائما ويحتمل وقوعه فيها قال
ابو هريرة ان ابواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله وعند نزول الغيث وعند اقامة الصلوة
المكتوبة وروى ابو داود والحاكم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثنتان لا تردان او قلما تردان الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضا وفي رواية عنه
ايضا مرفوعا قال ووقت المطر وتحت المطر وختم القرآن فله دعوة مستجابة الطبراني في الكبير وعن الحاكم
بن عتيبة قال مجاهد وعبدة بن ابي لبابة واناس يعرضون المصاحف فلما كان اليوم الذي ارادوا ان يختموا ارسلوا
الي والى سلمة بن كهيل فقالوا انا كنا نعرض المصاحف فاردنا ان نختم فاحببنا ان تشهدونا انه كان يقال اذا
ختم القرآن نزلت الرحمة عند خاتمته رواه ابن ابي شيبة في مصنفه وابو بكر بن ابي داود في كتاب المصاحف
سنده صحيح والمشي الى المسجد فورد انه عم اذا خرج للصلوة قال اللهم اجعل في قلبي نورا وفي بصري نورا
وفي سمعي نورا وعن شمالي نورا وعن يميني نورا وخلفي نورا الشيخان وغيرهما عن ابن عباس وفي رواية كان يقول
اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي اليك فاني لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء واني خرجت
ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك ان تنقذني من النار وان تدخلني الجنة مع الابرار والصوم اي حاله فورد
ان الصائم لا ترد دعوته الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث ابي هريرة والافطار اي وقته فورد ان للصائم
عند فطره لدعوة ما ترد ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر والسجدة اي حال السجود فورد اقرب ما يكون العبد
من ربه وهو ساجد فاكثروا من الدعاء رواه مسلم والرقة اي رقة القلب ودمع العين بذكر الرب والتيقظ
بعلامة تلك فانها من علامات الاجابة والمرض فقد ورد اذا مرض العبد ثلثة ايام خرج من ذنوبه كيوم ولدته
امه ابو الشيخ عن انس وعن عمر مرفوعا اذا دخلت على مريض فمره يدعو لك فان دعاءه كدعاء الملائكة كذا في
المشكوة والغربة فقد روى البزار عن ابي هريرة ثلث حق على الله ان لا يرد لهم دعوة الصائم حتى يفطر والمظلوم
حتى ينتصر والمسافر حتى يرجع وقراءة الاخلاص لم اجده والكون في الجماعة التي تبلغ مائة ذكره في الحصن
في احوال الاجابة اجتماع المسلمين وقال رواه الجماعة عن ام عطية الانصاري والوقوف بعرفات فورد خير

مطلب شريف الاحوال للدعاء

باب ... رضا ...

الى تمام دعاء يوم عرفة الترمذي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده والملتزم وكذا عند رؤية الكعبة
وعند زمزم وعند قبره عليه السلام وكذا في مساجده ومشاهده فالكل مأثور والبعض مشهور وفي
المحصن زيارات عليه وقد شرحنا الدعاء من بيان اماكن الاجابة وقد خلط المص بين الاحوال والرجال
والامكنة والازمنة ويستقبل القبلة ويرفع يديه لما روى مسلم عن جابر انه عم اتى الموقف بعرفة واستقبل
القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس والنسائي من حديث اسامة بن زيد كنت رديفه بعرفات فرفع يديه
يدعو ورجاله ثقات حتى يرى ما تحت ابطيه منهما كفيه جاعلا بطنهما نحو السماء فهو مروي اي عن انس
كان عليه السلام يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه في الدعاء متفق عليه لكنه مقيد بالاستسقاء وعن ابن
عباس كان عم اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه الطبراني في الكبير بسند ضعيف وعن
عمر كان عم اذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه الترمذي وقال غريب والحاكم
في المستدرك وسكت عليه وورد ان الله تعالى يستحيي ان يردهما صفرا بكسر الصاد اي خاليا عن سلمان
ان ربكم حيي كريم يستحيي من عبده اذا رفع يديه ان يردهما صفرا ابو داود والترمذي وحسنه و
ابن ماجه والحاكم وقال اسناده صحيح على شرطهما دون العين اي لا يرفعها الى السماء حال الدعاء
فهو منهي عنه عن ابي هريرة مرفوعا لينتهين اقوام عن رفع ابصارهم الى السماء عند الدعاء او لتخطفن
ابصارهم رواه مسلم ولا يبالغ في رفع صوته لما روى ابو موسى الاشعري قال قدمنا مع النبي عم فلما دنونا
من المدينة كبر وكبر الناس ورفعوا اصواتهم فقال يا ايها الناس ان الذي تدعون ليس باصم ولا غائب ان
الذين تدعون بينكم وبين اعناق ركابكم كذا في الاحياء قال العراقي حديث ابو موسى يا ايها الناس ان
الذين تدعون ليس باصم ولا غائب متفق عليه مع اختلاف واللفظ الذي ذكره المص لابي داود وعن
عبد الله بن مغفل مرفوعا سيكون قوم يعتدون في الدعاء وفي رواية والطهور ابو داود وابن ماجه
وابن حبان والحاكم ويؤيده قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين وورد اذا
احب الله عبدا ابتلاه الله حتى يسمع تضرعه وفي لفظ صوته ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث
انس فالاخفاء في الدعاء افضل لتلك الآية ولقوله تعالى ثناء على زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا ويفتتح
اي يبتدأ الدعاء بالتحميد كما في سورة الفاتحة وقع الثناء قبل الدعاء وقال سلمة بن الاكوع ما سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الا استفتحه وقال سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب احمد والحاكم وقال
صحيح الاسناد والصلوة اي على النبي عليه السلام فورد من حديث فضالة بن عبيد قال سمع رسول الله عم
رجلا يدعو في صلوته لم يحمد الله ولم يصل على النبي عم فقال عليه السلام عجل هذا ثم دعاه فقال
اذا صلى احدكم فليبدأ بتمجيد ربه والثناء ثم صلى على النبي عم ثم يدعو بما شاء رواه الجماعة وورد
فاذا سألتم الله حاجة فابدؤوا بالصلوة فان الله تعالى اكرم من ان يسأل الحاجتين فيقضي احدهما ويرد

تمجيد ط

الاخرى

الاخرى رواه ابو طالب المكي كذا في الاحياء وقال العراقي لم اجده مرفوعا وانما هو موقوف على ابي
الدرداء ويختم اي الدعاء بهما اي بالحمد لقوله تعالى واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين وبالصلوة
لكونهما مقبولين فلا يرد حاجة في البين قال ابو سليمان الداراني من اراد ان يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلوة
على النبي عليه السلام ثم يسأل حاجته ثم يختم بالصلوة عليه فان الله تعالى يقبل الصلوتين وهو اكرم ان يدع ما بينهما ويقدم
على دعائه ربنا اي ربنا ما ربنا خمسا فورد فيه اي في حق تقديم ربنا خمسا قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا
الى قوله فاستجاب لهم ربهم وحاجة اي ويقدمها على حاجة الدنيا لقوله عليه السلام لا تجعل الدنيا اكبر
همنا المشايخ النجاح اي الفوز والفلاح ويجتنب الجهر والمخافتة اي بل يجعل دعاءه وسط الحالتين فورد
ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها اي بدعائك كما قالت عائشة رضي الله عنها وهو متفق عليه وتمام الآية
وابتغ بين ذلك سبيلا لكن الظاهر ان المراد بصلاتك بقرائتك فيها كما تقدم وهو اما في التهجد
والمعنى لا تجهر بصلاتك على الدوام ولا تخافت بها في تمام الآية وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجعل
بعض الصلوة كالصبح والعشائين والجمع والتراويح وبعضها سرية كالظهر والعصر وسائر النوافل
وكان عليه السلام اذا قرأ من الليل رفع طورا وخفض طورا ابو نصر عن ابي هريرة ولا يتكلف بالسجع في
الدعاء فان حال الداعي ينبغي ان يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه فورد اياكم والسجع في الدعاء وتمام
بحسب احدكم ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب
من قول وعمل وهو غريب بهذا السياق والبخاري عن ابن عباس وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فاني
عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه لا يفعلون الا ذلك اي عدم تكلف السجع ثم المنع انما هو التكليف
في السجع بخلاف ما اذا ورد على مقتضى الطبع والا ففي الادعية المأثورة على لسان صاحب الشرع جاءت
كلمات متوازنة مؤتلفة الا انها غير متكلفة كقوله عم اللهم ذا الحبل الشديد والامر الرشيد اسألك الامن
يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود انك رحيم
ودود وانك تفعل ما تريد الترمذي من حديث ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة
حين فرغ من صلوته فذكر حديثا طويلا من جملته هذا وقال حديث غريب وكقوله اللهم اني اعوذ بك
من علم لا ينفع وعمل لا يرفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع احمد وابن حبان والحاكم عن انس وزيد في
رواية ومن هؤلاء الاربع وكقولهم اللهم استر عوراتنا وامن روعاتنا احمد في مسنده عن ابي سعيد
مرفوعا والاولى ان يقتصر على المأثور لئلا يسأل ما لا صلاح فيه فانه اذا جاوزه قد يعتدي فيسأل ما لا
يقتضيه مصلحته فما كل احد يحسن في دعوته ولذا روي عن معاذ ان العلماء يحتاج اليهم في الجنة اذ يقال لاهل
الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا الدعاء من العلماء ولانه عم تعليما للامة الكرام بما ترك
شيئا من عبوديته الا دعا به وطلبه ولا امرها بالاستعاذة وتعوذه وقد جمعت الدعوات المصطفوية في

الاخرى ح

وجميع الدعوات القرانية وسميت بالحزب الاعظم والورد الافخم ويتضرع اي بالاستكانة والتذلل عنده ويخفي
اي الدعا عن غيره فورد ادعوا ربكم تضرعا وخفية والتعميم علي الذكر لانه احد انواعه وقد ورد واذكر ربك
في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول وفي الحديث خير الذكر الخفي ويحقق الاجابة اي في اجابة الدعا
لحديث لا يقل احدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ليعزم المسئلة فانه لا مكره له متفق عليه من
حديث ابي هريرة ولحديث اذا دعا احدكم فليعظم الرغبة فان الله تعالى لا يتعاظمه شيء رواه مسلم من حديث ابي هريرة
فورد ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة تمام واعلموا ان الله لا يستجيب دعا من قلب غافل الترمذي من حديث
ابي هريرة وقال غريب والحاكم وقال مستقيم الاسناد وقال سفيان بن عيينة لا يمنعن احدكم من الدعاء
ما يعلم من نفسه فان الله عز وجل اجاب دعاء شر الخلق ابليس اذ قال رب انظرني الي يوم يبعثون قال
انك من المنظرين وما احسن من قال من اهل الحال لو كان فيه خير لما قال انظر الي مكان انظرني ويلح اي يكرر
الدعا فورد ان الله يحب الملحين في الدعاء الحكيم وابن عدي والبيهقي عن عايشة واما ما ورد من
حديث ان الله يبغض السائل الملحف فمحمول علي مصالح الخلق لمخالفة كلام الحق في مدح الضعفا لا يسئلون
الناس الحافا واقله التثليث فعن ابن مسعود كان عليه السلام اذا دعا دعا ثلثا واذا سال سال ثلثا
رواه مسلم واصله متفق عليه ولا يستعجل بان يستبطي الاجابة فورد يستجاب لاحدكم ما لم يعجل ثم يقول
قد دعوت فلم يستجب لي متفق عليه من حديث ابي هريرة وقال بعضهم اني اسئل الله تعالى منذ عشرين سنة
حاجة وما اجابني وانا ارجو الاجابة سالت الله ان يوفقني لترك ما لا يعنيني وقد ورد اذا سال
احدكم ربه مسئلة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن ابطا عنه من ذلك شيء
فليقل الحمد لله علي كل حال البيهقي في الدعوات من حديث ابي هريرة والحاكم نحوه من حديث عايشة رضي الله عنها
مختصرا باسناد ضعيف والبيهقي في كتاب الضعفا من حديث حبيب بن ابي قال ثنا شيخ لنا ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا جاءه شيء يكرهه قال الحمد لله علي كل حال واذا جاءه شيء يعجبه قال
الحمد لله المنعم المتفضل الذي بنعمته تتم الصالحات ولا بذكر الطاعة اي الطاعة السابقة عند الدعوة
فهو يورث العجب اي المقام يقتضي المذلة فيه نظر اذ جعل مناط الحصر من اداب الدعاء تقديم عمل
صالح كما في حديث ابي بكر رضي الله عنه في صلوة التوبة رواه الاربعة وكذا ذكر عمل صالح عند الشدة
ويدل عليه حديث الشيخين عن ابن عمر مرفوعا قال بينما ثلثة نفر يتماشون اخذهم المطر فالووا الي غار
في الجبل فانحطت علي فم غارهم صخرة من الجبل فاطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض انظروا اعمالا
عملتموها لله تعالى صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها فقال احدهم الحديث الطويل ولا المعصية اي ولا
يذكرها فهو ينفي الايقان اي بالاجابة ولو كان في حيز الامكان والاولى انه يذكرها ويتوب منها
ويستغفر عنها ليكون ادعى الي الاجابة كما سياتي اليه الاشارة وقد تقدم ايضا في طي العبارة وجاء

مطلب الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

النذر اي في

النذر اي في الخفا والسر بان يقول مثلا ان استجاب الله دعائي فلله علي ان اصلي كذا وكذا ونحوه اي
القصة مريم رضي الله عنها حيث قالت امراة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل
مني انك انت السميع العليم الاية وحيث قالت مريم اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا
ولقوله تعالى في وصف الابرار يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام
علي حبه مسكينا ويتيما واسيرا الاية والاضطرار عطف علي الرجاء ويحقق الاضطرار وهو اظهار كمال
الاحتياج والافتقار فورد امن يجيب المضطر اذا دعاه وعمومه الكفار والاصل اي في قبول الاجابة التوبة
اي حصولها بان يجتنب الحرام في ماكله ومشربه وملبسه ومكسبه لما رواه الترمذي عن ابي هريرة يرفعه ثم
ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الي السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام فاني
يستجاب لذلك ورد المظالم فانه من اركان التوبة وقال سفيان الثوري بلغني ان بني اسرائيل
قحطوا سبع سنين حتى اكلوا الميتة من المزابل واكلوا الاطفال وكانوا كذلك يخرجون الي الجبال يبكون
ويتضرعون فاوحى الله عز وجل الي انبيائهم لو مشيتم الي باقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ ايديكم عنان السماء
وتكل السنتكم عن الدعا فاني لا اجيب لكم داعيا ولا ارحم منكم باكيا حتى تردوا المظالم الي اهلها ففعلوا فمطروا
من يومهم وتوجيه الهمة اليه اي تخليص قصد القلب الي جانب الرب وعدم الالتفات الي ما سواه في المطلب فان
همة الرجال تهدم الجبال بل هو من اركان الدعا وقال تعالى فادعوا الله مخلصين له الدين وقال تعالى فاذا ركبوا في
الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فالنافع اي من الدعاء ولو كان من المأثور عن الحضور اي مع الله في مجلس
الانس والسرور اذ المقصود من الدعاء الانس به تعالى الموجب للنور في الصدر واما الحضور والقصور وسائر
انوار الحبور فالالتفات اليها نوع من التقصير والقصور وبه اي بالانس في حضرة القدس يرجى حسن الخاتمة
اي الخاتمة الحسنة التي مدارها علي العناية السابقة كما يشير اليه قوله سبحانه وتعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
ويلازمه اي يلازم مطلق الدعاء في الرخاء اي في حالة النعماء والالاء ليندفع البلاء اي في السراء والضراء
فورد من سره ان يستجيب الله تعالى له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء الترمذي عن ابي هريرة
والحاكم عن سلمان وقال صحيح الاسناد وروى البيهقي والخطيب عن جابر مرفوعا الدعا بارك الله في حاجة
اكثر الدعاء فربما اعطيها او منعها او يرغب في دعاء ذي فضيلة دينية من العلماء الاعلام والمشايخ الكرام
والامام العادل للانام فورد ثلثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حين يفطر ودعوة المظلوم
والبيهقي عن ابي هريرة ثلثة لا يرد الله دعوتهم الذاكر الله كثيرا والامام المقسط والمظلوم وقد ثبت
انه عليه السلام قال لعمر حين اعتمر شاركني في دعائك يا اخي وروى مسلم من حديث عمر انه قال لاويس القرني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ياتي عليكم اويس بن عامر مع امداد اهل اليمن من مراد ثم
من قرن كان به برص فبرئ منه الا موضع درهم له والدة هو بها بر لو اقسم علي الله لابره فلو استطعت

يا رب ثم

مطلب دعاء المظلوم

ان يغفر فافعل فاستغفر لي ثم استغفر له ويتقي دعاء المظلوم فورد اتقوا دعوة المظلوم فانها
تحمل على الغمام يقول الله عز وجل وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين الطبراني في الكبير والضياء
عن خزيمة بن ثابت والحاكم عن ابن عمر اتقوا دعوة المظلوم فانها تصعد الى السماء كانها شرار احمد
والطيالسي من حديث ابي هريرة دعوة المظلوم مستجابة وان كان فاجرا ففجوره على نفسه واسناده حسن
والظاهر ان المراد بالفاجر الفاسق ويحتمل ان يكون المراد به الكافر لما في رواية ولو كان كافرا رواه احمد
وابو يعلى والضياء عن انس اتقوا دعوة المظلوم وان كان كافرا فانه ليس دونها حجاب ولابن حبان
من حديث ابي ذر الغفاري قلت يا رسول الله ما كانت صحف ابراهيم قال كانت امثالا كلها ايها الملك
المسلط المبتلى المغرور اني لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم
فاني لا اردها وان كانت من كافر ولا يدعو على احد لئلا يهلك بسبب دعائه احد ولو كان ظالما
لقوله تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله فالكل ماجور اي والعالم في الكل ماجور ومنها اي من

مطلب من الاوراد التفكر

جملة الاوراد التفكر فورد يتفكرون في خلق السموات والارض اي في مخلوقاتهما وفي كيفية ايجادهما
وابقائهما باعدادهما وعن عم ويل لمن قراء هذه الآية ولم يتفكر تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة
ذكره الفاكهاني من كلام السري السقطي وقال قال ابن عباس وابو الدرداء فكر ساعة خير من قيام ليلة انتهى
واخرج الديلمي عن انس وفي الجامع الصغير للسيوطي فكر ساعة خير من عبادة ستين سنة ابو الشيخ في
العظمة عن ابي هريرة فقيل هو الذي ينقل من المكاره الى المحاب ومن الرغبة والرهبة الى الزهد
والقناعة وقيل هو الذي يحدث مشاهدة فانها تنتج المراقبة وهو اي التفكر طلب المعرفة بنظر الفكر
اوله التذكر اي اول التفكر تذكر ما نسيه من جهة الغفلة وهو اي التذكر احضار القلب من اضافة البصير
الى فاعل المعارف اي معرفة نعمه الظاهرة والباطنة واعلم ان المواظبة على الاوراد هو الطريق الى الله
للعباد وخواصهم من الزهاد والعباد لان الناظرين بنور البصيرة علموا انه لا نجاة الا في لقاء الله عز
وجل وانه لا سبيل الى اللقاء الا بان يموت العبد محبا له وصار عارفا بمولاه وان المحبة والانس
لا يحصل الا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة على فكر المطلوب وان المعرفة لا يحصل الا بدوام
الذكر والفكر فيه وفي صفاته وافعاله وليس في الوجود سوى ذاته وصفاته وافعاله في مصنوعاته ثم لم
يتيسر دوام الذكر والفكر الا بتوديع الدنيا وشهواتها والاكتفاء منها على قدر البلغة وضروراتها
وكل ذلك لا يتم الا باستغراق اوقات الليل وساعات النهار في وظائف الاذكار ولكن الافكار و
النفس لما جبلت عليه من السآمة والملالة لا تصبر على فن واحد من الاسباب المعينة على الذكر والفكر
بل اذا ردت الى نمط واحد من الافعال والاحوال اظهرت الملال والاستثقال وقد ورد بان الله
تعالى لا يمل حتى تملوا فمن ضرورة التلطف بها ان تروح بالتنقل من فن الى فن ومن نوع الى نوع بحسب كل وقت

من اصل وفرع

من اصل وفرع لتكثر بالانتقال لذتها وتعظم بالله رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها ولذلك
قال القائل من ذوي الفضائل لا يصلح النفس اذا كانت مدبرة الا التنقل من حال الى حال وهذا طبع
البشر فاصله امتلاء لا يتغير واما الملائكة فهم لا يسامون فكل جمع منهم على طاعة مستمر وله ولذا ينقسم الاوراد
بقسمة مختلفة لاوقاتها وحالاتها والذكر والفكر ينبغي ان يستغرقا جميع الاوقات واكثرها فان النفس
بطبعها تميل الى ملاذ الدنيا والبطالة فان صرف العبد شطر اوقاته مثلا الى تدبير الدنيا وشهواتها
والشطر الاخر الى العبادات ويحسن حالاتها رجح جانب الميل الى الدنيا لموافقتها الطبع والهوى اذ الوقتان
متساويان فاني يتقاومان فالطبع لاحدهما مرجح لا محالة اذ الظاهر والباطن يتساعدان على امور
الدنيا ويتباعدان عن طريق العقبى فمن اراد ان يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق اوقاته في الطاعة
وقال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون
وورد حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وقال تعالى كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ومن اراد ان
يترجح كفة حسناته ويثقل ميزان خيراته فليستوعب في الطاعة اكثر اوقاته فان خلط عملا صالحا واخر
سيئا فامره مخطر ومقطع ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر متوقع فعسى الله ان يغفر له بجوده
وكرمه ولطفه وحلمه وجدواه العلم اي ثمرة الفكر وفائدته ونتيجته ثلاثة مرتبة وهي العلم والحال والعمل فهذا نتيجة
وله وهو اي العلم حصول المعرفة المثمر للحال وهو اي الحال تأثر القلب المثمر للعمل وهو اي العمل خدمة الجوارح اي
الاعضاء في الطاعة وتوضيحه ان ثمرة الفكر ثلاثة العلم والحال والعمل ولكن ثمرته الخاصة هي العلم نعم اذا
حصل العلم في القلب تغير حال القلب واذا تغير حال القلب تغير عمل الجوارح فالعمل تابع للحال والحال تابع
للعلم والعلم تابع للفكر فالفكر اذا هو المبدأ والمفتاح للخيرات وهذا يكشف لك عن فضيلة الفكر
وانه خير من الذكر لان في الفكر ذكرا وزيادة وذكر القلب خير من عمل الاركان ومجراه اي مجرى التفكر
ومسراه شيئان اما المعاملة وهو مبدأ السلوك في طريق المجاهدة وحقه اي حق التفكر في المعاملة الظاهرة
ان يبدأ اي يبتدأ بالنظر والتأمل في معاصيه الظاهرة واحدا بعد واحد ويتفكر في كل هل هذا المحظور
اي حرام او مكروه ثم هل يوجد فيه اي المحظور المذكور ثم ما التدبير في دفعه بالسعي المشكور ثم في
طاعته اي وبعد ذلك يتفكر في انواع طاعته الظاهرة ويتأمل في كل فرد منها هل هذا مندوب اي
مستحب او سنة مؤكدة او واجب او فرض محتم ثم هل هذا مقدور اي متصور له بانه يستطيع في
تحصيله من الزكاة والحج ونحوهما المستغني عن تفصيله ثم في الباطن كذلك اي بعد ذلك يتفكر في المعاصي الباطنة
من الاخلاق الردية والاحوال الدنية هل شيء منها يوجد فيه وما علاجه واخراجه حيث يدافع المقصود
وينافيه وكذا في الطاعات الباطنية من الشمائل الرضية والفضائل البهية نفيا واثباتا واما المكاشفة
عطف على المعاملة اي مجراه الاعلى الامور المكاشفة المتعلقة بالمولى فهو اي التفكر الموجب للمكاشفة اما في

في اسمائه الحسنى وصفاته العلى الواردة في الكتاب والسنة وملكوت السموات والارض اي وبواطنها
المملوة من العجايب والغرايب في الطول والعرض اما الذات المقدس فلا سبيل اليه الا بذكره لقوله تعالى
ولا يحيطون به علما وقال كل ما خطر ببالك فالله وراء ذلك وقال تعالى وعلا ليس كمثله شيء وقال
بعضهم كل اسم للخلق الا اسم الله فانه لمجرد التعلق وورد لا تفكروا في ذات الله تعالى ابن ابي شيبة
في كتاب العرش عن ابن عباس موقوفا وابو نعيم في الحلية عنه مرفوعا تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في
الله ذكره الزركشي وفي رواية تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله وهو موقوف على ابن عباس وسنده
جيد ذكره العسقلاني في فتح الباري في كتاب التوحيد وفي الجامع الصغير للسيوطي تفكروا في كل شيء
ولا تفكروا في ذات الله فان بين السماء السابعة الى كرسيه سبعة الاف نور وهو فوق ذلك ابو
الشيخ في العظمة عن ابن عباس وفي رواية له عن ابي ذر بلفظ تفكروا في خلق ولا تفكروا في الله
فتهلكوا وله ايضا عن ابن عباس تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانكم لا تقدرون قدره ايماء الى
الى قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته وما عظموه حق عظمته وفي رواية تفكروا في
الاء الله ولا تفكروا في الله ابو الشيخ والطبراني في الاوسط وابن عدي والبيهقي عن ابن عامر وابو
نعيم في الحلية عن ابن عباس ولفظه تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله والعقل يعجز عنه اي عن ادراك
ذاته سبحانه عجز الخفافيش عن ضوء النهار اي لضعف بصر الخفاش وقوة نور الشمس فهو عز وجل من غاية
نوره مختفي عن ظهوره ومن هنا قيل العجز عن درك الادراك ادراك وحقايق الصفات كذلك اي لا يدرك
كنهها هنالك فلا يطيقه الا الخواص من الانبياء وكمل الاولياء احيانا في اعلام اتباع مقامهم ولا يذكر
للعوام الا على قدر افهامهم لتقييدهم بتصور اشكالهم وامثالهم في عقولهم واوهامهم فعلى العبد اي
اذا عرفت انواع العبادة الثالث طريق الارادة ان يديم العبادة بالصلوة والتلاوة ظاهرا و
باطنا بالذكر والفكر ويترك المألوف والعادة ليتحصل محبته تعالى اذ هي اهم من المطلوبات واتم من
المقصود او قد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الاية وعن عايشة من عوده
الله عبادة فتركها مللا لا مقته الله رواه ابن السني في رياضة المتعبدين موقوفا عليها قال الغزالي
وتحقيق هذا الجزاء مقت الله فتركه ملالة فلولا المقت والابعاد لما سلطت عليه الملالة ففي النهار
يشتغل بالاذكار والافكار بعد الفجر اي ظهور الصبح والاسفار الى الاشراق اي طلوع الشمس وضوء
النهار لقوله تعالى يسبحن بالعشي والاشراق لا زمانا ومكانا وملازمة الاذكار الا اذا خاف الرياء في عبادة
ربه تعالى والتشويش اي تشويش الخاطر من الخلق المانع من الحضور مع الحق هنالك فيخرج ويلزم
زاوية اي محلا لذلك فكانوا اي السلف يبالغون في رعايته اي مراعاة هذا الوقت ويصبرون لسنتهم
فيه اي بكلام الدنيا ويحوقون بالمقت وورد انه اي احياؤه احب من عتق اربع رقاب من ولد

اسمعيل بفتح الواو واللام وبضم وسكون اي اولاده واحفاده من العرب وبعد العصر الى
المغرب كذلك اي ويشتغل بعد اداء العصر الى غروب الشمس كما ذكره هنالك واصل الحديث لان
اقعد مع قوم يذكرون الله من صلوة الغدوة حتى يطلع الشمس احب الي من ان اعتق اربعة من ولد اسمعيل
ولان اقعد مع قوم يذكرون الله من صلوة العصر الى ان تغرب الشمس احب الي من ان اعتق اربعة ابو داود بسند
حسن عن انس وفي رواية له لان اقعد في مجلس اذكر الله فيه من صلوة الغدوة الى طلوع الشمس احب
الي من اعتق اربع رقاب وروى احمد ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه عن جابر بن سمرة انه عم
كان اذا صلى الغداة جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس وفي رواية للترمذي عن انس من صلى الفجر في
جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت كاجر حجة تامة تامة تامة وكان تعظيمهم
اي السلف اياه اي بعد العصر اكثر من تعظيم ما بعد الفجر اذ هو وقت الغفلة وبعد وجود المعصية والحد
الاعمال بالخواتيم فينبغي قيام بالاستغفار ودوام بالاذكار والافكار ومحاسبة ما جرى له من اعمال
النهار فعن الحسن كانوا اشد تعظيما للعشي منهم لاول النهار وقال بعض السلف كانوا يجعلون اول النهار
للدنيا واخره للعقبى فليشكر الله على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره فليشتغل بتداركه تقصيره في امره وليحضر
في قلبه ان نهار العمر له انتهاء تغرب فيه شمس الحيوة ولا يكون لها بعدها طلوع وابتداء وعند ذلك يغلق
باب التدارك والاعتذار فليس العمر الا اياما معدودة تنقضي لا محالة جملتها بانقضاء احادها والحد و
وورد في تخصيص فضل هذين الوقتين واذكر اسم ربك بكرة واصيلا اي صبحا وعشيا وسبح بحمد ربك
قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وقال تعالى واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار اي اطراف النهار يا ابن
ادم اذكرني بعد صلوة الفجر وبعد صلوة العصر ساعة اكفك مؤنة ما بينهما ابن المبارك في الزهد هكذا مرسلا
عن الحسن ويقرأ المسبعات العشرة في الوقتين المذكورين ففيه فضل كثير كما ذكر في الاحياء لكن قال
العراقي حديث كرز بن وبرة عن رجل من اهل الشام عن ابراهيم التيمي ان الخضر علمه المسبعات العشر و
قال في اخرها اعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم ليس له اصل لم يصح في حديث قط اجتماع الخضر بالنبي عم
ولا عدم اجتماعه ولا حياته ولا مماته انتهى والعشرة هي الفاتحة والمعوذتين والاخلاص والمعوذتين
واية الكرسي والصلوة على النبي عليه السلام واللهم اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات وسبحان الله و
الحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واللهم افعل بي وبهم عاجلا واجلا
في الدين والدنيا والاخرة ما انت له اهل ولا تفعل بنا وبهم يا مولينا ما نحن له اهل انك غفور حليم جواد
كريم رؤوف رحيم كل واحدة من العشرة يقرأها سبع مرات وكذلك اي يشتغل بالعبادة ما بين الاشراق وهو
اول طلوع الشمس والضحى وهو الضحوة الكبرى وهو الوقت بالتحقيق الاخرى ثم فيه تفصيل بالنسبة الى اهل
الارادة اذ كان مجردا لها اي للعبادة يشتغل بما سبق من العبادات يعني التلاوة والذكر والصلوة ونحوها

علم فضيلة صلوة الاشراق

علم فضيلة التسبيحات العشر

علم مبادرة الاذكار والعبادة بعد صلوة الصبح وبعد العصر واول النهار

من العلماء اي ينتقل حال او بدا اشتهاء الى او بداءة انتقال من نوع عبادة الى اخرى على وجه صلاح قلبه
في ايمانه او الحوائج في الدنيا والاخرى وانما استقراره في تلك الحالة قطعا للملالة ودفعا للكسالة
ورفعا للبطالة فورد عليكم من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا الطبراني عن عمران بن حصين
فقد كان في الصحابة من ورده في اليوم اثنى عشر الف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلاثون الفا وكان فيهم من
ورده ثلاثمائة ركعة الى ستمائة والى الف ركعة واقل ما نقل من اورادهم في الصلوة مائة ركعة في اليوم
والليلة وكان بعضهم اكثر ورده القرآن فيختم في اليوم مرتين او مرة وكان بعضهم يقضي اليوم والليل في التفكر
في آية واحدة وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة ويطوف في كل يوم سبعين اسبوعا وفي كل ليلة سبعين اسبوعا
وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم والليلة مرتين فحسب ذلك عشرة فراسخ ويكون مع كل اسبوع ركعتان
وذلك مائتان وثمانون ركعة وختمتان والافضل قراءة القرآن في قيام الصلوة اي ليلا ونهارا
فيه اي في جمعها تحصل الصلوة والتلاوة والتعلم اي تفهم المبنى وتصور المعنى والحضور مع المولى
والذكر اي انواع الذكر واصناف الفكر في الهيئات المختلفة والحالات المؤتلفة وهذا في حق المنتهي واما
المبتدي ففي حقه دوام الذكر المجرد افضل والقراءة بالنسبة الى المتوسط امثل على ما قال عارف
السهروردي في المعارف وبغيره اي ويشتغل بغير ما سبق ايضا من الحسنات كعيادة المريض لا سيما الفقير
والغريب وتشييع الجنازة خصوصا للعلماء والاولياء واعانة المسلم وحضور مجلس العلم فهي عبادات واعانة
في الامر المهم وكانوا يفعلونها ما بين الاشراق والضحى اي في غالب احيانهم وعرف اهل زمانهم وان لم يكن اي
السالك متجردا للعبادة فالعالم والمتعلم يشتغل بالعلم اي يشتغلان بتعليم وتعلم فهو رداءة اي الاشتغال
بالعلم افضل من صلوة الف ركعة وشهود الف جنازة وعيادة الف مريض وقراءة القرآن وتقدم ان
هذا الحديث لا يصح فالاولى ان يستدل بنحو فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم ثم قراءة القرآن انما
تقدم من العبادة اذا كانت بمجرد التلاوة اما تعلم وما يتعلق به من انواع القراءة فهو من افضل العلوم
فان شرف العلم بشرف المعلوم غير ان المراد اي المقصود هنا بالعلم علم الآخرة اي علم ينفع في الآخرة كالكتاب
والسنة الفاخرة لما سبق في المقدمة من تقسيم علماء الدنيا وعلماء الآخرة وان غير علم الآخرة يقسي
القلوب فضلا عن حصول الثواب ووصول القرب فيتفكر اي كل من العالم والمتعلم في حل المشكل بعد
الاشراق او قبل بعد اداء الفجر فانه افضل بالاتفاق فالقلب فيه اي في صدر النهار اصفى ابعد من
الاكدار لكونه بعد الذكر اي بعد وقوع الصلوة والاذكار قبل عمل الدنيا وما يتعلق بهذه الدار
المشتملة على انواع من الاوزار وقد ورد اللهم بارك لامتي في بكورها والمشتغل بامور الناس
اي بمهم المسلمين كالقاضي والوالي وهو الامام والمتولي وكذا المدرس والمفتي او امور نفسه
كالمكاسب ونحوه يشتغل بتلك الامور مراعيا بشروطها كما هو المشهور وقد قيل لا ينبغي ان يوجد

مقدار أوراد الصلحاء في اليوم والليلة

فكان ج

متدبرا

مطلب كون اشتغال العلم افضل من ثلاثة الاف عبادات كالصلاة وشهود الجنازة وعيادة المريض

المؤمن

المؤمن الا في ثلثة مواطن مسجد يعمره او بيت يستره او كسب لا بد منه فيحضره ذاكرا في اثنائها لقوله تعالى
رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الآية محصل قلبه مراعيا به قام كسبه على الحاجة اي عند الضرورة
لمن ام المعيشة من النفقة الا اي لكنه يجوز له الزيادة للتصدق اي لاجل ان يتصدق على ذي الحاجة ففيه
هو اي الكسب للتصدق احب من الذكر لانه اي نفقة التصدق متعد للغير والذكر قاصر ثوابه على الذاكر و
قيل الذكر هو الافضل من التصدق هذا هو الظاهر فقد ورد لو ان رجلا يقسم دراهم والاخر يذكر لكان الذاكر
ثم افضل ولقول عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر تركك للدنيا ابر وقد اتفق المشايخ على ان الفقير
الصابر افضل من الغني الشاكر والاولى النظر الى صلاح القلب اي والهام الرب فقد يصلح للواحد الكسب
للتصدق فيكون اولى في حقه من الذكر وللاخر الذكر فيكون اولى من الكسب للتصدق ويشير اليه قوله تعالى
ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا وحديث ان من عبادي من
لا يصلحه الا الغنى ولو افقرته لفسد احواله وان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لفسد
حاله ومن هنا قال عمر رضي الفقر والغنى مطيتان لا ابالي ايهما اركب لكن الفقر اسلم والله اعلم
ويديم الورد فورد احب الاعمال ادومها وان قل متفق عليه من حديث عائشة بل يزيد اي المريد في الورد
ان كان من اهل المزيد كمية او كيفية فورد لا بورك لي في يوم لا ازداد فيه خيرا اي علما وعملا والحديث كذا
في الاحياء قال العراقي ورد علما بدل خيرا قلت واصل الحديث على ما في الجامع الصغير اذا اتى على يوم لا
ازداد فيه علما يقربني الى الله فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم الطبراني في الاوسط وابن عدي وابو
نعيم في الحلية عن عائشة رضي ويجمع في يوم واحد بين الصوم والصدقة والعيادة والتشييع فورد من جمعها
في يوم غفر له او دخل الجنة شك من الراوي قال العراقي حديث من جمع بين صوم وصدقة وعيادة مريض
وشهود جنازة غفر له وفي رواية دخل الجنة مسلم من حديث ابي هريرة ما اجتمعن في امرئ الا دخل الجنة
انتهى وفي الجامع الكبير للسيوطي عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم من اصبح اليوم منكم صائما
قال ابو بكر انا قال من عاد منكم اليوم مريضا قال ابو بكر انا قال من شيع منكم اليوم جنازة قال ابو بكر انا
قال وجبت لك الجنة رواه ابن النجار ليس فيه ذكر الصدقة ولعله في رواية اخرى او سقط من الكاتب وفي
الجامع الصغير من اصبح يوم الجمعة صائما وعاد مريضا وشهد جنازة وتصدق بصدقة فقد اوجب البيهقي عن
ابي هريرة وفي رواية له ولابن عدي والبخاري في تاريخه من اصبح يوم الجمعة صائما وعاد مريضا واطعم مسكينا
وشيع جنازة لم يتبعه ذنب اربعين سنة اما في الليل اي في ورده فالاحوط ان يوتر اي يصلي الوتر قبل النوم
فيحتمل ان لا يستيقظ اذ النوم اخ الموت او يستيقظ ويكره القيام لاستثقال المنام فيتحكم الموت ولو ادركه
لذهب اي بالوتر فيكون اما في الفوت وفيه اي وفي تقديم العمل قصر الامل في التاخير آفات لاحتمال قرب
الاجل قال ابو هريرة اوصاني خليلي ان اوتر قبل ان انام متفق عليه والاقوى الافضل والاولى ان يوخر الوتر لمن

بيان من جمع بين العبادة الاربع غفر له ودخل الجنة

اوراد الليل

بالف آية صناد وشق القيام بعد المنام وقد قالت عائشة رضي الله عنها اوتر عليه السلام اول الليل ووسطه
وآخره فانتهى في وتره الى السحر متفق عليه ويقرأ يس في كل ليلة والافضل في التهجد فلابن حبان من حديث
جندب من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له ولابي منصور الغزنوي من حديث علي يا علي اكثر من قراءة يس الحديث
وسجدة الاولى والسجدة فللترمذي من حديث جابر كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده
الملك ولقمان لم اجده وكذا في الاحياء لم يذكره والدخان فللترمذي من حديث ابي هريرة رضي الله عنه من قرأ حم
الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك والملك وقد سبق ولابي الشيخ في الثواب من حديث عائشة
من قرأ في ليلة الم تنزيل ويس وتبارك الذي بيده الملك واقترب كن له نورا للحديث والزمر فللترمذي
من حديث عائشة كان لا ينام حتى يقرأ بني اسرائيل والزمر وقال حسن غريب والواقعة فللحارث بن ابي
اسامة من حديث ابن مسعود من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا والمسبحات اي السورة
المصدرة بالتسبيح وهي الحديد والحشر والصف والجمع والتغابن والاعلى وقال حسن وابو داود والنسائي
في الكبرى من حديث عرباض بن سارية كان يقرأ المسبحات في كل ليلة ويقول فيهن آية افضل من الف آية وينام
اي بعد القيام عند الغلبة اي غلبة النوم فهو المأثور فقد روى ابو داود والنسائي من حديث عائشة ما من
امرئ يكون له صلاة بالليل يغلبه عليها نوم الا كتب له اجر صلاته وكان نومه صدقة عليه وفي رواية
للنسائي وابن ماجه من حديث ابي الدرداء بسند صحيح من اتى فراشه وهو ينوي ان يقوم يصلي من الليل فغلبته
عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله وورد كانوا من الليل قليلا اي من زمانه
ما يهجعون اي يرقدون فيه او كانوا ما يرقدون قليلا من الليل فاخر مراعاة للفواصل او كانوا
قليلا من عبادنا ما يرقدون او من الليل اي بعضه او كله وقيل ما زائدة ويهجعون خبر كان وقيل ظرف اي
لا ينامون في زمن يسير من الليل ويقومونه اكثره والآيات والاخبار والآثار في احياء الليل كثيرة شهيرة
منها سورة مزمل وقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية وفي الحديث عليكم بقيام الليل فانه دأب
الصالحين قبلكم الترمذي من حديث بلال والطبراني والبيهقي من حديث ابي امامة بسند حسن وعن المغيرة بن شعبة
قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه فقيل له يا رسول الله قد غفر الله لك من ذنبك ما تقدم وما تأخر فقال افلا
اكون عبدا شكورا للترمذي في الشمائل واصله في الصحيحين وذكر عنده رجل نام حتى اصبح ما قام الى الصلوة
فقال ذاك بال الشيطان في اذنه متفق عليه من حديث ابن مسعود ولا يصلي بعدها اي بعد غلبة النوم فورد حين قيل
ان فلانة تصلي من الليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل ليصل احدكم من الليل ما تيسر فاذا غلبه النوم
فليرقد فقد ورد قيام عم اول الليل الى ان يغلبه النوم فاذا انتبه قام فاذا غلبه النوم عاد الى النوم
فيكون له في الليل نومتان كذا في الاحياء قال العراقي رواه ابو داود والترمذي وصححه وابن ماجه من
حديث ام سلمة كان يصلي وينام قدر ما صلى ثم يصلي قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح وللبخاري

بان كون النوم صدقة وكان ابن النفع

من حديث

من حديث ابن عباس في العشاء جاء وصلى اربع ركعات ثم نام ثم قام الخ وفي الشمائل عن عائشة انه اذا
لم يصل بالليل منعه من ذلك النوم او غلبته عيناه صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة وفي مسلم عنها انه عليه السلام
كان اذا نام من الليل من وجع او غيره فلم يقم من الليل صلى ثنتي عشرة ركعة في النهار اي تداركا لما فاته من التهجد
لقوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا وفي صحيح مسلم عن عمر رضي الله عنه
قال قال رسول الله عليه السلام من نام عن حزبه من الليل او عن شيء منه فقرأه ما بين صلوة الفجر وصلوة الظهر كان
كمن قرأه من الليل لا مكابدا والليل اي لا تغالبوه فورد ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا
وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة البخاري والنسائي عن ابي هريرة عليكم
هديا قاصدا عليكم هديا قاصدا فانه من يشاد هذا الدين يغلبه احمد والحاكم والبيهقي وفيه اي في التهجد
بعد غلبة النوم التعبد على ملال وجاء اي في ذمه انه اكثر من نفعه اذ ربما يجري على لسانه موجب ذمه
واثمه وتحمل ما لا يطاق اي وفيه تكليف ما لا يستطيع وقد قال تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ولا يكلف
الله نفسا الا وسعها وورد تكلفوا من الدين اي الاعمال ما تطيقون فعن عمران بن حصين عليكم من
الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا الطبراني ويبغض العبادة اي وفيه ابغاضها الى النفس وابغا
في نسخة بالنون والصاد المهملة اي تحريرها اليها في نسخة تحريرها وورد لا تبغض بالتوجيه اليك
عبادة الله لم اجده ويوافقها بق ويجتهد في القيام بعد المنام فورد في نعت عباد الرحمن والذين
يبيتون لربهم سجدا وقياما صل من الليل ولو قدر حلبة شاة رواه ابن ... من حديث ابن عباس في صلوة
الليل مرفوعا نصفه ثلثه ربعه فواق حلب ناقة فواق حلبة شاة ولابي الوليد بن المغيث من رواية اياس
بن معاوية مرسلا لا بد من صلوة الليل ولو حلبة ناقة او حلبة شاة فلا ولي ان يقوم كل الليل اي ان قدر
عليه وفيه انه بظاهره خلاف الكتاب والسنة ومناف لما يقتضيه الحكمة ففي القرآن قم الليل الا قليلا ومن الليل
فتهجد به وفي السنة اني انام واقوم وافطر واصوم ولم يحفظ عنه انه سهر ليلة كاملة في جميع الايام
واما الحكمة فقد جعل الله النوم سباتا اي راحة للابدان ومن رحمته على الانسان كال ومن رحمته جعل
لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا ولعلكم تشكرون وهو اي احياء الليل كله لمن تجرد له اي للقيام
ومنع النفس عن منامه او جعل النوم في نهاره بدلا عن قيامه في مرامه وقوي يقينه اي وصلب دينه
فيتلذذ به ويتغذى اي روحه بسببه فيهون عليه مشقة امره ويحلو عليه مرارة صبره من الاسباب المعينة على
سهره خوف يغلب على قلبه مع قصر امل يحثه على تكثير عمله او رجاء يحمله على تكلفه وتحمله كما قال طاوس
ان ذكر جهنم طير نوم العابدين ويقابله ان ذكر الجنة طير نوم الراقدين كما قال بعضهم انا ذكرت
النار اشتد شوقي ولذي النون المصري شعر منع القرآن بوعده ووعيده مقل العيون
بليلها ان تهجعا فهموا عن الملك الجليل كلامه فرقابهم ذلت اليه تخضعا ومن اشرف البواعث

للحب لهم فانه في قيام لا يتكلم في جوف من كلام الا وهو مناج به حضرة ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر
بقلبه فاذا كمل في محبة ربه احب لا محالة الخلوة وتلذذ له المناجاة بسببه فيتحمل تلك اللذة على طول القيام
ودفع المنام وقال بعض الاعلام ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم
بالليل من حلاوة المناجاة وقال آخر لذة المناجاة ليست من الدنيا وانما هي من الجنة اظهرها الله للاولياء لا
يجدها سواهم وقال علي بن بكار منذ اربعين سنة ما احزنني شيء سوى طلوع الفجر وقال الفضيل اذا غربت
الشمس فرحت بالظلام لخلوتي بربي واذا طلعت حزنت لدخول الناس علي وقال ابو سليمان اهل الليل
في ليلهم الذ من اهل اللهو في لهوهم ولولا الليل ما احببت البقاء في الدنيا وقد كان ذلك طريق جماعة
من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء ومنهم ابو حنيفة امام الفقهاء وهو اي قيام الليل
كله يحكى عن اربعين منهم اي من التابعين قال ابو طالب المكي انه ذلك حكي عن سبيل التواتر والاشتهار
عن اربعين من التابعين وكان فيهم من واظب عليه اربعين سنة منهم سعيد بن المسيب وفضيل وطاوس
ووهب بن منبه والربيع بن خثيم وسليمان الداراني والخواص ومالك بن دينار وسليمان التيمي ويزيد الرقاشي
ويحيى البكاء ومحمد بن المنكدر وكهمس بن المنهال وكان يختم القرآن في الشهر تسعين ختمة وما لم يفهمه رجع
وهذا كاد ان يكون من قبيل خرق العادة من طي اللسان او بسط الزمان والمستغاث ثم النصف اي يقوم
نصف الليل وواظب عليه اي قيام النصف من لا يحصى من السلف ثم الثلث ثم السدس فمن بنيه ابن عباس كان
يقوم اذا سمع الصارخ يعني الديك وهذا يكون السدس فما دونه والحديث متفق عليه وفي الحلم ربما كان عمر
يقوم نصف الليل او ثلثه او سدسه وفي الصحيحين من حديث ابن عباس نام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل
او قبله بقليل او بعده بقليل استيقظ الحديث وهو المطابق لقوله تعالى قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا
او زد عليه والموافق لقوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه فما ثبت انه
قام الثلثين ولابي داود نام حتى اذا ذهب ثلث الليل او نصفه استيقظ الحديث ولمسلم من حديث عائشة
فليبعثه الله ما شاء ان يبعثه من الليل والاحب ان يجعل اي سهره في الجوف اوساط الليل فورد ركعتان
في جوف الليل خير من الدنيا وما فيها ولولا ان اشق على امتي لفرضتهما ادم بن ابي اياس في الثواب ومحمد بن نصر
المروزي في كتاب قيام الليل من رواية حسان بن عطية مرسلا ووصله ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس
من حديث ابن عمر قال العراقي ولا يصح قلت والضعيف يعمل به في الفضائل اتفاقا ثم اي بعد السدس
ركعتان او اربع وكان الاولى ان يقول اربع ركعات او ركعتان ولو قعودا فقد ثبت انه عم ما مات
حتى كان اكثر صلوته من النوافل جلوسا ثم احياء ما بين العشائين فقيل نزل فيه قوله تعالى تتجافى جنوبهم
عن المضاجع وعن محمد بن المنكدر من صلى ما بين المغرب والعشاء فانها صلاة الاوابين وعن ابي هريرة
من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنتي عشرة سنة الترمذي وابن ماجه

مطلب احياء ما بين العشائين صلاة الاوابين

وفي

وفي مسند الفردوس من حديث ابن عباس من صلى اربع ركعات بعد المغرب قبل ان يتكلم احد رفعت
له في عليين وكان كمن ادرك ليلة القدر في المسجد الاقصى ولعل الجمع بين الروايتين ان الاربع يراد به بعد
الركعتين من المؤكدة وورد من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بني له قصر في الجنة فقال عمر اذا تكثر قصورنا
يا رسول الله فقال الله اكثر رواه ابن المبارك في الزهد من رواية عبد الكريم بن حارث مرسلا وقال
الاسود ما اتيت ابن مسعود في هذا الوقت الا ورأيته يصلي فسألته فقال نعم هي صلوة الغفلة وقال احمد
بن ابي الحواري قلت لابي سليمان الداراني اصوم النهار واتعشى ما بين المغرب والعشاء احب اليك او افطر
بالنهار واحيي ما بينهما فقال اجمع بينهما فقلت ان لم يتيسر فقال افطر وصل ما بينهما والقيام قبل الصبح اي
ليدرك احياء بعض الليل من اوله وآخره فقد ورد من صلى العشاء في جماعة فكانما قام نصف ليلة
ومن صلى الصبح في جماعة فكانما صلى الليل كله احمد ومسلم عن عثمان ويروى اي الحديث المنام كلما غلب
والقيام كلما استيقظ وهو افضل مما ذكر من التقدير لانه اشق والحديث فيه قد سبق والمعين عليه
اي على القيام تسعة اشياء ان لا يكثر الاكل فهو سبب كثرة الشرب الفاضي الى كثرة النوم وقد كان بعض
الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة لزيادة الفائدة في امر الدين ويقول يا معشر المريدين لا تاكلوا كثيرا
فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتتحسروا عند الموت كثيرا ولا يتكلف بالنهار في امور يعني بالنون
من العناء او بالياء من الاعياء اي تعب الاعضاء وتضعف الاعصاب الاجزاء وقيل بفتح اوله من
القيلولة فانها من السنن المنقولة والمراد فيها الاستراحة نصف النهار وان لم يكن معها نوم لورود قيلوا
فان الشيطان لا يقيل الطبراني في الاوسط وابو نعيم في الطب عن انس وكان الحسن اذا دخل السوق
فسمع لغطهم ولغوهم ولهوهم يقول اظن ليل هؤلاء ليل سوء فانهم لا يقيلون ولا يذنب اي في النهار
فهو اي الذنب والعصيان سبب الحرمان فينبغي ان يجتنب الاوزار بالنهار حتى يقوم بالليل مع الابرار
قال رجل للحسن يا ابا سعيد اني ابيت معافا واحب قيام الليل واعد طهوري فما لي لا اقوم قال
ذنوبك قيدتك وقال الثوري حرمت قيام الليل خمسة اشهر بذنب اذنبته قيل وما هو ذلك الذنب
قال رأيت رجلا يبكي فقلت هذا مراء وقال ابو سليمان الداراني لا يفوت احدكم صلوة جماعة الا بذنب قال
بعضهم كم من اكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وهو لان الخير يدعو الى الخير والشر
يدعو الى الشر والقليل من كل واحد يجر الى الكثير فكما ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وكذلك
الفحشاء تنهى عن الصلوة بل هذا هو الاكثر وهذه الامور المذكورة من الاسباب الظاهرة التي بها
يتيسر قيام الليل واما الاسباب الباطنة فقوله ويفرغ القلب عن هموم الدنيا فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا
لا يتيسر له القيام بامر العقبى وان قام في بعض الاوقات فلا يتفكر في صلوته الا في تدابير مهماته وفي مثل ذلك
يقال شعر وانت اذا استيقظت ايضا نائم بخلاف العالم فان نومه عبادة ويقظته افادة وزيادة

بيان سبب النوم ومنع القيام

مطلب القيلولة

وكذا نوم الظالم عبادة ويلازم الخوف منه كف اي من مناقشته حسابا ومن اليم عقابه وحجابه من بابه
ويقصر الامل بان ينتظر الاجل ليكثر العمل وبذكر ما ورد في فضله اي في تفضيله القيام من الايات والاخبار
عنه عم وما وعد عليه اي انه يجمع من القربة اليه والمثوبة لديه والاصل اي الذي عليه مدار الاسباب المعينة لكونه
ولا قبال على الامور الزهد في الدنيا والاستعداد للعقبى واستحكام الايمان اي بالعرفان والايقان ليكون
متغذيا به في جميع الازمان وكما للاشباح غداء وعشاء وكذلك للارواح غداء وزاد وفي ابقى
نو ولد رحمته وحصول مغفرته في وقت السحر ونحوه لا يفوته قيام الليل ولا في سفره فقد روى النسائي عن
حميد بن عبد الرحمن ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قلت واني في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
والله لارقبن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر في الافق فقال ربنا ما خلقت
هذا باطلا حتى بلغ انك لا تخلف الميعاد وفي رواية الى اخر السورة ثم استل من فراشه سواكا وتوضا
وصلى حتى قلت صلى مثل ما نام وفي رواية اخذ سواكه من مؤخرة الرحل وهذا صريح في انه كان في سفر ويراعي
وافضل الليالي كالاوتار من العشر الاواخر من رمضان اذ فيها تطلب ليلة القدر كما في الاخبار الكثيرة
والاثار الشهيرة لا سيما السبع والعشرين فان عليه اكثر الصحابة والتابعين والسابعة عشر منه فعن ابن الزبير
انها ليلة القدر وهي صبيحة يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر والاولى من المحرم فانه
شهر الكرم ومبدا العالم المحرم فاسرار البداية تدل على انواع النهاية والعاشرة منه اي من المحرم وهي
ليلة عاشوراء والاولى من رجب وقد كان عم اذا راى هلال رجب قال اللهم بارك لنا في رجب و
شعبان وبلغنا رمضان وبلغني انه شهر الغفران ويقال فيه سبعين مرة استغفر الله ذا الجلال والاكرام من
جميع الذنوب والاثام ثم رايت المتوفي قال وقد افادنا ترغيب الطالب في اشرف المطالب انه راى
بخط الشيخ الحافظ كمال الدين الدميري عن ابن عباس مرفوعا من قال في شهر رجب وشعبان استغفر الله العظيم
الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه توبة عبد ظالم لنفسه لا يملك لنفسه موتا ولا حيوة ولا نشورا
سبع مرات اوحى الله تعالى الى الملكين الموكلين به انحرقا صحيفة ذنوبه ويكفينا في ثبوت وروده اعتنا
الحافظ الدميري بنقله بخطه ساكتا عليه ولو كان موضوعا لبينه فانه امام في هذا الفن اقل مراتبه ان يكون من
الضعيف يعمل به في فضائل الاعمال اتفاقا والخامسة عشر وهي ليلة النصف منه والسابعة عشر والعشرين
منه وفي الاحيا وليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة المعراج وفيها صلوة ماثورة فورد للعامل في هذه الليلة حسنات
مائة سنة فمن صلى اثنتي عشرة ركعة يقرا في كل فاتحة الكتاب وسورة من القران ويتشهد في كل ركعتين ويسلم
في اخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ويصلي على النبي عم مائة
مرة ويدعو لنفسه بما شاء من امر الدنيا والاخرة ويصبح صائما فان الله يستجيب دعاءه كله الا ان يدعو في
معصية قال العراقي ذكره ابو موسى المديني في كتاب فضائل الليالي والايام ان ابا محمد الجنازي رواه

مطلب في افضل الليالي في السنة وفي رمضان

مطلب الاستغفار في رجب وشعبان

كمل في

من طريق الحاكم ابي عبد الله من رواية محمد بن الفضل عن ابان عن انس مرفوعا ومحمد بن الفضل وابان
ضعيفان جدا والحديث منكر وبجملتها حديث ابي هريرة رضه من صام يوم السبع والعشرين من رجب كتب الله
له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذي هبط فيه جبريل عم لمحمد عم ابو موسى المديني من رواية شهر بن حوشب عنه
والخامسة عشر من شعبان وفي الاحياء واما ليلة النصف من شعبان فيصلي فيها مائة ركعة في كل ركعة
سورة الاخلاص عشر مرات وفاتحة الكتاب كانوا لا يتركونها فقال العراقي حديث باطل نعم لابن ماجه من حديث
علي اذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها وفي اثر عمر رضي الله عنه انه كان يقول
في ليلة النصف من شعبان اللهم ان كنت كتبتني من السعداء فاثبتني فان كنت كتبتني من الاشقياء فامح
واكتبني في السعداء فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك ام الكتاب وليلة العرفة لم اجد لها اصلا والعيد
اي وليلتي العيدين فقد روى من احيى ليلة العيد لم تمت قلبه يوم تموت القلوب ابن ماجه باسناد ضعيف
من حديث ابي امامة والايام اي ويراعي فضائل الايام كالعيد اي يومي العيدين والتشريق اي ايامها
ولو لم يكن في منى ومايجيء اي في اخر الباب الثالث من الصوم انشاء الله تعالى والافضل يوم الجمعة و
ليلته وهو الايام عند الملائكة كما ورد يوم المزيد في الاخرة لزيادة حصول اللقاء فيه لاهل الولاء وورد
خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة مسلم عن ابي هريرة وان الله في كل جمعة ستمائة الف عتيق من النار ابن
عدي وابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث انس وقيل يوم عرفة افضل وقيل يوم الجمعة
افضل ايام الاسبوع ويوم عرفة افضل ايام السنة وقد ورد من مات يوم الجمعة كتب له اجر شهيد ووقي فتنة
القبر ابو نعيم في الحلية من حديث جابر وللترمذي نحوه من حديث عبد الله بن عمرو والحكيم في النوادر وعن
عائشة رضي الله عنها مرفوعا اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة ابن
حبان في الضعفاء وابو نعيم وهو ضعيف فلا يعطل اي من الطاعة عصر الخميس فهو مبارك اي بقربه
ليلة الجمعة وكذا اوله مبارك فلابن ماجه عن ابي هريرة والطبراني في الاوسط عن عائشة مرفوعا اللهم
بارك لامتي في بكورها يوم الخميس وفي رواية انه قال عليه السلام اغدوا في طلب العلم فاني سألت
ربي ان يبارك لامتي في بكورها يوم الخميس واما ما اشتهر في هذا العصر لا امتي في سبتها فباطل لا اصل له
ويستعد لصلوة الجمعة بغسل الثياب اي في اول النهار وفي يوم الخميس وهو كذلك ليقدر على التبكير الاعلى
والاغتسال وهو سنة مؤكدة للصلوة على الاصح ويشهد له ما ورد من شهد الجمعة من الرجال والنساء
فليغتسل ابن حبان والبيهقي من حديث ابن عمر وقيل بوجوبه وهو ظاهر حديث غسل الجمعة واجب على كل
محتلم متفق عليه من حديث ابي سعيد وعن نافع عن ابن عمر من اتى الجمعة فليغتسل الشيخان وابن حبان
وقد قال عمر لعثمان رضي الله عنهما لما دخل يخطب الخطبة الثانية منكرا عليه ترك التبكير فقال ما زدت
بعد ان سمعت الاذان على ان توضات وخرجت فقال والوضوء وقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

مطلب فضائل الايام ويوم الجمعة وعصر الخميس

كان يأمر بالغسل متفق عليه من حديث ابي هريرة وقد علم جواز ترك الغسل بما ورد من توضأ يوم
الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل افضل ابو داود والترمذي وحسنه والنسائي من حديث سمرة
وكان عم ربما اغتسل يوم الجمعة وربما تركه احيانا الطبراني عن ابن عباس وورد رحم الله من غسل يوم
الجمعة واغتسل وبكر وابتكر اصحاب السنن وحسنه الترمذي وابن حبان والحاكم وصححه من حديث اوس
بن اوس والتطيب اي استعمال الطيب المناسب له وورد طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء
ما ظهر لونه وخفي ريحه ابو داود والترمذي وحسنه والنسائي من حديث ابي هريرة وقال الشافعي من نظف
ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله وورد حقا على المسلمين ان يغتسلوا يوم الجمعة وليمس احدهم
من طيب اهله فان لم يجد فالماء له طيب الترمذي عن البراء وتفريغ القلب عن الشواغل كما يشير اليه
قوله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع وفي معناه كل شاغل عنها ظاهرا او باطنا
ومن ثم جاء اي ومن اجل تفريغ القلب ورد انه يأتي اهله اي يجامع قاصد الجمعة امرأته او امته
وحمل عليه رواية من غسل بالتشديد اي حمل اهله على الغسل قال الغزالي ومن اغتسل غسل الجنابة فليفض
الماء على بدنه مرة اخرى على نية غسل الجمعة فان اكتفى بغسل واحد اجزأه وحصل له الفضل اذا نوى
كليهما ودخل غسل الجمعة في الجنابة انتهى ولا يخفى انه تكرار الغسل من غير فصل بعبادة يعد من الاسراف فالاولى
ان يغتسل واحدا او ينويهما وفي الاحياء ومن اغتسل ثم احدث توضأ ولم يبطل غسله والاحب ان يحترز
عن ذلك انتهى ولا يخفى ان هذا محمول ان الغسل لليوم لا للصلوة وتقليم الاظفار اي في اول يوم الجمعة فعن
ابن مسعود من قلم اظفاره يوم الجمعة اخرج الله منه داء وعن ابي هريرة انه كان عم يقلم اظفاره ويقص
شاربه يوم الجمعة قبل ان يروح الى الصلوة البيهقي في الشعب ولم ايضا من مرسل ابي جعفر الباقر قال كان
رسول الله عم يستحب ان يأخذ من اظفاره وشاربه يوم الجمعة او يوم الخميس اذا اراد التكبير وسئل
احمد عنه فقال يسن يوم الجمعة قبل الزوال وعنه يوم الخميس وعنه يتخير قال العسقلاني وهذا هو المعتمد انه
يستحب كيفما احتاج اليه وورد قصوا اظافيركم فان الشيطان يجري ما بين اللحم والظفر الخطيب في الجامع باسناد
ضعيف من حديث جابر وقد جاء الامر بتنظيف ما تحت الاظفار في رواية الطبراني من حديث وابصة بن
سعيد سألت النبي عن كل شيء حتى سألته عن الوسخ الذي يكون في الاظفار فقال دع ما يريبك الى ما لا يريبك
وسنده ضعيف وورد انه عليه السلام استبطأ الوحي فقيل له يا رسول الله ابطأ عنك جبرئيل فقال
ولم لا يبطئ عني وانتم لا تستنون ولا تقلمون اظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون رواجبكم
ولا تغسلون براجمكم احمد من حديث ابن عباس والرواجب رؤس الانامل وما تحت الاظفار من الوسخ والبراجم
معاطف ظهور الانامل قال الغزالي ولم ار في الكتب خبرا مرويا في ترتيب قلم الاظفار ولكن سمعت انه روي عنه
عم انه بدأ بالمسبحة اليمنى وختم بابهام اليمنى وابتدأ في اليسرى بالخنصر الى الابهام وتعقبه العراقي بقوله لم اجد له

اصلا

اصلا وقد انكره ابو عبد الله المازري في الرد على الغزالي وشنع عليه به قلت لا تشنيع عليه حيث انه بنى على ما ثبت
لديه مع انه نفى رؤيته خبر مسند اليه والحاصل ان التقليم من باب التنظيف فمن غيره من قص الشوارب
ونتف الابط وحلق العانة يقدم على الغسل ويتعمم فعن ابي الدرداء ان الله وملائكته يصلون على
اصحاب العمائم يوم الجمعة الطبراني وابن عدي وعن ابن عمر مرفوعا صلوة بعمامة تعدل بخمس وعشرين
وجمعة بعمامة تعدل سبعين جمعة وعن انس مرفوعا الصلوة في العمامة بعشرة الاف حسنة الديلمي وحكم
بعض الحفاظ بضعفه بل بوضعه لكن في الجامع الصغير للسيوطي وقد التزم فيه ان لا يورد موضوعا عن ابن عمر
في رواية ابن عساكر صلوة تطوع او فريضة بعمامة تعدل خمسا وعشرين صلوة بلا عمامة وجمعة تعدل سبعين
جمعة بلا عمامة ولا يركب لانه اقرب الى حسن الادب والتواضع مع الرب ولظاهر قوله تعالى فاسعوا الى
ذكر الله وذروا البيع ولانه اشق والاجر على قدر المشقة والقياس على طريق الحج والعمرة ويبالغ في التبكير
ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وقيل بالاستواء فهو المأثور اي فضل البكور وقد ورد من راح الى الجمعة
في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة
فكانما قرب كبشا ومن راح في الساعة الرابعة فكانما اهدى دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانما اهدى
بيضة فاذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر
فمن جاء بعد ذلك فانما جاء لحق الصلوة ليس له من الفضل شيء متفق عليه من حديث ابي هريرة الا انه قوله ورفعت
الاقلام عند البيهقي من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وذكر ابن مردويه في التفسير من حديث علي
باسناد ضعيف اذا كان يوم الجمعة نزل جبرائيل عم فركز لواءه بالمسجد الحرام وغدا سائر الملائكة الى المساجد
التي تجمع فيها يوم الجمعة واقلاما من ذهب وصحفا من فضة يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وورد ان
الملائكة يتفقدون العبد اذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا عنه ما فعل فلان وما الذي اخره
عن وقته فيقولون اللهم ان اخره فقر فاغنه وان كان اخره مرض فاشفه وان كان اخره شغل فافرغه لعبادتك
وان كان اخره لهو فاقبل بقلبه الى طاعتك البيهقي من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده بسند حسن
ومن فوائد البكور عدم تخطي رقاب اهل الحضور فقد ورد من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا
الى جهنم الترمذي وابن ماجه من حديث معاذ بن انس وروى ابن جريج مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم
بينما هو يخطب يوم الجمعة اذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى النبي عم عارض
الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك ان تجمع معنا اليوم فقال يا نبي الله قد جمعت فقال اولم ارك
تتخطى رقاب الناس ابن المبارك في الرقائق وفيه اشارة الى ان الله تعالى احبط عمله ونقص امله وفي حديث
مسند انه قال ما منعك ان تصلي معنا قال اولم ترني قال رأيتك آنيت واذيت اي تأخرت عن البكور
واذيت الحضور والحديث رواه ابو داود والنسائي وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن بسر مختصرا

اذيت

بيان غسل يوم الجمعة

التطيب في هذا اليوم

مطلب تقليم الاظفار

مطلب التعميم يوم الجمعة

بيان فضل ثواب التبكير يوم الجمعة

بيان نزول جبريل يوم الجمعة

التخطي يوم الجمعة

وقيل لبشر بن الحارث نراك تبكر وتصلي في آخر الصفوف فقال انما يراد قرب القلوب لا قرب الاجساد فاشار به الي
ان ذلك اسلم لقلبه وقيل لسفيان الثوري اليس في الخبر اذن فاسمع فقال ويحك ذكر الخلفاء الرا
فاما هؤلاء فكل من بعدت عنهم ولم تنظر اليهم كان اقرب الي الله تعالى وروي عن علي وعثمان رضي الله عنهما من
استمع وانصت فله اجران ومن لم يستمع وانصت فله اجر ومن سمع ولغا فعليه وزر ومن لم يسمع ولغا
فعليه وزران وورد حديث ابي هريرة اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت والامام يخطب فقد
لغوت متفق عليه ولابي داود من حديث علي رضي الله عنه من قال صه فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له ولاحمد
من حديث ابن عباس والذي يقول له انصت ليس له جمعة وفي حديث ابي ذر لما سأل ابيا والنبي عم يخطب
وقال امتى انزلت هذه السورة فاومي اليه ان اسكت فلما نزل النبي عم قال له ابي اذهب فلا جمعة
لك فشكاه ابو ذر الي النبي عم فقال صدق ابي واطع ابيا البيهقي وقال في المعرفة اسناده صحيح
ولابن ماجه من حديث جابر ان السائل له ابو الدرداء وابو ذر ولاحمد من حديث ابي الدرداء انه سأل
ابيا ولابن حبان من حديث جابر ان السائل عبد الله بن مسعود ولابي يعلى من حديث جابر قال قال سعد بن
ابي وقاص لرجل لا جمعة لك فقال له النبي عم لم يا سعد قال لانه كان يتكلم وانت تخطب فقال صدق
سعد ويصلي قبل الجلوس في الجامع اربعا بالاخلاص اي منضم بقراءة الاخلاص خمسين مرة بعد الفاتحة في
كل ركعة فقد نقل عن رسول الله عم ان من فعله لم يمت حتى يري مقعده من الجنة او يري له كذا في الاحياء
وقال العراقي حديث دخل المسجد يوم الجمعة فصلي اربع ركعات يقرأ فيها قل هو الله احد مائتي مرة الحديث
رواه الخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر وقال غريب جدا وفي نسخة بعد الحديث الدارقطني
في غرايب مالك وقال لا يصح ففي الكل جميع ما سبق هنا فضائل لارباب الشمائل واذا فرغ من الجمعة قرأ الحمد
لله سبع مرات قبل ان يتكلم وقل هو الله احد سبعا والمعوذتين سبعا سبعا وروي عن بعض السلف
ان من فعله عصم من الجمعة الي الجمعة وكان حرزا له من الشيطان كذا في الاحياء وسكت عنه العراقي وقد
رأيت الحديث في الجامع الصغير مسندا الي ابن السني عن عائشة رضي الله عنها بلفظ من قرأ بعد صلوة الجمعة
قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس سبع مرات اعاذه الله بها من السوء الي الجمعة
الاخرى ويستحب ان يقول بعد صلوة الجمعة اللهم يا غني يا حميد يا مبدي يا معيد يا رحيم يا ودود
اغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك فقال من داوم علي هذا الدعاء اغناه عن خلقه ورزقه
من حيث لا يحتسب ثم يصلي بعد الجمعة ست ركعات فقد روي ابن عمر رضي الله عنه انه كان عم يصلي بعد
الجمعة ركعتين متفق عليه وروي ابو هريرة اربعا رواه مسلم وروي علي وعبد الله ستا البيهقي موقوفا
علي علي ولم موقوفا علي ابن مسعود اربعا ولابي داود من حديث ابن عمر وكان اذا كان بمكة صلي بعد الجمعة
ستا والكل صحيح في احوال مختلفة والاكثر افضل ويشتغل بعد الاقامة اي بعد فراغ اقامة صلوة الجمعة

صلوة قبل الجلوس في الجامع اربع ركعات

دعاء بعد الجمعة

مطلب اوراد بعد الجمعة العصمة و القناء

صلوة

بصلوة جنازة او تعلم لعلوم شرعية او زيارة اخ في الله اي في جهة تعالى ساعتها اي عقبها فقد ورد وابتغوا
من فضل الله فقد قال انس رضي الله عنه في قوله تعالى فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله
اما انه ليس ابتغاء المعاش لطلب الدنيا ولكن عيادة مريض او شهود جنازة او تعلم علم او زيارة اخ في الله لا استماع
اي من الاخبار بين في التواريخ فهو بدعة وكانوا اي الصحابة يخرجون القصاص من المسجد وقد حضر ابن عمر رضي الله عنه
في المسجد الي مجلس فاذا قاص يقص في موضعه فقال له قم عن مجلسي فقال لا اقوم فقد جلست وسبقتك اليه فارسل
ابن عمر الي صاحب الشرط فاقام من مجلسه ولو كان ذلك من السنة لم يستحل اقامته فقد قال عليه السلام كما في الصحيحين
لا يقيمن احدكم اخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن يقول تفسحوا وتوسعوا وكان ابن عمر اذا اقام له الرجل من مجلسه
لم يجلس فيه حتي يعود اليه وروي ان قاصا كان يجلس بفناء حجرة عائشة فارسلت الي ابن عمر ان هذا قد
اذاني بقصصه وشغلني عن سبحتي فضربه ابن عمر حتي كسر عصاه علي ظهره ثم طرده ويراقب الساعة المرجوة الموعود فيها
اي في تلك الساعة الاجابة اي غالبا في الخبر المشهور ان في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئا
الا اعطاه اياه الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث عمرو بن عوف المزني وفي خبر آخر لا يصادفها عبد
يصلي متفق عليه من حديث ابي هريرة واختلف فيها اي بتعيين تلك الساعة علي طلوع الشمس اي علي اقوال
قيل عند طلوع الشمس والزوال اي عنده او بعده وقيل بعد الاذان الاول وصعود الامام اي علي المنبر
وقعوده والقيام للصلوة اي صلوة الجمعة كما بينا ادلتها في شرح الحصن ومنتهي الاستثناء في العصر
اي اوله او آخره والغروب اي وقته فقيل هي آخر ساعة من يوم الجمعة وقيل ما بين العصر الي الغروب وروي
فيه اي في حينه الغروب او فيما ذكر من ما بين العصر والغروب والاول انسب لقوله رعاية فاطمة رضي
الله عنها وكانت تروي عن ابيها وكانت توكل الخادم لتفقد هذا الوقت لتقوم في طلب المرام وفي رواية تأمر
خادمها ان ينظر الي الشمس فاذا تدلي حاجبها الاسفل يؤذنها بسقوطها فتأخذ فاطمة رضي الله عنها في الدعاء
والاستغفار الي غروبها قال العراقي حديث فاطمة في ساعة الجمعة رواه الدارقطني في العلل والبيهقي
في الشعب وعلته الاختلاف وروايتها اي رواية رعايتها تؤيد ما روي لا يوافقها اي الساعة وفي رواية
لا يصادفها عبد اي مسلم يصلي اي يدعو بقرينة قوله الا استجيب له وقد قال كعب الاحبار انها في آخر
ساعة في يوم الجمعة وذلك عند الغروب فقال ابو هريرة كيف تكون آخر ساعة وقد سمعت رسول الله
صلي الله عم يقول لا يوافقها عبد يصلي ولا حين صلوة فقال كعب الم يقل رسول الله صلي الله عليه وسلم
من قعد ينتظر الصلوة فهو في الصلوة قال بلي قال فذلك صلوة فسكت ابو هريرة وكان كعب يقول الا انه
هذه رحمة من الله تعالى للقائمين بحق اليوم واوان ارسالها بعد الفراغ من اتمام العمل كذا في الاحياء وتعقبه
العراقي بان كعبا هو القائل ليس كذلك وانما هو عبد الله بن سلام واما كعب فانما قال انها في كل سنة
مرة ثم رجع والحديث رواه ابو داود والترمذي والنسائي وابن حبان من حديث ابي هريرة ولابن ماجه

القصص

مطلب اخراج القصاص من المسجد

مطلب ساعة مرجوة

نحو من حديث عبد الله بن سلام انتهى وروى البيهقي في الشعب عن فاطمة مرفوعا ان في الجمعة لساعة لا يوافقها
مسلم يسئل الله فيها خيرا الا اعطاه اياه اذا تدلى نصف الشمس للغروب هكذا رأيت في هامش نسخة والله اعلم
والمبهمة كليلة القدر وكالصلوة الوسطى والاسم الاعظم فيستغرق اليوم لرعايته اى لرعاية ادراكها وهو
اى الابهام اصوب وفي الاحياء قيل انها تنتقل في ساعات الجمعة كتنقل ليلة القدر وهو الاشبه ولسر لا يليق بعلم المعاملة
ذكره لكن ينبغي ان يصدق بما قال عليه السلام ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها ويوم الجمعة من
جملة تلك الايام فينبغي ان يكون العبد في جميع نهاره متعرضا لها باحضار القلب وملازمة ذكر الرب و
النزوع عن وساوس الدنيا وهواجس النفس والهوى فعساه يحظى بشيء من تلك النفحات انتهى والحديث
رواه الترمذي الحكيم في النوادر والطبراني في الاوسط من حديث محمد بن سلمة ولابن عبد البر في التمهيد نحوه
من حديث انس ورواه ابن ابي الدنيا في كتاب الفرج من حديث ابي هريرة ويكثر الصلوة عليه عليه السلام
اي في يوم الجمعة وليلتها فقد ورد اكثروا الصلوة علي في الليلة الغراء واليوم الازهر فان صلوتكم تعرض علي
البيهقي عن ابي هريرة وابن عدي عن انس وفي رواية البيهقي عن انس اكثروا من الصلوة علي في يوم الجمعة
وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيدا وشافعا يوم القيمة وفي رواية ابن ماجه عن ابي الدرداء اكثروا
من الصلوة علي يوم الجمعة فانه يوم مشهود وتشهده الملائكة وان احدا لن يصلي علي الا عرضت علي صلوته
حتى يفرغ منها وفي رواية البيهقي عن ابي امامة اكثروا من الصلوة علي في كل جمعة فان صلوة امتي تعرض
علي في كل جمعة فمن كان اكثرهم علي صلوة كان اقربهم مني منزلة وكانوا يصلون على النبي عليه السلام الف
مرة ويقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر الف مرة وورد من صلى علي يوم الجمعة
ثمانين مرة غفر له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلوة عليك قال تقول اللهم صل على محمد عبدك
ونبيك ورسولك النبي الامي وتعقد واحدة الدارقطني من رواية ابن المسيب قال اظنه عن ابي هريرة
وقال حديث غريب وقال ابن النعمان حديث حسن وفي الاحياء وان قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلوة
تكون لك رضا ولحقه اداء واعطه الوسيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته واجزه عنا ما هو اهله واجزه
افضل ما جزيت نبيا عن امته وصل عليه وعلى جميع اخوانه من النبيين والصالحين يا ارحم الراحمين تقول هذا
سبع مرات فقد قيل من قالها سبع جمع في كل جمعة سبع مرات وجبت شفاعته وان اراد ان يزيد اتى بالصلوة
المأثورة فيقول اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامي بركاتك وشرائف زكواتك ورأفتك ورحمتك
وتحيتك على محمد رسولك سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين وقائد الخير
وفاتح البر ونبي الرحمة وسيد الامة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه يغبطه به الاولون
والاخرون اللهم اعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة
المنيفة اللهم اعط محمدا سؤله وبلغه مأموله واجعله اول شافع واول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل

مطلب الصلاة على النبي عم في يوم الجمعة وليلتها

ميزانه

ميزانه وافلج حجته وارفع في اعلى درجات المقربين درجته اللهم احشرنا في زمرته واجعلنا من اهل
شفاعته واحينا وتوفنا على ملته واوردنا حوضه واسقنا بكأسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين
ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين آمين يا رب العالمين ٠٠٠٠ ابن ابي هشام في كتاب الصلوة
على النبي عم من حديث ابن مسعود بسند ضعيف ووقفه ابن ماجه على ابن مسعود وقراءة القرآن اي يكثرها فيه
فيقرأ سورة الكهف خاصة فعن ابي سعيد من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة او يوم الجمعة اعطي نورا من حيث
يقرأ الى مكة وغفر له من الجمعة الى الجمعة وفضل ثلثة ايام وصلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح او يمسي
وعوفي من الداء والدبيلة وذات الجنب والجذام والبرص وفتنة الدجال وروى البيهقي ويتصدق اي
يوم الجمعة في غير الجامع او لغير السائل فيه فقد قال ابن مسعود اذا سأل الرجل في المسجد فقد استحق ان لا يعطى
بشيئين مختلفين كدرهم ودينار وثوب وقرص وخبز وادام وفاكهتين مختلفتين فعن كعب الاحبار من
شهد الجمعة ثم انصرف وتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع وركع ركعتين يتم ركوعهما وسجودهما
وخشوعهما ثم يقول اللهم اني اسألك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا اله الا هو الحي القيوم
لا تأخذه سنة لم يسأل الله شيئا الا اعطاه وفي رواية ابن حبان عن ابي هريرة مرفوعا من انفق زوجين
من شيء من الاشياء في سبيل الله دعي من ابواب الجنة هذا خير وللجنة ابواب رواه الخطيب عن انس بلفظ ما
من مسلم ينفق زوجين في سبيل الله تعالى الا دعته الجنة هلم هلم ولا يخفى ان المتبادر من الزوجين ان يكونا
الشيئان متفقين لا مختلفين كدرهمين ودينارين وثوبين وعن بعض السلف من اطعم مسكينا يوم الجمعة
ثم غدا وابتكر ولم يؤذ احدا ثم يقول حين يسلم الامام بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم اسألك ان تغفر لي
وترحمني وان تعافيني من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له ويصلي اي يوم الجمعة صلوة التسبيح وقد
بسطت الكلام عليه في شرح الحصن رواية ودراية وعلما وعملا وقد علمه عم لعمه العباس وقال له صلها
في كل جمعة الحديث رواه ابو داود وابن ماجه وابن خزيمة والحاكم من حديث ابن عباس وكان ابن عباس
لا يدع هذه الصلوة يوم الجمعة بعد الزوال في الكل اي جميع ما تقدم فضائل اي واردة عن اصحاب
الشمائل وجاء قراءة يس والسجدة والدخان والملك اي في ليلة الجمعة وقد سبق بيانها وبرهانها
والسبع السبت اي المتقدم شأنها والاكثار بالاخلاص اي يقرأ سورة الاخلاص فقرأتها الف
مرة في عشر ركعات او عشرين افضل من الختم اي ختم القرآن بدونها او في غير الصلوة وهذا لم اجده
مرويا لكن ورد من قرأ قل هو الله احد العشر مرة فقد اشترى نفسه من الله تعالى الخيادجي في فوائده عن حذيفة
واما حديث قل هو الله احد تعدل ثلث القرآن فرواه مالك واحمد والبخاري وابو داود والنسائي
عن ابي سعيد وجماعة عن جماعة كاد ان يكون متواترا وفي الاحياء الاحصى وقته للصلوة الى الزوال
وبعد الجمعة الى العصر لاستماع العلم وبعد العصر الى المغرب للتسبيح والاستغفار وسائر الاذكار وينبغي

مطلب قراءة القرآن في هذا اليوم والتصدق

باب صلاة التسبيح فيه وفضيلتها

باب افضلية الفاخلاص من ختم

باب من قرأ الفاخلاص اشترى نفسه من الله عز وجل

ان يجعلوا

الذي يلازم المسجد حتى يصلي العصر فان وقف الى المغرب فهو افضل ويقال من صلى العصر في الجامع كان

مطلب في من يلازم المسجد لمن صلى العصر في الجامع وفضيلة ساعتها

له ثواب حجة ومن صلى المغرب فله ثواب حجة وعمرة فان لم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق
الى اعتكافه او خاف الخوض فيما لا يعني فالافضل ان يرجع الى بيته ذاكرا الله تعالى متفكرا في آلائه شاكرا له
على نعمائه من جملتها توفيقه للطاعة خائفا من تقصيره مراقبا القلب ولسانه الى غروب الشمس حتى لا تفوته
الساعة الشريفة فلا ينبغي ان يتكلم في الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا فانه عم قال يأتي على الناس
زمان يكون حديثهم في مساجدهم بامور دنياهم ليس لله عز وجل فيهم حاجة فلا تجالسوهم البيهقي
في الشعب من حديث الحسن مرسلا واسنده الحاكم من حديث انس وصححه ولابن حبان من حديث ابن مسعود
نحوه ولا يخصه بالصوم وقيام الليل فهو اي التخصيص منهي عنه روى مسلم عن ابي هريرة لا تختصوا ليلة

مطلب في السنن الرواتب

الجمعة بقيام من بين الليالي ولا تختصوا يوم الجمعة بصيام من بين الايام الا ان يكون في صوم يصومه
احدكم وفي رواية احمد عن ابي هريرة لا تصوموا يوم الجمعة الا وقبله يوم او بعده يوم ويحافظ
الرواتب اي السنن المؤكدة بعد الفرائض وقبلها او سائر السنن اي المستحبة كالتهجد في الليل والضحى في النهار
ركعتين او اربعا او ستا او ثمانيا او اثنتي عشرة ورد انه عم كان اذا اشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى
ركعتين واذا انبسطت وكانت في ربع النهار من جانب المشرق صلى اربعا الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث علي
واحياء ما بين العشائين اي بالعبادة مطلقا او بعشرين ركعة او ست ركعات مطلقا في الكل فضائل وبعضها
تقدم والعيد اي ويراعيهما فطرا واضحى بالتكبير ونحوه ويستعد لهما كالجمعة من الغسل والتزيين والتطييب
ويرجع من المصلى اي مصلى العيد حال الاياب في غير طريق الذهاب فهو مروي اي من فعله عم رواه مسلم
والتراويح اي يراعيها وهي عشرون ركعة واداؤها سنة مؤكدة ويختم فيها مرة اي من القرآن
ويختار الانفراد عن الجماعة ان خاف الرياء والجماعة اي يختارها ان خاف الكسل وقيل الانفراد افضل
لقوله عم فضل صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته

مطلب فضل الصلاة في المسجد النبوي ومسجد الحرام وغيرهما

في البيت آدم بن اياس في كتاب الثواب من حديث ضمرة بن حبيب مرسلا ورواه ابن ابي شيبة في المصنف
بجملته عن ضمرة بن حبيب عن رجل من اصحاب النبي عم موقوفا وفي سنن ابي داود باسناد صحيح من حديث
زيد بن ثابت صلاة المرء في بيته افضل من صلاته في مسجدي هذا الا المكتوبة وعن انس صلاة في
مسجدي تعدل بعشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الحرام تعدل بمائة الف صلاة والصلاة بارض
الرباط تعدل بالفي الف صلاة واكثر من ذلك كله الركعتان يصليهما العبد في جوف الليل لا يريد بهما الا
ما عند الله عز وجل ابو الشيخ في الثواب وذكره ابو الوليد الصفار في كتاب الصلوة تعليقا من حديث
الاوزاعي قال دخلت على يحيى فاسند في حديثا وهو صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة في غيره
وصلاة في المسجد الحرام افضل من مائة الف صلاة في مسجدي وافضل هذا كله رجل يصلي ركعتين في زاوية

بيت لا يعلم

بيت لا يعلمها الا الله وقيل ان الجماعة افضل لفعل عمر رضي الله عنه فانه عليه السلام قد خرج فيها الليلتين او ثلثا الجماعة

باب صلاة التراويح

ثم لم يخرج وقال خشيت ان تفرض عليكم متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها وجمع عمر الناس عليها في الجماعة حيث
امن الوجوب بانقطاع الوحي وقيل اي في صلاة التراويح منفردا او مع جماعة ان امنهما اي الرياء والكسل فانما
يختار لتشمل الجماعة البركة المشتملة على السرور والانفراد فيه الحضور المقتضي لكثرة النور والحاصل ان هذه السنة
ليست من الشعائر كالعيد فالحاقها بصلاة الضحى وتحية المسجد اولى ولم يرخص فيها جماعة ثم صلى عم التراويح بالجماعة
ثم تركها خشية ان تكتب على الامة ثم كان الناس يصلونها فرادى وجماعات مختلفة فجمعهم عمر على امام واحد وقال

باب صلاة الكسوف

نعمت البدعة اي الحسنة وهي الجماعة المجتمعة المنتهية الى الف الامة والكسوف وكذا الخسوف تفصيلهما في كتب
الفقه وقد ورد ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا
الى ذكر الله تعالى والصلوة قاله لما مات ولده ابراهيم عم خسفت الشمس فقال الناس انما كسفت لموته متفق عليه من حديث

صلاة رغائب

المغيرة بن شعبة وكلما ورد اي يراعي جميع ما ورد من السنة في تفصيله كصلاة الرغائب وهي اول ليلة جمعة من

ركعة بست تسليمات يقرأ في كل

رجب يصلي اثنتي عشرة ركعة بعد الفاتحة سورة القدر ثلثا والاخلاص اثنتي عشرة وبعد الفراغ يصلي على النبي عم
سبعين مرة ويدعو بما شاء وهي بدعة منكرة كما صرح به النووي وغيره وكذا حديث ما من احد يصوم اول

باب ليلة النصف من شعبان

خميس من رجب الحديث في صلاة الرغائب اورده رزين في كتابه وهو موضوع كما قال العراقي وكليلة النصف من
شعبان وهي اي صلوتها مائة ركعة بالاخلاص مائة مرة وكانوا اي بعض السلف يواظبون عليها قال العراقي
في حديث باطل ولابن ماجه من حديث علي اذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها واسناده

باب الاستخارة

ضعيف والاستخارة اي يراعي صلاة الاستخارة او دعاءها بعدها وكان عم يعلمها تعليم سورة من القرآن
البخاري من حديث جابر وبسطنا الكلام عليه في شرح الحصن وركعتي الدخول في المنزل والخروج اي في ركعتين
منه من المنزل لفعل ابي هريرة قال عم اذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السوء واذا دخلت
منزلك فصل ركعتين يمنعانك مدخل السوء البيهقي في الشعب والخرائطي في مكارم الاخلاق وابن عدي في الكامل وفي
الحديث ايماء الى قوله تعالى وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق الآية وركعتي دفع النفاق في السر
اي بالخفية بان يصلي ركعتين من يقرأ في الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفي الثانية قل هو الله احد

باب تحية الوضوء والمسجد

ثم يقول اللهم اني اعوذ بك من النفاق والشقاق وسوء الاخلاق ولم اجده مرويا وتحية الوضوء المسمى
بشكر الوضوء وهي قبل جفاف اعضائه والمسجد اي اول دخوله قبل جلوسه فتحية الوضوء مستحبة لان الوضوء
قربة مقصودها ولاحداث عارضة بعدها وربما يبطل الحدث قبل الصلاة فالمبادرة الى ركعتين استبقاء
لمقصود الوضوء قبل الفوت وتضييع السعي قبل الموت وعرف ذلك بحديث بلال اذ قال عليه السلام دخلت الجنة
فرأيت بلالا فيها فقلت بلال بم سبقتني الى الجنة فقال بلال لا اعرف شيئا الا اني لا احدث وضوءا الا
صليت عقيبه ركعتين او كما قال متفق عليه من حديث ابي هريرة وتحية المسجد سنة مؤكدة حتى انها لا تسقط

في مذهب الشافعي وان كان الخطيب في الخطبة يوم الجمعة مع تاكد وجوب الاصغاء الي الخطيب وقد ورد
اذا دخل احدكم المسجد فلا يجلس حتي يصلي ركعتين ابن عدي والبيهقي عن ابي هريرة ولا يتعين لها التطوع
لحصول الحق في غيره اي غير التطوع وهو اي المقصود صون الوضوء والدخول عن الفضل اي البطالة عن صلي
الطاعة بل الفرض افضل من النوافل فان ثوابه اكمل ولا ينوي الصلوة الموضوعة اي لا يقول نويت اذا
الوضوء بل يطلق اي ينوي صلوة مطلقة لان الوضوء للصلوة دون العكس اذ ليست الصلوة للوضوء ولكن
لو نوي شكر التوفيق للوضوء لا يبعد ويحترز عن النافلة في الاوقات المكروهة اي مطلقا عندنا خلافا للشافعي
حيث يجوز اداء صلوة لها سبب متقدم كتحية المسجد واستثني الحرام ايضا وشكر وضوء فيها لقصد الاوثان
اي ومنها مضاهاة عبدة الشمس وسات النيران ونبش الشيطان اي وكثرة الوساوس للانسان وقد ورد
ان الشمس لتطلع بين قرني الشيطان فاذا طلعت قارنها واذا ارتفعت فارقها فاذا استوت قارنها فاذا
زالت للغروب قارنها فاذا غربت فارقها النسائي من حديث عبد الله الصنابحي وهو مرسل ومالك وهو الذي
يقول عبد الله الصنابحي ووهم فيه والصواب عبد الرحمن ولم ير النبي صلي الله عليه وسلم وفي الكف اي الامتناع
عن الصلوة في الاوقات المكروهة وهي بعد طلوع الفجر الي طلوع الشمس وبعد صلوة العصر الي غروبها وبعد غروبها
قبل اداء المغرب واما الاوقات المحرمة فهي عند طلوع الشمس واستوائها وعند غروبها يتجدد الشوق الي العبادة
ويرتفع عنه نوع من الملالة ويكره دخول المسجد علي غير وضوء ويتيمم وان دخل لعبور ضرورة او جلس في
اوقات مكروهة فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر يقولها اربع مرات فيقال انها عدل ركعتين
في الفضل ولعله ماخوذ مما ورد اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا وفسر الرياض بالمساجد والرتع بالكلمات
المذكورة علي ما تقدم والله سبحانه اعلم ثم هذه الاوراد الانواع للسالكين من الزهاد والعباد في
استعداد زاد المعاد واما العارف المستغرق همه فيه اي في ورد محبته وورد الحضور في حضرة قربه وحضور
اي حضور القلب في ذكر الرب في جميع المراتب بعد الفرائض والرواتب ويعرف اي هذا العارف في علو المناقب
بان لا يهم بمعصية اي لا يقصد ولا يفتر بطاعة اي لا يكسلها ولا يتزعزع بمصيبة اي لا يتزلزل ولا يجزع
ولا يفزع بموت الاولاد والاحفاد وساير الاقارب من الاخوان والخلان وذهاب الاموال وتغير الاحوال
من الامراض وساير الشدايد الاهوال ولا ينقلب اي من حال ومقام بامر عظيم كالقحط وفتنة البلاد
وساير البلايا العامة وهو الكريم الرحيم **الباب الثاني في الانفاق والقناعة** بسم الله الرحمن الرحيم
انفق في الطاعة واعتني في القناعة فيما قسم لي الي قيام الساعة وورد في التنزيل ومن يوق شح نفسه اي
يحفظ ويصان بخلها فيما يجب عليها الاية وهي فاولئك هم المفلحون اي الناجون من النار الفائزون بالجنة
اذ مانعون الزكوة هم الظالمون اي الواضعون الاشياء في غير مواضعها الذين يكنزون الذهب والفضة اي
يجمعونها ولا ينفقونها في سبيل الله اي وزكوتها لا يخرجونها الاية اي فبشرهم بعذاب اليم وفيه تهكم عظيم يوم يحمي

عليها في نار جهنم فتكوي بها جباههم لتعبسهم علي الفقراء وجنوبهم لتكبرهم علي الضعفاء وظهورهم لاعراضهم عن العلماء
والصلحاء ويقال لهم بلسان القال او بيان الحال هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقال الاحنف
بن قيس كنت في نفر من قريش فمر بنا ابو ذر فقال بشر الكانزين بكي في ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكي من قبل
اقفائهم يخرج من جباههم وعن ابي ذر قال انتهيت الي رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما
راني قال فداك ابي وامي من هم فقال هم الاكثرون اموالا الا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه
ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم متفق عليه السخي قريب من الله والبخيل بعيد من الله تعالي رواه الترمذي
عن ابي هريرة والبيهقي عن جابر والطبراني في الاوسط عن عايشة بلفظ السخي قريب من الله قريب من الناس قريب
من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار تعس عبد الدينار
وعبد الدرهم اي هلك والحديث كذا في صحيح البخاري وفي رواية الترمذي عن ابي هريرة بلفظ لعن والفقه
اي الحكمة والسر في تشريع الانفاق والابتلاء في دعوي محبته تعالي وترك الدنيا اي محبتها فانها لا تجتمع مع محبة
المولي فان المحبة لا تقبل الشركة ولا بقدر الجنة وانما يمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوبات والاموال المحبوبة
عند الخلق لانها آلة تمتعهم بالدنيا وشهواتها وبسببها يانسون بهذا العالم الدنيوي ولهواتها وينفرون عن الموت
مع لقاء المحبوب في الجنة وساير لذاتها فامتحنوا بتصديق دعواهم واستنزلوا عن المال الذي هو معشوقهم و
مهواهم ولذا قال الله تعالي ان الله اشتري من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وذلك بالجهاد وهو
مسامحة بالمهجة شوقا الي لقاء المولي والمسامحة بالمال اهون فيذلهم اولي وظهور المراتب فيهما اي في دعوي المحبة
فقد كفل ما ايسر الدعوي وما اعسر المعني فالسابق كالصديق حيث ما ابقي شيئا اي لا درهما ولا دينارا وتبعه
جماعة من اهل التوفيق في ايثارهم ان يتعرضوا لوجوب الزكوة عليهم بل فرقوا جميع ما لديهم لئلا ينسب حب غيره
سبحانه اليهم حتي قيل لبعضهم كم يجب من الزكوة في مائتي درهم فقال اما علي العوام في حكم ظاهر الشرع فخمسة
دراهم واما نحن فيجب علينا بذل الجميع والمقتصد كالفاروق حيث ابقي النصف اي واعطي النصف واصل
الحديث جاء ابو بكر بجميع ماله وعمر بشطر ماله فقال عليه السلام لعمر ماذا ابقيت لاهلك فقال مثله وقال لابي بكر ماذا
ابقيت لاهلك فقال الله ورسوله رواه ابو داود والترمذي والحاكم وصححاه من حديث عمر وفي رواية
يونس عن الحسن انه قال لهما ما بين صدقتيكما كما بين كلاميكما والقاصر هو المقتصر علي الواجب اي علي اعطاء
قدره من غير زيادة في اجره وفي كلام المص تلويح الي قوله تعالي ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا
فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير فيحتمل ان يقال
للقاصر المقتصر انه الظالم علي نفسه وغيره اذ الظالم هو مانع الزكوة ونحوه والعوام اقتصروا علي قدر
الواجب لبخلهم بالمال وضعف حبهم بالمولي وشدة ميلهم الي الدنيا قال الله تعالي ان يسألكموها فيحفكم
تبخلوا ويخرج اضغانكم ومعني يحفكم يستقصي عليكم فكم ما بين عبد اشتري منه نفسه وماله بان له الجنة وبين

مطلب السخي والبخيل

مطلب الاوقات المكروهة

الباب الثاني

عبد لا يستقضي عليه لاجل بخله وهناك درجة اخرى دون الدرجتين الاوليين وهم الممسكون
اموالهم بعد اخراج الواجبات المراقبون لاوقات الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم في الادخار
الانفاق على قدر الحاجة والقناعة دون التنعم والرفاهة وصرف الفاضل عن الحاجة الى وجوه
المبرة وطريق المسترد وقد ذهب جماعة من التابعين الى ان في المال حقا سوى الزكوة كا
لنخعي والشعبي وعطاء ومجاهد قال الشعبي بعد ان قيل له هل في المال حق سوى الزكوة قال
نعم اما سمعت قوله سبحانه وتعالى وآتى المال على حبه الآية تمام ذوي القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلوة وآتى الزكوة حيث عطف آتى الزكوة
على آتى المال وقد روى الترمذي عن فاطمة رض بنت قيس مرفوعا ان في المال حقا سوى الزكوة
واستدلوا بقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وبقوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم وزعموا ان ذلك
غير منسوخ باية الزكوة بل داخل في حق المسلم على المسلم ومعناه انه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا
ان يزيل حاجته فضلا عن مال الزكوة ولا يبعد حمله على صدقة الفطر والاضحية ونفقة ذوي الرحم
المحرم والله سبحانه اعلم وتنقية الباطن اي ومن جملة الحكمة في الانفاق تنظيف القلب وتخليته عن
البخل فورد ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه الطبراني في الاوسط عن انس وتحليته
اي تزيين الباطن وتحسينه بالشكر اي بشكر النعمة وقد قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وما انفقتم من
شيء فهو يخلفه هو اي ما ذكر من التنقية والتحلية او الانفاق انما يحصل بقلع اسباب الحرص كحب عين
المال لا لغرض يحصل منه وهو اي حب عين المال مرض من اي لا دواء له في الزمن حيث لا ينفق ولو
فاته اغراض واعواض من المنى والشهوات وكحب سائر الشهوات كما اشار اليه قوله تعالى زين للناس حب
الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام
والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب وطول الامل عطف على حب اي وكطول
الامل بتوهم طول الاجل فانه يورث الملل عن العمل قال تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل
فسوف يعلمون وخوف الفقر قال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه
وفضلا والله واسع عليم وقلة الوثوق بمجيء الرزق وقد قال سبحانه وكاين من دابة لا تحمل
رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم وقد ورد لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق
الطير تغدو خماصا وتروح بطانا احمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن عمر وحب الولد فقد ورد
الولد مبخلة مجبنة ابو يعلى في مسنده عن ابي سعيد وابن ماجه من حديث الاسود بن سالم والحاكم و
صححه ومعنى مبخلة انه مظنة لابويه على البخل فيدعوهما اليه فيبخلان لاجله ومعنى مجبنة انه يحمل اباه على التجنيب
عن الحروب استبقاء لنفسه من اجله وطريقه اي طريق المحمودية في الانفاق اجتناب طرفي قلع اسباب الحرص هو التوسط

في النفقات

في النفقات قال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فالقصد اي الاقتصاد
والتوسط واعتدال الحالات في الفقر والغنى عد من النجي وورد ما عال من اقتصد الديلمي عن ابي امامة
مرفوعا والبيهقي في الشعب عن ابن عمر مرفوعا الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة وتقليل الشهوات اي الموجب
لتقليل النفقات وهو المعبر عنه بالقناعة في بعض العبارات والوثوق باصابة الرزق المقدر فقد قال تعالى
نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الدنيا وقل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وورد في حديث مشهور واعلم ان ما اخطاك
لم يكن ليصيبك وما اصابك لم يكن ليخطئك ومعرفة عز القناعة وورد القناعة كنز لا ينفد وفي رواية
مال لا ينفد وفي اخرى كنز لا يفنى القضاعي عن انس والطبراني في الاوسط من حديث جابر ولفظه القناعة مال
لا ينفد كنز لا يفنى وقد قيل عز من قنع وذل من طمع وفي القناعة احاديث لا تحصى منها قوله تعالى ابن ادم عندك ما يكفيك
وانت تطلب ما يطغيك ابن ادم لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع ابن ادم اذا اصبحت معافى في جسدك امنا في
سربك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء التراب ابن عدي والبيهقي عن ابن عمر وفي رواية لهما عن ابي هريرة
اذا اشتد كلب الجوع فعليك برغيف وجرة من ماء القراح وقل على الدنيا واهلها الدمار وروى ابن
المبارك عن الاوزاعي معضلا ما ابالي ما رددت به عني الجوع وما احسن ما قال بعض اهل الحال
شعر ومالي الا جوعة قد سددتها وكل طعام حين يجنى واحد وعن عمر مرفوعا ارض
القوت فان القوت لمن يموت كثير العسكري ولله در الناظم عزيز النفس من لزم القناعة
ولم يكشف لمخلوق قناعه وفي الحديث اللهم قنعني بما رزقتني وبارك لي فيه وفسر قوله تعالى فلنحيينه
حيوة طيبة بالقناعة والقيام بالطاعة وقوله قد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما اتاه احمد
ومسلم والترمذي وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنه وقوله ما قل وكفى خير مما كثر والهى ابو يعلى والضياء عن
ابي سعيد وقوله خيار امتي القانع وشرارهم الطامع القضاعي وذل الطمع اي معرفته وهو الاحتياج
الى الغير من غير ضرورة وقد ورد لا يحل للمؤمن ان يذل نفسه قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين
وهو ينشأ من عدم القناعة وورد عن عمر رض ان الطمع فقر وان الياس غنى وان المرء اذا ايس عن شيء
استغنى عنه احمد في الزهد وابن ابي الدنيا في القناعة والعسكري في المواعظ وروي ان رجلا من الانصار
قال يا رسول الله اوصيني واوجز لي قال عليك بالياس مما في ايدي الناس واياك والطمع فانه فقر حاضر
ابو نعيم والتامل في ذم البخل ومدح السخي اذ هما في جبلة كل احد من العالي والدني وما ورد فيهما اي
من احاديث النبي كقوله عم السخاء شجرة من اشجار الجنة اغصانها متدليات في الدنيا فمن يأخذ بغصن منها
قاده ذلك الغصن الى الجنة والبخل شجرة من اشجار النار اغصانها متدليات في الدنيا فمن اخذ بغصن منها
قاده ذلك الغصن الى النار الدارقطني في الافراد والبيهقي عن علي والاربعة عن ابي هريرة وكقوله خلقان
يحبهما الله وخلقان يبغضهما الله تعالى فاما اللذان يحبهما الله فالسخاء والسماحة واما اللذان يبغضهما الله تعالى فسوء

مطلب

باب ذل الطمع

باب مدح السخي وذم البخل وما ورد في حقهما

وكون السخاء شجرة من الجنة وكون البخل شجرة من النار

فسوء الخلق والبخل البيهقي عن ابن عمرو وكقوله ما من العباد يصبح الا وملكان ينزلان فيقول احدهما
اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا والاحوال الانبياء والاولياء اي في احوالهم
واحوال سائر البخلاء والاسخياء واختيار التشبه بهم اي بالاصفياء فمن تشبه بقوم فهو منهم لا بالمتنعمين
من الكفار والحمقى اي من الجهلة والفجار وقد قال تعالى انهم كانوا قبل ذلك مترفين اذهبتم طيباتكم في
حيوتكم الدنيا وورد اشبعكم في الدنيا اجوعكم في العقبى والتسخي اي تكلف السخاوة والتشبه بحصن
السخي وخداع النفس بالصيت اي بحسن الثناء عند الناس والجاه والوجاهة في مقام الايناس والمكافاة
اي وبتصور المكافاة فورد تهادوا تحابوا ثم ازالة الرياء بعد الاعتياد اي بعد تعوده بالسخاوة فان الرياء
في الابتداء قنطرة الاخلاص في الانتهاء كما ان المجاز قنطرة الحقيقة ومن هنا قالوا طلبنا العلم لغير الله فابى ان يكون
الا لله وكثرة ذكر الموت فانه يهون السخاوة قبل الفوت والاعتبار بالسالفين اي الاتعاظ بالسابقين
من اهل الاموال في تركهم الدنيا عند الموت وكذا حكم اللاحقين وقد قال تعالى ولقد علمنا المستقدمين
منكم ولقد علمنا المستاخرين حكي ان ذا القرنين اتى على امة من الامم ليس في ايديهم شيء مما يتمتع به الناس
من دنياهم قد احتفروا قبورهم فاذا اصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها من الغبار وصلوا عندها
بالحضور ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قيض لهم في ذلك معايش من نبات الارض فارسل ذو القرنين
الى ملكهم فقال له اجب الملك ذا القرنين فقال ما لي حاجة اليه فاقبل اليه ذو القرنين فقال ارسلت اليك
لتاتيني فابيت فها انا جئت فقال لو كان لي اليك حاجة لاتيتك فقال ذو القرنين ما لي اراكم على الحالة
لم ار احدا من الامم عليها قالوا وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شيء من البناء ولا اتخذتم الذهب والفضة
فاستمتعتم بها قالوا انما كرهناها لان احدا لم يعط شيئا منها الا تاقت نفسه ودعته الى ما هو افضل منه
فقال ما لكم احتفرتم قبورا فاذا اصبحتم تعهدتموها فكنستموها وصليتم عندها قالوا اردنا اذا
نظرنا اليها واملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الامل قال واراكم لا طعام لكم الا البقل من الارض افلا
اتخذتم البهائم من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها واستمتعتم بها فقالوا كرهنا ان نجعل بطوننا قبورا
لها ورأينا نبات الارض بلاغا وانما يكفي ابن ادم ادنى العيش من الطعام وانما جاوز الحنك لم يجد
له طعما كائنا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الارض يده فتناول جمجمة فقال يا ذا القرنين
اتدري من هذا قال لا ومن هو قال فذلك ملك من ملوك الارض اعطاه الله سلطانا على اهلها فغشم وظلم
وعتا فلما راى الله ذلك منه قصمه بالموت فصار كالحجر الملقى قد احصى الله عمله حتى يجزيه به في الاخرة ثم
تناول جمجمة اخرى بالية فقال يا ذا القرنين هل تدري من هذا قال لا ومن هو قال هذا ملك ملك
بعده قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع لله وامر بالعدل
في اهل مملكته فصار كما ترى وقد احصى الله عمله في دنياه حتى يجزيه في اخراه ثم اهوى الى جمجمة ذي القرنين

مطلب الاعتبار بالسالفين

حكاية ذي القرنين

فقال هذه

فقال هذه الجمجمة قد كانت كهاتين فانظر يا ذا القرنين ما انت صانع فقال له ذو القرنين هل لك
في صحبتي فاتخذك اخا ووزيرا وشريكا ومشيرا فيما اتاني الله من هذا المال فقال ما اصلح انا وانت في مكان قال ولم ذلك
قال من اجل ان الناس كلهم لك عدو ولي صديق قال ولم قال يعادونك لما في يديك من الملك
والمال ولا احد يعاديني لرفضي ذلك ولما عندي من الحاجة وقلة الشيء والفاقة فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا
ومتعظا وزيارة القبور فانها تذكر العقبى وتزهد في الدنيا فهي عبرة لاولي الالباب وروي اذا تحيرتم
في الامور فاستعينوا باهل القبور والاصل فيه اي في طريق الانفاق هو الوسط المحمود بالاتفاق والصبر
عن المتلذذات الفانية وقصر الامل اي بالاستعداد زاد الدار الباقية وورد عن علي رضه قال انما اخشى
عليكم من اثنين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسي الاخرة وان اتباع الهوى يصد
عن الحق وان الدنيا قد ارتحلت مدبرة والاخرة مقبلة ولكل واحد منهما بنون فكونوا من ابناء
الاخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل ابن المبارك واحمد
في الزهد والعلم بافات المال اي تغيراته في المال واياته نقلا في سوء المال فقد روي عن جرير عن
ليث قال صحب رجل عيسى عم فقال اكون معك واصحبك فانطلقا فانتهيا الى شاطئ نهر فجلسا يتغديان
ومعهما ثلثة ارغفة فاكلا رغيفين فبقي رغيف فقام عيسى عم الى النهر فشرب ثم رجع ولم يجد الرغيف فقال
للرجل لم يجد الرغيف فقال لا ادري قال فانطلق ومعه صاحبه وراى ظبية معها خشفان لها فدعا
احدهما فاتاه فذبحه فاشتوى منه فاكل هو وذلك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فذهب فقال للرجل
بالذي اراك هذه الاية من اخذ الرغيف قال ما ادري ثم انتهيا الى وادي ماء فاخذ عيسى عم بيد الرجل
فمشيا على الماء فلما جاوزا قال اسألك بالذي اراك هذه الاية من اخذ الرغيف قال لا ادري فانتهيا
الى مفازة فجلسا فاخذ عيسى عم ترابا فقال كن ذهبا باذن الله فصار ذهبا فقسمه ثلث اثلاث
ثم فقال ثلث لي وثلث لك وثلث لمن اخذ الرغيف قال فانا اخذت الرغيف قال فكله لك ففارقه عيسى عم
فانتهى اليه رجلان في المفازة ومعه المال فارادا ان ياخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا اثلاثا فابعثوا
احدكم الى القرية حتى يشتري طعاما فبعثوا احدهم فقال الذي بعث لاي شيء اقاسم هؤلاء في هذا المال
لكن اصنع في الطعام سما فاقتلهما قال ففعل ذلك قال هؤلاء لاي شيء نجعل لهذا ثلث المال ولكن
اذا رجع الينا قتلناه واقتسمناه بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه واكلا الطعام فماتا فبقي ذلك المال في
المفازة واولئك الثلثة قتلى عنده فمر بهم عيسى عم في تلك الحال فقال لاصحابه هذه الدنيا وهذا المال
فاحذروها ولا تفتنكم في المال وهي اي افات المال من البليات الافضاء الى المهلكات اي ايصاله
الى مهلكات الاخلاق كالكبر فانه يغلب على ارباب الاموال والكذب اي في معاملتهم وسائر الاحوال
والعداوة اي الناشئة من كثرة القيل والقال وحب الدنيا وهو راس كل خطيئة كما رواه البيهقي في الشعب

مطلب حديث الاستعانة باهل القبور

مطلب حكاية عيسى عليه السلام

مطلب افات المال

باسناد حسن الى الحسن البصري رحمه الله رفعه مرسلا واقتحام الشهوة وفي نسخة الشبهة اى ودخوله من غير
ملاحظة لحصوله في الامور المضرة من غير وصول المسرة والحاجة الى الناس اى لضرورة الغني من معاشرة الخلق
في مباشرة امره بخلاف الفقر فانه غني بربه عن غيره والشغل عن الطاعة بالكسب اى والاشتغال عن العبادة
بسبب الكسب كما هو العادة بخلاف المتوكلين من ارباب الارادة والحفظ اي بسبب حفظ الاموال فانه
يضيع به ضبط الاحوال ودفع الحساد اي بدفعهم لما فيهم من انواع الفساد مع احتمال المشاق في جمعه ومنعه
بالانفاق اذ حلال الدنيا فيه الحساب وحرامها فيه العذاب بل الحجاب الذي هو اشد العذاب وفوائده اي
والعلم بفوائد المال وهو الانفاق على النفس للقيام بالطاعة فيما لا بد له منه على طريق القناعة كالمطعم وكذا
المشرب والملبس وكذا المسكن وما يحتاج اليه الى الانفاق الزائد عليه كالحج وكذا العمرة والغزو وكذا طلب
العلم وتحصيل الصلة وعلى الغير من الزوجة والخادم ونحوهما من الاجانب والمحارم فورد افضل الدينار
دينار ينفقه على عياله رواه مسلم وكفى بالمرء اثما ان يضيع من يقوت ابو داود وعند مسلم معناه وهو اي الانفاق
صدقة للفقير اي باي طريقة مع حصول النية ومروة اي فتوة للغني في بعض الاحوال المرضية كما بينه بقوله
من الضيافة فانها من الشمائل السنية فورد الضيافة على اهل الوبر وليست على اهل المدر القضاعي عن ابن
عمرو الضيافة ثلثة ايام فما زاد فهي صدقة احمد وابو يعلى عن ابي سعيد الضيف يأتي برزقه ويرتحل
بذنوب القوم الطبراني عن طارق بن شيم ضاف ضيف رجلا من بني اسرائيل وفي داره كلبة مجح بالحاء
المهملة المشددة بعد الجيم اي قريبة الولادة فقالت الكلبة والله لا انبح ضيف اهلي فعوي جراؤها
في بطنها قيل ما هذا فاوحى الله الى رجل منهم هذا مثل امة تكون من بعدكم يقهر سفهاؤها علماءها والهدية فانها
من الفضائل البهية وقد ورد الهدية تذهب بالقلب والسمع والبصر الطبراني عن عصمة بن مالك الهدية
تفور بعين الحكيم الديلمي عن ابن عباس هدية الله الى المؤمن من السائل على بابه الخطيب في رواة مالك عن ابن عمر
والاعانة وكذا الاغاثة قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وفي الخبر المشهور من كان في عون اخيه المؤمن
كان الله في عونه وورد من اغاث ملهوفا كتب الله له ثلثا وسبعين مغفرة واحدة فيها صلاح امره كله وثنتان
وسبعون درجات يوم القيمة البخاري في تاريخه والبيهقي عن انس فهي اي المروة تحصل الاخوة اي في الدين
والدنيا وورد كثيرا باسناد ابن ابي الدنيا عن سهل بن سعد والمرء مع من احب وله ما اكتسب الترمذي
عن انس والمرء على دين خليله فلينظر من يخالل والسخاء لارباب الصفاء واصحاب الوفا والفتوة وكمال
الرجولية وجمال الانسانية وورد فيها اي في المروة وما يتعلق بها الاخبار فانها من اعمال الابرار فورد من
المروة ان ينصت الاخ لاخيه اذا حدثه ومن حسن المماشاة ان يقف الاخ لاخيه اذا انقطع شسع
نعله الخطيب عن انس المروة اصلاح المال الديلمي عن ابان عن انس ليس من المروة الربح على الاخوان ابن عساكر
عن ابن عمر ووقاية عطف على صدقة اي محافظة لدفع الشر اي من اهل الشر وهو اي الانفاق على الغير

لدفع الشر

مطلب فوائد المال

بيان المروة والضيافة

بيان الهدية

ظ في الشعب

بيان الاعانة والاغاثة

لدفع الشر يعني الغيبة بالكلام والعداوة في الجنان فورد انه اي وقاية صدقة وما وقى به المرء عرضه
له صدقة العسكري والقضاعي عن جابر واستخدام اي اخذ خادم بالشراء او الكراء لتدبير المعاش
فهو اي الخادم يفرغه للعبادة التي هي زاد المعاد وفي نحو المسجد اي في الانفاق نحو عمارة المسجد وترميمها
وتنويرها والجسور اي معبر العامة والخاصة فوق البحر او النهر والرباط اى الخانات في البعد عن العمارات
او القلاع دفعا للكفرة وارباب الفسادا والحوض والبئر في البلدات والفلوات والكل من الخيرات والمبرات
فهو اي الانفاق في نحو المسجد يبقي الذكر اي الثناء الحسن بعد فقد العمر وتحصيل بركة الدعاء اي دعوة
العامة وكل منها اي من فوائد المال عبادة مستقلة لا سيما عمارة المساجد فقد قال تعالى انما يعمر مساجد الله من
امن بالله واليوم الاخر الاية وورد من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة ابن ماجه عن علي رض والطبراني
عن ابي امامة اوسع منه وفي رواية احمد عن ابن عباس من بنى لله مسجدا ولو مفحص قطاة لبيضها بنى الله
له بيتا في الجنة وفي معنى المسجد المدارس للعلماء والزوايا للصلحاء فعن ابي هريرة من بنى بيتا يعبد الله فيه من
حلال بنى الله له بيتا في الجنة من در وياقوت الطبراني في الاوسط ثم السخي في عرف العلماء من لا يمنع ما يجب شرعا او مروة
اي طبعا ومنه البخل وهو ما يمنعها او مانع الشرع اي موجب البخل من مانع المروة والسخاوة تفارق الايثار وهو
اختيار الغير بالبر بانه اي الايثار بذل مع الاحتياج اي مع غاية الافتقار اليه والسخاوة مع عدم فافترقا وهو
اي الايثار الافضل اي افضل من السخاوة فهو من ثلث خصال يستكمل به الايمان والخصلة الثانية انه يحب لنفسه
ما يحب لاخيه والثالثة انه يأمن جاره بوائقه وورد في مدح الانصار ويؤثرون على انفسهم ولو كان
بهم خصاصة اي شدة حاجة وفاقة او مجاعة وضرورة الى ما يؤثرونه وفي البخاري عن ابي هريرة انه رجلا
اتى النبي عم فاستضافه فبعث الى نسائه فقلن ما معنا الا الماء فقال عم من يضيف هذا فقال رجل من
الانصار انا فانطلق به الى امرأته فقال اكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما عندنا الا القوت
للصبيان فقال هيئي طعامك واصبحي سراجك ونومي صبيانك اذا ارادوا عشاء فهيأت طعامها واصبحت
سراجها ونومت صبيانها ثم قامت كانها تصلح السراج فاطفأته فجعلا يريانه انهما يأكلان فباتا طاويين
فلما اصبح غدا الى رسول الله عم فقال ضحك الله الليلة او عجب من فعالكما فانزل الله عز وجل ويؤثرون
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة واخرج الحاكم عن ابن عمر قال اهدي لرجل من الصحابة رأس شاة فقال ان اخي
فلانا وعياله احوج الى هذا منا فبعث اليه فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى تناوله سبعة ابيات حتى رجع
الى الاول فنزلت الاية وعن بعض المتعبدات انها وقفت على جماعة من بلاد وهو جالس مع اصحابه فقالت هل
فيكم من اسأله عن مسئلة فاشاروا الى جنابه فقالت ما السخاء عندكم قالوا العطاء والبذل والايثار وقالت
هو السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قال ان تعبد الله تعالى متبرعة سخية بها انفسنا غير مكرهة قالت اتريدون على ذلك
اجرا قال نعم قالت لم قال لان الله تعالى وعدنا بالحسنة عشرة امثالها قالت سبحان الله اذا العظيم واحدة واخذتم

مطلب فضيلة بناء المسجد والمدارس والزوايا

بيان تعريف السخي والبخيل

بيان الايثار

مطلب

عشرة فباي شيء تستحيون عليه قال فما معنى السخاء عندك يرحمك الله قالت السخاء عندي ان تعبد
الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لعبادته لا تريدون اجرا حتى يكون مولاكم يفعل ما يشاء
بكم في اولادكم واخوانكم الا تستحيون من الله ان يطلع على قلوبكم فيعلم فيها انكم تريدون شيئا بشيء انه
هذا في الدنيا لقبيح وقال الحابي السخاوة ان تسخو نفسك في محبة ربك وتسخو قلبك ببذل مهجتك
واهراق دمك من سماحة دون كراهة ابتغاء لوجهه غير مريد بذلك عوضا وغرضا عاجلا ولا اجلا
وان كنت غير مستغن من الثواب لان مولاك يختار لك ما لا تحسن ان تختار لنفسك في دنياك وآخرتك
وفيه تلميح الى قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الآية والتبذير اي السخاء
تفارق التبذير بانه حيث يجب الامساك اي المنع من بذله لكونه اسرافا وفي غير محله اللايق به وهو حرام
لقوله تعالى وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين
اي اولياؤهم وكان الشيطان لربه كفورا اي جحودا نفورا والمعنى لا تنفق مالك في المعصية قال
مجاهد لو انفق انسان ماله كله في الحق ما كان تبذيرا ولو انفق مدا في الباطل كان تبذيرا ولذا قيل
لا سرف في خير ولا خير في سرف وقال شعبة كنت مع ابي اسحق في طريق الكوفة فاتى على جدار مبني بجص
وآجر فقال هذا التبذير لكن البخل افحش من التبذير لان البخل مطلقا يذم بخلاف زيادة الكرم والتسخي
اي ويفارق السخاوة والتسخي بانه مع الكراهة اي بالطبع والجبلة بخلاف السخاوة فانها لا تكون الا مع
طيبة النفس والمحبة والمروة اي تفارقها السخاوة بترك المضايقة وكان حقه ان يقال بالمضايقة لكونه
في سوال المضايقة وفي نسخة والمروة بالرفع وهي ترك المضايقة بالمحقرات فتختلف المضايقة باختلاف
الاشخاص اي الذوات الذين يصدر منهم المضايقة او معهم المضايقة وايضا تختلف باختلاف ما به
المضايقة وتفاوت الازمنة والحالات كالغني والفقير قال ترك المروة في الغني اقبح من تركها في الفقير
والقريب والاجنبي فان ترك المروة في حق الاقارب اقبح من تركها في حق الاجانب والجار والاهل اي من
الزوجة والخادم والضيف والميت في امر تكفينه وتجهيزه وتدفينه وكذا في حال الغلاء والرخاء والسراء
والضراء وكذا يختلف باختلاف الشيخ والصبي والشاب والمرأة والرجل والعاقل والجاهل فما يستقبح في احدهما
اي الشخصين او الحالين لا يستقبح من الآخر لتفاوت الامرين والاولى في الانفاق التوسط المحمود في جميع الاخلاق
بان يكون متوسطا بين البذل والبخل فيمسك حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب العطاء وانما كان ذلك
اولى لان التفريط الذي هو البخل مذموم كالافراط الذي هو التبذير والايثار وان كان حسنا لكن المداومة
عليه ربما تؤدي الى الحرج فكان الاولى هو التوسط ورد ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك اي لا تمسك يدك عن
النفقة في الحق كالمغلولة يده لا يقدر على مدها ولا تبسطها اي بالعطاء كل البسط فتعطي جميع ما عندك
فتقعد ملوما محسورا والملوم الذي اي ما يلوم نفسه وما يلومه غيره والمحسور اي منقطعا بك لا شيء عندك

بيان التبذير

بيان كون البخل افحش من التبذير

بيان كون التوسط اولى في جميع الاخلاق

مطلب سبب نزول آية ولا تبسطها كل البسط

رماني العالم ثم جاء برا في صبي فقال يا رسول الله ان امي تستكسيك درعا ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا قميصه
فقال للصبي من ساعة الى ساعة يظهر فعد وقتا آخر فعاد الى امه فقالت له قل له ان امي تستكسيك الدرع
الذي عليك فدخل عليه السلام داره ونزع قميصه فاعطاه اياه وقعد عريانا فاذن بلال بالصلوة فانتظروه
فلم يخرج فشغل قلوب اصحابه فدخل عليه بعضهم فرآه عريانا فانزل الله تعالى الآية وحق العطاء لا سيما اذا كان فرضا
ان يعجل قبل الوجوب وهو حولان الحول في الزكوة ودخول عيد رمضان في صدقة الفطر مبادرة الى الامتثال
الى قبول الامر لقوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم واسرار المؤمن فقد قيل ادخال السرور على قلب المؤمن افضل
من عبادة الثقلين وعن جابر افضل سرور تدخله على مسلم ابن عدي وعن ابن عمر ما من شيء احب الى الله تعالى من
ادخال السرور على قلب المؤمن المسلم ابن النجار وتماما اي تمامه انقطاعا عن طروق الآفات اي حدوث طرق
الآفات الدنيوية الانسانية والوساوس الشيطانية وتعيينه وقتا فاضلا او زمانا كاملا ليكون ذلك سببا لنماء
قربته وتضاعف صدقته كشهر رمضان عن انس افضل الصدقة في رمضان الدارمي في حديث وقد كان صلى الله عليه وسلم
اجود الخلق واجود ما يكون في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئا كما في الصحيحين عن ابن عباس
وذي الحجة فانه شهر حرام وفيه الحج ومواسم الخيرات والمبرات والايام المعلومات وهي العشر الاول والايام المعدودات
وهي ايام التشريق وقد قال افضل ايام شهر رمضان العشر الاول والآخر وافضل ايام ذي الحجة العشر الاول
وسرا اي يخفي العطاء اذا خاف الرياء فورد ان العبد ليعمل سرا فيكتب سرا وان اظهره لغيره بعد سره نقل الى العلانية
اي دونها فان تحدث به اي ثانيا نقل الى الرياء الخطيب في التاريخ من حديث انس نحوه باسناد ضعيف والديلمي
عن ابي الدرداء ولفظه ان الرجل ليعمل سرا فيكتبه الله عنده سرا فلا يزال به الشيطان حتى يتكلم به فيمحى من السر ويكتب
علانية فان عاد ويتكلم الثانية محي من السر والعلانية وكتب رياء وورد ثلث من كنوز البر منها اخفاء الصدقة
ابو نعيم من حديث ابن عباس وصدقة السر تطفي غضب الرب الطبراني من حديث ابي امامة وسبعة يظلهم
الله في ظله يوم لا ظل الا ظله احدهم رجل تصدق بصدقة فلم يعلم شماله بما يعمل يمينه متفق عليه من حديث ابي هريرة
وكانوا اي السلف يبالغون فيه اي في اخفاء الاعطاء بحيث لا يعرفهم القابض تحاميا عن السمعة والرياء وتحفظا
عن المن والاذى فكان بعضهم يلقيه في يد الاعمى وبعضهم كانوا يصرونه في ثوب الفقير وهو نائم وكان يوصل
الى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطي وكان يستكتم المتوسط بشانه ويوصيه بان لا يفشيه في زمانه
ويظهر اي الاعطاء ان يأتي ملأ معتصما عنه اي محفوظا عن الرياء او امنه اي امنا من السمعة والرياء
لاحتفا بمقام الخواص في الاخلاص وقصد الترغيب لغيره في باب الاعطاء من الاقتداء فورد ان تبدوا
الصدقات اي تظهروها فنعما هي اي فنعمت الخصلة اي ابداؤها اي اظهار اعطائها وان تخفوها وتؤتوها
الفقراء فهو خير لكم اي الاخفاء بالاعطاء فهو خير لكم اي من الابداء وانفقوا بصيغة الماضي مما رزقناهم
سرا وعلانية اي باختلاف الاحوال من الترهيب والترغيب وتفاوت النية واختلاف المطلوبية او السر مختص بالنوافل

والاعلان بالفرايض او تارة وتارة بحسب ما يليق بالاشخاص والاوقات والاحوال كما يشير اليه قوله تعالى الذين
ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون روي
عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في علي بن ابي طالب رضي كانت عنده اربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق
بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية ولم يسر القابض اي لم يكتم لما اخذ بل يظهره ويتحدث
به ويدعو للصاحب فقد ورد من صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فادعوا له حتى تروا انكم قد
كافأتموه ابو داود والنسائي من حديث ابن عمر وباسناد صحيح ومن صنع اليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرا
فقد ابلغ في الثناء الترمذي وابن حبان والنسائي عن اسامة ومن صنع الى احد من اهل بيتي يدا كافيته عليها
يوم القيمة ابن عساكر عن علي تحاشيا عن الهتك اي احترازا عن انتهاك حرمة شكر النعمة فقد ورد من لم
يشكر الناس لم يشكر الله الترمذي وحسنه في رواية عبد الله بن احمد عن النعمان بن بشير لم يشكر القليل
لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر ويجتنب المن اي الامتنان
في الاعطاء والاحسان والاذى باليد او باللسان فقد ورد لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى اي بكل منهما
وهما اي المن والاذى على طريق اللف والنشر المرتب الذكر بالقلب اي ذكر الصدقة بقلبه والاظهار لها
باللسان في غيبته او وجهه والاستخدام للفقير بالعطاء والتقريع بالفقر اي تعييره بانه من الفقراء او التكبر
بالعطاء اي لاجله من الاغنياء والتشديد بالقول اي بان ينهره ويوبخه بانه من الفقراء والاقرب اي الى الصواب
من بين الاقوال ان يقال المن اي حد المن ان يراه اي المعطي محسنا اليه ومنعما عليه وحقه ان يرى الفقير
محسنا اليه بقبوله حق الله تعالى منه الذي هو طهرته وبه عن النار نجاته لو لم يقبله لبقي مرتهنا به فحقه ان يتقلد
منه من الفقير في قبضه واخذه بيد لطفه ولذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويمثل عنده قائما
يسأله قبولها حتى يكون هو في صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لو رده وكان بعضهم يبسط كفه
ليأخذ الفقير فيكون يد الفقير هي العليا ويعرف اي المن بقوة استبعاد جناية القابض بعد العطاء اي بترك
الخدمة وعدم التعظيم والحرمة والتقديم في المحافل والمتابعة في المجالس والمحافل فلو جنى القابض على المعطي
زاد استنكاره علم ان صدقته لم تخل عن شائبة المنة لانه توقع بسببها هنالك ما لم يكن يتوقعه قبل ذلك والمحسن
اي في الحقيقة هو القابض اي للصدقة لايصاله اي المحسن الى الثواب والانجاء اي الخلاص عن العقاب وكونه
اي ولكونه نائبا عنه تعالى فيه اي في القبض فقد ورد انها تقع اولا بيده تعالى ولفظ الحديث ان الصدقة تقع بيد الله
قبل ان تقع في يد السائل الدارقطني في الافراد من حديث ابن عباس والبيهقي في الشعب وكونها اي ولكون
الصدقة حقا له تعالى اي خالصة اذ ليس له شريك في ملكه ولا ملكوته احال عليه الفقير على سبيل الرزق انجازا
لما وعد من الرزق اي وقدره ان يكون بيد الخلق فليتحقق الغني انه مسلم الى الله تعالى حقه و
الفقير اخذ من الله تعالى رزقه بعد صيرورته مسلما الى الله ولو كان عليه دين لانسان فاحاله على صاحب

الدين عبده

الدين عبده او خادمه الذي هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدي الدين كونه القابض تحت منته
سفها وجهلا فان المنة للمحيل اليه المتكفل برزقه فاما هو فقاض بقضاء الدين الذي لزمه بشراء ما احبه فهو ساع
في حق نفسه فلم يمن به على غيره والاذى اي والاقرب ان حد الاذى التعيير والتوبيخ عطف تفسير او احدهما
مختص بالغيبة والاخر بالمشاهدة والقول السوء كالذم والشتم والكلام والقطوب وهو عبوسة الوجه وهتك الستر
اي بيانه اعطائه في الملاء حوله والاستخفاف اي بقوله والاحتقار بفعله والسبب اي الباعث على المن والاذى
استكثار العطاء واستثقاله وهو حمق لانه كيف يكره بذل درهم في مقابله ما يساوي الفا فهو شديد الجهل ومعلوم
انه يبذل المال لطلب رضاء المولى والثواب في دار العقبى فلا وجه للكراهية اصلا والتكبر على القابض الناشي
من الجهل الحاصل الحادث من جهله باستقلال رضاء الله تعالى على خسيس فانه اي في اصل نيته كما تقدم ونسيانه
فضل الفقراء اي من نسيانه فضلهم لانه لو عرف فضل الفقير على الغني وعرف خطر الاغنياء وحفظ الفقراء لما احتقر
الفقير بل يتبرك بخدمته ويتمنى ان يكون في درجته فصلحاء الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام
عام الترمذي عن ابي سعيد والمراد اي بالبطلان في قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى عدم كون
ذلك العطاء صدقة اي مقبولة نافعة كل النفعة او صدقة مضاعفة بان تكون كمثل حبة انبتت سبع سنابل
في كل سنبلة مائة حبة لا الابطال اي الحقيقي فلا يكون له ثواب الصدقة بالكلية ولا حبة كما تقول المعتزلة وعلى
الثاني فيكون له ثواب الاحسان لانه احسن الى احد من الاخوان او اي الابطال في جميع الاحوال ممتنع في صحيح
الاقوال ويستصغر اي من حق العطاء اي يستحقر الاعطاء ليعظم عنده تعالى فيصير حبة مثل جبل احد ويقال
ان الطاعة كلما استصغر كبرت وكلما استعظمت صغرت وهو اي الاستصغار انما يحصل بذكر التوفيق بان يتأمل
بعين التحقيق انه من اين له المال والى ماذا يصرف في المال لله وله المنة اذا اعطاه اياه ثم وفقه لبذله
وصانه عن بخله فلم يستعظم في حق الله ما هو عين بعض حقه وهذا ان ارتقى الى الدرجة العليا بان يكون بذله في
في محبة المولى والثواب اي وبالاجر والمثوبة بان كان مقامه يقتضي ان ينظر الى الاخرة ومثوبة العقبى
فلم يستعظم بذله ما لم يستقل عليه اضعافه مع انه بخيل باعطائه بعض ماله فكان ينبغي ان يخجل في اعماله من نقصان
كماله باعتبار ماله وهذا معنى قوله ويؤدي مستحييا منه تعالى فهو عطف بالمعنى على تذكير التوفيق كما
لتقدير وهو بانه يذكر التوفيق وان يؤدي مستحييا منه سبحانه في مقام التحقيق البخل الحامل على الحفظ
اي على امساك بقية ماله عن مرضاة مالكه اجود المال مفعول يؤدي اي يعطي احسن المال وابعده
من الشبهة اي اقربه الى الحلال فقد ورد انفقوا من طيبات ما كسبتم تمام ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا
الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه اي لا تأخذونه الا على كراهة وحياء وفي الخبر
سبق درهم مائة الف درهم النسائي وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابي هريرة وذلك بان
يخرج من احل ماله واجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح ببذله وقد يخرج مائة الف درهم مما يكره

مطلب المن والاذى

من ماله فيبذله ذلك على انه ليس يؤثر الله عز وجل الشي مما يحبه كذا في الاحياء ويحتمل ان يكون معناه
ان لاحد درهمين فاخرج درهما ولاخر سبعمائة الف درهم فاخرج الف درهم فتصدقه عليه انه غلب
درهم مائة الف درهم بحسب الرتبة في مقام الكرم والله سبحانه اعلم ثم رأيت في رواية للنسائي عن ابي
ذر سبق درهم مائة الف درهم رجل له درهمان اخذ احدهما فتصدق به ورجل له مال كثير فاخذ
من عرضه مائة الف فتصدق بها وفي رواية الطبراني عن ابي مالك الاشجعي ثلثة نفر كان لاحدهم عشرة دنانير فتصدق منها
بدينار وكان لاخر عشرة اواق فتصدق منها باوقية وكان لاخر مائة اوقية فتصدق منها بعشرة اواق هم في
الاجر سواء كل تصدق ببعض ماله حتى تنفقوا مما تحبون في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فينبغي
ان ينفق من ماله اجوده واحبه واجله واطيبه فورد ان الله طيب لا يقبل الا طيبا احمد م ت عن ابي هريرة
وطوبى لعبد انفق مال اكتسبه من غير معصية ابن عدي والبزار ولانه تعالى ياخذها فورد ياخذ الصدقات
اي في قوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات فلا يدخل تعزيز لقوله يؤدي اجود المال
حتى لا يدخل في المال فما ورد من ذم الكفار ويجعلون لله ما يكرهون اي البنات حيث قالوا الملائكة بنات الله تعالى
وغمام وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى وهي الصبيان لمن يكن متعلق بيؤدي اي يخص اعطاه لمن يكون
اعطاؤه الاجر يكون متقيا والاتقياء هم المعرضون عن الدنيا المتجردون لتجارة العقبى فقد قال تعالى ان اكرمكم
عند الله اتقيكم وورد لا تاكل الطعام تقي ولا ياكل طعامك الا تقي ابو داود والترمذي من حديث ابي
سعيد الخدري وهذا لان التقي يستعين به على التقوى فيكون شريكا له في طاعة المولى وعالما فانه ذلك
اعانة له على العلم والعلم اشرف العبادات فورد تعاونوا على البر والتقوى وورد اصب بطعامك من
يحب الله وفي لفظ في من يحبه الله ابن المبارك في حبر عن الضحاك مرسلا وكان ابن المبارك يخصص
بمعروفه اهل العلم فقيل له لو عممت فقال اني لا اعرف بعد مقام النبوة افضل من مقام العلماء فاذا
اشتغل قلب احدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعليم فتفريغهم للعلم افضل وكان بعضهم يؤثر
فقراء الصوفية بالعطاء دون غيرهم فقيل لو عممت بمعروفك جميع الفقراء كان افضل فقال هؤلاء قوم همهم
الله سبحانه فاذا طرقتهم فاقة تشتت همهم اذا همّ احدهم حلاني اورد همه واصلهم الى الله تعالى احب الي من اعطا
الف ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولي من اولياء الله ما سمعت منذ زمان
كلاما احسن من هذا وهذا معنى قول المص وصادقا اي في تقواه وعلم بتوحيد مولاه حال كونه يرى
النعمة منه تعالى ولم ينظر الى واسطته ويكون همته الله لا ما سواه ففي وصية لقمان لابنه لا تجعل بينك و
بين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما ومن يشكر غير الله سبحانه فكانه لم يعرف المنعم وسلطانه ولم
يتيقن ان الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله اياه اذ سلط الله عليه دواعي الفعل ويسر له الاسباب
فاعطى وهو مقهور ولو اراد تركه لم يقدر عليه بعد ان القى الله تعالى في قلبه بانه صلاح دينه ودنياه

في فضل من يتيقن هذا لم يكن له نظر الى مسبب الاسباب ويقين مثل هذا العبد انفع للمعطي من ثناء غيره وشكره و
ذلك معلوم في الثنائي يقل جدواه في اكثر الزمان واعانة مثل هذا الموحد لا تضيع ولا يقع في مقام النقصان
واما الذي يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فيذم بالمنع ويدعو بالشر عند الاباء من العطاء فاحواله
متفاوتة في السراء والضراء وفي هذا المقام قال عم لرجل تب فقال اتوب الى الله تعالى ولا اتوب الى محمد عليه السلام
فقال عم عرف الحق لاهله احمد والطبراني من حديث الاسود بن سريع بسند ضعيف ولما نزلت براءة عائشة رضي الله عنها
في قصة الافك قال ابو بكر قومي فقبلي رأس رسول الله عم فقالت لا والله لا افعل ولا احمد الا الله عز
وجل فقال عم دعها يا ابا بكر وفي لفظ آخر انها قالت لابي بكر بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك فلم ينكر
رسول الله صلى الله عم مع انه الوحي وصل اليها على لسان رسول الله صلى الله عم كذا في الاحياء وقال العراقي رواه ابو
داود من حديث عائشة بلفظ فقال ابواي قومي فقبلي رسول الله عم فقلت احمد الله لا اياكما والبخاري تعليقا
فقال ابواي قومي فقلت لا والله لا اقوم اليه ولا احمده ولا احمدكما ولكن احمد الله وله ولمسلم فقالت لي
امي قومي اليه فقلت والله لا اقوم اليه ولا احمد الا الله وللطبراني فقالت بحمد الله لا بحمد صاحبك وله
من حديث ابن عمر فقال ابو بكر قومي فاحتضني رسول الله صلى الله عم فقلت لا والله لا ادنو منه
الحديث وفيه انها قالت للنبي عم بحمد الله لا بحمدك ثم اعلم ان رؤية الاشياء من غير الله تعالى وصف للكافرين
واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم
يستبشرون ومن لم ينصف باطنه عن رؤية الوسائط الا من حيث انهم وسائط فكانه لم ينفك عن الشرك
الخفي سره فليتق الله سبحانه في تصفية توحيده في مراتبه عن كدورة الشرك الخفي وشوائبه ومع هذا من
لا يرى الواسطة والشرط فقد جهل وانما المنكر من يرى الواسطة اصلا وهذه مرتبة جمع الجمع في التحقيق
والله ولي التوفيق وساتر الحاجة اي مخفيا فاقته لا يكثر البث والشكوى في حضرة حاله فورد يحسبهم
الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا اي الحاحا وتصريحا بل تعريضا وتلويحا
ولا يسألونه اصلا فالنفي منصب على القيد والمقيد كقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع حيث لا
شفيع لهم اصلا وقطعا وذلك لانهم اغنياء بيقينهم واعزة بصبرهم وتمكينهم فورد ليس الغنى عن كثرة العرض
انما الغنى غنى النفس متفق عليه من حديث ابي هريرة ومعيلا بضم الميم اي محتاجا عن نفقة اهله ومريضا اي
محبوسا بالمرض مانعا له من كسبه فورد للفقراء اي خصوصا صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله اي
حبسوا في طريق الاخرة لعلة او ضيق معيشة او صلاح قلب في علم وعبادة تمام لا يستطيعون ضربا في الارض
اي سيرا فيها للتجارة والزراعة والاجارة ونحوها من الاسباب كان عمر بن الخطاب رض يعطي اهل البيت
القطيع من الغنم العشرة فما فوقها وكان عم يعطي العطاء على قدر العيلة كذا في الاحياء قال العراقي لم يجد له
اصلا لكن لابي داود من حديث عوف بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اتى الفي قسمه في يومه

ويعطي الاهل خطيئين ويعطي العزب حظا وقال الحجة صدوق حسن فكان الغزالي نقل بمعناه لعدم استحضار
مبناه او اطلع على ما لم يجده غيره بعده وورد ان المعونة تاتي من الله للعبد على قدر المعونة وان الصبر
ياتي من الله على قدر المصيبة الحاكم والحكيم والبزار والبيهقي عن ابن عمر وسئل عمرو رضي عن جهد البلاء
فقال كثرة العيال وقلة المال وضعيف الحال والاقارب الحمال لو كان الخلق كلهم عيالي ولم تنزل قطرة و
لم تنبت حبة محالم ما بالي فان خالفهم رازقهم او مميتهم وصادقهم وذا رحم فجاء ان الصلة اي صلة
الرحم بدرهم احب من التصدق بعشرين الى الاجنبي كعلي لان اصل الخامس اخواني بدرهم احب
الي من ان اتصدق بعشرين درهما ولان اصل بعشرين درهما احب الي من ان اتصدق بمائة درهم ولان
اصلهم بمائة درهم احب الي من اذا اعتق رقبة واما الاصدقاء والاخوان فيقدمونه على المعارف كما تقدم الاقارب
على الاجانب وقد ذكر السيوطي في خماسيته ثواب الصدقة خمسة انواع واحدة بعشرة وهي على صحيح الجسم ووا
بتسعين وهي على الاعمى والمبتلي وواحدة بتسعمائة قرابة محتاج وواحدة بمائة الف على الابوين وواحدة
بتسعمائة الف على العالم او الفقيه والاولى طلب الجامع اياه اي طلبه لمن اجتمع فيه الصفات المذكورة والحالات
المسطورة او اكثر لان ما لا يدرك كله لا يترك كله وبقدر ما ينبغي يحصل له ما يتمنى فان وجد من جمع
هذه المراتب فاعني للمناقب في الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى وتصدق كل يوم اي ليكتب في
المتصدقين وقد ورد باكروا بالصدقة فان البلاء لا يتخطى الصدقة الطبراني في الاوسط عن علي
والبيهقي عن انس ولا ترد سائلا فورد ردوا السائل ولو بظلف محرق مالك واحمد والبخاري في تاريخه
والنسائي عن حوا بنت السكن وفي رواية العقيلي عن عايشة ردوا اهذم السائل اي بغيته وشهوته
ولو بمثل راس الذباب العقيلي عن عايشة وهذا مقتبس من قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وسكوته
ان لم يقدر على العطاء وهو الماثور فعن محمد بن الحنفية مرسلا انه عليه السلام كان لا يكاد يقول
لشيء لا فاذا هو سئل فاراد ان يفعل قال نعم وان لم يرد ان يفعل سكت رواه ابن سعد ورواه
الحاكم عن انس كان عم لا يسئل الا اعطاه او سكت الا بلطف وهو المشهور عن الجمهور فورد قول
معروف اي كلام حسن ورد على السائل مستحسن وقيل عدة حسنة وقيل دعوة صالحة ومغفرة اي ستر حيلة
او سد فاقة او رفع حاجة خير من صدقة يدفعها اليه حال كونه يتبعها اذى اي يعقبها به لديه او من عليه
والاولى ان يستدل بقوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا
ميسورا اي ذا يسر ولين وهي العدة اي نعدهم وعدا جميلا وقيل ادع لهم دعاء جميلا نحو يرزقنا
الله واياك واعطانا الله واعطاك ولا ينهر اي ومن حق العطاء انه لا يزجر ولا يقهر وبه فسر
قوله تعالى واما السائل فلا تنهر اي اذا سئلك فاما ان تطعم طعاما لينا واما ان ترده ردا هينا فاوعد
فيه العذاب الف عام في النار ولم اعرف له اصلا ويغتنم السؤال بالمصدر اي سؤال الفقير على بابه

مطلب الصدقة على الكاشح افضل

مطلب ثواب الصدقة خمسة كونه

مطلب رد السائل ولو بظلفه

مطلب السكوت ان لم يقدر على العطاء

فانه هدية من الله تعالى اليه جنابه كما ورد فيما تقدم ويحتمل ان يكون به السؤال الاعلى وزن الجهال جمع سائل ففي
ابراهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الاخرة وعن ابن عمرو مرفوعا هدية الله الى المؤمن السائل
على بابه رواه الخطيب في رواية مالك ويسيء الظن بنفسه عند فقده اي عند عدم السائل في باب
النسم ولا يتوقع اي لا يطمع من الفقير حين اعطاه عطاء ان يجازيه جزاء ودعاء وشكرا وثناء قال تعالى
حكاية عن الابرار ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء
ولا شكورا ويكافئ بالهمزة اي يجازي المعطي بمثل بنظير دعاء الفقير ان دعا له بالخير ونحوه من الجزاء او اثنى
عليه بان مدح في مقابلة العطاء وكانت عايشة رض ام المؤمنين لكثيرة الخيرات والمبرات قال عروة بن الزبير
لقد تصدقت بخمسين الفا وان درعها المرقع وكانت هي وام سلمة اذا ارسلتا معروفا الى فقير قالتا
للرسول احفظ ما يدعو به ثم كانتا تردان عليه مثل قوله وتقولان هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا فكانوا
لا يتوقعون الدعاء الا انه يشبه المكافاة وهكذا فعل عمر وابنه رضي الله عنهما ويجعلها اي ثواب صدقته لوالديه
للماضيين اي المتوفيين فانما ينتظران دعوة تلحقهما او صدقة تصيبهما فعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
ما على احدكم اذا اراد ان يتصدق ان يجعلها لوالديه اذا كانا مسلمين فيكون لهما اجرها مثل اجورهما
من غير ان ينقص من اجورهما شيء ابن البخاري فالكل ماثور في كتب الحديث مسطور ويقدم نفقة النفس
والعيال فهو اي تقديمهما فرض وقد ورد ابدا بمن يعول متفق عليه ابدا بنفسك فتصدق عليها فان
فضل شيء فلاهلك فان فضل عن اهلك شيء فلذي قرابتك فان فضل من ذي قرابتك شيء
فهكذا النسائي وفي الطبراني من حديث جابر بن سمرة اذا انعم الله على عبده نعمة فليبدا بنفسه واهل
بيته وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم ابو داود
من حديث ابي هريرة بسند صحيح وابن حبان والحاكم وصححه ورواه النسائي وابن حبان ايضا بتقديم
الزوجة على الولد ويجمع بين الحديثين بان الولد صغير في الاول وكبير في الثاني وقال صلى الله عليه وسلم يوما
لاصحابه تصدقوا فقال رجل عندي دينار فقال انفقه على نفسك قال انه عندي آخر قال انفقه
على زوجتك قال ان عندي اخر قال انفقه على والديك قال ان عندي اخر قال انفقه على خادمك
قال ان عندي اخر قال انت ابصر به ابو داود والنسائي واللفظ له وابن حبان والحاكم من حديث
ابي هريرة ويباكر اي يخرج الصدقة اول النهار ليدخل في قوله ويسارعون في الخيرات يبادرهم
اي بالصدقة البلاء اي دفعه فورد الصدقات بالغدوات يذهبن بالعاهات الديلمي عن انس وفي رواية
البيهقي عنه والطبراني في الاوسط عن علي باكروا بالصدقة فان البلاء لا يتخطى الصدقة وورد
الصدقة تمنع سبعين نوعا من البلاء اهونها الجذام والبرص الخطيب عن انس الصدقة تمنع ميتة
السوء القضاعي عن ابي هريرة ويغتنم الصدقة على من رق له القلب لانه من علامة ان رحمة الرب نزلت اي رقة

باب فضيلة الصدقة

مطلب علامة صدق السائل رقة القلب

القلب لانه صدق السائل وقد ورد لو صدق السائل ما افلح من رده العقيلي في الضعفاء وابن عبد
البر في التمهيد من حديث عايشة والطبراني نحوه من حديث ابي امامة وللبيهقي من حديث عايشة لولا ان السؤال
يكذبون ما قدس من ردهم لا تردوا السائل ولو بشق تمرة ولا يحتقر ما عنده لقوله تعالى ان الله لا يظلم
مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما ولقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال
ذرة وان تك حكاية عن لقمان يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل الآية قال يحيى بن معاذ ما اعرف
حبة تزن جبال الدنيا الا الحبة من الصدقة ولقوله سبحانه وتعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق فربما
يكون جزم عنده حقيرا ويصير عنده سبحانه عظيما وكبيرا اوزد ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب
طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا كان الله يأخذه بيمينه فيربيه له كما يربي احدكم فصيله اي فلوه
حتى تبلغ التمرة مثل احد البخاري تعليقا ومسلم والترمذي والنسائي في الكبرى واللفظ له وابن ماجه
من حديث ابي هريرة واتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم يجد فبكلمة طيبة متفق عليه من حديث عدي
بن حاتم وتصدقوا ولو بتمرة فانها تسد من الجائع وتطفي الخطيئة كما يطفي الماء النار ابن المبارك
في الزهد من حديث عكرمة مرسلا ولاحمد من حديث عايشة بسند حسن استتري بنفسك من النار ولو
بشق تمرة فانها تسد من الجائع مسدها من الشبعان وقال عليه السلام وللبزار وابي يعلي من حديث ابي بكر
اتقوا النار ولو بشق تمرة فانها تقوم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجائع موقعها من الشبعان
وقال عليه السلام لابي ذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها ثم انظر الى اهل بيت من جيرانك فاصبهم منه بمعروف
رواه مسلم في رواية العقيلي ردوا اهدية السائل ولو بمثل رأس ذباب ويقال ان الحسن مر به نخاس ومعه
جارية فقال اترضى في ثمنها الدرهم والدرهمين قال لا قالت فاذهب فان الله رضي بالحور العين بالفلس
والفلسين واللقمة واللقمتين وعن عليكم من جوار ما يحاله بمهرها الا قبضة من حنطة او مثلها من تمر العقيلي
عن ابن عمر وكان عمر لا يكل صدقته الى غيره كما يصنع طهوره بالليل ويخمر بيده وكان يناول المسكين بيده
الدارقطني من حديث انس باسناد ضعيف وابن مبارك في البر مرسلا ويحصل انواعها اي ويجتهد في تحصيل
انواع الصدقة حقيقة وظاهرا وحكما كارشاد الضال اي دلالته على صناعة او رده الى بابه فروى الترمذي

مطلب تحصيل انواع الصدقة حقيقة او حكما

وغيره عن ابي ذر مرفوعا تبسمك في وجه اخيك صدقة وامرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة
وارشادك الرجل في ارض الضلال فصدقة الحديث او هدايته الى زقاق فلاحمد والترمذي وصححه
من حديث البراء من منح منحة ورق او منحة لبن او هدى زقاقا فهو كعتاق نسمة او دلالته عن جهالته
وضلالته فورد لان يهدي بك الله رجلا خير لك من حمر النعم اي من صدقتها وقربان المرأة اي جماعها
للتعفف من اجله او من اجلها فروى ابو داود عن ابي ذر فيصبح على كل سلامى من ابن آدم صدقة تسليمه
على من لقيه صدقة وامره بالمعروف صدقة واماطة الاذى عن الطريق صدقة وبضعه اهله صدقة ويجزي

عن ذلك

عن ذلك ركعتان من الضحى قالوا يا رسول الله احدنا يقضي شهوته ويكون له صدقة قال ارايتم لو وضعها
في غير حلها الم يكن عليه وزر وفي رواية النسائي وابن حبان وغيرهما عن ابي ذر ايصيب ولدك في جماع زوجتك اجرا
رايت لو كان لك ولد فادرك ورجوت اجره فمات اكنت تحتسبه قال نعم قال فانت خلقته قال انت هديته
قال انت رزقته قال لا قال وضعه في حلاله وجنبه حرامه فان شاء الله احياه فان شاء اماته ولك اجر و
العدل بين الاثنين من الزوجين وغيرهما فعن ابي هريرة كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع
فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة وتعين الرجل على دابته فيحمل عليها او يرفع عليها متاعه الحديث
احمد والشيخان والحمل على الدابة لما سبق من الحديث والمعنى حمل الغير او متاعه على دابته او دابة نفسه
وطيب الكلام فعن ابن عباس الكلمة الطيبة يتكلم بها الرجل صدقة الطبراني وفي رواية لمسلم والنسائي عن
ابي ذر فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة الحديث وتقدم حديث
اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجد فبكلمة طيبة والخطوة الى الصلاة فعن ابي هريرة برواية احمد
والشيخين وكل خطوة تخطوها الى الصلاة صدقة والانفاق على العيال فعن جابر ما انفق المسلم من نفقة
على نفسه واهله كتب له بها صدقة الحديث ابن عساكر والحاكم في مستدركه عن انس ان نفقتك على اهلك وخادمك
صدقة وفي رواية للخطيب عنه كل معروف صنعته الى غني او فقير فهو صدقة وفي رواية احمد وغيره عن ابي
امامة ما اطعمت زوجتك فهو لك صدقة وما اطعمت ولدك فهو لك صدقة وما اطعمت خادمك
فهو لك صدقة وما اطعمت نفسك فهو لك صدقة والتبسم في وجه اخيه وقد تقدم حديث وتبسمك في
وجه اخيك صدقة وفي رواية احمد وغيره عن جابر كل معروف صدقة وان من المعروف ان تلقى اخاك
ووجهك اليه منبسط وفي رواية عن ابي ذر لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تلقى اخاك بوجه
طلق واطراق الفحل اي من الابل والخيل يعني اعارته للضراب وهو نزوه على الانثى ففي مسند
احمد والترمذي عن ابي امامة افضل الصدقات ظل فسطاط في سبيل الله عز وجل او منحة خادم
في سبيل الله او طروقة فحل في سبيل الله واعارة الدلو اي ونحوها الداخلة في ذم مانعها حيث قال تعالى
ويمنعون الماعون وقد روى البخاري في تاريخه عن ابي ذر وافراغك من دلوك في دلو اخيك لك صدقة
وفي رواية ولو ان تفرغ من دلوك في اناء المستسقي والنفع بعلم اي بتعليمه فعن ابي هريرة افضل الصدقة ان
يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه اخاه المسلم ابن ماجه وغرس فعن ابي درداء من غرس غرسا لم ياكل منه آدمي
ولا خلق من خلق الله الا كان له صدقة احمد وزرع فعن خلاد بن السائب من زرع زرعا فاكل منه طير
او عافية كان له صدقة والعافية السبع ونحوه وبث مصحف وتخليف ولد يستغفر له فعن ابي هريرة رضي
اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلث صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له مسلم وغيره وافضلها
اي افضل الصدقات ما ذكر في الصحة اي حال العافية ففي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رجل يا رسول الله

اي الصدقة افضل اجرا قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى
اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان كذا والمحتاج فدرهم منه اي من اجله
مثل سبعين اي درهما من اجل غير المحتاج ويتفرع عليه قوله والقرض افضل منها اي من الصدقة فهو اي
القرض بثمانية عشر اي درجة زائدة على الصدقة التي درجتها عشرة لوقوعه في كف المحتاج كما ورد دخلت
الجنة فرأيت الصدقة على بابها بعشرة والقرض بثمانية عشرة فقلت يا جبريل كيف صارت الصدقة بعشرة
والقرض بثمانية عشرة قال لان الصدقة يقع في يد الغني والفقير والقرض لا يقع الا في يد من يحتاج اليه الطبراني
عن ابي امامة ولا ينذر اي الاولى ان لا ينذر فيجب عليه فلعله لا يفي بنذره او يفي لكن مع كره ونهي
عنه في الصحيحين عن ابن عمر وانه عم نهى عن النذر وحمل على انه من فعل البخلاء اذ السخي اذا اراد ان
يتقرب الى الله تعالى استعجل فيه واتى به في الحال ولم يتركه الى الاستقبال وفي مسلم والترمذي والنسائي
عن ابي هريرة مرفوعا لا تنذروا فان النذر لا يغني عن القدر شيئا وانما يستخرج به من البخيل وورد
قال الله تعالى لا يأتي ابن ادم النذر بشيء لم اكن قدرته ولكن يلقيه النذر الى القدر وقدرته لم استخرج
به من البخيل فيؤتي عليه ولم اكن اوتي عليه من قبل احمد والبخاري والنسائي عن ابي هريرة واما ما ترى
من اداء الدعا من الترغيب في النذر فمحمول على ما اذا كان في الاعمال الصالحة والنهي عن النذر هنا
محمول على النذر في المال لمظنة عدم الوفاء في المال بخلاف النذر في الاعمال فالغالب فيه الوفاء في الاستقبال
ثم اعلم انه ينبغي للقابض امور منها ان يفهم ان الله تعالى اوجب صرف الزكوة ونحوها الى الفقير ليكفى
همومه ويجعلها هما واحدا هم دينه وقد اكثر الله عز وجل الاموال ووضعها في ايدي عباده من العمال
والبطال فيكونه الة لهم في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم الى طاعاتهم فمنهم من ابتلاه بالمال وجعل عليه
فتنة وبلية فاقحمه في متن الخطر ومنهم من احبه نحاه الدنيا وما يتعلق بها من الحذر كما يحمي الشفيق مريضه
ما في اكله من الضرر فزوى عنه فضولها وقدر له حصولها وساق اليه قدر حاجته على يد الاغنيا ليكون له
شغل الكسب والتعب في الجمع والحفظ عليهم مع غاية من العناء وفائدته منصبة الى الفقراء من نهاية من التهنا ليتجرد
العبادة المولى والاستعداد لمعاد الى العقبى فلا يصرف عنهم فضول الدنيا فحق الفقير ان يعرف
قدر نعمة الفقر ويتحقق ان فضل الله تعالى عليه فيما زواه اكثر مما اعطاه فليأخذ ما يأخذ من الله سبحانه
رزقا له وعونا على الطاعة فان استعان به على المعصية كان كافر النعمة مستحقا الطرد واللعنة
ومنها ان ينظر فيما يأخذه فان لم يكن من حل تورع عنه لقوله سبحانه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من
حيث لا يحتسب فلا يأخذ من اموال من اكثر كسبه الحرام الا اذا ضاق عليه الامر وكان ما يسلم اليه لا يعرف
له مالكا معينا فله ان يأخذ بقدر حاجته ومنها ان يتوقى في مواقع الريبة والشبهة في مقدار ما يأخذه
ولا يأخذه الا اذا تحقق انه موصوف بصفة الاستحقاق ولا يأخذ ما يتم به كفايته من وقت اخذه

الى سنة فهذا الاقصى ما يرخص فيه من حيث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخر لعياله قوت سنة متفق عليه من
حديث عمر كان يعزل نفقة اهله سنة والطبراني في الاوسط من حديث انس كان اذا ادخر لاهله قوت سنة تصدق
بما بقي فاذا اقتصر على حاجة شهر او يوم فهو اقرب للتقوى في حق الاولياء ومذاهب العلماء في قدر المأخوذ
بحكم الزكوة والصدقة مختلفة فمن مبالغ في التقليل الى حد اوجب الاقتصار على قوت يوم وليلة وتمسك
بما روى سهل الحنظلية انه عم نهى عن السؤال مع الغنى فقال غداءه وعشاءه ابو داود وابن حبان ومحمول
عند الجمهور على السؤال الا في جميع الاحوال لان لفظ الحديث من سأل وله ما يغنيه فانما يستكثر من جمر
جهنم وقال اخرون يأخذ الى حد يغنى وحد الغنى نصاب الزكوة اذ لم يوجب الله عز وجل الزكوة الا على
الاغنياء فقالوا له ان يأخذ لنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكوة وبالغ اخرون في التوسع فقالوا له ان يأخذ
مقدار ما يشتري به ضيعة فيستغني بها طول عمره او يهيئ بضاعة ليتجر فيها ويستغني لان هذا هو الغنى
حتى ذهب قوم الى ان من افتقر فله ان يأخذ ما يعود به الى مثل حاله ولو عشرة الاف درهم الا اذا خرج
عن حد الاعتدال والله اعلم بالاحوال وقد ورد ما المعطي من سعة بافضل اجرا من الذي يقبل من
حاجة ابن حبان في الضعفاء من حديث انس ومنها انه يأخذ ما يعطى له حال الخلاء ولا يأخذ في الملاء وهو
رجل الى بعض العلماء شيئا ظاهرا فرده اليه ودفع اليه اخر شيئا سرا فقبله فسئل في ذلك فقال ان هذا عمل
بالادب فقبلته وذلك اساء الادب في عمله فرددته واعطى رجل بعض الصوفية شيئا في الملاء فرده
فقال له لم ترد على الله تعالى ما اعطاك فقال انك اشركت غير الله حيث لم تقنع بالله فرددت عليك شركك فقبل
بعض العارفين في السر شيئا كان رده في العلانية فقيل له في ذلك قال عصيت الله تعالى في الجهر فلم اكن لك عونا
على المعصية واطعته في الاخفاء فاعنتك على بركة وقال الثوري لو علمت نفسه وايضا للاحتراز من شبهة
الشرك نور ذكر اهدي اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها العقيلي وابن حبان في الضعفاء والطبراني في
الاوسط البيهقي من حديث ابن عباس قال الفضيل لا يصح في هذا المتن حديث اما العارف فلا نظر له الا الى الله
تعالى والسر والعلانية في حقه واحد واختلاف الحال شرك في التوحيد والتوفيق منه سبحانه والتأييد

الباب الثالث في الصوم وكسر الشهوة

اي الذي هو مراد القوم بسم الله الرحمن الرحيم
ورد الصوم لي اي الفريضة مختص لاجلي لا يتصور كونه لغيري وانا اجزي به بصيغة الفاعل وقيل
بالمفعول في الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله تعالى كل عمل ابن ادم له الا الصيام فانه لي وانا
اجزي به وفي رواية لهما عنه كل حسنة بعشر امثالها الى سبع مائة ضعف الا الصيام فانه لي وانا اجزي به
مع ان جزاء كل العبادات منه تعالى اشارة الى عظم ذلك الاجر لان الكريم اذا تولى بنفسه اقتضى ذلك سعة
الجزاء وكانه لم يذكر ما يجزي لكثرته ويومي اليه قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
وقد ورد الصوم نصف الصبر اخرجه الترمذي وحسنه والصبر نصف الايمان ابو نعيم في الحلية

من حديث ابن مسعود بسند حسن اي جزائه لغاية بعض ذوقي في العقبى او موقعي اي في الدنيا ولا منع من الجمع
واعتنى عن الصوم بالاضافة اي اللامية مع ان كل عبادة مختصة له تعالى لانه اي من بين العبادات خلق
صمدي وان الاستغنا من الاكل والشرب والجماع من الصفات الصمدية والنعوت الاحدية وكان
الصائم متخلقا بذلك الخلق من اخلاق الله تعالى وورد تخلقوا باخلاق الله وقد قالوا كل اسم من اسمائه تعالى
للتخلق الا الاسم الجلالة فانه للتعلق فالاضافة تشريفية كناقة الله وبيت الله ومما قال انا اجزي
به مع ان جزاء كل العبادات منه سبحانه اشارة الى اعظم ذلك الاجزية لان الكريم اذا وعد ان يتولى شيئا
بنفسه اقتضى ذلك عظمته وكانه لم يذكر ما يجزي به لكثرته او نفاسته كما يشير اليه قوله تعالى فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون من اخفاء الاعمال وحديث اعددت لعبادي الصالحين
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر او عمل سري فانه قصد قلبي مع ترك المفطر
الصوري والملائكة الكتبة لا يطلعون على ما لا عمل فيه فهو سر بين العبد وربه بحيث لا يطلع عليه غير
او قهر النفس والشيطان الذي هو اي قهرهما اصل المعاملة فان مدار المعاملة على مخالفتهما وموافقة
الله ورسوله في حكمهما وايضا كما ان النفس والشيطان مقهوران مغلوبان في قبضة الله سبحانه يكونان
مقهورين مغلوبين ايضا في قبضة الصائم فصار الصائم متخلقا بخلق الحق في الجملة ولو كان وصف
سبحانه بنعت الدوام ومن هنا ورد نوم الصائم عبادة ابو نعيم في الحلية عن ابن عباس ولخلوف
فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك يقول الله تعالى انما يدع شهوته وطعامه وشرابه من اجلي
فالصيام لي وانا اجزي به متفق عليه من حديث ابي هريرة وهو موعود بلقائه سبحانه في جزاء صومه اذ ورد
للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه متفق عليه ايضا وفي الاحياء ان الصوم
قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان الى الشهوات المشغلة عن العبادة وانما تقوى الشهوات بالاكل والشرب
وسائر اللذات ولذا قال عم ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وادنى
رتبته اي مراتب الصوم وهو الجواز اعم من ان يكون مقبولا اولا ناقصا او كاملا وهو مقام العوام
الكف عن الشهوتين اي الامتناع عن شهوتي البطن والفرج في وقته مقرونا بالنية المعتبرة المذكورة في محله
وهو مناط الجواز اي متعلق جواز الفتوى في ظاهر شرع الدنيا وهو صوم العموم ثم كف الجوارح اي منع
الاعضاء من العين والاذن واللسان وسائر الاعضاء والاركان عن الاثم اي مطلق المعصية وهو مناط
القبول لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين وهو صوم الخصوص وورد خمس اي خصال يفطرن الصائم
بتشديد الطاء اي يجعلن مفطرا حكما لا حقيقيا الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر
بشهوة والازدي في الضعفاء من رواية جابان عن انس ونقل الحجة في الاحياء جابر تضعيف وقال
ابو حاتم الرازي هذا كذب او لكن يقويه رواية الديلمي في مسند الفردوس عن انس ثم اعلم

ان حفظ

ان حفظ اللسان عن الهذيان والزام السكوت او شغله بالذكر وتلاوة القرآن هو كمال صوم الانسان
عند الاعيان وقد روي لحديث عن مجاهد خصلتان يفسدان الصوم الغيبة والكذب وقال سفيان
الغيبة تفسد الصوم وورد انما الصوم جنة فاذا كان احدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل فان امرء
قاتله او شاتمه فليقل اني صائم متفق عليه من حديث ابي هريرة وجاء في الخبر ان امرأتين صامتا في عهد رسول
الله عم فاجدهما الجوع والعطش من اخر النهار حتى كادتا ان تتلفا فبعثتا الى رسول الله عم في الافطار
فارسل اليهما قدحا وقال عم قل لهما قيئا فيه ما اكلتما فقاءت احديهما نصفه دما غليظا ولحما غريضا
وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك فقال عم هاتان صامتا عما احل الله
سبحانه لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما قعدت احديهما الى الاخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا
ما اكلتا من لحومهما احمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عم بسند فيه مجهول وكذا حكم
غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر الى كل ما يعرف ويكره والى كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الرب
فورد النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله تعالى اتاه الله سبحانه ايمانا يجد حلاوته
في قلبه الحاكم وصحح اسناده من حديث حذيفة وكذا حكم كف السمع عن الاصغاء الى ما يكره من لغو ولهو وقد
ورد والذين هم عن اللغو معرضون والمغتاب والمستمع شريكان في الاثم كذا في الاحياء وهو غريب نعم
الطبراني من حديث ابن عمر وبسند ضعيف نهى رسول الله صلى الله عم عن الغيبة كم من صائم ليس له الا الجوع
والعطش النسائي وابن ماجه من حديث ابي هريرة وهو المفطر بالحرام وقيل المرتكب للاثم كالكذب
والغيبة وسائر الاثام ثم كف القلب عما سواه تعالى اي عما عدا ذكر الرب وما يتعلق به وهو اي هذا
النوع من الصوم للانبياء والاولياء وخصوص الخصوص وخصوص الخصوص وتوضيحه ان يصوم
قلبه وفكره عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية ويكف عما سواه بالكلية ويحصل الفطر في هذا الصوم
بالفكر من غير صفات الله واياته ومصنوعاته واليوم الاخر ومقاماته بالفكر في امر الدنيا وشهواته
ولهواته الا دنيا تراد للدين وضروريات فان ذلك زاد الاخرة ومقدماته حتى قال ارباب القلوب
من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يستعمل في افطاره كتبت عليه خطيئته من اوزاره فان
ذلك من قلة الوثوق بفضل الله وكرمه وقلة اليقين برزقه ووعده فينبغي ان يكون بحال يصدق
ان يقال في حقه قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وحقه اي الصوم على الصائم ان يخاف
الرد ويرجو القبول فيكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء اذ ليس يدري
ايقبل صومه فهو من المقربين او يرد عليه فهو من الممقوتين وليكن كذلك في اخر كل عبادة يفرغ
منها وروي عن الحسن بن ابي الحسن انه مر بقوم يوم العيد وهم يضحكون فقال ان الله جعل
شهر رمضان مضمار الخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق اقوام ففازوا وتخلف اقوام فخابوا فالعجب

كل الشيب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون المسارعون وخاب فيه المبطلون المدعون
اما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بطاعته واحسانه والمسيء باساءته وعصيانه اي لكان سرور
المقبول يشغله عن اللعب وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك وعن الاحنف بن قيس انه قيل له انك شيخ
كبير وان الصيام يضعفك قال اني اعده لسفر طويل والصبر على طاعة الله سبحانه ايسر في باب اهون من
الصبر على عذاب الله وحجابه فعلم ان الظاهر يعود بصحة الجوارح والحصول وعدم الاخرى يغني بها المقبول
والوصول الى المقصود والمأمول وبين هذا قول ابو الدرداء يا حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يعيبون
صوم الحمقى وسهرهم ولذرة من بر صاحب تقوى ويقين ارجح من امثال الجبال من عبادة المغترين
ولذا قال العلماء كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم فالمفطر الصائم هو الذي حفظ جوارحه عن الاثام و
ياكل ويشرب من الحلال دون الحرام والصائم المفطر هو الذي يجوع ويعطش في الايام ويطلق جوارحه
في الاثام ويقول اي في جنانه او بلسانه قائلا اي جادله او ضاربه او خاصمه او شاتمه اني صائم اي
فانا ممسك عما لا يليق بذي الاحكام وفيه تنبيه نبيه على ان المستحب ان اعلم من صاحبه على الصيام اذا لا
يتعرض له من كلام الخصام وشبهه قوله تعالى فاما ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن
صوما فلن اكلم اليوم انسيا فهو ماثور كما تقدم وقد ورد انما الصوم امانة فليحفظ احدكم امانته
الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث ابن مسعود في حديث والامانة في الصوم واسناده حسن ولما تلا هذه
قوله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وضع يده على سمعه وبصره فقال السمع امانة والبصر امانة
كذا في الاحياء قال العراقي اخرجه ابو داود من حديث ابي هريرة ورده قوله السمع امانة ثم لولا ان الصوم
امانة لما قال عم فليقل اني صائم اي اخبر ودعت لساني لا حفظه عن الاشتغال بك فكيف اطيع بجوابك
ولا يسال بصيغة المجهول عنه اي صيام او عن حاله بان يقال انك صائم ام لا فانه يوجب على كل تقدير
اشكالا لان المسئول ان اقر اظهر وربما يتفرع عليه الرياء وان انكر كذب وهو اعظم البلاء وانه
اي يتحقق اي المسئول للسائل بسؤاله فيما يتحقق ويترتب عليه الجفاء وان احتال المدافعة تعب اي
فيما يتفكر ويتدبر ووقع في العناء وورد لا يكذب الكاذب الا من مهانة نفسه عليه الديلمي عن ابي
هريرة مرفوعا ولا يكثر الاكل اي حال الافطار بحيث يجتنب خاو عاء ابغض الى الله تعالى من بطن يملاء
من الحلال فقد ورد ما ملا ادمي وعاء شرا من بطن بحسب ابن ادم اكلات يقمن صلبه فان كان
لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه احمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن المقدام بن
معدي كرب واكلات بضمتين لقيمات مما في رواية تحاميا عن الكسل اي في الطاعة وقد ورد اعوذ
بك من الكسل لا سيما في التهجد لما تقدم من انه اذا اكثر الاكل اكثر الشرب واذا اكثر الشرب اكثر النوم
واذا اكثر النوم ضيع عمره وفيه اجره وينبغي ان لا يكثر النوم في النهار ايضا ليحس اثر الجوع والا فيقل

بنجمة

٦٠

نتيجة وثمرته لا يساميها وجود غفلته وعن بعض الحكماء خمس من الاشياء ابتلي الناس بها وكان هلاكهم فيها
اولها حب الشبع وفيه قساوة القلب والثاني حب النوم وفيه نقصان العمر والثالث حب الراحة وفيه الافلاس
والرابع حب المال وفيه الحساب الطويل في المال والخامس البناء وفيه ذهاب الثواب وابطال الاعمال
وبطلانه بهواه اي وتحاميا عنه بطلانه فائدة الصوم ومنفعته امره وهو قهر النفس اي اذ لا لها للانقياد
وفما خلقت لاجله فكيف يستفاد من الصوم قهر الشيطان وكسر النفس وتقليل الشهوة اذا تدارك الصائم
عند افطاره ما فاته في نهاره ومن جعل بينه وبين قلبه مخلاة من الطعام فهو محجوب عن
شريف المقام ولطيف المرام وطريقه اي طريق تحصيل الصوم في مذهب القوم معرفة فوائد الجوع
فقد قيل الجوع عز كله والشبع ذل كله وورد صمت الصائم تسبيح ونومه عبادة ودعائه مستجاب
وعمله مضاعف الديلمي عن ابن عمرو وقال بعضهم اختبرت صوم الدهر لما سئلت عن ستة اشياء
فاجابوا بجواب واحد سالت الاطباء عن الاشفى الادوية فقالوا الجوع وقلة الاكل وسالت الحكماء عن
اعونه الاشياء على طلب الحكمة فقالوا الجوع وقلة الاكل وسالت العباد عن انفع الاشياء في العبادة
قالوا الجوع وقلة الاكل وسالت العلماء عن افضل الاشياء على حفظ العلم وفهمه قالوا الجوع وقلة الاكل و
سالت الملوك عن اطيب الادم والذ الطعام قالوا الجوع وقلة الاكل وهي اي فوائده تمامه عشر صفاء
القلب اي ضيائه وبهائه وقبوله لدوام ذكر الرب فورد من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه اي
وكثرت همته وقلت شهوته وعدمت نهمته والحديث لم اجده مرفوعا وانما قال لقمان لابنه يا بني
اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وفترت الاعضاء عن العبادة وقد ورد ان
من السرف ان تاكل كلما اشتهيت ابن ماجه عن انس وفي رواية البيهقي عن عائشة اكثر من الاكل كل يوم
سرف وعن سلمان ان اكثر الناس شبعا في الدنيا اطولهم جوعا يوم القيمة ابن ماجه والحاكم وعن حديث
ابن عباس ان اهل الشبع في الدنيا هم اهل الجوع في الاخرة الطبراني وعن يحيى بن معاذ يا معاشر الصديقين
جوعوا انفسكم لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام على قدر الجوع ورقته اي ورقة القلب وتاثيره
بذكر الرب فورد من شبع ونام قسا قلبه لا اعرف بهذا اللفظ نعم ورد اذيبوا طعامكم بالصلوة والذكر
ولا تناموا عليه فتقسوا قلوبكم ابو نعيم وغيره ثم يؤخذ بالمفهوم فيفيد ان من جاع وسهر رق قلبه
والاستلذاذ بالطاعة اي التلذذ بالعبادة كما يعرفه اهل الارادة والانكسار اي الذل الحاصل من مقام
الافتقار فالبطر سبب المعصية والغفلة والفقر باعث التوبة والرجوع الى الحضرة وقد ورد عليكم
بالصوم فانه محسمة للعروق ومذهبة للاشر ابو نعيم في الطب عن شداد بن اوس وذكر عطش العرصات
اي موقف القيمة بحيث يكون الشمس قريب راس قدر القامة وفي الحبس يوضع الصائمين مائدة يوم القيمة
من ذهب يأكلون منها والناس ينظرون ابو الشيخ والديلمي عن ابن عباس وجوع الجحيم كما قال تعالى ليس لهم طعام

الامن ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع و قد ورد الصوم يبعد من نحو السعير الطبراني عن انس وكسر شهوة الفرج فاستيلاؤها بالشبع و لذا ورد من استطاع منكم ان يتزوج فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء متفق عليه من حديث ابن مسعود ودفع النوم اي في الجملة فهو اي النوم الكثير يكل الطبع اي يجعل كالا في فهم الكلام ويضيع العمر بقدر المنام ويفوت القيام بمقاصد المرام ومراصد المقام والتهجد وهو القيام والناس نيام ويسر المواظبة على الطاعة لخفة البدن المستلزم للمواظبة على العبادة كما يعرفه ارباب السعادة والفراغ عن الاهتمام بالتحصيل اي بتحصيل الكثير فان امر القليل يسير والاعداد تهيئة ما يحتاج الى الاكل من نحو الطبخ والنفخ والاكل اي نفسه من الفعل والفراغ بالجر اي والفراغ عن الفراغ من قضاء الحاجة الانسانية ودفع الامراض الشاغلة عنها اي عن العبادة الكاملة فورد المعدة بيت بفتح فكسر وبكسر وسكون بيت كل داء اخرج الخلال من حديث عائشة مرفوعا بلفظ الازم دواء والمعدة بيت الداء وعود وابدانا ما اعتاد ذكره السيوطي والازم الحمية واخرج ابن ابي الدنيا في كتاب الصمت عن وهب بن المنبه قال اجتمعت الاطباء على ان راس الطب الحمية واجتمعت الحكماء على ان راس الحكمة الصمت وخفة المؤنة فانها مطلوبة في مقام المعونة والاكتفاء بالقليل فان كثير قل ان يكون حلالا ولحديث قليل يكفيك خير من كثير يطغيك فطلب الزيادة تورث المذلة اي في كسبهما وتحصل الحرام بسببها والشبهة بلا شبهة في جهاد امكان الايثار بالفاضل اي الزائد عن قدر كفايته وفي قناعته ليكون في ظله اي ظل ما ينفقه في سبيل الله يوم القيمة فروي ان الرجل في ظل صدقته حتى يقضي بين الناس القضاعي عن عقبة بن عامر ان ظل المؤمن يوم القيمة صدقته ابن زنجويه من بعض الصحابة ثم التقليل بالتدريج الى ما يحصل به القوام وهو طريق رياضة المشايخ الكرام وعن بعضهم ان مما يعين على الجوع يا صمد من غير شبيه ولا شيء كمثله ثلثمائة وستين مرة وهو عجيب مجرب غريب وان لم تطق اي تقليل وهو الانسب او ما يحصل به القوام وهو الاقرب فالاكل بعد صدق الشهوة اي تحقيق الرغبة ويعرف الصدق بان لا ينتظر الادام بعد حضور الخبز في المقام او لا يقع الذباب على البزاق فانه علامة عدم بقاء مادة الطعام في معدته بالاتفاق واما اذا كان يشتهي خبزا مخصوصا او مع الادام فهو كاذب في جوعه واما الجوع المفرط فمفسد الفكرة ومعد للخيالات المنكرة والترك بالرفع اي وترك الاكل مع بقائه اي بقاء الميل في اثنائه والاصوب اي الاقرب الى الصواب في هذا الباب الاكتفاء بما يقوي على العبادة فانها هي المقصودة من اولي الالباب فهو الماثور عن الجمهور وهو اي ما يقوي يختلف بحسب الاحوال وكذا بتفاوة امزجة الرجال اما الوقت اي قدر زمن الجوع والتقليل كانوا اي بعض اهل السلف يطوون يومين فصاعدا اي ثلثة الى خمسين يوما وهذا درجة ارباب كمال الاجتهاد والاقتصاد في الاكل بحسب الوقت المناسب لاكثر العباد من الزهاد و

مطلب تقليل الطعام بالتدريج الى ما يحصل به القوام عند بعض المشايخ ... يا صمد ... ٣٦٠ مرة

بيان قدر زمن الجوع

العباد

٦٦

العباد هو الاكل في اليوم ان لم يكن صائما والليلة حين افطاره وهو الوسط المروي عنه عليه السلام اي في بعض المقام ففي الخبر اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد ابو نعيم في الحلية عن ابي سعيد فورد ان اكلتين في يوم من السرف وقد تقدم ما اخرجه البيهقي وضعفه عن عائشة قالت راني النبي عم وقد اكلت في اليوم مرتين فقال يا عائشة اما تحبين ان لا يكون لك شغل الا في جوفك الاكل في اليوم مرتين من الاسراف والله لا يحب المسرفين وفي رواية له ايضا يا عائشة اتخذت الدنيا بطنك اكثر من اكلة كل يوم سرف والله لا يحب المسرفين الا ان المعروف في شمائله عم كان غالبا يأكل في مرتين المعبر عنه بالغداء والعشاء وفي الصوم الفطور والسحور المسمى بالغداء المبارك في الحديث كما هو المذكور في قوله سبحانه وتعالى في حق اهل الجنة ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وهو الطريقة الحنيفية السهلة فالحديث محمول على الكلتين مشبعتين او على اكلتين في نهار واكلة في ليلة والاحب التسحر بها اي بتلك الاكلة ان كان يكتفي بها فهو اولى من اول الليلة ليتهجد على فراغ المعدة ويتقوى على الصوم وهو المروي اي مع انضمام الاكل اول الليلة ففي الخبر تسحروا فان السحور بركة متفق عليه واستعينوا بطعام السحر على صيام النهار وبالقيلولة على قيام الليل ابن ماجه والحاكم عن ابن عباس وقيل المروي هو ما روي في حديث علي كان عم يواصل الى السحر وفي حديث عاصم بن كليب عن ابيه عن ابي هريرة قال ما واصل عم وصالكم هذا قط غير انه اخر الاكل الى السحر وان منع اي الجوع الحضور بالطاعة من التهجد وغيره فيفطر بنصف اي من قرص او من قدر عادته في حال شبعه ويجمع بين استعانته على الطاعتين اي طاعة الباطن وهو الحضور في مقام السرور وطاعة الظاهر وهي الطاعة بالجوارح فيبقى نور على نور فالجوع الشاغل عنه تعالى مذموم كما ان الشبع الشاغل عنه سبحانه مشهود وقد ورد اللهم اني اعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع وقد اشار صاحب البردة الى الزبدة بقوله فرب مخمصة شر من التخم واما الجنس المأكول فلا علي من الخبز البر المنخول وفيه سعة ثم الشعير المنخول وفيه رخصة والبر غير المنخول فهو توسط ثم الشعير غير المنخول وهو سنة وعن ابن عباس انه عليه السلام كان يبيت الليالي المتتابعة طاويا واهله لا يجدون عشاء وكان اكثر خبزهم الشعير احمد والترمذي وابن ماجه وفي الشمائل عن عائشة انها قالت ما شبع ال محمد صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي شمائل الترمذي عن سهل بن سعد انه قيل له اكل عم النقي يعني الحواري فقال سهل ما رأى عليه السلام النقي حتى لقي الله عز وجل فقيل هل كانت لكم مناخل على عهده عم قال ما كانت لنا مناخل فقيل كيف تصنعون بالشعير قال ننفخه فيطير ما طار ثم نعجنه لا يقال النخل بدعة حدثت بعد رسول الله عم فانا نقول ليس كل ما ابتدع منهيا عنه بل المنهي عنه ابداع بدعة مضادة سنة ثابتة فقد يكون بدعة حسنة وقد يكون واجبة وقد يكون مباحة ومنها النخل فان المقصود منه تطييب الطعام وذلك مباح ما لم ينته الى التنعم المفرط قال تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق اي المستلذات الخلق

مطلب السحور

مطلب ... جنس المأكول

مطلب النخل

مطلب اللحم والادز

ومن الادام اي ولا يعلى من الادام اللحم وقد ورد سيد طعام اهل الدنيا واهل الجنة اللحم رواه ابن
ماجه وابن ابي الدنيا من حديث ابي الدرداء مرفوعا وسنده ضعيف لكن له شواهد منها عن علي رفعه
بلفظ سيد طعام الدنيا اللحم ثم الارز اخرجه ابو نعيم في طب النبوي وعن صهيب بلفظ سيد الطعام
في الدنيا والاخرة اللحم ثم الارز اخرجه الديلمي من جهة الحاكم وعن بريدة ايضا مرفوعا سيد الادام في
الدنيا والاخرة اللحم وسيد الشراب في الدنيا والاخرة الماء وسيد الرياحين في الدنيا والاخرة الفاغية
رواه الطبراني وكذا ابو نعيم لكن بلفظ اخر ومما يقويه حديث فضل عايشة على سائر النساء كفضل
الثريد على سائر الطعام اخرجه الترمذي وغيره وفي الشمائل انه عم اكل الدجاج ولحم حبارى وجنبا
مشويا وكان يحب الذراع ويقول ان اطيب اللحم لحم الظهر وفي الاحياء عن علي رضه من ترك اللحم اربعين
يوما ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه والحلواء اي من التمر وغيره فعن عايشة كان عم يحب
الحلوا والعسل رواه اصحاب كتب الستة وكان يحب الحلو البارد كما في الشمائل واما حديث المؤمن حلو والكافر
حمري فقال ابن حجر العسقلاني باطل لا اصل له وكان يحب الدباء كما في الشمائل وغيره عن انس وكان يحب القثاء
كما رواه الطبراني عن الربيع بنت معوذ ثم الدهن وما في معناه السمن فقد ورد كلوا الزيت وادهنوا به
فانه من شجرة مباركة وفي لفظ فانه مبارك احمد والترمذي وابن ماجه عن عمر وصححه الحاكم على شرطهما ثم الملح
فعن انس مرفوعا سيد ادامكم الملح ابن ماجه وابو يعلى والطبراني والخل فعن عايشة انه عم قال نعم الادام
الخل الترمذي ورواه مسلم عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عم سال اهله الادام فقالوا ما عندنا
الا الخل فدعا به فجعل ياكل وهو يقول نعم الادام الخل وعن ابن سعد مرفوعا نعم الادام الخل اللهم بارك
في الخل وفي رواية فانه كان ادام الانبياء من قبلي وفي رواية حديث لم يفتقر بيت فيه خل رواه ابن
ماجه واما حديث خير خلكم خل خمركم فرواه البيهقي في المعرفة عن جابر مرفوعا وقال انه ليس بالقوي والمحمود
الوسط فالطرفان اي الاعلى والادنى شاغلان عن العبادة للمتجرد الزاهد واما العارف فكل حلال له طيب
قال تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون وورد الذين اذا انفقوا لم يسرفوا اي لم يبذروا ولم يقتروا
اي لم يبخلوا وكان بين ذلك قواما ولا شك ان قوام كل قوم بحسب ما يقوم عندهم خير الامور اوسطها
رواه البيهقي عن عمر بن الحارث بلاغا ولعله ماخوذ من قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وقوله
كنتم خير امة والاولى ان لا يواظب عليه اي على الادام في جميع الليالي والايام ويترك المشتهي اي وان يترك
ما يشتهيه النفس قطعا للانس بالدنيا وطمعا للجلس الهدى في العقبى وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ
الاعين وورد اللهم لا عيش الا عيش الاخرة فان عيشها عيشة راضية فاخرة وورد في حق توبيخ
الكفار اذهبتم طيباتكم اي مستلذاتكم في حياتكم الدنيا والظاهر انها محمولة على الحرمة اذ لا تبعة في المباح

او مختصة

او مختصة بالكفار لكن قد يقال العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فيتناول الفجار حيث صرفوا نعم الله سبحانه
في المعصية دون الابرار فانهم استعانوا بها على الطاعة شرار امتي الذين غذوا بصيغة المجهول من
الغذاء بالمعجمتين اي تربوا بالنعيم من غير فرق بين الحلال والحرام ونبتت عليه اجسامهم وكل جسد نبت من
اكل الحرام فالنار اولى به كما في رواية وانما همتهم انواع الطعام واللباس اي من غير تفرقة بين الجواز وعدمه
فانحط نظرهم ما يرون من فضل عامة الناس والحديث رواه ابن عدي في الكامل ومن طريقه البيهقي في شعب
الايمان من حديث فاطمة بنت الحسين مرسلا قال الدارقطني في العلل هو اشبه بالصواب ورواه ابو نعيم في الحلية
من حديث عايشة باسناد لا باس به ولا يجمع بين الشهوتين اي المشتهاتين كاللحم والفاكهة او الفاكهتين قضاء
اي ادا لشهوة النفس ومرادها فيجوز اذ يجمع بنية ادراك الخاطر الضعيف ونحوه وقد ثبت في الشمائل انه اكل
اللحم مرتين وجمع بين اللحم والرطب وجمع بين البطيخ والرطب وفي رواية بين الخربز والرطب وفي اخرى بين القثاء
والرطب وقال يرد هذا بحر هذا ولا بين الشبع والنوم فيهما غفلتان وفي كثرتهما خسرانان وخسارتان ورد
اذيبوا طعامكم اي هضموه بالصلوة والذكر واعلاه التلاوة ولا تناموا عليه اي على الشبع من غير طاعة وذكر
فتقسوا قلوبكم ابو نعيم وغيره عن انس ويكتفي بالتمر تحرزا عن التفكه اي التنعم فعن النعمان بن بشير رايت صلى
الله عم وما يجد من الدقل ما يملا بطنه الترمذي في شمائله وقيل معنى الاكتفاء بالتمر عن التفكه انه ياكل التمر
بدلا من الخبز وكذا يكتفي بكل فاكهة اشتهت نفسه عن الطعام فياكلها بدلا عنه ليكون قوتا ولا يكون تفكها
لان التفكه انما يكون اذا شبع من الطعام ثم اكل الفاكهة اما اذا اكتفى بالفاكهة بدلا عن الطعام فلا يكون
تفكها بل يكون قوتا يقتضي قوتا ويناسبه ما حكي عن بعضهم انه نظر الى رجل ياكل خبزا وتمرا فقال له ابتدا بالتمر
فان قامت به كفايتك فبها والا اخذت من الخبز بقدر حاجتك ويروم النفس اي يودبها ويهذبها في ابتداء
الرياضة قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فكان عليه السلام يحب العسل اي الحلوا ويحرمها نفسه
لانه كان في مرتبة العرفان وايضا اراد ان يقتدي به جميع افراد الانسان وعمر رضه عنه يجتنبه اي العسل
او الادام تركا للذة واختيارا للرياضة وعملا بالافضل كما هو شان الاكمل ويامر ابنه اي عبد الله على ما هو
الظاهر باكل الخبز يوما مع اللحم ثم اللبن اي يوما ثم الدهن اي دهن الزيت ونحوه او السمن ويؤيده قوله ثم الزيت
اللهم الا ان يقال المراد به الزيتون مجازا وفيه ان الزيت والزيتون كلاهما كان عزيزا في المدينة ثم الملح
ثم وحده اي الخبز من غير ادام معه ولا ياكل في الخلاء ما يتركه اي شيئا وقد رايتموه في الملا فانه من باب
السمعة والرياء وكذا لا يتعبد في الملا ما يتركه في الخلاء فانه من اخلاق النفاق فانه شرك خفي وقد
قال سبحانه وتعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وفي الحديث
القدسي انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معي غيري تركته وشركه مسلم وابن ماجه عن ابي هريرة
ولا يريد اي وينبغي ان لا يريد ان يعرف بين الناس بالتقليل اي بتقليل الاكل وكذا بتكثير العلم

والعمل فهو اي التقليل دواء الحشى اي اقبح من الاكثار مطلقا فانه ح ترك شهوة الحلال واختار شهوة
الحرام و يؤخر السحور و هو بفتح السين ما يتسحر به و بالضم التسحر وهو الاكل في السحر وهو السدس الاخير من
الليل و يعجل الافطار ففي كل منهما ورد الاثار فعن ام حكيم عجلوا الافطار واخروا السحور الطبراني وعن انس
بكروا بالافطار واخروا السحور ابن عدي وعن ابن عباس انا معشر الانبياء امرنا ان نعجل افطارنا ونؤخر
سحورنا ونضع ايماننا على شمائلنا في الصلوة الطيالسي وعن ابي ذر لا تزال امتي بخير ما عجلوا الافطار
واخروا السحور رواه احمد ويبتدأ بالتمر والرطب افضل والماء عند عدمهما و زمزم افضل
ولا منع من الجمع وعن انس كان عم يفطر على رطبات قبل ان يصلي فان لم يكن رطبات فتمرات وان لم يكن
تمرات فحسا حسوات من ماء و يفطر صائما ولو بقليل واحد فورد من فطر صائما كان له مثل اجره غير انه
لا ينقص من اجر الصائم شيئا احمد والترمذي وابن حبان عن زيد بن خالد فالكل مانوي وفي
ضمن التشريح مسطور و يستعد في شعبان لاستقبال رمضان بالتوبة اي الاستقبال والندامة و
رد المظالم اي مظالم العباد وكذا اداء حقوق الله و ترك الشواغل اي الموانع عن الصيام والقيام
من العمارة والسفر والتجارة والكسب الزائد عن الحاجة ويخص رمضان بالصدقة اي بزيادتها
فانها اقرب الى القبول والغفران والتلاوة اي قراءتها و مدارستها فانه شهر نزل فيه القرآن والا
عتكاف اي في المسجد لقوله تعالى وانتم عاكفون في المساجد لاسيما العشر الاواخر فالاعتكاف فيه
سنة مؤكدة و في غيرها مستحبة فهو عليه السلام واظب عليه اي على الاعتكاف في عشر الاخير ففي
الصحيحين عن عايشة رض كان اذا دخل العشر الاواخر احيى الليل وايقظ اهله و جد وشد المئزر وكان
لا يخرج الا لحاجة وفي رواية ابي داود بزيادة ولا يسأل عن المريض الا مارا وامرنا بالتماس ليلة القدر
اي العشر الاواخر واوتارها اشبه والجمهور على انها ليلة السابع والعشرين و يراعي سائر الايام الفاضلة
اي بالصوم فيها وقد رطاعته في تكثير طاعته كالاشهر الحرم وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم اما
المحرم فورد فيه ان كنت صائما بعد شهر رمضان فصم المحرم فانه شهر الله الحديث رواه النسائي عن علي ولانه
ابتداء السنة فبناؤه على الخير ادعى لدوام البركة وفي المعجم للطبراني من حديث ابن عباس من صام
يوما من المحرم فله بكل يوم ثلثون حسنة وعن انس من صام ثلثة ايام من شهر الحرام الخميس والجمعة والسبت
كتب الله عز وجل له عبادة تسعمائة سنة الازدي في الضعفاء وفي رواية ابن شاهين في ترغيبه و
ابن عساكر عن انس كتب له عبادة سبعمائة سنة وفي رواية الطبراني في الاوسط عن انس عبادة
ستين واما رجب فورد فيه صوم اول يوم من رجب كفارة ثلث سنين والثاني كفارة سنتين والثالث
كفارة سنة ثم كل يوم شهر رواه ابو محمد الخلال عن ابن عباس لاسيما عرفة اي يوم عرفة فورد من صام
يوم عرفة غفر له سنتين سنة امام وسنة خلفه ابن ماجه بسند حسن عن قتادة بن النعمان واذا كان بعرفات

مطلب تأخير السحور وتعجيل الافطار

مطلب سرات صوم ايام الفاضلة

انه لم يضعف عن العبادة ولم يسئ خلقه فالصوم افضل والا فالافطار و قد ثبت انه عم افطر بعرفة
في حجة الوداع وكانه تنويه على الامة منشاه الشفقة والرحمة بل ورد انه عم نهى عن صوم عرفة احمد و
ابو داود وابن ماجه والحاكم عن ابي هريرة وعاشوراء ولا فضل صوم تاسوعا وبالفضيلة اي العشر الاول
من ذي الحجة ومن المحرم فورد ما من ايام العمل فيهن افضل واحب الى الله من ايام عشر ذي الحجة ان صوم يوم
منه يعدل قيام ليلة وصيام سنة فمن يعدل قيام ليلة القدر الترمذي وابن ماجه من حديث ابي هريرة
وعند البخاري من حديث ابن عباس ما العمل في ايام افضل من العمل في هذه العشر قالوا ولا الجهاد قال ولا الجهاد
الا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء و شعبان كله او اكثره وكان عم يكثر صيام شعبان حتى كان يظن
انه من رمضان متفق عليه من حديث عايشة رض والايام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر
على الاشهر من الاقوال والايام التي تبيض جسم آدم عم بصومه لما خرج من الجنة وكان قد اسود من
جهة الخطيئة وعن ابن عباس كان عم لا يدع صوم ايام البيض في سفر ولا حضر الطبراني والجمعة والا فضل
انه لا يصوم فيها منفردا لما ورد عن جنادة الازدي لا تصوموا يوم الجمعة مفردا احمد والنسائي والحاكم
وفي رواية لاحمد عن ابي هريرة لا تصوموا يوم الجمعة الا وقبله يوم او بعده يوم والخميس والاثنين لانهما
يومان مشهوران وورد كان يصوم يوم الاثنين والخميس فقيل له فقال الاعمال تعرض كل اثنين وخميس فيغفر لكل
مؤمن مسلم الا المتهاجرين فيقول اخروهما احمد عن ابي هريرة و يفطر في اخر شعبان استعانة على صوم رمضان
واستعدادا عن التقدم في الزمان وورد اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان الاربعة
من حديث ابي هريرة وصححه الترمذي وفي رواية اذا انتصف شعبان فلا صوم حتى رمضان احمد والداود والاربعة
وصححه ابن حبان وابو عوانة وغيرهما مرفوعا فان وصل شعبان برمضان فلا ضير كذلك فعله رسول الله صلى الله
عليه وسلم مرة كما رواه الاربعة من حديث ام سلمة لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما الا شعبان يصله برمضان
ولابي داود والنسائي نحوه من حديث عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عم يتحفظ من هلال شعبان ما لا يتحفظ
من غيره فان غم عليه عد ثلثين يوما ثم صام واخرج الدارقطني وقال اسناده صحيح والحاكم وقال صحيح
على شرط الشيخين كذا ذكره الحجة وحرره ولا يخفى عدم دلالة الحديث على المدعى ثم الشرع فيما ورد من حديث
عبد الله بن عمرو في الصحيحين افضل الصيام صيام اخي داود تمام كان يصوم يوما ويفطر يوما شرعه
انكسار النفس وما لهما الا ارادة ينقص العادة فانه لب العبادة ومن ذلك ما ورد في الصحيحين
ايضا من منازلته عم لعبد الله بن عمرو في القيام وهو يقول اريد افضل من ذلك فقال عم صم يوما وافطر
يوما فقال اريد افضل من ذلك فقال عم لا افضل من ذلك لانه اشد على النفس والهوى وفيه قهر القوى
ولان العبد فيه بين صبر يوم وشكر يوم فقد قال عم عرضت على مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الارض وقلت
اجوع يوما واشبع يوما احمدك اذا شبعت واتضرع اليك اذا جعت الترمذي من حديث ابي امامة رض وفيه

بيان ايام البيض

تنبيه على ان الكمال انما هو في الجمع بين تجلي صفتي الجمال والجلال وقد ورد ايضا الايمان نصفان نصف الصبر
ونصف الشكر وقال عز وعلا ان في ذلك لايات لكل صبار شكور بخلاف صوم الدهر فانه يصير العبادة له
كالعادة على انه شامل للكل مع الزيادة ولنسبة الكيفي طرق هنالك فمنهم من كره ذلك اذ وردت فيه
اخبار كثيرة تدل على كراهية منها من صام الابد اي الدهر فلا صام ولا افطر احمد والنسائي والحاكم وابن
ماجه عن عبد الله بن الشخير وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو لا صام من صام الابد ولمسلم من حديث ابي قتادة
قيل يا رسول الله كيف بمن صام الدهر قال لا صام ولا افطر وللنسائي من حديث عبد الله بن عمرو وعمران بن حصين
وفي الاحياء الصحيح انه انما يكره لشيئين احدهما ان لا يفطر في العيدين وايام التشريق وهو الدهر كله وثانيهما
ان يرغب عن السنة في الافطار ويجعل الصوم حجرا على نفسه مع ان الله سبحانه وتعالى يحب ان يؤتى رخصه كما
يحب ان يؤتى عزائمه واذا لم يكن شيء من ذلك وراى صلاح نفسه في صوم الدهر هنالك فليفعل وقد فعله
جماعة من الصحابة والتابعين وقال عم فيما رواه ابو موسى الاشعري من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم
وعقد تسعين معناه ليس له فيها موضع والحديث رواه احمد والنسائي في الكبرى وابن حبان وحسنه ابو علي
الطوسي قيل يجتهد ان يصوم نصف السنة وهو صوم داود ويمكن ان يكون بعضه او ثلثها فاذا صام ثلثة
ايام من اول الشهر وثلثة من وسط وثلثة من اخره فهو ثلث بانفراده واما مع رعاية الايام الفاضلة بان
صوم الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من النصف وقيل لا يفطر الا اربعة ايام متواليا اعتبارا بايام النحر
والتشريق وفي الاحياء كره بعض العلماء ان يوالي بين الافطار اكثر من اربعة ايام تقديرا بيوم العيد
وايام التشريق وذكر وا ان ذلك يقسي القلب ويولد ردي العادات ويفتح ابواب الشهوات قال ولعمري هو
ذلك في حق اكثر الخلق لا سيما من ياكل في اليوم مرتين والاصل العمل بحسب صلاح الباطن اي اذا اصلح
باطنه بالصوم صام واذا اصلح باطنه بالفطر افطر لان المقصود صلاح القلب للحضور بين يدي الرب فتارة
يقتضي دوام الصوم واخرى دوام الفطر واخرى مزجهما وهو الانسب وكان عليه السلام يصوم اي النفل
متتابعا حتى يقال وفي رواية حتى نقول بالنون والغيبة والخطاب لا يفطر اي ابدا وكذا يفطر اي مواظبا
حتى يقال لا يصوم بعد هذا اصلا ويقوم في الليل متواليا حتى يقال لا ينام وينام اي كثيرا حتى يقال
لا يقوم كذا في الاحياء قال العراقي حديث كان يصوم حتى يقال لا يفطر الحديث اخرجاه من حديث عائشة وابن
عباس دون ذكر القيام والنوم والبخاري عن حديث انس كان يفطر من الشهر حتى يظن انه لا يصوم منه و
يصوم حتى يظن انه لا يفطر منه شيئا وكان لا تشاء تراه من الليل مصليا الا رايته ولا نائما الا رايته قلت
والحديث ايضا في الشمائل للترمذي وقد شرحته وكان ذلك المقام له عم بحسب ما ينكشف له بنور النبوة
من القيام بحقوق الاوقات واختلاف الحالات الباب الرابع في السفر والحج والغزو تخصيص
بعد التعميم للتتميم بسم الله الرحمن الرحيم المعين ... للمسافر والمقيم السفر اعم من الشرعي

والفقوي

واللغوي امّا دينيّ وهو على قصد التعلم من علماء الشريعة او من المشايخ الطريقة فيستفيد من معارفهم في
الحقيقة فورد اي برواية الترمذي والضياء عن انس من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله اي
الجهاد مع اعداء مولاه او في طريق مرضاته حتى يرجع اي من سفره الى حضره قال المظهر وجه مشابهة طالب العلم
بالمجاهد في سبيل الله انه احياء الدين وفيه ارضاء الرحمن واذلال الشيطان واتعاب للنفس وكسر الهوى واللذات
كما كانت هذه الاشياء في الجهاد وعن انس طالب العلم افضل عند الله من المجاهد في سبيل الله الديلمي وعن جابر بن
عبد الله انه رحل من المدينة الى مصر لحديث بلغه ان عبد الله بن انيس يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
في تفسير قوله تعالى السائحون انهم طلاب العلم المسافرون وعن ابي هريرة قال كنا ناتي ابا سعيد فيقول مرحبا
بوصية عم كان يقول ان الناس لكم تبع وان الرجال ياتونكم من اقطار الارض يتفقهون في الدين فاذا
اتوكم فاستوصوا بهم خيرا وعن كثير بن قيس قال كنت جالسا مع ابي الدرداء في مسجد دمشق فجاءه رجل
فقال يا ابا الدرداء اني جئتك من مدينة رسول الله صلى الله عم لحديث بلغني انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عم
ما جئت لحاجة اي غير ان اسمع منك الحديث قال فاني سمعت رسول الله عم يقول من سلك طريقا يطلب فيه
علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وان الملائكة لتضع اجنحتها رضى لطالب العلم وان العالم ليستغفر له
من في السموات ومن في الارض والحيتان في جوف الماء وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على
سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه
اخذ بحظ وافر رواه احمد والترمذي وابو داود وابن ماجه والدارمي والحديث في المشكوة وشرحته في المرقاة
والتجارب اي وقصد التجربة في اماكن الشرع لاصلاح الاخلاق اي المستحسنة في حكم الخلائق انهم السالك
بسيرتهم ومنه قوله عم اخبر تقله ابن عدي من حديث ابي الدرداء مرفوعا وفي رواية له وجدت الناس اخبر
تقله اخرجه الطبراني وابو يعلى وابو نعيم وفي النهاية اي جرب الناس فانك اذا جربتهم قليتهم وتركتهم لما يظهر
لك من بواطن سرائرهم لفظه امر ومعناه خبر اي من جربهم واخبرهم ابغضهم والهاء في تقله للسكت ومعنى نظم الحديث
وجدت الناس مقولا فيهم هذا القول قيل ويضرب هذا مثلا في قلة الوثوق الى عند الناس والسفر سمي به لانه
يسفر عنها اي يكشف عن الاخلاق الرضية والدنية في اختلاف الحالات للعبد عن المالوفات وعدم وجود المعروف
والتفكر في لطائف احواله تعالى في مصنوعاته وعظم صفاته اي الدالة على عظمة ذاته كما يشير اليه قوله تعالى قل سيروا
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم فسيروا اما بسير الباطن او بانضمام سير الظاهر وقوله
عز وجل سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم وقوله اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق
الله من شيء واختلف احوال الصوفية في سلوك سير الظاهر فمنهم من سافر في بدايته واقام في نهايته وهو
الاظهر ومنهم من اقام ولم يسافر وهو الاكثر ومنهم من استدام على السفر والحج فورد ولله على الناس
حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين من حج البيت ولم يرفث اي لم يجامع

الا يه

في الاحرام ولم يذكر النسائي في مجامعهن ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه احمد والبخاري والنسائي
وابن ماجه عن ابي هريرة بلفظ من حج ثم فلم يرفث الحديث من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء
نصرانيا ابن عدي من حديث ابي هريرة والترمذي من حديث علي وقال غريب وفي اسناده مقال ومن خرج من بيته حاجا او معتمرا
فمات اجرى الله اجر الحاج والمعتمر الى يوم القيمة البيهقي في الشعب والجهاد اي مع الكفار فورد لغدوة
في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها احمد والشيخان والترمذي وابن ماجه عن انس وزيارة المدينة
ففي الخبر من زار قبري وجبت له شفاعتي ابن عدي والبيهقي وابن ابي الدنيا والطبراني والدارقطني عن ابن
عمر وهو في الصحيح ابن خزيمة والطيالسي عن عمر مرفوعا من زار قبري كنت له شفيعا او شهيدا قال الذهبي طرقها
كلها لينة لكن يتقوى بعضها ببعض لان ما في رواتها متهم بالكذب قلت ومن اجودها اسنادا حديث حاطب
من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي اخرجه ابن عساكر وغيره قلت حديث من زارني بعد وفاتي فكانما زارني
في حياتي رواه ابن عدي والطبراني والدارقطني والبيهقي من حديث ابن عمر ومن جاءني زائرا لا يهمه الا زيارتي كان
حقا على الله ان اكون له شفيعا الطبراني من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن ومن وجد سعة ولم يزرني فقد جفاني ابن
عدي والدارقطني وابن حبان والخطيب من حديث ابن عمر وفي رواية من حج ولم يزرني فقد جفاني وروى ابن
البخاري في تاريخ المدينة من حديث انس ما من احد من امتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر وبيت المقدس فعن ابن عمر
ان سليمان بن داود عليهما السلام لما بنى بيت المقدس سال الله عز وجل خلالا ثلثة سال الله حكما يصادف حكمه
فاوتيه وسال الله ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فاوتيه وسال الله حين فرغ من المسجد ان لا يأتيه احد لا ينهزه الا
الصلوة فيه ان يخرجه من خطيئته كيوم ولدته امه اما اثنان فقد اعطيهما وارجو ان يكون قد اعطي الثالثة احمد
والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقد صح ان عمر صلى فيه ورحل ابن عمر اليه ودخل عليه وصلى ركعتين
ثم رجع وعن ميمونة مرفوعا من لم يأت بيت المقدس يصلي فيه فليبعث بزيت يسرج فيه البيهقي فورد اي
اي في الصحيحين وغيرهما من حديث ابي هريرة وابي سعيد لا تشد الرحال اي تطلب بركة البقاع بالسفر اليها
الا الى مسجد الحرام والمسجد الاقصى ولا يمنع هذا زيارة قبور الانبياء والاولياء لان الحصر في حق المسجد
دون سائر المشاهد ومسجد قبا ونحوه في المدينة من منازل الكرام داخل في جنس مسجده عم ثم لفظ
الحديث على ما هو المشهور بين المحدثين الاعلام لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد
الاقصى وهذا هو الترتيب المناسب لتفاوت المساجد في فضيلة مضاعفة الصلوة فيها فعن جابر صلوة في
مسجد الحرام مائة الف صلوة وصلوة في مسجدي الف صلوة وفي بيت المقدس خمسمائة صلوة وملاقاة الكبراء
من المشايخ والعلماء وهم احياء للاستفادة من مشاهدة الاحوال ومعاينة الاقوال فلسان الحال افصح
من بيان المقال وليس الخبر كالمعاينة وقد ورد اولياء الله الذين اذا رأوا ذكر الله بهم وفيهم الحكيم
عن ابن عباس فقد ينفع لحظ الرجال ما لا ينفع لفظ الرجال ومن هنا قيل من لم ينفعك لحظه لم ينفعك

بيان زيارة المدينة
بيان زيارة البيت المقدس
بيان ... الصلوة في المساجد الثلثة المذكورة
بيان زيارة المشايخ والعلماء
لفظه

لفظه وهذا القول له معنيان احدهما ان الرجل الصديق يكلم الصادقين بل فعله اكثر مما يكلمهم بلسان قوله فاذا
نظر الصادق اليه صار يعني في مورده ومصدره وجلوته وخلوته وكلامه وسكوته ينتفع بالنظر اليه فهو ينفع اللحظ عليه ومن لم
يكن افعاله هكذا فلفظه ايضا لا ينفع لانه يتكلم بهواه ونورانية القول على قدر نورانية القلب بحسب الاستغراق في طاعة الرب
المعبر عنها بالشريعة في الاعمال الظاهرة وبالطريقة في الاخلاق الباهرة وبالحقيقة في الاحوال الزاخرة المستمرة
حتى في الدار الاخرة والثاني انه نظر العلماء الراسخين والرجال البالغين ترياق نافع ينظر احدهم الى الرجل الصادق
فيستنشق بنفوذ بصيرته حسن استعداد الصادق وسهالة المواهب لله تعالى للخاصة الموافق فيقع في قلبه محبة المريد الصادق
وينظر اليه نظرة محبة عن بصيرة فيكتسب بنظره احوالا سنية ويرى اثارا رضية وماذا ينكر المنكر من قدرة الله تعالى ان يجعل
هذه الخاصية في نظر بعض خواصه من عباده كما جعل في بعض الافاعي من الخاصية انه اذا نظر الى الانسان اهلكه ومما يدل على تاثير
الصحبة واكسير نظر الاثر ما حصل لاجلاء العرب حيث كان احدهم ممن يبول على عقبيه فنظر اليه صلى الله عليه وسلم وآمن به فصار في لحظة
واحدة من اكمل الاولياء والاصفياء حيث لم يبلغه احد من المشايخ والعلماء وابلغ من هذا قضية كلب اصحاب الكهف حتى وصل
مرتبة الى ان ذكره الله القديم مرات بنعت التعظيم والتكريم وقد وقع تاثير نظر الشيخ نجم الدين الكبرى الى الكلب كان حول الفقراء
وذكر صاحب العوارف الشيخ شهاب الدين السهروردي عن عمه الشيخ نجيب الدين صاحب آداب المريدين انه كان يطوف في
مسجد الخيف بمنى ويتصفح وجوه الناس ههنا فقيل له في ذلك فقال ان لله عبادا اذا نظروا الى شخص كسوه السعادة
فانا اطلب تلك السعادة وحكاية الشيخين مع السيد عبد القادر مشهورة وفي غير هذا المحل مسطورة وزيارة قبورهم اي
الكبراء فانهم بمنزلة الشهداء لا يموتون ولكن ينتقلون من دار الفناء الى دار البقاء وقد ورد كنت نهيتكم عن زيارة
القبور فزوروا القبور فانها تزهد في الدنيا وتذكر الاخرة ابن ماجه عن ابن مسعود وفي رواية للحاكم عن انس
كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها فانها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الاخرة للحديث والفرار عما يشوش
العبادة او ينقصها او يمنعها كالجاه اي الوسيع والمال اي الكثير وعن سفيان الثوري هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين
فكيف بالمشهورين هذا زمان ينتقل الرجل من قرية الى قرية ليفر بدينه من الفتنة ومن افضلها الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام
ومن دار البدعة الى دار السنة ومن دار المعصية الى دار الطاعة وفي الصحيح من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله و
رسوله ومن كانت هجرته الى الدنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فالمدار على تصحيح النية وتخليص الطوية في جميع
الاعمال الدينية والدنيوية ليصير وسائل في رفعة الدرجات الاخروية واما دنيوي كالفرار من الفتنة اي الدنيوي والقحط
ونحوه من الغلاء وسائر البلية ولا حرج فيه اي في هذا النوع بل هو مباح او مستحب فقد قال ابو نعيم رايت سفيان الثوري وقد
جعل جرابه على كتفه وقلته بيده فقلت الى اين يا ابا عبد الله فقال الى بلد املأ فيها جرابي بدرهم وفي حكاية اخرى بلغني خبر
قرية فيها رخص اقيم فيها فقلت تفعل هذا يا ابا عبد الله فقال نعم اذا سمعت برخص في بلدة فاقصده فانه اسلم لدينك
واقل لهمك فاولى للمريد اذا كان طالبا للمزيد ان يلزم مكانه ويحفظ شيخه اذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم
مهما سلم له حاله في وطنه فان لم يسلم فيطلب من المواضع ما هو اقرب الى الخمول واسلم للدين وافرغ للقلب وايسر للعبادة

كتابه
بيان زيارة قبور الكبراء
بيان الهجرة من السفر ... الى دار الاسلام
بيان الفرار من الفتنة الدنيوية

الوت انوا افضل المواضع له قال يا عبادي ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون وورد البلاد بلاد
الله والخلق عباد الله فاي موضع رايت فيه رفقا فاقم واحمد الله احمد والطبراني من حديث الزبير بسند
ضعيف وفي الجزمن رزق من شيء فليلزمه ابن ماجه من حديث انس بسند حسن واذا سبب الله لاحدكم رزقا من
وجه فلا يدعه حتى يتغير له او يتنكر له ابن ماجه من حديث عائشة بسند فيه جهالة واحمد بسند حسن الا عن الطاعون فنهي
اي الفرار منه نهي تحريم بنفظ اذا سمعتم بالطاعون بارض فلا تدخلوا عليه واذا وقع وانتم بارض فلا تخرجوا منها فرارا منه
احمد والشيخان والنسائي عن اسامة بن زيد او طلب المال اي ولطلبه ونحوه من النكاح وغيره من المباحات فنوي فيه اي
الخير والمبرات نحو التعفف عن السؤال في طلب المال والتعطف على العيال في النكاح ليصير عبادة لان تصحيح النية
يجعل العادات عبادات كما حقق في شرح حديث انما الاعمال بالنيات ومن هنا ورد نية المؤمن خير من عمله ثم ان كان
اي السفر واجبا اي فرض عين كالحج وطلب العلم فيتعين اي فعله والا اي وان لم يكن واجبا فالاستفتاء من
القلب متعين في فعله وتركه بحسب صلاح الحال وفساده في الحصول اي مع الوقت فالموائد اي المنافع والافات اي
المضار متعارضة في امر السفر وغيره من الحالات اي الاعلى هو المعرفة والانس به تعالى في جميع المقامات والمهم في البداية
السفر للتعلم اذا لم يوجد العلماء في بلده او لم يقدر على تحصيل الشغل باهله وفي النهاية الاقامة لاجتماع الفكر فانه
لا يحصل الفكر غالبا في السفر لاشتغال عن الذكر والفكر من النظر الى المالوفات وحفظ النفس والمتاع من الافات
واحتمال الشدايد والهموم باختلاف الحالات وتفاوت الاوقات وتباين المقامات ومن هنا ورد السفر قطعة من
العذاب يمنع احدكم طعامه وشرابه ونومه فاذا قضى احدكم نهمته من وجهته اي حاجته فليعجل الرجوع الى اهله
مالك واحمد والشيخان وابن ماجه عن ابي هريرة وحج اي المسافر ان يتوب من الذنوب من الصغائر والكبائر في
الظواهر والضمائر ويؤدي حقوق الله من فوائت صوم وصلوة ونحوها ويرد المظالم اي حقوق العباد او يتحلل
من اصحابها ويقضي الديون ويدفع الامانات الى اربابها في القنية رجل عليه حق وغاب عن صاحبه بحيث لا يعلم
مكانه احي ام ميت لا يجب عليه طلبه في البلاد وفيه ايضا رجل عليه ديون لاناس لا يعرفهم من غصوب ومظالم
وجنايات يتصدق بقدرها على الفقراء بنية القضاء ان وجدهم مع التوبة الى الله فيعذر وفي فتاوى قاضيخان
رجل له خصم فات ولا وارث له يتصدق عن صاحب الحق بقدر ماله ليكون وديعة عند الله يوصله الى خصمائه
يوم القيمة ويؤدي النفقات اي لكل من تلزم نفقته الى حين رجعته ويأخذ الزاد من المال الحلال ذهابا
وايابا من غير تبذير وتقتير في بابه بل على وجه يمكنه مع التوسع في الزاد مع الرفقاء والرفق بالضعفاء والفقراء
قيل وبذل الزاد في طريق الحج نفقة في سبيل الله عز وجل الدرهم بسبعمائة قال ابن عمر من كرم الرجل طيب
زاده في سفره وكان يقول افضل الحاج اخلصهم لله وازكاهم نفقة واحسنهم يقينا وورد الحج المبرور ليس
له جزاء الا الجنة فقيل يا رسول الله وما بر الحج قال طيب الكلام واطعام الطعام وذكر ابن الحاج ان من خرج الى
الحج بغير زاد ولا مركوب يعول على امور عديدة منها عدم القدرة على اداء الصلاة وهو متعذر في ذلك

ومنها عدم

ومنها عدم القوة والقدرة على تحمل المشقة فيها فيكلف الناس ان يقوموا بعونه وسقيه وربما ال امره الى
الموت وهو الغالب فتجدهم في اثناء الطريق مرضى مرميين او طرحى معيين بعد ان خالفوا امر الله في حق انفسهم
واوقعوا اخوانهم ممن علم بحالهم من اهل الركب في الاثم وكذلك الحكم باثم من اعانهم بشيء لا يكفيهم في اول امرهم
او يسعى لهم فيه من غير حج الكفاية الا ان يعلم ان غيره يعينهم بشيء فيه كفايتهم في الذهاب والاياب واياب فان
لم يعلم بذلك حرم عليه الاعطاء لهم لان ذلك سبب لوقوعهم فيما لا قدرة لهم من العطش وغيره والافضاء
الى الموت ونحوه فيكون شريكا لهم فيما وقع بهم وهذا عملا ما اذا كانوا في الطريق على هذه الحال فانه يتعين على
من علم بحالهم من اعانتهم بما تيسر له ولو بالشربة والشربتين واللقمة واللقمتين ويعرفهم ان اذا كانوا يحرم عليهم
لا يجوز لهم ان يعودوا المثل ويطلب الرفيق المعين على الخير الحريص في الخير والشر والسفر والحضر فقد قيل الرفيق ثم الطريق
والله ولي التوفيق ومن صفة الرفيق بانه ان نسي الخير حضه ذكره وان ذكر اعانه وان جبن شجعه وان عجز قواه وان ضاق
صدره صبره وسلاه وكونه من الاجانب اولى من الاقارب عند بعض الصالحين ليبعد عن سامح الوصف الموجب
للقطيعة ويجتنب صحبة المتكبرين والجهال ويتصدق قبل الخروج ولو بشيء قليل فان الصدقة تدفع البلاء ويصلي
ركعتين للمواعدة او للاستخارة ويستخير في غير الواجب من السفر وغيره والتحقيق ان يستخير في الواجب ايضا لا في
فعله وتركه بل في تعيينه ويستخير في متعلقاته من خروجه في هذا الوقت وغيره وفي شراء الدابة وكرائها ونحوهما ويودع الاخوان
ويقول لهم استودع الله دينكم وامانتكم وخواتيم عملكم كما رواه ابو داود والترمذي وصححه والنسائي من حديث
ابن عمر ويرغب في دعائهم وهم يستحب لهم ان يقولوا له في حضرته زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك
للخير اينما توجهت كما رواه الطبراني في الدعاء من حديث انس وهو عند الترمذي وحسنه وفي غيبته اللهم اطو له البعد
وهون عليه السفر وفي خبر اذا اراد احدكم سفرا فليسلم على اخوانه فانهم يزيدونه في دعائهم الى دعائه خيرا الطبراني
في الاوسط عن ابي هريرة ويعرض الاشياء اي جميعها على المكري بضم الميم اي المكاري ولو كان قدر مكتوب ونحوه
فقد قال رجل لابن المبارك احمل الي هذا الكتاب منك لتوصله فقال حتى استاذن الجمال فاني قد اكتريت منه قال
الحجة فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لا وزن له وهو طريق الحزم في الورع فانه اذا انفتح باب اليسير انجر
الى الكثير اقول ولا يبعد ان يراد بالكتاب ما له وزن في عجب التوقف على الاذن ويرضيه بما ان كان
زيادة على معتاده ويخرج من بكور الخميس لورود انه عم كان يستحب ان يسافر يوم الخميس الطبراني عن ام سلمة
والسبت لورود دعائه فيهما اي في الخميس والسبت اما في مطلق البكور بقوله عم اللهم بارك لامتي في بكورها
اخرجه الاربعة وحسنه الترمذي وصححه ابن حبان من حديث صخر بن وداعة الغامدي مرفوعا به واما في
الخميس فلابن ماجه عن ابي هريرة والطبراني في الاوسط عن عائشة مرفوعا اللهم بارك لامتي في بكورها يوم
الخميس وفي رواية قال اغدوا في طلب العلم فاني سالت ربي ان يبارك لامتي في بكورها يوم الخميس وعن ام كلثوم كان يحب
ان يسافر يوم الخميس الطبراني واما في هذا اللهم بارك لامتي في سبتها وخميسها واللهم بارك لامتي في بكورها واجعل

ذلك في بيتها وجميعها ضابط الا اصل لها كما افاده الحافظ ابن الملقن في ادلة التنبيه والاثنين اي يخرج في الاثنين
وهو ايضا ماثور فقد ثبت انه عليه السلام هاجر من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وولد يوم الاثنين
وبعث يوم الاثنين ومات يوم الاثنين ويكثر السير في الليل اي ينبغي ان يكون اكثر سيره بالليل لورد عليكم
بالدلجة بضم فسكون وهي السير في اول الليل وقيل في آخره وهو الاظهر لما في جمع المناسك ويستحب السير آخر الليل
وكره بعضهم سيره اول الليل انتهى ولا يخفى ان ذلك يختلف باختلاف البلاد والعباد فان الارض تطوى بالليل
ما لا تطوي بالنهار ابو داود والحاكم والبيهقي عن انس بدني ما لا تطوي بالنهار وهذه الزيادة في الموطا من
حديث خالد بن معدان مرسلا ولا ينزل اي في المنزل ما لم يصر اليوم حارا فان السير في البرد ايسر ويصلي استحبابا
عند الركوب من المنزل والنزول فيه قبل الركعتين عند دخول بيته وخروجه منه وقد اخرج الطبراني عن
فضالة بن عبيد انه عم كان اذا انزل منزلا في سفر او دخل بيته لم يجلس حتى يركع ركعتين والبيهقي عن انس
كان عم اذا انزل منزلا لم يرتحل حتى يصلي فيه ركعتين ويقول عند نزوله رب انزلني منزلا مباركا وانت
خير المنزلين وعند سيره بسم الله التكلان على الله لا حول ولا قوة الا بالله كما رواه احمد والحاكم وابن
السني عن ابي هريرة وفي رواية الطبراني عن ابي سعيد توكلت على الله الحديث ويكبر في كل صعود يصعد عليه
من شرف اظهار الكبرياء وعلو مكانته وارتفاع شانه ويسبح في كل هبوط اي حدر هبط اليه بان نزل من علو
الى سفل تنزيها له سبحانه عن الزوال والنزول فقد ورد ان علا ثنية كبر واذا هبط سبح البخاري والنسائي
عن جابر وابو داود عن ابي عمر وفي رواية لاصحاب الكتب الستة عن ابي موسى الاشعري اذا اشرف على واد هلل وكبر
اي قال لا اله الا الله والله اكبر وفي رواية لاحمد وابي يعلى وابن السني عن انس اذا اشرف على مكان مرتفع قال
اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال اي لك العلو على كل عال كما قال تعالى وهو القاهر فوق عباده
وله الكبرياء في السموات والارض وحده وحشته اي ويسبح عند ظهور وحشته من خوف ومحنة ولم اره ماثورا
وانما ورد اذا خاف قوما قال اللهم انا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم ابو داود والنسائي وابن حبان
والحاكم عن ابي موسى الاشعري وفي الفردوس للديلمي عن شداد بن اوس مرفوعا حسبي الله ونعم الوكيل امان لكل
خائف ويؤمر احدا اي يجعل امير ان كان المسافر متعددا لانتظام الراي وعدم التنازع في الامر
وليكن الامير احسنهم خلقا بضمتين اي اكثرهم علما واظهرهم حلما ومواساة اي واوسعهم موافقة ومداراة
وهو بان يكون ازهدهم في الدنيا واشهرهم في التقوى واصبرهم في البلوى واكثرهم النفع واتمهم مروة
واعمهم شفقة واقربهم حرمة فقد نقل عبد الله المروزي ان ابا علي الرباطي صحبه فقال عبد الله على ان تكون
انت الامير او انا فقال ابو علي بل انت فحمل الزاد لنفسه ولابي علي ظهره وامطرت السماء ذات ليلة فبات عبد الله
طول الليل على راس رفيقه يظله بكسائه عن المطر وكلما قال لا تفعل يقول الست الامير وعليك الانقياد
والطاعة وورد اذا كنتم ثلثة في السفر فامروا احدكم عن ابي عبد اذا كانوا ثلثة فليؤمهم احدهم واحقهم

قوله حسبي الله آه اما ان الكل منه

بالامامة اقرؤهم احمد ومسلم والنسائي وليحمد عند الثلثة للاشعار بانه احق بالحمد في الجماعة والرفقة ويعين اي
الامير الرفقة بضم فسكون اي رضاه بما يقدر عليه من اللطف والرفق ويراعي عليهم بزيادة الاحسان وسعة
الرزق ويرفق الى الاحم اي الدابة بان لا يحملها ما لا طاقة لها ولا يرضى بان صاحبها ايضا يحملها فوق طاقتها ويعرفها
وعادتها كما قال ابو الدرداء لبعيره عند الموت يا ايها البعير لا تخاصمني الى ربك فاني لم اكن احملك ما لا طاقة
لك وعلى الحملة في كل كبد حراء اجر فراعي حق الدابة وحق المكاري جميعا وينزل احيانا تخفيفا لاتم السنة ان كان
عم ينزل عن الدابة احيانا ففي الاوسط للطبراني من حديث انس باسناد جيد انه عم كان اذا صلى الفجر في السفر
مشى ورواه البيهقي في الادب وقال مشى قليلا وناقته تقاد قلا على آنا ويستحب ان يريح الدابة بالنزول عنها غدوة
وعشية وعند عقبة ان اطاق وقال الطرابلسي يجب ان كانت الدابة مستاجرة في المواضع التي جرت عادة مثلهم
بالنزول فيها الا ان يرضى صاحبها او كانت الدابة مطيقة ولا يحمل له ان يستلقي على ظهر الدابة ولا يتكئ عليها بل
يكون راكبا على العرف والعادة في مثلها ذكره صاحب السراج الوهاج وترفيه الدابة اي هو عبارة عن دوام المشقة
واسراء المكاري حيث يعرف بالخفة ورياضة للنفس اي تهذيب لها ليعرف قدر النعمة ويحترز عن ضعف لا
عضا وما يورث على دوام الركوب من اليبوسة ولا ينام عليها الا نوما خفيفا اذا حصلت ضرورة اذ النوم
عليها يؤذيها او يثقل عليها وكان اهل الورع لا ينامون على الدواب الا غفوة عن قعود ولا يتوقف راكبا عليها
زمانا طويلا لورد لا تتخذوا ظهورها دوابكم كراسي والحديث رواه احمد عن سهل بن معاذ ورواه ابن
حبان والحاكم وصححه من رواية معاذ بن انس عن ابيه كراسي في دوام القعود عليها ولعله محمول على محمل له
مثقلة بخلاف الخيل والناقة التي غير مزملة وعلى كل تقدير فيستثنى عشية عرفة في الوقوف فانه يستحب الوقوف
على الدابة ولا ينفرد عن الرفقة اي لا يمشي منفردا خارج القافلة لانه ربما يغتال او ينقطع وكذا لا ينفرد عنهم في المنزل
ويحرس اي مناعه وامتعة الجماعة بالنوبة فاذا نام احدهم حرس الاخر فهو السنة اخرج البيهقي من طريق ابن اسحاق
من حديث جابر في حديث فقال الانصاري للمهاجري اي الليل احب اليك ان اكفيكه اوله او آخره فقال الاول اكفني
اوله فاضطجع المهاجري والحديث عند ابي داود ايضا لكنه ليس فيه قول الانصاري للمهاجري في اي قسم يناوب
الرفيقين في الحراسة فاذا نام احدهما حرس الاخر فهو السنة وينام في اول الليل جاعلا راسه على العضد بان ينام
افتراش ذراع وفي آخره اي الليل على الكف وينصب العضد بان نصب ذراعه نصبا وجعل راسه في كفه لئلا
يشتد النوم فيفوت صلوة الصبح فهو ماثور ورواه احمد والترمذي في الشمائل من حديث ابي قتادة
باسناد صحيح وكذا ابن حبان والحاكم عنه بلفظ كان اذا عرس بليل توسد يمينه واذا عرس قبل الصبح وضع
راسه على كفه اليمنى واقام عضدا والتعريس النزول في الليل قال العراقي وعزاه ابو مسعود الدمشقي والحميدي
الى مسلم ولم اره فيه ولا يصحب جرسا في عنقها لعدم لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس احمد ومسلم وابو داود
والترمذي عن ابي هريرة ولقوله عم الجرس مزامير الشيطان احمد ومسلم وابو داود عن ابي هريرة وفي رواية

قطع نسخة النعر بطريق الاثر

لابي داود عنه لا تدخل الملائكة فيه بيتا جرس ولا شاعرا اي كشعر الجاهلية الذين قال تعالى في حقهم الشعراء يتبعهم
الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله
كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا والحاصل ان الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح يستوي فيه السفر والحضر
ولا ساحرا فانه اما ان يكون فاجرا او كافرا ولا كاهنا وهو من يدعي علم الغيب بواسطة الجن او غيره فقد
ورد من اتى هنا فصدقه بما يقول فقد برئ مما انزل على محمد احمد والاربعة عن ابي هريرة وفي رواية
الطبراني عن واثلة من اتى كاهنا فسأله عن شيء حجبت عنه التوبة اربعين ليلة فان صدقه بما قال كفر
ومن اتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم يقبل له صلوة اربعين يوما رواه مسلم عن بعض امهات المؤمنين والحاكم
واحمد عن ابي هريرة من اتى عرافا او كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم
وفسر العراف بمن يدعي معرفة السارق ومكان الضالة انواخص من الكاهن وفي معناه المنجم والرمال
وشبههما الفال ولا جلالة وهو دابة تاكل النجاسة فان الملائكة يتفرقون من رائحتها واخرج الدولابي
في الكنى وابن منده والطبراني وابن عساكر عن ابي رابطة بن كرامة المذحجي قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال القوم سفرا لا يصحبنكم جلالة من هذه النعم ولا يضمن احدكم ضالة ولا يردن سائلا ان كنتم تريدون
الربح والسلامة ولا يصحبنكم من الناس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ساحر ولا ساحرة ولا كاهن
ولا كاهنة ولا منجم ولا منجمة ولا شاعر ولا شاعرة الحديث ولا كلبا الا ما تقدم ويؤذن ان ضل الطريق
او غاب عن الرفيق او راى شيئا منكرة وتخيلت له خيالات مستنكرة او تلونت له اجسام مكروهة مزورة
فقد ورد اذا تغولت الغيلان نادي بالاذان رواه مسلم عن ابي هريرة فان الجن والشياطين يفرون من الاذان
ويجزم المكث ولا بد في الاعيان فاذا انفلتت دابة فلينادا عينوني يا عباد الله اعينوني يا عباد الله رواه
ابن ابي شيبة من قول ابن عباس موقوفا واذا اراد عونا فليقل يا عباد الله اعينوني رواه الطبراني عن زيد
بن علي عن عتبة بن غزوان عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اضل احدكم شيئا او اراد عونا وهو بارض
ليس بها انيس فليقل يا عباد الله اعينوني يا عباد الله اعينوني فان لله عبادا لا نراهم وورد اذا
اختلف عليكم الطريق فعليكم بذات اليمين اي تيمنا وتماميا فان عليها ملكا يسمى هاديا لم اعرف له راويا
ولا يدخل بلدة ليس فيها سلطان اي خليفة او نائب من امير او قاض ولا سايس اي شحنة وحاكم سياسة لانه عند
عدمهما يكثر الفتنة ويتعدى الظلمة وفي الخبر اذا مررتم ببلدة ليس فيها سلطان فلا تدخلوها انما السلطان
ظل الله ورمحه في الارض البيهقي عن انس ومايتها اي ولا يدخل بلدة فيها طاعون لما تقدم وقد ورد بعض الصحابة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا في بعض اسفاره فنام على بطنه وعبد اسود يغمز ظهره فقلت ما هذا
يا رسول الله فقال ان الناقة تقحمت بي اي رمت بي او حرنت بي والحديث رواه الطبراني في الاوسط من حديث
عمر بسند ضعيف ويصحب المراة بكسر الميم ومد الهمزة آلة الرؤية وكان عليه السلام اذا نظر الى وجهه في المراة قال اللهم

مطلب تعريف الشاعر والساحر والكاهن

مطلب الغول والسعلاة

مطلب اذا اختلف الطريق فعليكم بذات اليمين

كما حسنت خلقي فاحسن خلقي وحرم وجهي على النار البزار عن عائشة والمكحلة محل الكحل ورد انه عليه السلام كان
يكتحل كل ليلة ثلاثا في كل عين كما في شمائل الترمذي وغيره والسواك والوضوء والصلاة وقد تقدم والمشط اي
لتسريح شعر اللحية والرأس والمقلم وهو المقص او السكين فانه بهما يقلم الظفر ويقص الشارب والموسى لحلق العانة
والركوة اي الدلو ونحوها من المطهرة والحبل فانهما من ضرورة الشرب والطهارة والابرة وضبطها ليقيم ثوب
يستر العورة ويجتنب الغوغة بكسر الجيم وتشديد الراء اي يحترز ان يرتب احدا او يغره احد بالمكر والحيلة
فانه يذهب البركة او المعنى لا يصحبن شخصا لا يعرفه ولا يسلك طريقا لا يعرفه ولا يترك السلاح في مواضع المخافة
اعتمادا على شجاعته ولا ياكل من ثمار البوادي التي ما عهد اكلها في عادته ويتبرك بزيارة الاحياء من العلماء
والاولياء والاموات من الانبياء والاصفياء ويعجل الاوبة اي الرجعة بعد قضاء الحاجة اسرارا لقلب
اهله واظهارا للطيب في نسخة زيادة وورد من كان مسافرا اذا قضى نحبه فليرجع الى اهله لم اجده
لكن تقدم ما يدل على اصله وورد اذا قضى احدكم حجه فليعجل الرجوع الى اهله فانه اعظم لاجره الحاكم و
البيهقي عن عائشة رضي الله عنها ويأتي بالتحفة اي بالهدية لاهل البيت والاقارب حقيقة وحكما فقد ورد اذا
قدم احدكم من سفر فليقدم معه بهدية ولو يلقي في مخلاته حجرا ابن عساكر عن ابي الدرداء قيل اراد حجر الزناد
وفي رواية البيهقي عن عائشة اذا قدم احدكم على اهله من سفر فليهد لاهله فليطرفهم ولو كانت حجارة ولا
يقدم من سفر على اهله بغتة اي فجأة ففي الصحيحين من حديث جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة
فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل فقال امهلوا حتى ندخل ليلا اي عشاء كي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة
ولاحمد من حديث ابن عمر بسند جيد انه عليه السلام قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا اهلكم ليلا فخالف رجلان فسعيا
الى منازلهما فراى كل واحد في بيته ما يكره ولا ليلا لانه وقت الوحشة فقد ورد ان اطال احدكم الغيبة
فلا يطرق اهله ليلا احمد والشيخان والاحب وقت الضحى لكمال الظهور وجمال النور والسرور ويدخل المسجد
او مسجد بلدة اولا ويصلي ركعتين تحية المسجد شكرا لله سبحانه ففي ابي ثعلبة كان عليه السلام اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد
فصلى فيه ركعتين ثم يثني بفاطمة ثم يأتي ازواجه فالكل ما ثور وفي كتب الحديث مسطور ويطعم اي من سائر
الافعال اي لعد ومن الضيافة بفتح فكسر فتشديد اي طعام ولو شاة او طبخ لحم ومرقة فكان عليه السلام اذا قدم
نحر جزورا اي بعيرا او بقرة لم يحضرني الان تخرجه وحق الحج اي اداؤه كمال ان يخلص في النية ويحسن الطوية بانه
يتبوأ من الرياء والسمعة ولا يقصد التجارة والنزهة فقد روي في جزء من اهل البيت اذا كان آخر الزمان خرج
الى الحج اصناف اربعة سلاطينهم للنزهة واغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم للسمعة الخطيب عن حديث انس قال
علماؤنا من اتى بعبادة لغرض دنيوي بحيث لو فقد تركها ما طلبت بعبادة بل معصية وان وجب عليها باعث الدين
والدنيا فان كان باعث الدنيا اقوى او هما متساويا فهي باطلة وان كان باعث الدين اقوى فذهب بعضهم الى انها صحيحة
وهو الاظهر لقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم اي تبتغوا العطاء والرزقا ممن يريد الحج

مطلب زيارة الاحياء والاموات

مطلب ما ابتغى التجار وهل النهي في الاسفار

مطلب حقوق اداء الحج

بالتجارة على ما ذكره البيضاوي ويرده من حج ثم قال انه يحل بعد الاستطاعة في التأخير اثما مانعا عن الطاعة على
ان المسئلة خلافية في ان الفرضية على التراخي او فورية ففي الفورية اذا اخر حج على اولي سني الامكان سقطت
عدالته وعد من الفساق الي ان يحج ثم لو حج في اخر عمره سقط عنه اجماعا وارتفع الاثم اتفاقا وان مات قبل الحج
لقي الله عاصيا بترك حجه وكان الحج في ذمته عندنا فيجب عليه وصيته وعند الشافعي في تركته فيحج عنه وان
لم يوص به كسائر ديونه ومن مات ولم يحج مع اليسار فامره شديد وفي حقه ورد وعيد اكيد منه قوله تعالى ومن كفر
فان الله غني عن العالمين حيث وضع من كفر موضع من لم يحج ووضع العالمين موضع عنه للمبالغة عن غناه سبحانه
واستغنائه عن ترك الحج واداءه لان منفعته راجع الي عباده واداءه وقد ورد من مات ولم يحج فليمت ان
شاء يهوديا وان شاء نصرانيا رواه الترمذي وغيره عن ابي هريرة مرفوعا وقيل في تفسير قوله تعالى لاقعدن
لهم صراطك المستقيم انه صراط مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس من الوصول اليها وقال عمر رض وهو يومئذ
امير المؤمنين لقد هممت ان اكتب الي الولاة في الامصار ان تضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا
وعن سعيد بن جبير وابراهيم النخعي وطاوس ومجاهد لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل ان يحج
ما صليت عليه وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يزك
ولم يحج سال الرجعة الي الدنيا وقرا قوله تعالى رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت وكذا ورد عنه في قوله
تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت الاية ويحتال في دفع مشقة الضريبة اي الامور المعينة
لقطاع الطريق اي من الاعراب وغيرهم ويرجع عن طريق الحج اذا لم يقدر على الاحتيال في النفل اي لا في الفرض فلا اعانة
على العبد وان اي الظالم والعصيان افضل من الرجوع من طريق الحج اذا لم يكن من فروض الاعيان وامكن الفرض
فلا يرجع اذ الاثم في مثله على الاخذ لا المعطي على ما عرف من تقسيم الرشوة في كتاب القضاء ويكون المعصية منهم ولا
يترك الفرض بمعصية عاص وهذا التفصيل من خلاف من اطلق جواز اعطاء المغروم ومن اسقط الحج وجوبه اذا
كان في الطريق يوخذ من ماله ظلما وفي الاحياء ولا تعاون اعداء الله بتسليم المكس وهم الصادون عن المسجد
الحرام من امراء مكة والاعراب المترصدين في الطريق والاكل فان في تسليم المال اليهم تيسير الاسباب الظلم عليهم ويمشي
راجلا اي ويذهب في طريق الحج ماشيا ان قدر على المشي فانه افضل قال تعالى واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا
اي مشاة فقدمهم حيث على قوله ضامر اي ركبانا على بعير مهزول وقال مجاهد وغيره من العلماء ان الحاج اذا
قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا وعن عبد الله
بن عباس حين حضرته الوفاة فقال يا بني حجوا مشاة فان للحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات
الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة الف والا وان لم يقدر على المشي او ساء خلقه او لم يبق حضور الذكر
بسببه فالركوب في حقه افضل بل هو متعين فتامل وقيل والافضل اي مطلقا لفعله عم واصحابه الكرام ونجابة
عن اختيارهم الركوب الشفقة على ضعفاء الامة فذهبوا مذهب ضعفة القوم في الخدمة كما هو شان الائمة هذه مودة

الانفاق

الانفاق اي زيادة وفيه انه يمكن للماشي ان ينفق في سبيل الله ومرضاته فقد سئل بعض العلماء عن العمرة المشي فيها
افضل او يكتري حمارا فقال ان كان وزن الدرهم اشد عليه فالكراء افضل من المشي وان لم يكن اشد عليه كالاغنياء
فالمشي افضل وكانه ذهب فيه الي طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن ما قدمناه اولى في مقام الجمع كما لا يخفى والبعد
عن تشويش الهموم اي عموم الخواطر الردية الناشية من القاب الاعضاء البدنية والقرب من السلامة من غير
الملامة والاثام بخطر الماشي ان يمنعه مانع عن تحصيل المرام ولهذا كان بعض الكرام يمشون ويتقادون وابهم من الخدم
ويمشي اشعث واغبر اي ويذهب حال كونه اشعث الشعر واغبر البدن لكنهما مختصان حال الاحرام لما ورد انه عم سئل
انما الحج افضل فقال الشعث التفل مع انه كالاحرام عن نوع شعث شعر وغبار بدنه خصوصا لما كان من الفقراء وقد ورد
رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يوبه به لو اقسم على الله لابره غير متزين في نفسه ولا في دابته ولا مائل الي التكاثر في نعمته
والتفاخر في خشم لخدمته فهو عليه السلام ضحى ذلك اي ترك الزينة فانه عم حج على راحلته وكان تحته رحل رث
وقطيفة خلقة قيمتها اربعة دراهم وكان عمر في سفر فنزل اصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر الي اكسية حمر على
الاقتاب فقال ارى هذه الحمرة قد غلبت عليكم قالوا فقمنا اليها فنزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الابل
ابو داود من حديث رافع بن خديج وفيه رجل لم يسم واخرج البيهقي عن مباهاة تعالى اي بالحاج الشعث
الاغبر ففي الحديث ان الحاج الشعث التفل يقول الله تعالى انظروا الي زوار بيتي قد جاؤني شعثا غبرا من كل فج عميق
الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر ويتقرب باراقة دم وان لم يجب اي وان لم يكن واجبا عليه فقد ورد ومن
يعظم شعائر الله اي الهدايا التي تذبح في الحرم وهي جمع شعيرة وهي ما يشعر به تعظيم بيت الله وقيل به تحريم حرم الله
الاية اي فانها من تقوى القلوب وقد فسر تعظيمها بتحسين البدن وتسمينها وقد سئل عم ما بر الحج فقال العج والثج
والعج هو رفع الصوت بالتلبية والثج هو نحر البدن رواه الترمذي واستغربه وابن ماجه والحاكم وصححه والبزار و
اللفظ له من حديث ابي بكر وقال الباقون اي الحج افضل وعن عائشة رضي الله عنها انه عم قال ما عمل ابن ادم يوم النحر
احب الي الله من اهراق دما وانها لتاتي يوم القيمة بقرونها واظلافها وان الدم يقع من الله عز وجل
بمكان قبل ان يقع في الارض فطيبوا بها نفسا الترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان وابن خزيمة وفي الحاكم بكل
صوفة من جلدها حسنة وبكل قطرة من دمها التوضع في الميزان فابشروا ابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقي من حديث
زيد بن ارقم وروى ابو الشيخ في كتاب الضحايا عن علي اما انها يجاء بها يوم القيمة بلحومها ودمائها حتى توضع في
ميزانك لقوله عم لفاطمة رضي الله عنها في رواية من حديث ابي سعيد فان لك باول قطرة تقطر من دمها ان يغفر لك
ما سلف من ذنوبك يقوله لفاطمة رض ولا يماكس اي لا يضايق بل يسامح في شراء الهدي والاضحية ونحوهما مما
يكون في التقرب اليه بصحة النية فقد كانوا السلف لا يماكسون في ثلث ويكرهون المماكس فيهن الهدي والاضحية و
الرقبة فان افضل ذلك اغلاه ثمنا وانفسه عند الله عن ابن عمر ان عمر اهدى بختية فطلب منه بثلثمائة دينار
فسال رسول الله عم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها اخرجه ابو داود وقال انحرها وذلك

مطلب التقرب باراقة الدم

لان القليل الجيد خير من الكثير الدون وفي ثلثمائة دينار قيمة ملبثين بدنة وفيه تكثير اللحم ليس هو المراد فالمقصود الاصلي
من الذبح هو تزكية النفس اي تطهيرها وتخليصها عن رذيلة البخل وتحليتها بالفضائل المهلة وتحمل الجيم اي تصفيتها
وتزيينها بتعظيم نعمة فان الفضل في مقام المفضل لن يناله ولا دماؤها الاية اي ولكن يناله التقوى
منكم وذلك يحصل براعاة النفاسة في قيمة كثير العدد دام قل اقامل وينوي في الذبح اي اذا كان تطوعا
فداء نفسه اقتداء بالذبيح عليه السلام وهو اسمعيل واسحق على خلاف طويل بين الاعلام قال تعالى وفديناه بذبح
عظيم وينفق في الطريق اي طريق الحج وفي مكة اي في مدة الاقامة ما استطاع ويكون طيب النفس بما انفقه
من نفقة وبما اصابه من خسارة ومصيبة ان اصابه ذلك فانه من ادب النساء فمن ان ذلك لعبة الزيارة
وان ذلك من قبول دلائل الحج هنالك من علامات القبول اي قبول الحج وبره طيب الكلام اي واطعام
الطعام وكتمان طاعته عن الانام وعدم الاغتمام به اي بالانفاق في ذلك المرام وبما اصيب من
ضياع وسرقة في وكذا المصيبة في البدن وباقي الحال فدرهم منها اي من مال المصاب او من الانفاق في الحج للا
حسنات يعدل سبعمائة ينفق في سبيل الله سبحانه يضاعف لمن يشاء من فضله وترك معاص كان يرتكبها قبل
حج وتبديل اخاء الفساق اي مواخاة السفهاء والجهال بالصلحاء من العلماء والاولياء ومجالس اللهو
اي وتبديلها بالذكر اي بمجالس الذكر ومحافل اهل اليقظة والفكر وملازم الخشوع وهو غاية الخضوع في
اداء المناسك فانه ادب الناسك فهو الاصل اي على المدار عليه في جميع المسالك لا سيما في الطواف فانه بمنزلة
الصلاة هنالك والوقوف بعرفة فانه بمنزلة الوقوف بين يدي رب العالمين يوم اجتماع خلق الاولين
والاخرين فهاد كفاه اي الحج باتفاق المجتهدين ويشرب من ماء زمزم فقد ورد ماء زمزم لما شرب له ابن
ماجه باسناد جيد من حديث جابر مرفوعا والحاكم وصححه وقد بسطنا الكلام عليه في فضائل ماء زمزم الحرام وكذا
في الحرز الثمين شرح حصن الحصين مستشفيا اي طالبا الشفاء ظاهرا وباطنا قائلا اللهم اني اسئلك رزقا
واسعا وعلما نافعا وشفاء من كل داء ويتضلع من زمزم اي ما بيننا وبين المنافقين انهم لا يتضلعون من ماء
زمزم البخاري في تاريخه وابن ماجه والحاكم عن ابن عباس ويستقي منه ويشرب من مائه فقال عم لولا ان تغلبوا
لنزعت معكم ويصبه على رأسه وجسده متبركا به وقد ثبت نقله عنه عم وستنها او طاوره اي قاضيا
حاجته ويغتنم الموت في طريقه فيكتب له اجره اي ثواب الحج الى تلك الطاعة الى قيام الساعة قال تعالى ومن يخرج من
بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وورد من خرج من بيته حاجا او
معتمرا اجري له اجر الحاج المعتمر الى يوم القيمة البيهقي في الشعب من حديث ابي هريرة ومن مات محرما ملبيا
الخطيب عن ابن عباس ومن مات في احد الحرمين استوجب شفاعتي وكان يوم القيمة من الآمنين الطبراني والبيهقي
عن سلمان وفي رواية لهما من حديث عائشة في احد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة ويلتقي الحاج
بالترحيب اي بالتعظيم والتكريم مع التسليم المقرون بقوله من جاء من زيارة بيت الله العظيم وبيته الكريم

ويصالحهم

ويصافحهم متبركا اي باكفهم التي اصابت المنازل الشريفة والمنافل المنيفة منها الحجر الاسود الذي في حقه ورد انه
يمين الله في ارضه يصافح بها عباده فهذه المصافحة الثابتة واما المصافحة التي يذكرها بعض من مشايخهم بطريق
التسلسل اليه صلى الله عم فلا اصل له ولا في الكيفية التي ذكرها بعض الصوفية نعم ورد في فضل المصافحة عند
الملاقات اخبار كثيرة واثار شهيرة ليس هذا المقام موضع بسط الكلام ويروح الى المدينة اي الطيبة
السكينة قبل دخول مكة الامينة او بعد وصولها وكمال الحصول بها مكثرا اي في طريق الصلوة عليه عليه
السلام فانه كلما كان اقرب اليه كان بالاجابة انسب اليه ويزور قبره عليه السلام فانه من سنن الاسلام
بل من واجبات الاحكام وقد تقدم في فضل بعض الاحكام وقد ورد عنه عم ان الله تعالى وكل بقبره ملكا
يبلغه سلام من سلم عليه من امته هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف من فارق اهله ووطنه وقطع البوادي شوقا الى
لقائه واكتفى بمشاهدة مشاهده الكريم اذ فاته مشاهدة مشاهد طلعته العظيمة وقد قال تعالى ولو انهم اذ ظلموا
انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وروي ان من توضأ واتى الروضة
وصلى واتى القبر الشريف وقال اللهم اني اسئلك واتوجه اليك بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد اني توجهت بك الى ربي
في حاجتي لتقضى اللهم فشفعه في وسأل حاجته قضيت باذن الله تعالى كذا في الحصن وقبور الصلحاء
لا سيما الشيخين الضجيعين واهل البيت كفاطمة وعائشة وسائر ازواجه امهات المؤمنين وصفية عمته واولاده
وبنات اخوات المؤمنين وعمه العباس والحسن بن علي وعلي بن الحسين ومحمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق
في القبة الشريفة والمنزلة المنيفة وسائر مشاهدها من سائر اهل البقيع واجلهم عثمان بن عفان رضوان الله عليهم
اجمعين ويزور سيد الشهداء حمزة ومن معه وورد احد جبل يحبنا ونحبه البخاري عن انس وغيره عن جماعة
وفي رواية زيادة فاذا جئتموه فكلوا من شجره ولو كان من عضاهه ويصلي في مساجدها واجلها المسجد النبوي مع ما فيه
من الروضة والمنبر واسطواناتها فقد ورد ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي متفق عليه
من حديث ابي هريرة وعبد الله بن زيد ثم مسجد قبا ومسجد الجمعة وذي القبلتين والمساجد الاربع ونحوها وقد ورد
انه عم كان يأتي مسجد قبا كل سبت ماشيا وراكبا وقال من خرج من بيته حتى يأتي مسجد قبا ويصلي فيه كان له عدل
عمرة النسائي وابن ماجه من حديث سهل بن حنيف باسناد صحيح وقد ذكرنا اداب الزيارة في رسالة مستقلة وسائر
ما فيها من اسباب الفضيلة ويتبرك بابارها اي التي كان عم يتوضأ ويغتسل ويشرب منها وهي سبعة ابار
مشهورة بئر اريس وبئر حاء وبئر رومة وبئر غرس وبئر بضاعة وبئر البصة وبئر السقيا
او العهن او بئر جمل وقد نظمها في قوله اذا رمت ابار النبي بطيبة فعدتها سبع مقالا بلا وهن
اريس وغرس رومة وبضاعة كذا بصة قل بئر حاء مع العهن وموضعها معروف وعند اهل المدينة مكشوفة
فحديث بئر اريس بفتح وكسر رواه مسلم من حديث ابي موسى الاشعري في حديث حتى دخل بئر اريس قال فجلست عند
بابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عم حاجته وتوضأ منها وحديث بئر حاء متفق عليه من حديث انس قال ابو طلحة

الكواضاري بالمدينة نخلا وكان احب امواله اليه وبئر حاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله
عم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب الحديث وحديث بئر رومة بضم الراء رواه الترمذي والنسائي من حديث
عثمان انه قال انشدكم بالله والاسلام هل تعلمونه ان رسول الله صلى الله عم قدم المدينة وليس بها ماء
يستعذب غير بئر رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين الحديث قال الترمذي حديث حسن وفي رواية من يشتريها
لشرب رواء في الجنة وفي رواية لهما اما تعلمون ان ذر ومة لم يكن يشرب منها احد الا بثمن فابتعتها
فجعلتها للغني والفقير وابن السبيل الحديث وقال حسن صحيح وروى البغوي والطبراني من حديث بشير الاسلمي
قال لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع منها
القربة بمد الحديث وفي انه اشتراها عثمان بكرة ثم تعطلت منافع النصف الذي لصاحبها فباعها بيسير من عثمان بثمن
يسير لانه كان يبيع ماءها فاستقى الناس بوقف عثمان وفي قدمه قيل شرب منها تبع وجددت سنة سبعمائة وخمس
وحديث بئر غرس بضم الغين وفتح رواه ابن حبان في الثقات من حديث انه قال ائتوني بماء من بئر غرس فاني رأيت
رسول الله صلى الله عم يشرب منها ويتوضأ ولابن ماجه باسناد جيد من حديث علي مرفوعا اذا انا مت فاغسلوني
بسبع قرب من بئري بئر غرس وفي تاريخ المدينة لابن النجاري انه عم توضأ منها وبزق فيها وغسل منها
حين توفي وفي رواية شرب منها وتوضأ وكب فيها بقية الدلو واهدي له عسل فصبه فيها وقال اني رأيت
الليلة اني اصبحت على بئر من الجنة فاصبح عليها وقال يا علي اذا انا مت فاغسلني من بئري بئر غرس بسبع
قرب لم تحلل اوكيتهن ففعل كذلك جددت سنة خمس وخمسين وسبعمائة وحديث بئر بضاعة بضم الموحدة رواه
اصحاب السنن من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قيل لرسول الله صلى الله عم ايتوضأ من بئر بضاعة
وفي رواية انه يستقى لك من بئر بضاعة فقال الماء طهور لا ينجسه شيء الا ما غير طعمه او لونه او ريحه
الحديث قال يحيى بن معين اسناده جيد وقال الترمذي حسن والطبراني من حديث ابي اسيد بصق النبي صلى الله
عم في بئر بضاعة وفي رواية شرب منها وبصق فيها وبرك ودعا لها وكان اذا مرض المريض غسلوه بمائها
فكانما انشط من عقال وحديث بئر بصة بضم الموحدة وتشديد المهملة رواه ابن عدي من حديث
ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عم جاء يوما فقال هل عندكم من سدر اغسل به رأسي
قال اليوم الجمعة قال نعم فاخرج له سدرا وخرج معه الى البصة فغسل رسول الله صلى الله عم رأسه وصب غسالة
رأسه ومراقة شعره في البصة وحديث بئر السقيا رواه ابو داود من حديث عائشة ان النبي صلى الله عم كان
يستعذب له من بيوت السقيا زاد البزار في مسنده او من بئر السقيا واحمد من حديث علي خرجنا مع رسول الله صلى
الله عم حتى اذا كنا بالسقيا التي كانت لسعد بن ابي وقاص وقال رسول الله صلى الله عم ائتوني بوضوء فلما
توضأ قام الحديث واما بئر جمل ففي الصحيحين من حديث ابي الجهيم اقبل رسول الله صلى الله عم من نحو بئر جمل الحديث
وفي البخاري ومسلم قيل وهي بئر العهن بالعالية وروي انها اليسيرة سماها عم بعد ان كان اسمها

بئر غرس
بئر بضاعة
بئر بصة
بئر السقيا
بئر جمل

العسيرة

الاقامة بمكة والمدينة

اليسيرة توضأ منها وبصق فيها وبرك ودعا لها والمشهور ان ابار المدينة سبعة وقيل عشرون وقد روى
الدارمي من حديث عائشة ان النبي صلى الله عم قال في مرضه صبوا علي من سبع قرب من ابار شتى الحديث ويتصدق بالمدينة
سكانها ويعظم جيرانها ويستحب الاقامة بمكة حال كونه مراعيا حقوقهما من القيام بالجماعة في الجمعة وملازمة الطواف
ومراعاة الحرمة وعدم الملال والسامة مع السلامة من اكل الحرام والشبهة والا فالاقامة بها حرام او مكروه فورد ينزل
على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة اي من رحمته الخاصة ستون للطائفين لزيارة طوافهم على المصلين والنا
ظرين واربعون للمصلين لاشتمال صلوتهم على حال الناظرين وعشرون للناظرين اي المكتفين بالنظر من المعتكفين
العاجزين الواقفين في مقام الشهود وقد قال تعالى ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ففي تقديم
الطائفين ايماء الى ما تقدم واشارة الى ان الطواف تحية هذا المسجد المحرم والله سبحانه اعلم والحديث رواه ابن حبان
في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس باسناد حسن وله شواهد وانك يا مكة لخير ارض الله لكونها
منشأ حبيب وفيها قبلة خلقه قريبة وبعيدة واحب بلاده الي لكونها مهبط وحيه ومربط وصله واما حديث
حب الوطن من الايمان فلا اصل له ولولا اني اخرجت منك اي امرت بالخروج والهجرة عنك لما خرجت باختياري
فان الخروج منها شقاوة والدخول فيها سعادة حيث يضاعف فيها العبادة ويضعف فيها النفس الشهوة والارادة
والحديث رواه الترمذي وصححه النسائي في الكبرى وابن ماجه وابن حبان من حديث عبد الله بن عدي بن الحمراء
بلفظ انك لخير ارض الله واحب بلاد الله الى الله ولولا اني اخرجت منك ما خرجت وقد ورد من صبر على
حر مكة ساعة تباعد من نار جهنم مائتي سنة اخرجه العقيلي في الضعفاء عن ابن عباس وبالمدينة اي ويستحب ايضا
الاقامة بها مع القيام بادابها فورد في الصبر على لاوائها اي شدة عنائها ومشقة بلائها وفي الموت بها شفاعته عليه
السلام الخاصة باهل الاسلام وشهادته يوم القيمة اي بانه من اهل الاكرام فورد لا يصبر على لاوائها وشدتها
احد الا كنت له شفيعا يوم القيمة مسلم من حديث ابي هريرة وابن عمر وابي سعيد من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت
بها فاني لا يموت بها احد الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيمة الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر وقال الترمذي
حسن صحيح وما نقل من ارجاع عمر رضي الله عنه اي رده وامره بالرجوع الحجيج بعد الفراغ اي من الحج والزيارة
الى المساكن اي مساكنهم الاصلية حيث كان يقول لهم يا اهل اليمن يمنكم ويا اهل الشام شامكم ويا اهل العراق
عراقكم محاميا اي الاحتراز والاحتراس عن السامة اي الملالة في الاقامة وارتكاب الذنب لمن يكن من اهل الاستقامة
فلا اثم فيه اي في حرم مكة متضاعف اي في الكيفية لا الكمية لئلا يناقض اطلاق قوله تعالى ومن جاء بالسيئة فلا
يجزى الا مثلها تضاعف الثواب اي تتضاعف في الكمية والكيفية والفضل في هذا البناء والعدل الالهي ما في الكتاب وانما
يضاعف العذاب او العقاب حيث علق العذاب بمجرد القصد للمذنب في ذلك الجناب فيما ورد في نص الكتاب
ومن يرد فيه بالحاد اي ميل من الجادة في المعصية والباء اصلية في مقام البيان الاتية تمامها بظلم اي عدوان
بدل التغير وبيانه نذقه من عذاب اليم اي مولم في مقام الجزاء انه حتى قيل منه الاحتكار اي قصد حبس الطعام

حديث من صبر على حر مكة ساعة تباعد عنه نار جهنم

الاحتكار

ليقل جميع غالبا ويتضرر به الامام وتحمل الكرب اي فقد من الهاديين وقيل ثم الخادم والحاصل ان ما يكون
صيغة في غزوة كبيرة في يوم لكمال التقصير المجاورة وعدم التحمل بعدم وتجديد الاشتياق عطفا على نعتا
اي وتحصيل عدم الشوق وشوق الوقوف الي وصال الحبيب بعد زيارة الغزاة والاولى الاستقامة في القلب
في اقامته ورحلته والتوطن في موضع اقرب من الخمول فانه انسب لحصول الاصول وفيه الراحة من
مضايقة اهل الفضول والبعد من الشهوة فانه فيها الآفات الكثيرة وسلامة الدين لانها لم يوجد مع مسالمة
اهل الدنيا فقيل اي وسطا وامشي جانبا وفراغ القلب اي للذكر والحضور مع الرب وتيسير العبادة
اي سهولتها لاهل الارادة قال تعالى يا عبادي ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون فان البلاد بلاد الله
والخلق عباد الله فاي موضع رأيت فيه رفقا اي مصلحة وسهولة للعبادة فانه مقام السعادة فاقم
اي فاختر الاقامة فيها واحمد الله تعالى ثباتك عليها والحديث رواه احمد والطبراني من حديث ابن الزبير وفي
الجهاد اي القتال مع الكفار ان ينوي نصر الدين ومعاونة الابرار قال تعالى ان تنصروا الله ينصركم
ويثبت اقدامكم وبذل النفس في رضائه تعالى قال عز وجل ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة الآية وورد افضل الجهاد ان يعقر جوادك اي يقتل فرسك او يهلك ويراق دمك اي يصيب
بجرح دمك الطبراني واحمد وجماعة عن جابر والطبراني عن ابي امامة فضل الشهداء من سفك دمه وعقر جواده
وهو فرض عين ان هجم الكفار فيخرج المراة والعبد بلا اذنه وفرض كفاية بدونه وتخرج له اي الجهاد يوم
الخميس فقد كعب بن مالك انه عليه السلام كان يحب ان يخرج اذا غزا يوم الخميس احمد والبخاري ولا يغتم بما يصيب
اي في طريق الجهاد من نقص عن ماله او جرح في جسمه او فزع في قلبه وتشويش في حاله فيه اجر عظيم وثواب
جسيم وقد قال تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات الآية وورد
اذا رجف قلب المؤمن في سبيل الله تحاتت خطاياه كما تحات عذق النخلة الطبراني وابو نعيم في الحلية عن
سلمان ومن راح روحة في سبيل الله كان له بمثل ما اصابه من الغبار مسكا يوم القيمة ابن ماجه والنسائي
عن انس وما من مجروح يجرح في سبيل الله والله اعلم بمن يجرح في سبيله الا جاء يوم القيمة وجرحه كهيئته
يوم جرح اللون لون دم والريح ريح مسك ابن ماجه عن ابي هريرة حتى يكون علف دابته وروثها وبولها
ونوم ويقظته في ميزانه حسنات ففي مسند احمد وصحيح البخاري وسنن النسائي عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا
من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده كان شبعه وريه وروثه وبوله حسنات في ميزانه
وفي رواية لابن ماجه وابن حبان عن تميم الداري من ارتبط فرسا في سبيل الله ثم عالج علفه بيده كان له بكل
حبة حسنة ويجتنب فرسا يخالف احد قوائمه الثلثة من القوائم الاربعة فقد روى احمد ومسلم والاربعة عن ابي
هريرة انه عليه السلام كان يكره الشكال قال ابو داود والترمذي اي تحجيل اليد اليمنى او الرجل اليسرى او العكس
وقال النسائي تحجيل ثلثة قوائم مطلقة واحدة او العكس وليس الشكال الا في الرجل ويؤيده ما رواه الطبراني

والحاكم والبيهقي عن عقبة بن عامر اذا اردت ان تغزو فاشتر فرسا اغر محجلا مطلق اليد اليمنى فانك تسلم وتغنم وفي رواية
لاحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن ابي قتادة خير الخيل الادهم الاقرح الارثم ثم الاقرح المحجل طلق اليمين فان
لم يكن ادهم فكميت على هذه الشية وفي النهاية انه الادهم الاسود والاقرح ما كان في جبهته بياض يسير دون الغرة
والارثم الذي انفه ابيض وشفته العليا والمحجل هو الذي يرتفع البياض في قوائمه في موضع القيد ويجاوز الارساغ
ولا يجاوز الركبتين لانها مواضع الاحجال وهي الخلاخيل والقيود والكميت بضم الكاف هو الذي لونه بين السواد
والحمرة يستوي فيه الذكر والانثى ولا يتمناه اي الجهاد والعافية اوسع لكثرة العباد وسبيل الثبات عنده اي
عند وجوبه او وجوده وورد لا تتمنوا لقاء العدو وفي رواية زيادة واسئلوا الله العافية وفي اخرى فانكم
لا تدرون ما تبتلون به لهم وقال عز وجل في مقام التوبيخ ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه
وانتم تنظرون فاذا لقيتموه فاثبتوا وفي رواية زيادة واكثروا ذكر الله وفي اخرى زيادة فان اجلبوا وصيحوا
وعليكم بالصمت النسائي والحاكم والطبراني عن ابن عمرو وفي رواية الحاكم عن جابر فاذا لقيتموهم فقولوا اللهم انت
ربنا وربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك وانما تقتلهم انت ثم الزموا الارض جلوسا فاذا غشوكم
فكبروا ويكثر ذكره تعالى لقوله سبحانه وتعالى يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم
تفلحون وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي ان عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو ملاق قرنه ويكف
عن ذكر النساء اي ويمتنع عن تذكرهن والاولاد والاموال والاوطان وسائر تدبرهن وتفكرهن فهو
يفتنه اي يجبنه ويضعف همته عما هو بصدده ومن هنا ورد الولد مجبنة ويتمنى الشهادة في سبيل الله فانه
من اكبر السعادة عند مولاه وورد ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا الآية اي بل احياء عند ربهم
يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم
يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين ان ارواح الشهداء في حواصل
طير اي في اجواف طيور خضر تسرح اي تسير وتاكل من الجنة حيث تشاء من غير منع لها وتأوي الى قناديل معلقة
من العرش ومع هذا التعلق بجسدها في القبر وامور الآخرة كلها مبنية على خرق العادة فلا ينبغي ان يستغرب اهل الارادة
والحسد رواه مسلم والترمذي عن ابن مسعود بزيادة فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيئا قالوا اي شيء نشتهي ونحن
نسرح في الجنة حيث شئنا ففعل بهم ذلك ثلث مرات فلما راوا انهم لم يتركوا ان يسالوا قالوا يا رب نريد ان ترد
ارواحنا في اجسادنا حتى نرجع الى دار الدنيا فنقتل في سبيلك مرة اخرى فلما راى ان ليس لهم حاجة تركوا وهذا
معنى قوله ويودون الرجوع اي يتمنون العود الى الدنيا للاستشهاد مرة بعد اخرى وورد ما من احد يدخل
الجنة يحب ان يرجع الى الدنيا الا الشهيد فانه يحب ان يقتل مرة اخرى ابن حبان عن انس وفي رواية عنه فانه يتمنى
ان يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة ويتمناها اي ويتمنى السالك الشهادة ولو كان في موطن
العبادة فهو سبب نيل المنزلة اي حصول مرتبتهم وان مات اي المتمني على الفراش لانه نية المؤمن خير من عمله فنعم معا

بيان الفرس اذا اردت ان تغزو

بيان الدعاء اذا لقيتم الكفار

بيان كون ارواح الشهداء في صور الطير

مطلب فضل الجهاد

من سال الله الشهادة مخلصا اعطاه الله اجر شهيد وان مات على فراشه ولا يخرج المشتغل بتعهد الاهل اي العيال
لاشتغال البال فلا يحصل له الكمال في الحال الضرورة معيشة الاهل من تحصيل المال وقد ورد اذا وجم احدكم
الزوجة والولد فعليه بالجهاد الطبراني عن محمد بن حاطب وعن ابن المبارك وهو مع اخوانه في الغزو وتعلموه عملا افضل
مما نحن فيه قالوا لا نعلم ذلك قال انا اعلم ذلك رجل متعفف ذو عائلة قام من الليل فنظر الى الصبيان نياما
منكشفين فسترهم وغطاهم فعمله افضل مما نحن فيه وخدمة الابوين لمن تقدم اي على الجهاد اذا لم يكن فرضا عينا
ابن الغزاة الا ان الجهاد على بابا احدكم فلا يخرج الا باذن الابوين رواه ابن عدي ويخدم الغزاة اي يطبخ طعامهم
ويغسل ثيابهم وخدمة دوابهم ولو كلبهم وهذا اعلى من يخدمهم ويحرسهم كما ورد سيد القوم خادمهم ابن ماجه عن ابي قتادة
والخطيب عن ابن عباس وروى للحاكم في تاريخه والبيهقي عن سهل بن سعد ولفظه سيد القوم في السفر خادمهم فمن سبقهم
بخدمة لم يسبقوه بعمل الا الشهادة وفي رواية الطبراني عن ابي امامة افضل الغزاة في سبيل الله خادمهم الذي ياتيهم بالاخبار
واخصهم منزلة عند الله منزلة الصائم اي عملهم ويخدم اهلهم في غيبتهم وابو داود عن ابي سعيد ايما رجل خلف الخادم في
اهله ومالهم بخير كان له مثل نصف اجر الخارج ويجهزهم اي ويهيئ اسباب سفرهم فقد ورد من جهز غازيا حتى يستقل كان له
مثل اجره حتى يموت او يرجع ابن ماجه عن عمر ويعلف افراسهم جمع فرس فقد ورد الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم
القيامة الاجر والغنيمة احمد والشيخان وغيرهما مما كاد ان يكون متواترا وفي رواية لاحمد عن جابر زيادة واهلها معانون
عليها فامسحوا بنواصيها وادعوا لها بالبركة وقلدوها وتقلدوها الاوتار ويعدها بضم فكسر فتشديد اي يرتبطها
ليوم اللقاء اي لوقت ملاقاة الاعداء قال تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله
وعدوكم الاية في الكل افضل لا ادراك الشمائل وتعلم الفروسية والسباحة لاتحاد الكرم لطبع الكريم في المجاهدين والا
فقد ورد احب اللهو الى الله تعالى اجراء الخيل والرمي ابن عدي وابن عمر وقيل المراد بالكرم الفرس بان يكون كريم الطرفين
اركبوا وانتضلوا وان تنتضلوا احب الي للحديث الطبراني في الاوسط عن ابي هريرة لا سبق الا في خف او حافر او نصل
احمد والاربعة عن ابي هريرة فالمراد بالخف الابل وبالحافر الفرس والبغل والحمار وبالنصل الرمي وفي رواية كانت
المسابقة بين الصحابة بالخيل والابل والرجل والرمي اي وتعلم قوسه وعن عقبة بن عامر مرفوعا الا ان القوة الرمي
الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي احمد ومسلم وابو داود وابن ماجه ان الله تعالى يدخل بالسهم الواحد ثلثة نفر
الجنة صانعه يحتسب في صنعته الخير والرامي به ومنبله احمد والثلاثة عن عقبة بن عامر من رمى بسهم في سبيل الله كان كمن
اعتق رقبة ابن حبان عن كعب بن مرة وفي كتاب رواية النسائي عنه من بلغ العدو بسهم رفعه الله بها درجة اما
ليست كعتبة امك ولكن ما بين الدرجتين مائة عام ولا يترك اي الرمي لئلا ينسى فقد ورد من ترك الرمي بعد ما علمه
اي رغبة عنه كما في رواية فانما هو نعمة كفرها الطبراني وجماعة عن عقبة بن عامر وفي رواية ابن ماجه عنه فقد عصاني
وفي رواية مسلم عنه فليس منا وفي رواية احمد والترمذي والبيهقي عنه فقد كفر الذي علمه
وعن ابي هريرة من تعلم الرمي ثم نسيه فهي نعمة جحدها ابن البخاري الباب الخامس في التزوج

باب الخامس

والتخلي

والتخلي اي التجرد عنه والتبري من اختيار التخلي واستيثار التخلي اعلم ان العلماء اختلفوا في فضل النكاح فمنهم بالغ فيه حتى
زعم انه افضل من التخلي لعبادة الله تعالى وحكي جماعة وقال اخرون انه الافضل تركه في زماننا وقال بعضهم افضل من الجهاد لان
الجهاد بسبب اعدام الكافر والتزوج موجب ايجاد المؤمن وهذا كله اذا لم يكن به اذا لو قادر النفس بسوء الحال واما اذا كان
فينبغي تحمل العيال والتوكل على الله المتعال في الاستقبال بسم الله الرحمن الرحيم الذي هو رحمة شاملة للتخصيص والتعميم
في النكاح فوائد كثيرة ومنافع شهيرة ذكر ههنا احد عشرة حفظ النفس من الشيطان اي صيانتها عن وسوسة واغوائه
فورد من تزوج فقد احرز الشيطان شطر دينه تمام فليتق الله في الشطر الثاني وفي رواية في الشطر الاخر ابن الجوزي
في العلل من حديث انس بسند ضعيف وهو عند الطبراني بلفظ استكمل نصف الايمان وفي المستدرك وصحح
اسناده بلفظ من رزقه الله امراة صالحة فقد اعانه على شطر دينه وهذا لان حفظ اصل الدين غالبا
يتعلق نصفه بقضاء شهوة البطن ونصفه بقضاء شهوة الفرج وقال ابن عباس لا يتم نسك الناسك
حتى يتزوج وكان ابن مسعود يقول لو لم يبق من عمري الا عشرة لاحببت ان اتزوج لكيلا القى الله عزبا
وماتت امراتان لمعاذ بن جبل في الطاعون وكان ايضا مطعونا فقال زوجوني فاني اكره ان القى الله عزبا وعن
ابي هريرة مرفوعا شراركم عزابكم وركعتان من متاهل خير من سبعين ركعة من غير متاهل ابن عدي ورواه احمد
عن ابي ذر شراركم عزابكم وارذل موتاكم عزابكم وقد تزوج يحيى عليه السلام ولم يجامع قيل انما فعل ذلك لينال الفضيلة
من اقامة السنة وقيل لغض البصر وخوف الفتنة واما عيسى عليه السلام فانه سينكح اذا نزل الارض ويولد له كذا في الاحياء
والحاصل ان غلبة الشهوة مخزية عامة قل ان يتخلص منها احد قال قتادة في قوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ان ذلك
هو الغلمة وهي غلبة الشهوة وعن عكرمة ومجاهد انهما قالا في معنى قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا انه لا يصبر عن النساء و
قيل في قوله تعالى وان تصبروا خير لكم ان الصبر عن النساء ايسر من الصبر عليهن والصبر عليهن ايسر من الصبر على النار وقال ابن
عباس اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول ذهب ثلثا دينه وفي نوادر التفسير عن ابن عباس ومن شر غاسق
اذا وقب قال قيام الذكر وفي دعائه عليه السلام المشهور اني اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي ابو داود والنسائي والترمذي
وحسنه والحاكم وصححه من حديث شكل بن حميد وقال اللهم ان تطهر قلبي وتحفظ فرجي البيهقي في الدعوات من حديث ام سلمة
وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع بصره الى امراة فتاقت اليها نفسه ان يجامع اهله لان ذلك يدفع الوسوسة عنه رواه
احمد من حديث ابي كبشة الانماري حين امرت بامراة فوقع في قلبه شهوة النساء فدخل فاتى بعض ازواجه وقال
وكذلك فافعلوا فانه من اماثل اعمالكم اتيان الحلال واسناده جيد فروي جابر انه عليه السلام راى امراة فدخل على
زينب فقضى حاجته وخرج وقال ان المراة اذا اقبلت اقبلت في صورة شيطان واذا ادبرت ادبرت في صورة الشيطان
فاذا راى احدكم امراة فاعجبته فليات اهله فان معها مثل الذي معها رواه مسلم والترمذي واللفظ له وقال حسن صحيح
وروي انه انصرف الناس يوما عن مجلس ابن عباس وبقي شاب لم يبرح فقال هل لك من حاجة قال نعم اردت ان اسئل

ثم سئل فاستحييت من النبي وانا الآن اهابك واجلك فقال ابو بكر ان العالم بمنزلة الاب
فما افضت به اليك فافض به الي فقال اني شاب لا اجد ما اتزوج وقد تماثلت الفتنة في نفسي فربما استمنيت
بيدي فهل في ذلك معصية فاعرض عنه ابن عباس ثم قال اف وتف نكاح الامة خير منه وهو خير من الزنا ويزيد
الى الاربع ان لم يعتصم او احرى وكان الاولى ان يقول ان لم يعتصم بالاقل وهذا القول لقوله تعالى فانكحوا ما طاب
لكم من النساء مثنى وثلث ورباع والواو بمعنى او اي اثنين اثنين او ثلثة ثلثة او اربعا اربعا وعن ابن عباس
خير هذه الامة اكثرها نساء يعني النبي عم رواه البخاري وقال سفيان بن عيينة كثرة النساء ليست من الدنيا
لان عليا رض كان ازهد اصحاب رسول الله عم وكان له اربع نسوة وسبع عشرة سرية وقد نكح بعد فاطمة
بسبع ليال ويحكي عن ابن عمر وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم انه كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الاكل و
ربما جامع قبل ان يصلي المغرب ثم يغتسل ويصلي وروي انه جامع ثلثا من جواريه في رمضان قبل
العشاء الاخيرة ويزيد لا للاخرى ان شرف الطبع فان المقصود هو الاعتصام بالشرع وقال الحسن بن
علي كان منكاحا حتى نكح زيادة على مائتي امرأة وكان ربما عقد على اربع في عقد وربما طلق اربعا في وقت واستبدل
بهن وزيادة الرغبة في لذات الجنة فلذة الدنيا انموذج بضم الهمزة والميم معرب نمونه اي عينة تدل على
صفة جنسه وقد ذكر الله تعالى في كتابه مدح الحور العين والازواج المطهرة في ذلك الزمان الامين وقطع الملالة
للحاصلة من دوام العبادة وذلك بترويح النفس وايناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة والموانسة ولذا قال تعالى
ليسكن اليها فالنفس اذا كلفت المداومة بالاكراه على المخالفة جمحت وتأبت واذا روحت باللذات في بعض الاوقات
قويت ونشطت ومنه قول علي رض روحوا القلوب عن الذكر فانها اذا اكرهت عميت ففي الاستيناس بالنساء
من بني الناس من الاستراحة عن الوسواس ما يزيل الكرب ويروح القلب ويشط الذكر الرب فينبغي ان يكون لنفوس
ارباب العبادة استراحة الى المباحة وفي الخبر على العاقل ان يكون له ثلث ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها
نفسه وساعة يخلو فيها المطعم ومشربه اي وما يقتضي انسه والحديث رواه ابن حبان من حديث ابي ذر في حديث طويل انه
ذكر في صحف ابراهيم وفي لفظ اخر لا يكون العاقل العامل طاعنا الا في ثلث تزود لمعاد او مرمة لمعاش او لذة في غير محرم
رواه ابن حبان في حديث ابي ذر الطويل انه ذكر في صحف ابراهيم فورد لكل شرة بكسر معجمة وتشديد راء اي كد وجد
في طاعة او نشاط ورغبة في حاجة فترة اي كسر ملالة وغفلة ونفرة ووقفة للاستراحة فمن كانت فترته من
الفرض الى سنتي فقد اهتدى احمد والطبراني من حديث عبد الله بن عمرو رواه ايضا البيهقي ومن كانت الى غير ذلك فقد هلك
والترمذي نحوه من حديث ابي هريرة وحسنه وصححه ولفظه لكل عامل شرة ولكل شرة فترة الحديث وللترمذي عن ابي هريرة
ان لكل شيء شرة ولكل شرة فترة فان صاحبها سدد وقارب فارجوه ان اشير اليه بالاصابع فلا تعدوه ولكامل
ان لكل نشاط في العبادة ابتداء يكون كسلا فيها انتهاء او اثناء فينبغي للسالك ان تنصرف تلك الفترة الى عبادة اخرى

او شهوة

او شهوة مباحة موافقة للسنة من النساء ونحوها ولذا قال وهو اي قطع الملالة حاصل بنساء لا يتم جميع السالكين
الا بتعاطيها اي الملالة البعض اي بعض الصالحين بالكلية اي الجلوس بالبستان المشتمل على الخضرة فعن ابن عمر مرفوعا
ثلث يجلين البصر النظر الى الخضرة والى الماء الجاري والى الوجه الحسن اخرجه الديلمي عن علي رض بمعناه وعن ابن عباس
انه عم كان يعجبه النظر الى الخضرة والماء الجاري ابو نعيم وابن السني في روايتهما عن علي كان يعجبه النظر الى الاترج والى الحمام
الاحمر والترمذي عن معاذ انه عم كان يستحب الصلوة في الحيطان اي البساتين للنزهة في الجنان ومع فراغ القلب اي
لذكر الرب من تدبير البيت للعبادة كما هو جار في العادة من شغل الطبخ والكنس والفرش وتهيئة تنظيف الاواني
وتهيئة اسباب المعيشة المعينة للعبادة وفي الحديث نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وقد فسر قوله تعالى ربنا آتنا
في الدنيا حسنة بالمرأة الصالحة وفي الاخرة بالحور العين وقنا عذاب النار بالمرأة السليطة وقيل في تفسير قوله
تعالى فلنحيينه حيوة طيبة اي زوجة صالحة وعنه عم ليتخذ احدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة صالحة
مؤمنة تعينه على اخرته الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث ثوبان فورد وجاءني اعواني على الطاعة للخطيب
في التاريخ من حديث ابن عمر ولفظه فضلت على آدم بخصلتين كانت زوجته عونا له على المعصية وازواجي اعوانا لي على
الطاعة وكان الشيطان مسلما لا يامر الا بخير وهو اي الفراغ المذكور مخصوص لمن لا يدبر فيه اي في البيت بنفسه
لعجزه ولا تشوش حين التزوج في امره وكثرة العشيرة ليدفع بهم الشر اي ضرر اهل الفساد ومنازعة اهل العناد
فيسلم اي فارغ القلب في طلب الخير ولذا قيل ذل من لا ناطح له والرياضة اي لتحمل النفس بالقيام بحقوقهن
اي من نفقتهن وكسوتهن واحتمال جفائهن من اذاهن وبلاهن والصبر على سوء اخلاقهن والسعي في اصلاح
احوالهن وارشادهن الى طريق الدين وكمالهن والقيام بتربية الاولاد وصيانتهم عن الفساد وفي كل هذه
الاحوال فضائل عظيمة وشمائل وسيمة فانها رعاية وولاية وحماية وقد ورد كلكم راع وكلكم مسئول عن
رعيته متفق عليه من حديث ابن عمر ويوم من وال عادل افضل من عبادة سبعين سنة الطبراني والبيهقي من حديث
ابن عباس فورد فمن احتملها كاملة في الجنة لم اخرجه وفي بعض الكتب من تحمل كلمات جفاء اهله فله ثواب
سبعين شهيدا وفي رواية من تحمل من امرأته كلمة واحدة اعطاه الله تعالى ثواب الف شهيد ودفع عنه ظلمة قبره
وضيقه وذكر في الاحياء ان في اخبار الانبياء ان قوما دخلوا على يونس فاضافهم فكان يدخل في منزله ويخرج
فتؤذيه فتستطيل عليه وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال لا تعجبوا فاني سألت الله فقلت ما انت معاقبي في
الاخرة فعجله لي في الدنيا فقيل ان عقوبتك بنت فلان فتزوج بها وانا صابر على ما ترون منها وهو اي
الارتياض يختص بالمبتدي لاحتياجه الى الرياضة اي تهذيب النفس عن الاخلاق الذميمة وبعلاج العلماء اي
ويختص ايضا بالذي من اهل العمل الظاهر فلا نفاد اولي اي في حقه لانه متعد اي نفعه والعمل الظاهر
نفعه قاصر ومن هنا قال عم ما انفق الرجل على اهله فهو صدقة الشيخان عن ابن مسعود وان الرجل ليوجر
في دفع اللقمة الى في امرأته الشيخان عن سعد بن ابي وقاص بخلاف عمل صاحب الباطن فعمله اشرف لانه علم

ثلث يجلين البصر النظر الى الخضرة والماء الجاري والوجه الحسن

ومعرفة وحال وحضور مع الرب وهو مقام عال وكمه نادر بين الرجال ولهذا ورد اكثر الاحاديث في مدح الاعمال
منها قوله عم ان الله تعالى يحب الفقير المتعفف ابا العيال ابن ماجه من حديث عمران بن حصين وقوله اذا كثرت ذنوب العبد
ابتلاه الله بالحزن ليكفرها احمد من حديث عايشة وقوله من الذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة الطبراني في الاوسط و
ابو نعيم في الحلية من حديث ابي هريرة وقال بعض العلماء ان عمل الابدال كسب الحلال والنفقة على العيال والولد وهو الحق
الاصلي من هذا الحكم العرفي ففيه اي في تحصيل الولد بالنكاح اربعة اعمال المحبة تعالى اي لمحبته تحصيل محبته وفي بقاء
جنس الانس في مملكته وفق ارادته والتحرز عن تعطيل الاعضاء من المقاصد التي خلقت لتلك الاشياء فكل عضو بني ادم
صلح لطاعة فاللسان للذكر والقلب للفكر والاذن للاستماع والعين للنظر واليد للبطش والرجل للسعي وفي الاحياء هذا
ادق الوجوه وابعدها عن افهام الجماهير واقواها عند ذوي البصائر النافذة في عجايب صنع الله تعالى ومجاري حكمه
وبيانه ان السيد اذا سلم لعبده البذر والة الحرث وهيا له ارضا مهياة للحراثة وكان العبد قادرا على الحراثة
ووكل به من يتقاضاه عليه فان تكاسل العبد وعطل الة الحرث وترك البذر ضايعا حتى فسد ودفع الموكل عن نفسه
بنوع من الحيل كان مستحقا للمقت والعتاب من سيده فالله سبحانه خلق الزوجين وخلق النطفة في الفقار وهيا
له في الانثيين عروقا ومجاري وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط متقاضي الشهوة على كل واحد من الذكر
والانثى فهذه الافعال والالات تشهد بلسان ذلق في الاعراب عن مراد خالقها وتنادي ارباب الالباب بتعريف ما اعدت
له هذه الاسباب هذا ان لم يصرح الخالق على لسان رسوله عم بالمراد فكيف وقد صرح بالامر فكل ممتنع عن النكاح معرض
عن الحراثة مضيع البذر ومعطل لما خلق الله تعالى من الالات المعدة وجان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من
شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الاعضاء بخط الهي ليس برقم حروف واصوات يقروها كل من له بصيرة ربانية
نافذة في ادراك دقايق الحكمة الازلية انتهى ولا يخفى ما ورد من امر الشارع حيث قال تعالى وانكحوا الايامى منكم
والصالحين من عبادكم وامائكم وورد من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن
لا يستطيع فاذا الصوم له وجاء متفق عليه من حديث ابن مسعود من كان ذا طول فليتزوج ابن ماجه من حديث عايشة
من ترك التزوج مخافة العيلة فليس منا الديلمي من حديث ابي سعيد والدارمي في مسنده والبغوي في معجمه وهو
مقتبس من قوله تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم وقد ورد التمسوا الرزق من النكاح
الديلمي وغيره عن ابن عباس مرفوعا والثعلبي عن ابي عجلان ان رجلا اتى النبي عم فشكى اليه الحاجة والفقر فقال
عليك بالباءة اي النكاح والله تعالى يقول في كتابه ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله واما الذي يدور على
السنة العوام تزوجوا فقراء يغنكم الله فانما هو معناه وروى الديلمي والبزار والدارقطني في العلل
والحاكم وابن مردويه من حديث عايشة تزوجوا النساء فانهن ياتين بالمال وعن الحسن بن علي رايت
الغنى في النكاح والطلاق اما النكاح فقوله تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله واما الطلاق فقوله
تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وقد قيل في حق بشر انه تارك للسنة فقال انا مشغول بالفرض عن السنة

تفوت عن

تفوت عنه اخرى فقال ما يمنعني عن التزوج الا قوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ومحبته عليه السلام بلا استنان
اي بالعمل بالسنة فورد النكاح من سنتي تمام من احب فطرتي فليستن بسنتي ابو يعلى من حديث ابن عباس بسند حسن وفي رواية
الشيخين عن انس فمن رغب عن سنتي فليس مني وتكثير امتي التي يكاثر بهم الامم فورد تناكحوا تكثروا فاني اباهي
بكم الامم اي في الكثرة يوم القيمة ابن مردويه في تفسيره من حديث ابن عمر وعبد الرزاق في جامعه عن سعيد بن ابي هلال
مرسلا وفي رواية تناكحوا تناسلوا اباهي بكم يوم القيمة وفي رواية ابي داود والنسائي والبيهقي وغيرهم من حديث
معقل بن يسار مرفوعا تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم ولاحمد والبيهقي وصحيح ابن حبان والحاكم عن
انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بالباءة وينهى عن التبتل نهيا شديدا ويقول تزوجوا الودود الولود
فاني مكاثر بكم الامم يوم القيمة وفي الدعاء بالسقط وهو الولد الذي خلق بعضه وقد ذكر البيهقي هذه الزيادة في المعرفة عن الشافعي
انه بلغه وبركة الدعاء ان بقي اي الولد بعده اي بعد والده فعده عليه السلام من العمل الذي بعد الموت حيث قال كل
عمل ابن ادم ينقطع الا ثلثة فذكر منه ولد صالح يدعو له رواه مسلم من حديث ابي هريرة والشفاعة اي وبركة الشفاعة
ان مات الولد قبله اي قبل والده فقد قيل نعم الولد ان عاش نفع وان مات شفع فورد ان الطفل يجر بابويه الى الجنة
ابن ماجه من حديث علي وفي السقط بدل الطفل وله من حديث معاذ ان الطفل ليجر امه بسرره الى الجنة وفي صحيح
مسلم من حديث ابي هريرة ياخذ بثوبه كما اخذ الان بثوبك وورد ايضا ان المولود يقال له ادخل الجنة فيقف
على باب الجنة فيظل محبنطا اي ممتليا غيظا ويقول لا ادخل الجنة الا وابواي معي فيقال ادخلوا ابويه معه الجنة ابن حبان
في الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن جده والنسائي من حديث ابي هريرة يقال لهم ادخلوا الجنة فيقولون حتى يدخل اباؤنا
فيقال ادخلوا الجنة انتم واباؤكم واسناده جيد وقيل في تفسير قوله تعالى نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم
وقدموا لانفسكم تقديم الاطفال الى الاخرة وافاته وهي كثيرة ذكر منها ثلث كسب الحرام فالميل يضطر اليه اي الى كسبه
او الاكل للتوسع في الطعام وورد فيه اي في حق كسب الحرام لعياله انه هو الذي اكل عياله حسناته قال
في الاحياء وفي الخبر ان العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات امثال الجبال فيسئل عن رعاية عياله والقيام
بهم وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه حتى يستغرق تلك المطالبات كل اعماله فلا يبقى له حسنة فتنادي الملائكة
هذا الذي اكل عياله حسناته في الدنيا وارتهن اليوم باعماله قال العراقي لم اقف له على اصل وقال بعض السلف اذا
اراد الله بعبد شرا سلط عليه في الدنيا انيابا تنهشه يعني العيال وفوات الحقوق اي الزوجية بالتقصير
عن القيام بحقوقهن وعدم الصبر على اخلاقهن وعدم احتمال الاذى عليهن فورد كفى بالمرء اثما ان يضيع
من يعول ابو داود والنسائي بلفظ من يقوت وهو عند مسلم بلفظ اخر وورد ان الهارب من عياله
بمنزلة العبد الابق لا يقبل الله له صلوة ولا صياما حتى يرجع اليهم ومن يقصر عن القيام بحقهم وان
كان حاضرا فهو هارب عنهن وقال تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا امرنا ان نقيهم النار كما نقي انفسنا
والانسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه فاذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضاف اليه نفس اخرى والنفس امارة

بالسوء اذ اكثرت كثرت الشهوة ... ولذلك اعتذر بعضهم عن التزوج وقال انا مبتلى بنفسي فكيف اضيف
لها نفسا اخرى شعر لم يسع الفارة في جحرها علقت الكنس في دبرها وكان سفيان يقول شعر
يا حبذا العزبة والمفتاح ومسكن تخرقه الرياح لا صخب فيه ولا صياح بالشغل عنه تعالى بتدبير المعيشة ومن قوله
شغلتنا اموالنا واهلونا وجمع المال في الحلال والادخال للاستقبال والتفاخر بالتكاثر بالاموال والاولاد
بين الرجال وكلما شغل عن الله تعالى فهو مشؤوم في الحال ومن هنا قال بعض الفضلاء ضاع العلم في افخاذ النساء
وقال ابن ابراهيم من تعود افخاذ النساء لم يجئ منه شيء من مقامات الاولياء وقال ابو سليمان من تزوج ركن الى
الدنيا اي واشتغل عن المولى ومنه زاد العقبى والاستغراق بالتمتع اي الانتفاع بالنساء والمؤانسة اي بالاجتماع
معهن في المكالمة والمجالسة اذا عرفت ذلك وعرفت بينه الفوائد والآفات فان تحققت الفائدة بجميع
افرادها وانتفت الآفة بتمام موادها يتعين النكاح لمن قدر عليه بان كان له مال الحلال وخلق حسن وجد
في الدين بان لا يشغله النكاح عن الله تعالى وهو مع ذلك شاب محتاج الى تسكين الشهوة ومنفرد يحتاج الى تدبير
المنزل والمعيشة وان انعكس ان انتفت الفائدة وتحققت الآفة فيتعين التجرد فلا يميل اليه وان تقابلا
للضدان من الفوائد والآفات فالاولى ان يأخذ بالارجح من الحالة فقوات الشغل به تعالى وطيب اللقمة الخشن من فوت الولد
بترك النكاح وصورته ان شخصا اذا تزوج يفوته الشغل بالمولى ويقع في لقمة الحرام من كسب الدنيا لكن
يحتمل ان يحصل الولد له فينفعه في العقبى فالارجح عدم التزوج لانه اي وجود الولد على الفرض والتقدير
لا يجبرهما اي لا يفي بمقابلة فوت الشغل وطيب اللقمة ولانه اي الولد موهوم وجوده وهما اي فوتهما ناجزان
اي ناقد كل واحد في مرتبة شهوده وكذا الزنا اي وقوعه اخشن من كسب الحرام وصورته ان شخصا اذا تزوج
وقع في كسب الحرام واذا لم يتزوج وقع في الزنا فالارجح التزوج لانه اي الزنا افحش حكمي تحصيل ولد ليس له
من يقوم بحقه لان ولد الزنا كل احد يحرمه ولا اعتبار لنسبه وحسبه ولانه اي الزنا حرام لعينه اي لذاته
مع عدم ملاحظة سائر جهاته والكسب اي لانه كسب مال الحرام حرام لغيره اي لا لذاته بل لاجل انه تعلق به حق
غيره والحاصل ان كسب الحرام اهون الشرين في هذا المقام بخلاف النظر والهم اي القصد لفعل الزنا وصورته
ان شخصا ان تزوج وقع في كسب الحرام واذا لم يتزوج وقع في النظر والهم فالارجح عدم التزوج فهما ليسا
بافحش من كسب الحرام بل هو افحش منهما لدوام الكسب اي وندورة النظر والهم ولان كسب الحرام كبيرة وكل من
النظر والهم صغيرة وسراية شره اي شر الكسب الحرام الى الغير من الزوجة والولد ونحوهما ولا يضر النظرة زنا العين
ولكن اذا لم يقصد الفرج فهو اقرب الى العفو من اكل الحرام الا ان يخاف من افضاء النظر الى معصية الفرج
فرجع الى خوف العنت بخلاف النظر والهم حيث لا يتعدى شرهما الى الغير فاذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهو
ان يقوى على غض البصر لكنه لا يقوى على دفع الافكار الشاغلة القلب فالاولى ترك النكاح لانه عمل القلب
الى العفو اقرب فانما يراد فراغ القلب لعبادة الرب ولا تتم العبادة مع كسب الحرام واكله واطعامه العادة

وعند الامن

وعند الامن من الآفات فالاولى الجمع بينهما اي بين التزوج وبين العبادة فانه اكمل الحالات وافضل المقامات وهو اي
الجمع عند عظم القوة في الدين كقوة النبوة والولاية لمن قويت شوكة همته وعلت صولة نهمته فلا يشغله
شاغل عن ذكر الرب والتوجه الى حضرته كما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وان لم يقدر اي على الجمع
بينهما فالنكاح لصاحب الظاهر اي لمن يشتغل بالعمل الظاهر اولى ومنهم ارباب العبادة والعزوبة لصاحب
الباطن اي عمله ومنهم اصحاب المعرفة اقوى كالمسيح عم وتحقيقه ما قاله حجة الاسلام ان نبينا عم مع تسع
النسوة كان متخليا للعبادة ومتخليا بالتجلي الحضرة فكان قضاء الوطر بالنكاح في حقه عم غير مانع له من المرام
كما لا يكون قضاء الحاجة في حق العوام من المشغولين بتدبير الدنيا مانعا لهم من تدبيرهم حتى انهم يشتغلون في الظاهر
بقضاء حاجاتهم وقلوبهم مستغرقة بهم غير غافلة عن مهماتهم فكان عم لعلو حاله من الدرجة في المقام لا يمنعه امر هذا
العالم عن حضور القلب مع الرب فكان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته وحتى يسلم بمثل هذا المنصب لغيره
في حالته فلا ينبغي ان يقاس عليه من لا مناسبة له اليه واما عيسى عم فانه اخذ بالحزم في طاعته لا بالقوة في الله وكانت
ولعل حالته كانت حالة يؤثر فيها الاشتغال بالاهل والعيال او يتعذر فيهم طلب الحلال او لا يتيسر له الجمع بين النكاح والتخلي
للعبادة على وجه الكمال فانهم اي الانبياء اعلم بمصالح العباد في عموم الاحوال وهم اعلم باسرار احوالهم واحكام اعصارهم في مطالب
انوارهم فيتبعهم من اقام العبادة فيما اراد ثم الاصل اي الذي هو مدار الاصل العمل في النكاح والعزوبة ونحوهما ترك
الشاغل عنه تعالى هذا ما قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك
هم الخاسرون فينظر اي يتفكر ويتأمل ويختار ما هو الاولى من النكاح وتركه بحسب الباطن اي صفائه وصلاح القلب
اي وضيائه ويجتهد التخلي اي التجرد للعبادة وباختيار العزبة في ترك الغذاء جمع غذاء وهو ما يتغذى
من به غداء او عشاء وكسر الشهوة اي تقويها من حربية ونحوها وقطعها بالصوم الدائم فانه لها وجاء اي دواء
كما تقدم واصل الوجاء رض الخصيتين والاقتصار اي وبالاقتصار عند الافطار على التوسط في الاكل وغض البصر
عن المحرمات وهو بالاعتزال يحصل على وجه الكمال والا فيقتصر في جميع الاحوال وورد في التنزيل يغضوا من ابصارهم
تام ويحفظوا فروجهم وفي عطف الجملة الثانية اشارة الى ان مرادها على الاولى في المحافظة وجعل عم لكل عضو
زنا فعن ابن مسعود العينان تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يزني احمد والطبراني هذا اي خذ هذا وهذا
مضى والنظر يهيج الوساوس اي يبعثها ويحركها الى الهواجس وربما تعلق القلب بالمنظور اليه وبتعذر الوصول بما الذي
فيفضي ذلك التعلق الى التعب الشديد بما يستوفي القلب من التعلق بالمطلب ويمنعه بالكلية عن ذكر الرب فعن
عيسى عم انه قال اياكم والنظر فانها تزرع في القلب الشهوة كفى بها لصاحبها فتنة ولقد احسن القائل من اهل
الفضائل حيث قال شعر وانت اذا ارسلت طرفك رائدا اي قاصدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر رأيت
الذي لا كله انت قادر عليه ولا عن بعضه انت صابر وانه كل عضو بصلاح النعمة اخوه فالرجل للمشي في رياض
الجنة وقصورها واليد لكل التراب من طهورها وتناول ثمارها وصورها والعين المشاهدة تعالى فحقيق ان تصان

اي تحفظ مما لبس في رضا الله فذر الناكح كيف ترى تلي بعين ترى بها ما سعي بها ما طرحه ترابا للمدامع. ويظفر منها
بالكلام ونحوه حديث في خروق المسامع. الصواب اي الطريق المعدول المتمثل في الكف اي كف النظر وامتنع
البصر ان قدر على ذلك. والا فالنجاء اي الفرار عما هنالك ولا اثم ان فقد القصد في النظر فورد اياه عم
فان لك الاولى وعليك الثانية اي لك النظرة الاولى مباحة من غير قصد وعليك ضرر الثانية اذ كانت عن قصد
والضرر اي ضرر النظر في الامر واشد اي اقوى من المراة لامتناع الوصول الى الشرع وزيادة الهيج في العرق
والفرع وترك التزوج الاعتدال في الوقاع اي الجماع وهو في كل اربع من الايام والليالي كما سياتي فالافراط
يقهر العقل اي يغلبه بصرف الهمة اي تمامها الى التمتع بالشهوة ونظائرها ويحرم عن المقصود الذي هو القيام
بالعبادة ويفضي الى تناول الاشياء المقوية الشهوة من المعاجين والادوية المركبة والمفردة وهو اي
كتتبع السبع الضاري اي الصائل على من يقربه والواحد في البعد عنه او القرب اليه مع نومه والعشق اي ويفضي
اليه وهو اي العشق المعبر عنه بفرط المحبة يجعل اضل من الانعام حيث لا يفرق بين الحلال والحرام وربما يصير
مجنونا فيما بين الانام وانما قال اضل منها لانها ترضى بقضاء شهوتها في اي محل كان من نوعها وهذا المفتون
عقله لا يرضى الا في غير محله ويحصر موضع قصده ولا يميل ابدا الى غيره ويبلغ عطف على قوله يجاء اي ويوصل
الخطبة بالكسر اي الرسالة باظهار الرغبة لكن لا في حال عدة المراة ولا في حال سبق غيره بالخطبة اذ نهي عن الخطبة
على الخطبة ففي الصحيحين من حديث ابن عمر ولا يخطب على خطبة اخيه حتى يترك الخاطب قبله او ياذن له وان كانت
تزوجها الولي بانه كانت صغيرة وينظرها اي ويرى وجه المخطوبة اي قبل العقد تقريبا للالفة فيستحب النظر اليها
فانه احرى ان يؤلف بينهما في الخبر اذا وقع الله في نفس احدكم من امراة فلينظر اليها ابن ماجه بسند ضعيف من حديث
محمد بن مسلمة والترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه من حديث مغيرة بن شعبة انه خطب امراة فقال له النبي عم انظر اليها
فانه احرى ان يودم بينكما وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة ان في اعين الانصار شيئا فاذا اراد احدكم ان يتزوج
منهن فلينظر اليهن قيل كان في اعينهن عمش وقيل صغر او صفر وكان من الورعين من لا ينكح كريمته الا بعد النظر
احترازا عن الغرور وعملا وقال الاعمش كل تزوج يقع على غير النظر فاخره هم وغم ولعل وجه الاكتفاء بالنظر لانه
الغالب احتمال حسن الخلق والخلق فان الظاهر عنوان الباطن والنسائي من حديث ابي هريرة بسند صحيح خير نسائكم
التي اذا نظر اليها زوجها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله وفي رواية ولا تخالفه
في نفسها ولا مالها ويعقد في المسجد مع احضار جمع من اهل الصلاح في الشهود لورد اجعلوه اي عقد النكاح في
المساجد رواه ابن ماجه عن عائشة رض والترمذي بسند حسن وابن حبان من حديث عمرو ابن امية الضمري بلفظ اعلنوا
النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدف وفي شوال قد يتبادر قوله في شوال انه عطف على في المساجد
فيكون به الامر به واراد وليس كذلك بل هو عطف على في المسجد اي ويعقد في شوال ردا على من كره العقد بين
العيدين خشية اي ففي شوال كان نكاح عائشة رضي الله عنها اي عقدها وزفافها اي وصولها ففي صحيح مسلم عن عائشة رض

قف ... استحباب النظر الى المراة قبل الخطبة

تزوجني

مطلب الخطبة بالضم

تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبنى بي في شوال ويقدم الخطبة بالضم يعني الحمد وهي في السنة وهي
الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا من يهدي الله فلا مضل له ومن
يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله يا ايها الناس اتقوا
ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون
به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون. يصلح لكم اعمالكم. ويغفر لكم ذنوبكم. ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا
عظيما. رواه الاربعة والحاكم وابو عوانة عن ابن مسعود. والتحميد والصلوة اي على النبي عم في كل من الايجاب والقبول
فيقول المزوج الحمد لله والصلوة على رسول الله زوجتك ابنتي فلانة على صداق كذا فيقول الزوج الحمد لله والصلوة
على رسول الله قبلت نكاحها لنفسي على هذا الصداق ولا يتزوج اي امراة لعزها اي جاهها ومالها وجمالها لورد
تنكح المراة لمالها وجمالها وحسبها ولدينها فعليك بذات الدين متفق عليه من حديث ابي هريرة ففيه وعيد وهو من نكح
المراة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها كذا في الاحياء ورواه الطبراني في الاوسط
من حديث انس من تزوج امراة لعزها لم يزده الله الا ذلا ومن تزوجها لمالها لم يزده الله الا فقرا ومن تزوجها لحسبها لم
يزده الا دناءة ومن تزوج امراة لم يرد بها الا ان يغض بصره ويحصن فرجه او يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك
لها فيه ورواه ابن حبان في الضعفاء لا تنكح المراة لجمالها فلعل جمالها يرديها ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بسند
ضعيف ويختار المتدينة لئلا تفسد الدين على زوجها ولورد عليك بذات الدين كما تقدم والحسنة الخلق بالضم
اي السيرة فانها احسن من الحسنة الخلق بالفتح وهو الصورة ليحصل الفراغ اي فراغ الخاطر فهذا اصل مهم في الدين و
الدنيا بحسب الباطن والظاهر والجميلة اي الحسنة الصورة فالصيانة فيه اي في هذا النوع اكثر والقناعة فيه اظهر
وقد خرج الحكيم الترمذي في نوادره ان ذكر يا عم تزوج فتاة جميلة رائعة قد اشتوق لها البيت حسنا فقيل له
في ذلك فقال اكف بها بصري واحفظ بها فرجي والممنوع على ما تقدم هو الاكتفاء بالجمال مع قطع النظر عن صلاح
الدين والكمال الا ان يكون استثناء من قوله ويختار الجميلة زاهد اي غير راغب في لذات الدنيا فيعرض عنه لانه من
الدنيا بل اكبر لهواتها واعظم شهواتها ولانه يقل مؤنة غير الجميلة وافاتها وكان مالك بن دينار يقول يترك احدكم ان يتزوج
يتيمة فيؤجر فيها ان اطعمها وكساها وتكون خفيفة المؤنة وترضى باليسير لا يتزوج بنت فلان وفلان يعني ابناء الدنيا
فتشتهي عليه الشهوات فتقول اكسني كذا وكذا وقال ابو سليمان الداراني الزهد في كل شيء حتى في المراة تزوج الرجل العجوز
ايثارا للزهد في الدنيا واختار احمد بن حنبل عوراء على اختها وكانت اختها جميلة فسئل من اعقلهما فقيل العوراء
فقال زوجوني اياها وقليلة المهر فخير النساء ارخصهن مهورا ابن حبان من حديث ابن عباس ولفظ خيرهن ايسرهن
صداقا من المراة خفة مهرها وتيسر نكاحها ابن حبان من حديث عائشة من يمن المراة تسهيل امرها وقلة صداقها اي مهرها
وقد جعل صداق فاطمة اربعمائة درهم وهي افضل النساء من جهة النسب والحسب اجماعا ومن حسن خلقها يحتمل الضم

والفتح وهو اظهر لماروي ابو عمر النوقاني ان اعظم النساء بركة اصبحهن وجوها واقلهن مهورا ولفظ الاحياء ادخصهن
مهورا واحسنهن وجوها ولاحمد والبيهقي ان اعظم النساء بركة ايسرهن صداقا واسناده جيد وفي لفظهما من حديث عايشة
من يمن المراة من تيسير خطبتها وان يتيسر صداقها وان يتيسر رحمها قال عروة يعني الولادة واسناده جيد
وورد انه عم تزوج بعض نسائه على عشرة دراهم واثاث بيت وكان رحي يد وجرة ووسادة من ادم حشوها
ليف كذا في الاحياء وقال العراقي رواه ابو داود والطيالسي والبزار من حديث انس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم
ام سلمة على متاع قيمته عشرة دراهم قال البزار وفي رواية ورحى وجرة ووسادة اضع حشوها ليف وللطبراني في
وان الطبراني في الاوسط ولاحمد من حديث علي لما زوج فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة ادم حشوها ليف ورحيين و
سقاء وجرتين ورواه ابن حبان والحاكم وصحح اسناده وابن حبان مختصرا وكان عمر ينهى عن المغالاة ويقول ما تزوج رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته باكثر من اربعمائة درهم رواه اصحاب السنن الاربعة وصححه الترمذي وقد تزوج عبد الرحمن بن
عوف على وزن نواة ذهب وتقوم بخمسة دراهم واصل الحديث متفق عليه من حديث انس وزوج سعيد بن مسيب ابنته
من عبد الله بن وداعة على درهمين ثم حملها هو اليه ليلا فادخلها من الباب ثم انصرف فجاءها بعد سبعة ايام يسلم عليها و
الولود لان الولد هو المقصود اي الاعظم من النكاح وهو التناسل كما تقدم وورد عليكم بالولود ابو داود والنسائي
من حديث معقل بن يسار تزوجوا الودود الولود واسناده صحيح والبيهقي باسناد صحيح عن سعيد بن يسار مرسلا خير
نسائكم الولود الودود ولابن حبان من حديث بهز بن حكيم سوداء ولود خير من حسناء لا تلد وعن عمر الحصير في ناحية
البيت خير من امراة لم تلد والبكر فورد هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك متفق عليه من حديث جابر وقد نكح ثيبا وفيها ثلاث
المحبة والالفة لملازمها من عدم المخالطة والمخالفة والثيب تبغض صفة في الزوج الثاني تخالف مالوفاتها وتباين ما
كانت تلقى في ازواجها من معروفاتها وتميل طبعها الى الاول كما قيل شعر ما الحب الا للحبيب الاول ولذا قيل
المراة التي تزوجت بعشرة تكون في الجنة مع الاول وقيل مع الآخر وقيل مع احسنهما خلقا وهو الاظهر وتنفر
الزوج الثاني لو ذكر تراي الزوج الاول ببعض محاسنه كما في العكس والنسيبة الكائنة من اهل الدين كبنات
العلماء والاشراف والصلحاء دون الظلمة والامراء وسائر الاغنياء ليسري الصلاح الى الولد فان الولد من ترابه
وورد اياكم وخضراء الدمن تمام الحديث فقيل وما خضراء الدمن قال المراة الحسناء في المنبت السوء الدارقطني في الافراد
حديث ابي سعيد الخدري فقوله اي الحسناء من منبت السوء من اصل الحديث ولا من تفسير الحديث وذكره صاحب التحفة العروس عن
عمر موقوفا ولفظه اياكم وخضراء الدمن فانها تلد مثل اصلها وعليكم بذات الاعراق فانها تلد من يشبه اباها واخاها
والدمن جمع دمنة بكسر الدال المهملة وهي البعر شبهت المراة الحسناء الفاسدة بالنبات ينبت على البعر في الموضع الخبيث
فان ظاهره حسن وباطنه فاسد والاعراق جمع عرق والمراد به الاصل وقد ورد تخيروا لنطفكم ابن ماجه من حديث
عايشة مختصرا والديلمي في مسند الفردوس من حديث انس تزوجوا في الحجر الصالح فان العرق دساس وغير القرابة القريبة فهي
تنقص الشهوة لان ميل النفس غالبا الى الغريبة ولذا يضعف الشهوة بالنسبة الى القديم ويقوى عند رؤية الجديدة

ضعف

تضعف الشهوة يستلزم الهزال في الولد وهو المعنى قوله ونهي عنه معللا بان الولد يخلق ضاويا ولافهن عمر انه قال
لال السائب قد اضويتم فانكحوا في النوابغ ورواه ابراهيم الحربي في غريب الحديث وقال معناه تزوجوا الغرائب وقال
اغربوا لا تضووا وللطبراني من حديث طلحة بن عبيد الله الناكح في قومه كالمعشب في داره وفي اسناده عبد الله بن ايوب
بن سليمان الطلحي قال ابن عدي عامة احاديثه لا يتابع عليه احد ورواه يعقوب بن شيبة في مسنده وقال احاديثه
عندي صحاح ورجحها الضياء المقدسي في المختارة وجاء الاجتناب المهزولة والقصيرة الدميمة بالمهملة اي القبيحة
وبالمعجمة اي المذمومة والمسنة اي العجوز الكبيرة والمكثارة اي كثيرة الكلام وذات الولد اي من غيره في مسند
الامام ابي حنيفة عن حماد عن ابراهيم قال اخبرني شيخ من اهل المدينة عن زيد بن ثابت جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له هل تزوج تستعف مع عفتك ولا تزوجن خمسا قال ما هن قال لا تزوجن شهبرة ولا نهبرة ولا لهبرة
ولا هيدرة ولا لفوتا قال زيد يا رسول الله لا اعرف شيئا مما قلت قال اما الشهبرة فالزرقاء البذية واما
النهبرة فالطويلة المهزولة واما اللهبرة فالعجوز المدبرة واما الهيدرة فالقصيرة الدميمة واما اللفوت فذات
الولد من غيرك قال النبي صلى الله عليه وسلم في ضحك ابو حنيفة من هذا الحديث طويلا قلت والحديث رواه الديلمي عن ابي هريرة وقال بعض
العرب لا تنكح من النساء ستا لا انانة ولا منانة ولا حنانة ولا براقة ولا حداقة ولا شداقة فالانانة التي تكثر الانين
والمنانة التي تمن على زوجها بخدمتها ومالها والحنانة التي تحن الى زوج اخر او ولدها او من زوج اخر و
الحداقة التي ترمي كل شيء بحدقتها فتشتهيه وتكلف الزوج بشرائه مما لا طاقة له فيه والبراقة التي تكون طول نهارها
في تصقيل وجهها وتزيين بدنها والشداقة المتشدقة الكثيرة الكلام وحكي عن السائح الازدي انه لقي الياس عم
في سياحة فامره بالتزوج ونهاه عن التبتل وقال لا تنكح اربعا المختلعة والمبارية والعاهرة والناشزة
فالمختلعة هي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب وعلة والمبارية المباهية لغيرها المفاخرة باسباب الدنيا والعاهرة
الفاسقة والناشزة المرتفعة بنفسها على زوجها والمخالفة في امرها ونهيها ثم ذكر تمام ذلك الا وصية الى زوج وفي
فان الطلاق بيد من له الساق فالوقوع في تصرفه اولى كما لا يخفى وعن عايشة واسماء بنتي الصديق النكاح رق
فلينظر احدكم ابن يضع كريمته قال البيهقي روي ذلك مرفوعا والموقوف اصح وورد من زوج كريمته من فاسق فقد
قطع رحمها ابن حبان في الضعفاء من حديث انس ورواه الثقات من قول الشعبي باسناد صحيح وروي ان بلالا
وصهيبا اتيا اهل بيت من العرب فخطبا اليهم فقيل لهما من انتما فقال بلال انا بلال وهذا اخي صهيب كنا ضالين فهدانا
الله وكنا مملوكين فاعتقنا الله وكنا عائلين فاغنانا الله فان تزوجونا فالحمد لله وان تردونا فسبحان الله
فقالوا تزوجان والحمد لله فقال صهيب لبلال لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال بل اسكت فقد صدقت فانكحك الصدق وكما يكره المغالاة في المهر من جهة المراة يكره سؤال الرجل ايضا
من مالها قال الثوري اذا تزوج الرجل وقال اي شيء للمراة فاعلم انه لص وقال رجل للحسن قد خطب ابنتي جماعة
فممن ازوجها قال ممن يتقي الله فانه ان احبها اكرمها وان ابغضها لم يظلمها وعن علي شر خصال الرجال خير خصال

النساء البخل والزهو والجبن فان المرأة اذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها واذا كانت زهوة
استنكفت ان تكلم كل احد بكلام لين مريب في حقها واذا كانت جبانة فرقت من كل شيء فلم تخرج من بيتها فيلي
واذا كانت المرأة حسناء خيرة الاخلاق سوداء الحدقة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون محبة لزوجها قاصرة
الطرف عليه فهي على صورة الحور العين فان الله عز وجل وصف نساء الجنة بهذه الصفة في قوله خيرات حسان
اراد بالخيرات حسن الاخلاق وفي قوله تعالى قاصرات الطرف وفي قوله عربا اترابا فالعروب هي العاشقة لزوجها
المشتهية للوقاع وبذلك تتم اللذة والحور البيض والحوراء شديدة بياض العين شديدة سواد ها في سواد الشعر
والعيناء الواسعة العين هذا وفي الحديث لا تتزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر بكم الامم الطبراني والحاكم
عن عياض بن غنم وللترمذي عليكم بشواب النساء فانهن اطيب افواها وانتق بطونا اي ارحاما واسخن اقبالا
ويهادي اي كل منهما صاحبه قبل التزوج او الرجال لانه اولى لان كونه في هذا الفعل هو البادي فورد تهادوا تحابوا
البخاري في كتاب الادب المفرد والبيهقي من حديث ابي هريرة بسند جيد واذا اهدي شيئا فلا ينبغي ان يهدي ليستعظم
المقابلة باكثر منه وكذا اذا اهدى والمهدي طلب الزيادة فاسق كما يشير اليه قوله تعالى ولا تمنن تستكثر
اي لا تعطي لتطلب اكثر ويولم اي يصنع الوليمة اي وهي طعام العرس للمرأة الكريمة فهو مروي عنه عليه السلام قولا
وهو قوله عم لابن عوف اولم ولو بشاة مالك والجماعة عن انس والبخاري عن ابن عوف وفعلا في البخاري من حديث
عايشة اولم على بعض نسائه بمدين من شعير وفي السنن الاربعة من حديث انس اولم على صفية بسويق وتمر ولمسلم فجعل
الرجل يجيء بفضل التمر وفضل السويق وفي الصحيحين التمر والاقط والسمن ويعجل بها فهي في اليوم الاول سنة اي
مؤكدة اي قريبة الى الواجب وفي الثاني متعارف اي استحباب وفي الثالثة رياء اي وسمعة في باب ففي ابن مسعود
مرفوعا طعام اول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث سمعة الترمذي والمعنى اذا احدث الله تعالى نعمة
لعبد حق له ان يحدث شكرا واستحب ذلك في الثاني جبرا لما يقع من النقصان في اليوم فان السنة مكملة للواجب و
اما اليوم الثالث فليس الا رياء وسمعة ومن هنا قالوا يجب الاجابة على المدعو في الاول ويستحب في الثاني ويكره
في الثالث ثم يستحب التهنية له بان يقول بارك الله لك وعليك وجمع بينكما في خير كما رواه ابو داود والترمذي و
صححه وابن ماجه عن ابي هريرة ولا يخطب على خطبة اخيه وقد تقدم ما ورد من نهيه عم فهو ايذاء اي للمؤمن وهو
حرام قال تعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا وورد اذي
مسلما فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله تعالى الطبراني في الاوسط عن انس ويعلن اي خطبة النكاح فان الخطبة
يستحب اسرارها فورد اعلنوا النكاح تمام واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف الترمذي من حديث
عايشة وحسنه وفي صحيح البخاري عن الربيع بنت مسعود جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل علي غداة ليلة بني بي
فجلس على فراشي وجويريات لنا يضربن بدفوفهن ويندبن من قتل من ابائي الى ان قالت احديهن وفينا نبي
يعلم ما في غد فقال عليه السلام عن هذا وقولي ما كنت تقولين قبلها والترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه من

مطلب اعلان النكاح وجواز ضرب الدف بلا جلاجل

حديث محمد بن

من حديث محمد بن حاطب فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت اي فرق بينهما بحسب الظاهر عند العامة فان العقد بحضرة الشهود
ثابت لكنه في السر نوع من الخاصة وقال الفقهاء المراد بالدف ما لا جلاجل له اذ وقع على خلاف القياس فيقتصر على مورده
اذ لم يحك في دف زمانه عم جلاجل وايضا فيه زيادة مستغنى عنها لحصول الحق بدونها وينثر السكر واللوز على رأسهما او
ينتهب القوم فهو سنة فقد اخرج ابو جعفر الطحاوي بسنده وكذا البيهقي عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حضر
املاك رجل من الانصار فجاءت الجواري معهن الاطباق عليها اللوز والسكر فامسك القوم ايديهم فقال عم لم لا
تنتهبون فقالوا انك نهيت عن النهبة قال اما العرسات فلا قال فرأيت رسول الله عم يجاذبهم ويجاذبونه واحتج به
الطحاوي على ان النثار غير مكروه كما ذهب اليه ابو حنيفة وحمل الاحاديث التي فيها النهي عن النهبة ويغسل الزوج
رجليها ويرش الماء في زوايا البيت ليدخل البركة لم اجد له اصلا وانما اخرج احمد في المناقب من حديث ابي يزيد المدني
وقال فارسل النبي صلى الله عليه وسلم الى علي اي بعد عقد فاطمة لا تقرب حتى اتيك فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدعا بماء فقال ما شاء
الله ان يقول ثم نضح منه على وجهه ثم دعا فاطمة فقامت اليه تعثر في ثوبها وربما قال في مرطها من الحياء فنضح عليها
ايضا وفي رواية ابن حبان عن انس انه عم لما زوج عليا فاطمة دخل البيت فقال لفاطمة ائتيني بماء فقامت الى قعب
في البيت فاتت فيه بماء فاخذه ومج فيه ثم قال لها تقدمي فتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى رأسها وقال اللهم اني اعيذها
بك وذريتها من الشيطان الرجيم ثم قال لها ادبري فادبرت فصب بين كتفيها وقال مثل ما قال اولا ثم قال لعلي ائتني بماء
فاتيته فنضح بين ثدييه ثم قال اللهم اني اعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم ثم قال ادبر فادبر فصب بين كتفيه
ودعا بما تقدم ثم قال له ادخل باهلك بسم الله والبركة وينوي في المباشرة اي المجامعة تحصين الفرج وكف العين
لقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم وتفريغ القلب اي عما يشغله عن ذكر الرب ويسمي في ابتداء
الوقاع اي قبيل الجماع ويقرء الاخلاص لم اجد له في الاحياء من غير بيان لا انبياء ويسال الله تعالى الذرية الطيبة
اقتداء بزكريا عم حيث قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء ويجانبه الشيطان فهو مجهور
فروي الجماعة عن ابن عباس رض انه اذا اراد الجماع قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا
فانه لو قضي بينهما ولد لم يضره وفي رواية للبخاري لم يضره شيطان ابدا ولابن ابي شيبة عن ابن مسعود موقوفا
قال واذا انزل قال اللهم لا تجعل للشيطان فيما رزقتني سبيلا ومن ادابه ان ينحرف عن قبلة الكرام ويغطي
نفسه واهله بثوب فقد قال عم اذا جامع احدكم امراته فلا يتجردا تجرد العيرين ابن ماجه من حديث عتبة بن عبد بسند
ضعيف ويقدم المكالمة والملاعبة والقبلة فللديلمي في مسند الفردوس من حديث انس لا يقعن احدكم على امراته كما
تقع البهيمة وليكن بينهما رسول قيل وما الرسول يا رسول الله قال القبلة والكلام ويجتنب الليل الاول من الشهر
والاخر والوسط فهو وفي نسخة فهي اوقات حضور الشيطان ويقال ان الشياطين يحضرون الجماع في هذه الليالي
ويقال ان الشياطين يجامعون فيها وروي كراهية ذلك عن علي ومعاوية وابو هريرة كذا في الاحياء واول الليلة
اي يجتنب اول كل ليلة ليكون النوم على طهارة فانه اولى من ان يكون نوم على جنابة وان جامع فيها فيستحب ان يغتسل

او بيوضا او بتيمم ثم يرقد فقد في حديث عمر قالت للنبي صلى الله عليه وسلم اينام احدنا وهو جنب قال نعم اذا توضأ متفق عليه وعن
عايشة اذا كان ينام جنبا لم يمس ماء ابو داود والترمذي وابن ماجه ويلبث بعد الفراغ ويمكث الرجل بعد فراغ
منيته لتفرغ اي المرأة من انزال منيها فان انزالها ربما يتاخر فتهيج شهوتها فالقعود عنها يكون ايذاء لها
ويباشر كل اربع ليال فهو الاعدل الا اسم الا باباحة الاربع فقد روي ان امرأة جاءت الى النبي عمر رضي الله عنه وعنده
كعب بن ثور فقالت يا امير المؤمنين ان زوجي يصوم النهار ويقوم الليل وانا اكره ان اشكوه فقال عمر نعم
الرجل زوجك فرددت كلامها وعمر لا يزيدها على ذلك فقال كعب يا امير المؤمنين تشكو زوجها في هجره فراشها
فقال له عمر فكما فهمت اشارتها فاحكم بينهما فارسل الى زوجها فجاء فقال لها كعب ما تقولين فقالت شعر
يا ايها القاضي الحكيم ارشده . الهى خليلي عن فراشي مسجده . زهده في مضجعي تعبده . نهاره وليله ما يرقده .
ولست في امر النساء احمده . فقال لزوجها ما تقول فقال شعر زهدني في فراشها وفي الحجل . اني امرؤ اذهلني ما قد
نزل . في سورة النجم وفي السبع الطول . فقال كعب شعر ان لها عليك حقا يا رجل نصيبها في اربع لمن عقل . .
فاعطها ذاك ودع عنك العلل . فقال له عمر من اين لك هذا قال لان الله تعالى اباح الحر اربع زوجات فلكل واحدة يوم
وليلة فاعجب ذلك عمر وجعله قاضي البصرة كذا في الشمني قاضي النقاية مختصر الوقاية وهو وبع الهداية في البداية
والنهاية ويزيد لحاجتها وكذا لحاجته فتحصينها واجب فيكون التحصين بل اوجب في مقام دينه وحال يقينه ويتخذ كل منهما
خرقة اي نظيفة لازالة الاذى وهي المني لانه نجس عندنا وعلى القول بطهارته كما هو في مذهب الشافعي فلا يخرج عن
كراهة الطبيعة ثم ان الخروج عن الخلاف مستحب باجماع العلماء الشريعة ويضاجع الحائض اي يرقد معها ولا يجتنب
عن ان يعانقها او يواكلها ويشاربها مخالفة المجوس واخوانهم من الروافض النجوس ولا يأتيها جانب الدبر فهو في نسخة
فهي اللواطة الصغرى ولو جانب لفظ الجانب لكان احسن في تعيين المراتب فانه تعالى قال نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى
شئتم اي مقبلا ومدبرا ومستلقيا والترمذي عن ابن عباس وقال حسن صحيح ان عمر جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله هلكت قال وما الذي اهلكك قال حولت رحلي البارحة فلم يرد عليه شيئا واوحي اليه نساؤكم حرث
لكم فأتوا حرثكم انى شئتم يقول اقبل وادبر واتق الدبر والحيضة كذا في المعالم وفي الصحيحين ان قوله نساؤكم حرث
لكم الآية نزلت رد اليهود كانت تقول الذي يأتي المرأة من دبرها في قبلها ان يكون احول ثم المراد بالحرث موضع
الزراعة ومنبت الولد واما الدبر فهو محل الروث والفرث وانما قال اللواطة الصغرى فان الكبرى انما هي مع الرجل
ولا خلاف بين السلف والخلف ان غشيان المرأة والجارية في دبرها ملعون فاعله ونص مالك حرمته فما نقل عنه
افتراء ليس امراء كيف وغشيان الحائض حرام لكونه اذى واذى الدبر اشد واقوى وقد ورد عن احمد في المسند
وابي داود عن ابي هريرة مرفوعا ملعون من اتى امرأة في دبرها وفي رواية لاحمد واصحاب السنن الاربعة عنه ايضا
من اتى كاهنا فصدقه بما يقول او اتى امرأة حائضا او اتى امرأة في دبرها فقد برئ مما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم
ولا يدوم على ترك الوطء فهو يضعف القوة اي على قواعد اهل الحكمة ولعل هذا بالنسبة الى كثير الشهوة ولا يباشر

بعد مباشرة الا اذ يغسل نفسه اي ذكره ويبول فانه ينقطع المني فاذا خرج بعدهما شيء يكون مذيا ولا
يعزل والمعتمد ان يستأمر المرأة في العزل ومن الامة فكره جماعة العزل مطلقا ورد منه قوله عم هو الوأد الخفي
فيما في مسلم من حديث جذامة بنت وهب فان القتل الحكمي فهو اي العزل كالجلوس في المسجد بلا عبادة لانه طاء في موضع
ليس فيه اثر فائدة سعادة والاقامة بمكة بلا حج اي في كل سنة وكذا بلا طواف في كل يوم وليلة فالمراد بالكراهة
ترك الاولى والفضيلة ويغاير العزل الجواد الخفي بان التلذذ جناية على موجود وهو مشهود ولذا قال علي رضي لا يكون
موؤدة الا بعد سبعين اي سبعة اطوار ونظير الآية الوارد في اطوار الخلقة وهي قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من
سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين الى قوله تعالى ثم انشأناه خلقا آخر اي نفخنا فيه الروح ولا يأثم به اي
بالعزل ان نوى استبقاء الملك في الجارية بترك الاعتاق ان قطع اسبابه ليس بمنهي عنه والحسن والنيابة للتمتع اي
واستبقاء جمال المرأة وسمنها لدوام التمتع والحيوة اي واستبقاء الحيوة بالتحرز عن الطلق وهو وجع النفاس حال الطلق
وهذا ايضا ليس منهيا عنه والخوف اي وان نوى المخافة من الافضاء الى كسب الحرام بسبب كثرة الاولاد وما يترتب عليه
من كثرة الحرج في البلاد ودخول مداخل السوء ومحافل الفساد ومشاركة اهل العناد ومباعدة الزهاد والعباد وهذا ايضا
ليس منهيا عنه فكانوا اي الصحابة يعزلون وما نهوا عنه ففي الصحيحين عن جابر كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن
ينزل زاد مسلم فبلغ ذلك نبي الله فلم ينهنا وفي رواية لمسلم من حديث ابي سعيد انهم سألوه عن العزل فقال لا عليكم ان لا تفعلوا
ورواه النسائي من حديث ابي صرمة وفي صحيح مسلم عن جابر ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لي جارية وهي خادمنا وسانيتنا
في النخل وانا اطوف عليها واكره ان تحمل فقال اعزل عنها ان شئت فانه سيأتيها ما قدر لها فلبث الرجل ثم اتاه فقال ان الجارية قد حبلت
فقال قد اخبرتك انه سيأتيها ما قدر لها وفي الصحيحين من حديث ابي سعيد نسمة قد ركبها الله هي كائنة وان كان ضم
اي في العزل خوفا من الافضاء الى كسب الحرام ترك الفضيلة وهو التوكل والضمان بثقة الله تعالى حيث قال وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها وورد من ترك النكاح مخافة العيلة فليس منا اي من اخلاقنا وقد سبق الكلام عليه ويأثم ان خاف ولادة
البنت لما في تزوجهن من العار فهو اي خوفها عادة الجاهلية في قتلهم البنات ووأدهن في حال الحيوة كما اخبر سبحانه عنهم
في الكتاب واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه
في التراب الا ساء ما يحكمون واراد المبالغة في النظافة بتعزيزها وكمال تحرزها من الطلق والنفاس والرضاع وما يتبعها
فيأثم بالعزل اذا نواها فهو اي العزل لاجل قصده بدعة كانها عادة الخوارج المبالغين في استعمال المياه حتى كن يقضين
صلوة ايام الحيض ولا يدخلن الخلاء الا عراة فهذه بدعة تخالف السنة في نية فاسدة واستأذنت واحدة منهن على عايشة رضي الله عنها
لما قدمت البصرة فلم تأذن لها ويفرح بالمولود فانه الولد في ميدان الوجود وابواب الشهود فورده نور اي العين في الدنيا
وسرور اي للقلب في العقبى اي عند شفاعته في الآخرة ولم اجد له اصلا وقد قيل الولد اذا عاش نفع واذا مات شفع
وقد ورد الولد ثمرة القلب وانه مجبنة مبخلة محزنة ابو يعلى الموصلي عن ابي سعيد وفي رواية الحكيم عن خولة بنت حكيم الترمذي
الولد من ريحان الجنة وفي الجملة هو هبة من الله كما يشير اليه قوله يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور ولا يغتم بالبنت

بعد مباشرة

لان الاصلاح مستور اذ قد يكون الابن صالحا والبنت بخلافه وقد يكون الامر بالعكس او يراد بالصلاح النفع والنجاح وهو
ابضو منهم كما يشير اليه قوله تعالى اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا ويراد فرحا على ولادة البنت اي بالتكليف
في اظهاره مخالفا للجاهلية حيث قال تعالى واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم وورد من خرج
الى سوق من اسواق المسلمين فاشترى شيئا فحمله الى بيته فخص به الاناث دون الذكور نظر الله اليه لم يعذبه الخرائطي
بسند ضعيف وفي رواية لم يبدا بالاناث قبل الذكور وورد بركة المراة تبكيرها اي اول ولادتها بالبنات الديلمي عن عائشة
والائمة كلاهما رفعا بلفظ من بركة المراة تبكيرها بالاناث وحكاه ابن عطية عن الثعلبي موقوفا على واثلة بلفظ من
يمن المراة تبكيرها بالانثى قبل الذكور لان الله تعالى بدا بالاناث يعني في قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا وعن ابن عباس ان رجلا دعا
على بناته بالموت فقال صلى الله عليه وسلم لا تدع فان البركة في البنات ذكره السخاوي ومن ابتلي ضمن ايما من البنات شيء اي قليلا او كثيرا
فاحسن اليهن بالتربية كن له سترا من النار حجابا احمد والشيخان والترمذي عن عائشة بلفظ من ابتلي من هذه البنات الحديث
وعن ابن عباس ما من احد يدرك بنتين فيحسن اليهما ما صحبتاه الا ادخلتاه الجنة ابن ماجه والحاكم وقال صحيح الاسناد وعن
انس من كان له ابنتان او اختان فاحسن اليهما ما صحبتاه كنت انا وهو في الجنة كهاتين الخرائطي في مكارم الاخلاق بسند ضعيف
ورواه الترمذي بلفظ من عال جاريتين وقال حديث حسن غريب وعن ابن مسعود من كانت له ابنة فادبها فاحسن ادبها وغذاها
فاحسن غذاها واسبغ عليها من النعم التي اسبغ الله عليه كانت له ميمنة ميسرة من النار الى الجنة الطبراني في الكبير والخرائطي
في مكارم الاخلاق وعن ابي هريرة من كانت له ثلث بنات او اخوات فصبر على لاوائهن وضرائهن ادخله الله الجنة بفضل رحمته
اياهن فقال رجل واثنتان يا رسول الله قال واثنتان فقال رجل وواحدة الخرائطي واللفظ له والحاكم ولم يقل او اخوات
وقال صحيح الاسناد ويؤذن في اذنه اليمنى اي اول ما يولد ليكون اول ما يقرع سمعه ذكر الله تعالى ودعوة الخلق الى طاعته
وعبادته ويقيم في اليسرى فيكون سببا للحضور في المسجد واداء الصلوة بجماعة وعن ابي رافع رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذن في اذن الحسين حين ولدته ام فاطمة احمد واللفظ له وابو داود والترمذي وصححه الا انهما قالا الحسن مكبرا وورد
فيه اي فيما ذكر من الاذان والاقامة من جمعهما ذهبت عنه ام الصبيان فانها من خنس الشيطان وهم يبعدون عن الاذان كما
العدوان وعن الحسين بن علي من ولد له مولود فاذن في اذنه اليمنى واقام في اذنه اليسرى ذهبت عنه ام الصبيان ابو يعلى
الموصلي وابن السني في اليوم والليلة والبيهقي في شعب الايمان ويقطع سرته ويميط الاذى اي يزيله وهو الدم ونحوه من بدنه
لما يأتي في وترضعه الام اي ولو مرة اول تربيته فيختص باشفق الناس وارحمهم وليصدق عليهم ما قال تعالى حملته امه كرها
ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلثون شهرا وليخرج عن عهدة ظاهر الامر في قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن الآية
فهو سنة لم اجدها اصلا ولا تسام اي لا تمل الام وفي نسخة ولا يتالم بصيغة المعلوم للمؤنث او المجهول للمذكر ولا تتبرم
ولا تتضجر احد ببكائه فهو ذكر كما جاء عن ابن عمر مرفوعا بكاء الصبي الى شهرين شهادة ان لا اله الا الله والى اربعة اشهر
التقية بالله والى ثمانية اشهر الصلوة على النبي عم والى سنتين استغفار لوالديه اخرجه الديلمي بسند ضعيف وفي لفظ لغيره
بكاء الصبي في اربعة اشهر توحيد واربعة اشهر صلوة على نبيكم واربعة اشهر استغفار لوالديه ذكره السخاوي في قول المدعو
المعدوم

مطلب الاذان والاقامة في اذن المولود

مطلب بكاء المولود الى سنتين ذكر في اربع من شهر بالتسبيحات المتفاوتة

ووجاء الختان

وجاء الختان في اليوم السابع فانه مهما كان صغيرا يبقي المقطع يسيرا وقد روى الطبراني في جامع الصغير من حديث جابر بسند
ضعيف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عق عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة ايام ورواه الحاكم وصحح اسناده والبيهقي من حديث
عائشة وقيل يؤخر عنه اي حتى يصير كبيرا لمخالفة اليهود فانهم يعجلون في هذا الامر وتحاميا عن الخطر اي خطر المولود
عن الموت فان الخطر في حال الصغر اكثر من زمان الكبر ووقته اي وقت غاية تاخيره سبع سنين او عشر سنين او ما يطاق
الالم فيه وقد اختتن ابراهيم عم وهو ابن ثمانين وذلك لانه امر به فتوانى احتتن ويترك لو ولد شبيها بالمختون وتخفض
الانثى اي البنت وورد انه مكرمة اي سبب كرامة عند الله واجره عن ابن عباس الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء و
الطبراني وهو اي ختان الانثى ينضر الوجه اي يحسنه ويفتر الشهوة اي يسكنها ويلذ الوقاع اي الجماع ويحبب الى الزوج وهو
سبب محبة الزوج ولا يبالغ بصيغة المجهول فيه اي في الختان وفي ختانها بالخصوص ويحسن الاسم اي اسم ولده فانه من جملة
حقوقه على والده وورد حسنوا اسماءكم اولادكم ابو داود عن حديث ابي درداء قال النووي باسناد جيد وقال البيهقي
انه مرسل ولفظه انكم تدعون يوم القيمة باسمائكم واسماء ابائكم فاحسنوا اسمائكم وورد حق الولد على والده يحسن اسمه
ويزوجه اذا ادرك ويعلمه الكتاب ابو نعيم والديلمي عن ابي هريرة وفي رواية زيادة والسباحة والرماية والتعبيد
اي اضافته العبد الى اسماء الرب احب اي افضل وورد اذا سميتم اي اردتم ان تسموا اولادكم فعبدوا والطبراني
من حديث عبد الملك بن ابي زهير عن ابيه واحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن مسلم من حديث ابن عمر ولا
يجمع بين اسمه عليه السلام وكنيته فهو اي الجمع بينهما منهي عنه لحديث سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي متفق عليه من حديث
جابر وفي لفظ تسموا فقيل النهي عن التكنية وحدها وكان هذا النهي في عصره اذ كان ينادي يا ابا القاسم فلا
باس بعده نعم لا يجمع بين اسمه وكنيته لما رواه احمد وابن حبان من حديث ابي هريرة ولابن داود والترمذي وحسنه
وابن حبان من حديث جابر سمي باسمي فلا يكتني بكنيتي ومن يكتني بكنيتي فلا يتسمى باسمي وقيل كان ذلك اي النهي عن الجمع
بينهما في عصره عم اي في زمانه لعلة الالتباس واما اليوم فلا ويبدل الاسم الشنيع اي يغيره الى الاسم الحسن كتبديله
عم اسم العاصي بعبد الله وبرة بفتح الموحدة بزينب وقال باستفهام مقدر انكار التزكي نفسها فان برة
مبالغة بارة وهي عاملة البر بالكسر رواه الشيخان عن ابي هريرة نحوه ونهى عليه السلام عن افلح اي عن التسمية بافلح
ونافع ورباح رواه مسلم من حديث سمرة بن جندب الا انه جعل مكان بركة رباحا عما مياعما فيل اي يقال اليس في الدار
بركة يعني او نافع او افلح وامثال ذلك ويسمى السقط وان جهل صفته اي من الذكورة والانوثة فبما اي فيسمى باسم
يصلح للذكر والانثى بان يكون في اخره تاء كحمزة وطلحة فعن عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية قال بلغني ان السقط
يوم القيمة وراء والديه يقول انت ضيعتني اتركتني لا اسم لي فقال عمر بن عبد العزيز كيف وقد لا يدري انه
غلام او جارية فقال عبد الله من الاسماء ما يعمهما كحمزة وعمارة وطلحة وعتبة وعنبسة ولا يكنى بابي عيسى اذ لا اب
اي لعيسى عليه السلام ونهي عنه اي عن التكني المذكور لما يوهم من خلاف المرام في فهم العوام ففي الاحياء سمى رجل ابا عيسى
فقال عم ان عيسى لا اب له فكره ذلك انتهى ولم يتعرض له المحرم ويعق عن الابن بشاتين وعن البنت بشاة ولا باس بان

ذكرا كان او انثى وفي رواية البيهقي عن ابي هريرة مرفوعا ان اليهود يعقون عن الغلام ولا يعقون عن الجارية فعقوا عن
الغلام شاتين وعن الجارية بشاة في اليوم السابع من الولادة لخبر مامور به رزق عايشة انه عليه السلام امر في الغلام
بشاتين مكافيتين وفي الجارية بشاة الترمذي وصحح وعق عن الحسن بشاة واحدة وهذا رخصة في الاقتصار على شاة
واحدة وللحديث رواه الترمذي من حديث علي وقال ليس اسناده بمتصل ووصله الحاكم وصحح الائمة قال حسين ورواه
ابو داود من حديث ابن عباس الا انه قال كبشا والبخاري من حديث سليمان بن عامر الضبي مع الغلام عقيقة فاهريقوا عنه
دما واميطوا عنه الاذى وعن عايشة لا يكسر للعقيقة عظم كذا في الاحياء ولعل وجهه تفاول بالسلامة الاعضاء
وقال قتادة اذا ذبحت العقيقة اخذت صوفة منها فاستقبل بها اوداجها ثم توضع على يافوخ الصبي حتى
يسيل منه مثل الخيط ثم يغسل راسه ويحلق بعده كذا في الاحياء ويحلق راسه في السابع لما سياتي او في الاربعين كما عليه
اليوم عمل اهل الحرمين ويتصدق على وزن شعره ذهبا او فضة وهي المعروف كما سياتي فامرت به فاطمة في الحسين في
السابع قال العراقي حديث امر فاطمة يوم سابع حسين ان يحلق شعره وتصدق بزنة شعره فضة الحاكم وصحح من حديث علي
وهو عند الترمذي منقطع بلفظ حسن ورواه احمد من حديث ابي رافع ويحنك بالتمر اي يلطخ ان يتيسر او العسل والتمر
الممضوغ في لهاته بفتح اللام اي اقصى حلقه ويحنكه صغيرا ام لعبد الله بن زبير حين جاءت به ام اسما بنت ابي بكر
وهم في الصحيحين عن اسما ولدت عبد الله بن الزبير بقبا ثم اتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم دعا
بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان اول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبرك عليه وكان اول
مولود ولد في الاسلام ففرحوا به فرحا شديدا لانهم قيل لهم ان اليهود وقد سحرتكم فلا يولد لكم وبقية حقوق الولد
ذكرت في باب الصحبة **الباب السادس في الكسب والورع** اي المرتب عليه قطع الطمع ولبعض الاكابر قوام الدنيا
والدين العلم والكسب فمن رفضهما وقال ابتغي الزهد لا العلم والتوكل لا الكسب وقع في الجهل والطمع كذا في ربيع الابرار للزمخشري

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

في كلام كريم قال تعالى وجعلنا النهار معاشا وابتغوا من فضله اي رزقه وانفقوا من طيبات ما كسبتم الاية وورد
من طلب الدنيا حلالا اي حال كونه المطلوب حلالا تعففا عن المسئلة اي لاجل عفة نفسه عن سؤال المخلوق مثلا وسعيا
على عياله من زوجته واطفاله وتعطفا اي ترحما وتلطفا على جاره من الفقرا ماهي في تحسين حاله وتزيين باله لقي الله
اي يوم القيمة في ماله ووجهه كالقمر ليلة البدر من حسن جماله وكمال مناله ومن طلب الدنيا مفاخرا اي حال كونه
متفاخرا لتحصيل ماله مكاثرا اي على اقرانه وامثاله لقي الله وهو عليه غضبان واثمه المستقاد والحديث رواه ابو الشيخ
في كتاب الثواب وابو نعيم الطبراني في الاوسط وابو نعيم في الحلية وعن لقمان الحكيم لابنه استغن بالكسب الحلال
عن الفقر فانه ما افتقر احد قط الا اصابه ثلث خصال رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب مروته واعظم هذه
الثلث استخفاف الناس وكان عمر يقول لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم ان السماء
لا تمطر ذهبا ولا فضة وكان زيد بن سلمة يغرس في ارضه فقال له عمر اصبت استغن عن الناس يكن اصون لدينك

واكرم لوجهك

الباب السادس

اليوم

واكرم لوجهك كيف قال صاحبك احيحة **شعر** فلن ازال على الزوراء اعمرها ان الكريم على الاخوان ذو المال
فالكسب سنة الانبياء منهم داود لقوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم واول من زرع ادم عم واول من نجر نوح
وتعالى اول من خط ادريس عم والاولياء ومنهم الكمل الصحابة وفي اي الكسب سنة لكل الاكابر اي ممن فيهم من العلم
والاعمال فيكون من الاتقياء الاصفياء وممن قال عز وجل فيهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الاية
وهو اي الكسب اولى لظاهر العلماء اي للمشتغل بالاعمال الظاهرة من التلاوة والعبادة فالكسب في حقه احرى من
الاخذ بالسؤال ونحوه كالطمع في اموال الرجال فالفارغ من الكسب لتحصيل الحلال سائل بلسان الحال ان لم يكن
سائلا بلسان المقال ورب سائل الحال اكشف في تحصيل المال ومن هنا ورد ان الله يحب ان يرى عبده تعبا في طلب
الحلال الديلمي عن علي وفي رواية ابن عدي عن ابن عمر ان الله يحب المؤمن المحترف وورد من فتح على نفسه بابا من السؤال
فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر الترمذي من حديث ابي كبشة الانماري وقال حسن صحيح وعن ابن مسعود اني لاكره ان
ارى الرجل فارغا لا في امر دينه ولا في امر دنياه وجاءت ريح عاصفة في البحر فقال اهل السفينة لابراهيم بن ادهم اما ترى
هذه الشدة ما هذه شدة انما الشدة الحاجة الى الناس وقيل لاحمد ما تقول فيمن جلس في بيته او مسجده وقال لا اعمل
شيئا حتى ياتيني رزقي فقال احمد هذا رجل جهل العلم اما سمع قوله عم جعل رزقي تحت رمحي وفي مسند احمد
ابن عمر جعل رزقي تحت ظل رمحي واسناده صحيح واما سمع قوله عم حين ذكر الطير فقال تغدو خماصا وتروح
بطانا فذكر انها تغدو في طلب الرزق فكان اصحاب رسول الله عم يتجرون في البحر والبر ويعملون في نخيلهم ثم قال
احمد والقدوة بهم والحديث الثاني رواه الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر وقال الترمذي حسن صحيح واما صاحب البال
وهو العارف بالله المراقب لفيض مولاه المعرض عما سواه والعالم النافع للناس افتاء وتصليفا وتدريسا والمتولي
بمصالحهم كالقاضي وفي معناه الخليفة والمؤذن والامام وقيم الايتام فاذا اعطوا الكفاية من بيت المال اي من وجه الحلال
او من ايدي الناس من الصدقات فاخذوها واشتغلوا بما هو افضل في حقهم من الاشتغال بكسب المال فهو غاية الكمال والا
اي وان لم يفعلوا بقابل كل منهم فضائل الكسب اي الاحاديث التي وردت في فضائله بما فيه اي من فضائل العلم
والحكومة ومنافع الرجال نفعا اي حال كونه مبالغا في غيره ما فيه الفلاح ويعمل بحسب الصلاح فان فيه النجاح
وقد اشار الصحابة على ابي بكر بترك التجارة لما ولي الخلافة اذ كان ذلك يشغله عن المصالح وكان يأخذ كفاية
من المصالح ورأى ذلك اولى ثم لما توفي اوصى برده الى بيت المال والحاصل انه ان كان الصلاح في الكسب اختاره
وترك ما هو فيه لغيره وان كان الصلاح فيما هو فيه من الامر المهم اشتغل به وتوكل على الله في امر رزقه وحقه اي
حق الكسب على ما ذكر ثلثون ان ينوي التعفف اي عفة نفسه عن المسئلة والتعطف اي الترحم على غيره بزيادة
النفقة لما تقدم ولما روي ان عيسى عم راى رجلا فقال ما تصنع فقال اتعبد قال من يعولك قال اخي قال اخوك
اعبد منك وقيام فرض الكفاية اي بنيته في صناعة يتوقف عليها العيش والمعيشة كالزراعة والتجارة و
الخياطة والنجارة ففي الجامع تسعة اعشار الرزق في التجارة الحربي والغريب من حديث نعيم بن عبد الرحمن وتقدم نحو

خف الكسب

كالزراعة

الزراعة وروى احمد من حديث ابي هريرة خير الكسب كسب العامل اذا نصح واسناده حسن ويباكر اي يسعى في اول النهار
فورد في الغدو بركة ونجاحا اي فوزا وفلاحا وظفرا بالمراد وصلاحا وفي الحديث رواه الطبراني في الاوسط من
حديث عائشة باكروا في طلب الرزق والحوائج فان الغدو بركة ونجاح وقد ورد اللهم بارك لامتي في بكورها
وروى الطبراني في معاجمه الثلثة من حديث كعب بن عجرة انه عم كان جالسا مع اصحابه ذات يوم فنظر الى شاب
ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لو كان جلده في سبيل الله فقال عم لا تقولوا هذا فانه ان كان يسعى على نفسه
ليكفها عن المسئلة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله وان كان يسعى على ابوين ضعيفين او ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم
فهو في سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان ويجتنب اي من الصنايع ما يضر الناس كالاحتكار فبايع
الطعام يحتكره منتظرا غلاء السعر وهو ظلم عام وصاحبه مذموم شرعا وعرفا فورد الجالب مرزوق والمحتكر ملعون
للحاكم في صحيحه وابن ماجه في سننه عن عمر ومن احتكر الطعام اربعين يوما ثم تصدق به لم يكن صدقته كفارة لاحتكاره
ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي والخطيب في التاريخ من حديث انس وروى احمد والحاكم بسند جيد
من حديث ابن عمر من احتكر الطعام اربعين يوما فقد برئ من الله وبرئ الله منه وعن علي انه احرق طعام محتكر بالنار
كذا في الاحياء وفي حديث مسلم لا يحتكر الا خاطئ ولابن ماجه الجالب مرزوق والمحتكر ملعون وقيل وحبس اربعون
لما رواه ابن عساكر عن معاذ انه من احتكر طعاما على امتي اربعين يوما وتصدق به لم يقبل منه وفي رواية لاحمد
وابن ماجه عن عمر من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والافلاس وفي رواية له وللحاكم عن ابي
هريرة من احتكر حكرة يريد ان يغلي بها على المسلمين فهو خاطئ وقد برئت منه ذمة الله ورسوله وفي له خاطئ بالهمزة
وفي رواية فهو ملعون واستدل به مالك بعموم الحديث على ان الاحتكار حرام في المطعوم وغيره وهو رواية عن ابي يوسف
والجمهور على ان الاحتكار يختص بالاقوات وحملوا الحديث عليها والله اعلم وروى ابن مردويه في تفسيره من حديث ابن مسعود
ما من جالب يجلب طعاما الى بلد من بلدان المسلمين فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله منزلة الشهيد وبالجملة
التجارة في الاقوات مما لا يستحب ولذا اوصى بعض التابعين رجلا وقال لا تسلم ولدك في بيعتين ولا في صنعتين
بيع الطعام وبيع الاكفان فانه يتمنى الغلاء وموت الناس واما الصنعتان فان يكون جزارا فانها صنعة تقسي
القلب او صواغا فانه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة وهذا معنى قوله ويكره الباطن اي يجتنب ما يلوث
باطنه ولو لم يلوث ظاهره كالجزر وهو صنعة الجزار ويقال القصاب فهو يقسي القلب والصياغة فهو يزين
الدنيا وهي مبغوضة الرب وايضا يكره كسر الدرهم الصحيح والدينار الا عند شك في جودة او حال ضرورة فقد
قال احمد بن حنبل ورد نهي عن رسول الله صلى الله عم واصحابه في الصياغة وانا اكره الكسر وقال يشتري بالدنانير
دراهم ثم يشتري بالدراهم ذهبا ويصوغه نحوه وجاء عن التابعين وحديث النهي عن كسر الدينار والدرهم رواه
ابو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم من رواية علقمة بن عبد الله عن ابيه قال نهى رسول الله صلى الله عم
ان يكسر سكة المسلمين الجائزة بينهم الا من بأس زاد الحاكم ان يكسر الدرهم فيجعل ذهبا وضعفه ابن حبان

مطلب الاحتكار

مطلب الصنايع ظاهرا وباطنا وما يكره وما يحرم

فضة ويكسر الدينار فيجعل

والظاهر

والظاهر اي ويجتنب ما يلوث الظاهر ولو لم يلوث باطنه كالحجامة والدباغة وفي معناهما الكناسة فان تلوث
الظاهر يؤدي الى تلوث الباطن كما ان طهارة الظاهر تورث طهارة الباطن فقد نهى عم عن كسب الحجام رواه ابن
ماجه بسند حسن عن ابن مسعود وحمل على نهي التنزيه لانه عم احتجم واعطى الحجام اجرته ولو كان حراما لما اعطاه وكيف
لا والحجامة من الصنايع التي عدت من فروض الكفاية فلا بد من قيام بعض هذه الصناعة لئلا يقع الناس في
الضياع اذ لو تركت التجارة والصناعات لبطلت المعايش وضاقت الخلايق فانتظام امر الكل بمعاونة الكل وتكفل
بعمل له يليق ولو اقبلوا كلهم على صنعة لتعطلت البواقي بمرة وعلى هذا حمل بعضهم قوله عم اختلاف امتي رحمة اي
اختلاف همهم في الصنايع وسبحان من اقام العباد فيما اراد وكل حزب بما لديهم فرحون وقال تعالى نحن قسمنا بينهم
معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون
ولله در القائل • رضينا قسمة الجبار فينا • لنا علم وللاعداء مال • فان المال يفنى عن قريب • وان العلم يبقى لا يزال
وما يعسر اي يجتنب ما يصعب فيه رعاية الاحتياط كالصرف لان الاحتراز فيه عن دقايق الربوا عسير علما وعملا
ولان طلب لدقايق الصفات فيما لا يقصد اعيانها وانما يقصد رواجها وقل ما يتم للصرف ربح الا باعتبار
جهالة معامليه بدقايق النقد فقل ما يسلم الصيرفي من الربوا وان راعى غاية الاحتياط وفي الحلية يجب
على الفرضي ان يجتنب من الفضل في المتجانسين ومن النسيئة مطلقا وورد لو اتجر اهل الجنة لاتجروا في البز ولو
اتجر اهل النار لاتجروا في الصرف الديلمي من حديث ابي سعيد وابو يعلى الشطر الاول من حديث ابي بكر والدلالة بالفتح
ويكسر وقد كره ابن سيرين الدلالة وكره قتادة اجرة الدلال [illegible] قلة استغناء الدلال عن الكذب بحقه وقيل
رأس مال الدلال الكذب والافراط في الثناء على السلعة لترويجها ولان العمل لا يتقدر وقد يقل ويكثر ولا ينظر
في مقدار الاجرة الى العمل بل الى قيمة قدر الثوب وهذا هو العادة وهو ظلم بل ينبغي ان ينظر الى قدر التعب فان التعب
على قدر المشقة كذا في الاحياء وما يكره اي ويجتنب ما يكره فيه قضاؤه تعالى كشراء الحيوان اي العبيد ونحوها لاجل
التجارة فان المشتري قضاء الله تعالى فيه وهو الموت الذي هو بصدده ولاجماله خلق لاجله وسلامة الناس اي ويجتنب
فيما يكون فيه عافية الناس كبيع الكفن على ما تقدم وفي معناه حفر القبر وغسل الموتى وحملهم بالاجرة وتشييع
الفقراء واعلامهم واذكارهم من غير اذكارهم وما يحرم اي يجتنب ما يحرم استعماله كقباء الابريسم اي الحرير وهو
ثوب الرجال دون النساء وفي الخبر من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخرة رواه الشيخان وغيرهما عن انس و
رواية احمد عن جويرية من لبس الحرير في الدنيا البسه الله تعالى يوم القيمة ثوبا من النار وانية الذهب والفضة
فانهما حرام مطلقا وفي الخبر الذي يأكل ويشرب في انية الفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم رواه مسلم عن
ام سلمة زاد الطبراني الا ان يتوب والمزمار فانه حرام باتفاق الاربعة كساير الاوتار وانما خلاف الرافعي
من الشافعية في القصب ورفع البناء اي زيادة على قدر الحاجة فانه يقال له الى اين يا افسق الفاسقين
وذلك لانه عمل شداد في بناء قصره وعمل فرعون في بناء صرحه وتزيينه بالجص وكذا بالنورة والطين

فانه من كونه نقصا او خيانة اسراف المال وتضييع المال وروى الدارقطني عن ابي الدرداء انه عم قال ان
يحمل المبيع اي بالتوررة وغيرها وفي الاحرى شكوى يشكو بوسي ويمال عطفا يجتنب متدينا لايستحل
الي في الدين فيكون نظاهر الديانة اعانه على البر لا فاسقا وكذا لا ظالما ولا لاحد من اعوانه لئلا يعين على
الاثم فقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وقد دخل سفيان
الثوري على المهدي وبيده درج ابيض فقال يا سفيان اعطني الدواة حتى اكتب فقال اخبرني اي شيء تكتب
فان كان حقا اعطيتك ولا يبالغ في مدح المبيع اي ان كان بايعا وذم المشتري ان كان مشتريا وان
صدق اي ولو كان صادقا في مدح وذم في المبالغة فيهما مذموم لانه مما لا يعنيه فهو به ملوم و
مذموم وقد قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال عز وجل والذين هم عن اللغو معرضون وورد
من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه ولا يحلف ولو كان صادقا في يمينه من غير ضرورة لانه مرد يته فهو كلم
تعالى اي جعل الله اسمه سبحانه في هذا الحلف عرضة للايمان اي كالعرضة التي اعدها القصاب لما يلوث
به لديه او كالهدف الذي يرمي الرامي في كل ساعة سهامه اليه لترويج الدنيا الخسيسة باسمه الذي من الاشياء
النفيسة واما قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس فمعناه لا تجعلوا
الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى بان يدعى احدكم الى بر فيقول حلفت ان لا افعل بل ينبغي ان
يفعل ويكفر عن يمينه وورد كما في صحيح مسلم لا ينظر الله الى المنفق بتشديد الفاء المكسورة سلعته اي متاعه بيمينه
اي بحلفه فانه ان كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس وهي من الكبائر التي تترك الديار بلاقع وان كان صادقا
فقد اساء اذ الدنيا اخس من ان يقصد ترويجها بذكر اسم الله من غير ضرورة وفي الخبر ويل للتاجر من بلى والله ولا
والله وويل للصانع من بعد وعد وكذا في الاحياء ذكره صاحب مسند الفردوس من حديث انس بغير اسناد وفي
الخبر اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للكسب متفق عليه ويظهر عيب المبيع اي في نفسه خفيه وجليه و
قدره اي ويظهر مقداره من الطول والعرض ونحوهما وسعر الوقت اي قيمته فقد نهي عم عن تلقي الركبان متفق
عليه من حديث ابن عباس وابي هريرة وفي رواية عن تلقي البيوع كما في الترمذي ولابن ماجه عن ابن مسعود وفي رواية
ابن ماجه عن ابن عمر نهى عن تلقي الجلب وهو ان يستقبل الرفقة ويتلقى الامتعة ويكذب في سعر الامكنة وقد ورد
لا تلقوا الركبان فصاحب السلعة بالخيار بعد ان يقدم السوق وما سومح اي ويظهر ما سامح بايعه الاول مع
الثاني في الصفقة الاولى وهي تكون في بيع التولية وصورته ان يبيع شيئا بما قام عليه فيظهر ما سومح به البائع مع
من تاجيل ثمن وقبول عيب مع نقصان في قدره ووصفه فالاخفاء خيانة كما ان الابداء ديانة فهي
وانه لا يحل لاحد يبيع بيعا الا بين ما فيه ولا يحل لمن يعلم ذلك الا بينه البيهقي والحاكم وقال صحيح الاسناد
وورد من غشنا فليس منا الترمذي عن ابي هريرة بسند صحيح وزاد الطبراني وابو نعيم في الحلية عن ابن مسعود
والمكر والخداع في النار ومن المكر والخديعة عرض الثياب في موضع الظلمة وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة

ان عم مر

وظهر عيب المبيع وقدره وسعره

انه عم مر برجل يبيع طعاما فاعجبه فادخل يده فيه فراى بللا فقال ما هذا فقال اصابته السماء قال فهلا جعلته فوق الطعام
ليراه الناس من غشنا فليس منا وويل للمطففين اي الهلاك لاهل التطفيف في الكيل والوزن وهو النقصان الخفيف في الميزان
والمكيال فكيف الحال في اخذ الاجمال من اموال الناس والاجمال الاية وهي الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا
كالوهم او وزنوهم يخسرون الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين وفيه وعيد في غاية
التهديد لقد كان بعضهم يقول لا اشتري الويل من الله بحبة فكان اذا اخذ نقص نصف حبة واذا اعطى زاد حبة ويقول
ويل لمن يبيع بحبة جنة عرضها السموات والارض وروى انه عم اشترى شيئا وقال للوزان زن وارجح رواه اصحاب
السنن الاربعة وقال الترمذي حسن صحيح وقيل كل مكلف فهو صاحب ميزان في افعاله واقواله وخطرات احواله فويل له ان
عدل عن العدل ومال عن الاستقامة في مقام الفضل ولا يروج الزيف وهو ما نقرة فيه اصلا بل هو موه ذهبا او مالا ذ
فيه من الدينار اما ما فيه نقرة فان كان مخلوطا بالنحاس وهو نقد البلد فقد اختلف العلماء في المعاملة عليه قال الغزالي
والذي اراه الرخصة فيه اذا كان كذلك نقد البلد سواء علم مقدار النقرة او لم يعلم وان لم يكن النقد البلد لم يجز
الا اذا علم قدر النقرة فان كان في ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد فعليه ان يخرج معاملة وان لا يعامل
به الا من لا يستحل الترويج في جملة النقد بطريق التلبيس فاما من يستحل ذلك فتسليمه اليه تسليط له على الفساد و
اعانة عليه وهو كبيع العنب ممن يعلم انه يتخذ الخمر وذلك محظور وفيه اعانة على الشر لا يليق في البر فقد قال بعضهم
انفاق درهم زائف اشد من سرقة مائة درهم لان السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت وانفاق الزائف
بدعة اظهرها في الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعده الى مائة سنة الى ان يفنى
ذلك الدرهم ويكون عليه ما فسد ونقص من اموال الناس بسببه فطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه والويل كل الويل
لمن يموت ويبقى ذنوبه في صحيح مسلم عن جرير بن عبد الله مرفوعا من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه
وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم شيء وبالجملة التجارة محك الرجال وبها يتبين مقام دينهم
في الاحوال وقد قال بعضهم شعر لا يغرنك من المرء قميص رقعه ؛ وازاره كعب الساق منه رفعه ؛ جبهته
لاح فيها اثر قد قلعه ؛ فلدي الدرهم فانظر غيه او ورعه ؛ ولا يخلط التراب اي ونحوه من التبن وغير الجنس بالطعام
اي الحبوبات وما لا يعتاد اي يخلط باللحم كالدم والغدة والجلد الرقيق وكذا اللحم الماعز بالضان والضعيف
بالسمين فهو اي ما ذكر وامثاله كخلط الماء باللبن والدهن بالسمن والدبس بالعسل حرام لانه ظلم في حق الانام
ولا يقدم على شيء اي سوم شيء لا يريده اي لا يقصد شراءه بما فوق ثمنه ترغيبا للمشتري فانه النجش المنهي عنه في
المتفق عن ابن عمر والاصل انه لا يريد لغيره ما لا يريد لنفسه كما ورد لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه اخرجه
الشيخان وغيرهما وفي رواية وحتى يكره لاخيه ما يكره لنفسه وهو اي حصول هذا المقام انما يكون باعتقاد ان
الخيانة لا تزيد في الرزق والديانة اي الموجبة للامانة لا تنقص اي في الرزق فاذن لا يزيد مال من خيانة
كما لا ينقص من صدقة صادرة عن امانة وديانة ومن لا يعرف الزيادة والنقصان الا بالميزان فهو لم يصدق

بصير

تفسير الزيف

النجش ان تزيد في البيع لنفع غيرك وليس من مطلبك

لعدم الحلة وهو في غاية من الخسرات ومن عرف ان الدرهم الواحد قد يبارك فيه حتى يكون سببا لسعادة الانسان في الدين
والدنيا والالاف المؤلفة قد تنزع البركة منها حتى يكون سبب هلاكه ما لكه في الدنيا والاخرى صدق بقولنا
ان الخيانة لا تزيد في المال والصدقة لا تنقص منه في المال وقد قال تعالى يمحق الله الربوا ويربي الصدقات وورد
الامانة تجر الرزق والخيانة تجر الفقر الفضائحي من علي وان الاخرة اي وباعتقاد ان العقبى او حسن الدنيا
كما قال تعالى والاخرة خير وابقى فيختار نفع العقبى في بيع الدنيا ايثارا لما يبقى على ما يفنى وورد لا يزال لا اله
الا الله يدفع عن الخلق سخط الله اي ايثار غضبه ما لم يؤثروا اي مرة لم يختاروا صفقة دنياهم على اخرتهم
اي عقد انوجب بطلب الدنيا على عقد يورث نفع العقبى والحديث رواه ابو يعلى والبيهقي في الشعب عن انس وفي
للحكيم الترمذي في النوادر حتى نزلوا بالمنزل الذي لا يبالون ما نقص من دينهم اذا سلمت لهم دنياهم وللطبراني
في الاوسط نحوه من حديث عايشة والكل ضعيف الا انه يقوى بعضها ببعض ويروى حديث من قال لا اله الا الله مخلصا
دخل الجنة قيل وما اخلاصها قال يحجزه عما حرم الله الطبراني من حديث زيد بن ارقم باسناد حسن ويحسن اي البايع في المعاملة
ويعني بالاحسان ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه ولكنه تفضل منه فان الواجب يدخل في باب العدل وترك
الظلم وقد قال تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان فالعدل سبب النجاة والاحسان موجب لنيل الدرجات ويدرك
الاحسان الكامل بستة امور بانه لا يغبن اي المشتري غبنا غير معتاد سواء يكون فاحشا ام لا وان اعطى المشتري
اي ولو دفع ثمنه زيادة لرغبة اي ذائقة او حاجة ملجئة اي فهو له تعالى واحسن كما احسن الله اليك وفي الاحياء
قد ذهب بعض العلماء ان الغبن بما يزيد على الثلث يوجب الخيار ولسنا نرى ذلك ولكن من الاحسان ان يحط ذلك
الغبن وفي الجامع الصغير غبن المسترسل حرام الطبراني من حديث ابي امامة بسند ضعيف والبيهقي من حديث جابر بسند جيد
وقال ربوا ابو لواء حرام وقال الزبير بن عدي ادركت ثمانية عشر من الصحابة ما منهم من احد يحسن ان يشتري لحما بدرهم
فغبن هؤلاء المسترسلين حرام وعدوان وان كان من غير تلبيس فهو من ترك احسان ويحتمل اي ويأبه
يتحمل الغبن من ضعيف بايع او مشتر بان يكون مريضا او عن الكسب عاجزا او فقيرا اي ظاهر الفقر بان لم يكن
صاحب صنعة فيكون به محسنا واما ما ورد ان من الكمال ان لا يغبن ولا يغبن فهو محمول على غير محل الاحتمال
وهذا معنى وصف بعضهم عمر بانه كان اكرم من ان يخدع واعقل من ان يخدع وكان اياس بن معاوية قاضي البصرة
وكان من عقلاء التابعين يقول لست بخب والخب لا يغبني ولا يغبن ابن سيرين ولكن يغبن الحسن ويغبن
ابو يعلى يعني معاوية بن قرة قلت ومقام الحسن ايضا لقوله عم المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم ابو داود
والترمذي والحاكم عن ابي هريرة وكان الحسن والحسين رضهما وغيرهما من الصحابة يستقصون في الشراء ثم يهبون
مع ذلك الجزيل من المال فقيل لبعضهم تستقصي في شرائك على اليسير ثم تهب الكثير فقال ان الواهب يهب
فضله وان المغبون يغبن عقله وقد قال بعضهم انما اغبن عقلي وبصيرتي فلا امكن الغابن منه واذا وهبت
فاعطيته ولا استكثر له شيئا وورد في البخاري عن جابر مرفوعا رحم الله امرا سهل البيع وسهل الشراء تمام

سهل القضاء

سهل القضاء سهل الاقتضاء لان غني الحال لا يحمل الغبن من غني تاجر يطلب الربح زيادة على بضاعته فاحتمال الغبن
منه ليس في محل لانه تضييع للمال وتأسف في المال اذ لا اجر في العقبى ولا حمد في الدنيا فقد ورد في حديث من طريق اهل
البيت ان المغبون لا محمود ولا ماجور الترمذي الحكيم في النوادر من رواية عبيد الله بن الحسن عن ابيه عن جده وابو يعلى
من حديث حسين بن علي يرفعه ويسامح في قبض الثمن والدين اي وفي قبضه بنقص بعض من الثمن والدين وترك طلب نقد
احسن وامهال وقبول حوالة وورد رحم الله امرا سهل القضاء سهل الاقتضاء وهو تتمة الحديث المقدم فليغتنم اعادته
قد ورد ايضا في هذا المقام اسمح يسمح لك الطبراني من حديث ابن عباس ورجاله ثقات من انظر معسرا اي امهله وترك له اي اسقط عنه
كلا او بعضا ولو حقيرا حاسبه اي الله تعالى يوم القيمة حسابا يسيرا وفي لفظ آخر اظله الله تحت ظله يوم لا ظل الا ظله احمد ومسلم باللفظ
الثاني من حديث ابي اليسر وهو كعب بن عمرو وفي رواية الطبراني عن ابن عباس انظره الله بذنبه الى توبته وفي رواية لاحمد وابن ماجه
والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين عن بريدة من انظر معسرا فله بكل يوم مثله صدقة قبل ان يحل الدين فاذا حل الدين
فانظره فله بكل يوم مثلاه صدقة واصله قوله تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا اي بكله او بعضه خير لكم
ان كنتم تعلمون والتصدق ههنا افضل من الانظار الذي هو فرض وذكر ان رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد
له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا الا اني كنت رجلا اداين الناس واقول لفتياني سامحوا الموسر وانظروا المعسر
وفي لفظ آخر تجاوزوا عن المعسر فقال الله تعالى نحن احق بذلك منك فتجاوز عنه وغفر له رواه مسلم من حديث ابي مسعود الانصاري
وهو متفق عليه بنحوه من حديث حذيفة ويبادر في اعطاء الاجرة ففي الخبر اعطوا الاجير اجره قبل ان يجف عرقه ابن ماجه عن
ابن عمر وقضاء الدين قبل الاجل اي قبل حلوله فانه يعد من احسان العمل وبطلان الاول باحسن ما شرط اي في العقد الاول
بان يؤدي الجيد وكان الشرط رديا فانه يوجب معروفا ويقتضي كونه حسنا في الوفاء وورد خيركم احسنكم قضاء متفق عليه
من حديث ابي هريرة وينوي القضاء كذلك اي باحسن ما شرط ان عجز مهما قدر وورد ان الملائكة يدعون له اي لمن ينوي القضاء
بان يعد الله حتى يقضيه وللحديث في الاحياء بلفظ من ادان دينا وهو ينوي قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه و
يدعون حتى يقضيه ورواه احمد عن عايشة ما من عبد كانت له نية في اداء دينه الا كان له من الله عون وحافظ وفي
رواية لم يزل معه من الله حارس وفي رواية للطبراني في الاوسط الا معه عون من الله عليه حتى يقضيه وفي الاحياء كان
جماعة من السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر قلت وفي جواز هذا الاخذ من النظر لما فيه من نوع الغرور وضعف الحظ
اللهم الا ان يحمل على انه ادى الى الاجل المقرر فتدبر ويستدين اي يستقرض ويتدين في ضعف قوته في سبيل الله تعالى بان يكون في
حج او غزوة وفي زيادة او تمام كونه وتكميله مثل اي فرض قريبا كان او بعيدا او نكاح يتعفف به اي يطلب عفة نفسه عن
الزنا بسببه على الله تعالى اي متوكلا عليه ومستندا اليه محسنا الظن لديه ان يرزقه ما يقضيه فهو يقضيه اي جميع ما عليه من الديون
الثلثة بكرمه اما في الدنيا واما يرضي خصماءه في العقبى ويقيل من الاقالة اي يرد البيعة ان ندم البايع على شرائه
وكذا حكم المشتري وغيره فالعبارة الحسنة الجامعة ما في الاحياء ويقيل من يستقيله فانه لا يستقيل الا متندم مستضر
بالبيع ونحوه فلا ينبغي ان يرضى لنفسه ان يكون سبب استضراره وعد عليه اي على اقالة النادم اقاله الله تعالى اي عفوه يوم

القيمة عشرة اي ذنوب ورذلة وكان الاولى ان يقول لو ردكم اقال ناد ما صفقتم اقال الله عثرته يوم القيمة ابو داود
والحاكم من حديث ابي هريرة وقال صحيح على شرط مسلم ويقال الفقير نسئه اي صبر عليه على عموم الوكساي ترك المطالبة وكان حقوان
لم يظهر غناه بان تحقق فقره اليه فيكون في هذا محسنا اليه فانه لا ينبغي للتاجر ان يشتغل بمعاشه عن زاد معاده فيكون عمره
ضايعا وصفقته خاسرة ادنا يفوته من الربح في العقبي لا يفي به ما ينال في الدنيا فيكون ممن اشترى الحيوة الدنيا بالاخرة
بل العاقل ينبغي ان يشتغل على نفسه وغيره وشفقته على نفسه بحفظ رأس ماله وصلاح شانه وحاله ورأس ماله حفظ دينه
وتجارته فيه صون يقينه قال بعض السلف اولى الاشياء بالعاقل احوجه اليه في العاجل واحوج شيء اليه في العاجل احمده
عاقبته في الاجل وقال تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا اي لا تنس نصيبك في الدنيا بصيبك منها للعقبي فان الدنيا مزرعة
الاخرة والاخرة مخزنة الذخيرة الفاخرة ويكيل الطعام اي الحبوب اخذا واعطاء اي حال الاخذ وحال الاعطاء ففيه البركة
وفي الخبر كيلوا اطعامكم يبارك لكم احمد والبخاري عن المقدام وفي رواية ابن النجار عن علي كيلوا طعامكم فان البركة في
الطعام المكيل وروى البزار عن ابي هريرة انه عم نهى عن بيع الطعام حتى يجري فيه صاعان صاع البايع وصاع المشتري
فيكون لصاحبه الزيادة وعليه النقصان وتحقيق هذه المسئلة ومايتعلق بها من الرعاية في شرحنا للنقاية مختصر الوقاية والله ولي
الهداية ويختار حرف السلف وكان غالب اعمال الاخيار من السلف عشر صنايع الخرز والتجارة والحمل والخياطة والقصارة
وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المغازل ومعالجة صيد البر والبحر والوراقة كالحرث وهي الزراعة وهي صنعة آدم عم
اولا وقد قال عم التمسوا الرزق في خبايا الارض والمراد الزرع انشدوا شعر تتبع خبايا الارض وادع مليكها
لعلك يوما ان تجاب فترزقا ويشير الى هذا قوله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه
واليه النشور وسبحان يراد بالاية والحديث المعنى الشامل للزراعة والتجارة والله سبحانه اعلم والحمل اي حمل الامتعة
من محل الى محل باجرة معينة وبنان الحمال كان من اهل الكمال والتجر اي التجارة وفي مسند احمد وصحيح مسلم وابن ماجه عن ابي هريرة
كان ذكريا نجارا والخياطة قيل انه من صنعة ادريس عم والقصر غسل الثياب ومنه الحواريون والخصف اي خرز النعل
والقربة ونحوهما وصح انه كان عم يخصف نعله والرعي اي رعي الغنم والابل ونحوهما وهو من صنعة الانبياء والاولياء
والكتابة في حرفة العلماء والمشايخ الاصفياء لا سيما كتابة المصحف القديم وحديث النبي الكريم ففيهما بقاء الدين القويم
والمنهج المستقيم قال عبد الوراق قال لي احمد بن حنبل ما صنعتك قلت الوراقة فقال كسب طيب لو كنت صانعا بيدي
لصنعت صنعتك وهو يحتمل ان يكون معناها الكتابة وصنعة الورق بمعنى الكاغذ الذي يتوقف عليه صنعة الكتابة
كشغل المداد فانه الة الكتابة وقد ورد يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح مداد العلماء ورد خير تجارتكم
البز وخير صناعتكم الخرز الديلمي عن علي مرفوعا ويقال اربعة من الصناعة مرسومون عند الناس بضعف الرأي الحاكة
والقطانون والمغازليون والمعلمون ولعل ذلك لان اكثر مخالطتهم مع النسوان والصبيان ومخالطة ضعفاء العقول
يضعف العقل كما في مخالطة العلماء يزيد في العقل قال الصحيحة تو تر فورد المرء على دين خليله فلينظر من يخالل وعن مجاهد
ان مريم عليها السلام مرت في طلبها لعيسى عم بحاكة فطلبت الطريق فارشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع البركة من

كسبهم

كسبهم وامتهم فقراء وحقرهم في اعين الناس فاستجيب دعاؤها وكره السلف اخذ الاجرة على كل ما هو من قبيل العبادات
في فروض الكفاية كغسل الاموات وحفر القبور ودفنهم وكذا الاذان والامامة وتعليم القراءة والفقه وان حكم
المتأخرون بجواز ذلك اذ لم يروا من يقوم بهذه الامور احتسابا هنالك ويلزم ما رزق فيه اي من انواع
الصناعة او اصناف التجارة فلا ينتقل منها الى غيرها ففي الخبر من رزق في شيء فليلزمه البيهقي عن انس بلفظ من اصاب
من شيء فليلزمه وفي رواية ابن ماجه من حديث انس وعايشة من بورك له في شيء فليلزمه وفي رواية له عن انس بلفظ من اصاب
من شيء فليلزمه ويترك ما اتجر فيه ثلثا اي ثلث مرات فلم يرزق اي لم يربح فيه فان علامة الاجارة تيسر الامور وتيسيرها
وفي الخبر العسر يمن والعسر شوم الديلمي عن رجل وينتقل الى غير فان مع العسر يسرا وفي الخبر لن يغلب عسر يسرين
وفيه تحقيق وتدقيق ليس هذا المحل الذي ذكره يليق ويتخذ الغنم ففي مسند الفردوس للديلمي عن ابي هريرة الغنم اموال
الانبياء وفي رواية للخطيب عن ابي هريرة الغنم من دواب الجنة فامسحوا رغامها وصلوا في مرابضها وفي رواية لابي يعلى عن
البراء الغنم بركة والدجاج ونحوها كالناقة والبقرة والفرس والحمام والبط للدر اي اللبن والنسل اي النتاج ففيهما
عشر الرزق اي ويسر الخرق وورد في التجارة تسعة اعشار الرزق وفي سنن ابن ماجه ان النبي صلى الله عم امر الاغنياء
باتخاذ الغنم وامر الفقراء باتخاذ الدجاج وقال عند اتخاذ الاغنياء الدجاج باذن الله بهلاك القرى وقد بينا
وجهه في بهجة الانسان في مهجة الحيوان فكان له عم عراة بفتح اوله جمع بعير وغنم من لبنها قوت اهله وفي المواهب اللدنية
كانت له خمسة واربعون لقحة ارسل بها اليه سعد بن عبادة وكان له مائة شاة وكان له سبعة اعنز منايح ترعاها ام ايمن
وورد خذ الجنة من الحب والشاة من الغنم والبعير من الابل والبقرة من البقر ابو داود وابن ماجه والحاكم عن معاذ
ويختار اي من الغنم صنفا اي نوعا جامعا فيه السواد والبياض كما حكى في غنم شعيب عم ورعي الكليم في ذلك المقام ولا يحرص
على تحصيل الدنيا وتعطيل العقبي فلا ياكر بالسوق ونحوها لورود شر البقاع السوق لانه محل الغفلة والعصيان ولو بالخطأ
وموضع راية الشيطان وجنوده اعواذ الانسان وشر اهلها اولهم دخولا واخرهم خروجا رواه ابو نعيم من حديث ابن عباس
بلفظ ابغض البقاع الى الله الاسواق وابغض اهلها الى الله سبحانه اولهم دخولا واخرهم خروجا وقد تقدم حديث شر البقاع
الاسواق وخير البقاع المساجد فينبغي ان لا يمنعه سوق الدنيا عن سوق العقبى واسواق الاخرة المساجد ونحوها من المدارس ومجالس
العلم والذكر وكان عمر رض للتجار اجعلوا اول نهاركم لاخرتكم وما بعده لدنياكم وكان صالحو السلف يجعلون اول النهار واخره
للاخرة والوسط للتجارة فلم يكن يبيع الهريسة والرؤس بكرة الا الصبيان واهل الذمة لانهم كانوا في المساجد بعد وفي الخبر
ان الملائكة اذا صعدت بصحيفة العبد في اول النهار واخره ذكر وخير كفر الله ما بينهما من سيئ الاعمال ابو يعلى من حديث انس
بسند ضعيف ويقويه قوله تعالى وسبح بالعشي والابكار وفي حديث تلتقي ملائكة الليل وملائكة النهار عند طلوع
الفجر وعند صلوة العصر فيقول الله تعالى وهو اعلم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم يصلون وجئناهم يصلون فيقول الله
اشهدكم اني قد غفرت لهم متفق عليه من حديث ابي هريرة وقد جاء في تفسير قوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
انهم كانوا حدادين وخرازين فكان احدهم اذا رفع المطرقة او غرز الاشفا فسمع الاذان لم يخرج الاشفا المغروز

ولم يوقع الطرف ونبذها وقام الى الصلوة وفي كل من احب الاخرة عاش ومن احب الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح في الاش والعاقل في دينه فتاش ولا يركب البحر الا لحاج او عمرة او غزو رواه ابو داود في حديث عبد الله بن عمر فكان حقه ان يقول ورد ويقال من ركب البحر للتجارة فقد استقصى في طلب الرزق والعيان يدل على كمال الحرص وعدم القناعة في امره فكان من السلف من اذا ربح دانقا انصرف قانعا به وكان منهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم بعد العصر ومنهم لا يعمل في الاسبوع الا يوما او يومين ويتورع اي عن الشبهات ولا يكتفي بالتحرز عن المحرم وما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرهم لبن فقال من اين لكم هذه الشاة فقيل من موضع كذا فشرب منه ثم قال انا معاشر الانبياء امرنا ان لا ناكل الا طيبا ولا نعمل الا صالحا الطبراني من حديث ام عبد الله اخت شداد بن اوس بسند ضعيف يقويه قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم ان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم وعن ابي هريرة كان اذا اتى بطعام من غير اهله سال عنه الحديث رواه احمد من حديث ابي هريرة باسناد جيد ولهم من حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مروا بامراة فذبحت لهم شاة الحديث وفيه فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمة فلم يستطع ان يسيغها فقال هذه شاة ذبحت بغير اذن اهلها الحديث واسناده جيد والحاصل انه كان لا يسال عن كل ما يصل اليه الا اذا ظهر له ما يدل على ريبة لديه وفي البخاري من حديث عائشة كان لابي بكر غلام يخرج له الخراج وكان ياكل ابو بكر من خراجه فجاء يوما بشيء فاكل منه ابو بكر فقال الغلام اتدري ما هذا فقال وما هو قال كنت تكهنت لانسان في الجاهلية فاعطوني فادخل اصبعيه في فيه وجعل يقيء ويتورع اي يطلب الورع من نفسه وغيره في ترك حظ فان الورع اصل الدين كما ان الطمع فساده في مقام المجتهدين قوله داما الورعون فاني استحي ان احاسبهم اي فانهم حاسبوا انفسهم قبل ان يحاسبوا والحديث لم اعرفه وادنى رتبته اي مراتب التورع الاحتراز عن الحرام وهو الورع المخصوص في عرف الاعلام ثم عن الشهوة اي شهوة النفس وهواها وكان الظاهر ان يقول ثم عن الشبهة ولعله سهو في النسخة وهو التقوى اي كمالها وجمالها لورد دع ما يريبك اي ما يوقعك في الريبة والشبهة الى ما لا يريبك النسائي والترمذي والحاكم وصححاه من حديث حسن بن علي وهو اي المريب كما هو في نسخة كما اختلف فيه عند العلماء بالحل والحرمة او بالكراهة والحلو عنها كاكل الضب ونحوها والاخذ بالرفع او الخفض اي ثم الورع عن الاخذ والمريب كالاخذ ممن علم اي ظن ظنا غالبا ان في ماله حراما بان يكون اكثره حراما او علم اي او ان على نفسه علامة عدم المبالاة في المعاملة فكل منسوب الى ظلم او خيانة او سرقة او ربوا فلا تعامل وكذا الاخبار الظلمة من الامراء والوزراء واصحابهم واعوانهم من العلماء وفي الخبر من لم يبال من اين اكتسب المال لم يبال الله تعالى من اين ادخله النار الديلمي عن انس وصدقة السلطان اي ثم الورع عن اخذها او كصدقة واعطائه اذا اشتبه بيت المال اي التبس مال الحرام بالحلال واستحقاقا للاخذ اي اخذه في تلك الحال وهو يحتمل المصدر واسم الفاعل اي التبس مال الحلال بالحرام او استحقاق الاخذ اي اخذه ويؤيد الاول قوله او قدره اي من جملة المال والاولى في مثل ما ذكر من مواضع الاشتباه السؤال عن الغزالي من اهل الانتباه فان ذلك العليل عليل والنفس بالطبع الى هوسها وهواها تميل والتعلل اي والاولى في مثل حال الامتناع اظهار

الاعتذار

مطلب ركوب البحر

مطلب الورع عن الشبهات وانواع الورع

الاعتذار كيلا يتاذى اي صاحبه فان تاذى في الاعتذار فاسرار المؤمن اي ادخال السرور في قلبه بقبول ماله ولو بالشبهة في حاله اهم من الورع في اظهاره فعلى هذا قال ابن عمر ما من شيء احب الى الله من ادخال السرور على اخيه المسلم ابن البخاري اما الوهم الغير الناشي عن دليل اي عما يشعر بعلة شبهة وريبة كالاحتراز عن الصيد اي بطريق الاحتمال كونه ملكا للغير اي مسيبا ولا اثر عليه اي على الصيد من علامة دالة على انه للغير فوسوسة ويسمى بشبهة الشبهة وينبغي اي امر الورع فيه على ظاهر الحال اي حال المسلم لما ورد نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر وهو اعلم بالضمائر وتحسينا للظن اي باخيه المؤمن فورد ان بعض الظن اثم وهو الذي لا علامة فيه مما يوافقه او ينافيه واما ما ورد من ان الحزم سوء الظن فمحمول على ما يوجد فيه امارة وفي الاية ايضا الى هذا المفهوم اشارة وعن سلمان اذا كان لك صديق عامل او تاجر تعارف الربوا فدعاك الى طعام او نحوه او اعطاك شيئا فاقبل فان المهنا لك وعليه الوزر فاذا ثبت هذا في المراي فالظالم في معناه ثم اي ثم الورع عما لا باس به مخافة ما به باس فيه في سنن ابن ماجه لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة ما به باس وهو الصديق في التقوى اي المسمى به ومنه انه ارق ليلة فقال له بعض نسائه ارقت يا رسول الله قال اجل وجدت تمرة فاكلتها فخشيت ان تكون من الصدقة احمد من رواية احمد بن شعيب عن ابيه عن جده باسناد حسن كتوك الزينة الشبه اي المفرط والعطر اي الطيب الكثير وهما مما لا باس بهما لتحريكهما الشهوة التي بها باس فيكونه باعثة له على الريب والشبهة ثم اي ثم الورع عما ليس له تعالى اي خالصا لوجهه وان كان مباحا في اصل امره وهو الصدق المطلق وصاحبه الصديق المحقق كترك خطوة او لقمة وكذا ترك نظرة وخطرة وسكونه وحركة ليس فيهما اي في امثالها نية عبادة وقصد شغلهم اي اهل هذا المقام وهم الصديقون كانوا يقتصرون على لقيمات يقوين على العبادة ابدانهم وروي عن عمر انه كان ياكل سبع لقم او تسع وقد اشير اليه بقوله لقيمات فانه اقل جمع القلة وهو ما دون العشرة وفي هذا بيان الكمية وفي تصغيرها ايماء الى تقليلها في الكيفية والتحقيق انه كلما يشدد في الاحتياط يكون سببا للتخفيف للحساب وتقليل العذاب والاصل الاستفتاء من القلب والاستخارة في كلام من الرب فورد استفت قلبك وان افتاك المفتون وما خاب من استخار ثم اعلم ان اغلب اموال السلاطين حرام في هذه الاعصار والحلال في ايديهم معدوم او عزيز في الديار وقد اختلف الناس في هذا فقال قوم كلما لا يتيقن انه حرام فله ان ياخذ وقال اخرون لا يحل ان يوخذ ما لا يتيقن انه حلال فلا يحل شبهة اصلا والاعدل ان الحكم للاغلب فاذا كان حراما حرم واذا كان حلالا يفتي بحله وحكم الورع بتركه الا ان هذا الزمان لم يوجد الا الشبهات لفقد الخالص من الحلالات الطيبات ولهذا صح من جوز اخذ اموال السلاطين اذا كان فيه حلال وحرام مهما يتحقق ان عين الماخوذ حرام بما روي عن جماعة من الصحابة انهم ادركوا ايام الائمة الظلمة واخذوا الاموال منهم كابي هريرة وابي سعيد الخدري وزيد بن ثابت وابو ايوب الانصاري وجرير بن عبد الله وجابر وانس والمسور بن مخرمة فاخذ ابو سعيد وابو هريرة من مروان ويزيد بن عبد الملك واخذ ابن عمر وابن عباس من الحجاج واخذ كثير من التابعين منهم كالشعبي وابراهيم والحسن وابن ابي ليلى واخذ الشافعي من هارون الرشيد الف دينار في دفعة ولقد مالك من الخلفاء اموالا جمة وقال علي كرم الله وجهه خذ ما اعطاك السلطان فانما يعطيك من الحلال وما ياخذه من الحلال اكثر وانما ترك من ترك منهم العطاء

مطلب اموال السلاطين

نوزعا الا توي الي قول ابي ذر للاحنف بن قيس خذ العطاء ما كان محلة فاذا كان اثمان دينكم فدعوه وقال ابو
هريرة اذا اعطينا قبلنا واذا منعنا لم نسال وعن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة انه كان اذا اعطاه معاوية سكت
وان منعه وقع فيه وروي نافع عن ابن عمر ان المختار كان يبعث اليه فيقبله ثم يقول لا اسال احدا ولا ارد ما رزقني الله
وعن نافع انه بعث ابن معمر الى ابن عمر ستين الفا فقسمها على الناس ثم جاءه سائل فاستقرض من بعض ما اعطاه و
اعطى السائل ولما قدم الحسن بن علي على معاوية فقال لاجيزنك بجائزة لم اجزها احدا من العرب قبلك ولا اجيزها
احدا بعدك من العرب قال فاعطاه اربعمائة الف فاخذها وعن جعفر عن ابيه ان الحسن والحسين كانا يقبلان جوائز
معاوية وقال حكيم بن جبير مررنا على سعيد بن جبير وقد جعل عاشرا على اسفل الفرات فارسل الى العشارين اطعمونا
مما عندكم فارسلوا بطعام فاكل منه واكلنا معه وزعمت هذه الفرقة ان ما ينقل من امتناع جماعة من السلف من
العطاء لا يدل على التحريم بل على الورع كالخلفاء الراشدين وابي ذر وغيرهم من الزهاد فانهم استغنوا من
الحلال المطلق زهدا ومن الحلال الذي يخاف افضاؤه الى المحذور ورعا وما نقل عن سعيد بن المسيب انه ترك
عطاءه في بيت المال حتى اجتمع نيفا وثلثين الفا وما نقل عن الحسن انه قال لا اتوضأ مما يصير في واد ضاق وقت
الصلوة لاني لا ادري اصل ماله كل ذلك ورع لا ينكر ومن هذا القبيل ان ابا بكر رضي الله عنه حسب جميع ما كان اخذه
من بيت المال فبلغ ستة الاف درهم فغرمها لبيت المال وان عمر كان يقسم مال بيت المال فدخلت ابنة له واخذت
درهما من المال فنهض عمر في طلبها حتى سقطت الملحفة عن احد منكبيه ودخلت الصبية الى بيت اهلها تبكي وجعلت
الدرهم في فيها فادخل عمر اصبعه فاخرجه من فيها وطرحه على الخراج وقال ايها الناس ليس لعمر ولآل عمر الا ما للمسلمين
قريبهم وبعيدهم وكسح ابو موسى الاشعري بيت المال فوجد درهما فمر بني لعمر فاعطاه اياه فرآه عمر في يد الغلام
فقال اعطانيه ابو موسى فقال يا ابا موسى ما كان في اهل المدينة بيت اهون عليك من آل عمر اردت ان لا يبقى
من امة محمد صلى الله عليه وسلم احد الا طلبنا بمظلمة ورد الدرهم الى بيت المال وقال عمر اني لم اجد نفسي في مال بيت المال
الا كولي مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال ايام الحجاج
ما شبعت من الطعام منذ انتهبت الدار الى يومي هذا وروي عن علي رضي الله عنه انه كان له سويق في اناء مختوم يشرب منه
فقيل له اتفعل هذا بالعراق مع كثرة طعامه فقال اما اني لا اختمه بخلا فيه ولكني اكره ان يجعل فيه ما ليس منه واكره ان
يدخل بطني غير طيب وعن ابن المبارك ان الذين ياخذون الجوائز اليوم ويحتجون بابن عمر وعائشة ما يقتدون
بهما لان كلا منهما كان يفرق ما ياخذه في مجلسه وكذا جابر بن زيد قبل وتصدق به وكان يقول رأيت ان اخذ منهم
واتصدق احب الي من ان ادعها في ايديهم وهكذا فعل الشافعي بما قبله من هرون الرشيد فانه فرقه على قرب حتى
لم يمسك لنفسه حبة والحرص لمن استجرأ على اموالهم وشبه نفسه بالصحابة والتابعين والائمة المجتهدين فقد قاس
الملوك بالحدادين ثم اعلم ان الغني الذي لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال اليه هذا هو الصحيح وان كان
العلماء قد اختلفوا فيه وفي كلام عمر ما يدل على ان لكل مسلم حقا في مال بيت المال لكونه مسلما مكثرا جمع المسلمين

ولكنه نبه على ما كان يقسم المال على المسلمين كافة بل على مخصوصين بصفات فاذا ثبت هذا فكل من يتولى امرا يقوم به وتتعدى
مصلحته الى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه فله في بيت المال حق الكفاية ويدخل فيه العلماء كلهم اعني العلوم
التي تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة حتى يدخل فيه المعلمون والمؤذنون وكذا طلبة هذه
العلوم فانهم يدخلون ويدخل فيه العمال وهم الذين ترتبط مصالح الدنيا باعمالهم وهم الاجناد والمرتزقة الذين
يحرسون المملكة بالسيوف والسهام عن اعداء الاسلام ويدخل فيهم الكتاب والحساب والعمال على اموال الخراج وليس
يشترط في هؤلاء الحاجة بل يجوز ان يعطوا مع وجود الغنى فان الخلفاء الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والانصار
ولم يعرفوا بالحاجة والافتقار وليس يتقدر ايضا بالمقدار بل هو الى اجتهاد الامام في الاختيار فله ان يوسع بالغناء
ويقتصر على الكفاية بحسب ما يقتضيه الحال وسعة المال فقد كان عمر رض يعطي الجماعة لكل واحد اثنى عشر الف نقرة
في السنة واثبت لعائشة وجماعة في هذه الجريدة لكل واحد عشرة الاف وللجماعة ستة الاف وهكذا واعطى عائشة
في جريدة اخرى اثنى عشرة الفا وزينب عشرة الاف وجويرية ستة الاف وكذا صفية وسوى ابو بكر رض في زمانه
فراجعه عمر فقال انما فضلهم عند الله وانما الدنيا بلاغ فالسلطان اذا لم يعم بالعطاء كل مستحق كما في زماننا فهل يجوز
للواحد ان ياخذ منه هذا مما اختلف العلماء فيه على اربع مراتب فغلا بعضهم وقال كل ما ياخذه فالمسلمون فيه شركاء ولا يدري
ان حصته منه درهم او دانق او حبة فليترك الكل وقيل له ان ياخذ قوت يوم فقط فان هذا القدر يستحقه لحاجته على
المسلمين وقيل له ان ياخذ قوت سنة فان اخذ الكفاية كل يوم عسر وهو ذو حق في هذا المال فكيف يتركه وقيل انه ياخذ
ما يعطى والمظلوم هم الباقون وهذا هو القياس لان المال ليس مشتركا بين المسلمين كالغنيمة بين الغانمين ولا كالميراث
بين الاقربين لان ذلك صار ملكا لهم وهذا لو لم يتفق قسمته حتى مات هؤلاء لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث
بل هذا الحق غير متعين وانما يتعين بالقبض بل هو كالصدقات ومهما اعطي الفقراء حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكا لهم
ولم يمتنع لظلم المالك بقية الاصناف بمنع حقهم وقد وقع الاطناب في هذا الباب لانه مهم لذوي الالباب في معرفة الخطأ
والصواب **الباب السابع في الاتباع في المعيشة** اي لاجل المعاش في مراد الدنيا واخذ زاد المعاد في العقبى
وهذا الباب مشتمل على انواع من الاداب كالاكل والشرب واللبس والمنام والكلام وما لا يستغني عنه الانام

الباب السابع

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

مفتاح كل كتاب كريم ورد ان كنتم تحبون الله اي وتبتغون رضاه فاتبعوني في كل ما قدره وقضاه وامره ونهاه
تمام يحببكم الله اي يثيبكم في ما تطلبون من دنياه واخراه ويغفر لكم ذنوبكم في عقباه والله غفور رحيم لمن عصاه ثم اتقاه
وما آتاكم الرسول فخذوه اي من اوامره وتمامه وما نهاكم عنه فانتهوا من زواجره فالاصل الذي عليه نظام الاحكام
اتباعه عم في جميع الامور من احوال الانام لانه اي اتباعه يصير العادة عبادة وينور الباطن ونوره يوجب سعادة
ويذكر العبودية اي التي هي القيام بحقوق الربوبية ويقرب الى الارتياض اي تهذيب الاخلاق عن الاوصاف
الذمايم فالمسترسل في اتباع الهوى يشبه البهايم كما اشار اليه قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل لانها ليس لها استعداد

الانام ويأكلون كما تأكل الانعام حيث لم يفرق بين الحلال والحرام هذا اي خذ هذا الكلام وانما عدل عليه السلام
من مباح الى آخر لاطلاعه بنور النبوة على فائدة فيه دون الاخرى اتقاه وفوق انقطاع الهوى لا استرسالا في اتباع
الهوى. فتركه اي ترك الاتباع للتكذيب كفر بالاجماع ودونه اي وتركه دون التكذيب حمق اي جهالة وضلالة
من غير النزاع وحقه اي حق اتباعه عم في انتفاعه بالطعام الذي هو اصل معاش الانام ان يغسل اليدين الى
الرسغين فغسل اليد الواحدة او الاصابع غير كاف للقيام بالسنة كما صرح في العوارف والغنية قبل الاكل وبعده
فهما سنتان كما في السراجية ولو غسل يديه للطعام او عند حضور الماء مستعملا لاقامة السنة بخلاف ما لو قصد غسلهما
من الوسخ لما في الجامع الصغير الخاني تنظيفا اي تطهيرا عن التلوث النظر الى الحق وتعظيما للنعمة الى الاول ففي الكلام
لف ونشر مشوش وورد الوضوء المراد به اللغوي وقيل الشرعي قبل الطعام ينفي الفقر لاستقبال النعمة بالطهارة
والنظافة وبعده ينفي اللمم اي اصابة الجنون من فوز العقل وظهور الحكم او اصابة الحسن ذوات السم وقيل صغائر
الذنوب ومنه قوله تعالى الا اللمم وقوله عم ان تغفر اللهم فاغفر جما واي عبد لك لا الما وفي نسخة من الاحياء ينفي
اللمم قالت وفي رواية ينفي الفقر قبل الطعام وبعده قال المخرج رواه القضاعي في مسند الشهاب من رواية موسى الرضا عن ابائه
متصلا باللفظ الاول وللطبراني في الاوسط من حديث ابن عباس الوضوء قبل الطعام وبعده مما ينفي الفقر وهو من سنن المرسلين
ولابي داود والترمذي من حديث سلمان بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده انتهى ورواه احمد والحاكم في مستدركه
وفي رواية الحاكم في تاريخه عن عايشة الوضوء قبل الطعام حسنة وبعده حسنتان واغرب سفيان الثوري في قوله يكره غسل
اليدين قبل الطعام ولعله محمول على انها اذا كانت نظيفة بلا ريبة ولو قيل يد المصلي طاهرة ففي غسلهما اسراف ولا يبعد
ان يكون ماخذه ما رواه الترمذي في الشمائل عن ابن عباس انه عم خرج من الخلاء فقرب اليه الطعام فقالوا الا نأتيك
بوضوء فقال انما امرت بالوضوء اذا قمت الى الصلوة وروى ايضا فيها انه عم خرج من الغائط فاتي بطعام فقيل له الا توضأ
فقال عم اصلي فاتوضأ فاخذ بظاهره مالك وسفيان فكرها الوضوء قبل الطعام والشافعي استحب تركه والتحقيق ان المراد
من الوضوء المنفي هو الوضوء الشرعي فلا ينافيه الوضوء اللغوي العرفي من غسل اليدين مع انه عم اراد بيانه جواز تركه والتصريح
بعدم وجوبه لحكاية الترمذي عن سلمان انه قال قرأت في التورية ان بركة الطعام الوضوء بعده فذكرت ذلك له عم واخبرته
بما قرأته في التورية فقال عم بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده انتهى فهو عم بعث لاتمام مكارم اخلاق الانام
ثم مسح اليدين بعد الطعام مستحب ولا يمسح يديه بالمنديل ونحوه قبل الطعام بل يتركهما حتى يجف فيكون به اثر الغسل
قائما عند الاكل كذا في الخانية ويفتتح اي يبتدأ بعد التسمية بالملح اي الخالص ويختتم به فيه اي في ذكره من الافتتاح
والاختتام به مغفرة الذنوب اي الصغائر ورفع سبعين بلاء اي من الطواهر والظاهر وهذا لم اجد له اصلا
ويأكل على السفرة اي من الجلد او الخرقة الموضوعة على الارض فهو اقرب الى اتباعه عم وتواضعه لكمال الانعام
فورد كان اذا اتي بطعام وضعه على الارض احمد في كتاب الزهد عن الحسن مرسلا والبزار من حديث ابي هريرة نحوه
وفي البخاري عن انس ما اكل رسول الله صلى الله عم على خوان ولا على سكرجة قيل فعلى ما كانوا يأكلون فقال على السفر

مطلب حق الاتباع له عم في الطعام ما دام منفصلا

ويجمع

ويجمع السفرة الدالة على السفر المذكور لسفر الآخرة وزاد متاعها الفاخرة فالخوان اي استعمال الموائد والمنخل و
الاشنان والشبع من البدع وانه لم يكن اي ولو لم يكن هذه البدع الاربع مذموما غير الشبع بالطبع قال بعض الحكماء ثلثة
يبغضهم الناس البخيل والمتكبر والاكول وقال ابو سليمان الداراني من شبع دخل عليه ست آفات فقد حلاوة العبادة
وقصور حفظ الحكمة وحرمانه الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن ان الخلق كلهم شباع وثقل الطاعة وان يدور المؤمنون
حول المساجد والمحافل وهو يدور حول المطاهر والمزابل ويقال في قلة الاكل منافع كثيرة منها انه يكون اصح جسما واجود
حفظا واذكى فهما واقل نوما واطيب نفسا واخف بدنا والطف حسا وفي كثرة الاكل مضار كثيرة وهي اضداد ما تقدم
ويتولد منها الامراض المختلفة ويقال اذا كانت العلة من قلة الاكل صلحت بمؤنة قليلة واذا كانت من كثرة الاكل تحتاج
الى مؤنة كثيرة يدفعها ثم ليس كلما ابتدع منهيا عنه بل المنهي عنه ابداع بدعة تضاد سنة قال الحجة وليس في المائدة الا
رفع الطعام عن الارض لتيسير الاكل وامثال ذلك مما لا كراهة فيه اولا وانما الكراهة من حيث انه يخالف السنة
وشعار اهل النعمة وطريق اهل الكبر والنخوة قال والاربع التي ذكرها انها مبتدع ليست متساوية بل الاشنان حسن
لما فيه من النظافة فان الغسل مستحب والاشنان اتم في التنظيف وكانوا لا يستعملونه لانه ربما كانوا لا يعتادونه
او لا يتيسر وكانوا مشغولين بامور هي اهم من المبالغة في النظافة وقد كانوا لا يغسلون الايدي ايضا وكانت
مناديلهم اخمص اقدامهم وذلك لا يمنع كون الغسل مستحبا حيث ثبت الفضل بالاخبار فلا ينافي ما فعلوه احيانا
في حال الاضطرار وفي الجملة ليست المبالغة في النظافة من عمل السلف الاخيار وفي الخانية عن ابي ح وابي يوسف
لا بأس بغسل اليد بعد الاكل بالنخالة والدقيق فهما بمنزلة الاشنان وهو قول محمد فالغسول والصابون ونحوهما اولى
فان النظافة بها انقى وفي الازهار شرح المصابيح قال العلماء ورد عنه عم انه غسل قبل الطعام وبعده وترك الغسل
في الحالين وورد مسح اليدين بالمنديل وبالحصباء الا انه لم يرد بكل شيء رطب وقد انتقض طهارته فيكره ومن هنا قيل يد المصلي
طاهرة واختلاف الروايات لتفاوت الاطعمة والحالات والكراهة الغسل قبل الطعام وبعده او الاكتفاء بالغسل
في آخره والله اعلم قال واما المنخل فالمقصود منه تطييب الطعام وذلك مباح ما لم ينته الى التنعم المفرط واما الشبع
فهو اشد هذه الاربعة فانه يدعو الى تهييج الشهوات والاهواء وتحريك الادواء في الاعضاء متادبا اي يأكل
حال كونه متادبا في هيئة جلوسه فورد لا آكل متكئا اي متمكنا في مقعده سواء كونه مستويا او متكئا على احد شقيه
او متربعا او مضطجعا والحديث رواه البخاري من حديث ابي جحيفة وفي السراجية لا بأس بالاكل متكئا اذا لم يكن عن تكبر
انما انا عبد آكل كما يأكل العبد البزار من حديث ابن عمر وزاد احمد في الزهد من حديث عطاء بن ابي رباح ومن حديث الحسن
مرسلا واجلس كما يجلس العبد وورد بسند ضعيف انه عم زجر ان يعتمد الرجل بيده اليسرى عند الاكل الا الفاكهة
استثناء من قوله لا يأكل متكئا على سبيل التفكه اي التنقل من الحبوب فيجوز متكئا او مضطجعا ويجلس على الرجل اليسرى
وينصب اليمنى فهو مسنون روى ابو الحسن المقري في الشمائل من حديث انس كان اذا قعد على الطعام استوفز على ركبته
اليسرى واقام اليمنى ثم قال انما انا عبد آكل كما يأكل العبد وافعل كما يفعل العبد وفيه تنبيه على ان الاكل على

مطلب مضار الشبع ومنافع قلة الاكل

[illegible]

على المائدة كره ورد بما جاء انه كان يجثو للاكل على ركبتيه ويجلس على ظهر قدميه ورواه ابو داود من حديث عبد الله بن بسر
في اثناء حديث انواع الالة القصعة ثم اتفقوا عليها فلما اكثروا جثا رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وله والنسائي من حديث
انس رأيته يأكل وهو مقع من الجوع والقاموس اقعى في جلوسه تساند الى ما وراءه وروي عن علي انه اكل كما على ترس
وهو مضطجع ويقال منبطح على بطنه والعرب قد تفعل ذلك اذا لم يكن مانع هنالك واما ما ورد من نهيه عم عن اكل
رجل وهو منبطح على بطنه كما رواه ابو داود وابن ماجه والحاكم فهو محمول على التنزيه وكذا يكره الاكل قائما وينوي به
اي بالاكل القوة على الطاعة دون التلذذ وقصد الشهوة ومن دعاء السلف بعد الاكل اللهم اجعله عونا على طاعتك
ولا تجعله عونا على معصيتك ومن ضرورة هذه النية تقليل الاكل في القضية وفي الخبر ما ملأ ابن ادم وعاء شرا
من بطنه حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه فان لم يفعل فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس الترمذي
وقال حسن والنسائي وابن ماجه من حديث المقدام بن معدي كرب ويقدم اي الاكل على الصلوة ان امن فوتها
اي بخروج وقتها وانما يقدم لئلا يبرد اذا قعد لديه ولا يلتفت القلب اليه فالاكل المخلوط بالصلوة خير من الصلوة
المخلوطة بالطعام وورد اذا حضر العشاء بفتح العين اي طعام الليل والعشاء بكسرها اي صلوته فابدؤا بالعشاء
وهو يشمل العشائين وكذا اذا اتفق وقت العصر وهكذا حكم الغداء عند الظهر نظرا الى العلة وهي الشاغلة
للحديث كذا في الاحياء قال العراقي في شرح الترمذي لا اصل له في كتب الحديث بهذا اللفظ واصل الحديث في المتفق عليه بلفظ
اذا وضع العشاء واقيمت الصلوة فابدؤا بالعشاء والجمهور على الامر للندب فقيل انه مقيد بمن كان محتاجا الى الاكل
وهو مشهور فقيل على اطلاقه واليه ذهب ابن عمر ولقد كان ربما سمع قراءة الامام فلا يقوم من عشائه وقيل
المراد صلوة المغرب ولرواية اذا وضع العشاء واحدكم صائم وقيل وهو الاظهر ينبغي حملها على العموم
نظرا الى العلة وهي التشوق المفضي الى ترك الخشوع وذكر المغرب لا يقتضي الحصر فيها لان الجائع غير الصائم قد
يكون اشوق الى الاكل من الصائم لا بالنظر الى اللفظ ثم الحمل على العموم انما هو بالنظر الى المعنى الحاق للجائع
بالصائم لا بالنظر الى اللفظ الوارد كذا في فتح الباري شرح البخاري ويكثر الايدي اي على الطعام
ولو من اهله وولده والخدام فورد اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه بصيغة المجهول ابو داود
وابن ماجه من حديث وحشي بن حرب باسناد حسن قيل الاكل مع العيال افضل من الاكل وحده والاكل مع الضيف
افضل من الاكل مع العيال وكان عليه السلام لا يأكل وحده الخرائطي في مكارم الاخلاق عن انس وفيه تقليل
الاكل اي غالبا والانفاق اي الايثار المحمود بلا نفاق والجمع في القصعة الواحدة احب الى الله تعالى فعنه عم
خير الطعام ما كثرت عليه الايدي كذا في الاحياء وسكت عن مخرجه وعن عمر مرفوعا كلوا جميعا ولا تفرقوا فان البركة
مع الجماعة ابن ماجه ويجتنب القصعة الصغيرة فلا بركة فيها لعدم اتساع الايدي وعن الصفر والنحاس اي ويجتنب
الاكل فيهما فالمسنون للخشب والخزف واما الصيني فهو غاية التنعم ولم يكن يستعمله السلف ويسمي في الابتداء
فهو سنة مؤكدة فعن عائشة رض اذا اكل احدكم طعاما فليذكر اسم الله فان نسي ان يذكر اسم الله في اوله فليقل

بسم الله على

بسم الله على اوله واخره ابو داود والنسائي والحاكم وقيل التسمية واجب ويحمد في الانتهاء فانه مستحب والاحب في كل لقمة
ان يسمي في اولها ويحمد في اخرها وفي الاحياء يقول مع اللقمة الاولى بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة
بسم الله الرحمن الرحيم فعلى هذا يقول مع الاولى الحمد لله ومع الثانية زيادة رب العالمين ومع الثالثة زيادة الرحمن الرحيم
ويجهر اي بالتسمية تذكيرا للغير وتحريضا له على الخير ولا يعيب مأكولا من المباح فهو المأثور اي متفق عليه من حديث ابي هريرة
انه عم كان لا يعيب مأكولا ان اعجبه اكله والا تركه فذهب بعضهم الى ان العيب ان كان من جهة الخلقة كره وان كان من
جهة الصنعة فلا يكره وقال العسقلاني والذي يظهر التعميم فان فيه كسر قلب الصانع قلت لكن قد يراد به التنبيه
والتعليم ومن الادب ان يأكل بيمينه ولا يتجاوز عما يليه فورد كل مما يليك متفق عليه من حديث عمر بن ابي سلمة وهو ربيبه عم
انه قال ادن وسم الله وكل بيمينك مما يليك الا في الثمار اي الفواكه فهو اي استثناؤه مروي ومعلل بانه ليس
نوعا واحدا الذي يوجد فيه مألوف ومنضوج وبين ذلك وايضا اذا كان في الطبق انواع من الثمار ففي كل نوع احق
فلا يكره ان يأكل من غير ما يليه وللحديث رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان من حديث بن ذويب وفيه وجالت يد رسول
الله عم في الطبق فقال يا عكراش كل من حيث شئت فانه غير لون واحد ولا يأكل من ذروة القصعة اي
اعلاها ولا من وسطها اي ولو لم يكن مرتفعا بل من جانبها فعن ابن عباس كلوا من القصعة من جوانبها ولا تأكلوا
من وسطها فان البركة تنزل في وسطها احمد والبيهقي وفي رواية ابي داود وابن ماجه عن عبد الله بن بسر كلوا
من جوانبها ودعوا ذروتها يبارك فيها وفي رواية لابن ماجه عن واثلة كلوا بسم الله من جوانبها واعفوا رأسها
فان البركة تأتيها من فوقها ووسط الخبز اي ولا من وسط الخبز بل يأكل من استدارة الرغيف قياسا على القصعة
الا اذا قل الخبز فيكسر الخبز ولا باصبعين اي الا اذا كان محتاجا الى ملعقة فهو تكبر وكذا باصبع فانه الاكل بها مع
انه فعل المتكبرين لا يستلذ به الاكل ولا يستمريه لضعف ما يناله منه كل مرة فهو كمن اخذ حقه حبة حبة ولا بارجع فهو
شره اي حرص على الطعام الا اذا احتاج به فقد قيل انه عم ربما كان يستعين في الاكل برابع اصابعه وكان
لا يأكل باصبعين وقال الشيطان يأكل بهما والسنة اي المعروفة والعادة المألوفة له عم مثلث ففي الشمائل
للترمذي عن كعب بن مالك انه عم يأكل باصابعه الثلث وقد قال العلماء يستحب الاكل بثلثة اصابع ولا يضم اليها
الرابعة والخامسة الا لضرورة واما ما اخرجه سعيد بن منصور مرسلا عن ابن شهاب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اكل
اكل بخمس فمحمول على القليل النادر لبيان الجواز او على المائع ولا بالشمال اي ولا يأكل بها فان الشيطان يأكل بها اي بهذا
العضو فعن جابر لا تأكلوا بالشمال فان الشيطان يأكل بالشمال ابن ماجه وعند الضرورة تبيح المحظورات
ولا يقطع الخبز واللحم بالسكين فهو نهي عن التشبه بالعجم في الترفع والتكبر والتنعم في ازمنة جاهليتهم لما النهي
عن قطع الخبز بالسكين فرواه ابن حبان في الضعفاء من حديث ابي هريرة وابن حبان من حديث ام سلمة وهو ايضا مناف
للكراهة كما سيأتي بيانه في مقام واما حديث النهي عن قطع اللحم بالسكين فرواه ابو داود والبيهقي في شعب الايمان
من حديث عائشة مرفوعا لا تقطعوا اللحم بالسكين فانه من صنيع الاعاجم وانهشوه فانه اهنأ وامرأ وللترمذي

واحمد والحاكم من حديث صغوا الله ابن امية وقال انهشوا اللحم نهشا فانه اهني واهنا وابرا وفيه ايماء الي جواز
القطع في الشمائل عن المغيرة بن شعبة ضفت مع رسول الله صلي الله عليه وسلم ذات ليلة فامر بجنب فشوي ثم اخذ الشفرة فجعل يحز لي بها منه وفي
الصحيحين ان عمرو بن امية قال رايت النبي صلي الله عليه وسلم احتز من كتف شاة فدعا الي الصلاة فالقاها والسكين التي يحتز بها ثم قام فصلي ولم يتوضا وفي البيهقي انه نهي
عن قطع اللحم بالسكين في لحم قد نضج وهذا في لحم قد تكامل نضجه هذا وقد ورد اخلعوا نعالكم عند الطعام فانها سنة جميلة رواه الحاكم
عن انس وفي رواية له ولغيره فانه ادوم لاقدامكم ويحضر البقل ويجعل حاضرا في السفرة فهو محضر للملائكة اي اذا لم يكن له رايحة
خبيثة ويطرد الشياطين لانهم ما يجتمعون مع الملائكة في محل واحد لكن لم اعرف له اصلا وفي الاحياء يقال
ان الملائكة يحضر المائدة اذا كان عليها بقل وفي الخبر ان المائدة التي انزلت علي بني اسرائيل كان عليها من كل البقول
الا الكراث وعليها سمكة عند راسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة ارغفة علي كل رغيف زيتون وحب رمان
وعن علي رضي الله عنه من ابتدا غداءه بالملح اذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء ومن اكل كل يوم سبع تمرات
عجوة قتلت كل دابة في بطنه ومن اكل كل يوم احدي وعشرين زبيبة حمرا لم ير في جسده شيئا يكرهه واللحم ينبت
اللحم والثريد طعام العرب والسفارجات تعظم البطن وترخي الاليتين ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء
والشحم يخرج مثله من الداء ولن يستشفي الناس بشيء مثل السمن ولن تستشفي النفساء بشيء افضل من الرطب
والسمك يذيب الجسد وقراءة القرآن والسواك يذهبان البلغم فمن اراد البقاء ولا بقاء فليباكر
بالغداء وليقل من العشاء وليلبس الحذاء اي النعل وليقل غشيان النساء وليخفف الرداء وهو الدين اي من الزناء
ولو كانوا من الكرماء والخل يحضره فهو ينفي الفقر فقد ورد ما افتقر من ادم بيت فيه خل الطبراني وابو نعيم عن عائشة
ويغطي الحار اي يستره لئلا يقع فيه شيء ولا يلتفت اليه نظر حتي يبرد اي يسهل اكله فهو اعظم بركة وهو السنة اي
ثابت لها لقوله صلي الله عليه وسلم ابردوا بالطعام فان الحار لا بركة فيه رواه الحاكم وغيره ولا ينفخ في الطعام الحار فهو نهي
عنه بل يصبر الي ان يسهل اكله والحديث عند احمد عن ابن عباس وهو عند ابي داود وصحح ابن ماجه الا انهم
قالوا في الاناء وللترمذي من حديث ابي سعيد نهي عن النفخ في الشراب اي لئلا ينفصل من ريقه شيء ويقع فيه فيستقذر
الطبع منه ويكرم الخبز فقد ورد اكرموا الخبز اخرجه الحاكم في مستدركه عن عائشة وفي رواية فان الله تعالي انزله
من بركات السماء اخرجه البغوي في معجم الصحابة بحاله من حديث عبد الله بن زيد مرفوعا والطبراني من حديث ابي
سكينة وفي رواية زيادة واخرج من بركات الارض رواه الحكيم فلا يمسح به اليد ولا السكين لانه نوع اهانة
ولا يضع عليه القصعة ولا المملحة لانه قلب الموضوع ولا ينتظر الادام لان العيش به تمام في مقام النظام
فطلب الزيادة حرص من خصال اللئام وايثار القانع من الكرام وماء الاجوعة قد سدتها وكل طعام
بيمينه جنبي واحرة وكسر باليدين لا بيد واحدة كالمتكبرين ويقدم المكسور علي الصحيح اي في الاكل ولا يلتفت يمينا
وشمالا لانه يوجب احتيالا ويصغر اللقمة ايماء الي القناعة كما يشير اليه حديث يكفي ابن ادم لقيمات بصيغة التصغير ويجود
المضغ فانه يعين علي سرعة الهضم وما لم يبتلعها فلا يمد يده الي غيرها اشعارا بعدم الشره وطول الامل واحتمال

مطلب

قرب الاجل

٩٦

قرب الاجل واما حديث الامر بتصغير اللقمة وتدقيق المضغ فقال النووي لا يصح ذكره الزركشي وكذا الحديث
صغروا الخبز واكثروا عدده يبارك لكم ضعفه ابن حبان ورواه الديلمي بسند عن عائشة مرفوعا ويستعين باليسري
اي من اليدين عند الحاجة الي اللحم اليها ففي الطبراني عن عبد الله بن جعفر قال رايت في يمين رسول الله صلي الله عليه وسلم
قثاء وفي شماله رطبا وهو ياكل من ذا مرة ومن ذا مرة ولا يجمع بين الادامين فانه نوع من الترفه فالنهي للتنزيه
وكذا ما في تحفة الملوك من ان الجمع بين الاطعمة حرام اي ممنوع منع تنزيه عند السلف الكرام والا فقد قال الله تعالي
قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق وقد ورد انه جمع بين التمر والقثاء كما رواه مالك
واخرج ابو داود وابن ماجه قدم علينا رسول الله صلي الله عليه وسلم فقدمنا له زبدا وتمرا وكان يحب الزبد والتمر
فالكل ماثور وعند اهل الاثر مشهور والقائل به ماجور ويلعق الاصابع اي الثلث ويبتدئ بالوسطي فلا يدري
في اي جزء من البركة ففي صحيح مسلم من حديث انس وجابر ولا يمسح يده بالمنديل حتي يلعق اصابعه فانه لا يدري
في اي طعامه البركة وفي القصعة اي ويلحسها فهو كعتق رقبة ففي الاحياء يقال من لعق القصعة وغسلها
وشرب ماءها كان له عتق رقبة ففي الطبراني عن العرباض من لعق الصحفة ولعق اصابعه اشبعه الله في الدنيا والاخرة
وياكل السواقط جمع الساقطة ومنه قولهم لكل ساقطة لاقطة فهو ماثور ففي صحيح مسلم اذا وقعت لقمة احدكم فليأخذها
فليمط ما كان بها من اذي ولا يدعها للشيطان وورد اكرموا الخبز فانه من بركات السماء والارض ومن اكل ما سقط
من السفرة غفر له الطبراني وورد فهو مهور الحور ففي الاحياء يقال التقاط الفتات مهور الحور العين وهو
سبب العيش اي الرزق في الدنيا حيث عظم نعمة المولي والعافية في الولد اي ذريته الفقر والبلاء ففي الاحياء من اكل
ما سقط من المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده قال المخرج رواه ابو الشيخ في كتاب الثواب من حديث جابر
بلفظ امن من الفقر والبرص والجذام وصرف عن ولده الحمق وفي رواية اعطي سعة من الرزق ووقي في ولده وولد
ولده ويخلل الاسنان اي تنظيفا ويخرج اي بالخلال ما بقي منه اي ولا يبلعه الا اذا اخلل بلسانه ويمضمض اي
بعد التخلل مبالغة في النظافة واللطافة فالكل ماثور وبعضه فيما قدمنا مذكور وفي الاحياء ففيه اثر من اهل البيت
ويحمد الله تعالي حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضي والحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وجعلنا من المسلمين
والحمد لله الذي اطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة وامثال هذا مما ورد في السنة ان عري اي
خلا الطعام عن الشبهة اي القوية والا يستغفر ويندم ويهتم حزنا علي ما اكل منه فورد كل لحم نبت من سحت فالنار اولي به
البيهقي في شعب الايمان من حديث كعب بن عجرة ويبكي فليس من ياكل ويبكي ويقول الحمد لله علي كل حال ويقرا الاخلاص
اي سورة قل هو الله احد والقريش لانهما الصمد بالوصف الاحدي الابدي والثانية الاشعار الي تذكر
وصف سبحانه بنعمة الاحسان والامتنان حيث قال فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع
وامنهم من خوف واول قراءة سورة الفاتحة المشتملة علي الحمد والدعاء بالاستقامة كما هو المتعارف
بين العامة مستحسن خلافا لمن منعه ولا يقوم اي عن السفرة قبل الرفع اي الطعام الا اذا كان له عادة ذلك المقام

مطلب اكل السقوط

مطلب قراءة سورة الفاتحة بعد الاكل

ويدعو لصاحبه ان اكل طعامه الغير فيقول اللهم بارك له فيما رزقته واغفر له وارحمه وان افطر عند قوم
قال افطر عندكم الصائمون واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة ويقدم الافضل اي في
السن او الرتبة كالعالم والمسيد في الغسل اي في غسل اليد اخرا ويوخره اولا مراعاة لحيثية فيها ففي السراجية انه من السنة
ان يبدأ بالشبان قبل الطعام ثم بالشيوخ وبعد الطعام بالعكس والاكل والشرب اي ويقدم فيهما مطلقا لقوله عم
اذا وضع الطعام فليبدأ امير القوم او صاحب الطعام او خير القوم ابن عساكر عن ابي ادريس الخولاني مرسلا ويقبل اي الضيف
الاكرام كتقديم الطست من المضيف او غيره اصله الطس ابدلت احدى السينين تاء وحكي بالشين المعجمة كذا في القاموس
والظاهر انه عجمة فالكرامة لا ترد بل تقبل وقد اجتمع انس بن مالك وثابت البناني وهو تلميذ التابعي فقدم انس
الطست اليه فامتنع ثابت فقال له انس اذا اكرمك اخوك فاقبل كرامته ولا تردها فانما يكرم الله عز وجل وروي ان هارون
الرشيد دعا ابو معاوية الضرير فصب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا ابا معاوية اتدري من صب
على يدك الماء فقال لا فقال صبه امير المؤمنين فقال يا امير المؤمنين انما اكرمت العلم فاجلك الله واكرمك
كما اجللت العلم واهله ولا يطيل انتظار الجمع اي اذا كان هو المتبوع والمقتدى به فينبغي له ان لا يطول عليهم الانتظار اذا
اجتمعوا للاكل وتهيؤا له فورد في البستان جاز بعجل حينئذ اي مستوي وفيه انه لم يكن هناك من ينتظر فلا استدلال به
في نظر ولا يسكت حين الاكل فهو سيرة العجم من المجوس لكن لا يتكلم كثيرا ايضا فانه يوجب الهم وهو سيرة البهائم بل يتكلم
بالمعروف ويتكلم بحكايات الصالحين في الاطعمة وغيرها مما يناسب المقام ويوافق الرفيق بان يؤثر ملاحسن الاطعمة
ولا يقصد ان ياكل زيادة على ما ياكل فان ذلك حرام اذا لم يكن موافقا لرضي رفيقه مهما كان الطعام مشتركا ويتعهده
اي يتفقده في الجملة غير ملح اي من غير ان يلح على الاكل فيقول له كل ولا يزيد على ثلث اي ثلث مرات فهو من فقد كان عم
اذا خوطب بشيء بعد ثلث رواه احمد من حديث جابر واسناده حسن وفي البخاري من حديث انس كان يعيد الكلمة ثلثا
ولا يحلف بتشديد اللام معلوما او مجهولا في الحاحه على الطعام اي ولا يحلف عليه لان القسم انما يكون لاجل
تعظيم امر وليس هذا الامر بذلك الا في حقه كما تقدم يشير اليه قوله فان الله يحب الرفق في الامر كله
مصعب له ولا يهون عليه ولا يحرج اي رفيقه اي مضيفه الى الحمد قال بعض الادباء احسن الاكلين اكلا من لا يحوج صاحبه الى تفقده في الاكل وحمل بعضهم عن اخيه مؤنة قول كل وكان ابن المبارك يقدم فاخر الرطب الى
اخوانه فيقول من اكل اكثر اعطيته بكل نواة درهما وكان يعد النوى فيعطي كل من له فضل نوى بعدده كل اخ
وذلك لزيادة النشاط في مباسط الانبساط وقال جعفر بن محمد احب اخواني الي اكثرهم اكلا واعظمهم لقمة و
اثقلهم علي من يحوجني الى تعاهده في الاكل ويجمع ما اكل في طست ما امكن اي مهما وسع فورد اجمعوا وضوءكم بالفتح
اي ماء الوضوء وهو يشمل كلا الوضوئين اللغوي والشرعي جمع الله شملكم اي تفرقكم والحديث رواه القضاعي
من حديث ابي هريرة باسناد لا باس به وكان حق المصنف ان ياتي بهذه الجملة قريبا مما سبق ليكون متعلق
غسل اليد على طبق النسق والحاصل انه لا اجتماع على غسل الايدي في الطست الكبير لا باس به اذا كان في حالة
واحدة بل هو اقرب الى التواضع والانكسار وابعد عن طول الانتظار فان لم يفعلوا فلا ينبغي ان يصب ماء كل واحد

كما يفعل

ببعض المتكبرين من الاعاجم لما تقدم ولقول ابن مسعود اجتمعوا غسل الايدي في طست واحد ولا تستنوا بسنة الاعاجم
وكتب عمر بن عبد العزيز الى الامصار لا ترفع طست من بين يدي القوم الا مملوءة ولا تشبهوا بالعجم ويؤيده ما اخرجه
البيهقي والخطيب والديلمي عن ابن عمر مرفوعا اترعوا الطسوس وخالفوا المجوس وهو بالتاء الفوقية والزاي اي املؤها والماء دم
الذي يصب الماء على الايدي كره بعضهم ان يكون قائما واحب ان يكون جالسا اي باركا ليكون اقرب الى التواضع وكره
بعضهم جلوسه واحب قيامه وفي الطست اداب ومنها ان لا يبصق فيه وان يقدم فيه المتبوع وان يقبل الاكرام بالتقديم وان يدار
يمينا وان يجمع فيه جماعة وان يجمع الماء فيه وان يكون الخادم قائما الا وان يمج الماء فيه ويرسل من يديه برفق حتى لا يرش على الفراش
وعلى اصحابه ويصب صاحب المنزل بيده الماء على يد ضيفه كما فعل مالك بالشافعي في اول نزوله عليه وقال لا يروعك ما رايته
مني فخدمة الضيف فرض قلت ولعله ماخوذ من قوله تعالى هل اتيك حديث ضيف ابراهيم المكرمين وقوله عم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر
فليكرم ضيفه وقوله اذا جاءكم الزائر فاكرموه الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث انس ويحترز عما يكره الرفيق قولا
اي عملا لا يعجبه ويكون سبب الكدورة خاطره وفعلا كالنفخ اي في الطعام او في الشراب لما تقدم وكذا لا يشم الطعام
فانه من عمل الانعام ولا في الظلمة فهو منهي عنه وقائما او ماشيا لانه من دناءة اذا جعل عادة والنظر الى الاكل اي
فيستحي من علمه بل يشتغل بنفسه الا اذا اكل مع اهله ونفض اليد اي في القصعة وتقريب الراس اي وتقريبه عند
وضع اللقمة في فيه واخراج شيء من الفم متوجها الى رفيقه او طعامه واخذه باليمين فينبغي ان يخرج الشيء من الفم
صارفا وجهه واخذا بيساره وجعل اللقمة المصنوعة في القصعة فانه سبب لنفرة الطبيعة والوهمية في الحلاوي ولا يغمس
اللقمة الدسمة بالدهن وغيره في الخل والعكس ولا الحلو في الدسم فقد يكرهه غيره وكذا اللقمة التي قطعها باسنانه فلا يغمس
بقيتها في المرق والخل ونحوهما والتكلم بالقاذورات اي الخبيثة او المضحكة والاهوال اي الاحوال من المسوخ فانه يكون الموت
وتوكيد الامور والاستيذان اي طلب الاذن في التقديم اي تقديم الطعام بل يقدم من غير الاعلام كما يشير اليه قوله
تعالى فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين اي ذهب اليهم بخفية وقال اذا زارك اخوك فلا تقل اتاكل قبل امتناعه اي امتناع
صاحبه فلا يمسك قبل اخوانه اذا كانوا يحتشمون الاكل بعده بل ينبغي ان يمد يده ويقبضها ويتناول قليلا قليلا الى ان
يستوفوا فان كان قليل الاكل توقف في الابتداء وقلل الاكل حتى اذا توسعوا في الطعام اكل معهم اخرا وقد فعل ذلك كثير
من الصحابة واذا امتنع بسبب فليعتذر لهم دفعا للحجالة عنهم والرفع اي رفع الطعام قبل استيفائه اي استيفاء الضيف
غرضه في ذلك المقام بل يغتنم اطالة المجلس مع الاصحاب الكرام والاحباب العظام فقد قال جعفر بن محمد اذا قعدتم
مع الاخوان على الموائد فاطيلوا الجلوس فانها ساعة لا تحسب عليكم من اعماركم وقال الحسن كل نفقة ينفقها الرجل على
نفسه وابويه فمن دونهم يحاسب عليها الا نفقة الرجل على اخوانه في الطعام فان الله يستحي ان يسألهم عن ذلك
ويؤيده حديث جابر عند الازدي في الضعفاء ثلث لا يسألون عن النعيم الصائم والمتسحر والرجل ياكل مع ضيفه
ورواه الديلمي نحوه من حديث ابي هريرة وقد ورد لا تزال الملائكة تصلي على احدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يديه
حتى ترفع الطبراني في الاوسط من حديث عائشة وفي الاحياء روي عن بعض علماء خراسان انه كان يقدم الى اخوانه طعاما

كثيرا لا يقدرون على كل جميعهم وكان يقول بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الاخوان اذا رفعوا
ايديهم عن الطعام لم يحاسب من اكل فضل ذلك الطعام فانا احب ان استكثر مما اقدم اليكم لتاخذ فضل ذلكم
الطعام قال العراقي لم اجد للحديث على اصل وعن علي لان اجمع اخواني على صاع من طعام احب الي من ان اعتق رقبة
وقيل اجتماع الاخوان على الكفاية (القصد) من الانس والالفة ليس هو من الدنيا وقد ورد ان في الجنة غرفا يرى باطنها من
ظاهرها وظاهرها من باطنها هي لمن الان الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام الترمذي من حديث علي رض
وعنه عليه السلام من اطعم اخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين
مسيرة خمسمائة عام الطبراني من حديث ابن عمرو والتكلف اي تكلف المضيف للضيف كالاستقراض في البخاري عن عمر
نهينا عن التكلف وفي رواية البيهقي عن سلمان امرنا ان لا يتكلف احد لضيفه ما لا يقدر عليه والمعيانة يقدم لهم ما
حضر من الطعام فان لم يحضره شيء ولم يملك شيئا فلا يستقرض لاجل ضيفه فيشق على نفسه وقال بعض السلف في تفسير
التكلف ان تطعم اخاك ما لا تاكل انت بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة وكان الفضيل يقول انما تقاطع
الناس بالتكلف يدعو احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع اليه وقال بعضهم ما ابالي من اتاني من اخواني
فاني لا اتكلف له وانما اقرب ما عندي ولو تكلفت له لكرهت مجيئه ومللته وقال بعضهم كنت ادخل على اخ
لي فيتكلف فقلت له انك لا تاكل وحدك هذا ولا انا فما بالنا اذا اجتمعنا اكلناه فاما ان تقطع هذا التكلف او اقطع
المجي فقطع التكلف ودام اجتماعهما بسبب ذلك وتقديم شيء يحتاج اليه العيال اي بان يقدم جميع ما عنده فيجحف
بعياله ويؤذي قلوبهم في ما لهم وروي ان رجلا دعا عليا رض فقال اجيبك على ثلث شرائط لا تدخل من السوق شيئا
ولا تدخر ما في البيت ولا تجحف بالعيال او لا تسامح النفس به فانه من جملة التكلف فهو يورث الانقطاع اي انقطاع
الصحبة والالفة والاطعام والضيافة قال الثوري اذا اردت ان لا تقطع عيالك مما تاكل فلا تعدهم
به ولا يروه منك وعن بعضهم دخلت على جابر بن عبد الله فقدم الينا خبزا وخلا وقال لولا انا نهينا عن التكلف
لتكلفت رواه احمد وقال بعضهم اذا قصدت للزيادة فقدم ما حضر وان استزدت فلا تبق ولا تذر
وعن سلمان امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وان نقدم اليه ما حضرنا وروى ابو بكر
بن الال في مكارم الاخلاق من حديث سلمان لا يتكلفن احد لضيفه ما لا يقدر عليه وعن انس وغيره من الصحابة انهم
كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون لا ندري ايهما اعظم وزرا الذي يحتقر ما يقدم اليه
او الذي يحتقر ما عنده ان يقدمه ويقدم اي المضيف ما يشتهي اي ما يحب لنفسه لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون او ما يشتهيه الضيف اذا علم من حاله في الشمائل انه عم زار بعض اصحابه فذبح له شاة فقال علموا
انا نحب اللحم ويستحسن ان يشتهي المزور اخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل ما يقترح
قال ابو بكر الكتاني دخلت على السري فجاء بفتيت واحد فجعل نصفه في القدح فقلت اي شيء تعمل انا اشربه
كله في مرة فضحك فقال هذا افضل من حجة ثم دخل من صادف اي وافق كما في رواية من اخيه شهوة

اي عملها وقدر عليها فقضاها اي فطعمها اياه غفر له البزار والطبراني من حديث ابي الدرداء ومما ينبغي للزائر ان لا
يقترح شيئا بعينه فربما يشق على المزور فروى الاعمش عن ابي وائل انه قال مضيت مع صاحب لي نزور سلمان
فقدم الينا خبز شعير وملحا جريشا فقال صاحبي لو كان في الملح سعتر لكان اطيب فخرج سلمان فرهن مطهرة
واخذ سعترا فلما اكلنا قال صاحبي الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو قنعت بما رزقت لم تكن
مطهرتي مرهونة هذا وان خيره اخوه بين طعامين فليختر ايسرهما عليه ففي الخبر ما خير عم بين شيئين الا اختار
ايسرهما متفق عليه من حديث عائشة ثم اذا علم الضيف فرح المضيف باقتراحه عليه ويتيسر له ذلك فلا باس به بل يحصل
زيادة الانبساط بسببه وقد فعل ذلك الشافعي مع الزعفراني اذ كان نازلا عليه ببغداد وكان الزعفراني يكتب
كل يوم رقعة بما يطبخ من الالوان ويسلمها الى الجارية فاخذ الشافعي الرقعة في بعض الايام والحق فيها لونا اخر
بخطه فلما راى الزعفراني ذلك اللون انكره وقال ما امرت بهذا فعرضت عليه خط الشافعي ملحقا في الرقعة فلما
وقعت عينه على خطه فرح به واعتق الجارية سرورا باقتراح الشافعي عليه وذلك لانه يدل على صداقته كما يشير اليه قوله
تعالى او صديقكم وقد قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر منزل ابي الهيثم بن التيهان كما في الشمائل الترمذي وقال
حسن صحيح ومنزل ابي ايوب الانصاري كما رواه الطبراني في المعجم الصغير عن ابن عباس بسند ضعيف لاجل
طعام ياكلونه وكانوا جياعا والدخول على مثل هذه الحالة اعانة لذلك المسلم على حيازة الثواب وهي عادة السلف
وكان عون بن عبد الله المسعودي له ثلثمائة وستون صديقا يدور عليهم في السنة ولاخر ثلثون يدور عليهم في الشهر
ولاخر سبعة يدور عليهم في الجمعة ثم ان دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقا بصداقته عالما بفرحه من حسن حاله
اذا اكل من ماله فله ان ياكل بغير اذنه اذ المراد بالاذن الرضاء لا سيما في الاطعمة فامرها على السعة فرب رجل
يصرح بالاذن ويحلف وهو غير راض فاكل طعامه مكروه ورب غائب لم ياذن فاكل طعامه محبوب وقد دخل عم
دار بريرة واكل طعامها وهي غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال بلغت الصدقة محلها وكان محمد بن واسع
واصحابه يدخلون منزل الحسن فياكلون ما يجدون بغير اذن وكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسر ويقول هكذا
كنا وروي عن الحسن انه كان قائما ياكل من متاع بقال ياخذ من هذه الجرة تينة ومن هذه قسبة فقال له هشام
ما بدا لك يا ابا سعيد في الورع تاكل متاع الرجل بغير اذنه فقال يا لكع اتل علي اية الاكل فتلا الى قوله تعالى او
صديقكم فقال فمن الصديق يا ابا سعيد قال من استروحت اليه النفس واطمان اليه القلب وجاء قوم
الى منزل سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وانزلوا السفرة وجعلوا ياكلون فدخل الثوري فجعل
يقول ذكرتموني اخلاق السلف هكذا كانوا وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدم اليهم فذهب الى منزل بعض
اخوانه فلم يصادفه في المنزل فدخل فنظر الى قدر قد طبخها والى خبز قد خبزه وغير ذلك فحمل كله وقدم الى اصحابه
فقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير الطعام فقيل قد اخذه فلان فقال قد احسن فلما التقيا قال
يا اخي ان عادوا فعد هذا ومن الخصال الذميمة ان تقصد قوما متربصا لوقت طعامهم فتدخل وقت اكلهم

لرامهم فان ذلك من الضجعة حال الفجاءة فقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم
الى طعام غير ناظرين اناه اي غير منتظرين حينه ومتربصين نضجه وفي الخبر من مشى الى طعام لم يدع اليه مشى فاسقا
واكل حراما البيهقي من حديث عائشة ولابي داود من حديث ابن عمر من دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغيرا و
يضيف اي يعاقب عليه وهو ضعيف ويرد الاخر فيمن لا يضيف احمد من حديث عقبة بن عامر وقال انس كل بيت
لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة ومر عليه السلام برجل له ابل كثيرة وبقر كثيرة فلم يضفه ومر بامراة لها شويهات
فذبحت له فقال عم انظروا اليهما انما هذه الاخلاق بيد الله فمن شاء ان يمنحه خلقا حسنا فعل رواه الخرائطي في مكارم
الاخلاق من رواية ابي المنهال مرسلا وقال ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عم نزل به عم ضيف فقال قل
لفلان اليهودي نزل بي ضيف فاسلفني شيئا من الدقيق الى رجب فقال اليهودي والله لا اسلفه الا برهن فاخبرته
فقال عم والله اني لامين في السماء امين في الارض ولو اسلفني لاديته اذهب بدرعي وارهنها عنده رواه
ابن مردويه في تفسيره واسحق بن راهويه في مسنده فان قلت قد تقدم المنع من الاستقراض فكيف الجمع قلت محله اذا لم يكن له
ما يستغنى به وعليه يحمل قوله تكلفا ذا نزل لا يحمل هذا وكان ابراهيم الخليل اذا اراد ان ياكل خرج ميلا يلتمس من يتغدى
معه وكان يكنى بابي الضيفان ولصدق نيته في حسن مقصده دامت ضيافته في مشهده الى يومنا هذا في بلده فلا ينقضي ليلة
الا وياكل عنده جماعة من ثلثة الى العشرة مائة ويقصد به اي باطعام الاتقياء من الفقراء اعانة على البر وزيادة
الطاعة فقد ورد في دعائه عليه السلام اكل طعامكم الابرار وفي قوله لا ياكل طعامك الا تقي وقد تقدما دون
الاغنياء ولو كانوا من الصلحاء ثم زاده اي عكسه شر الطعام يعني به حديث شر الطعام الوليمة يدعى اليها الاغنياء
دون الفقراء متفق عليه من حديث ابي هريرة ولا يهمل الاقرباء اي لا يتركهم في ضيافته الغرباء والاخوان اي الاحباب
من الصلحاء لقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ولا يخص بعضهم بل يعمهم تحاميا عن الوحشة
اي النفرة من الصحبة وقطع الرحم لا سيما اذا كان المدعو ابعد في النسبة وينوي اي بالضيافة استمالة القلوب اي
ميل قلوب الاخوان والاقارب اليه بالمحبة الدالة على محبته تعالى لديه وهو ينوي اكرام اخيه المؤمن اتباعا لقوله عم
من اكرم اخاه المؤمن فكانما يكرم الله وينوي ادخال السرور على قلبه امتثالا لقوله عم من سر مؤمنا فقد سر الله
عز وجل ابن حبان والعقيلي في الضعفاء من حديث ابي بكر الصديق رضه واقامة السنة اي الطريقة الحسنة دون المباهاة
اي لا للمفاخرة بكثرة النعمة ولا قصد الرياء والسمعة ولا ارادة العوض وحمل المنة ولا يدعو من يستثقل الحضور
اي حضوره مجلس الضيافة او محفل الجماعة لان الثقيل يميل كالعليل ولا من يتاذى به الحاضرون كالمبروص
ومن الجذام او من يكثر الضحك والكلام ويعبث بالشرع مع العلماء الاعلام ولا الفاسق فانها اعانة على الاثم
بل على الاثام وقد قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ويجيب اي
دعوة الداعي الى وليمة وغيرها ان قدر ناويا اكرام المؤمن ثم زاده من اكرم اخاه المؤمن فانما اكرم الله لان المؤمن
مرآة المؤمن والحديث رواه الاصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث جابر والعقيلي من حديث ابي بكر واسناده

بيان من مشى الى الطعام لم يدع اليه مشى فاسقا واكل حراما ودخل سارقا وخرج مغيرا

في الطلب

جـ اجابة الدعوة

٩٤

اي فرحه ثم زاده من سر مؤمنا فقد سر الله وقد تقدم والحذر عن المعصية ثم زاده من لم يجب الداعي فقد عصى الله ورسوله
كما في المتفق عليه من حديث ابي هريرة واقامة السنة فهي وكونه اي قريبة للوجوب والاول دليل قوي والاخر دليل فقهي فلا يميز
الغني بالاجابة عن الفقير فان ذلك هو التكبر المنهي عنه ولذلك امتنع بعضهم عن اصل الاجابة وقال بعضهم انتظار المرقة
مذلة وقال اخر اذا وضعت يدي في قصعة غيري فقد ذلت له رقبتي فقيل هذا خلاف السنة ودفع بان محله اذا كان
الداعي لا يفرح الاجابة ولا يتقلد بها المنة ولذا كان بعض الصوفية لا يجيب الا دعوة من يرى انك اكلت رزقك
وانه يسلم اليك الوديعة وكان له في قبولها الفضل والمنة وقال سري السقطي رحمه الله آه على لقمة ليس على
لله فيها تبعة ولا لمخلوق فيها منة ويتعلل اي يعتذر ويأبى بنوع من العلة اذا لم يرد الاجابة وذلك لاستثقال
الداعي للاطعام وانما هو حياء من بعض الانام وقصده المباهاة ولارادة المفاخرة فخطيئة من السنة اجابة من
يطعم مباهاة او تكلفه روى ابو داود من حديث ابن عباس انه عم نهى عن طعام المتبارين اي المتباهين كما في
رواية العقيلي والمتبارين المتعارضان بفعلهما للمباهاة والرياء كما قاله ابو موسى الديلمي والتحامي اي يتعلل
ايضا للاحتراز والاحتراس عن ارتكاب معصية اي مما يوجد عند الداعي ككون الشبهة اي القوية في الطعام
والمنكر في المجلس اي من منكر الايام من فرش ديباج او انية فضة او تصوير حيوان على حائط او سماع شيء
من المزامير والملاهي او تشاغل بنوع من اللهو واللعب فكل ذلك مما يمتنع من الاجابة واستحبابها ويوجب
تحريمها او كراهتها وكذلك اذا كان الداعي ظالما او مبتدعا او فاسقا او شريرا او متكلفا طالبا للمباهاة والرياء
والسمعة فلا يجاب له الدعوة فالنية اي تصحيحها وتحسينها انما تؤثر في المباح فيجعله عبادة وتخرجه عن كونه عادة
بخلاف المعصية فانها لا تؤثر في تغييرها النية فلا يصح لها ان ينوي سرور اخوانه بمساعدتهم في شرب الخمر او سماع
المزامير ونحوها ولا اي لا يبعد للمعصية الجاه اي في المدعو ولا الفقر الداعي في اي كل منهما تكبر وكان عم مع كمال عزه
وجمال جاهه يجيب دعوة العبد والفقير وفي الاحياء المسكين بدل الفقير وكلاهما ليس في اصل الحديث الذي رواه
الترمذي وابن ماجه من حديث انس وضعفه الترمذي وصححه الحاكم وفي ذكر العبد غنية عنه ولقد اجاب دعوة الخياط
كما في الشمائل ومر الحسن بن علي رضه بقوم من المساكين الذين يسئلون الناس على قارعة الطريق وقد نثروا
كسرا على الارض وهم ياكلون وكان راكبا على بغلته فسلم عليهم فقالوا هلم الى الغداء يا ابن بنت رسول الله صلى الله عم
فقال نعم ان الله لا يحب المستكبرين فنزل وقعد معهم على الارض واكل من طعامهم ثم سلم عليهم وركب وقال
قد اجبتكم فاجيبوني فقالوا نعم فوعدهم وقتا معلوما فحضروا واعتنى فقدم اليهم فاخر الطعام وجلس ياكل معهم
ولا اي لا يتعلل لبعد المسافة اذا عينت اي الدعوة اليه فالاجابة لديه ثم زاده في البخاري من حديث ابي هريرة
لو دعيت الى كراع الغميم لاجبت ولو اهدي الي ذراع لقبلت والظاهر ان المراد كراع الشاة لكن في المتن مقيد بكراع
الغميم تبعا لما في الاحياء وهو بفتح المعجمة وكسر الميم واد بينه وبين مكة على مرحلة من مكة وقيل اسم موضع قريب
بالمدينة وانه مما يعتاد مسافتها بالحضور الى محل الاجابة او لم يرد بذكره غاية المبالغة الا ان العراقي قال ذكر

المقيم ولا يعرف ربه دون هذه الزيادة كما رواه الترمذي من حديث انس لو اهدي الي كراع لقبلت وترك الصوم اي ولا
يترك لاجل صوم قبيل ان كان نفلا لقوله اي قبل الزوال وامر المؤمن اي فرح بفطره يعود الصوم مع ان الصوم
له قضاء بخلاف فرح خاطر من لم يوافقه فانه جفاء وقد يتكلف المدعو اي يطبخ الطعام ويقول اني صائم
قاله علي سبيل التوبيخ علي ترك الافطار للضيف عند الالحاح والحديث رواه البيهقي من حديث ابي سعيد الخدري
صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما فاتاني هو واصحابه فلما وضع الطعام قال رجل من القوم اني صائم فقال عم
دعاكم اخوكم وتكلف لكم الحديث وللدارقطني نحوه من حديث جابر والا اي وان لم يفطر فضيافته بالعطر اي طيب
المشام وطيب الكلام والاكتحال والادهان ونحوهما من اصناف الاكرام ويجلس حيث يجلس فانه قد يكون رتب
في مجلسه موضع كل واحد فمخالفته لو يه تشويش عليه وان اشار اليه بعض الضيفان بالارتفاع اكراما فلا يرتفع فهو
تواضع فقد ورد ان من التواضع لله الرضى بالدون من المجلس الخرائطي في مكارم الاخلاق وابو نعيم في رياضة
المتعلمين من حديث طلحة بن عبيد الله بسند جيد ثم يخص بجنبيه بالسلام والكلام ولا ينظر الي جانب ياتي منه
الطعام فهو شره اي دال علي حرصه في الاكل ولا يطيل اي الضيف لانتظار المضيف اذا دعاه فان الانتظار
اشد من الموت خصوصا عند توهم الفوت ولا يعجل اي الضيف في المجيء قبل الاستعداد اي استعداد الضيف
الطعام وتهيئة المقام ويغير منكرا راى ان قدر علي تغييره بيده والا اي وان لم يقدر تغييره باليد ينكر
باللسان ويرجع اي ولا يقنع بانكار الجنان فان ذلك من اضعف الايمان حتى قال احمد بن حنبل مكحلة راسها
مفضض فينبغي ان يخرج وكذا اذا راى علي حيطان البيت ستورا من الديباج كما في ستر الكعبة ويبدا للضيف
بالغسل اي بغسل الايدي تحاميا عن تنفر الناس قبل الاكل لانه داع فيكون كالمؤذن يتوضا قبل اذانه فقد غسل مالك رح
قبل الطعام وقبل القوم وكره الغسل قبل الطعام رب البيت اولى لانه يدعو الناس الي كرامته انتهى ولا يخفى ان
هذا عيب في عرف زماننا ان كان في المجلس فالاولى ان يغسل قبل انعقاد المجلس وفي اخره تواضعا ويتاخر اي في
غسل اليد بعده اي بعد فراغ الاكل انتظارا للداخل اي من ياكل معه ونقضا للضيف اي بالتاخر لانه تواضع كريم في خلق ولهذا
ينبغي ان يكون اخرهم اكلا فقد كان بعض الكرام يقدم الطعام فاذا قارب القوم من التمام جثى علي ركبته ومد يده الي الطعام
بين يديه واكل وقال بسم الله ساعدوني بارك الله عليكم وكان السلف يستحسنون ذلك منه ويقدم ما يكفي
اي من الطعام فالنقص عن قدر الكفاية ترك المروة اي مع وجود القدرة والزيادة علي قدر الحاجة رياء الا
ان يجيز الذهاب اي يطيب نفسه باخذ ما فضل من الطعام او نوى ان يتبرك بفضلتهم وقد صنع ابراهيم بن ادهم
طعاما كثيرا علي مائدة فقال له سفيان يا ابا اسحق اما تخاف ان يكون هذا اسرافا فقال ابراهيم ليس في الطعام
اسراف ولعل ذلك لانه ليس في تضييع واتلاف ويؤيده قولهم لا خير في سرف ولا سرف في خير فهو من قبيل المباحات والمذموم
نية المباهاة فانه مع نية صحيحة فالتكثير تكلف وتصنع قال ابن مسعود نهينا ان نجيب دعوة من يباهي بطعامه
وكره جماعة من الصحابة اكل طعام المباهاة وهذا من ذلك وكان لا يرفع من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل طعام قط

لانهم كانوا لا يعدونه الا قدر الحاجة ولا ياكلون تمام الشبع بل حد الكفاية والقناعة ويعزل اولا اي يفرز من الطعام
ابتداء نصيب العيال تحاميا عن اهتمامهم اي لئلا يكون اعينهم طامحة الي رجوع شيء منه فلعله لا يرجع فيضيق
صدرهم ويطلقون في الضيفان السنتهم ويقوم شرهم فيكونون قد اطعم الضيفان مما يتبعهم كراهة قوم
وتلك خيانة في حقهم ولا يرفعه اي ما بقي من الاطعمة فليس للضيافة اخذه وهو الذي يسميه الصوفية الزلة
الا فيه نوع من المنزلة الا ان يعلم اي الضيف بقرينة الحال بسرور به اي برفع الضيف اذا اخذه ورفع له
وان كان يظن كراهة لذلك فلا ينبغي ان يؤخذ شيء منه الا اذا صح عن صاحب الطعام بالاذن فيه عن قلب
راض واذا علم رضاه فينبغي مراعاة العدل والنصفة مع الرفقاء فلا ينبغي ان ياخذ كل واحد الا ما يخصه او يرضى
به رفيقه عن طوع وسخاء لا عن كراهة وحياء ويختار ايسر الطعامين اذا خير الضيف بينهما لانه عم كان اذا
خير بين امرين اختار ايسرهما ولا يقترح الضيف علي المضيف الا اذا علم فرحه بذلك كما فعل الشافعي في بيت الزعفراني
واذا بات اي اقام الضيف عنده في الليل يريه القبلة اي يعلم المضيف اي جهة الكعبة والمتوضا اي محل الطهارة
هكذا فعل بالشافعي وفيه اشارة الي قيام الليل بالتهجد ونحوه وكناية عن قضاء الحاجة في وقته ويكرم اي المضيف الضيف
بما امكن من انواع الاكرام فقد روي عنه عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الاخر اي بجميع ما يجب الايمان به ويكتفي
بطرفي المؤمن به فليكرم ضيفه متفق من حديث ابي شريح وهو اي الاكرام اولا باظهار الانبساط والسرور اي الفرح في
مقام النشاط عند الدخول والخروج وعلي المائدة وساير اوقات الصحبة قيل للاوزاعي ما كرامة الضيف طلاقة الوجه
وطيب الحديث وقال زيد بن ابي زياد ما دخلنا علي عبد الرحمن بن ابي ليلى الا حدثنا حديثا حسنا واطعمنا طعاما
حسنا وثانيا بتعجيل الطعام فانه يقال السلام قبل الطعام والطعام قبل الكلام وهو احد المعنيين في قوله
تعالى هل اتيك حديث ضيف ابراهيم المكرمين انهم اكرموا بتعجيل الطعام اليهم ودل عليه قوله سبحانه فما لبث ان جاء
بعجل حنيذ اي مشوي وقوله فراغ الي اهله فجاء بعجل سمين اي ذهب بسرعة او بخفية وفي جاء يفيد من لحم وانما سمي عجلا
لانه عجل كذا في الاحياء والاظهر ان العجل علي حقيقته عبارة ويؤخذ منه العجلة اشارة وقد ورد الاناة من الله
والعجلة من الشيطان كما رواه الترمذي من حديث سهل بن سعد الا ان ابا داود روى من حديث سعد بن ابي وقاص التؤدة
في كل شيء الا في عمل الاخرة قال الاعمش لا اعلمه الا انه رفعه وصب الماء ويجب للمضيف علي اليد اي يد الضيف
وهو احد المعنيين في الاية السابقة وقد وفد وفد النجاشي علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام يخدمهم بنفسه فقال اصحابه
نحن نكفيك يا رسول الله فقال انهم كانوا لاصحابي مكرمين وانا احب ان اكافيهم والتشييع الي الباب اي باب الدار
قال عم من السنة للمضيف ان يشيع الي باب الدار كذا في الاحياء وسكت عن تخريجه واخذ الركاب اي ركاب
الضيف المركوب فالكل ماثور والاخير مروي عن فعل ابن عباس بزيد بن ثابت ويوجه اي الضيف فرحا اي بحسنه
وان قصر في حقه اي ولو قصر المضيف في حق الضيف برضاء الضيف متعلق بيوجه فهو حسن الخلق اي في عشرة الخلق فقد
ورد حديث حسن واسناده حسن عن الحسن عن الحسن عن ابي الحسن عن جد الحسن ان احسن الحسن الخلق الحسن ولا يكونه ولا يكون

اي لا يبيت الضيف ولا يقيم اكثر من ثلثة ايام تحرزا عن السآمة الموجبة للملامة وورد في الصحيحين من حديث
ابي شريح الخزاعي الضيافة ثلثة ايام وما زاد صدقة يعني ان شاء فعل وان شاء ترك الا ان يلح اي يبالغ
المضيف على الضيف بالقعود عنده زيادة على الثلثة ويعرف انه من صميم قلبه وطيب نفسه ويعد فراش الضيف
اي لهيئته فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فراش للرجل وفراش للمراة وفراش للضيف والرابع للشيطان مسلم
من حديث جابر ويستاذن كل اي من الضيف والمضيف صاحبه في صوم النفل فهو ماثور ويعتذر اذا كان قضاء من
قضاء او نذر وعن عايشة وفي رواية الترمذي من نزل على قوم فلا يصوم تطوعا الا باذنهم ويرسل الطعام
لاهل المصاب اي بموت بعض الاقارب فانه عليه السلام امر به اي بارسال الطعام المسمى بالوفة في لسان العام
لال حمزة اي عمه وجعفر اي ابن عمه وهو اخو علي بن ابي طالب من ابيه وامه في وقت شهادتهما الا ان يكون اي هناك
منكرا كالنوح ولطم الوجه وخرق الثوب وكشف العورة تحرزا عن الاعانة على الاثم اي المعصية وقد قال تعالى و
تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان والحديث معروف في جعفر دون حمزة فروى ابو داود
والترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن جعفر بسند حسن انه لما جاء نعي جعفر بن ابي طالب قال صلى الله عليه وسلم ان آل
جعفر شغلوا بميتهم عن طعامهم فاحملوا اليهم ما ياكلون ويجتنب طعام السلطان اي اكله فانه لا بد فيه
نصيب من الشيطان ويقبل اي طعام لو اكره على قبوله او اكله فقد ورد رفع عن امتي الخطا والنسيان وما
استكرهوا عليه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصحح عن ابن عباس واذا ابتلي به فليقلل من اكله ولا يقصد
الاجود اي الاطيب من الاطعمة هضما للنفس ومخالفة للهوى ومتابعة للكفاية والقناعة لاسيما اذا كان
الطعام فيه نوع من الشبهة فقد رد بعض المزكين شهادة من حضر طعام سلطان فقال كنت مكرها
فقال رايتك تقصد الاطيب وتكبر اللقمة وما كنت مكرها على ذلك واجبر السلطان هذا المزكي على الاكل فقال
اما آكل واخلي التزكية او ازكي ولا آكل فلم يجدوا بدا من تزكيته فتركوه وحكي ان ذا النون المصري حبس فلم ياكل
اياما في السجن وكانت له اخت في الله فبعثت اليه من غزلها طعاما على يد السجان فامتنع من اكله فعاتبته المراة
بعد ذلك فقال كان حلالا ولكن جاءني على طبق ظالم واشار به الى يد السجان وهذا غاية الورع ويكره الثوم
اي ويجتنبه والبصل والكراث وسائر البقول التي لها رايحة خبيثة خصوصا اذا كان يريد دخول المسجد
قبل زوال الرايحة الكريهة لاسيما يوم الجمعة لكثرة الجماعة فقد نهي عنه لتنفر الملائكة والناس عنه مسلم وغيره فهو
دناءة اي دال على قلة مبالاة وعدم ديانة فقد حكي عن ابراهيم النخعي انه قال الاكل في السوق دناءة
وفي الاحياء واسنده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غريب نعم قال المخرج رواه الطبراني من حديث ابي امامة وهو
ضعيف ورواه ابن عدي في الكامل من حديثه ومن حديث ابي هريرة انتهى ويتعدد حكمه بتعدد نيته الى
حسن كما لا يخفى واما قوله في الاحياء فقد نقل صحة عن ابن عمر انه قال كنا ناكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحن نشرب ونحن قيام رواه الترمذي وصححه فلا يظهر وجه التضاد اذ يمكن المشي والقيام الذي كونا فيهم
نمشي ونحن

السوق واما قوله تعالى مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق فانه كلام منهم على الحكم بهما لا الجمع بينهما فمعنى قولهم
ياكل الطعام انه ليس من الملائكة وقولهم يمشي في الاسواق لاحتياجه الى اللباس والابنية التواضع وهضم النفس وفيه
ان الكراهة لما فيه من الدلالة على الدناءة بالاكل في نظر الجماعة فكيف يرتفع كراهة القضية بهذه النية وقد صرح
الائمة بقدح ذلك في الشهادة والاحتماء اي ويجتنبه في الصحة هو يهز اي في الصحة كتركه في المرض فانه يوجد تمام
الدوا من اكل الادواء فيتبل من احتمى فهو يقين من المكروه وعلى شك من العوافي ومن اللطائف انه رأى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم صهيبا ياكل تمرا واحد عينيه رمدة فقال اتاكل التمر وانت ارمد فقال يا رسول الله انما امضغ
بالشق الآخر يعني الجانب السليم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ماجه من حديث صهيب باسناد جيد ويمقل بضم القاف
اي يغمس الذباب الواقع في الشراب ثم ينقل اي يخرج الذباب ففي احد جناحيه داء والاخر دواء رواه البخاري
وابن ماجه عن ابي هريرة مرفوعا اذا وقع الذباب في شراب احدكم فليغمسه ثم لينزعه فان في احد جناحيه داء وفي
الاخر شفاء ويذكر الجائع حال الاكل ووقت شبعه ويقول اللهم لا تواخذني بحق الجائعين وحساب يوم القيمة فانه
حلال الدنيا له حساب وحرامها له عقاب يوجب الملامة في الندامة ولا يواكل الاشرار ولا يشاربهم اي بل ولا يصاحبهم
ولا يقاربهم بل الاتقياء من الابرار والعلماء من الاخيار فهو يورث الحكمة اي وانواعا من الاسرار المنضمة
الى الانوار الجمة ولا يواظب على الشبع اي اكل عيش الحنطة ثلثة ايام فهو المروي اي في الصحيحين عن ابي هريرة ما شبع
آل محمد من طعام بر ثلثة ايام تباعا حتى قبض ويأكل الشعير فهو اكثر طعام الانبياء عليهم السلام وعن ابن عباس
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة واهله طاويا لا يجدون عشاء وكان خبزهم
الشعير رواه الترمذي وصححه ويخلط البر به اي بالشعير في اكله فهو سبب البركة ويأكل من التمر الاوتار واما
ثلثا واما خمسا واما سبعا فورد من اصبح بسبع تمرات عجوة هو جنس من تمر المدينة او غيرها لم يضره ذلك اليوم سم
ولا سحر احمد والشيخان وابو داود عن سعيد ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق اي مشترك بينه وبين رفيقه
وكف اي ولا في كف واحد لتقذر صاحبه بل يجعل النوى من التمر في ظهر اليد لا في بطن الكف واصابعه فيلقي
اي في مكان يليق به وكذلك نحوه اي نحو التمر او نواه من الخوخ والعنب وكذلك فضلة التين والرطب في رواية عبدا
وابي موسى عن اسحق انه عم نهى عن فتح التمر وقشر الرطب ويقدم الثمار اي اكل الفاكهة الرطبة فقد ورد في وصف ما في
الجنة وفاكهة مما يتخيرون اي يختارون ولحم طير مما يشتهون والاستدلال به من حيث الترتيب الذكري بينهما
وهو ايضا اقرب الى قواعد الطب فانها اسرع استحالة فينبغي ان تقع في اسفل المعدة وفيه ايضا اشارة الى تقديم
الطف الالوان من الطعام حتى يستوفي منهم من يريده ولا يكثر الاكل بعده بخلاف عادة المترفين من تقديم
الغليظ من الاطعمة لتستانف حركة الشهوة لمصادفة اللطيف بعده وذلك خلاف السنة لانه حيلة في استكثار
الاكل والوسعة ثم الافضل بعد ما تقدم الفاكهة اللحم والثريد وقد ورد سيد الادام اللحم وفضل عايشة على النساء
كفضل الثريد على سائر الطعام فان جمع اليه الحلاوة فقد جمع الطيبات لقوله تعالى في وصف الطيبات وانزلنا

عليكم المن والسلوى فالمن العسل والسلوى اللحم سمي سلوى لانه يتسلى به عن جميع الادام ولا يقوم غيره
مقامه في مقام المرام قال ابو سليمان الداراني اكل الطيب تورث الرضا عن الله عز وجل من جميع
الجهات وتتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد فانه من اعظم اللذات ولذا ورد في الدعاء النبوي اجعل
حبك احب الي من الماء البارد وقال بعضهم اذا كان خبزك جيدا وخلك حامضا وماؤك باردا
فلو نهاية وقال الاخر الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الالوان ويأكل ما اصاب من الثمار في مواسمها
فلو المكروه لانه سيما المختلف منها في تلك الازمنة والامكنة الالحكمة بالغة في منفعة الخلق بها والتلذذ بسببها والتذكر بها
على فواكه الجنة وكثرة انواعها في الاحياء ويأكل ما وجد من الطعام الحلال ان وجد تمرا دون خبز اكله وان
وجد شواء اكله وان وجد خبز بر اكله او شعير اكله وان وجد حلوا او عسلا اكله وان وجد لبنا دون خبز
اكتفى به وان وجد بطيخا اكله وان وجد رطبا اكله ويجوع النفس اي يرتاضها ويهذبها بتقليل الاكل
لوليمة الفردوس وذلك لان تلك الوليمة للمتجردين في الدنيا الزاهدين فيها والمرتاضين بانواع الرياضة على
انفسهم مهاوضات للمولى ومن ثمه ذم القائل ويلهيك عن دار الخلود مطاعم ولذة نفس غبها غير نافع فقد
ورد اجوعكم في الدنيا اشبعكم في العقبى فكان عليه السلام يعقد الحجر اي يربطه على البطن اي بطنه
من الجوع اي من شدة ما به من الجوع وقد اشبعت الكلام عليه في جميع الوسائل شرح الشمائل ويجتنب الشرب
في اثناء الاكل اي لمنع ارباب الحكمة الا لتعلق لقمة او صدق عطش اي لكثرة حرارة فقد يقال ان
ذلك مستحب في الطب وانه دباغ المعدة من الفتق ولا يشرب على الريق واذا عطش ولم يقدر ان يصبر فليأكل
لقمة ليوافق الحكمة ويشير اليه قوله تعالى كلوا واشربوا وان كان الواو لمطلق الجمع فان التقديم الذكري
قد يفيد الترتيب كما حقق في قوله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله وقوله عم ابدؤا بما بدأ الله سبحانه
ولا يكثر اي من المشرب بعد تمام يقلل الهضم لانه يبرد المعدة ويفسدها بل يصبر قدر ساعة ونحوها
ويأخذ الكوز باليمين لما ورد ان الشيطان يأكل بشماله كما في مسلم وغيره ويشرب في ثلثة انفاس
لما في الصحيحين وغيره عن انس انه عم كان اذا شرب تنفس ثلثا ويقول هو اهنأ وامرأ وابرأ وفي رواية
الترمذي وابن ماجه عن ابن عباس كان اذا شرب تنفس مرتين فيحمل القضيتان على مرتبتين والاولى
الاكثر والاظهر والاشهر مفتتحا بالتسمية وهو القياس على الاكل وعن ابن مسعود انه عم كان اذا شرب تنفس
في الاناء ثلثا يسمي عند كل نفس ويشرب في آخرهن ابن سني والطبراني ويقول الحمد لله الذي
سقانا عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا اجاجا بذنوبنا الطبراني في الدعاء مرسلا من رواية ابي جعفر بن محمد بن
علي بن الحسين مفتتحا بالتسمية ومختتما بالتحميد اي كل نفس وهو السنة اي كمالها والا فالسنة المعروفة
هو التسمية في اول الشرب والتحميد في آخره وورد عن انس برواية الديلمي مرفوعا مصوا الماء مصا
اي اشربوه قليلا قليلا يشبه مصا وفي رواية ابي داود عن عطاء بن ابي رباح اذا شربتم فاشربوا مصا

مطلب آداب الشرب

ولا تعبوه

ولا تعبوه عبا اي ولا تشربوه كثيرا يشبه صبا فان الكباد بالضم وهو وجع الكبد من العب اي من هذا
النوع في الشرب وفي رواية البيهقي عن ابن شهاب مرسلا انه عم نهى عن العب نفسا واحدا وقال ذلك
شرب الشيطان من آنية الخزف متعلق بيشرب اي من الكوز الفخار او من الخشب وهو القدح وهو الانسب الى
مشرب العرب ثم بيمينه اي ثم الافضل ان يشرب بيمينه فهو افضل من الكرع اي من الشرب بفمه وغيره اي وغير ما
ذكر كالشرب من آنية النحاس والصفر واما من آنية الذهب والفضة فبالاجماع حرام على الذكور والنساء كما قائما
كما في حديث مسلم عن انس وغيره وروي عنه انه شرب قائما كما في الصحيحين عن ابن عباس وحمل على عذر او بيان جواز
او اختصاص بماء زمزم ولا مضطجعا لانه خلاف السنة والحكمة الا للضرورة وينظر فيه اي في الماء او الكوز قبل الشرب
اي قبل ان يشرب منه حتى اذا كان فيه اذى دفعه عنه ولا يتنفس فيه اي في داخل الاناء بل يتنفس خارجه في الاثناء
كما سبق به الايماء وورد في الشمائل وغيره ويحفظ اسفله اي اسفل الكوز عن الترشيح عليه على بدنه وثوبه وغيره مما
يكون مكروها لديه فالكل ما ثور ويتبرك اي يطلب البركة بسؤر المسلمين فقد ورد سؤر المؤمن شفاء هكذا اشتهر
على الالسنة ويستأنس له بقوله عم من التواضع ان يشرب الرجل من سؤر اخيه رواه الدارقطني في الافراد عن ابن عباس
وقال القاضي عياض في شرح حديث ام ذرع ويروى عن جرير بن عبد الله انه قال لبنيه اذا شربتم فاسئروا
اي اتركوا في الاناء سؤرا وهو بقية الشراب في حديث اخر فانه اجمل وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لا خير في طعام
ولا شراب ليس له سؤر وفي الحلية عن ابن عمر انه عم كان يبعث الى المطاهر اي السقايا فيؤتى بالماء فيشربه يرجو بركة
ايدي المسلمين ونظيره ما وقع له عم عند زمزم والله اعلم ولا يرد الماء اي ماء زمزم او مطلقا تعظيما للنعمة
ولا يعرض اي الماء على غيره تكثيرا للمنة ويدار الكوز وكذا القدح والملعقة في الاكل والشرب والطست في
وقت غسل اليد بالايمن فقد شرب عم لبنا وابو بكر عن شماله واعرابي عن يمينه وعمر ناحية فقال عمر اعط
ابا بكر فناول الاعرابي وقال الايمن فالايمن مالك واحمد والجماعة عن انس ويختار الثوب الابيض اي
للبس لا سيما يوم الجمعة واما يوم العيد فيختار ما فيه القيمة اكثر والزينة اظهر فهو اي البياض احب الالوان
اليه صلى الله عليه وسلم كما في شمائل الترمذي وغيره عن سمرة بن جندب مرفوعا البسوا البياض فانها اطهر واطيب وكفنوا
فيها موتاكم وعن ابن عباس رفعه عليكم بالبياض من الثياب ليلبسها احياؤكم وكفنوا فيها موتاكم فانها من خيار
ثيابكم وكان يلبس الثياب الاخضر اي احيانا كما في الشمائل والمراد به الخضر لانه من ثياب اهل الجنة او البرد الذي
فيه خطوط خضر واما ما ورد انه لبس الاحمر فمحمول على ما فيه خطوط حمر من البرد فقد ورد عن انس كان احب
الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسه الحبرة وهي برود العصب نوع من برود اليمن فيه خطوط حمرا وخضرا
وزرق والصوف اي في بعض الاحيان باي لون كان من الالوان وينوي فيه اي في اللبس ستر العورة
اي بالازار والتزين للتودد والمصلين اي يلبس الرداء ونحوه من العمامة والقباء والعباء وقد قال تعالى
يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ويبدأ بالايمن في لبس كل شيء من نحو القميص والخف والنعل وغيرها

مطلب الثوب

وبالايسر في النزع اي نزع كل شيء كرامة لليمين فيهما فكان عليه السلام يحب التيامن ما استطاع في طهوره
وتنعله وترجله وفي شانه كله رواه احمد والجماعة عن عائشة وفي الترمذي عن ابي هريرة كان اذا لبس قميصا
بدا بميامنه ويفتتح بالتسمية ويختم بالتحميد كما هو موقوف عن شمائله عم ففي الشمائل عن ابي سعيد الخدري رضي الله اللبس ح
قال كان رسول الله صلى الله عم اذا استجد ثوبا سماه باسمه عمامة او قميصا او رداء ثم يقول اي بعد
التسمية والبسملة اللهم لك الحمد كما كسوتنيه اسالك خيره وخير ما صنع له واعوذ بك من شره وشر ما صنع له
وفي رواية ابي داود وغيره من لبس ثوبا فقال الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا
قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر ويلبس السراويل قاعدا اي كالخف كيلا تصيبه آفة اي من جهة وقوعه
على جانب او دابة ولا يسبل اي لا يسدل ثوبه من القميص والسراويل والازار ونحوها الى ما تحت الكعب
تفخيما اي في اسباله اليم الوعيد بالنار هذا ورد الاسبال في الازار والقميص والعمامة من جر منها شيئا خيلاء لم
ينظر الله اليه يوم القيمة ابو داود والنسائي وابن ماجه عن ابن عمر بل يرفع الى نصف الساق فهو افضل بالاتفاق
وفي رواية احمد عن انس الازار الى نصف الساق او الى الكعبين لا خير في اسفل من ذلك وفي رواية ابن
سعد عن يزيد بن ابي حبيب مرسلا كان يرخي الازار من بين يديه ويرفع من ورائه وفي رواية الترمذي
في الشمائل ويقول انه اتقى وانقى وابقى ويبدا بلبس القميص قبل كل شيء لانه استر حيث يقوم مقام
الازار والرداء فعن ام سلمة كان احب الثياب الى رسول الله صلى الله عم القميص رواه الترمذي في الشمائل وفيه
ايضا انه عم كان الى الرسغ ويلبس الخشن اي الغليظ من الثوب ازارا ورداء او غيرهما وهو السنة اي
فعلا وقولا وفي رواية الترمذي والحاكم عن معاذ بن انس من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر عليه
دعاه الله يوم القيمة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من اي حلل الايمان شاء يلبسها فورد عن بعض
السلف من رق ثوبه اي لطف رق دينه اي ضعف فكانهما متلازمان كما يشير اليه حديث من احب اخرته
اضر بدنياه ومن احب دنياه اضر باخرته فاثروا ما يبقى على ما يفنى وورد من لبس ثوب شهرة البسه
الله تعالى ثوب مذلة يوم القيمة رواه احمد وابو داود وابن ماجه بسند حسن عن ابن عمر مرفوعا وفي رواية البيهقي
عن ابي هريرة وزيد بن ثابت انه عم نهى عن الشهرتين دقة الثياب وغلظها ولينها وخشونتها وطولها
وقصرها ولكن سداد فيما بين ذلك واقتصاد ولا ينزع اي ثوبه حتى يرقع فهو السنة لانه عم كان يركب
الحمار ويخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف ويقول من رغب عن سنتي فليس مني رواه ابن عساكر عن
ابي ايوب ويكسو المنزوع فقير البلد في حوزه تعالى ففي رواية احمد عن عمر من استجد قميصا فلبسه فقال
حين بلغ ترقوته الحمد لله الذي كساني ما اواري به عورتي واتجمل به في حياتي ثم عمد الى الثوب الذي اخلق
فتصدق به كان في ذمة الله تعالى وفي جوار الله وفي كنف الله حيا وميتا ولا يتخذ ثوبين اي من جنس واحد
كازارين وردائين وقميصين زهدا في الدنيا ويتصدق باحدهما ان اجتمعا ميلا الى ثواب العقبى لاما حدث

صاحب

صاحب القميصين لا يجد حلاوة بالايمان فلا اصل له ويتعمم فالعمائم تيجان العرب اي انها بمنزلة التيجان للملوك
لقلة العمائم فيهم وفيه اي في لبس العمامة الوقار اي ظهور العظمة منهم وفي الفردوس الديلمي عن ابن عباس
العمائم تيجان العرب فاذا وضعوا العمائم وضعوا عزهم وفي رواية ابي داود عن ركانة العمامة على القلنسوة فصل
ما بيننا وبين المشركين يعطى يوم القيمة بكل كورة يدورها على راسه نورا ويرسل الذوائب اي ذيل العمامة المسمى
بالعذبة بين الكتفين وجوز في حد السفلين مما يلي الاذنين الى قدر الشبر او موضع القعود او نصف الظهر
وهو وسطه تقضي اي عند المنصف والاقلا اول اشهر واكثر واظهر والكلام مروي وقد جمعته في رسالة
مستقلة ويستجد اي يلبس الجديد ليلة الجمعة اي يومها وهو المعروف من حديث انس كان اذا استجد ثوبا لبسه
يوم الجمعة رواه ابن حبان ويلبس ما اصاب اي وجده من جديد او غيره من غير التعلق بنوع منه او تقييد بصنف منه
لم يرد نهي عنه كالحرير ولون الاحمر والاصفر ما لم يكن من احدى الشهرتين فقد ورد من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه
في الاخرة متفق عليه وفي رواية لاحمد عن جويرية البسه الله يوم القيمة ثوبا من نار وفي رواية عبد الرزاق عن
الحسن مرسلا الحمرة من زينة الشيطان وفي رواية ابن ماجه عن ابي ذر من لبس ثوب شهرة اعرض الله عنه حتى يضعه
حتى يضعه وفي رواية ابي داود وابن ماجه بسند حسن عن ابن عمر من لبس ثوب شهرة البسه الله يوم القيمة ثوبا مثله
ثم يلهب فيه النار ونهى عم عن لبستين المشهورتين في حسنها والمشهورة في قبحها الطبراني عن ابن عمر وينفض الخف قبل
اللبس اي مخافة ان يكون فيه ما يوذيه من دابة او غيرها ويقعد في لبسه وينزعه خوفا من وقوعه ويحتفي احيانا تواضعا
اي لله تعالى لقوله والله جعل لكم الارض بساطا وقوله الم نجعل الارض مهادا فهو اي الاحتفاء مأثور اي عن الصحابة
وسلف الصالحين ومنهم بشر الحافي ومن كراماته ان الدواب في سكك بغداد لم يكن يرمين الروث مدة حياته وبوجوده
فيها استدلوا على مماته ويلبس النعل الاصفر فهو يوجب السرور اخذا من قوله تعالى صفراء فاقع لونها تسر الناظرين
وورد من لبس نعلا صفراء قل همه ذكره الكشاف عن علي ويروى عن ابن عباس مرفوعا بلفظ لم يزل مسرورا
ما دام لابسها يدل قل همه ويتطيب اي يستعمل الطيب وافضله المسك وما وجده الورد والعود ولا يرد الطيب
كذا رواه احمد والبخاري والترمذي والنسائي عن انس وفي صحيح مسلم وابي داود وغيرهم من عرض عليه طيب
فلا يرده فانه خفيف الحمل طيب الرائحة والترمذي عن ابن عمر مرفوعا ثلثة لا ترد اللبن والوسادة والطيب هو
اي كل من الطيب ويعد رد الطيب مكروه اي عنده عم فروى ابن سعد عن ابراهيم مرسلا انه عم كان يعرف بريح
طيب اذا اقبل يعني سواء تطيب او لم يتطيب كما هو في محله وانما كان تطيبه لزيادة محبة في الطيب كما يدل
عليه حديث حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء الحديث والاحب من الطيب للرجال ما خفي لونه وظهر ريحه
كماء الورد والمسك وللمرأة ما ينعكس اي ما ظهر لونه وخفي ريحه كالزعفران والصندل قيل وهذا اذا اراد
الخروج والا فلا حرج عليهما في داخل بيتهما والحديث رواه الترمذي عن ابي هريرة والطبراني والنسائي عن انس
مرفوعا بلفظ طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه ويجتنب الحناء اي

اي المخضاب به في يديه ورجليه وهو تشبه بالنساء لا تستتر بيه اي عادتهن اولانه سنة في حقهن فقد ورد كان له
يكره ان يرى المراة ليس في يدها اثر حناء او خضاب البيهقي عن عايشة وفي رواية احمد وابو داود والترمذي
وابن ماجه عن ابن عباس لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء والنمص وهو قلع
الشعر بالخيط من وجه الغير والانتماص قلعه من وجه نفسه او طلبه من غيره وفي النهاية النامصة التي تنتف الشعر
من الجبين والمنتمصة التي تأمر من يفعل بها ذلك هو اي ما ذكر من الفعلين منهي عنهما فقد ورد لعن الله الواشمات
والمستوشمات والمتنمصات والمفلجات للحسن المغيرات خلق الله احمد والستة عن ابن مسعود ولا يبني اكثر من سبعة
اذرع في الارتفاع لانه قدر الكفاية ويعد من الاسراف الزيادة وفي الخبر من بني بناء فوق ما يكفيه كلف
يوم القيمة ان يحمله على عاتقه من سبع ارضين رواه البيهقي في الشعب وابو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود
مرفوعا ولم شواهد فقد ورد فيه اي في حق مخالفيه نودي الى اين يا فاسق وفي رواية يا افسق الفاسقين لان
بنا القصر والصرح ثبت عن شداد وفرعون ذي الاوتاد وفي رواية ابي داود عن انس مرفوعا من بني
فوق عشرة اذرع نادي مناد من السماء يا عدو الله الى اين تريد وعن الحسن كنت اذا دخلت بيوت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضربت بيدي الى السقف ويبني فيه اي في بنائه التعبد اي الموضع الذي يتعبد فيه لو به
ويعتزل عن غيره ورفع الحر والبرد ففي الخبر ثلثة لا يحاسب بهن العبد ظل خص يستظل به وكسرة يشد بها
صلبه وثوب يواري به عورته احمد في الزهد والبيهقي عن الحسن مرسلا ولا يبالغ فيه اي في استحكام بنائه
بالجص والنورة فاول من بني بالاجر فرعون وهامان وقد قال سبحانه اينما تكونوا يدرككم الموت
ولو كنتم في بروج مشيدة اي محكمة او مرتفعة ونظر عمر في طريق الشام صرحا قد بني بجص واجر فكبر وقال
ما كنت اظن ان يكون في هذه الامة من يبني بنيان هامان فرعون يعني به قوله فاوقد لي يا هامان
على الطين اراد به الاجر وورد لدوا للموت وابنوا للخراب البيهقي في الشعب عن ابي هريرة والزبير مرفوعا وابو
نعيم في الحلية عن ابي ذر موقوفا واحمد في الزهد عن عبد الواحد قال قال عيسى عليه السلام فذكره فلم يضع عليه السلام
لبنة بكسر لام فسكون موحدة على لبنة ولا قصبة على قصبة اي وانما بني الحجرات من الحجر ولكن في السير ذكر انه
اشتغل اللبن وبني به المسجد والبيوت للازواج الطاهرات وبدا يوم الاحد لانه سبحانه بدا فيه بخلق السموات
والارض في ستة ايام ويتخذ موضعا للوضوء والغسل اي على حدة وموضعا للبول والغائط اي منفردا وكان
مقتضى الترتيب ان يعكس الموضعين لان المقصود بهما قضاء الحاجة واداء النظافة وموضعا للضيافة فقد ورد انه
اي بناء موضع الضيافة زكوة البيت اي صدقته اي زكوته وتمام وبهاؤه وضياؤه وقد سبق لا خير فيمن لا يضيف
وصح فراش للضيف ولا يستوطن في دار الحرب اي بلاد الكفر فقد ورد انا بريء من كل مسلم مقيم بين ظهراني المشركين
اي في ديار الكافرين بفتح النون ولا يجوز كسرها واصله بينهم ثم ادخل الظهر مقحما او اشعارا بانه مظاهرهم
ثم زيدت الف ونون في لفظ الظهر تاكيدا وكان القياس كسر النون كما في الروحاني واللحياني الا انه اريد هنا

بالتثنية

بالتثنية ومعناه ان ظهرا منهم امامه وظهرا وراءه فهو مكنوف من جانبيه ومن جوانبه واذا قيل بين اظهرهم
ثم كثر حتى استعمل في الاقامة بين القوم مطلقا لا تتراءى ناراهما اي نار المسلمين ونار المشركين من كمال قربهما وفيه
تنبيه على عذر من سكن فيه لبعد ما بينهما وعدم قدرته على الانتقال من ابعدهما الى اسعدهما فقد قال تعالى الذين
توفيهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا
فيها الاية والحديث رواه ابو داود والترمذي من حديث جرير انا بريء من كل مسلم يقيم بين اظهر المشركين قالوا يا رسول الله
ولم قال لا تراءى ناراهما والمعنى لا ينبغي ان يتقارب نارهما بل ينبغي ان يتباعد دارهما واما قوله عليه السلام لا هجرة بعد الفتح
فمعناه لا هجرة واجبة من مكة وغيرها الى المدينة بعد فتح مكة واستقرار الاسلام وينظف اي البيت وما حوله من الملوثات
والقاذورات ولا يكسو اي جدران البيت بالستارات ولا يزخرف بانواع الزينات من الامور الفانية
المشتغلة من الاحوال الباقية وقد نهى عليه السلام ان يستر الجدر رواه البيهقي عن علي بن حسين مرسلا وقد قال
تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون
ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين
وقد ورد ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء الترمذي وغيره عن سعد بن سهل
ويقرأ عند الدخول اية الكرسي لانها اية الحفظ والاخلاص فانه اي قراءتهما او قراءة كل منهما يورث الغناء اي عن
السؤال لاشتمالها على توحيد ذاته وتفريد صفاته وقراءة الفاتحة انسب فان فيها ايماء الابتداء والحمد والشكر والثناء
فاتحة ويغلق الباب ليلا اي بعد المغرب والعشاء مسميا لان الشيطان لا يفتح بابا اغلق عليه مسمي لكونه
مبهما اي مبتدئا بيد المصراع الاول اذا كان الباب ذا مصراعين ويوافقه هذا الغلق من غير الغلق ويرخي
الستر اي فيما لم يكن له باب يغلق ويطفئ النار ففي الصحيحين وغيرهما عن جابر مرفوعا اذا كان جنح الليل بكسر
الجيم اي اوله فكفوا صبيانكم فان الشياطين تنتشر حينئذ فاذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم واغلقوا الابواب واذكروا
اسم الله فان الشيطان لا يفتح بابا مغلقا واوكوا قربكم واذكروا اسم الله وخمروا انيتكم واذكروا اسم الله ولو
ان تعرضوا عليها شيئا واطفئوا مصابيحكم وفي رواية الطبراني والحاكم اذا نمتم فاطفئوا المصابيح فان
الفارة تاخذ الفتيلة فتحرق اهل البيت الحديث وفي الصحيحين عن ابن عمر لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون
ويتوضأ اي يتطهر للنوم ففي الخبر اذا اتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلوة رواه الستة عن البراء
لتكون رؤياه صادقا وذلك لما ورد من بات على طهارة ثم مات وينام اي عند النوم لانه من كمال الطهارة
والنظافة ولان النوم اخ الموت ويسن للمحتضر ان يستاك كما فعله عليه السلام ويعد الطهور بفتح الطاء اي يهيئ ما يتطهر
به والسواك اي عند راسه وينوي القيام اي للتهجد في وقته فلكل امرئ ما نوى ونية المؤمن خير من عمله و
يستاك كلما استيقظ فكانوا اي بعض السلف يفعلونه ويضع وصيته اي بما له وعليه مكتوبة تحت الراس اي
قريبا منه تحاميا عن هجوم الموت اي مجيئه بغتة دونها اي من غير وصية وقد ورد ما حق امرئ مسلم له شيء يريد

ان يوصي فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده رواه الشيخان عن ابن عمر ورُوي من لم يوص لم
يؤذن له في الكلام مع الموتي وروي ترك الوصية عار في الدنيا ونار وشنار في العقبي ويتوب
عن الذنوب فلعله تكون آخر حيوته فيصير صالحا عند مماته ويتوي الخير للمسلمين اي بنومه ليستريحوا
عن ايذائه او لينفعهم عند انتباهه ولذا قيل نوم الظالم عبادة كما ورد نوم العالم عبادة ليغفر له
او لسبب النية او التوبة ولا يبسط له الفراش النعيم اي اللين الناعم قطعا لغلبة النوم والانس بالترفه
اي بالتنعم الزائد ففي الشمائل سئلت عايشة ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك قالت من ادم حشوه
ليف وسئلت حفصة ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك قالت مسحا بكسر الميم اي فراشا خشنا من
صوف نثنيه ثنية فينام عليه فلما كان ذات ليلة قلت لو ثنية اربع ثنيات كان اوطا له فثنيناه باربع ثنيات فلما
اصبح قال ما فرشتموني الليلة قلنا هو فراشك الا انا ثنيناه باربع ثنيات قلنا هو اوطا لك قال
ردوه لحالته الاولي فانه منعتني وطاته صلوة الليل ولا يواظب عليه اي لا يداوم بالنوم علي مطلق الفراش بل ينبغي
ان ينام تارة علي الحصير كما ورد في السنة وتارة علي الحصير او الارض كما ثبت عن ابي تراب فهو المكروه اي عن النبي
او الولي وينفضه اي فراشه قبل الاتيان اي قبل قعوده لئلا يلقي ما يؤذيه في حال وقوده ففي صحيح مسلم
فليأخذ داخلة ازاره فلينفض بها فراشه وفي الكثير الرواية فيه بثلث مرات للمبالغة في الاحتراس عن المؤذيات
ويستقبل القبلة بوجهه واخماصه وفي نسخة واخمصاه اي بواطن قدميه اليها فيكون هيئة الاستلقاء
فقيل هو نوم الانبياء وقيل هو اردي النوم ولا يضر الاستلقاء عليه للرواح من غير نوم واراد منه ان ينام علي وجهه
منبطحا ففي سنن ابن ماجه انه عليه السلام مر برجل في المسجد منبطح علي وجهه فضربه برجله فقال قم واقعد فانه نومة جهنمية
ولكن المعروف في كتب الحديث ما ذكره بقوله كالملحود وهو بان يضع يده اليمني تحت خده ويضطجع علي شقه الايمن كما في
مسلم وغيره ويقول باسمك ربي وضعت جنبي وبك ارفعه ان امسكت نفسي فاغفر لها وان ارسلتها فاحفظها
بما تحفظ به عبادك الصالحين رواه الستة ويقرأ اية الكرسي لانها تحفظ عن شياطين الجن والانس وهو صحيح
البخاري وروي الطبراني عن ابن مسعود من قرأ عشر ايات اربع من اول البقرة واية الكرسي واثنين بعدها وخواتيمها
لم يدخل ذلك البيت شيطان حتي يصبح واثنين من آخر البقرة في وسط الاربعة عن ابن مسعود الانصاري مرفوعا
من قرأ الايتين من اخر سورة البقرة في ليله كفتاه اي من قيام الليلة او من كل مكروه وقال النووي في الاذكار
روي الامام الحافظ ابو بكر بن ابو داود باسناده عن علي رضي الله عنه قال ما كنت اري احدا يعقل ينام قبل ان يقرأ
الايات الثلث الاواخر من البقرة فالابتداء من قوله تعالي لله ما في السموات والارض وشهد الله الي الاسلام اي شهد
الله انه لا اله الا هو والملئكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز ان الدين عند الله الاسلام
والهكم اله واحد الي يعقلون اي لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة

او يكون لم

معطاه

وتصريف الرياح

وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون وان ربكم الله الذي خلق السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام ثم استوي علي العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق
والامر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض
بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين وقل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسني ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل الحمد لله الذي
لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا وعشرا من اول الكهف وهو بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي انزل علي عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر باسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين
يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت
كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك علي آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا انا جعلنا
ما علي الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا وعشرا من آخرها وهي افحسب
الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا
الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه
فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي هزوا ان
الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا قل لو كان
البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا قل انما انا بشر مثلكم يوحي الي
انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا والمعوذتين
بكسر الواو وفتحه يقرأهما اي اولا كما في رواية فينفث علي اليدين بضم الفاء وكسره اي ينفخ نفخا لطيفا عليهما بعد
جمعهما ووصل كفه اليمني بكفه اليسري وفي رواية البخاري والاربعة عن ابي هريرة يجمع كفيه ثم ينفث فيهما فيقرأ قل هو الله
احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ويمسح الوجه والبدن وفي رواية الصحيح ثم يمسح بهما ما استطاع
من جسده يبدأ بهما علي رأسه ووجهه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلث مرات ففي الحل فضائل ويذكر الموت لان النوم
اخوه والنشور لانه قيام من القبور كالاستيقاظ من النوم ويشير اليه قوله عليه السلام عند المنام اللهم باسمك اموت واحيا
وبعد القيام الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه البعث والنشور وفي الطبراني وليقرأ قل يا ايها الكافرون
ثم لينم علي خاتمتها وفي رواية احمد وغيره اذا اخذت مضجعك من الليل فاقرأ قل يا ايها الكافرون فانها براءة من الشرك وفي رواية
البزار عن انس اذا وضعت جنبك علي الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله احد فقد امنت من كل شيء الا الموت
وفي رواية احمد عن شداد بن اوس ما من رجل ياوي الي فراشه فيقرأ سورة من كتاب الله الا بعث الله اليه ملكا يحفظه
من كل شيء يؤذيه حتي يهب متي هب وينام علي حبه تعالي اي في قلبه من غير مشاركة لغيره وذكره اي بلسانه مفرقا
بجنانه وهكذا اي في جميع شأنه كلما يستيقظ وينام اي في زمانه فهو علامة حبه تعالي يحتمل اضافة المصدر الي الفاعل

ومفعول مع انهما متلازمان كما يشير اليه قوله تعالى يحبهم ويحبونه والمحبة بالعناية السابقة المترتب عليها الرعاية
اللاحقة وخير العاقبة اي وامارة حسن الخاتمة فان النوم كالموت في حالة السالم ولا ينام وحده اي منفردا عن اهله
فانه عم كان ينام مع نسائه او المعنى لا ينام وحده في بيت لم يكن فيه غيره ففي مسند احمد عن ابن عمر انه عليه السلام نهى عن
الوحدة لان القوي الحصول في القيام لان الحضور الكامل انما هو في الغيبة عن مشاهدة الانام لكن كما قيل كن
وسطا وامش جانبا وكن قريبا غريبا وكا نثا جانثا فعن ثوبان لا تسكن الكفور فان ساكن الكفور كساكن القبور
البخاري في تاريخه والبيهقي عن ثوبان والكفور بالضم ما بعد من الارض عن الناس ففيه النهي عن الرهبانية
والاعتزال عن الخلق بالكلية ولا على سطح غير محوط اي ستره لما ورد فيه من النهي وورد من بات على ظهر بيت
ليس عليه حجا فقد برئت منه الذمة رواه ابو داود بسند حسن وفي رواية الترمذي عن جابر نهي عم
ان ينام الرجل على سطح ليس بمحود عليه ولا فيما لا بأس اي ولا اشارة فانها تقوم الباب في هذا الباب عن بعض
الالباب ولا بعد الصبح فالارض تشكو منه الى الله تعالى حيث انه صرف وقته الشريف في غير العبادة وضيعه في النوم
وفق الطبيعة والعادة وقد ورد عن عثمان مرفوعا برواية البيهقي وغيره الصبحة تمنع الرزق اي معنوي
وكذا الحسي لانه عم قال بورك لامتي في بكورها ولا بعد العصر لانه ايضا وقت شريف كما يشير اليه قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا وفي رواية ابي يعلى عن عائشة من نام بعد
العصر فاختلس عقله فلا يلومن الا نفسه وكان عم اذا طال القيام اي بالصلوة بعد المنام ينام نومة خفيفة
قبيل الصبح او يضطجع ضجعة لطيفة بعد سنة الصبح وفيه تجدد الشوق الى اداء الفرائض ويذهب اثر القيام
اي من الصفرة عن الوجه واثر الكسل عن جميع البدن ويقيل بفتح اوله اي ينام وقت القيلولة فهي سنة مستحبة لفعله
عم وحثه عليها بالكلام حيث قال قيلوا فان الشيطان لا يقيل ابو نعيم عن انس معينة على القيام كالسحور
على الصيام وهو بفتح السين ما يتسحر به وبالضم اكل الطعام في وقت السحر وهو السدس الاخير من الليل لقوله عم
استعينوا بطعام السحر على صيام النهار وبالقيلولة على قيام الليل رواه ابن ماجه وغيره عن ابن عباس متضمنة
للسلامة اي من ضعف الدماغ وما هو مورث للملالة وموجب للسامة او السلامة من مخالطة اهل الملاهي والبحث
معهم في البطالة فعن الثوري كانوا يستحبون اذا تفرغوا ان يناموا طلبا للسلامة ولذا قيل النوم خير من
النميمة وليكن النوم اي ليقع مجموعه ثلث الليلة واليوم اي والباقي وهو ثلثاه مصروف الى اليقظة فيكونه
اكثر عمره للطاعة وينبغي ان يتنبه قبل الزوال لاستعداد الصلوة على وجه الكمال ولا يقص الرؤيا لا
يحدثها اذا راى ما يحبها الا على عالم اي بتعبير الرؤيا ناصح اي للرائي بان يكون محبا له ومشفقا عليه فان
الرؤيا لا يستقر ما لم تعبر فاذا عبرت سقطت فان كان العابر غير محب فقد يعبرها بما يكره فيحصل بذلك هم وغم
وليس المراد ان يزيلها عما جعله الله عليه وقد يقع الرؤيا بقول اول عابر اذا كان خبيرا بالرؤيا وربما
احتملت الرؤيا تاويلين او اكثر فعبرها من يعرف تعبيرها على وجه يحملها فيقع على ما انزلها فقد ورد ان

مطلب الرؤيا

امرأة

ان امرأة اتت النبي صلى الله عليه وسلم وقالت رايت كان بيتي اي عتبته قد انكسر فقال يرد الله عليك
غائبك فرجع زوجها ثم غاب فرأت مثل هذا فاتت النبي عم فلم تجده ووجدت ابا بكر فاخبرته فقال يموت
زوجك فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عم فقال هل قصصتها على احد قالت نعم قال هو كما قال هذا وفي
المتن رواية الترمذي عن ابي هريرة وفي الصحيحين اذا راى في منامه ما يحب فليحمد الله عليها وليحدث بها ولا يحدث
بها الا من يحب وفي رواية الحاكم عن انس ان الرؤيا تقع على ما تعبر ومثل ذلك رجل رفع رجله فهو ينتظر متى يضعها
فاذا راى احدكم رؤيا فلا تحدث بها الا ناصحا او عالما ولا يحكي ما يرى اي ولا يحدث بجميع ما يرى
بل بما يحبها من الرؤيا لما سبق فان رأى مكروها اي ما يكرهه كما في الرواية يبزق عن يساره اي يبصق ثلثا
كما رواه الستة ويتعوذ اي بالله من الشيطان ومن شرها اي شر الرؤيا التي يكرهها ثلثا كما رواه الستة
ايضا ولا يذكرها لاحد فانها لا تضره كما في الصحيحين وغيرهما ويتحول عن جنبه الذي كان عليه ويقوم
ويصلي كما رواه مسلم فيصلي ركعتين فانهما اقل ما يطلق عليه الصلوة المنهي عن البتيراء خلافا للشافعي
في تجويزه الركعة المفردة ويتصدق بشيء لان الصدقة ترفع البلاء ويرد المعبر الى احسن تاويل لان الرؤيا
تقع بقول اول عابر اذا كان خبيرا بالرؤية وربما احتملت الرؤيا تعبيرين او اكثر كما تقدم ولا يبعد ان يكون
المعنى يعبر المعبر احسن تعبير من انواع العبارة فقد حكي ان السلطان كان معبران وضيفه احدهما الف
وللاخر نصفه مع انهما متساويان في الفضائل وتحسين الشمائل فسأل السلطان عن موجب تفضيل احدهما على الاخر
لان الحكيم لا يرجح الا لحكمة ومصلحة فقال رايت اسناني وقعت قدامي فحكيت لهما فقال صاحب الالف
ابشر فان عمرك اطول من اعمار اقاربك وقال الاخر يموت جميع اقاربك قبلك فانظر ان يؤدي كلاهما
واحد كلاهما ومختلف حسن تعبيرهما ومقتضاهما عند نحو اهما ولا يقتني كلبا اي لا يحفظ ولا يمسكه عنده
فالملائكة اي النازلة بالرحمة تنفر عنه اي دون الحفظة لكنهم يتأذون ايضا عنه الا انهم لا بد لهم من القرب
منه الا الماشية من غنم وابل وبقر ونحوها او صيد اذا كان معلما او زرع لحفظه من الدواب وغيرها وفي
الجزء من اقتنى كلبا الا كلب ماشية او ضار اي كلب معلم نقص من عمله كل يوم قيراطان رواه الشيخان عن ابن
عمر والمراد بكلب الماشية ما يكون للحفظ فيشمل كلب الزرع ولذا اقتصر في الحديث عليه ولا يستقبل الشمس
اي في قعوده في وقت الشتاء فهو داء ويستدبرها فهو دواء اي الاستدفاء ونهي عم ان يقعد الرجل
بين الظل والشمس الحاكم عن ابي هريرة وابن ماجه عن بريدة وخرج اي من داره مسميا متعوذا فيقول
بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله اني اعوذ بك من ان ازل او ازل واضل و
اضل واجهل او يجهل علي رواه ابن ماجه وغيره قاريا اية الكرسي اي للحفظ عن شياطين الانس
والجن ويسرع في المشي الى البيت اي حال كونه راجعا اليه ليكون اسرع من حال خروجه منه فان دخوله
فيه احسن احواله لديه فالعود احمد عليه لان الزمان لزوم البيوت ولزوم السكوت والقناعة بالقوت الى ان يموت

حكاية رؤيا المرأة

حكاية شرف التعبير

دعاء الطريق

ولا يمشي بين المرأتين فانه ابعد من العصيان وقيل يورث الفناء ففي سنن ابي داود ومستدرك الحاكم عن
ابن عمر انه عم نهى ان يمشي الرجل بين المرأتين وروى البيهقي عنه مرفوعا اذا استقبلتك المرأتان فلا
تمر بينهما خذ يمنة او يسرة وهذا معنى قوله ويترك الطريق للنساء اي التي ليس لهن شيء من الحياء ولا
فلا يليق بهن ان يتركن الطريق للرجال ويلصقن بالجدران لستر الحال ويميط الاذى اي ويزيل ما فيه
من الاذى كالشوك والحجر ونحوهما عن الطريق ومن نفسه المؤذية للرفيق ففيه اجر جزيل وثناء جميل لاهل التوفيق
فورد الايمان بضع وسبعون شعبة فافضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق رواه
مسلم وغيره عن ابي هريرة وعن معقل بن يسار مرفوعا من اماط اذى عن طريق المسلمين كتب له حسنة ومن تقبلت
منه حسنة دخل الجنة رواه البخاري في تاريخه ولا يختال اي لا يتبختر ماشيا فورد ولا تمش في الارض مرحا
تمام انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها وفي اية اخرى واقصد
في مشيك اي توسط وفي اخرى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا اي هينين لينين متواضعين
متخاشعين من تعظم في نفسه اي تكبر واختال في مشيه اي تبختر لقي الله وهو عليه غضبان رواه احمد و
غيره عن ابن عمرو وكانه مقتبس من قوله ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا ويأخذ العصا في الكبر و
ابتداؤه من الاربعين فهو سنة اي للانبياء كما بينت في رسالة الانبياء وقد قال حسن في العصا
ست خصال سنة الانبياء وزين الصلحاء وسلاح الاعداء وعون الضعفاء والمساكين ورغم المنافقين
ويقال اذا كان المؤمن مع العصا هرب الشيطان منه واستتر المنافق والفاجر عنه ويكون قبلته اذا
صلى وقوته اذا اعيى وفيه منافع كثيرة كما قال موسى ولي فيها مآرب اخرى كذا في البستان واما ما
اشتهر على الالسنة من وصل الاربعين ولا يمسك العصي فقد عصى فلا اصل له ويبعد بضم اوله في قضاء
الحاجة الانسانية من البول والغائط عن الاعين اي عين الناظرين في الصحراء كما ورد به السنة وان يستتر
بشيء ان وجد من شجر او حجر ولو استتر براحلته او ذيله جاز كما في بعض الروايات واما في البنيان فالغالب
ان يكون مستترا مكان للخلاء ولا يكشف العورة قبل الانتهاء الى موضعه اي محل جلوس القضاء في الخلاء
والقضاء اذ ليس من الادب كشفها قبل الحاجة اليه ولا يستقبل النيرين اي الشمس والقمر تعظيما للملائكة
الذين يجرونهما او لانهما ايتان عظيمتان وهو لا ينافي قوله عم شرقوا او غربوا كما لا يخفى على الاعلام ولا
يستقبل القبلة ولا يستدبرها فان فيهما تحقيرا لها سواء يكون في الصحراء او في البناء وفي رواية احمد وغيره
انه عليه السلام نهى ان يستقبل القبلتين ببول او غائط وفي الصحيحين اذا اتى احدكم الغائط فلا يستقبل
القبلة ولا يولها ظهره شرقوا او غربوا وهذا امر لاهل المدينة ومن كانت قبلته على ذلك السمت ممن
هو في جهتي الشمال والجنوب واما من كانت قبلته في جهة المشرق والمغرب فلا يجوز ان يشرق ولا يغرب
وانما يجنب او يتشمل كذا في النهاية ولا يبول في الماء الراكد اي الواقف سواء كان ماؤه قليلا او كثيرا

مطلب اخذ العصا في الاربعين وخصاله

مطلب ابعاد قضاء الحاجة وشروطها

وكذا لا

وكذا لا ينبغي ان يبول في الماء الجاري ولعله اقتصر على الاول لورود الحديث فيه بناء على قلة ماء الجاري في الحرمين ح
ففي صحيح مسلم وغيره عن جابر انه عليه السلام نهى ان يبال في الماء الراكد وفي رواية الطبراني في الاوسط باسناد ضعيف عنه
انه نهى ان يبال في الماء الجاري وفي الاحياء قال ابن المبارك ان كان الماء جاريا فلا باس به وقد يقال اذا كان
الراكد عشرا في عشر فلا باس به والاولى لعموم النهي على ما لا يخفى ولا تحت الشجرة المثمرة فروى ابن عدي عن ابن
عمر انه عم نهى ان يتخلى الرجل تحت شجرة مثمرة ونهى ان يتخلى على ضفة نهر جار ايضا ضفته وهو بكسر اوله وفتحه وكذا
لا ينبغي ان يتخلى تحت شجرة مظلة يستظل تحتها الناس لان مورد النهي اذى المسلمين وكذا ورد النهي ان يبال
في قبلة المساجد وابوابها كما رواه ابو داود في مراسيله ولا في الجحر بضم الجيم وسكون المهملة اي ثقب الجدر والارض
مخافة اذى الدابة فروى ابو داود والحاكم في مستدركه عن عبد الله بن سرجس انه عم نهى ان يبال في الجحر وقد
قالوا لقتادة ما يكره من البول في الجحر قال كان يقال انها مساكن الجن ولا في موضع صلب ولا مهب الريح اي
في حال الريح استنزاها من رشاشه فروى ابو داود والبيهقي عن ابي موسى الاشعري اذا اراد احدكم ان يبول
فليرتد لبوله مكانا لينا اي ليسلم وروى ابو يعلى بسنده مرفوعا اذا بال احدكم فليستقبل الريح ببوله فترده عليه و
لا يستنجي بيمينه ولا المغتسل اي ولا يبول في مغتسله لانه يورث الوسوسة ويوجب الشبهة ولورود النهي في السنة
ويتكئ على الرجل اليسرى اي جلوسه ويقدمها اذا دخلها في الخلاء ويؤخرها خارجا عنه اذا كان في بنيان ثم اعانت
لليمنى مثل دخول المسجد وخروجه ولا يبول قائما فعن عائشة من حدثكم انه عم بال قائما فلا تصدقوه الترمذي
وغيره وقال عمر رآني رسول الله صلى الله عم وانا ابول قائما فقال يا عمر لا تبل قائما ابن ماجه باسناد ضعيف
وابن حبان من حديث ابن عمر وفيه رخصة اذ جاء في رواية حذيفة انه عم بال قائما وهو اما للعذر او لبيان
الجواز وكذا لا يبول في المغتسل فانه عم قال عامة الوسواس منه اصحاب السنن من حديث عبد الله بن مغفل
وقال ابن المبارك قد وسع في البول في المغتسل اذا جرى الماء عليه ذكره الترمذي ولا يستصحب شيئا عليه
اسمه تعالى واسمه عليه السلام والظاهر انه كذلك اسماء سائر الانبياء العظام ولا يدخل اي بيت الخلاء حاسر
الرأس اي كاشفه بل فيغطيه حياء من الله والملائكة فكان ابو بكر يفعل كذلك ويتعوذ في الدخول
فيقول بسم الله اللهم اني اعوذ بك من الخبث والخبائث ويحمد بعد الخروج فيقول غفرانك الحمد لله الذي
اذهب عني ما يؤذيني وابقى علي ما ينفعني رواهما النسائي وغيره ويعد النبل بضم النون وفتحها اي
ويهيئ الحجر او المدر للاستنجاء قبل الجلوس فهو سنة والايتار مستحب وقيل واجب ولا يستنجي بالماء
في موضعه اي محل الغائط والبول الا اذا كان محصورا بحيث لا يصل اليه اثرهما فالكل مأثور وينبغي
ان يستبرئ بالتنحنح والنتر ثلاثا وامرار اليد على اسفل القضيب ثم يستنجي فاذا وجد بللا
فيعد انه بقية الماء فان كان يؤذيه ذلك فليرش عليه الماء حتى يقوى في نفسه ذلك ولا يتسلط
الشيطان عليه بالوسواس وفي الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله اعني رش الماء بعد الوضوء

وهو الانتضاح رواه ابو داود والنسائي وابن ماجه وكان احفظهم استبراء وافقههم فيدل الوسواس فيه
على قلة الفقه وقد قدمنا كيفية الاستنجاء في ابتداء اداب الوضوء اول الكتاب ويزيل وسخ الشعر
اي شعر لحيته ورأسه ودوده اي من القمل ونحوه بالادهان بتشديد الدال اي استعمال الدهن الطيب ونحوه ازالة الوسخ في البدن
او بالادهان جمع دهن والتسريح ففي شمائل الترمذي من حديث انس انه عم كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته
وعند ابي داود والترمذي من حديث عبد الله بن مغفل باسناد صحيح انه عم نهى عن الترجل الا غبا فورد ادهنوا
بتشديد الدال وتخفيفها مع فتح الهاء غبا اي يوما بعد يوم او وقتا دون وقت ومنه حديث زر غبا تزدد
حبا اخرجه جماعة قيل الغب في الادهان ان يكون في كل اسبوع مرة والحديث ذكره في الاحياء وقال
ابن الصلاح لم نجد له اصلا وقال النووي غير معروف ذكره العراقي من كان له شعرة فليكرمها كذا في النسخ
تبعا للاحياء ولا معنى للوحدة على ما لا يخفى فصوابه من كان له شعر فليكرمه كما هو رواية ابي داود عن ابي هريرة و
دخل عليه رجل ثائر الرأس اشعث اللحية فقال اما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال يدخل احدكم علي
كانه شيطان ابو داود والنسائي وابن حبان من حديث جابر وقد سبق انه عم كان لا يفارقه المشط في سفر و
لا حضر وقد بسطت الكلام عليه في رسالة سميتها بالتصريح في التسريح وما في الانف اي وما يجتمع فيه من الرطوبات
المنعقدة الملتصقة بجوانبه ويزيلها بالاستنشاق والاستنثار والاذن وما يجتمع من الوسخ في معاطف
الاذن والمسح يزيل ما يظهر منه وما يجتمع في قعر صماخ اذنيه فينبغي ان ينظف برفق عند الخروج من الحمام ونحوه
من الاستحمام لئلا يصم فان كثرة ذلك بما يضر بالسمع واما ما يجتمع على الاسنان واطراف اللسان فيزيله بالخلال
والمضمضة والاستياك وقد ورد مالي اراكم تدخلون علي قلحا استاكوا البزار والبيهقي من حديث العباس
والقلح محركة صفرة الاسنان وتحت الاظفار ففي الطبراني عن وابصة بن سعيد سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن كل شيء الاسنان
حتى سألته عن الوسخ الذي يكون في الاظفار فقال دع ما يريبك وقد امر عم بغسل البراجم والرواجب
فروى الحكيم الترمذي في النوادر من حديث عبد الله بن بسر نقوا براجمكم ولمسلم من حديث عايشة عشرة من الفطرة وفيه
غسل البراجم ولاحمد من حديث ابن عباس انه قيل يا رسول الله لقد ابطأ عنك جبريل قال ولم لا يبطئ عني
وانتم لا تستنون ولا تقلمون اظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون رواجبكم فالاول معاطف ظهور
الانامل والكثار دوس الانامل وقيل الاف وسخ الظفر والتف وسخ الاذن وقوله تعا ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما
اي لا تعيبهما بما تحت الظفر من الوسخ ولا تتأذ بهما كما تتأذى بما تحت الظفر من الوسخ واما الدرن الذي يجتمع على
جميع البدن من الوسخ والعرق وغبار الطريق فذلك يزيل بالحمام او بالاستحمام ويدخل الحمام اي ويجوز
دخوله فيهم اي السلف من الصحابة والتابعين دخوله اي دخلوا حمامات الشام فعن ابن عباس اتقوا بيتا يقال له دخول الحمام
الحمام فمن دخل فليستتر الطبراني والبيهقي والحاكم قال بعضهم نعم البيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روي
ذلك عن ابي الدرداء وابي ايوب الانصاري وقال بعضهم بئس البيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحياء فهذا بابه

افة

افة وما سبق الطهار فائدة فلا باس بطلب فائدة عند الاحتراز كذا فيه كما بينه بقوله ويصون عورته وهي
ما بين سرته وركبته عن نظر الغير ونظره عن عورة الغير ولا يكشفها اي ولو لم يكن هناك غيره الا الضرورة غسلها بالتصاق
جدار نه في خلوة من خطوات الكشف رقة الازار لا سيما عند بلته وتلصقه بجلده وهذا في الامرد ونحوه
كذا يصونها عن مس الغير ولا يمكنها الحامي امرها وازالة وسخها الا بيده ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين السرة الى
العانة ثم من الواجب ان ينهى عن كشف العورة لان النهي عن المنكر واجب ولا يسقط عنه وجوبه الا لخوف ضرب او شتم
واما قوله اعلم ان ذلك لا يفيد ولا يعمل به فليس بعذر اذ لا يخلو قلب عن التأثر بسماع الانكار وتقبيح
الامر الا لاهل الجهل وعديم العقل وفقد الحياء وقلة المبالاة بالعلماء والصلحاء ولمثل هذا صار الحزم
ترك دخول الحمام في هذه الايام او تخليته عن الانام اذ لا يخلو من عورة مكشوفة لا سيما ما تحت السرة الى فوق العانة
لاحتمال العلماء في كونها عورة بل الفخذ ونحوها كذلك وقد الحقها الشارع بالعورة وجعلها كالحريم لها
وروي ابن عمر في الحمام ووجهه في الحائط وقد عصب عينه بعصابة وينوي بدخول الحمام التنظيف الصالح
لا لعاجل الدنيا من اللذات ويعطي الاجرة قبله اي قبل دخوله اسرار الحمامي بعدم انتظاره وتطييبا للنفس
واعلاما بالعوض لدفع الجهالة من احد العوضين فانما يستوفيه بمجهول وقد ورد اذا استأجر احدكم اجيرا
فليعلمه اجره الدارقطني في الافراد عن ابن مسعود ويتعوذ اي يقول بسم الله اعوذ بالله من الرجس النجس
الخبيث والمخبث الشيطان الرجيم ويقدم رجله اليسرى عند دخوله ويتعوذ بالله من حر النار بعد دخوله
ولا يسلم اي على احد عند الدخول وان سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت اذا اجاب غيره ويدعو بالمعافاة
اي يقول عافاك الله لمن سلم اي عليه ولم يجب عنه غيره ولا باس بالمباداة به اي بقول عافاك الله ونحوه ولا
بالمصافحة اي بان يصافح الداخل احد اصحابه ولا يكثر التكلم بل ولا يبدأ بالكلام كيلا يكثر الكلام في الحمام
ولا يقرأ القرآن الا بالنفس اي سرا ولا باس باظهار التعوذ اي من الشيطان الرجيم ومن الحميم في دار الجحيم
ويجتنبه اي دخول الحمام وقت الغروب اي قريب المغرب وبين العشائين فهو وقت انتشار الشياطين و
خصوصا في الحمام ونحوه وعلى الريق فهو يورث الموت اي سريعا فعن الشافعي عجبت لمن يدخل الحمام على الريق
ثم يؤخر الاكل بعد ان يخرج منه كيف لا يموت انتهى ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق اولا ولا يسرف
في الماء اي لا يكثر صب الماء عليه بل يقتصر على قدر الحاجة اليه فان المأذون فيه بقرينة الحال فالزيادة على
العادة لو علم الحمامي لم يرض لا سيما الماء الحار فله مؤنة وزيادة مشقة ولا باس بالدلك اي من غيره فهو
مروي اي عن بعض الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا في بعض اسفاره فنام على بطنه وعبد
اسود يغمز ظهره فقلت ما هذا يا رسول الله فقال ان الناقة تقحمت بي رواه الطبراني في الاوسط
عن عمر بسند ضعيف ويذكر ظلمة اللحد في مكان ظلمته وحرارة جهنم عند حرارته ويحمد بعد الخروج فالماء
الحار في الشتاء من نعيم يسأل عنه يوم القيمة كالماء البارد في الصيف وقال ابن عمر الحمام من النعيم الذي

احدثوه ولا تدخل المرأة اي النساء وورد لا يحل للرجل ان يدخل حليلته اي زوجته او امته الحمام رواه
الترمذي وحسنه والنسائي والحاكم وصححه من حديث جابر من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر
ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يدخل حليلته الحمام والحاكم من حديث عائشة الحمام حرام على نساء وقال
صحيح اسناده ولابي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر فلا يدخلها الرجال الا بازار وامنعوها النساء
الا مريضة او نفساء. ويحلق الرأس اي شعره ان اراد التنظيف اي زيادته والاحتياط في الغسل كما اختاره علي كرم الله وجهه — حلق الرأس
حيث كان كثير الاغتسال وقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول تحت كل شعرة جنابة ولذا قال ومن ثم عاديت رأسي
فان بقاء الشعر على الرأس انفع للدماغ وادفع للبرد والحر ولذا اختاره عليه السلام وسائر اصحابه الكرام فما حلقوا الا
بعد الفراغ من احد النسكين وحيث فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل على صار سنة مع انه قال عليه السلام عليكم بسنتي
وسنة الخلفاء الراشدين فيستحب تركه لمن يكرمه بدهنه وترجله الا اذا ترك بعضه وحلق بعضه وجعله
قزعا اي قطعا فهو داب اهل الشطارة ومنهي عنه للصفاد والجاد ولا عبرة بقول من يقول ان حلقه يدفع
الصداع فانه نوع من الخداع وتسويل الشيطان في الخداع ولا يرسل اي شعر الذوائب بحيث يشتبه بالشريف
فانه نوع من التلبيس والتزييف ويقص الشارب اي في كل جمعة وورد قصوا الشوارب وهذا لفظ احمد
من حديث ابي هريرة ولمسلم من حديث ابي هريرة جزوا اي اقطعوا وفي الصحيحين من حديث ابن عمر بلفظ احفوا
الشوارب واعفوا اللحى فالاحفاء بالشعر للاستقصاء ومنه قوله تعالى فيحفكم تبخلوا اي يستقصي عليكم وفي رواية
حفوا اي اجعلوها حفاف الشفة وحولها ومنه قوله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش واما الحلق فلم يرد
والاحفاء قريب من الحلق وقد نقل عن الصحابة ونظر بعض التابعين رجلا احفى شاربه وروي ذلك رواية الطبراني
عن الحكيم بن عمير قال اعفوا الشارب مع الشفاه فقال ذكرتني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه
ايماء الى ان المختار للتابعين عدم الاستقصاء واما قوله عليه السلام اعفوا اللحى اي كثروها ولا تقصوها وفي الخبر
ان اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم وكره بعض العلماء الحلق ورواه بدعة ولا باس — بإبقائهم
السبال اي اطراف الشارب فعل ذلك عمر وغيره كما في الاحياء ولان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام
لعدم وصوله اليه لكن يشكل هذا بظاهر ما رواه احمد من حديث ابي امامة قلنا يا رسول الله ان اهل الكتاب
يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم فقال قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم وخالفوا اهل الكتاب
وفي صحيح ابن حبان من حديث ابن عمر في المجوس انهم يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالفوهم
اللهم الا ان يراد بالسبال الشوارب بجاز بقرينة مقابلته بالعثانين وهي جمع العثنون بمعنى اللحية
وورد احفوا الشوارب واعفوا اللحى وانتفوا الشعر الذي في الاناف ابن عدي والبيهقي عن عمرو
بن شعيب والقص يقوم مقام النتف في الانف ولا يؤخر حلق العانة ونتف الابط وتقليم الظفر
اكثر من اربعين يوما فوما فوقها اي المذكور في صحيح مسلم من حديث انس انه عليه السلام وقت لنا في قلم الاظفار

ونتف الابط وحلق العانة اربعين يوما وورد قصوا الظفر ونتف الابط وحلق العانة اربعين يوم كل خميس
والغسل والطيب واللباس يوم الجمعة الديلمي عن علي رضي ويحلق الابط اذ لم يقدر على النتف باعتباره لئلا
يجتمع الوسخ في خلاله والحق النظافة في جميع حاله ويزيل العانة اي شعرها بالطلاء اي النورة لان اعتاد لحصول
الحق وهو وسخ الاذى الموجود والتحامي عن الايلام اي مع تحصيل المرام ويبدأ بتقديم مسبحة اليمنى وخنصر
اليسرى وخنصر الرجلين والمسبحة فيهما اي في رجلين ويختم بالابهام في الكل اي في جميع اليدين والرجلين فهو مروي
قال العراقي لم اجد له اصلا وقد انكره ابو عبد الله المازني في الرد على الغزالي وشنع عليه به قلت لا وجه
للتشنيع عليه حيث قال ولم ار في الكتب خبرا مرويا في ترتيب قلم الاظفار ولكن سمعت انه روي عنه عليه السلام انه بدأ بالمسبحة
اليمنى وختم بابهام اليمنى وابتدأ في اليسرى بالخنصر الى الابهام ثم وجد الترتيب مما وقع له من الالهام كما بسط عليه
الكلام هذا وفي حديث جابر قصوا اظافركم فان الشيطان يجري ما بين اللحم والظفر للخطيب في الجامع بسند ضعيف
لكن روى احمد ومسلم والاربعة عن عائشة عشر من الفطرة اي سنة الانبياء التي امرنا ان نقتدي بهم فيها
قص الشوارب واعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق
العانة وانتقاص الماء قال وكيع يعني الاستنجاء به قال مصعب ونسيت العاشرة الا ان تكون المضمضة
وذكر عمار بن ياسر الاختتان في العاشرة ويكتحل اي في كل ليلة ثلثا اي ثلاث مرات متوالية في كل عين ويبدأ
باليمنى فهو مروي اي في الشمائل وغيره من حديث ابن عباس وحسنه الترمذي وروي اي من حديث ابن عمر باسناد ضعيف
الطبراني ثنتان في اليسرى اي وثلث في اليمنى وايتارا باعتبار العينين جميعا لا باعتبار كل واحدة منهما
كما في الاول فقائل فان الاولى قياسا على غسل اليدين مثلثا ثلثا ثم الابتداء باليمنى لشرفها وكذا الزيادة لها ورواية
لتفضيلها فهي احق بها وان الله تعالى وتر يحب الوتر وورد عليكم بالاثمد وهو حجر يكتحل به اي الزموه ولا تتركوه
عند مضجعكم اي مرقدكم بالليل فانه مما يزيد في البصر اي في قوته وينبت الشعر اي شعر الاجفان في طرف العين
والحديث رواه ابو نعيم في الطب عن ابن عباس عليكم بالاثمد فانه يجلو البصر وينبت الشعر وفي رواية ابن ماجه و
الحاكم عن ابن عمر عليكم بالاثمد عند النوم الحديث وفي رواية الطبراني وغيره عن علي عليكم بالاثمد فانه منبتة
للشعر مذهبة للقذى مصفاة للبصر وفي رواية احمد اكتحلوا بالاثمد المروح المطيب بالمسك ولا يكثر التزيين
بالتسريح ونحوه والاكتحال والادهان فانه داب المترفين وقد نهى عليه السلام عن الترجل الا غبا ويقطع اللحية
الطويلة اي زيادة على القبضة فانه مستحب وقيل واجب فالمفرط منها في الطول والعرض يرى بصيغة المجهول
اي يظهر سمجا بفتح فكسر فجيم اي قبيحا فانه يشوه الخلقة ويفتح باب الغيبة اي في الحضور والغيبة فلا
باس بالاحتراز عنه على هذه النية ويبقي قدر القبضة فقد فعل ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه
الشعبي وابن سيرين هو الوسط اي المتوسط المعتدل المحمود في كل شيء قال النخعي عجبت لرجل
عاقل طويل اللحية لا يأخذ من لحيته ويجعلها بين لحيتين وقد قيل ما طالت اللحية الا وقد نقص العقل — قطع اللحية الطويلة والأخذ

المسنون فانه عليه السلام كان ياخذ من لحيته ويجعلها بقية لحيتين طولا وعرضا كما رواه الترمذي عن
ابن عمر وقيل تبقي بحالها فورد اعفوا اللحي اي اتركوها واعفوها على حالها واختاره الحسن وقتادة وقالا
تركها افيه احب الحديث المتقدم ولا يجوز تصفيرها وتحمرها بالحناء وغيرها لاخفاء الشيب اي بتوهم ان
فيه العيب وهو نور ووقار وسرور الا في الغزو فان مبناه على مكر وغرور ومنه حديث الحرب خدعة
ورد هما خضاب المسلمين والمؤمنين لا فرق بين المسلم والمؤمن في عرف الشرع وانما هو التفنن في العبارة
كما وقع اليه الاشارة في قوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
واما في اصل اللغة ففرق بينهما حيث ان الاسلام انقياد الظاهر والايمان انقياد الباطن كما يدل عليه قوله
تعالى قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هديكم للايمان ويقويه حديث جبريل ان الاسلام ان تشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلوة وتؤتي الزكوة الخ والايمان ان تؤمن بالله وملئكته
وكتبه ورسله الخ ويحتمل الانقياد الظ كما في ابي طالب ونحوه فالمراد بالمؤمن والمسلم واحد وهو الجامع
بين الانقيادين في استحكام الانقيادين وعبارة الماتن يحتمل ان يكون المراد بهما ان كل واحد منهما من
الحمرة والصفرة خضاب اهل الاسلام والايمان وان يكون لفا ونشرا مرتبا فيوافق ما ذكره في الاحياء
من قوله عم الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمن بناء على الفرق بينهما لغة واشعارا بان نعت
الايمان اكمل فالحمرة افضل فانهم كانوا يخضبون بالحناء الحمرة وبالخلوق والكتم الصفرة وحديث الاحياء
رواه الطبراني والحاكم بلفظ الافراد من حديث ابن عمر ثم هما جائزان تلبيسا للشيب على الكفار في الغزو والجهاد
فان لم يكن على هذه النية بل للتشبه باهل الدين فهو مذموم ويكره تسويدها فورد هو خضاب اهل النار كذا في
الاحياء قال عم وفي لفظ خضاب الكفار قال عم رواه الطبراني والحاكم من حديث ابن عمر بلفظ الكافر
قيل واول من خضب بالسواد فرعون ذي الاوتاد وقد ورد من خضب بالسواد سود الله وجهه يوم القيمة
الطبراني عن ابي الدرداء وتبييضها بالكبريت اي ويكره ايضا اظهارا للكبر اي لكبر السن ترفعا على الشباب
من اقرانه والى التوقير عند اخوانه واستعجالا لقبول الشهادة بعلو شانه وتصديق الرواية عن مشايخ الرواية
ظنا منه بان كثرة الايام تقطعه فضلا بين الانام ولم يعرف ان الفضل بقلة الاثام وامثال ذلك من الاغراض
الفاسدة والاعراض الكاسدة كما بينتها في التصريح لشرح التشريح ونتفها عبثا اي بلا منفعة وتشبها بالمرد
فهو منكر اي بدعة مستقبحة فان اللحية زينة الرجال كما ان شعر الراس زينة النساء في جميع الاحوال واستنكافا
من الشيب فقد نهي عليه السلام عن نتف الشيب وقال عم هو نور المؤمن رواه ابو داود والترمذي
والنسائي وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وتزيينها للناس بالتدوير وهو تقصيصها
كالنعبية طاقة على طاقة للتدوير والتسريح اي بالتكثير وقد قال عم بشر في اللحية شر كان تسريحها
للناس وتركها منفتلة لاظهار الزهد والزيادة اي وبزيادة الشعر في العارضين الى الخدين بالحاق

الفرق بين الاسلام والايمان

بارسال

بارسال الصدغ بضم فسكون ما بين العين والاذن والعشر المتدلى عليه وهو من شعر الراس المتجاوزة عن عظمها
اي عظم اللحي المنتهية الى نصف الخد وذلك يباين هيئة اهل الصلاح وكثيرا ما يفعله بعض الاعجام ولا ياكل
الجنب اي لا ينبغي ان ياكل وهو جنب فاذا اراد ان ياكل فيغسل فمه اولا وكذا اذا اراد ان يشرب ولا ينام
اي الجنب دون وضوء اي وما يقوم مقامه من التيمم فعن عمر قلت للنبي عم اينام احدنا وهو جنب قال
نعم اذا توضأ متفق عليه وهذا هو الاولى والا فلا باس به وقد كان عم ينام وهو جنب ولا يمس ماء كما رواه
احمد وغيره عن عائشة وكان ذلك لبيان الجواز ورحمة على ضعفاء الامة ولا ينقص من البدن اي لا يقطع
الجنب شعرا ولا ظفرا ولا دما ما دام جنبا فاجزاء البدن اي جميعها تعاد في الاخرة اي كما كانت في الدنيا
قال تعالى كما بدأكم تعودون وقال تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة اي حفاة عراة
غرلا والمنزال جنبا يكون كذلك وهو نقصان في المرتبة هنالك وان كانت ترول عن المؤمنين ما لا يحتاج اليها
اذا اغتسلوا على حياض وانهار في باب الجنة قبل الدخول عليها وقد ورد انه عليه السلام كان يامر بدفن الشعر
والاظفار الطبراني عن وائل بن حجر وفي رواية الحكيم عن عائشة كان يامر بدفن سبعة اشياء من الانسان
الشعر والظفر والدم والحيضة والسن والعلقة والمشيمة ويكنس المسجد اي ينظفه من القمامة فانه
افضل ازالة انواع الاماطة وقد قال تعالى وطهر بيتي للطائفين وورد ابنوا المساجد واخرجوا القمامة
منها فمن بنى لله بيتا بنى الله له بيتا في الجنة واخراج القمامة منها مهور الحور العين رواه الطبراني وغيره وينور
بالسرج ونحوها فقد قال انس بن مالك من اسرج في المسجد سراجا لم تزل الملئكة وحملة العرش يستغفرون له
ما دام في ذلك المسجد ضوء رواه الحارث بن ابي اسامة في مسنده وغيره موقوفا وسنده ضعيف و
الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الاعمال ويفرش بالحصير وامثالها ففيها اي في ثلاثة فضائل فانه
كلها من عمارة المسجد وقد قال تعالى انما يعمر مساجد الله من امن بالله ولا يزخرفه اي لا يبالغ في زينته
ولا ينقشه بحيث يشغل المصلي في احدى هيئته ولا يصوره اي جدرانه وسقفه فضلا عن قبلته فهو
اي مجموع ما ذكر من البدع اي المستشنع ويتعهد النعل اي يتفقدها ويتفحصها عند باب رعاية للجناب
ويمسح ما به من اذى على اطرافه ويقدم الرجل اليمنى داخلا فيه ويقول بسم الله اعوذ بالله
العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم ويسلم على النبي عم ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي
وافتح لي ابواب رحمتك رواه ابو داود وغيره واليسرى خارجا منه ويتعوذ ويقول اللهم اغفر ذنوبي
وافتح لي ابواب فضلك رواه الترمذي وغيره ولا يجلس حتى تصلي ركعتين كما في الصحيحين وتحية المسجد
الحرام هي الطواف ان قدر عليه والا فالصلوة ان لم يكن وقت مكروه والا فيقول سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر عملا بقوله عم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ويجهر بالدعاء على من يجهر
فيه او ينشد ضالة اي يطلبها برفع صوت فورد اذا رأيتم من يبيع او يبتاع في المسجد فقولوا لا اربح الله

تجارتك واذا رايتم فيه من ينشد ضالة فقولوا لا ردها الله عليك رواه الترمذي والحاكم عن ابي هريرة
مرفوعا وينظف اي جدرانه عن النخامة اي مادة الانف والبزاق اي ماء الفم ففي الجزء البزاق في المسجد سيئة
ودفنها حسنة احمد والطبراني وفي الصحيحين البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها ولا يتخذه بيتا
اي سكنا الا اذا كان غريبا ولم يجد مكانا قريبا ولا ممرا اي طريقا او ممرا الا لضرورة داعية اليه او حاجة
باعثة اليه فينبغي ان ينوي الاعتكاف ولو كان ساعة لديه فالكل مروي ففي الطبراني عن ابن عمر لا تتخذ والمساجد
طرقا الا لذكر او صلوة وان غلب النعاس يتحول عن موضعه ليطرد النوم وفي الجزء اذا نعس احدكم وهو في
المسجد فليتحول من مجلسه ذلك الى غيره ابو داود والترمذي عن ابن عمر ويضرب باطراف اصابعه جانب راسه
الايمن ثلثا ثم يجلس في موضع اخر يستقبل القبلة في الجلوس فهو عبادة اي في حد ذاته فضلا عن ان يكون
في حدود المسجد وجهاته وقد ورد اكرم المجالس ما استقبل به القبلة اخرجه ابو يعلى وابن عدي و
الطبراني في الاوسط واورده الحاكم وقال انه صحيح وقال ابن حبان انه خبر موضوع وقد كانت احواله عم
في مواضع الناس ان يخطبهم وهو مستدبر القبلة قلت وفيه ان المصلحة سماع الناس ولم يعكس ايثارا
للكثير فهو ايضا دليل على مدعانا وفيه اي في استقبال قوة البصر لان وقوع القبلة بمنزلة الكعبة في النظر
ويجلس موضعا اقرب الى التواضع وابعد عن اهل الترافع لا بين الظل والشمس فهو مقعد الشياطين
اي يحتم ويجب ان يتقي من الانسان في مستدرك الحاكم عن ابي هريرة وابن ماجه عن بريدة انه عم نهى ان
يقعد الرجل بين الظل والشمس وفي رواية احمد نهى ان يجلس بين الضح والظل وقال مجلس الشيطان
ولا يفرق بالجلوس بين اثنين اي مخصوصين كاب وابن واخوين وصاحبين فقد ورد انه عم نهى
ان يجلس الرجل بين الرجلين الا باذنهما رواه البيهقي عن ابن عمر ولا يقيم احدا عن موضع جلوسه
فيجلس هو فيه ففي البخاري عن ابن عمر انه عليه السلام نهى ان يقام الرجل عن مقعده ويجلس فيه اخر
وان قام احد بنفسه حياء منه او تادبا معه لا يجلس ثم اما تواضعا او عملا بظاهر النهي ويجلس
حيث انتهى اي صادف محلا فارغا في الصف فهذا كان دابه عم في المجالس كما في الشمائل وروى
البغوي والبيهقي والطبراني عن ابي شيبة بن عثمان مرفوعا اذا انتهى احدكم الى المجلس فان وسع له
فليجلس والا فلينظر الى اوسع مكان يراه فيجلس فيه وخلف الصف اي ويجلس ان لم يجد مكانا
فيه ولا يعود كما اخذ من حديث صحابي اقتدى به عم قبل ان يصل الى الصف فقال عم زادك الله
حرصا ولا تعد فروي بين العود اي لا ترجع الى مثل هذا الفعل فانه مكروه بل امش حتى تصل الى الصف
الذي يسعك فصل وروي من الاعادة اي ولا تعد صلوتك فانها صحيحة حيث وقعت في المسجد
فان شرط صحة الاقتداء ان يكون مقام الامام والمقتدي بقعة واحدة وقال الامام احمد ببطلان
صلوة المنفرد خلف الصف اذا اقتدى بالامام واما ما رواه الطبراني عن وابصة انها المصلى وحده

الا وصلت

الا وصلت الى الصف فدخلت معهم او جررت اليك رجلا ان ضاق بك المكان فقام معك اعد صلوتك فانه
لا صلوة لك فمحمول على نفي الكمال عند الجمهور وعلى نفي الصحة عند الامام احمد وفي بعض الحواشي اي ولا يعود الى
بيته في الموكب لكن لا يخفى بعده ولا ينام ومن سبق اي لا يتخطى رقاب الناس فقد ورد فيه وعيد شديد
وهو ان يجعل جسرا يوم القيمة يتعاطاه الناس الا اذا وجد فرجة فانه يجوز له ان يتخطى ويصل فيها فان التقصير
من غيره فيستحق التقدم عليه ويحيي اي يخص بالسلام والتحية من يقرب اي في ذلك المقام وفي نسخة بقربه بصيغة
المصدر ولا يمد الرجل اي قدام صاحبه فانه ترك الادب وكان اكثر جلوسه عليه السلام ان ينصب الساقين
ويجعل اليدين عليهما ويسمى هيئة الاحتباء وكان عم يتربع احيانا ويقعد جلسة التشهد كثيرا وقد يرفع رجله
اليمنى بدون اليسرى ويلازم اي في قعوده الوقار اي السكينة والحياء والتواضع مع اهل المسكنة ويجتنب
الجلوس على القدمين والركبتين في هيئة الاقعاء ويسمى جلسة الكلب لكن نهيه مقيد بالصلوة فروى الحاكم في مستدركه
والبيهقي عن سمرة انه عليه السلام نهى عن الاقعاء في الصلوة وفي النهاية هو ان يلصق الرجل اليته بالارض وينصب
ساقيه وفخذيه ويضع يديه على الارض واكثار النظر اي ويجتنب كثرة نظره الى الكاهل بكسر الهاء وهو ما بين الكتفين
والعقب اي الى وراءه والالتفات اي واكثاره اي ويجتنب الى الجوانب فانه يعد من المعايب والتشبيك اي تشبيك
والاصابع فانه من اللغو وضد حال ارباب الخشوع واصحاب الخضوع وقد راى عم رجلا يعبث بلحيته في الصلوة
فقال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه وتخليل الاسنان وادخال الاصبع في الانف وهذا كله مكروه في الجامع
والمحافل لارباب الفضائل والفواضل واخراج البزاق من الفم والنخامة من الانف والتثاوب في الوجوه اي في
مقابلتها دون ادبارها وللجشاء اي كذلك هو زد اقصر جشاءك عنا وهو بضم الجيم ممدود ا بخار يخرج من الفم
عند اكل الكثير والاشارة باليد والعين بحيث يتوهم المصاحب ما لا يليق لاهل المناقب قال تعالى يعلم خائنة
الاعين ونحوها اي ويجتنب امثال هذه المذكورات مما يكره الناس اي في المحاورات والمحاضرات ويستغفره تعالى
عند القيام اي من المجلس ففي المعالم عند قوله تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم قال سعيد بن جبير وعطا
اي قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت احسانا وان كان غير ذلك
كان كفارة له وروى البغوي باسناده الى ابي هريرة مرفوعا من جلس مجلسا فكثر لغطه فقال قبل ان يقوم
سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا كان كفارة لما بينهما وفي رواية
ابي داود وابن حبان عن ابي هريرة كفارة المجلس ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اه ثلث مرات وزاد ا
عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت ولا يقعد في السوق بلا حاجة فانها ابغض البلاد
الى الرحمن واحبها الى الشيطان ولا بالطريق الجادة للعامة ويؤدي الحقوق اي حقوق الجلوس او حقوق الطريق
ان جلس وهي اماطة الاذى وارشاد الضال وقضاء حاجة الفقير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصرة
المظلوم واغاثة الملهوف واعانة الضعيف ورد السلام واعطاء السائل ولو بجميل الكلام وفي رواية

كفارة الجلوس

الطبراني عن وحشي لعلكم ستفتحون بعدي مدائن عظاما وتتخذون في اسواقها مجالس فاذا كان ذلك
فردوا السلام وغضوا من ابصادكم واهدوا الاعمى واعينوا المظلوم ويفتح وفي نسخة ويفتتح اي
يبدئ الكلام في مجلس الكرام اذا كان ذا بال من المرام بالتسمية والتحميد والاستعاذة والانسب آداب الكلام
تقديم التعوذ والصلوة عليه اي على النبي عم لو رد كل امر ذي بال لم يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم اقطع
رواه الرهاوي في الاربعين عن ابي هريرة وفي رواية له عنه كل ذي بال لم يبدأ فيه بحمد الله والصلوة علي
هو اقطع ابتر ممحوق البركة ويختار العربية اي اللغة المنسوبة الى العرب فقد ورد احبوا العرب لثلاث لاني
عربي ولان كلام الله تعالى عربي ولسان اهل الجنة عربي وقد قيل العربية نصف العلوم النقلية ويخفض
الصوت اي في كلام لقوله تعالى واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير ولا يكثر اي من الكلام
فان كثرة الكلام تميت قلب الانام ويهذب اللفظ اي وينقي مبانيه ويحسن مافيه ويبين بيني ما يوافقه
الحق وينافيه ويبين الكلام بتعيين معانيه وتخلصه من الزوائد المخلة والفوائد المملة ويتفكر اي اولا في
الحجج اي الادلة ثم يحتج بها ويستمسك بيبها ويسكت عند الغضب لقوله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب
اخذ الالواح اي سكن كما في قراءة شاذة ولهذا ورد النهي للقاضي ان يحكم وهو غضبان لانه لم يعرف
بين الحق والباطل والطاعة والعصيان ويذكره تعالى عند النسيان لقوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت و
يستثني ان يقول ان شاء الله فيما يعده في مستقبله لقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان
يشاء الله ولا يحلف عليه تعالى فهو اجتراء اي اظهار جرءة لديه فورد ان رجلا قال والله لا يغفر الله لفلان
قال الله تعالى من ذي الذي يتألى علي ان لا اغفر لفلان واحبطت عملك رواه مسلم عن جندب البجلي ويحترز عن
القصص اي قصص الملوك وارباب الشجاعة واصحاب البطالة بل عن قصص الانبياء وحكايات الاولياء اذا
لم يكن ثابتة مروية عن العلماء والاصفياء والحلف اي ويحترز عن كثرة اليمين ما امكن ولو كان صادقا اذ فيه
خطر الحنث ووجوب الكفارة وشبهة التهمة وان حلف اي على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليات به اي بذلك
الغير الذي هو الخير وليكفر اي عن حنث يمينه ففي صحيح مسلم وغيره عن ابي هريرة من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت
الذي هو خير وليكفر عن يمينه ويراعي الادب اي مع الاصحاب والاحباب في قوله وفعله وسائر الابواب ويتكلم
بالقصير الجامع وهو الكلام الجامع المانع وقد ورد اعطيت جوامع الكلم رواه ابو يعلى عن عمر وهي التي مبانيه
يسيرة ومعانيه كثيرة وورد خير الكلام ما دل وقل ويتوقف بين كلامين اي مركبين يصح السكوت على كل منهما
ليحفظ السامع اي ليدركه ويفهم وفي الصحيحين عن عائشة انه عم كان يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه
ولا يبحث مع الخصم قبل تمام الكلام اي في اثناء المرام اذ قد يكون لم تتعلق في المقام بدفع المباحثة مع الخصام
ويستأذن للسؤال اي تأدبا مع ارباب الكمال فالكل ما ورد في الكتب المبسوطة مذكور ويكثر
البكاء فورد حرمت النار على ثلثة اعين عين بكت من خشية الله وعين حرست في سبيل الله وعين غضت عن محارم الله او عين فقئت

في سبيل الله

وفي رواية الحاكم عن ابي هريرة ثلثة اعين لا تمسها النار عين فقئت في سبيل الله صح

في سبيل الله اي احراسا لاهل الله وعين غضت اي غمضت محارم الله اي ابتغاء لوجه الله وعين بكت من خشية الله اي
خوف يوم يلقاه الطبراني والحاكم عن ابي ريحانة بلفظ حرمت النار على عين بكت من خشية الله وحرمت النار على عين
سهرت في سبيل الله وحرمت النار على عين غضت محارم الله او عين فقئت في سبيل الله وعين بكت من خشية الله
دون الضحك اي لا يكثر الضحك بل يقلل فهو يميت ويذهب النور اي البهاء والضياء وفي الجامع عم كان طويل كثرة الضحك
الصمت قليل الضحك احمد عن جابر بن سمرة وورد فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وهو امر معناه خبر اي يضحكون
في الدنيا قليلا من الضحك او الزمان ويبكون كثيرا من البكاء او الزمان وهذا اذا كان المراد به الخبر عن اهل الكفر
في الدنيا والعقبى اما اذا كان المراد به الخبر عنهم في الدار الآخرة فالمراد من القلة العدم والله سبحانه اعلم
فالمعنى من ضحك في الدنيا قليلا يبكي في الآخرة كثيرا فكيف حال من ضحك في الدنيا كثيرا فانه لا يشك ان امره يكون
عسيرا لا يسيرا ويخفض صوت العطاس فالتصريح به اي بالصيحة عند الناس حمق اي حماقة وجهالة لمقام العطاس والتثاؤب
الاستيناس وقد ورد التثاؤب الشديد والعطسة الشديدة من الشيطان ابن السني عن ام سلم ويستر اي فم
عند العطاس بثوب اي بكمه او منديل او بيده اي بكفه فورد اذا عطس احدكم فليضع كفيه على وجهه وليخفض
صوته الحاكم والبيهقي عن ابي هريرة ويستر الفم باليد في التثاؤب او بالثوب لانه به ايضا يحصل الحق ولان التثؤب
ايضا لا يكون الا بمساعدة الشيطان ففي الصحيحين عن ابي هريرة رض التثاؤب من الشيطان فاذا تثاءب احدكم فليرده
ما استطاع فان احدكم اذا قال ها ضحك منه الشيطان وفي رواية الترمذي العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان
فاذا تثاءب احدكم فليضع يده على فيه فاذا قال آه آه فان الشيطان يضحك من جوفه وان الله عز وجل يحب العطاس
ويكره التثاؤب ولعل وجهه ان العطاس يطرد النوم والكسل والتثاؤب يوجب النعاس والفشل واما ما ورد من ان
العطاس والنعاس والتثاؤب في الصلوة من الشيطان فوجهه ان كلا منها مانع من القراءة ونحوها ويلقي البزاق اي ان لم البزاق
يقدر على ابتلاعه في اليسار اي ان لم يكن هناك احد من الابرار وتحت القدم اي اليسرى اذا لم يكن ارض مسجد
دون القبلة اي لا يلقي الى جهة القبلة مطلقا تعظيما للكعبة بيت الله الحرام ففي الصحيحين اذا كان احدكم يصلي
فلا يبصق قبل وجهه فان الله قبل وجهه اذا صلى واليمين اي سواء يكون في الصلوة ام لا تعظيما لصاحب اليمين من
الملائكة المقربين ولعل صاحب اليسار يتأخر في جانبه فانه مأمور بالنسبة الى صاحب اليمين كما ورد في محله وفي رواية
احمد واصحاب السنن الاربعة عن طارق بن عبد الله المحاربي مرفوعا اذا صليت فلا تبزقن بين يديك ولا عن
يمينك ولكن ابزق تلقاء شمالك ان كان فارغا والا فتحت قدمك اليسرى واذكر قال ابو يزيد لبعض اصحابه
قم بنا حتى ننظر على هذا الرجل الذي قد اشتهر نفسه لولاية وكان رجلا مشهورا بالزهد والديانة فمضينا فلما خرج التفاؤل والطيرة
من بيته ودخل المسجد رمى بزاقه تجاه القبلة فانصرف ابو يزيد ولم يسلم عليه وقال هذا غير مأمون على ادب
من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه اي من الادب مع الرب ويتفاءل بكلمة صالحة اي بسماعها
من غيره نحو صلاح وفلاح ومنصور ومظفر فانه عم كان يعجبه الفال الحسن ويكره الطيرة ابن ماجه عن ابي هريرة و

والحاكم عن عايشة فالكل مأثور أي منقول عن فعله عليه السلام مأمور به أي بما ورد عنه من الكلام ولا يتطير أي لا
يتشأم بالفال القبيح وأصله التطير بالسوانح والبوارح من الطير وكان التطير يصدهم عن مقاصدهم في زمن الجاهلية
فنفاه الشرع ونهي عنه وأخبر أنه لا تأثير له في جلب نفع أو دفع ضر ومثاله أنه خرج لحاجة أو سمع كلمة فاسقة
دالة على عدم قضائها فإن رجع عنها بسببها كان ذلك تطيرا فهو منهي عنه رواه أحمد عن عبد الله بن عمر مرفوعا
لا يتطير فإن فعل فكفارته أن يقول اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك ورواه الطبراني
عنه بلفظ من ردته الطيرة من حاجة فقد أشرك وكفارته أن يقول اللهم لا طير إلخ ورواه أبو داود
ولفظه إذا رأيتم من الطيرة شيئا تكرهونه فقولوا اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يذهب السيئات
إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك وفي رواية ابن أبي شيبة إلا بالله ويفتح الكتاب أي إذا بدأ مكتوبا إلى غيره
بالتحميد والصلاة بأن يكتب الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ويذكر أولا أي بعدهما نفسه ثم
المكتوب إليه فهو السنة المعروف في السنة أن يبدأ باسمه ثم المكتوب إليه ثم بحمد الله فيكتب مثلا من عبد الله فلان
إلى فلان عبد الله السلام عليك فإني أحمد الله وهو مقتبس من قوله تعالى إنه من سليمان أي إلى بلقيس وإنه بسم الله
الرحمن الرحيم وقد كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معاذ سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد
فأعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر ورزقنا وإياك الشكر الحديث رواه ابن مردويه والحاكم عن معاذ قالوا
في الإمة لمطلق الجمع ويترب بتشديد الراء أي يلقي التراب على الكتاب فهو سبب النجاح أي وصوله إلى الباب وقد
إذا كتب أحدكم إلى إنسان فليبدأ بنفسه وإذا كتب فليترب كتابه فهو أنجح الطبراني في الأوسط عن أبي الدرداء
والترمذي الجملة الثانية والطبراني الأولى ويتعفف أي يطلب العفة عن طلب الحاجة أي بالمسألة عن الخلق ما أمكن
أي مهما أمكن التعفف ولم تلجئه الضرورة إلى التكفف وفي دعاء الإمام اللهم كما صنت وجهي عن سجود غيرك فصن
وجهي عن مسألة غيرك وقد قال بعض أهل التوفيق السؤال ذل ولو أين الطريق ويحق أي حق طلب الحاجة
عند الضرورة من الخليفة أن يتوضأ ويصلي ركعتين ويرفعها إليه تعالى أي وللإنه غياث المستغيثين وأرحم
الراحمين وأكرم الأكرمين وفي الخبر ليسأل أحدكم ربه حاجته حتى يسأله الملح وحتى يسأله شسعه رواه الترمذي
وغيره وقد ورد من كانت له حاجة إلى الله أو إلى أحد من بني آدم فليتوضأ فليحسن وضوءه ثم ليصل
ركعتين ثم ليثن على الله وليصل على النبي وليقل لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله
رب العالمين أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والعصمة من كل ذنب والغنيمة من كل بر والسلامة
من كل إثم لا تدع لي ذنبا إلا غفرته ولا هما إلا فرجته ولا حاجة هي لك رضا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين رواه
الترمذي عن ابن أبي أوفى وفي رواية له ولغيره عن ابن حنيف من كانت له ضرورة فليتوضأ وليحسن وضوءه
ويصلي ركعتين ثم يدعو اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى
ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم شفعه في ويخرج أي ومن حقه أن يخرج في طلب الحاجة بكرة الخميس

أو بكرة

أو بكرة غيره فإن البركة في بكرة كما تقدم بعد التحميد والصلاة أي على النبي صلى الله عليه وسلم وقراءة الفاتحة فإن فيها دليل قضاء
قضاء الحاجة فاتحة وآية الكرسي فإنها الدالة على العظمة والمحافظة وآخر آل عمران أي من قوله إن في خلق السموات
والأرض إلى آخر السورة أو من قوله لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد أو من قوله يا أيها الذين آمنوا اصبروا
وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فقد روي في بعض المجاذيب أنه أخرج بطاقة من جيبه ونظر فيها ثم
يردها فإذا هو مات فرأوا فيها واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا والقدر أي سورة القدر تنبيها له
على أن الأشياء كلها بالقضاء والقدر فلا يتبدل ولا يتغير ويقصد الأتقى شرعا لأن عطاء الأتقى والأكرم
طبعا لأن سخاءه أبقى والأسمح أي الأسهل يدا فإن الخير منه أرجى والأحسن أي خلقا وخلقا وقد ورد
اطلبوا الخير عند حسان الوجوه رواه البخاري في تاريخه عن عائشة وجماعة عن غيرها وفي رواية ابن عدي
والبيهقي عن عبد الله بن جراد بلفظ إذا ابتغيتم المعروف فاطلبوه عند حسان الوجوه وذلك لأن الظاهر
عنوان الباطن والغالب اجتماع حسن الخلق وحسن الخلق ومن لوازم حسن الخلق الكرم مع الخلق والأرحم قلبا
فعن أبي سعيد اطلبوا الحوائج إلى ذوي الرحمة من أمتي ترزقوا وتنجحوا فإن الله تعالى يقول رحمتي في ذوي
الرحمة من عبادي ولا تطلبوا الحوائج عند القاسية قلوبهم فلا ترزقوا ولا تنجحوا فإن الله تعالى يقول إن
سخطي فيهم رواه العقيلي والطبراني في الأوسط ولا يرتكب معصية فيه أي في طلب الحاجة بأن يكذب في مقدار
ما يحتاج إليه في قوله وإن لي ميتا أريد دفنه أو عندي نفساء وما أكلت أيام كذا أو معي عيال ونحو ذلك
إذا لم يكن صادقا فيما هنالك ولا يلح أي في الطلب من الخلق قال تعالى لا يسألون الناس إلحافا أي إلحاحا
وورد أن الله يبغض السائل الملحف ويحب الحيي العفيف المتعفف رواه البيهقي عن أبي هريرة ويشاور ذا الرأي
في كل أمر مشكل يقع له العاقل أي المجرب في الأمور والعالم أي المعظم في الصدور والصالح إذ عنه يحصل المقصود
الملائم ذلك الأمر أي الذي وقع له في الدهر ويحتاج فيه النصح النصر كالسخي في المال أي في حال يتعلق ببذل
المال والشجاع في الحرب لأنه في ذلك الأمر من أهل الكمال وقد علم كل أناس مشربهم وعرف كل فريق مذهبهم
فورد شاورهم في الأمر وأمرهم شورى بينهم ثم امرأة إذا لم يجد أحدا كما في نسخة ويخالف رأيها فوردتهم
أي في خلافها البركة لقلة عقلها ونقصان دينها وأخرج العسكري في الأمثال عن عمر رضي الله عنه قال خالفوا
النساء فإن في خلافهن البركة وعن أنس مرفوعا لا يفعلن أحدكم أمرا حتى يستشير فإن لم يجد من يستشير فليستشر
امرأة ثم ليخالفها فإن في خلافها البركة رواه ابن لال وروى الديلمي والعسكري والقضاعي عن عائشة مرفوعا
طاعة النساء ندامة وفي مسند أحمد هلكت الرجال حين أطاعت النساء وأخرج الطبراني والحاكم وصححه من حديث
أبي بكرة مرفوعا وأخرج ابن عدي من حديث أم سعد بنت زيد بن ثابت عن أبيها مرفوعا طاعة المرأة ندامة وأخرج
العسكري عن معاوية قال عودوا النساء فإنها ضعيفة إن أطعتها أهلكتك وقال بعض الشعراء
وترك خلافهن من الخلاف وأما ما اشتهر على الألسنة شاوروهن وخالفوهن فباطل لا أصل له في مبناه

لكن صح معناه في ما قدمناه ويقدم الاستخارة اي على استشارة والمراد دعائها بجملا بان يقول اللهم خر لي
واختر لي ولا تكلني الى اختياري اي صلا تباو دعائها المشهور المذكور في الحصن وشرح المسطور وقد ورد ما خاب
من استشار وما ندم من استخار رواه الطبراني في الاوسط عن انس ويختار اهون الامرين كالتدريس
والفتوى فالتدريس اهون من الفتوى والفتوى اهون من القضاء والقضاء اهون من الكلام وايسرهما فروي
عن بعض السلف الصبر عن النساء ايسر من الصبر عليهن والصبر عليهن ايسر من الصبر على النار وقيل الفرق بين الاهون
والايسر ان الاهون باعتبار النفع والايسر باعتبار سهولته على النفس وبعده عن الخطر ولا يحب المال اكثر
من الغرض بل يبذل المال لحفظ العرض وحسن الحال ولا يبذل الدين بالدنيا لقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحيوة
الدنيا بالاخرة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ولا يركب بقرة ويجوز الحمل عليها ولا يحرث على حمار لانه خلق
للحمل والركوب فالكل خلق لعمل اي عمل وفق العبادة كما في الفرس والجمل وقد ورد كل ميسر لما خلق له رواه الشيخان
ويركب على ما اصاب اي صادف من الفرس والحمار والبغل والبعير والفيل من غير تعلق وتقيد بواحد منها قال تعالى
والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون اي الفيل اذ كان الخطاب للعرب خاصة واما البعير فقال
تعالى فلكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم
لرؤف رحيم وقال عز وجل وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا
نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين اي مطيقين وقال عز وجل
اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها ياكلون ولهم فيها
منافع ومشارب افلا يشكرون وقال عز شانه وعظم برهانه وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك
المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون فالبعير سفينة البر كما ان الفلك سفينة البحر ويردف الخادم اي وغيره سواء
كان المركوب جملا او فرسا او حمارا فالكل ما نوز هذا ارداف النبي عم الفضل واسامة في طريق عرفة عام حجة
الوداع خلف ناقته واردف اباهريرة على حمار في طريق قبا كما تقدم وكان عليه السلام لا يدخل البيت اي
بيته حتى يتصدق بفاضل الصدقة اي بما فضل من النفقة في بره او في بيته ويسعى في الحاجات اي في قضائها
بنفسه عند قدرته فاخرج احمد عن انس انه عليه السلام كان يذبح اضحيته ويخصف النعل على حد صنعه
ويخيط الثوب اي بقدر معرفته فقد اخرج ابن عساكر عن ابي ايوب انه عليه السلام كان يخصف النعل ويرقع
القميص ويلبس الصوف ويقول من رغبت عن سنتي فليس مني اي من تركها تكبرا فليس على طريقتي ويقطع اللحم
اي اذا كان نيا او غير نضيج وهو ثابت في السنة كما سبق وفي الشمائل عن جابر بن طارق قال دخلت على النبي
عم فرايت عنده دباء يقطع فقلت ما هذا قال نكثر به طعامنا ويشتغل بامور البيت مع امهات المؤمنين
وروى احمد عن عائشة كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم وروى ابن سعد عنها كان
يعمل عمل البيت واكثر ما يعمل الخياطة وفي رواية ابي يعلى عنها كان يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه

ولا يتكلف اي وكان عم لا يتكلف في شيء من الكسوة والطعام والضيافة والوليمة ويبغضه اي التكلف من غيره بل يبغضه
فاخرج الدارقطني بسند ضعيف انا والاتقياء من امتي بريئون من التكلف وهو ح فيه مسند الفردوس من حديث
زبير بن العوام الا اني بريء من التكلف وصالحوا امتي واخرج ابن العساكر في تاريخه عنه بلفظ اللهم اني وصالحي
من امتي براء من كل متكلف واخرج عن الزبير بن ابي هالة وهو ابن خديجة زوج النبي عم بلفظ انا وامتي
براء من التكلف ولا يصيد اي بنفسه ويحبه اي يحبه من غيره ويقبل الهدية ويكافئ عليها اي بمثلها او بازيد
منها لقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها على قوله وفي البخاري وغيره عن عائشة كان يقبل
الهدية ويثيب عليها ويرد الصدقة بالمنة وان قلت اي الهدية والمنة فانها كثيرة المؤنة وثقيلة المعونة
ويعتق العبد وكذا الجارية ايام الرق اي زمانه العبودية مع القيام بحق الربوبية فحسنة بعشرين اي فاجره
مرتين كما في الحديث ثم اقل الاجر في حسنة عشرة كما قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها فاذا كان له
اجران فحسنة له بعشرين حسنة ويلزم المرأة قعر البيت اي من الخدر ونحوه فلا ترفع اي يحجب عليه اي على البيت والمعنى
انها لا تسكن في العوالي خصوصا اذا كان فيها شبابيك مشرفة على الحوالي ولا ينظر الى الخارج ولو كانت ساكنة في الداخل
فنظرهن الى الرجال فتنة اي في حقهن كما ان نظر الرجال اليهن فتنة في حقهم قال تعالى قل للمؤمنين يغضوا من
ابصارهم ويحفظوا فروجهم وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن وامرت ام سلمة بالاحتجاب
عن الاعمى اي مع انها من الازواج المطهرة ولا باس اي للمرأة بالخروج في المهم اي الديني والدنيوي الضروري
في اسوء هيئة اي اخسها من اللباس للجمال واخلى طرق اي من الرجال حال كونها مستترة لئلا يعرف نسبها او حسبها
صيانة عن عرضها غير مسمعة صوتها اي اذا لم تكن ضرورة لها ويتصدق اي الشخص بما بقي من طعام تستحيل اي
يتغير ويفسد من اللحم المطبوخ واللبن ونحوهما اذا ترك اي كثيرا فانه تضييع للمال وتفويت لمقام الكمال
وينهم الصحيح بطول السلامة فاذ عون مضى عليه من العمر اربعون سنة ولم يصبه صداع ولا حمى مقدار
سنة فوز دلا يخلو المؤمن من علة اي مرض وضعف وذلة صفة عزة بان يسلط عليه احد من الظلمة
وقلة اي فاقة وحاجة وقد يجب عليه اذا كان من اهل عناية ودعاية وحماية واذا كان خاليا عنها في
بعض الاوقات فلا بد وان يبتلى في كل علل اربعين يوما بشيء منها ويسترجع اي يقول انا لله وانا اليه راجعون
في المصيبة اي الحادثة مهما لو ذا اي مروي عنه عليه السلام وعن السلف الكرام ممدوح في القرآن حيث قال
تعالى وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الاية وفي الحديث يسترجع
احدكم في كل شيء حتى في شسع نعله فانها من المصائب ابن السني عن ابي هريرة وقد ورد من اصيب بمصيبة
فاحدث استرجاعا وان تقادم عهدها كتب الله له من الاجر مثله يوم اصيب رواه ابن ماجه عن الحسن بن
علي ويحترز عن الشق للجيب والضرب اي على الوجه والصدر والحلق اي حلق شعر الرأس للمرأة ولحية
الرجل والنوح وهو صياح اهل الميت فهذا اي جميعها منهي عنها اذ هي رسوم الجاهلية ففي الصحيحين

عن ابن مسعود منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية ولابي داود والنسائي عن ابي موسى
ليس منا من سلق ومن حلق ومن خرق فالسلق رفع الصوت عند المصيبة ومنه قوله تعالى سلقوكم بالسنة حداد
والحلق حلق الشعر والخرق خرق الثوب ويان المريض فورد انينه تسبيح وصياحه تكبير ونفسه صدقة
ونومه عبادة ونقله من جنب جهاد في سبيل الله يقول الله تعالى للملئكة اكتبوا لعبدي احسن ما كان
يعمل في صحته فاذا قام مشي كان كمن لا ذنب له للخطيب والديلمي عن ابي هريرة وقال رجاله معروفون بالثقة
الا حسين بن احمد البلخي فانه مجهول انينا يخفف بعض ما به اي من ثقل الالم ذاكرا اي حال كونه ذاكرا لله تعالى
فيما اعطاه من النعم والمنن ومستعينا به فيما ابلاه من المحن ومستغيثا به في ايام الفتن ومستعيذا به عن حلول النقم
لا متوهما اي بطريق الضجر والفزع من كثرة الهم والغم والا فقد مدح الله سبحانه سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام
بقوله ان ابراهيم لحليم اواه منيب فاذا كان آه او واه لله وفي حكم امر مولاه ورضاه بقدرة وفق
ما قضاه يكون خيرا له في دنياه وعقباه ويعصب الرأس اي شده بعصابة بتمام السنة واظهارا للعجز ولانه
يخفف الصداع وينام على الفراش اي ولو كان دأبه ان لا ينام عليه استعانة على الصبر اي على شدة المرض
وصدمة الالم وتوقيا اي واحترازا واحترامنا عن التشدد اي طلب شدة الامر باظهار التجلد في الابتلا
للبلاء ويستشفي اي يطلب الشفاء بالذكر اي الجلي والخفي بشفاء الظاهر والباطن فان ذكر الحبيب
شكر للحبيب وسكر الطبيب والدعاء فانه يرد البلاء ويهون القضاء او الدعوات المذكورة للشفاء نحو
اللهم عافني واعف عني واشفني واسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة والصلوة لقوله تعالى
واستعينوا بالصبر والصلوة او الصلوة على النبي عليه السلام لان في ذكر الخليل شفاء العليل والقرآن
لانه شفاء اهل الايمان وشفاء اهل الطغيان وخزان اهل العدوان فقد قال تعالى وننزل من القرآن
ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا لا سيما الفاتحة لانها فاتحة كل خير ودافعة
كل شر وضر فورد انه اي فاتحة الكتاب شفاء من كل داء اخرجه البيهقي في الشعب من حديث عبد الله بن جابر
وروى عن القشيري ان آيات الشفاء وهي ويشف صدور قوم مؤمنين وشفاء لما في الصدور وهدى
ورحمة للمؤمنين فيه شفاء للناس وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين واذا مرضت فهو
يشفين قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء يكتب ويغسل ويشرب فانه مجرب ويحتمي اي حال الابتلا خصوصا
وقت الابتلاء فهم اي السلف امروا به اي بالاحتماء وقد قيل الاحتماء رأس الدواء واخرج الخلال من
حديث عائشة مرفوعا الازم دواء والمعدة بيت الداء وعودوا بدنا ما اعتاد والازم بالزاي الحمية واخرج
ابن ابي الدنيا عن وهب بن منبه قال اجمعت الاطباء على ان رأس الطب الحمية فلا يبعد ان يكون
التقدير فهم اي الحكماء امروا بالاحتماء ويداوى اي فانه لا يناقض التوكل ولا ينافيه فورد تداووا عباد
الله اي اطلبوا دواء بعضكم من بعض يا عباد الله ما من داء الا وله دواء الا السام اي الموت ففي مسند

احمد والسنن

احمد والسنن الاربع وابن حبان والحاكم عن اسامة بن شريك مرفوعا تداووا عباد الله فان الله تعالى لم يضع داء
الا وضع له دواء غير داء واحد الهرم ويستوهب مهر امرأته اي يطلب الهبة من بعض مهرها ويأكل ففيه شفاء
لقوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا اي سائغا غير ضار او لا تقصير فيه في الدنيا
ولا يبعد عنه في الاخرى واستوهب علي رضي امرأته اي من مهرها او استمنح في المعارضة اي العلة من مهرها
شيئا من الراوي فاشتري به العسل لقوله تعالى فيه شفاء للناس وفرج اي خلطه بماء السماء اي المطر لقوله تعالى وانزلنا
من السماء ماء طهورا وشرب به فصار سبب الشفاء اي حيث اجتمع فيه اسباب الدواء هذا اي مضى او خذ هذا
وازالة السكنجبين الصفراء لا يفارق ارواء الماء اي كما قال الحكماء الا بالتعلق اي تعلق السكنجبين في ازالة
الصفراء بالنظر اي بالتأمل والتوقف على الشرط اي المعتبرة التي ذكرها الاطباء من عرف المزاج وغلبة العلة وجودة
الدواء ومقداره بحسب المزاج واقتصاده لم يبق عنده فرق بين ازالة السكنجبين الصفراء وبين ارواء الماء
بخلاف من لم يعرف ذلك فانه لا يفهم ذلك وبهذا جواب سؤال مقدر ورد على قوله عليه السلام ما من داء الحديث
فان السكنجبين مثلا ربما لا يوافق لدفع الصفراء ويؤدي الى العطش مفرطا فيعول استعماله موقوف بالنظر الى
احواله ومتوقف على شروط استعماله والحاصل ان الدواء سبب لدفع الداء فمهما حصل السبب فلو المسبب
لا محالة في الاغلب كمعالجة الجوع بالطعام والعطش بالماء الحلو البارد وانما يختلف نحو السكنجبين لتوقفه على شروط
دقيقة يعرفها الاطباء والحكماء بخلاف اشباع الطعام وارواء الماء وكل ذلك بتدبير مسبب الاسباب وترتيبه
في الانواع بكمال قدرته وجمال حكمته فلا يضر المتوكل استعمال الدواء مع النظر الى مسبب دون الطبيب والدواء
فيحتجم اي اذا كان المرض دمويا او مطلقا لما ورد الحجامة تنفع من كل داء الا فاحتجموا الديلمي عن ابي هريرة فورد
ما مررت بملاء اي جمع عظيم يملاء العيون من كثرتهم من الملئكة اي معشر الا قالوا بشر امتك بالحجامة اي بالعافية
والسلامة بسبب الحجامة والاحب اي الاولى ان تقع الحجامة في النصف الاخير من الشهر لما رواه ابن حبيب عن
عبد الكريم معضلا الحجامة تكره في اول الهلال ولا يرجى نفعها حتى تنقص الهلال والانسب في سبع عشرة وتسع
عشرة واحد وعشرين فهو ما ورد لا سيما اي خصوصا اذا اتفق يوم الثلثا سبع عشرة من الشهر فورد هو
اي الاحتجام سبع عشرة من الشهر في يوم الثلثا دواء السنة رواه ابن السعد والطبراني وابن عدي
عن معقل بن يسار ولفظ الحجامة يوم الثلثا سبع عشرة من الشهر دواء لداء سنة الا في القفاء فانه يورث
النسيان وروى الديلمي عن انس مرفوعا الحجامة في نقرة الرأس تورث النسيان فتجنبوا ذلك وقد احتجم عم
في يافوخه من وجع كان به ذكره ابن الربيع ورواه ابن سعد عن انس الحجامة في الرأس هي المغيثة امرني بها
جبريل حين اكلت طعام اليهودية وفي رواية العقيلي عن ابن عباس الحجامة في الرأس امان من الجنون والجذام والبرص
والاضراس والنعاس ورواه الطبراني وابن السني في الطب عن ابن عمر وفي رواية الطبراني وابي نعيم عن ابن عباس
الحجامة في الرأس شفاء من سبع اذا ما نوى صاحبها من الجنون والصداع والجذام والبرص والنعاس ووجع الضرس

احوال المريض

استشفاء المريض

آيات الشفاء

الاحتماء

طلب الدواء

طلب مهر امرأته

الحجامة

وظلمة يجدها في عينيه وفي رواية ابن ماجه والحاكم وابن السني وابي نعيم عن ابن عمر الحجامة على الريق امثل وفيها شفاء
وبركة وتزيد في الحفظ وفي العقل فاحتجموا يوم الاثنين والثلاثا فانه اليوم الذي عافى الله فيه ايوب من البلاء
واجتنبوا الحجامة يوم الاربعاء فانه اليوم الذي ابتلي فيه ايوب ولا يبدو جذام ولا برص الا في يوم الاربعا
او في ليلة الاربعاء ففي الصحيحين عن جابر مرفوعا ان كان في شيء من ادويتكم خير ففي شرطة محجم او شربة من عسل
او لذعة بنار توافق داء وما احب ان اكتوي ويجتنب الكي فيه خوف السراية اي سراية الم الكي الى الموت او سراية
المرض الى سائر الجسد والرقية اي ويجتنبها اذا لم يعرف معناها ومبناها ونهي عنهما اي عن الكي والرقية في رواية
والحاكم عن عمران انه عم نهى عن الكي وفي الحلية عن ابن عباس انه عم كان يكره الكي وفي رواية البزار عن انس سبعون الفا
من امتي يدخلون الجنة بغير حساب هم الذين لا يكتوون ولا يكوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون
واما الرقية بالقرآن والادعية المأثورة فلا شك في جوازها بل في استحبابها فكان عم يرقي في اللديغ بالفاتحة سبع مرات
رواه الترمذي وغيره عن ابي سعيد وكان ايضا يرقي المعتوه بالفاتحة ثلثة ايام غدوة وعشية كلما ختمها جمع
بزاقه ثم تفله رواه ابو داود والنسائي وفي صحيح مسلم وغيره عن ابي سعيد بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك
ومن شر كل نفس او عين حاسد الله يشفيك بسم الله ارقيك وروى ابن ماجه والحاكم عن ابي هريرة الا ارقيك برقية
رقاني بها جبرئيل عم يقول بسم الله ارقيك من كل داء يأتيك ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد
ترقي بها ثلث مرات واما قوله عم لشفاء بنت عبد الله علمي حفصة رقية النملة كما رواه ابو عبيد في الغريب عن ابي
بكر بن سليمان بن ابي حثمة فقال الجلال السيوطي في شرح ابي داود رقية النملة شيء كانت تستعمله النساء
يعلم كل من يسمعه انه كلام لا يضر ولا ينفع ورقية النملة كانت تعرف بينهن ان يقال العروس تحتفل
وتختضب وتكتحل وكل شيء تفتعل غير ان لا تعصي الرجل فاراد عم بهذا الكلام تأنيب حفصة وتوبيخها
لانه القى اليها سرا وافشته ويوصي بثلث المال اي ويجوز ان يوصي به ولو كان الافضل دونه ففي الصحيحين
عن ابن عباس الثلث والثلث كثير وفيهما عن سعد انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة
يتكففون الناس الحديث وارضاء الخصوم اي بالمال او الاستحلال وقضاء الدين او طلب ابرائه وفدية
الصلوة والصوم اي وعند ان يفدي به الصلوة والصوم الفائتة لكل فرض ووتر نصف صاع و
كذا لكل صوم يوم فمن مات دون الوصية اي الواجبة عليه وفي نسخة وبها اي بغير الوصية لا يؤذن له التكلم
مع الموت في القبر الى يوم القيمة رواه ابو الشيخ في الوصايا عن قيس ولفظه من لم يوص لم يؤذن له في الكلام
مع الموتى وفي رواية ابن ماجه من مات على وصية مات على سبيل وسنة ومات على تقى وشهادة ومات مغفورا له
ويغتنم الموت اي علامات حلوله وامارات نزوله ففي الخبر تحفة المؤمن الموت رواه الطبراني باسناد جيد
عن ابن عمر مرفوعا وذلك لانه وسيلة الى وصول مولاه وحصول لقاه وفي الصحيحين عن ابي موسى الاشعري
مرفوعا من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ولا يشتغل الى المحتضر عنده اي

ويجيب بحق الرقية
بحسب الرقية بالقرآن والادعية

الوصية بالخفض

وقت

اي وقت حضور الموت بغيره تعالى ظاهرا وباطنا لقوله تعالى ارجعي الى ربك راضية مرضية ويقرا يس اي نفسه
او يقرا غيره فيسمعها ففي الخبر اقرؤا على موتاكم يس اي على من اشرف على الموت رواه احمد وغيره عن
معقل بن يسار ويحضر الصلحاء اي ليعينوه بالتلقين ويستغيثوه بالدعاء في شدة البلاء ولا يكره
الشكوى اي الالم من جملة المكفرات او من موجبات رفع الدرجات ويستحب ان يقول اللهم اعني على غمرات الموت
وسكرات الموت رواه الترمذي عن عايشة مرفوعا ويطيب ما حول البيت اي ينظف ويبخره وفي نسخة ما حول
الميت وهو المحتضر او بعد تحقق الموت هو محضر الملئكة اي ملك الموت واعوانه والملئكة المبشرة لقوله تعالى
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي
كنتم توعدون نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون
نزلا من غفور رحيم ويجتهد في هدو الجوارح اي سكونها عن الاضطراب فقد روي موتوا قبل ان تموتوا
في هذا الباب وينبغي ان يكثر الحمد فعن ابن عباس المؤمن بخير على كل حال تنزع نفسه من بين جنبيه وهو يحمد الله
تعالى رواه النسائي وورد ارجوا بضم القاف اي انظروا الامن والامان على المريض وقت ظهور احوال تظهر
عليه في ذلك الزمان عند ثلث اي من علامات الكل احد من اهل الايمان او الكفران كما فصل بقوله اذا رشح
جبينه اي عرق وفي رواية ابي داود والترمذي والنسائي عن بريدة وصحح ابن حبان المؤمن يموت بعرق
الجبين وذرفت عيناه اي سالت وذلك لان الدمع علامة الرحمة ويبست شفتاه لانه من خوف مولاه
فهو اي ما ذكر من الخصال الثلث من رحمة الله قد نزلت به واذا غط اي وارجوا اذا غط غطيط المخنق
او صوت كصوته وهو الصوت الذي يخرج مع نفس النائم او حال الخنق وصرعه واحمر لونه وازبدت شفتاه
فهو من عذاب الله قد نزل به ومع هذا يحسن الظن بشانه ويحكم بايمانه لان الدليل المذكور ظني من غيره
في مقام برهانه ولعله محمول على غالب احيانه وكلمة التوحيد اي ويجتهد في اكثارها منه او من غيره تلقينا
له ونيابة عنه لو زاده مات وهو يعلم ان لا اله الا الله اي وان محمدا رسول الله دخل الجنة اي استحق دخولها
ولا بد له من وصولها وفي الصحيحين عن ابن مسعود من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة وفي مسند احمد
وغيره عن معاذ من كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وحسن الظن اي ويجتهد في حسن ظنه بربه انه
يرحمه ويعفو عن جرمه ففي صحيح مسلم وغيره عن جابر لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى وورد في
الصحيحين انا عند ظن عبدي بي اي فيما يلقى منه في الدنيا والاخرى فليظن بي ما شاء اي من العفو
او العقوبة فان مصيره الي وحسابه علي ان ما قضيت له من خير او شر فلا مرد له والخوف والرجاء اي
ويجتهد في الجمع بينهما ولا يجتمعان في قلب عبد اي مؤمن الا اعطاه الله الذي يرجوه اي من العفو
وآمنه الذي يخاف منه اي من العقوبة حين قال ظرف اي في زمان قال المحتضر ارجو الله واخاف
ذنوبي وفي رواية البيهقي عن سعيد بن المسيب مرسلا ولفظه ما اجتمع الرجاء والخوف في قلب مؤمن

الا اعطاه الله عز وجل الرجاء وامنه الخوف ويكره الخلط اي الذين خلطوا عملا صالحا واخر سيئا الفجاءة

اي موت البغتة لقوله تعالى عسى الله ان يتوب عليهم لموت الفجاءة تعويت وامار رواية احمد عن عايشة مرفوعا موت الفجاءة

راحة للمؤمن واخذة اسف على الكافر فمحمول على المؤمن الصالح اذ الفاجر في حكم الكافر ولو من بعض الوجوه دون

الطاعون اي لا يكره فجاءته ففي الصحيح عن انس الطاعون شهادة لكل مسلم لو فر من صبر في ارض طاعون اي

ولم يخرج فرارا عنه كان له مثل اجر شهيد وفي مسند احمد وصحيح البخاري عن عايشة الطاعون كان عذابا يبعثه

الله على من يشاء وان الله جعله رحمة للمؤمنين ليس من احد يقع الطاعون فيمكث في بلدة صابرا محتسبا

يعلم انه لا يصيبه الا ما كتب الله له الا كان له مثل اجر شهيد وفي رواية لاحمد عنها الطاعون غدة كغدة البعير

المقيم بها كالشهيد والفار عنها كالفار من الزحف وفي رواية الطبراني في الاوسط عنها الطاعون شهادة لامتي ووخز

اعدائكم من الجن غدة كغدة الابل تخرج في الاباط والمراق من مات منه مات شهيدا ومن قام فيه كان كمثل المرابط في

سبيل الله ومن فر منه كالفار من الزحف وفي مسند احمد الطاعون لا يدخل مكة والمدينة اي لما فيهما من نزول

السكينة **الباب الثامن في الصحبة** الصحبة تاثير بليغ في المنفعة والمضرة وان كان الشخص قويا في كمال

المرتبة قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وفي رواية النسائي عنه عليه السلام ما بال

قوم يصلون معنا لا يحسنون الطهور فانما يلبس القران علينا اولئك وفي رواية احمد ومسلم عن ابي سعيد يا ايها

الناس انها كانت ليلة ابينت لي ليلة القدر واني خرجت اليكم لاخبركم بها فجاء رجلان يحتقان معهما الشيطان فنسيتها فالتمسوها

لتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة وفي رواية احمد والبيهقي عن ابن عباس انه قيل يا رسول الله ابطا عنك

جبريل فقال لم لا يبطي عني وانتم حولي لا تستنون ولا تقلمون اظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا

تنقون رواجبكم اي مفاصل انامكم بهذا والنظر الى اهل الدنيا مضرة لاهل العقبى كما يشير اليه قوله تعالى لا تمدن

عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا وذلك لانه سبب الغفلة عن المولى ومن هنا قال سعيد بن

المسيب لا تنظروا الى الظلمة فيحبط اعمالكم الصالحة بخلاف ما ورد النظر الى الكعبة عبادة كما رواه الشيخ عن

عايشة والنظر الى علي عبادة كما رواه الطبراني والحاكم عن ابن مسعود وعن عمران بن الحصين وذلك لانهما وسيلتان

الى ذكر الله وورد اولياء الله الذين اذا رؤوا ذكر الله بسم الله الرحمن الرحيم

فهو الى ما يصحب به لانه الكريم الحليم ويستعان به على دفع الشيطان الرجيم والصاحب اللئيم وورد ان المتحابين

بتشديد الموحدة في الله اي في سبيله لابتغاء رضاءه على منابر من نور اي الهي موجب لانواع من سرور

توضع المنابر حول العرش اي في مكان المقربين لباسهم نور اي مجرد او حرير يعلوه نور ووجوههم نور اي كنور

شموس وبدور ويغبطهم النبيون والشهداء اي يطلبون مراتبهم مع انهم من اكابر السعداء وهذا للمبالغة

في علو البهاء والمعنى ان حالهم عند الله بمثابة لو غبط النبيون والشهداء يومئذ حال غيرهم مع جلالة قدرهم

لغبطوهم في علو امرهم ولا يبعد ان يراد به النبيون والشهداء الذين لم يتيسر لهم التحابب مع الاولياء والاصفياء

ولو يوم ما في الاحياء انه روي ان الله تعالى اوحى الى نبي من الانبياء اما زهدك في الدنيا فقد تعجلت

به الراحة واما انقطاعك الي فقد تعززت بي ولكن هل عاديت في عدوا وهل واليت في وليا

والحديث رواه الطبراني عن معاذ ان المتحابين في الله في ظل العرش وفي رواية له عن ابي ايوب المتحابون

في الله على كراسي من ياقوت حول العرش وقال ابو ادريس الخولاني لمعاذ اني احبك في الله

فقال له ابشر ثم ابشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينصب لطائفة من الناس كراسي

حول العرش يوم القيمة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس

ولا يخافون وهم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هؤلاء يا رسول الله فقال

هم المتحابون في الله كذا في الاحياء وقال مخرجه رواه احمد والحاكم في حديث طويل ان ابا ادريس

قال قلت والله اني لاحبك في الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المتحابين لجلال

الله في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين وهو عند الترمذي من رواية

ابي مسلم الخولاني عن معاذ بلفظ المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء وقال

حسن صحيح ولاحمد من حديث ابي مالك الاشعري ان لله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم

الانبياء والشهداء على منازلهم وقربهم من الله وهم متحابون في الله ومتصافون به يضع الله لهم يوم القيمة

منابر من نور فيجعل وجوههم نورا وثيابهم نورا يفزع الناس يوم القيمة ولا يفزعون وهم اولياء

الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وروى النسائي في سننه الكبرى ورجاله ثقات من حديث ابي هريرة

ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم

النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله صفهم لنا فقال هم المتحابون في الله والمتجالسون في الله

والمتزاورون في الله فالحب فيه تعالى كل حب لولا الايمان بالله ورسوله واليوم الاخر لم يتصور وجوده فهو

منبعث من الايمان ويستزيد بالاتقان فاذا علمت ذلك فاعلم ان الحب اما ان يكون لمعنى في ذات المحبوب

كحب صور الجميلة والسيرة الحميدة الجليلة وهو حب بالطبع وشهوة النفس اذ هو منبعث منها واما ان يكون

للتوصل به الى مقصود اخر ليس في ذات المحبوب وذلك اما ان يكون في الدنيا او متعلقا بالاخرة واما ان يكون

متعلقا بالله فالاول ليس من الحب في الله لانه منبعث من الدنيا والثاني عد من الحب في الله كحب عالم اي كحبك

لعالم يستفاد من قوله وحاله اي من جملة اقواله وسائر احواله واخلاقه وافعاله وصالح تبركه به اي بدعائه

وابنائه وحسن ماله في مناله اذ العالم يستفاد من علمه والصالح يستفاض من عمله وحلمه في الدنيا ويرجى

شفاعتهما في العقبى فقد قال بعض السلف استكثروا من الاخوان فان لكل مؤمن شفاعة فلعلك

تدخل في شفاعة اخيك وروي في غريب التفسير لقوله تعالى ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله

اي يشفعهم في اخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ولذا حث جماعة من السلف على الصحبة والالفة والمخالطة وكرهوا

الانفراد والعزلة ولابي عبد الرحمن السلمي من حديث علي مرفوعا من سعادة المرء ان يكون اخوانه صالحين
فالاخ الصالح ان نسي ذكره وان ذكر اعانه ويشير اليه قوله تعالى حكاية عن موسى واجعل لي وزيرا من اهلي
هرون اخي اشدد به ازري واشركه في امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا وفي رواية ابي داود من حديث عايشة
رضي اذا اراد الله بالامير خيرا جعل الله له وزير صدق ان نسي ذكره وان ذكر اعانه ونقله في الاحياء
معنى الحديث وعبر عنه بقوله من اراد الله به خيرا رزقه اخا صالحا الحديث والاخ الصالح يشمل العالم والمتعلم فمن
عيسى عم من علم وعمل وعلم بذلك يدعى في الملكوت عظيما وامراة تفرغ اي الرجل للعبادة بتدبير امر البيت
وما يتعلق به من اصلاح حاله وحفظ ماله وصيانة دينه ولذا ورد في الاخبار وفور الاجر والثواب
للانفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل في امراته كما تقدم والله اعلم وغني يعطي مالا اي قدر حاجة
العالم او العابد يصون الوقت اي يحفظ وقتهما عن الضياع في الطلب اي طلب مالا بد لهما منه فقد كان
جماعة من السلف يتكفل بكفايتهم جماعة من اولي الثروة وكان المواسي والمواسى جميعا من المتحابين في الله
ومتعبد له تعالى اي المبتدي في العبادة والمظهر له تعالى المشير الى انه من اهل السعادة فالمحب للشي محب لمحبه و
محبوبه وقد ورد في الدعاء اللهم اني اسالك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني الى حبك وكذا المبغض
اي للشي مبغض لمبغضه ومبغوضه وفي الجملة من احب الله واحب رضاه ولقاءه اذا احب غيره كان محبا
في الله لانه لا يتصور ان يحب شيا الا لمناسبة لما هو محبوب عنده وهو رضي الله ومن هنا قيل احب العالم
جميعه لانه خلقه وصوره واحسن خلقه وقال ابو المدين المغربي **شعر** لا تنكر الباطل
في طوره، فانه بعض ظهوراته، وقد قيل ان المؤمن اذا احب مومنا احب كلبه وقال مجنون
بن عامر **شعر** امر على الديار ديار ليلي، اقبل ذا الجدار وذا الجدارا، وما حب الديار شغفن قلبي
ولكن حب من سكن الديارا، فالمخلوقات باسرها مظاهر للصفات الجمالية والنعوت الكمالية فليس في
الكون سوا الله ومصنوعاته فمن احب انسانا احب صنعته ولذا كان عليه السلام اذا حمل اليه باكورة
من الفواكه مسح بها عينيه وقال انها قريب عهد بربنا الطبراني في الصغير من حديث ابن عباس وهذا
بالنظر الى التوحيد الصرف وحقيقته واما في مقام التنزيه وطريقته فلا بد من اعطاء كل ذي حق
حقه فينادي وقال الهي ارنا الاشياء كما هي واللهم ارنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وارنا
الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه وبذلك يتم الكمال فقد ورد اوثق عرى الايمان الحب في الله
والبغض في الله رواه احمد من حديث البراء بن عازب وورد ايضا من احب لله وابغض لله واعطى لله
ومنع لله فقد استكمل الايمان رواه ابو داود عن ابي امامة ويزدادان اي الحب والبغض
بقوة الطاعة وكثرتها والمعصية اي في المحب والمحبوب وينقصان بضعفها لانهما مترتبان
على وجودهما ووجودهما يكون على قدر شهودهما وحد الحب في الله ان كل حب لولا الايمان بالله

واليوم

واليوم الاخر لم يتصور وجوده فهو حب في الله وكذا زيادة الحب وقد يغلب الحب بحيث لا يبقى للنفس حظ
الا فيما هو حظ المحبوب **وانشده** اريد وصاله ويريد هجري، فاترك ما اريد لما يريد، **وقال**
سمنون المحب، فليس لي في سواك حظ، فكيف ما شئت فاختبرني، فالادنى اي ادنى مراتب الحب المعبر عنها بالصحبة
الاخوة فعن انس ما احب عبد اخا في الله عز وجل الا احبه الله له درجة في الجنة ابن ابي الدنيا في كتاب الاخوان
ثم المحبة الموجبة لزيادة الصحبة من الاخوة وهي ما تمكنه في حبة القلب اي سويدائه وخالصة اجزائه
وخلاصة اثناه فعن انس ما تحاب اثنان في الله الا كان احبهما الى الله اشدهما حبا لصاحبه ابن حبان و
الحاكم وقال صحيح الاسناد ثم الخلة بالضم اي الصداقة والمحبة الصادقة وهي ما تخللت اي توسط
الحب وتداخل امره في سره بحيث لا يسع له محبة غيره وهذا معنى قوله ولا شركة فيها اي في الخلة لاحد سوى الله
بل هي خاصة له سبحانه فلا بد من انفراد الخليل في حب الجميل الجليل فورد لو كنت متخذا خليلا اي من المخلوقين
لاتخذت ابا بكر خليلا اي من المخلوقين لكونه عندي خليلا ولكن صاحبكم يعني نفسه خليل الرحمن اي
وحبيبه فلا يسع في قلبه خلة غيره والحديث رواه احمد والبخاري عن ابن الزبير والبخاري عن ابن عباس
بلفظ لو كنت متخذا من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخي وصاحبي وعن الزجاج الخليل
هو الذي ليس في محبته خلل وقيل الذي يوالي فيه ويعادي به وقيل الخليل هو المحب المحض شي دون غيره
ولهذا قال عم اني ابرا الى كل خليل من خلقه ولو كنت متخذ الحديث فهذا منه عم قطع العلاقة بينه وبين
غيره من الانام واستشكل قول ابي هريرة وبعض الصحابة خليلي عليه السلام واجيب بان المنفي ان يتخذ هو خليلا
بخلاف ما سواها اي غير الخلة من المحبة والاخوة فانه يتصور الشركة في كل منهما فورد اي في الاخوة وكمال المحبة علي
مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي رواه ابو بكر المصري في جزئه عن ابي سعيد وفي رواية الطبراني
عن ابن عمر علي اخي في الدنيا والاخرة فيصاحب العاقل وهو العالم العامل والحسن الخلق وهو الفاضل الكامل وقد قال
عم يا ابا هريرة عليك بحسن الخلق قال ابو هريرة وما حسن الخلق يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعفو
عن ظلمك وتعطي من حرمك البيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسلا عن ابي هريرة ولم يسمع منه فاشترطهما لورود
ذلك لان مدار الصحبة والالفة عليهما فالبعد عن الاحمق والسيي الخلق اولى واحق وقد ورد من حديث ابي هريرة
برواية ابي داود والترمذي وحسنه والحاكم وقال صحيح انما المرء على دين خليله فلينظر احدكم
من يخالل فلا بد ان يتميز بصفاته وعيب بسببها في صحبة اما العقل فهو راس المال لتحصيل الكمال وعن علي رضي الله عنه
شعر ولا تصحب اخا الجهل، فاياك واياه، فكم من جاهل اردى حليما حين واخاه، يقاس المرء بالمرء اذا ما
هو ماشاه، وللشي على الشي مقاييس واشباه، وللقلب على القلب دليل حين تلقاه، كيف والاحمق قد يضرك
وهو يريد نفعك وقال الجنيد لان يصحبني فاسق حسن الخلق احب الي من ان يصحبني قاري سيي الخلق
اقول وذلك لانه اذا غلب عليه غضب او شهوة او بخل او جبن اطاع هواه في ذلك فيما ملك بمقتضى ما غلب

عليه من الاخلاق هالك فاذا غلب عليه غضب اجترئ عليك او شهوة آتى نفسه عليك او بخل قطع اوجح ما يكون اليك
او جبن لم ينصرك بل ضره يرد عليك والقانع اي بصاحبه فصحبة المريض سم قاتل اي يسري من جهت الابدان والصالح
اي وصاحب المتقي فعن ابي ذر مرفوعا الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة رواه الحاكم فالفاسق
وهو مرتكب الكبيرة والمصر على الصغيرة يستحق المقت وهو الغضب وهو ينافي الحب فقد قال الحسن مصارمة الفاسق
قربان الى الله وقد يقال يحب الفاسق لاجل ايمانه ويبغض بسبب عصيانه لكن لا بد من عدم قربانه ثم المبتدع
اولى بان يجتنب في صحبة سراية البدعة وعن عيسى عليه السلام تحببوا الى الله ببغض اهل المعاصي وتقربوا الى الله بالتباعد
عنهم والتمسوا رضى الله بسخطهم قالوا يا روح الله فمن نجالس قال جالسوا من يذكركم الله رؤيته ومن يزيد
في عملكم كلامه ومن يرغبكم في الآخرة عمله وقد قال علي رضي الله عنه رحمه الله شعر ان اخاك الحق من كان معك
ومن يضر نفسه لينفعك، ومن اذا ريب زمان صدعك، شتت فيه شمله ليجمعك، وقال بعض العلماء لا تصحب
الا احد رجلين رجلا تتعلم منه شيئا من امر دينك او رجلا تعلمه شيئا من امر دينه فيقبل منك والثالث
فاهرب منه فالمدار فالصحبة على المنفعة وورد مثل الاخوين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احديهما الاخرى وما التقى
مؤمنان قط الا افاد الله احدهما من صاحبه خيرا رواه السلمي في آداب الصحبة والديلمي عن انس وفي الخبر المؤمن
مرآة المؤمن والمؤمن اخو المؤمن يكف عنه ضيعته ويحوطه من ورائه ابي داود عن ابي هريرة اي يجمع عليه معيشته ويحفظ
عليه حالته وقوله المؤمن مرآة المؤمن اي يرى منه ما لا يرى من نفسه فيستفيد المرء باخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد
لم يستفد كما يستفيد المرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة وقال الشافعي من وعظ اخاه سرا فقد نصحه وزانه
ومن وعظ علانية فقد فضحه وشانه والله سبحانه يعاتب المؤمن يوم القيمة تحت كنفه وفي ظل ستره ويوقفه
على ذنوبه سرا واما اهل المقت فينادون على رؤس الاشهاد ويستنطق جوارحهم بفضائحهم بين العباد وقيل
الاخوان ثلثة احدهم مثل الغذاء لا يستغنى عنه والآخر مثل الدواء يحتاج اليه في وقت دون وقت والثالث مثل
الداء لا يحتاج اليه قط ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذي لا انس فيه ولا نفع منه وقال علقمة العطاردي في وصيته
لابنه ان عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من اذا خدمته صانك وان صحبته زانك وان قعدت بك مؤنة
مانك اصحب من اذا مددت يدك بخير مدها وان رأى منك حسنة عدها وان رأى منك سيئة سدها اصحب
من اذا سألته اعطاك وان سكت ابتداك وان نزلت بك نازلة واساك اصحب من اذا قلت صدق قولك واذا حاولتما
امرا امرك وان تنازعتما آثرك قال ابن اكثم قال المأمون فاين هذا فقيل له اتدري لم اوصاه بذلك
قال لا قال اراد ان لا تصحب احدا هنالك بهذا وعن الحسن بن علي لا يغرنك قول من يقول المرء مع من احب فانك
لن تلحق الابرار الا باعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون انبيائهم وليسوا معهم انتهى وربما يقال ان الكفر
حجبهم ومنعهم واما الايمان فيرجى ان يجمعهم قوله من احب قوما حشر معهم كما ورده الحاكم وقد يقال محبتهم
لانبيائهم ليست خالصة لله بل لكونهم من ابنائهم ولذا ورد من احب ان يجد طعم الايمان فليحب المرء لا يحبه الا لله

اختلفوا العلماء في موضع الارواح

رواه الطبراني عن ابي هريرة وقال رجل لمحمد بن واسع اني لاحبك في الله فقال احبك الذي احببتني له ثم حول وجهه
وقال اللهم اني اعوذ بك ان احب فيك وانت لي مبغض وفي الجملة كما ورد الارواح جنود مجندة فما تعارف منها
ائتلف وما تناكر منها اختلف رواه مسلم من حديث ابي هريرة والبخاري تعليقا من حديث عائشة ورواه الطبراني
في الاوسط عن علي ان الارواح في الهواء جند مجندة تلتقي فتشام وعنه عليه السلام ان ارواح المؤمنين لتلتقي على مسيرة
يوم وما رأى احدهم صاحبه احمد من حديث عبد الله بن عمرو فالجنسية علة الضم وروي ان امرأة بمكة كانت تضحك النساء
وكانت بالمدينة اخرى فنزلت المكية على المدينة فدخلت على عائشة رضي الله عنها فاضحكتها فقالت اين نزلت فذكرت
لها فقالت صدق الله ورسوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الارواح جنود مجندة الحديث رواه الحسن
بن سفيان في مسنده وعنه عليه السلام لو ان مؤمنا دخل الى مجلس فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس اليه
ولو ان منافقا دخل الى مجلس فيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاء حتى يجلس اليه البيهقي في الشعب موقوفا
على ابن مسعود ومن هنا قيل ان لله ملكا يجر الاهل الى الاهل ويشير اليه قوله تعالى وهو على جمعهم اذا
يشاء قدير وقال بعض الحكماء كل انسان يانس الى شكله كما ان كل طير يطير مع جنسه واذا اصطحب اثنان
برهة من الزمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد ان يفترقا في الاستقبال وروي يوما غرابا مع حمام
فعجب من ذلك وقال اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا فاذا هما اعرجان فقال من هنا اتفقا هذا

اختلاف الصحابة في اظهار البغض للظلمة وغيرهم

وقد اختلف طرق السلف في اظهار البغض مع اهل المعصية واتفقوا على اظهار البغض للظلمة والمبتدعة
وكل من عصى الله بمعصية متعد منه الى غيره فاما من عصى الله في نفسه فمنهم من نظر بعين الرحمة الى العصاة كلهم ومنهم من
شدد الانكار واختار المهاجرة فقد كان احمد بن حنبل يهجر الاكابر في ادنى كلمة حتى هجر يحيى بن معين
في قوله اني لا اسأل احدا شيئا ولو حمل السلطان الي شيئا لاخذته وهجر الحارث المحاسبي في تصنيفه
للرد على المعتزلة وقال انك اولا ترد شبههم وتحمل الناس على التفكر فيها ثم ترد عليهم وهجر ابا ثور في تأويله
قوله عليه السلام كما في مسلم من حديث ابي هريرة ان الله خلق آدم على صورته كذا ذكره في الاحياء ولم يبين تأويله فقيل
على صفته الجلالية والجمالية او على صفته من السمع والبصر والكلام وقيل الضمير في صورته لآدم والله اعلم
والظاهر ان مختار الامام احمد ان هذا الحديث من احاديث الصفات المشكلات كالآيات المتشابهات لا من يبين معناها ولا يتعرض
لمعناها مع اعتقاد تنزيه الله سبحانه عن المشابهة بالمخلوقات ومقتضاها واما الجمهور فاختاروا المهاجرة
اهل المعصية للعلم بان الذين شربوا الخمر وتعاطوا الفواحش الامر في زمانه عليه السلام وايام الصحابة الكرام فلم يكونوا
يهجرونهم بالكلية بل كانوا منقسمين فيهم الى من يغلظ القول عليهم ويظهر البغض اليهم والى من يعرض عنهم
ولم يتعرض لهم والى من ينظر اليهم بعين الرحمة ولا يؤثر التباعد والمقاطعة وهذا هو المناسب لهذه
الامة فانهم اتباع نبي الرحمة ويمايل الى التخفيف الامر في الفسق القاصر الذي هو بين العبد وبين الله
ما روى البخاري من حديث ابي هريرة ان شارب خمر ضرب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مرات وهو يعود فقال

واحد من الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يشرب فقال عم لا تكن عونا للشيطان علي اخيك ويقدم حاجته اي حاجة اخيه
في المال اي اعطائه والنفس اي حظها وهو اي التقديم الاولى اي لانه المقام الاعلى لقوله تعالى ويؤثرون على انفسهم
ولو كان بهم خصاصة اي مجاعة ولقد كان بعض الانصار ممن آخى النبي عم بينه وبين احد من المهاجرين انه
اعطاه احسن داره واثمن بستانه واحسن امرأتيه وقال ابن عمر واهدي لرجل من اصحاب رسول الله صلى الله عم
راس شاة فقال اخي فلان احوج مني فبعث به اليه فبعثه ذلك الانسان الى آخر فلم يزل يبعث به واحد الى اخر
حتى راجع الى الاول بعد ان تداوله سبعة وقيل اربعون ثم التسوية اي المساواة في المال بينه وبين اخيه على السوية
فقد عرض سعد بن الربيع نصف ماله واحدى زوجتيه على عبد الرحمن بن عوف فقال له عبد الرحمن بارك الله
لك في اهلك ومالك رواه البخاري من حديث انس ثم التاخير اي تاخير حق صاحبه عن حق نفسه فان فضل
منه شيء فليصرفه الى اخيه وان عدم هذا اي الاخير وهو التاخير فلا اخاء بل هو في مقام التقصير
والاولان اي التقديم والتسوية ماثوران اي مرويان عن السلف الكرام كما قدمنا فورد ما من صاحب يصحب
صاحبا ولو ساعة من نهار الا سئل عن صحبته هل اقام فيه حق الله تعالى واضاعه وفي نسخة ام اضاعه حين
اعطى وورد الحديث المتقدم حين اعطى عم اقوم المسواكين اي اعدلهما الى الصاحب وهو ابو بكر الصديق
وقال انت احق به يا رسول الله صلى الله عم فقال ما قال وفي الاحياء انه اقتدى الكل في الايثار برسول
الله فانه دخل غيضة مع بعض اصحابه فاجتنى منها مسواكين احدهما معوج والاخر مستقيم فدفع المستقيم
الى صاحبه فقال له يا رسول الله كنت احق بالمستقيم مني فقال ما من صاحب الحديث قال مخرجه لم اقف به على اصل
لكن رواه ابن جرير الطبري بما ذكره ابن عطية في تفسيره امرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون
اي كانوا اخلاطا في الاموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض وكان فيهم من لا يصحب من قال نعلي لانه اضافه
الى نفسه وكانوا لا يعدون املاكهم كما حكي عن ابراهيم بن شيبان كنا لا نصحب من يقول نعلي وقال ابو محمد القلانسي
وكان من استاد الجنيد صحبت اقواما بالبصرة فاكرموني فقلت مرة لبعضهم اين ازاري فسقطت من اعينهم ومن هنا
قيل الصوفي لا يملك ولا يملك هو كالملك ويظهر البشاشة في راي في انفاق صاحبه والسرور براي فرحه بسببه
فقد جاء فتح الموصلي الى منزل له اخ وكان غائبا فامر اهله فاخرجت صندوقه ففتحه فاخذ حاجته فاخبرت الجارية
مولاها فقال ان صدقت فانت حرة سرورا بما فعل ذلك لانه دل على صداقته كما حقق في قوله تعالى او صديقكم وقال تعالى
او ما ملكتم مفاتحه او كان الاخ يدفع مفاتيح بيته الى اخيه ويفوض اليه التصرف فيه وكان يتحرج عن الاكل بحكم
التقوى حتى انزل الله هذه الآية واذن لهم في الانبساط في طعام الاخوان والاصدقاء ويقبل المنة اي على
نفسه بقبول الصاحب احسانه فقد جاء رجل الى ابي هريرة وقال اني اريد ان اواخيك في الله فقال اتدري
ما حق الاخاء قال عرفني قال الا تكون احق بدينارك ودرهمك مني فقال لم ابلغ هذه المنزلة بعد قال فاذهب
عني وقال علي بن حسين لرجل هل يدخل احدكم يده في كم اخيه او كيسه فياخذ منه ما يريد بغير اذنه قال لا قال

فليسلم

فليسلم باخوان وجاء رجل الى ابراهيم بن ادهم وهو يريد بيت المقدس فقال له اريد ان ارافقك فقال له ابراهيم على
ان اكون املك بشيئك منك قال لا قال اعجبني صدقك ولا يحوج اي اخاه الى السؤال اي اصل الطلب او مقداره
بل يبادره للمواساة بالمال قبل كشف الحال فهو اي الاحواج الى السؤال تقصير في مقام الكمال فان ادنى الاعانة هو
القيام بالحاجة عند السؤال وقد قال ابو سليمان الداراني كان لي اخ بالعراق فكنت اجيئه في النوائب
فاقول اعطني من مالك شيئا فكان يلقي الي كيسه فاخذ منه ما اريد فجئته ذات يوم فقلت احتاج الى شيء فقال
كم تريد فخرجت حلاوة اخائه من قلبي وقال بعضهم اذا طلبت من اخيك مالا فقال لماذا يصنع به فقد ترك حق
الاخاء قال بعضهم اذا استقضيت اخاك حاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله ان يكون قد نسي فان لم يقضها
فتوضا للصلاة وكبر عليه اربع تكبيرات واقرا هذه الاية والموتى يبعثهم الله وكان في السلف من يتفقد عيال اخيه
واولاده بعد موته اربعين سنة يقوم بحاجتهم ويتردد كل يوم اليهم ويمونهم بماله وكانوا لا يفقدون من
ابيهم في حياته وكان الواحد منهم يتردد الى باب دار اخيه ويسال ويقول هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة فكان
يقوم بها من حيث لا يعرفه اخوه وقال ميمون بن مهران من لم ينتفع بصداقته لا تبال بعداوته وكان الحسن
يقول اخواننا احب الينا من اهلينا واولادنا لان اهلينا يذكروننا بالدنيا واخواننا يذكروننا بالعقبى
ويتودد باللسان اي بالكلام مرة وبالسكوت تارة فقد ورد راس العقل بعد الايمان التودد الى الناس
واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر الطبراني في الاوسط عن علي بن الحسين عن ابيه عن جده رضي الله عنهم فقال انس كان عم
لا يواجه احدا بشيء يكرهه رواه الترمذي وغيره ولكن مدار الصحبة والاخوة على النصيحة بل ورد الدين النصيحة
فمن منع بالسكوت صحبة اهل القبور في البيوت وينبغي ان تعلم انك لو طلبت منزها عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولم
تجد من تصاحبه ساعة كما ورد الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة واجر تقله وانشد شعر اتمنى على الزمان محالا
ان ترى مقلتاي طلعة حر فما من احد من الناس الا وله محاسن ومساو فاذا غلبت المحاسن المساوي فهو الغاية والمنتهى في النهي
في الصحيحين ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا فالتحسس بتطلع
الاخبار والتجسس بالمراقبة بالابصار فستر العيوب والتجاهل والتغافل عن الذنوب شيمة اهل الدين من التخلق باخلاق
علام الغيوب فورد اللهم يا من اظهر الجميل وستر القبيح ويظهر المشاركة معه في السراء والضراء فورد لا يؤمن
احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه رواه الشيخان وقد نظر ابو الدرداء الى ثورين يحرثان في فدان فوقف احدهما يحك
جسمه فوقف الاخر فبكى ابو الدرداء وقال هكذا الاخوان في الله يعملان لله فاذا وقف احدهما وافقه الاخر وفي المثل
لولا الوئام لهلك الانام وقد ورد المومنون كرجل واحد ان اشتكى راسه اشتكى كله وان اشتكى عينه اشتكى كله احمد ومسلم
عن النعمان بن بشير ولا يصحب احد الا من يرى له من الفضل مثل ما يرى له ويدعوه باحب الاسماء اي اسمائه في حال نداء
فعن عمر رضي الله عنه ثلث يصفين لك ود اخيك ان تسلم عليه اذا لقيته وتوسع له في المجلس وتدعوه باحب اسمائه اليه وورد
اذا احببت احدا فسله عن اسمه واسم ابيه وعن منزله رواه البيهقي عن ابن عمر ولفظه اذا اخيت رجلا فسله عن

عن اسمه واسم ابيه فان كان غائبا حفظته وان كان مريضا عدته وان مات شهدته وفي رواية ابن سعد والبخاري
في تاريخه والترمذي عن يزيد بن نعامة الضبي بلفظ اذا اخي الرجل الرجل فليسأله عن اسمه واسم ابيه وممن هو فانه
اوصل للمودة ومن هو اي من اي قوم وقبيلة هو وكان عمر يدعوهم اي اصحابه الكرام بالكني اي اذا كانوا معروفين
بالكنية كابي بكر ونحوه حتي قال يا ابا عمير ما فعل النغير ويثني عليه اي اخيه وعلي اهله اي من ابيه وبنيه بل علي صنعته
وفهمه وخلقه وهيئته وعقله وجميع ما يفرح به حال كونه صادقا في قوله مقتصدا اي متوسطا فيه بحيث لا مقصرا ولا
مفرطا في وصفه ويكون مسلما ببحيث يبلغ اليه فهو يؤكد المحبة اي يزيدها لديه وينبهه علي العيوب اي النابتة
من الذنوب متلطفا في بيانها في الخلاء خوفا من الفضيحة في الملاء فورد المسلم مرآة المسلم فاذا رأي به
شيئا فليأخذه ابن منيع عن ابي هريرة وقد قيل المسلم يحب من يخبرك بعيوبك فقال ان نصحني فيما بيني
وبينه فنعم فان قرعني في الملاء فلا وعن محمود رحمه الله من اهدي الي بعيوب نفسي وقال لسلمان وقد قدم عليه
ما الذي بلغك عني مما تكره فاستعفي فالح عليه فقال بلغني ان لك حلتين تلبس احديهما بالنهار والاخري بالليل
وبلغني انك جمعت بين ادامين علي مائدة واحدة فقال عمر اما هذان فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما فقال لا وكتب
حذيفة المرعشي الي يوسف بن اسباط بلغني انك بعت دينك بحبتين وقفت علي صاحب لبن فقلت بكم هذا
فقال بسدس فقلت بثمن فقال هو لك وكان يعرفك ففي الملاء افضاح اي اشاعة فيها فضاعة وايضاح وفيه
اي وفي الافضاح او عد بعقابه له يوم القيمة لقوله سبحانه ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين
امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة وهذا كله في عيب وهو غافل عنه فانه يرجي النفع منه ويسكت ان
علم علمه اي بعيبه وعدم انتفاع النصح اي بسببه لكونه ماسور الطبع لا مقهور الشرع والقطع اي قطع
مصاحبته اسلم بل انسب والابقاء اي ابقاء اخوته اقرب لرجاء تأثير الصحبة فيه فيقبل النصيحة بعده وقيل
القطع اولى لمن كان ضعيفا والابقاء لمن كان قويا فورد مثل الجليس الصالح مثل صاحب المسك البخاري عن ابي
موسي ولفظه مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك اما
تشتريه او تجد ريحه وكير الحداد يحرق بيتك او ثوبك او تجد منه ريحا خبيثة ولان القطع منهي عنه اي في الانتهاء
لحديث من هجر اخاه سنة فهو كسفك دمه احمد في مسنده بخلاف الابتداء فتركه مأمور به لئلا يقع في البلاء بحجة
لا تصاحب الا مؤمنا اي كاملا احمد وغيره ويتجاهل عن تقصيره اي في خدمته او صحبته قال الاحنف حق
الصديق ان يحتمل منه ثلث ظلم المعصية وظلم الدلة وظلم الهفوة الا اذا اوي الاستمرار الي القطع اي جواز مقاطعته
فالاولي الاحتمال وهو مختار اهل الكمال فقد اختلف الصحابة والتابعون في ادامة مودته او مقاطعته فذهب
ابو ذر الي الانقطاع فقال اذا انقلب اخوك عما كان عليه فابغضه من حيث احببته ورأي ذلك من مقتضي
الحب في الله واما ابو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا الي خلافه فقال ابو الدرداء اذا تغير اخوك وحال
عما كان عليه فلا تدعه لاجل ذلك فان اخاك يعوج مرة ويستقيم اخري وفي الخبر اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه و

النصيحة في الملا تقريع

وانتظروا فيئته البغوي في المعجم وابن عدي في الكامل من حديث عمرو بن عوف المزني ثم العتاب فالترك حكي
عن اخوين من السلف انقلب احدهما من الاستقامة فقيل للاخر الا تقطعه وتهجره فقال احوج ما كان اليّ في
هذا الوقت لما وقع في عثرته ان اخذ بيده واتلطف له في المعاتبة عن المخالفة وادعو له بالعود الي ما كان عليه
من الموافقة والكتابة بالكتابة ثم التصريح اي في السر والكتابة والاظهر ان السر في الستر والعاتبة في العاتبة ففي
حديث عمر وقد سأل عن اخ كان اخاه خرج الي الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه فقال ما فعل اخي قال اخو الشيطان
قال مه قال انه قارف الكبائر حتي وقع في الخمر فقال اذا اردت الخروج فآذني فكتب عمر عند خروجه اليه
بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب
ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير ثم عاتبه تحت ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب بكي وقال صدق الله ونصح لي
عمر فتاب ورجع ثم للمشافهة اي ان كان غائبا ولم يتعظ بصريح الكتابة في المعاتبة اذ المقصود اي الاصلي
اصلاح النفس برعاية الحق اي حق المصاحبة وتحمل الاذي علي رجاء المراجعة فقد قيل لابي الدرداء الا تبغض
اخاك وقد فعل كذا فقال انما ابغض عمله ولعله اقتبس من قوله تعالي فان عصوك فقل اني بريء منكم مراعاة
لحق القرابة واخوة الدين اكد من اخوة القرابة ولذا قيل لحكيم ايما احب اليك اخوك او صديقك فقال انما احب اخي
اذا كان صديقا وكان الحسن يقول كم من اخ لم تلده امك ولذا قيل القرابة تحتاج الي المودة والمودة لا تحتاج الي
القرابة ويقبل المعذرة اي وجوبا فعلي من يقبلها مثل اثم صاحب المكس وهو الذي يأخذ المال ظلما من التاجر
كالعاشر فقد ورد من اعتذر اليه اخوه بمعذرة فلم يقبلها كان عليه من الخطيئة مثل خطيئة صاحب مكس رواه
ابن ماجه وابو داود في المراسيل من حديث جودان واختلف في صحبته وباقي رجاله ثقات ورواه الطبراني في الاوسط
من حديث جابر بسند ضعيف هذا وقد قيل ينبغي ان تستنبط لزلة اخيك سبعين عذرا فان لم يقبله قلبك
فرد اللوم علي نفسك قل لقلبك ما اقساك يعتذر اليك اخوك سبعين عذرا فلا تقبله فانت المعيب لا اخوك
ويدعو له اي في الحضور والغيبة فيستجاب له اي في حق اخيه ما لا يستجاب لنفسه فعن عبد الله بن عمر وان اسرع الدعاء
اجابة دعوة غائب لغائب ابو داود والترمذي وعن ابي الدرداء اذا دعي الرجل لاخيه مستجابة رواه مسلم
ولم يتل ذلك ففي صحيح مسلم من حديث ابي الدرداء اذا دعا الرجل لاخيه بظهر الغيب قال الملك ولك بمثل ذلك ويحفظ
الوفاء اي وفاء العهد قال تعالي واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم بالثبات علي المحبة مع اهله واخوانه
اي في حال غيبته وبعد موته وبعد زمانه فكانوا اي السلف يبالغون فيه كما تقدم وورد قليل الوفاء بعد
الوفاة خير من كثيره في الحيوة فيجوز كلب الحبيب اي رعاية لقلب الحبيب ويشير اليه قوله تعالي وكلبهم باسط ذراعيه
بالوصيد ولله در القائل رأي المجنون في البيداء كلبا فمد له من الاحسان ذيلا فلاموه علي ما كان منه وقالوا
لم منحت الكلب نيلا فقال دعوا الملامة ان عيني رأته مرة في حي ليلي وورد انها اي العجوز كانت تأتينا
ايام خديجة وان كرم العهد اي حسن وبقاؤه من الايمان اي كماله حين اي ورد حين اكرم عليه السلام عجوزا

الدعاء للاخ

حفظ الوفاء للاخ عليك

اي دخلت عليهم فضيلتهم في ذلك تقال لهم انها الحق والاصل اي في حقوق الصحبة تسوية الظاهر والباطن والغيبة
والحضور والا فلا يكون مراعيا موافقا بل يكون مرائيا منافقا ولا يغير الحال اي من التواضع في الفعل والقال
عند ارتفاع القدر اي باتساع الجاه او زيادة المال فهو من اللوم اي الدناءة والخساسة والاصل اللوم
ضد الكرم ولقد قال بعض اصحاب الكرم الكمال شعرا ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا ٭ من كان
يالفهم في المنزل الخشن ٭ واوصى بعض السلف ابنه فقال يا بني لا تصحب من الناس الا من اذا افتقرت اليه قرب
منك واذا استغنيت عنه لم يطمع فيك وان علت مرتبته لم يرتفع عليك وحكي الربيع ان الشافعي اخي رجلا ببغداد
ثم ان اخاه ولي السيبين ومهما نهران احدهما بالبصرة والاخر في ذنابة الفرات فتغير له عما كان عليه فكتب الشافعي
هذه الابيات اليه شعرا اذهب فودك من ودادي طالق ٭ ابدا وليس طلاق ذات البين ٭ فان ارعويت
فانها تطليقة ٭ ويدوم ودك لي على ثنتين ٭ وان امتنعت شفعتها بمثالها ٭ فيكون تطليقين في حيضين ٭ فاذ
الثلث مني بتة ٭ لم يغني عنك ولاية السيبين ٭ ولا يتفرد عنه في اكل اللذيذ وكذا شربه وفي لبسه بل ينبغي ان يؤثره
على نفسه وحضور السرور لانه بحضوره يحصل الود على الود ويستوحش اي يحزن عند فراقه اي كمال الاشفاق
وقد قيل شعر وجدت مصيبات الزمان جميعها ٭ سوى فرقة الاحباب هينة الخطب ٭ اي سهل الامر وانشد ابن
عيينة هذا البيت وقال لقد عهدت اقرانا فارقتهم منذ ثلثين سنة ما يخيل لي ان حسرتهم ذهبت من قلبي
وانشدت عائشة رضي الله عنها ذهب الذين يعاش في اكنافهم البيت ويساعده اي يوافقه في الامور الا فيما يخالف
الحق فقد ورد لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق احمد والحاكم عن عمران وفي الصحيحين عن علي لا طاعة في
معصية الله انما الطاعة في المعروف وفي رواية احمد عن انس لا طاعة لمن لم يطع الله فالوفاء اي الوفاق
فيه اي في الحلاف هو الخلاف اي الشقاق ويشاور لقوله تعالى وامرهم شورى بينهم ولا يحفظ الرخصة حيث لا يخاف
الرخصة ولا يحب عدوه لئلا يكون شريكا له في العداوة اي ومن الوفاء ان لا يصادق عدو صديقه قال الشافعي
اذا اطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في عداوتك ويخفف اي ثقالة الصحبة ومؤنة الكلفة
بترك التكلف اي في نفسه والتكليف في اداء الحقوق والمراد بهما ما يلزم مروة لا الزوما شرعيا قال
بعض الحكماء تمام التخفيف بطي بساط التكلف حتى لا يستحي منه فيما لا يستحي من نفسه ومن هنا قيل اذا
ثبتت المحبة سقط الادب وقال علي رضي الله عنه شر الاصدقاء من تكلف لك ومن احوجك الى مداراته والجاك
الى اعتذار في حالاته وقال الفضيل انما تقاطع الناس بالتكلف يزور احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه
ذلك عنه وقيل لبعضهم من نصحب قال من يرفع عنك ثقل التكلف ويسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ وعن
جعفر بن محمد اثقل اخواني علي من يتكلف لي واتحفظ منه واخفهم علي قلبي من اكون معه كما اكون وحدي
والحاصل انه لا ينبغي ان يكلف اخاه ما يشق عليه في حالاته بل يروح سره من مهماته وحاجاته ويرفه عن ان
يحمل شيئا من اعبائه ومشقات مؤناته ولا يكلفه التواضع له والتفقد لاحواله والقيام بحقوقه بل لا

بل لا يقصد

بل لا يقصد بمحبته الا الله تبركا بدعائه واستيناسا بلقائه واستعانة على دينه وتقربا الى الله تعالى في تقوية
يقينه وقال بعضهم كن مع ابناء الدنيا بالادب ومع ابناء الاخرة بالعلم ومع العارفين كيف شاء يعني لانهم
كلما يرون من الرب ولا ينظرون الى السبب وقال لا تصحب الا من يتوب عنك اذا اذنبت ويعتذر
عنك اذا اسأت ويحمل عنك مؤنة نفسك وقال الاخر لا تصحب ويكفيك مؤنة نفسه وهذا عزيز الوجود
في ميدان الشهود كنوافل العبادة تركا واتيانا اي فعلا قال الامام حجة الاسلام ومن التخفيف ترك
التكلف والتكليف انه لا يعترض في نوافل العبادات لان طائفة من اهل الصوفية يصطحبون على شرط
المساواة بين اربعة معان ان اكل احدهم الدهر كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر كله لم يقل له افطر
وان نام الليل كله لم يقل له قم وان صلى الليل كله لم يقل له نم وتستوي حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان لان ذلك
ان تفاوت حرك الطبع الى الرياء والتحفظ لا محالة وقد قيل من سقط كلفته دامت الفته ومن خفت مؤنته
دامت مودته ومن مفارات شيخنا العارف بالله تعالى نور الدين على المتقي في هامش هذا الكتاب الموجز النقي
اعلم ان الله تعالى خفف على عباده في عبادات النوافل تخفيفين احدهما انه خفف في اصل التكليف يعني اذا لم يات
الشخص لعبادة النفل راسا لا تكليف عليه ولا مواخذة لديه وثانيهما في وصفه من التكلف بجواز صلوة
النفل بحال القعود مع القدرة والركوب متوجها الى اي جهة ونحوهما فينبغي للمصاحب ان يتخلق باخلاق الله تعالى
ويخفف في حقوق الصحبة مثل هذا التخفيف في عبادة النافلة مثلا اذا اشترط المصاحبان على انفسهما
شرطين بان قال احدهما على مؤنة السلخ والطبخ وقال الاخر على تحصيل الماء والحطب فاذا قصر احدهما
في شرطه بان لم يات باصل الشرط مطلقا فلا يؤاخذه لان التكليف متروك في النفل واذا اتى باصل الفعل
ولكن يترك التكلف بان طبخ طعاما ماالحا او قليل الملح فلا يؤاخذه لان التكلف متروك ايضا وعلى هذا
القياس ينبغي في جميع حقوق الصحبة ثم اعلم هذه القاعدة الصعبة فلله در المؤلف حيث اتى بهذه العبارة
الوجيزة في مبانيها مع كثرة معانيها اورد انا واتقياء امتي براء من التكلف الدارقطني في الافراد من حديث
الزبير بن العوام ولفظه الا اني بريء من التكلف وصالحو امتي واسناده ضعيف ويحقق قوله تعالى قل
ما اسئلكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين اي متقولين القرآن من تلقاء نفسي حتى يقوله شيئا من تلقاء نفسه
فقد تكلف في امره وكذا الحكم في نقله ويرفع الادب اي من القيام والاعتذار ونحوهما مع اهل الوداد
عند تمام الاتحاد فعند كمال الانبساط مع الاصحاب يطوى بساط الاداب فالمقصود صفاء القلب
مع احباب الرب والادب اي الظاهر عنوانه فاذا عرف اصل المكتوب فلا يحتاج الى عنوانه من المطلوب
ويزور اي صاحبه غبا اي يوما بعد يوم او وقتا بعد وقت ليزداد حبا لحصول الاشتياق الى الوصال
الان يامن من الملال اي الموجب للقطع في الاستقبال وينوي فيه اي في التزاور الاستيناس اي طلب
الانس باللقاء اي لقاء اهل اليقين والاستعانة على الدين كما هو شان المجتهدين والتقرب اليه تعالى باقامة

في ترك التكلف والتكليف

فضيلة زيارة الاخ

للحق اي حق الاخوة والصحبة وتحمل المونة اي كلفة الالفة ففي مسند احمد وغيره عن ابن عمر المومن الذي
يخالط ويصبر علي اذيهم افضل من المومن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر علي اذيهم وفي رواية الدارقطني
عن جابر المومن يألف ويولف ولا خير فيمن لا يولف ولا يألف وخير الناس انفعهم للناس وقد قال تعالى و
اعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا الاية هذا وجاء في الخبر ان الله يقول حقت محبتي للذين تزاورون
من اجلي احمد من حديث عمرو بن عبسة وعبادة الصامت والحاكم وصحح عن انس ما زار رجل اخا في الله الا
ناداه ملك من خلفه طبت لك الجنة رواه ابن عدي والترمذي وابن ماجه من حديث ابي هريرة من عاد مريضا
او زار اخا في الله ناداه مناد من السماء طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا وعنه عم ان رجلا
زار اخا له في الله فارصد الله له ملكا فقال اين تريد فقال اريد ان ازور اخي فلانا فقال الحاجة لك عنده
قال لا قال القرابة بينك وبينه قال لا قال فلنعمة له عندك قال لا قال فبم قال احببته في الله قال فان الله
ارسلني اليه يخبرك بانه يحبك لحبك وقد اوجب لك الجنة رواه مسلم من حديث ابي هريرة ويسلم على المسلم صغيرا
او كبيرا غنيا او فقيرا لحديث افشوا السلام واطعموا الطعام الترمذي عن ابي هريرة وفي رواية للحاكم
عن ابي موسى افشوا السلام بينكم تحابوا وفي رواية البيهقي عن هاني بن يزيد ان موجبات المغفرة بذل السلام
وحسن الكلام وان لقيه مرارا اي مرة بعد مرة لعموم قوله عم حق المسلم ست اذا لقيته فسلم عليه رواه مسلم او
مالت شجرة او جدار وكذا اسطوانة ناويا اي بهذا السلام تجديد عهد الاسلام انه بان لا يوذي
بصيغة المعلوم والمجهول في عرض ومال اي ولا تراه وان قبل الكلام متعلق بيسلم اي يأتي بالسلام قبل ان
يشرع في الكلام فان اهل الاسلام حتى دار السلام فمن بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبه اي
لا ترد عليه الكلام حتى يبدأ بالسلام اي ويترك الابتداء بالكلام ولحديث رواه الطبراني في الاوسط وابو نعيم
في الحلية عن ابن عمر ولفظه من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه وعند الدخول في بيته اي يسلم على اهله
فللترمذي عن انس قال قال عم لي اذا دخلت على اهلك فسلم يكون بركة عليك وعلى اهل بيتك وبيت
غيره اي كذلك اي لئلا يدخل الشيطان بعم لحديث جابر اذا دخلتم بيوتكم فسلموا على اهلها فان الشيطان
اذا سلم احدكم لم يدخل بيته الخرائطي في مكارم الاخلاق وهو مأمور به اي في قوله تعالى واذا دخلتم بيوتا
فسلموا على انفسكم اي على جنسكم من المسلمين وان كان البيت خاليا وهو اعم من بيته وبيت غيره فتحيته
اي تحية تكون بلفظ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فالملائكة اي الحفظة او الكتبة ترده فانهم
من جملة عباد الله الصالحين والدخول اي ويسلم عند دخوله في قوم اي على قوم وهو ظاهر متعارف
والخروج اي ويسلم عند خروجه عنهم ليكون مشاركا لهم في كل خير اي ابتداء وانتهاء ولان السلام الاول للملاقاة
والثاني للموادعة ولعل هذا وجه التكرار في قوله سبحانه لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما
ولابي داود والترمذي وحسنه من حديث ابي هريرة اذا انتهى احدكم الى المجلس فليسلم فان بدا له ان يجلس

فليجلس

بذل السلام

فليجلس ثم اذا قام فليسلم فليست الاولى باحق من الاخرة ويبدأ به اي بالسلام فهو الى الله وفي عنه عم ان كان يبدأ
بالسلام كما في الشمائل وفي نسخة يبدر وفي مسند احمد عن ابي امامة من بدأ بالسلام فهو اولى بالله ورسوله
وقد قال العلماء ان هذه سنة اجرها اكثر من جواب السلام مع انه فرض وذلك لما في البداءة من التواضع ولانه
تسبب في اداء الفرض وقد ورد اذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لانه ذكرهم
السلام وان لم يرد وارد عليه ملأ خير منهم واطيب منه البيهقي في الشعب عن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا والبزار
عنه مرفوعا ان السلام اسم من اسماء الله وضعه الله في الارض فافشوه بينكم فان الرجل المسلم اذا مر بقوم فسلم
عليهم جليسا ولا يسلم على جمع النساء اي من الاجانب ويرد عليهن اي اذا سلمن عليه فان الرد فرض فلا يترك
لتوهم الوقوع في الريبة وكان انس يمر على الصبيان فيسلم ويروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه فعل ذلك رواه
الشيخان وفي النسائي عن انس انه عم كان يزور الانصار ويسلم على صبيانهم ويمسح رؤسهم ولا اي ولا يسلم عند
تلاوة القرآن اي على تاليه ولا مستمعه لئلا يقع خلل فيه والاذان لاشتغال المؤذن والمجيب به وقضاء الحاجة
ونحوها اي من الحمام وكشف العورة وحالة الجماع فلا يتكلم فيها اي مطلقا فضلا عن السلام ورده وعن ابن عمر
ان رجلا سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبول فلم يرد عليه ولا اللعب اي ولا يسلم عند اللعب بالشطرنج
اي على لاعبه ومن معه من صاحبه ونحوه اي النرد ومجلس الشرب والات الغناء وامثالها ولا يرد فيها اي في
المذكورات التي لا يسلم فيها ويزيد في الجواب اي في طريق الاستحباب فورد اذا حييتم بتحية اي اذا سلم عليكم بسلام
وقيل السلام عليكم فحيوا باحسن منها اي بالزيادة عليها فقولوا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته او ردوها
اي قولوا في جوابها مثلها والاولى بالبداة اي بابتداء السلام الداخل على المدخول عليه والماشي على القاعد
ونحوه والراكب على النازل والصغير على الكبير والقليل على الكثير ففي الصحيحين عن ابي هريرة يسلم الراكب على الماشي والماشي
على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير واذا بلغ سلاما من احد فليقل وعليه السلام ورحمة الله وبركاته رواه
الستة عن عائشة او وعليك وعليه السلام رواه النسائي عن انس كذا في الحصن فيجوز الاكتفاء بالاول والجمع بينهما
افضل واو للتنويع في اختلاف الرواة وفي الاذكار يعني اذا بعث انسان مع انسان سلاما فقال الرسول
سلم عليك فلان يجب عليه ان يرد على الفور ويستحب ان يرد على المبلغ ايضا فيقول وعليك وعليه السلام ثم
الافضل ان يقول المسلم السلام عليكم بصيغة الجمع وان كان المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم
السلام ورحمة الله وبركاته ويأتي بواو العطف ويجوز تنكير السلام ايضا واما الجواب فاقل الاستحباب
وعليك السلام او وعليكم السلام وان حذف الواو فقال عليكم السلام اجزأه ذلك ففي الصحيحين عن ابي هريرة خلق
الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال له اذهب فسلم على اولئك نفر من الملائكة جلوس
فاستمع ما يحيونك فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة
الله انتهى وفيه دليل على ان السلام عليك يصلح للتحية وجوابها لكن بشرط ان يكون احدهما بعد الاخر فلا تقعا معا

فانه يجب على كل واحد جواب الآخر فقد تبين وورد اذا سلم واحد من القوم اجزأ عنهم ما لك في الموطا عن
زيد بن اسلم ولابي داود من حديث علي يجزئ عن الجماعة اذا مروا ان يسلم احدهم ويجزئ عن الجلوس ان يرد
احدهم فعلم ان السلام سنة كفاية كما ان جوابها فرض كفاية وفي الديلمي عن علي السلام تطوع والرد فريضة ولا يشير
بالاصبع والكف فهو عادة الكفار اهل الكتاب منهي عنه ففي الترمذي من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن
جده لا تشبهوا باليهود والنصارى فان تسليم اليهود الاشارة بالاصابع وتسليم النصارى الاشارة بالكف وفي رواية
ابي يعلى وغيره عن جابر تسليم باصبع واحدة يشير بها فعل اليهود والمعنى انه لا يكتفي بها عند السلام فلو جمع بين
الاشارة والسلام لزيادة الاعلام او لبعد المقام او لكون المسلم عليه لا يسمع الكلام فلا باس به الا انه لا بد
من اسماع كل منهما خلافا لما يفعله كثير من العامة وبعض الطلبة باخفاء السلام او رده والاكتفاء تارة ببعض
الاعضاء من اليد او الراس ويومي حديث عبد الحميد بن بهرام انه عم مر في المسجد يوما وعصبة من النساء قعود فالوى
بيده بالتسليم اي مقرونا به واشار عبد الحليم بيده رواه الترمذي وقال حسن وقال احمد لا باس به ورواه
ابو داود وابن ماجه من وجه آخر ولا يخص المعارف بالتسليم بل يعم السلام على من يعرف ومن لا يعرف اذ اعرف
بالاسلام فان السلام من حقوق المسلم على المسلم فهو اي تخصيص المعارف بالسلام من اشراط الساعة اي علاماتها
اي من جملتها قلة العلم وكثرة الجهل ولا يبدأ بعليك السلام فهو تحية الميت اي يجوز ان يقال له ذلك ويقال
السلام عليك اذ صح انه عم قال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وقال رجل لرسول الله صلى الله عم عليك
السلام فقال ان عليك السلام تحية الميت قالها ثلثا ثم قال اذا لقي احدكم اخاه فليقل السلام عليكم ورحمة
الله وبركاته رواه الترمذي والنسائي في اليوم والليلة وقال الترمذي حسن صحيح ويصافح اي صاحبه من
المتقين لا سيما الكبراء في الدين من العلماء والاولياء والشرفاء اذا كانوا من الضعفاء لا من السلاطين والامراء
والوزراء فهو اي التصافح من تمام التحية وعن الحسن المصافحة تزيد في المودة وعن ابي هريرة مرفوعا تمام تحياتكم
بينكم المصافحة الخرائطي في مكارم الاخلاق وهو عند الترمذي من حديث ابي امامة وضعفه وورد فيها اي المصافحة
تسعة مائة مغفرة تسعة وتسعون لاحسنهما بشرا فعن ابي هريرة اذا التقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما مائة رحمة
تسعة وتسعون لابشهما واطلقهما وابرهما واحسنهما مسائلة باخيه الطبراني في الاوسط وعن انس اذا التقى المسلمان
فتصافحا قسمت بينهما مائة رحمة تسعة وتسعون لاحسنهما بشرا الخرائطي بسند ضعيف وعن عمر مرفوعا اذا التقى المسلمان
فسلم كل واحد على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادي تسعون وللمصافح عشرة البزار في مسنده و
الخرائطي والديلمي والبيهقي في الشعب وقد ورد قبلة المسلم اخاه المصافحة الخرائطي وابن عدي من حديث انس
وقال غير محفوظ والمعنى ان المصافحة تقوم مقام قبلة اليد في الاحياء فلا باس بقبلة يد المعظم في الدين
تبركا وتوقيرا له فعن عمر قبلنا يد النبي صلى الله عم ابو داود بسند حسن وعن كعب بن مالك قال لما نزلت توبتي
اتيت النبي عم وقبلت يده ابو بكر بن المقري في كتاب الرخصة في تقبيل اليد بسند ضعيف وروي ان اعرابيا

باب المصافحة

قال

قال يا رسول الله ايذن لي فاقبل راسك ورجليك قال فاذن له ففعل الحاكم من حديث بريدة وقال صحيح
الاسناد وعن البراء بن عازب انه سلم على رسول الله صلى الله عم وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه فرد عليه ومد يده
اليه فصافحه فقال يا رسول الله ما كنت ارى هذا الا من اخلاق الاعاجم فقال عم ان المسلمين اذا التقيا وتصافحا
تحاتت ذنوبهما الخرائطي بسند ضعيف وهو عند ابي داود والترمذي وابن ماجه مختصرا ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان
الا غفر لهما قبل ان يتفرقا ويجعل الاصابع بالاصابع اي اصابعه في اصابع اخيه وهذا غير محفوظ في السنة ولا هو
ماخوذ من اللغة اذ مفهومها وضع صفحة الكف او اليد او اصابعها في كف صاحبه ونحوه ولا يدع اي يد اخيه حتى يدع
صاحبه اي يده دل على التواضع وكمال واظهار المسكنة والطبراني في الاوسط باسناد حسن عن ابي هريرة انه عم كان لا ياخذ
احد بيده فينزع يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسله ولم يكن ترى ركبته خارجة عن ركبة جليسه ولم يكن احد يكلمه
الا اقبل عليه بوجهه ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه ولابي داود والترمذي وابن ماجه نحوه من حديث انس فهو السنة
اي المروية في شمائله من فضائله لان وراء الثوب اي لا يصافح وراء الكمام فهو جفاء من عادة الكفار اي المتكبرين
من الاعاجم والاروام ويعانق القادم اي الواصل من السفر وفي الاحياء انما الالتزام والتقبيل ورد به الخبر
عند القدوم من السفر وقد رواه الترمذي من حديث عائشة قالت قدم زيد بن حارثة الحديث وفيه فاعتنقه
وقبله وقال حسن غريب وقال ابو ذر ما لقيته عليه السلام الا صافحني وطلبني يوما فلم اكن في البيت فلما اخبرت
جئت وهو على سرير فالتزمني فكانت اجود واجود رواه ابو داود ويأخذ ركاب العلماء الموقرين فقد فعل ابن عباس
ذلك بركاب زيد بن ثابت كما تقدم واخذ عمر بغرز زيد اي بركابه حتى رفعه وقال هكذا فافعلوا بزيد واصحابه
ويوسع المجلس مسجدا كان او غيره بقوله تعالى اذا قيل لكم بلسان القال او بيان الحال تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح
الله لكم والفسح التوسع وفي الصحيحين من حديث ابن عمر لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا وعنه
عليه السلام اذا اخذ القوم مجالسهم فان دعا رجل اخاه فاوسع له فليأته فانما هي كرامة من الله تعالى عز وجل اكرم
بها اخاه فان لم يوسع له فلينظر الى اوسع مكان يجده فليجلس فيه البغوي في معجم الصحابة من حديث ابن ابي شيبة ورجاله
ثقات وابن ابي شيبة هكذا ذكره ابو موسى المديني في ذيله في الصحابة ويكرم الداخل ان كان من ذوي الفضائل
فيبسط له الثوب اي من الرداء ونحوه فروي انه عليه السلام دخل بعض بيوته فدخل عليه اصحابه حتى ضاق المجلس فامتلأ
فجاء جرير بن عبد الله البجلي فلم يجد مكانا فقعد على الباب خلف رسول الله صلى الله عم رداءه فالقاه اليه فقال
له اجلس عليه فاخذه جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكي ثم لفه ورمى به اليه صلى الله عم وقال ما كنت
لاجلس على ثوبك اكرمك الله كما اكرمتني فنظر النبي عم يمينا وشمالا قال اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه الحاكم من
حديث جابر وقال صحيح الاسناد وروي انه حاضنة رسول الله صلى الله عم التي ارضعته جاءت اليه فبسط لها
رداءه ثم قال مرحبا بامي ثم اجلسها على الرداء ثم قال لها اشفعي تشفعي وسلي تعطي فقالت قومي فقال اما حقي
وحق بني هاشم فهو لك فقام الناس من كل ناحية وقالوا وحقنا يا رسول الله ثم وصلها بعد ووهب لها سهمه

فبيع ذلك من عثمان بن عفان بمائة الف درهم كذا في الاحياء وروى ابو داود والحاكم وصححه من حديث ابي الطفيل
مختصرا في بسط ردائه لهادون ما بعده ولاحمد من حديث ابن عمر انه دخل عم فالقي له وسادة من ادم حشوها ليف الحديث واسناده صحيح وللطبراني من حديث سلمان دخلت على رسول الله صلى الله عم وهو متكئ على وسادة فالقاها
الي الحديث وسنده ضعيف ويخفف اي مدخوله عليه الصلوة فريضة او نافلة ويشتغل اي باكرامه من سلام وكلام
وتحصيل مرام ثم يعاود فيها اي في تمام صلوته فالكل مروي الآن تخفيف الصلوة آه ليس له اصل في السنة ولا تحني
فان الانحناء يكره للسلاطين وغيرهم لانه صنيع اهل الكتاب كذا في المحيط والذخيرة ولانه شبيه الركوع الذي هو ركن
من اركان الصلوة فكما لا يجوز ان يسجد احد لاحد لا يجوز ان يركع له وكذا القيام على هيئة الوقوف في الصلوة
لحديث من سره ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار ابو داود والترمذي وحسنه من حديث معاوية وعن انس
رض قلنا يا رسول الله انحني بعضنا لبعض قال لا قال افيقبل بعضنا بعضا قال لا قال فيصافح قال نعم
الترمذي وحسنه من حديث معاوية وابن ماجه وضعفه احمد والبيهقي وفي الاحياء لا باس بالانحناء لدفع شر الاشقياء
ولا يقوم اي للداخل كما هو عادة اهل المحافل فهو منهي عنه اي في الحديث المعلل بانه من حديث الاعاجم فعن ابي امامة
اذا رايتموني فلا تقوموا كما تقوم الاعاجم ابو داود وابن ماجه وعن انس ما كان شخص احب الينا من رسول
الله صلى الله عم وكانوا اذا راوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك الترمذي وقال حسن صحيح وفي الاحياء
ان القيام مكروه على سبيل الاعظام لا على سبيل الاكرام اقول وقد صار هذا القيام من ابتلاء العام اذ
يترتب على تركه انواع الملام فيكون النهي للتنزيه في هذا المقام وعن ابن مسعود رض مرفوعا موقوفا ما رآه المسلمون
حسنا فهو عند الله حسن واما ما في صحيح مسلم عن ام هاني انها سلمت على النبي صلى الله عم فقال من هذه فقيل له ام هاني فقال عم
مرحبا يا ام هاني فمحمول على زيادة الترحيب للاكرام بعد جواب السلام ويوقر الكبراء اي العظماء في الرتبة او
السن كالعلماء العاملين والصلحاء الكاملين والشرفاء الطاهرين والشيوخ السابقين لتقدمهم في دخول الاسلام
فلهم قدم صدق وسهم سبق في هذا المقام وقد قال تعالى والسابقون السابقون لكن تقدم الرتبة من العلم او
التقوي او النسب على مجرد كبر السن في الحسب واشار المص الى الترتيب في غاية من التهذيب فالعلماء كما قال تعالى
يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والتقوي كما قال عز وجل ان اكرمكم عند الله اتقيكم و
يقدمهم في المشي اذا ضاق المقام والكلام والجلوس فورد ليس منا اي من اتباعنا واشياعنا من لم يوقر
كبيرنا ولم يرحم صغيرنا رواه احمد والترمذي عن ابن عباس واحمد والحاكم عن عبادة بن الصامت بزيادة ولم
يعرف لعالمنا حقه وفي رواية لاحمد والترمذي والحاكم عن عمر بلفظ من لم يرحم صغيرنا ولم يعرف حق كبيرنا فليس منا
واوعد بصيغة المجهول اي جاء الوعيد في التقديم اي تقديم الصغير على الكبير بالفقر اي بسبب فقر الكبير او
المعني اوعد بالفقر بخلاف من عظم الكبير فانه يقدر له من يعظمه في كبره ففي الخبر ما اكرم شاب شيخا لسنه الا قيض
الله في سنه من يكرمه وهذا بشارة له بطول عمره وسهولة امره والحديث رواه الترمذي عن انس ومن تمام توقير

المشايخ

المشايخ ان لا يتكلم بين ايديهم الا باذن قال جابر قدم وفد جهينة على النبي صلى الله عم فقام غلام ليتكلم فقال عم فاين
الكبير الحاكم وصححه مسلم ويراعي قلب الصغار اي الاطفال وغيرهم ممن دون البلوغ فكان عليه السلام يبالغ فيه اي في مراعاة
قلوبهم فكان يمسح رؤسهم ويدعو لهم ويجلسهم في حجره ويحنكهم رواه البزار وقد كان يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان
فيقف عليهم ثم يامرهم فيرفعون اليه فيرفع منهم بين يديه وخلفه ويامر اصحابه ان يحملوا بعضهم فربما تفاخر الصبيان بعضهم
لبعض حملني رسول الله صلى الله عم رواه مسلم من حديث عبد الله بن جعفر كان اذا قدم من سفر تلقي بنا قال فتلقي بي وبالحسن
او بالحسين قال فحمل احدنا بين يديه والاخر خلفه وفي رواية يلقي بصبيان اهل بيته وانه قدم من سفر فسبق بي اليه فحملني
بين يديه ثم جيئ باحد ابني فاطمة فاردفه خلفه وفي الصحيحين ان عبد الله بن جعفر قال لابن الزبير اتذكر اذ
تلقينا رسول الله صلى الله عم انا وانت وابن عباس قال نعم قال فحملنا وتركك هذا لفظ مسلم وقال البخاري ان ابن
الزبير قال لابن جعفر فالله اعلم قال مخرج الاحياء ولا يبعد ان يحمل على قضيتين فيكون في كل منهما جبر لخاطر الاخر
فتدبر ولاحمد بن منيع من حديث حسن بن علي عن امراة منهم بينا رسول الله صلى الله عم مستلقيا على ظهره يلاعب صبيا اذ
بال فقامت لتاخذه وتضربه فقال دعيه ايتوني بكوز من ماء الحديث واسناده صحيح ويتكفل اليتيم قريبا او اجنبيا
فورد انا وكافل اليتيم اي مربيه ومصلحه كهاتين في الجنة واشار الى المسبحة والوسطى وهو كناية عن كمال الرتبة وجمال القربة
والحديث رواه احمد والبخاري وابو داود والترمذي عن سهل بن سعد بلفظ انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ولابن
ماجه من حديث ابي هريرة خير بيت المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ولاحمد والطبراني
من حديث ابي امامة من وضع يده على راس يتيم كانت له بكل شعرة يمر عليها يده حسنة ولابن حبان من حديث ابن ابي اوفى مسح
يده على راس يتيم رحمة له الحديث ويظهر البشاشة اي الانبساط اذا حضر مع اصحابه في بساط النشاط فورد ان الله
يحب السهل اي اللين الهين الطلق بفتح فكسر اي صاحب طلاقة الوجه والحديث رواه البيهقي عن ابي هريرة بلفظ الطليق
وقد ورد اتدرون على من حرمت النار قالوا الله ورسوله اعلم قال على الهين السهل القريب الترمذي وحسنه عن
ابن مسعود ويشمت اي يجيب العاطس الحامد اي الذي قال الحمد لله بعد عطاسه بدعاء الرحمة والمغفرة
ويجيب بدعاء الهداية والصلاح اتفق العلماء على انه يستحب للعاطس ان يقول الحمد لله عقيب عطاسه ويستحب عند الشافعي
ويجب عندنا على من سمعه ان يقول له يرحمك الله ويستحب العاطس بعد ذلك ان يقول يهديكم الله ويصلح بالكم او يغفر الله
لنا ولكم والاحاديث في هذا كثيرة كما بيناها في شرح الحصين واما اذا لم يحمد العاطس فلا يستحق الجواب لما في الصحيحين
عن انس انه عم شمت عاطسا ولم يشمت اخر فسال عن ذلك فقال انه حمد الله وانت سكت ففيه فضل كثير اي واجر كبير
الا اذا زاد على الثلث فورد انه زكام فعن ابي هريرة شمت اخاك ثلثا فان زاد فهو زكام ابو داود وفي صحيح مسلم
عن سلمة بن الاكوع انه شمت عاطسا فعطس اخري فقال انه مزكوم وعن ابي هريرة كان عليه السلام اذا عطس غض صوته
واستتر بثوبه او يده ابو داود والترمذي وقال حسن صحيح وفي رواية لابي نعيم في اليوم والليلة خمر وجهه وفاه وفي الصحيحين
التثاوب من الشيطان فاذا تثاوب احدكم فليضع يده على فيه فاذا قال آه آه فان الشيطان يضحك من جوفه وعن علي كرم

الانحناء

القيام للغير

مراعاة قلب الصغار

تكفل اليتيم

تشميت العاطس

اصلاح ذات البين

من عطس عنده فسبق الى الحمد لم يشتك خاصرته الطبراني في الاوسط وفي الدعاء ويصلح ذات البين اي احوالا ناشئة مما بينه وبين
غيره وبين احد من المسلمين بالمودة وبترك المنازعة قال تعالى لا خير في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح
بين الناس وقال عز وعلا واتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فهو افضل الصدقة فللطبراني والبيهقي عن ابن عمر
وافضل الصدقة اصلاح ذات البين ولابي داود والترمذي وصححه من حديث ابي الدرداء الا اخبركم بافضل من درجة
الصيام والصلوة والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الحالقة وللشيخين من حديث ام كلثوم
بنت عقبة بن ابي معيط ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا ويستر العيوب اي عيوب غيره وكذا عيوب نفسه

ستر العيوب

فورد اي صحيح مسلم عن ابي هريرة من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والاخرة وللشيخين عن ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم
القيمة وللطبراني عن ابي سعيد لا يرى امرؤ من اخيه عورة فيسترها عليه الا دخل الجنة وروى احمد عن رجل من ستر اخاه
المسلم في الدنيا ستره الله يوم القيمة وللطبراني والضياء عن شهاب من ستر على مؤمن عورة فكانما احيا ميتا وللبخاري
في تاريخه ولابي داود والحاكم عن عقبة بن عامر من رأى عورة فسترها كان كمن احيا موؤدة من قبرها وللترمذي وابن ماجه
والحاكم وصححه من حديث علي من اذنب ذنبا في الدنيا فستره الله عليه وعفى عنه فالله اكرم من ان يرجع في شيء قد عفا عنه
ومن اذنب ذنبا في الدنيا فعوقب عليه فالله اعدل من ان يثني عقوبته على عبده وعنه عليه السلام اتقوا الله واصلحوا
ذات بينكم فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيمة للحاكم وصححه وضعفه البخاري وابن حبان والطبراني من حديث ابن
عمر ان من احب الاعمال على عبد ادخال السرور على المؤمن ويتقي مواضع التهم تحرزا عن سوء ظنهم اي بالريبة ووقوعهم

اتقاء مواضع التهم

في الغيبة فانهم اذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكا وزرهم قال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من
دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال عليه السلام كيف ترون من يسب ابويه فقالوا وهل من احد يسب ابويه
قال نعم يسب الرجل ابوي غيره فيسب ابويه متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر وعن انس انه عليه السلام كلم احدى نسائه
فمر به رجل فدعاه فقال يا فلان هذه زوجتي صفية فقال يا رسول الله كنت اظن فيه فاني لم اظن فيك فقال ان
الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم رواه مسلم وفي رواية الشيخين عن صفية اني خشيت ان تقذف في قلبكما شيئا
في نسخة وان رعا وكانا رجلين وقال علي رسلكما انها صفية الحديث وكانت قد زارته في الاواخر من رمضان
وعن عمر من اقام نفسه مقام التهمة فلا يلومن من اساء به الظن ومر برجل تكلم امرأة على الطريق فعلاه بالدرة
فقال يا امير المؤمنين انها امرأتي قال هلا حيث لا يراك الناس ويشفع اي في غير الحدود لقوله تعالى

شفاعة في غير الحدود

شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وورد اشفعوا تؤجروا وتمام
ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء رواه الشيخان من حديث ابي موسى وورد ما صدقة افضل من صدقة
اللسان قيل وكيف ذلك قال الشفاعة يحقن بها الدم ويجر بها المنفعة الى اخر ويدفع بها المكروه عن آخر
للخرايطي والطبراني عن سمرة ويرشد الضال اي يهديه الى الطريق الحسي والمعنوي وينشد ضالته اي يطلبها

انشاد الضالة في غير المسجد

لكن في غير المسجد لما تقدم ويقول يا هادي الضال ويا راد الضالة اردد علي ضالتي بعزتك وسلطانك

تفريج المكروب

فانها من عطائك وفضلك رواه ابن ابي شيبة من قول ابن عمر والطبراني عنه مرفوعا ويفرج المكروب اي هم المغموم

نصر المظلوم

وينصر المظلوم ففي الصحيحين انصر اخاك ظالما او مظلوما فقيل كيف ينصر ظالما فقال يمنعه من الظلم فلنه في منعه
من الظلم نصر المظلوم ايضا وورد من فرج عن مغموم او اعان مظلوما غفر الله له ثلثا وسبعين مغفرة للخرايطي في

السعي في الحاجة

مكارم الاخلاق وابن حبان في الضعفاء وابن عدي من حديث انس بلفظ من اغاث ملهوفا ويسعى في حاجته
فالمشي فيها خير من اعتكاف شهرين وان لم تقض فللحاكم وصححه من حديث ابن عباس لان يمشي احدكم مع اخيه
في قضاء حاجته واشار باصبعه افضل من ان يعتكف في مسجدي هذا شهرين وللطبراني في الاوسط
من مشى في حاجة اخيه كان خيرا له من اعتكاف شهرين وكلاهما ضعيف وروى البخاري في تاريخه والطبراني
والخرايطي عن انس بسند ضعيف من قضى لاخيه حاجة فكانما خدم الله عمره ولابن المبارك في الزهد والرقائق
باسناد ضعيف مرسلا من اقر عين مؤمن اقر الله عينه يوم القيمة وقال انس عرضت له امرأة وقالت
لي معك حاجة وكان معه ناس من اصحابه فقال اجلسي في اي نواحي السكك شئت اجلس اليك ففعلت

وعظ الاخوان

فجلس اليها حتى قضت حاجتها رواه مسلم ويعظ اي يبشر الناس بالثواب في الطاعة وينذرهم بالعقاب على المعصية
قال تعالى واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم الاية وقال تعالى يعظكم الله
ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين ويبين لكم الايات وورد ان الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله
ولائمة المسلمين وعامتهم رواه مسلم وغيره عن تميم الداري وقال عليه السلام لمعاذ اوصيك بتقوى الله

اعانة الضعيف

وصدق الحديث ووفاء العهد وصدق الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحم اليتيم ولين الكلام وبذل
السلام البيهقي في كتاب الزهد وابو نعيم في الحلية ويعين الضعيف اي في عمله وصنعته ويحسن اي بزيادة معرفته
اويعين الضعفة والفقراء ويحسن العلماء والصلحاء ليكون مشاركا لهم في ثواب يوم الجزاء فقد صح من كان في
عون اخيه كان الله في عونه ويحفظ الغيبة اي غيبة اخيه فيمنع احدا عن ان يقع في غيبته فيه ففي الخبر يا معشر من آمن
بلسانه ولم يدخل الايمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته
ومن تتبع الله عورته فضحه ولو كان في جوف بيته لابي داود من حديث ابي برزة باسناد جيد وللترمذي
نحوه من حديث ابن عمر وحسنه وعن ابي الدرداء من رد عن عرض اخيه كان له حجابا من النار الترمذي وحسنه وللطبراني عن ابي الدرداء
بلفظ من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيمة ولاحمد من حديث اسماء بنت يزيد نحوه
ولابن ابي الدنيا في الصمت عن انس من ذكر عنده اخوه المسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره ولو بكلمة ادركه الله ويجل بها في الدنيا
والاخرة ومن ذكر عنده اخوه المسلم فنصره نصره الله في الدنيا والاخرة ولابي داود من حديث معاذ بن انس من حمى عرض اخيه
المسلم في الدنيا بعث الله له ملكا يحميه يوم القيمة من النار ولابي داود من حديث جابر وابي طلحة ما من امرئ ينصر مسلما
في موضع ينتهك فيه عرضه ويستحل حرمته الا نصره الله في موطن يجب فيه نصرته ويبر
المطف اي يمين صاحبه في الحضور والغيبة بان وعد اخوه بشخص باعطاء شيء او حلف عليه ولم يتبرء فالصاحب يعطيه ذلك

لئلا يقع صاحبه في الحنث هنالك وهو من جملة اخلاق الله مع من اتبع رضاه كما ورد في الصحيحين عن انس ان
من عباد الله من لو اقسم على الله لابره اي يجعله بارا في يمينه بما قدره وقضاه وفي الصحيحين من حديث البراء امرنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بسبع فذكر منها وابرار القسم او المقسم ويحب التائب لقوله تعالى ان الله يحب التوابين خصوصا الشاب فورد
ان الله يحب الشاب التائب ابو الشيخ عن انس ولابي نعيم في الحلية عن ابن عمر ان الله يحب الشاب الذي يفني شبابه في
طاعة الله ولاحمد والطبراني عن عقبة بن عامر ان الله تعالى ليعجب من الشاب ليست له صبوة ويستغفر للمذنب اقتداء بالملائكة
المقربين الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا الاية وللطبراني
عن عبادة من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة وله وللضياء عن ابي الدرداء
من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سبعا وعشرين مرة كان من الذين يستجاب لهم ويرزق به اهل الارض ولما حديث
انس ادبع من حق المسلمين عليك ان تعين محسنهم وان تستغفر لمذنبهم وان تدعو لمدبرهم وان تحب تائبهم فقد
ذكره صاحب الفردوس ولم اجد له اسنادا قاله العراقي ويعامل على حسب حاله اي حال صاحبه فيا على مناقبه اوادني
مراتبه فرض الفقه اي مسائله الغامضة لا هل اللهو اي لارباب الاشتغال بما يلهيهم عن العلم والفهم والكمال والبيان
اي وعرض الفصاحة والبلاغة واصناف البديع وانواع البيان لثقيل اللسان ابناء النفسية بل المناسب ان يعرض
عليهم ما يكتسب من الطاعات وما يجتنب من المحرمات ويتنصف من نفسه في نسخة وينصف من الانصاف بالكسر اي يعمل بالنصفة
بمقتضى اي العدالة فهو من ثلاث خصال يستكمل به الايمان وفي الخبر لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون فيه ثلاث خصال
الانفاق من الاقتار والانصاف من نفسه وبذل السلام الخرائطي عن عمار بن ياسر ووقفه البخاري عليه ولا يعلم
احدا مقدار ماله وان كان من اهل البيت اي المطلعين على حاله فالعلم بالقلة يورث الاهانة اي يعده من الفقراء وبالكثرة
عدم الرضاء اي بانفاقه ويعده من البخلاء وورد استر ذهبك اي ونحوه من الفضة وغيرها وذهابك اي انتهاء
سفرك من حضرك ومذهبك اي في موضع تخاف على اظهاره فاظهر مشربك والحديث لم اجد له اصلا ولا يحتقر احدا
اي من الفجار بل من الكفار فالعاقبة مستورة وورد انما الاعمال بالخواتيم كما في صحيح البخاري عن سهل بن سعد
ولا يستعظم الدنيا فان الله قد استحقرها حيث قال متاع قليل وورد لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة
ما سقى كافرا منها شربة ماء الترمذي وغيره عن سهل بن سعد وفي المصحح انه لا ينظر الى اهل الدنيا بعين التعظيم لهم في حال
دنياهم ومهما عظم اهل الدنيا في نفسك وقد عظمت الدنيا فتسقط من عين الله عز وجل وللحكيم الترمذي
عن ابي هريرة اذا عظمت امتي الدنيا نزعت منها هيبة الاسلام فهي حقيرة وما فيها وحديث الدنيا ملعونة ملعون
ما فيها الا ما كان لله منها ابو نعيم في الحلية عن جابر وفي مسند احمد عن عائشة الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال
له ولها يجمع من لا عقل له ولا يتكبر على الفقير اي لفقره فانه موجب لهزه بل على المتكبر اي بماله وجاهه على الفقير
فورد التكبر على المتكبر صدقة ويجالس الفقير فهو السنة فلابي نعيم عن ابن عمر تواضعوا وجالسوا
المساكين تكونوا من الكبراء وتخرجوا من الكبر دون الغني اي يجالس الغني فضلا عن ان يصاحبه فورد اياكم

ويجالسة

ويجالسة الموتى قيل ومن الموتى يا رسول الله قال الاغنياء الترمذي وضعفه والحاكم وصحح اسناده من حديث عائشة اياك
ومجالسة الاغنياء وحبيب العافية اي الذي يكره المرض او الذي ما يأتيه الحمى ونحوها من الصداع فان فرعون اربعمائة
سنة ما حم ولا وصل له صداع ولا كسر له ظرف في مطبخه وقد ورد انه عليه السلام مدح له امراة حسنة فرغب فيها فقيل
من نعتها انها لا يأتيها مرض فقال ما لي اليها حاجة وفي صحيح مسلم من يرد الله به خيرا يصب منه والعليل اي وغير الجاهل واذا
ابتلي اي بمجلس العالي لا يخوض في كلامه اي ويكتفي بما يحصل من مرامه ويتغافل عما يجري عليه اي بحسب مقامه والسلطان
عطف على قوله الغني دون السلطان والمعنى لا يجالسه واذا ابتلي به يكثر الحذر اي من غضبه وان ظهر المحبة اي في وجهه
ولا يعتمد اي على اقباله ولا على جاهه واعطائه ماله فمرافقته مرافقة الطفل فيحمل منه ما يتحمل عنه ويتكلم على حضانة
حسب ارادته ويتقي طاعته واطاعته لكن لا بما يضره في دينه واخرته ولا يدخل بينه وبين اهل بيته في معاملته ومجاملته
فهو مضر ويبالغ في الادب ومن ادابه لاصحابه ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب الالفاظ
والمباني وتحسين البيان للمعاني وتصحيح الاعراب في الخطاب والمذاكرة باخلاق الملوك السابقة والاحقة وقلة الملاعبة
في مجلس المصاحبة وان لا يتحشى بحضرته ولا يتخلل بعد الاكل في صحبته ويبرك بالعادل فهو من سبعة يظلهم الله يوم القيامة
يوم لا ظل الا ظله ويدعو له بالصلاح ولو كانت له دعوة واحدة مستجابة ففيه صلاح العامة ونفع العام خير من نفع
الخاص مع ان الخاص داخل في العام ويستعيذ اي بالله الملك العلام عند الدخول عليه خوفا من الذل والخطأ لديه و
عليه اي ويجب على السلطان الاجمال اي التحمل عن مجالسته ومؤانسته الا في كشف السر اي لغير الحرم والقدح في الملك اي الطعن
فيه بما ينافيه والتعرض في الحرم اي من امراته او جاريته او ولده او عبده والعامة اي دون عامة الناس فلا يجالسهم لفساد
الزمان اي اهله فانهم لا يقبلون الا عثرة ولا يقبلون منك معذرة ولا يعفون ذلة ولا يسترون عورة ويحاسبون
على النقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون ويؤاخذون على الخطاء والنسيان ولا يعفون
يغرون الاخوان بالنميمة والبهتان فصحبة اكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان ان رضوا فظاهرهم الملق وان سخطوا
فباطنهم الحنق لا يؤمنون في حنقهم ولا يرجون في ملقهم ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب يقطعون بالظنون
ويتغامزون وراءك بالعيون ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب المنون يحصون عليك العثرات في صحبتهم
ليواجهوك بها في غضبهم ووحشتهم فان ابتلي بهم فادبه معهم ترك الخوض في حديثهم وقلة الاصغاء الى اراجيفهم
والتغافل عما يجري من سوء الفاظهم ومبانيهم وعدم درك تعارفهم ومعانيهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة اليهم
وعدم التودد والتحبب لديهم وورد خالطوا الناس باعمالهم وزايلوا القلوب اي وجانبوها عن ملاحظة
احوالهم ومحافظة اقوالهم والحديث لم اجده وللطبراني عن ابي جحيفة مرفوعا جالسوا الكبراء وسائلوا العلماء
وخالطوا الحكماء ولا يعتمد اي في المحاورة والمجالس المؤتلفة الا من جرب اي امتحن تحقيقا في الاحوال المختلفة
كالفقر والغنى والحضر والسفر وغير ذلك من البعد والقرب والمحبة والعداوة فانه يظهر حقيقة كل احد هنالك
فلا يعد جزءا اي سهما واحدا من مائة بل الف جزء مما يظهرونه من المودة وفي الخبر اخبر تقله وفي حديث الناس

ابتلاء بالسلطان

احوال العامة وكيفية معاشرة الناس

كابل ماية لايجد فيها راحلة فلا تعول على مودة من لم تختبره حق الخبرة بان تصحبه مدة في دار او موضع واحد من قراد
فيحر به في عزله وولايته وغناه وفاقته او ببيانه خيم او بعامله او تقع في شدة وبلية فيحتاج اليه في دفع القضية ثم اياك
ان تمازح لبيبا او غير لبيب فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يجري لديك ولان المزاح يخرق الهيبة ويذهب بحلاوة
المودة ويشين فقه الفقيه ويجرئ داعية السفيه ويورث الذلة ويوجب الزلة ويسقط المنزلة وهو اذا كثر
يميت القلب ويباعد عن ذكر الرب ويظلم السرائر ويميت الخواطر ويكثر العيوب ويظهر الذنوب ومن يلي بمجلس
فيه مزاح او لغط فليذكر الله عند قيامه ليكون كفارة لما وقع في مقامه فورد من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال
قبل ان يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا غفر له ما كان
في مجلسه ذلك الترمذي من حديث ابي هريرة مرفوعا ولايطمع اي من العامة رعاية الحق اي مراعاة حقه من الادب في
قربه ولا في ايديهم اي ولايطمع في ايديهم من المال والجاه فعن سهل بن سعد مرفوعا ازهد في الدنيا يحبك الله
وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس ابن ماجه وغيره والمعنى لا تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم فتصغر في اعينهم ثم تحرم
دنياهم فان لم تحرم كنت قد استبدلت الذي هو ادنى بالذي هو خير ولايعاتب من لم يقض حاجته ولا تطال الامر
اي امر المعاتبة لان كثرة المعاتبة ربما تجر الى المقاطعة في المصاحبة ولا يعظ من لم يتوقع منه القبول الا مجملا اي
تلويحا تحرزا اي عن تعصبه اذا وعظه تصريحا وقد قال تعالى فذكر ان نفعت الذكرى اي الموعظة الحسنى ويجمل ان رأى
منهم كرامة اي احسانا وتعظيما واقبالا وتكريما وتوكلهم اليه اي ويترك امرهم الى الله سبحانه ان رأى مكروها تفويضا
اليه وتوكلا عليه وقد قال تعالى في مؤمن آل فرعون فستذكرون ما اقول لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد فوقيه
الله سيئات ما مكروا وقال عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ويستعيذ به من
شرهم ويشاركهم في حقهم اي في حق صدورهم ويتغافل عن باطلهم اي منكر ظهر منهم ويحب الكبير كالاب اي في التوقير
والصغير كالابن اي في الترحم والمساوي كالاخ اي الشفيق في الشفقة والرفق ويبالغ في الاحتمال اي في التحمل عن اذاهم و
الاحسان بالاعطاء الى الاهل وغير اهله فورد عن علي بن حسين عن ابيه عن جده اصنع المعروف الى اهله اي مستحقه فان لم
تصب اي في احسانك اهله فانت من اهله اي من اهل الاحسان الى افراد الانسان ولو باللسان ذكره الدارقطني
في العلل وهو ضعيف والاصل اي القاعدة المطردة في حقوق المسلم ان يحب له ما يحب لنفسه اي مثل ما يحب وكذا يكره له مثل
ما يكره لنفسه كما سبق في الحديث وورد ايضا من سره ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلياته منيته وهو يشهد ان
لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وليات الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو وقال عليه السلام
يا ابا هريرة احسن جوار من جاورك تكن مؤمنا واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما الخرائطي في مكارم الاخلاق
ولا يهجر ما اي اذا غضب عليه فوق ثلثة ايام فورد في الصحيحين عن ابي ايوب انه اي الشان لا يحل اي لمسلم ان
يهجر اخاه فوق ثلث ليال يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام ويستاذن اي للدخول ثلثا
اي ثلث مرات لما يأتي يمكث بعد كل اي كل استيذان قدر ان يصلي ركعتين وهو الاقل او اربع ركعات وهو الاكثر

يحبك الناس

حقوق ... تقوى

الاستيذان الاول

فيفرغ

فيفرغ من الاكل ان كان مشتغلا به والتوضي او الغسل او الصلوة او امر اخر من المهمات فورد عن ابي هريرة كما رواه
الدارقطني في الافراد بسند ضعيف الاستيذان ثلث اي ثلاث مرات فالاول وفي رواية فالاولى يستنصتون اي
يطلبون السكوت ليستكشفوا من المستاذن وما عرض وفي رواية يستمعون اي يسمعونه والثانية يستصلحون اي يطلبون
صلاحهم في الاذن بدخوله او بعدمه ويتشاورون والثالثة يأذنون او يردون اي وفق ما يختارونه وفي
الصحيحين من حديث ابي موسى الاستيذان ثلث فان اذن لك فادخل والا فارجع وقد قال تعالى وان قيل لكم ارجعوا
هو ازكى لكم ولايطلع على الباب اي لايقف بحيث ينكشف الحجاب ويدق لينا اي بظفر ونحوه هينا ولا يقول انا اي
فلان عند الباب او لا يقول انا اذا قيل من بل يقول انا فلان ونحوه ولا يا غلام اي من وراء الاستار بان ينادي
احد غلمان صاحب الدار او عبيده في مقام الاظهار بل يحمد ويسبح اي ويذكر الله بالتهليل ونحوه ويتنحنح اي اذا كان له
معروفا بتنحنحه او ايماء بانه هناك من يريد دخوله ويعود للمريض فهو من جملة حقوق المسلم على المسلم ففي الصحيحين
من حديث ابي هريرة حق المسلم على المسلم خمس رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز واجابة الدعوة وتشميت
العاطس في ثياب نظيفة بل في بياض لطيفة لئلا يتوهم المريض من ثياب كثيفة انه خرج عليه لما رأى علامة الموت لديه
غير عابس اي في وجهه بل يدخل عليه ببشاشته تزيح صدره وتفرح امره ويجلس عند ركبة المريض اي اذا كان مضطجعا
ليقع نظر المريض على وجه زائره دون رأسه اي لا يجلس فوق رأسه لئلا يحوجه الى التكلف في توجهه اليه وتلفته
عليه ويضع اليد على جبهته او يده يعني على نبضه اذا كان له معرفة ببسط وقبض ويسأل اي عن غيره كيف هو اي
لئلا يكون تكليفا عليه في جوابه وهذا اذا كان مغلوبا في بابه والا فيقول كيف انتم وما حالكم او كيف تجدك ونحو ذلك
فهو السنة اي المروية عنه عليه السلام تمام عيادة المريض ان يضع احدكم يده على جبهته او يده ويسأله كيف هو
ولا يحدث اي عنده الا بما يسره اي بما لا يضره وما هو خير من الدعاء له ولنفسه فالملائكة يؤمنون عليه اي
يقولون فيه آمين فيكون علامة الاجابة في ذلك الحين ويبشره بطول العمر وسرعة الصحة اي وسهولة الامر
وبان المرض كفارة للسيئات او رفع للدرجات وانه انما يكون في قليل من الاوقات فينبغي الصبر عليه بل الشكر لديه فورد
واذا مرض العبد بعث الله تعالى اليه ملكين فقال انظرا ما يقول لعواده فان هو اذا جاؤه حمد الله واثنى عليه
رفعا ذلك الى الله وهو اعلم فيقول لعبدي علي ان انا توفيته ان ادخله الجنة وان انا شفيته ان ابدل له لحما
خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان اكفر عنه سيئاته مالك في الموطا من حديث عطا بن يسار ووصله ابن عبد البر
في التمهيد من رواية عن ابي سعيد الخدري وفيه عباد بن كثير الثقفي ضعيف الحديث وللبيهقي من حديث ابي هريرة
قال الله تعالى اذا ابتليت عبدي المؤمن فلم يشكني الى عواده اطلقته من اساري ثم ابدلته لحما خيرا من لحمه و
دما خيرا من دمه ثم يستانف العمل واسناده جيد ومن جملة اداب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى وعدم الضجر
والفزع الى الدعاء والتوكل بعد الدواء على خالق الداء والدواء وسائر الاشياء ويغتنم دعاءه اي المريض
فهو كدعاء الملئكة في كونه مستجابا وقد سبق كون دعاء المريض مجابا ويدعو له بالشفاء سبع مرات فيقول الشفاء

عيادة المريض

اغتنام دعاء المريض

ان لم يحضر اجله فلابي داود وغيره عن ابن عباس مرفوعا من عاد مريضا لم يحضر اجله فقال عنده سبع مرات اسال الله
العظيم رب العرش العظيم ان يشفيك الا عافاه الله من ذلك المرض ويغب فيها بعض اولم اي يعوده يوما بعد يوم
او وقتا دون وقت لما سبق من حديث زر غبا تزدد حبا وعن جابر رفعه اغبوا في العيادة واربعوا الا ان يكون
مغلوبا ابن ابي الدنيا وابو يعلي واسناده ضعيف وقال بعضهم عيادة المريض بعد ثلث وينبغي ان يخفف فيها وفي
ابن ابي الدنيا في كتاب المرض من حديث انس باسناد فيه جهالة عيادة المريض فواق ناقة ورواه البيهقي عنه بلفظ العيادة
فواق ناقة ورواه البيهقي عنه وقال طاوس افضل العيادة اخفها وهي مرة سنة عند الشافعي وفرض كفاية عندنا
والزيادة نفل واما ما في الاحياء من ان ابن عباس قال عيادة المريض مرة سنة فيحمل علي انه ثبوتها بالسنة واما الزيادة فمستحبة
والاجر الكثير عليها مرتبة وفي التعميم الكتابية والحسابية ان العيادة فيها الزيادة علي العيادة وقد تقدم
حديث اذا عاد المسلم اخاه او زاره ناداه مناد طبت وطاب ممشاك وتبوأت منزلا في الجنة الترمذي وابن
ماجه عن ابي هريرة وفي السنن الاربع والحاكم من حديث علي من اتي اخاه المسلم عائدا مشي في خرفة الجنة حتي يجلس فاذا
جلس غمرته الرحمة فان كان غدوة صلي عليه سبعون الف ملك حتي يمسي وان كان مساء صلي عليه سبعون الف ملك حتي
يصبح واللفظ لابن ماجه وصححه الحاكم وحسنه الترمذي ولمسلم من حديث ثوبان من عاد مريضا لم يزل في خرفة الجنة
وللحاكم والبيهقي من حديث جابر اذا عاد الرجل المريض خاض في الرحمة فاذا قعد عنده انغمس فيها وقال الحاكم صحيح علي
شرط مسلم وكذا صححه ابن عبد البر وذكره مالك في الموطا بلاغا بلفظ قرت فيه ورواه الواقدي بلفظ استقر
فيها وللطبراني في الاوسط من حديث انس فاذا قعد عنده غمرته الرحمة وله في الاوسط من حديث كعب بن مالك وعمرو بن الصغير
حزم استنقع فيها وورد النهي في عيادة صاحب الرمد بفتحتين اي وجع العين والرجل بالضم فالتشديد الميم المفتوحة
ووجع الضرس اي السن والجرب بفتحتين وهو الحكاك والعرق بالكسر الذي منسوب الي الحبشي المدينة اذ لم توجد غالبا
في القرية لان منشاها العفونة التي تبدو من الجماعة الكثيرة ويسمع اي العائد المحتضر اي الذي احتضره الموت
بعلامات الدالة علي الموت وهي سواد الظفر وبرودة الرجلين والتفافهما واعوجاج الانف وانفتاح العين
وانخفاض الصدغين كلمة التوحيد وهي لا اله الا الله فقد من كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة
وفي صحيح مسلم وغيره لقنوا موتاكم لا اله الا الله اي المشرفين علي الموت لحديث اقرؤا علي موتاكم يس احمد وغيره دون
الالحاح اي لا يلح علي المحتضر بان يقول لا اله الا الله بل يقول عنده ليسمعها وينتفع بها اذ لا يبعد ان حال الغلبة
والشدة يمتنع عن قبول الكلمة فيتوهم له سوء الخاتمة فنعوذ بالله من ذلك ثم ان المدار علي ايمان القلب هنالك وانما
يستحب النطق باللسان لانه ترجمان الجنان علي الخلاف في الاقرار انه شرط او شطر الايمان في اول دخول المسلم في سيد الله
الاحسان وايوان الايقان والله المستعان ويجمل تغطية وجه الميت اي بعد ربط حنكه ورجليه وتغميض عينيه
فان الميت اذا برد تلبس اعضاؤه وتوحش الواقه وتجهيزه اي غسله وما يتعلق به وتكفينه باطيب الثياب
بان يكون من وجه حلال لا يقع فيه العتاب والعقاب وابيضها للاحاديث وردت في هذا الباب كقوله عم البسوا الثياب

البيض

البيض فانها اطهر واطيب وكفنوا فيها موتاكم رواه احمد وغيره عن سمرة وفي رواية له عنه بلفظ
عليكم بالبياض من الثياب فليلبسها احياؤكم وكفنوا فيها موتاكم فانها من خيار ثيابكم وفي رواية
الدارقطني في الافراد عن انس خير ثيابكم البياض فالبسوها احياؤكم وكفنوا فيها موتاكم لا اكثرها قيمة بل
اوسطها المعتبر في جميع الاشيا ويعزي المصاب اي المبتلي بموت احد من الاقارب والاحباب وهي التعزية
المعبر عنها بالتسلية تسكين قلبه اي قلب المصاب بالموعظة اي بما وقع من الكتاب والاعلام بتحصيل الثواب حيث
قال تعالي وبشر الصابرين وانما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب وبان الجزع لا ينفع ويفوت به الاجر ويبقي
في مقام الحجاب ففي الترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود مرفوعا من عزي مصابا فله مثل اجره وللترمذي عن ابي
برزة ولفظه من عزي ثكلي كسي بردا يوم القيمة مصافحا اي لا معانقا كما يفعله عامة اهل مكة بالتواضع
اي باظهاره معه واظهار الحزن اشعارا بمشاركته له فيه وقلة التكلم اي بامور الدنيا وترك التبسم لانه دلالة
علي الغفلة عن احوال العقبي ويشهد له اي الميت بالخير اي باعمال الخير ظاهرا والايمان اي باطنا تحسينا
للظن بالمسلم ويدعو له عند الذكر اي عند ذكره فورد لا تذكروا موتاكم الا بخير ففي ابي داود وغيره ابن عمر
اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم ويشيع الجنائز ففي الصحيحين عن ابي هريرة من شيع جنازة
فله قيراط من الاجر فان وقف حتي يدفن فله قيراطان ولمسلم من حديث ثوبان القيراط مثل جبل احد ولما روي
ابو هريرة الحديث وسمعه ابن عمر قال فرطنا الي الان في قراريط كثيرة خاشعا اي حال كونه متلبسا بالخشوع والخضوع
متفكرا في الموت اي وفيما بعده وقبله من الفوت كان مكحول الدمشقي اذا راي جنازة قال اغدوا فانا رائحون
موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والاخر لا عقل له وخرج مالك بن دينار خلف جنازة اخيه و
هو يبكي ويقول والله لا تقر عيني حتي اعلم الي ما صرت ولا والله لا اعلم ما دمت حيا والاستعداد له اي للموت
لحديث كفي بالموت واعظا الطبراني عن عمار ولاحمد في الزهد كفي بالموت من هذا في الدنيا ومرغبا في الاخرة ولابن
السني عن انس كفي بالموت واعظا بالموت مع قائم متكلم اي من الحزن والملال واشتغال البال في امر المال قال
كنا نشهد الجنائز فلا ندري من نعزي لحزن القوم كلهم واما كلام الغزالي وان يمشي امام الجنازة بقربها
وملاحظة الميت فمذهب الشافعي والمختار عندنا ان يمشي ورآها فان الجنازة متبوعة لا تابعة كما رواه وملاحظة
الميت انما يتصور اذا كان وراءه وما فيه من الاشارة الي انه من السابقين وانا من اللاحقين ولانه ربما احتيج
الي مساعدة حمل الميت فهو في جانب اقرب ويصلي عليه اي صلاة الجنازة فهي فرض كفاية ويقرا الفاتحة عند
راسه اي بعد دفنه واول البقرة الي المفلحون عند رجليه ويدعو له اي بالرحمة والمغفرة او بالتثبيت في جواب
الملكين ويتبرك به من حيث انه خرج من الدنيا محل الفتنة والبلوي فقد نظر ابراهيم الزيات الي الناس
يترحمون علي ميت فقال لو ترحمون علي انفسكم لكان اولي انه نجا من اهوال ثلثة وجه ملك الموت قد راي
ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد امن ويجتهد اي المصلي ان يكون عدد المصلين اي علي جنازة

قريب اربعين اي لا اقل من ذلك وهو علامة قبول الاستشفاع اي لانه يبعد عن كرم الله ان لا يقبلها من هذه الجماعة
ولعله رواية والا ففي ابن ماجه عن ابي هريرة من صلى عليه مائة من المسلمين غفر له ولا يرجع اي من يحضر جنازة حتى
يفرغ من الدفن ليحوز بالقيراطين ويقعد اي لا يقف بعد وضع الجنازة اي لا قبله واختلف ان المراد بها وضعها
عن الرقاب او كما قال المص في القبر مخالفة لاهل الكتاب في هذا الامر ويتصدق الولي قبل مضي ليلة بشيء اي
من الصدقة او الحاجات اذ تيسر فان الميت كالغريق المتغوث يريد الخلاص والنجاة والا اي وان لم يتيسر التصدق
للحبس فيتصدق بالمثوبة وهو ان يصلي ركعتين بالفاتحة واية الكرسي اي لاجل حفظه من العذاب والتكاثر اي
وسورة الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر للاعتبار والتذكر وترك التفاخر عشرا اي عشر مرات في كل اي من الركعتين
وهب الثواب رجاء النجاة من العذاب ويسلم اي على صاحب القبر ويقف مستدبر القبلة اي ومستقبل الميت كما هو في
اداب السلام مع الانام ويجوز ان يجلس عنده حتى يستانس به وكان ابو الدرداء يقعد الى القبور فقيل له في
ذلك فقال اجلس الى قوم يذكرون في معادي وان قمت عنهم لم يغتابوني ويواظب اي الولي على الصدقة سبعة
ايام ويزور القبر اي قبر صاحبه او القبور دنيا ويابه الدعاء لاهله والرحمة والعبرة لنفسه فزوروا
القبور فانها تذكر الاخرة وفي رواية ابن ماجه عن ابي هريرة فانها تذكركم الاخرة وتدمع العين وترق القلب
وفي رواية الحاكم عن انس كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها فانها ترق القلب وتدمع العين وتذكر
الآخرة ولا تقولوا هجرا وفي رواية ابن ماجه عن ابن مسعود فانها تزهد في الدنيا وتذكر الاخرة من لم يانس اي
وورد ايضا من لم يانس للمقابر والبلى اي النفت في عالم البلاء حتى قيل من ازهد الناس ظرف لورد المقدر
فقد روي في رواية البيهقي عن الضحاك مرسلا ازهد الناس من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا واثر
ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه في الموتى وفي رواية الترمذي وغيره عن اسماء بنت عميس بئس
العبد عبد تخيل واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى بئس العبد
عبد سها ولها ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتا وطغى ونسي المبدأ والمنتهى بئس العبد عبد يختل الدنيا
بالدين اي يطلب بئس العبد عبد يختل الدين بالشبهات بئس العبد عبد طمع يقوده بئس العبد عبد هوى يضله
بئس العبد عبد رغب يذله وللحاصل ان الحق من زيارة القبور للزائر الاعتبار بهذا البلاء وللمزور الانتفاع
بالدعاء وعن عمر بن عبد العزيز انه دخل عليه فقيه متعجب من تغير صورة الخليفة لكثرة الجهد والعبادة فقال عمر
للفقيه لو رايتني بعد الصديد ثلثة ايام وقد ادخلت في قبري وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين
تقلصت الشفتان وخرج الصديد من الفم ونتن البطن على الصدر وانفتح الفم وخرج الدود والصديد من
المناخر لرايت اعجب مما تراه الان ويقرا القران ما تيسر ففي صحيح مسلم عن ابي امامة الباهلي اقرؤا القران فانه ياتي
يوم القيمة شفيعا لاصحابه ثم يسبح ويدعوا اي بالرحمة والمغفرة لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات فان الاذكار كلها
نافعة له في تلك الدار وعن حاتم الاصم من مر بالمقابر ولم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وقال

التصدق على الميت

سفيان من اكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النيران وورد قراءة
يس في الشافعي اي في الاحاديث المشهورة او الروايات الماثورة فقد تقدم حديث اقرؤا على موتاكم يس وحمله الجمهور على ان
المراد بالموتى المشرفون على الموت ولا يبعد حمله على حقيقته واما الجمع بين الحقيقة والمجاز فلا يجوز عندنا خلافا للشافعي
والاخلاص سبعا اي سبع مرات لو عدم مغفرة الميت والقارئ اذ عم الميت اي ان كان الميت مغفورا او لم اجد له اصلا
والمشهور انه يقرا ثلاث مرات لانه بمنزلة ختم القران بجميع الاثار ففي مسند احمد وغيره عن ابي من قرا قل هو الله احد فكانما
قرا ثلث القران وفي رواية العقيلي عن رجاء الغنوي من قرا قل هو الله احد ثلث مرات فكانما قرا القران اجمع وفي رواية
لاحمد عن معاذ بن انس من قرا قل هو الله احد عشر مرات بنى الله له قصرا في الجنة ويعين لها اي لزيارة القبور
يوم الخميس والجمعة ففي رواية ابن عدي عن ابي بكر من زار قبر والديه او احدهما يوم الجمعة فقرا عنده يس غفر له
والسبت اي لقربه الى الجمعة والاثنين وانها ايام فواضل وللعبادة فيها زيادة فضائل فالموتى يعلمون زوارهم
فيها اي زيادة علمهم بها ولا يطاوه اي لا يدوس القبر ولا يقعد عليه فللخطيب عن ابي هريرة لان اطا على جمرة احب
الي من ان اطا على قبره ولا يمس اي القبر ولا التابوت ولا الجدار لورود النهي اي عن مثل ذلك بقبره ص فكيف بقبور سائر
الانام ولا يقبل فانه زيادة على المس فهو اولى بالنهي فالتقبيل مختص بالحجر الاسود وبايدي الانبياء والعلماء
والصلحاء ويبر الوالدين اي يحسن اليهما فانه خير الدارين قال الله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وفي قراءة
احسانا فالعقوق اي مخالفة احدهما على وجه لا يحتمل لهما من الكبائر وقلة الادب معهما من الصغائر وقد سئل ص
عن الكبائر فقال الشرك بالله وعقوق الوالدين الحديث وقال عز وعلا وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه و
بالوالدين احسانا وللطبراني في الصغير من حديث ابي هريرة ان الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام لا يجد
ريحها عاق لا سيما الام لورود برها ضعفان على الوالد اي على حقه كذا في الاحياء وقال الطرطوسي غريب بهذا اللفظ
وقد ورد في معناه حديث بهز بن حكيم عن ابيه عن جده من ابر قال امك ثم امك ثم امك ثم اباك ثم الاقرب فالاقرب ابو
داود والترمذي والحاكم وصححه وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة قال رجل من احب الناس بحسن الصحبة قال امك ثم امك
ثم اباك ولعله اقتبس من قوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلثون شهرا فان مشقة الحمل والوضع والفطام
من زيادة حق الوالدة مع ما لها من كمال الشفقة والمرحمة بهذا وللنسائي من حديث طارق المحاربي واحمد والحاكم من حديث ابي رمثة
بر امك واباك واختك واخاك ثم ادناك فادناك مقدما حال من فاعل يبر على الندب اي الواجبات اي الفرائض العينية
من العبادات لو المراد بما ورد بر الوالدين افضل من الصلوة والصوم والحج والعمرة والجهاد اي اذا كانت هذه الطاعات نوافل
ولا يبعد ان يراد به المبالغة او يراد به من حيث انه من حقوق العباد المستلزم لحق الله سبحانه افضل من مجرد حقوق الله
تعالى فان العفو في ترك حقوق الرب اقرب ويؤيده ما في الاحياء من ان الله اوحى الى موسى عليه السلام يا موسى انه من بر
والديه وعقني كتبته بارا ومن برني وعق والديه كتبته عاقا وما حديث المتن فكذا في الاحياء وقال الطرطوسي لم اجده
هكذا وروى ابو يعلى والطبراني في الصغير والاوسط من حديث انس اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني اشتهي الجهاد

ولا اقدر عليه قال هل بقي من والديك احد قال امي قال فجاهد في برها فاذا فعلت ذلك فانت حاج ومعتمر ومجاهد
واسناده حسن واستاذن للدخول عليهما اي ادبا باسمهما حال حيوتهما ويستغفر لهما اي بعد مماتهما وينفذ بعهودهما ووصاياهما
بل يقضي حقوقهما ولو من غير عهدهما ويكرم اصدقائهما فورد اي في صحيح مسلم من حديث ابن عمر ان من ابر البر اي من افضل
الاحسان واكمل الامتنان بالنسبة الى الوالدين للانسان ان يصل الرجل اي الشخص اهل ود اهل وداييه بعد ان يولي
الاب اي في غيبته سواء كان في حال حيوته او موته وكذا حكم الوالدة بل هي اولى كما لا يخفى فروى ابو داود وابن
ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد عن مالك بن ربيعة قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه
رجل من بني سلمة فقال هل بقي علي من بر والدي شيء ابرهما بعد وفاتهما قال نعم الصلوة عليهما والاستغفار لهما و
انفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما ويتصدق لهما لحديث الطبراني في الاوسط على احد اذا
اراد ان يتصدق بصدقة ان يجعلها لوالديه فيكون لوالديه اجرها ويكون له مثل اجورهما من غير ان ينقص من اجورهما
شيء ويزورهما حيا وميتا واقله في كل جمعة مرة فورد من زار قبر ابويه او احدهما في كل جمعة اي بخصوصها
وهو الافضل لتضاعف الحسنة فيه بسبعين مرة او في كل اسبوع غفر له وكتب برا لحكيم الترمذي عن ابي هريرة ويقطع
لسان السفيه عنهما بماله فهو من البر اي في حقهم وحقهما ففي رواية العسكري والقضاعي عن جابر مرفوعا وفي
٢ المرء عرضه فهو له صدقة ويقدم حق المعلم اي العلوم الشرعية على حقهما فان حقهما من الامور الفرعية فهو اي المعلم حق المعلم
سبب حيوة الروح اي في الابد وهما سبب ايجاد الجسد في دار النكد والكبد ولا يقرع باب داره بل يقف كالعبد
في انتظاره فروى الشيخ في قوم كالنبي في امته فورد اي في التنزيل ولو انهم اي المؤمنين الذين اتوا النبي صلى الله عليه وسلم
صبروا اي من غير خطاب ولا دق باب حتى تخرج اليهم وقت ذهاب او اياب لكان خيرا لهم في كثرة ثواب
وحسن ماب ويصل الرحم بما امكن من عطاء وزيارة ودعاء وكذا ما يعرض من هناء وعزاء فورد من كان يؤمن صلة الرحم
بالله واليوم الاخر فليصل رحمه لم احداسه وفي الصحيحين من حديث عائشة عنه عليه السلام يقول الله تعالى انا الرحمن وهذه
الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته اي قطعته البتة وفيهما من حديث انس من سره ان ينسا له
في اثره اي يؤخر في اجله ويوسع له في رزقه فليصل رحمه وزاد احمد والحاكم باسناد جيد من حديث علي فليتق الله
وليصل رحمه ولاحمد والطبراني من حديث درة بنت ابي لهب باسناد حسن انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس افضل
قال اتقاهم لله واوصلهم للرحم وامرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر وللطبراني والبيهقي من حديث عبد الله بن عمرو
ان الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافي ولكن الواصل الذي اذا قطعت رحمه وصلها وهو عند البخاري
دون قوله الرحم معلقة بالعرش فرواها مسلم من حديث عائشة ولاحمد من حديث معاذ وللطبراني من حديث ابي امامة
افضل الفضائل ان يصل من قطعك ويعطي من حرمك ويصفح عمن ظلمك وقالت اسماء بنت ابي بكر قدمت علي امي فقلت
يا رسول الله ان امي قدمت علي وهي مشركة فاصلها قال نعم صليها رواه الشيخان وفي رواية افاعطيها قال نعم صليها
وهو مقتبس من قوله تعالى وصاحبهما في الدنيا معروفا وللترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه من حديث سلمان بن عامر الضبي

الصدقة

الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم صدقة وصلة بلوا اي وردوا وبلوا وهو بضم الباء واللام المشددة اي
جددوا وفي رواية صلوا ارحامكم ولو بالسلام اي مشافهة او مكاتبة والحديث رواه العسكري من حديث انس مرفوعا
قيل يكره جوار القريب اي مجاورته وكذا مسافرته فهو يورث الحرمة ويورث القطيعة اي بسبب الملالة كما قيل في كراهة
مجاورة مكة والمدينة انها سبب قلة الحشمة والعظمة وعن عمر رضي الله عنه انه كتب الى عماله مروا الاقارب ان يتزاوروا ولا
يتجاوروا ونظره انه كان يقول في الحج يا اهل اليمن يمنكم ويا اهل العراق عراقكم ويا اهل الشام شامكم وزر غبا
اي لتزداد حبا ويراعي حق الكبير من الاخ والاخت والعم والعمة والخال والخالة كحق الابوين وللصغير اي منهم كالولد و
المساكين كالاخ ويشتريه اي قريبه مملوكا ليعتقه اي لاجل ان يعتقه او ليعتق عليه اذا كان من ذي رحم محرم منه كما هو مذهبنا
لا سيما الوالدين فهو قضاء حقهما وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة لن يجزي ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه اي بان ينوي
عتقه او يصير سبب العتق ويبالغ في استرضاء الجار فضيل الجار ثم الدار واستنبط هذه النكتة من قوله امرأة فرعون
اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فورد اي في الصحيحين عن عائشة وابن عمر ما زال جبريل يوصيني في الجار اي
بالاحسان في حقه بالمال وغيره حتى ظننت انه اي الجار سيورثه اي الجار الاخر وفيهما عن ابي شريح من كان يؤمن بالله
واليوم الاخر فليكرم جاره وللبخاري عنه لا يؤمن عبد حتى يامن جاره بوائقه وللبزار وابي الشيخ وابي نعيم عن جابر
الجيران ثلثة جار له حق وجار له حقان وجار له ثلثة حقوق فالجار الذي له ثلثة حقوق هو الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار
وحق الاسلام وحق الرحم واما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام واما الذي له حق واحد فالجار المشرك
اقول لعل حقه اقوى من غيره لانه لا يسامح في تقصيره وكان هذا هو الموجب فيما نقله اني كنت عند عبد الله بن عمر وغلام
له يسلخ شاة فقال يا غلام اذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا فقال ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا انه سيورثه رواه ابو داود والترمذي وقال حسن غريب
ولاحمد والحاكم وصححه من حديث ابي هريرة انه قيل له عليه السلام ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها
فقال هي في النار وللخرائطي وابن عدي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده اتدرون ما حق الجار ان استعان بك اعنته
وان استقرضك اقرضته وان افتقر عدت عليه وان مرض عدته وان مات شيعت جنازته وان اصابه خير هنأته وان اصابته
مصيبة عزيته ولا يستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه وان اشتريت فاكهة فاهد له فان لم تفعل فادخلها
سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا ان تغرف له منها اتدرون ما حق الجار والذي
نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله وقال ابو ذر اوصاني خليلي عليه السلام وقال اذا طبخت فاكثر المرق ثم انظر اهل
بيت من جيرانك فاغرف لهم منها رواه مسلم وعن ابي هريرة مرفوعا يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة
رواه البخاري وجملته ان يحب له ما يحب لنفسه فقد حكي ان بعضهم شكى كثرة الفار في داره فقيل لو اقتنيت هرا
فقال اخشى ان يسمع صوت الهر فيهرب منه الى دار الجار فاكون قد احببت له ما لا احب لنفسي يمن الدار اي وورد بركته
سعته اي وسعته بقدر كفايته وحسن جوار اهله اي مجاورته والحديث اخرجه مسلم من حديث ابن عمر الشوم في الدار والمرأة

والفرس قيل فيمن الدار سعتها وحسن جوار اهله وشوم ضيقها وسوء جوار اهله وشوم المراة عقم رحمها وسوء خلقها
ويمنها خفة مهرها وتيسر نكاحها وحسن خلقها ويمن الفرس ذله وحسن خلقه وشوم صعوبته وسوء خلقه والدمياطي
من رواية سالم بن عبد الله مرسلا اذا كان الفرس ضروبا فهو مشوم واذا كانت المراة قد عرفت زوجا قبل زوجها فحنت الى الزوج
الاول فهو مشومة واذا كانت الدار بعيدة من المسجد لا يسمع منها الاذان والاقامة فهي مشومة واسناده ضعيف وصله
صاحب الفردوس بذكر ابن عمر وهذا ينافي ما ورد من قوله تعالى ونكتب ما قدموا واثارهم وقوله عم يا بني سلمة دياركم
دياركم يكتب اثاركم فانه محمول على ان الاجر على قدر المشقة فهي بهذا الاعتبار مباركة ومقبولة وورد في حد
اربعون دارا فعن الزهري مرسلا ان رجلا اتى النبي صلى الله عم يشكو جاره فامره عم ان ينادي على باب المسجد الا
ان اربعين دارا جار ابو داود في مراسيله قال الزهري اربعون هكذا واربعون هكذا واربعون هكذا واربعون
هكذا واومي الى اربع جهات ووصله الطبراني من رواية الزهري عن ابن كعب بن مالك عن ابيه ورواه ابو يعلى
من حديث ابي هريرة وقال اربعون ذراعا وكلاهما ضعيف وروي واربعون في كل جهة وهذا قد علم
مما تقدم فكانه يشير الى ما قيل من المراد باربعين في مجموع الجهات بان يكون عشرة في كل جهة وعن عايشة قلت
يا رسول الله ان لي جارين احدهما مقبل ببابه والاخر ناء ببابه عني وربما كان الذي عندي لا يسعهما فايهما اعظم حقا
قال المقبل عليك ببابه رواه البخاري ففيه تنبيه الى مراعاة الاقرب كما يشير اليه قوله تعالى والجار ذي القربى
والجار الجنب وعن ابن مسعود قال رجل يا رسول الله كيف لي ان اعلم اذا احسنت او اسات قال اذا سمعت
جيرانك يقولون قد احسنت فقد احسنت واذا سمعت جيرانك يقولون قد اسات فقد اسات احمد والطبراني
باسناد جيد ولاحمد وغيره عنه عم من اراد الله به خيرا عسله قال يحببه الى جيرانه وفي رواية البيهقي يفتح له عملا
صالحا قبل موته حتى يرضى عنه من حوله واسناده جيد وبحجز عن النظر الى بيته بان لا يطلع من السطح وغيره على عوراته
وان اطلع من غير قصد فيصفح عن ذلك واجراء الميزاب اليه يكون ضررا لانصباب الماء عليه ووضع السارية اي الاسطوانة
على حائطه اي جداره ففي الصحيحين عن ابي هريرة لا يمنعن احدكم جاره ان يغرز خشبة في جداره وفي مكارم
الاخلاق للخرائطي عن ابي هريرة قضى عم ان الجار يضع جذعه في حائط جاره شاء ام ابى واسناده جيد
والمضايقة في القاء التراب اي ونحوه من الرماد وغيره بين يدي داره ولا يمنع عنه الريح برفع البناء وكذا الضوء
بسد الهواء ولا نحو الملح والماء والنار فان منعها مطلقا من العار فكيف من الجار ويرسل اليه ثمرة اي فاكهة يشتريها
او يخفيها بان لا يبديها لانه اذا راها ربما يشتهيها ولم يكن قادرا على ان يشتريها ولا يبلغه اي لا يوصل ريح القدر
اي غليانه ودخانه الا ان يرسل اليه ولا فيقال في حقه احسان ما يا ينادخانه يعمينا ويسا يحنا ما اكمه اي من نصيبه لانه
لانه ليس حق الجار مجرد كف الاذي بل احتمال الاذي ولا يكفي احتمال الاذي بل لا بد من الرفق وبذل الندي وحسن المعاشرة
مع المراة بحسن الخلق معهن وتحمل الاذي عنهن ترحما عليهن لقصور عقلهن فورد اي القران وعاشروهن بالمعروف تمامه فان
كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وفي اية اخرى فامساك بمعروف او تسريح باحسان وفي اخرى

ولهن مثل الذي

حسن المعاشرة من حقوق الزوجية

ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وعن ابن عباس اني احب ان اتزين لامراتي كما تحب امراتي ان تتزين لي لهذه الاية من صبر
اي وورد من صبر على سوء خلق امراته اعطاه الله من الاجر مثل ما اعطى ايوب على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها اعطاها
الله ثواب اسية امراة فرعون كذا في الاحيا وقال مخرجه لم اجد له اصلا قلت ومما يدل على عدم ثبوته فقد الملايمة بين الفقرتين
فان امراة ايوب كانت من الصالحات والصابرات على المشقات فحسن المقابلة ان يقال مثل ما اعطى نوح او لوط على بلائه اي ابتلائه
بامراته فيكون مشيرا الى قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما
اي بالكفر فلم يغنيا عنهما لان حرم الانبياء مصونة عن الزنا الى ان قال وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون الاية
وقد ورد عنه عم اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله الترمذي والنسائي والحاكم وصححه والترمذي من حديث
عايشة وصحح خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلي ثم ليس حسن الخلق معها مجرد كف الاذي عنها بل تحمل الاذي منها والحلم عند
طيشها وغضبها وفيه ادبها اقتداء به عم فان ازواجه كن يراجعنه في الكلام وتهجره الواحدة منهن الى الليل كما في الصحيحين
من حديث عمر في الحديث الطويل في قوله تعالى وان تظاهرا عليه اي حفصة وعايشة وفي رواية ابي يعلى في مسنده وابي الشيخ في كتاب
الامثال وفيه ابن اسحق وقد عنعنه قالت عايشة له مرة في كلام غضبت عنده انت الذي تزعم انك نبي الله فتبسم رسول الله
صلى الله عم واحتمل ذلك حلما وكرما اقول وهذا العلم عم بانها ما اخرجت هذا الكلام من السلام لما اطلعه الله سبحانه
من علم الغيب في الاحكام والالفاظ من ردة [illegible] له من غيرها الحكم بكفرها وكان عم يقول لها اني لاعرف غضبك
(ردة لو صدر)
على من رضاك قالت وكيف تعرف قال اذا رضيت قلت لا ورب محمد واذا غضبت قلت لا ورب ابراهيم فقلت صدقت انما
اهجر اسمك وراجعت امراة عمر عمر في الكلام فقال اوتراجعيني فقالت ان ازواج رسول الله صلى الله عم تراجعنه فقال خابت
حفصة وخسرت ان راجعته ثم قال لحفصة لا تغتري بابنة ابن ابي قحافة فانها حب رسول الله صلى الله عم وروي انه
دفعت احديهن في صدر رسول الله صلى الله عم فزبرتها امها فقال عم دعيها فانهن يصنعن اكثر من ذلك وينبسط
لعبا ومزاحا فانه يوجب اصلاحها ويمنعه فلا حاجة في ردي خطابا للجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك
وفي سنة تداعبها وتداعبك وكان عم يمزح معهن وينزل الى درجة عقولهن حتى روي انه عم كان يسابق عايشة في العدو
فسبقته يوما وسبقها في بعض الايام فقال عم هذه بتلك ابو داود والنسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث عايشة بسند صحيح
وقالت عايشة سمعت اصوات اناس من الحبشة وغيرهم يلعبون في يوم عيد فقال لي اتحبين ان تري لعبهم قالت قلت
نعم فارسل اليهم فجاؤا وقام عم بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده فجعلت ذقني على يده وجعلوا يلعبون
وانظر وجعل رسول الله صلى الله عم يقول حسبك يا حميرا واقول لا تعجل مرتين والحديث رواه الشيخان والنسائي مع
اختلاف في بعض الالفاظ وقال عمر رضي مع خشونته ينبغي للرجل ان يكون في اهله كالصبي فاذا التمسوا ما عنده وجد
رجلا وكذا روي عن لقمان ووصفت اعرابية زوجها وقد مات فقالت كان ضحوكا اذا ولج سكوتا اذا خرج اكلا ما وجد
غير سائل عما فقد ولا يدع الانقباض اي بالمراة حتى لا يصير حكم المراة واسير الهاني الحرم فكانت نساء العرب
يعلمن بناتهن اختبار ازواجهن وتقول اختبري زوجك قبل الاقدام والجراة عليه انزعي زج رمحه فان سكت

سهام

تقطعي اللحم علي ترسه فان سكت فكسر العظام بسيفه فان صبر فاجعلي الاكاف علي ظهره فانما هو حمار لكي في امره طول عمره
هذا وفي البخاري عن ابي بكرة انه لن يفلح قوم ملكوا امرهم امراة وروي ان اسماء بنت خارجة الفزاري قال لابنته عند زفافها
انك خرجت من العش الذي فيه درجت وصرت الي فراش لم تعرفيه وقرين لم تالفيه فكوني له ارضا يكون لك سماء وكوني
له مهادا يكن لك عمادا وكوني له امة يكن لك عبدا لا تلحفي به فيقلاك ولا تتباعدي عنه فينساك ان دنا فاقربي
منه وان نأي فابعدي عنه واحفظي انفه وسمعه وعينيه لا يشم منك الا طيبا ولا يسمع منك الا حسنا ولا ينظر منك الا جميلا
وقال رجل لزوجته • شعر • خذي العفو مني تستديمي مودتي • ولا تنطقي في سورتي حين اغضب • ولا تنقريني نقرة الدف
مرة • فانك لا تدرين الخروج • ويعصي الرجل منهما في تلك الحال • ويعدل بين النساء في البيوتة اي في بيت الليل عند من
والاعطاء اي من نفقتهن وكسوتهن فلا يميل الي بعض دون غيرهن حتي لو خرج الي سفر واراد استصحاب واحدة منهن اقرع
بينهن كذلك كان يفعل عم كما في الصحيحين عن عايشة وذلك لقوله تعالي ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء اي كمال العدل
ولو حرصتم اي من طريق الفضل فلا تميلوا كل الميل اي الي واحدة دون اخري فتذروها كالمعلقة بين المزوجة والمطلقة
وورد في المائل اي في قسم جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل اصحاب السنن وابن حبان من حديث ابي هريرة مرفوعا من كانت
له امراتان فمال الي احديهما دون الاخري وفي رواية فمال مع احديهما وفي الاخري فلم يعدل بينهما جاء يوم القيمة واحد شقيه
مائل اي ساقط بخلاف المباشرة استثناء معنوي من البيتوتة والاعطاء اي لكن المجامعة بل الملامسة والملاعبة والمحبة
اي التي يتفرع عليها غالب اسبابه اللازمة فلا اختيار فيهما اي طبعا فلا حرج في عدم العدل فيهما شرعا وورد انه عم
انه كان يعدل بينهن ويقول اللهم هذا اي الذي فعلته من القسم جهدي بالضم الطاقة وبالفتح المشقة اي غاية اجتهادي
فيما املك اي من العدل بينهن ولا طاقة فيما لا املك اي من زيادة المحبة او المجامعة الي بعضهن بعد القسم ظرف لورد اي قال
بعد الكلام بعد القسم والحديث رواه اصحاب السنن وابن حبان من حديث عايشة انه عم يعدل بينهن ويقول اللهم هذا
جهدي فيما املك ولا طاقة لي فيما تملك ولا املك ولابن سعد في الطبقات من رواية محمد بن علي بن الحسين ان النبي عم
كان يحمل في ثوب يطاف به علي نسائه وهو مريض يقسم بينهن وفي مرسل اخر انه لما ثقل عم قال اين انا غدا قالوا عند فلانة
قال فاين انا بعد غد قالوا عند فلانة فعرف ازواجه انه يريد عايشة الحديث وفي البخاري من حديث عايشة كان
يسال في مرضه الذي مات فيه اين انا غدا اين انا غدا يريد عايشة فاذن له ازواجه ان يكون حيث شاء وفي
الصحيحين لما ثقل استاذن ازواجه ان يمرض في بيتي فاذن له بهذا وقال تعالي وان امراة خافت من بعلها نشوزا
او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير ولابي داود من حديث عايشة قالت سودة رضها وهي بنت
زمعة حين اسنت وفرقت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله يومي لعايشة الحديث وللطبراني فارادت
يفارقها وهو عند البخاري بلفظ لما ان كبرت سودة وهبت يومها لعايشة فكان يقسم لها يوم سودة وللبيهقي مرسلا
طلق سودة فقالت اريد ان احشر في ازواجك الحديث ثم انه عم مع حسن عدله وقوة فضله كان اذا تاقت نفسه الي
واحدة من نسائه في غير يومها جامعها ثم طاف علي نسوة ذلك اليوم وليلته علي سائر نسائه فمن ذلك ما في الصحيحين عن عايشة

طاف علي نسائه في ليلة واحدة وللبخاري كان يطوف علي نسائه في ليلة واحدة وله تسع نسوة ولابن عدي في الكامل
عن انس رضه انه عليه السلام طاف علي تسع نسوة في ضحوة نهار قيل وهذا من خصوصياته عم ولو وقع الخصوم اي المخالفة
من الجانبين اي جانبي الزوجين او جانبه اي الرجل وحده ولا تلتئم خصومتهما ولا يجتمع امرهما فلا بد من حكمين
من اهله واهلها لوروده في القران ان يريدا اصلاحا الاية وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها
ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما والضمير يريدا الي الزوجين كضمير بينهما او الاول الي الحكمين والثاني الي الزوجين
وروي ان عمر رضه بعث حكما الي زوجين فعادا ولم يصلحا امرهما فعلاهما بالدرة وقال الا ان الله تعالي يقول ان يريدا
اصلاحا يوفق الله بينهما فعادا واحسنا النية وتلطفا في القضية فاصلح ما بينهما وقد جرى بينه عم وبين عايشة
نوع من الكلام حتي ادخلا بينهما ابا بكر حكما فاستشهده عم فقال لها عم تكلمين او اتكلم فقالت تكلم انت ولا تقول الا حقا
فلطمها ابو بكر حتي دمي فمها فقال يا عدية نفسها او يقول غير الحق فاستجارت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره
فقال عم لم ندعك لهذا ولم نرد هذا منك وان كان اي النشوز من جانبها اي المراة فقط فقد قال تعالي وللرجال عليهن
درجة وقال الرجال قوامون علي النساء بما فضل الله بعضهم علي بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات
حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم
فلا تبغوا عليهن سبيلا وهذا معني قوله يعظ الزوج اي ينصحها ويلاطف معها اولا لقوله تعالي ادع الي سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة ثم يخوف اي يحذر المراة من الضرب ونحوه ثم يستدبر في الفراش بان يدير لها ظهره في المضجع ثم يعتزلها
اي ينفرد بعزلته عنها دون البيت اي من غير ان يخرج هو وهي من البيت ثم يهاجر اي يهجرها وهو مع ذلك في البيت معها
ثلثة ايام اي من ليلة الي ثلث ليال وجاء اي ورد انه جاز ان يهجرها عشرا او عشرين وشهرا ان كان للدين كترك
الصلوة وغسل الجنابة واباء فراش ونحوها فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ارسل بهدية الي زينب فردتها عليه فقالت لم
التي هو في بيتها لقد اقمأتك اذ ردت عليك هديتك اي اذلتك عليك واستصغرتك فقال عم انتن اهون علي الله
ان تقمئني ثم غضب عليهن كلهن شهرا الي ان عاد اليهن كذا في الاحياء وذكره ابن الجوزي بغير اسناد في الوفاء وفي الصحيحين
من حديث عمر كان اقسم ان لا يدخل عليهن وفي رواية الي من نسائه شهرا ولمسلم من حديث جابر ثم اعتزلهن شهرا ثم يضرب اي
المراة ضربا غير جارح ولا كاسر لعظم ولا ملطخ بدم ولا علي وجه ايضا لورود فيه اي في بيان هذا الحكم من امره
ونهيه عنه عم وقد قيل له ما حق المراة علي الرجل فقال ان يطعمها اذا طعم ويكسوها اذا اكتسي ولا يقبح الوجه ولا يضرب
الا ضربا غير مبرح اي غير مدم ولا يهجر الا في البيت ابو داود والنسائي في الكبري وابن ماجه من رواية معاوية
بن حيدة وقال ولا يضرب الوجه ولا يقبح لا يقول اقبحك الله وجهك وفي رواية لابي داود ولا يقبح الوجه
ولا يضرب ولا يطلق اي من غير احتياج الي اختيار الفراق لورود ابغض المباحات عند الله الطلاق رواه ابو داود
وابن ماجه والحاكم في مستدركه عن ابن عمر ولفظه ابغض الحلال الي الله الطلاق وفي رواية للحاكم ما احل الله شيئا
ابغض اليه من الطلاق وعند الديلمي من حديث معاذ بن جبل ان الله يبغض الطلاق ويحب العتاق وفي رواية له ما احل الله

حلالا احب اليه من النكاح ولا احل حلالا اكره اليه من الطلاق قد يقال المباح ما استوى فعله وتركه فلا يتصور ان يكون
احدهما مبغوضا فلا بد من التجوز في المباح بارادة ما يشمل المكروه ففي الكافي ان الطلاق محظور في اصله مباح نظرا
الى الحاجة فاطلاق المباح نظرا الى الحاجة والوصف بالمبغوضية نظرا الى اصله انتهى وحاصله انه عند الحاجة مباح وعند غيرها
مكروه ونظيره السؤال عن الناس فانه يحرم باصله ويباح عند الضرورة الى قوته ولانه اي الطلاق ايذاء اي في مقام الافتراق
ولا يباح ايذاء الغير الا لضرورة منه اي من جانبه او جناية منها اي من جانبها بان كانت تؤذي زوجها او اهله او تكون
سيئة في خلقها او فاسقة في دينها والا فقد قال تعالى فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا او امر الاب اي ولاجل امر
ابي الزوج به اي بطلاقها فيهان صح الغرض اي غرض الاب ولا يكون عن حظ النفس والغضب وهو ماخوذ رأيا مروي
عن ابن عمر انه قال كان تحتي امرأة احبها وكان ابي يكرهها وبامرني بطلاقها فراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن
عمر طلق امرأتك اخرجه اصحاب السنن قال الترمذي حسن صحيح وورد فلا جناح عليهما الآية وتمامها فان خفتم الا يقيما حدود الله
فلا جناح عليهما فيما افتدت به ببذل مال ويكره للرجال ان يأخذ منها اكثر مما اعطاها فان ذلك اجحاف بها وتحامل عليها
وتجارة على بضعها الطلاق بالفداء دما اخذه من العطاء فطلق اي لها في طهر خال عن الجماع فان الطلاق في الحيض
والطهر الذي جامعها فيه سواء بدعي حرام وان كان واقعا لما فيه من تطويل العدة وتحصيل المضرة فان فعل ذلك
فليراجعها فقد طلق ابن عمر امرأته في الحيض فقال عليه السلام لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء طلقها
وان شاء امسكها فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النساء وانما امره بالصبر بعد الرجعة من طهرين لئلا تكون مقصودا
لرجعة الطلاق فقط كذا في الاحياء وهو موافق لمذهب الشافعي ان الخلع فسخ او طلاق رجعي واما على مذهبنا انه طلاق
بائن فلا يمكن ان يراجعها وانما يراجعها اذا كان الطلاق رجعيا واما حديث ابن عمر فمحمول على الطلاق الرجعي واحدة
فقط اي يقتصر على طلقة واحدة ولا يجمع بين الثلث فانه طلاق بدعي ايضا وهو حرام عندنا ومكروه عند الشافعي
ولان الطلقة الواحدة تفيد المقصود من المفارقة ويستفيد بها الرجعة ان ندم في العدة وتجديد النكاح ان
اراد بعد العدة واذا طلق ثلثا ربما ندم فيحتاج الى ان يتزوجها محلل والى الصبر مدة وعقد المحلل منهي عنه
مكروه فيه ويكون هو الساعي لم ثم يكون قلبه معلقا بزوجة الغير وبطلقته اعني زوجة المحلل بعد ان
زوجه منه فيورث كل ذلك تنفيرا من الزوج وكل ذلك ثمرة الجمع بين الطلقات الثلث بلا تعنيف واستخفاف
اي ينبغي ان يتلطف في التعلل لتطليقها ولا يستعجل في امر تفريقها وبستر بهدية اي ويخفي بارسال هدية
على سبيل المتعة في القضية جبرا للمصيبة اي لما اصابها من البلية وقد قال تعالى ومتعوهن بالمعروف
وذلك واجب في بعض الصور ومستحب في بعضها وفي الكتب الفقهية يذكر تفصيلها وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما
مطلاقا ومنكاحا قائلا اي وجد الغنى فيهما حيث قال سبحانه ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال
وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وقد وجه ذات يوم بعض اصحابه بطلاق امرأتين من نسائه وقال
قل لهما اعتدا وادفع الى كل واحدة عشرة آلاف درهم ففعل فلما رجع اليه قال ماذا فعلتا فقال اما احديهما

فسكتت

فسكتت ونكست رأسها واما الاخرى فبكت وانتحبت وسمعتها تقول متاع قليل من حبيب مفارق فاطرق الحسن
ورحمها وقال لو كنت مراجعا امرأة بعدما فارقتها لراجعتها ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحارث بن
هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له في المدينة نظير وبه ضربت المثل عائشة رضي الله عنها حيث قالت لو لم اسر مسيري
ذلك لكان احب الي من ان يكون لي ستة عشر ذكرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحارث فدخل الحسن
في بيته فعظمه عبد الرحمن واجلسه واكرمه فقال الا ارسلت الي فكنت اتيك فقال الحاجة لنا فقال وما هي قال
جئتك خاطبا ابنتك فاطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه فقال والله ما على وجه الارض احد يمشي عليها اعز علي منك
ولكن تعلم ان ابنتي بضعة مني وانت مطلاق واخاف ان تطلقها وان فعلت خشيت ان يتغير قلبي في محبتك واكره
ان يتغير قلبي عليك لانك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان شرطت ان لا تطلقها زوجتك فسكت الحسن وقام وخرج
فقال بعض اهل بيته سمعته وهو يمشي يقول ما اراد عبد الرحمن الا ان يجعل ابنته طوقا في عنقي فكان علي رضي الله عنه
يضجر من كثرة تطليقه وكان يعتذر منه على المنبر الى ان قال في خطبته ان حسنا مطلاق فلا تنكحوه فقام رجل
من همدان فقال والله يا امير المؤمنين لننكحنه ما شاء فان احب امسك وان احب ترك فسر ذلك عليا فقال
لو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام ولا تطلب اي الطلاق المرأة اي من غير ضرورة
ففيه الوعيد اي التهديد الشديد فلابي داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث ثوبان ايما
امرأة سألت زوجها طلاقها من غير بأس لم ترح رائحة الجنة وفي لفظ فالجنة عليها حرام ومما ينبغي للزوج ان
لا يفشي سرها عند النكاح ولا عند الطلاق فقد ورد في افشاء سر النساء في الخبر الصحيح وعيد عظيم كذا في الاحياء
وفي صحيح مسلم من حديث ابي سعيد قال عليه السلام ان اعظم الامانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي الى امرأته وتفضي
اليه ثم يفشي سرها يعني وتفشي سره فان المجالس بالامانة كما ورد وروي ان بعض الصالحين اراد طلاق امرأته
فقيل له ما الذي يريبك منها فقال العاقل لا يهتك ستر امرأته فلما طلقها قيل لم طلقتها قال ما لي ولامرأة غيري
وهذا بيان ما على الزوج واما حق الزوج على المرأة فكما بينه بقوله وتطيع الزوج اي مطلقا في كل ما طلبه منها في نفسها
مما لا معصية فيه ورد ايما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة الترمذي وابن ماجه من حديث ام سلمة وقال الترمذي
حسن غريب ولا تمنع نفسها اي عنه ولو كانت على تنور وقتب مسور فلابن حبان من حديث ابي هريرة اذا صلت
المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها واطاعت زوجها دخلت جنة ربها وفي الصحيحين من حديث ابن عباس
اطلعت في النار فاذا اكثر اهلها النساء فقلن يا رسول الله فقال يكثرن اللعن ويكفرن العشير يعني الزوج المعاشر
ولاحمد من حديث ابي امامة اطلعت في الجنة فاذا اقل اهلها النساء فقلت اين النساء قال شغلهن الاحمران الذهب والحرير
ولابي نعيم ويل للنساء من الاحمرين الذهب والزعفران يعني الحلي وسائر الانواع ومصبغات الثياب وتنقي اي نفسها وتزينها
لتمتع اي لانتفاعه بها مستعدة في الاحوال كلها حكى الاصمعي رأيت في البادية امرأة عليها قميص احمر وهي مختضبة وبيدها
سبحة فقلت ما ابعد هذا من هذا فقالت شعر : ولله مني جانب لا اضيعه ؛ وللهو مني والبطالة جانب ؛ قال فعلمت

ايما امراة صالحة لها زوج تزين له وتستاذنه في الاعطاء من البيت اي من متاعه ومن متاعها عند بعض العلماء و
في الاحياء عنه عم لا يحل لها ان تطعم الا الرطب الذي يخاف فساده ولابي داود من حديث سعد قالت امراة يا رسول الله
انا كل على ابائنا وابنائنا وازواجنا فما يحل لنا من اموالهم قال الرطب تأكلنه وتهدينه وصحح الدارقطني في العلل
ان سعدا هذا رجل من الانصار ليس ابن ابي وقاص وذكره البزار في مسند ابن ابي وقاص واختاره ابن القطان
ولمسلم من حديث عائشة اذا انفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها اجرها بما انفقت ولزوجها اجره بما كسب
والخروج عنه اي وترك خروجها عن البيت او الى المساجد ونحوها وصوم النفل اي اذا كان عندها فالبيهقي عن ابن عمر
اتت امراة من خثعم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني امراة ايم واريد ان اتزوج فما حق الزوج على المراة قال
من حق الزوج على المرأة اذا ارادها على نفسها وهي على ظهر بعير ان لا تمنعه ومن حقه ان لا تعطي شيئا من بيته الا
باذنه فان فعلت ذلك كان عليها الوزر وله الاجر ومن حق الزوج ان لا تصوم تطوعا الا باذنه فان فعلت جاعت
وعطشت ولم يقبل منها ومن حقه ان لا تخرج من بيتها بغير اذنه فان فعلت لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيتها او
تتوب وللحاكم وصححه عن ابي هريرة اتت فتاة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا نبي الله اني امراة فتاة اخطب وانا
اكره التزويج فما حق الزوج على المراة قال لو كان من فرقه الى قدمه صديد فلحسته ما ادت شكره قالت اتزوج اذا
وللترمذي وابن حبان من حديث ابي هريرة لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها من عظم
حقه عليها ولا تغيبه بالفتح اي لا في صورته ولا في سيرته ولا تؤذيه في سره وعلانيته فللترمذي وابن ماجه عن معاذ بن
جبل لا تؤذي امراة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك
ان يفارقها الينا ولا تتفاخر على الزوج بمالها وجمالها فقد روي الاصمعي قال دخلت البادية فاذا [illegible]
انا بامراة من احسن الناس تحت رجل من اقبح الناس فقلت لها يا هذه اترضين لنفسك ان تكوني تحت مثله فقالت
يا هذا اسكت فقد اسات في قولك لعله احسن فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه او لعلي اسات فيما بيني وبين خالقي
فجعله عقوبتي افلا ارضى بما رضي الله لي فاسكتتني وفي رواية لم رأيت في البادية اعرابية من احسن الناس ورأيت
زوجها من اقبح الناس وهي تقول لزوجها ابشر فانك وانا في الجنة فقال ما اعلمك بذلك فقالت ابتليت انا
بقبحك فصبرت وموضع الصابرين في الجنة وابتليت انت بجمالي فشكرت وموضع الشاكرين في الجنة وتقدم حقه اي حق
الزوج على الاقارب حتى على الوالدين فللطبراني في الاوسط عن انس كان رجل خرج الى السفر وعهد الى امراته ان لا تنزل
من العلو الى السفل وكان ابوها في السفل فمرض فارسلت المرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستاذن في النزول الى ابيها فقال
اطيعي زوجك فمات ابوها فاستاذنته فقال اطيعي زوجك فدفن ابوها فارسل عليه السلام يخبرها ان الله غفر لابيها بطاعتها
لزوجها ولا تنبسط اي بالكلام مع حبيبه اي مع صديق زوجها لاسيما في حال غيبته عن بلدها وتنقبض في غيبته بترك
الملاعبة في حال المصاحبة والالتذاذ بانواع من الطعام واصناف من الزينة في ذلك المقام لان الوقت تقتضي الحزن
والاهتمام وتقوم بامور البيت اي بكل خدمة في الدار تقدر عليها من غير نظر الى عار اهل الديار فقد روي

عن اسماء

عن اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنها قالت تزوجني الزبير وما له في الارض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه
وناضحه فكنت اعلف فرسه واكفيه مؤنته واسوسه وادق النوى لناضحه واعلفه واستقي الماء واخرز غربه واعجن
وكنت انقل النوى اي احمله على راسي من ثلثي فرسخ حتى ارسل الي ابو بكر بخادم فكفتني سياسة الفرس فكانما اعتقني
ولقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ومعه اصحابه والنوى على راسي فقال عليه السلام اخ اخ لينيخ ناقته ويحملني خلفه فاستحييت
ان اسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان اغير الناس فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اني استحييت فجئت فحكيت له
ما جرى فقال والله لحملك النوى على راسك اشد من ركوبك عليه السلام رواه الشيخان ومن جملة القيام بامور
بيتها دوام لزومها كونها وعدم خروجها من غير ضرورة ولابن حبان من حديث ابن مسعود اقرب ما تكون المراة من
ربها اذا كانت في قعر بيتها وان صلاتها في صحن دارها افضل من صلاتها في المسجد ولا تستبدل زوجها بعد
وفاته لتكون زوجته في الجنة على تقدير ايمانهما البتة واما اذا تزوجت بعده فاختلف في انها تكون للاول او الثاني
او تخير فيهما وهو الاظهر وفي البستان اما من قال هي للاخر منهما فذهب الى ما روي ان معاوية بن ابي سفيان خطب ام
الدرداء فقالت سمعت ابا الدرداء يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المرأة لاخر ازواجها في الجنة وقال لها ان
اردت ان تكوني زوجتي في الاخرة فلا تتزوجي بعدي واما من قال تخير فقد ذهب الى ما روي عن ام حبيبة سألت النبي
صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله المرأة منا يكون لها زوجان لايهما تكون في الاخرة قال تخير فتختار احسنهما خلقا
معها ثم قال عليه السلام ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والاخرة هذا ولابي داود من حديث ابي مالك الاشجعي انا وامرأة سفعاء
الخدين كهاتين في الجنة اراد امراة تأيمت من زوجها وحبست نفسها على اولادها حتى بانوا او ماتوا وللخرائطي
عن ابي هريرة حرم الله على كل آدمي الجنة ان يدخلها قبلي غير اني انظر عن يميني فاذا امراة تبادرني الى باب الجنة فاقول
ما لهذه تبادرني الى باب الجنة فيقال يا محمد هذه امراة كانت حسناء جميلة وكان عندها يتامى لها فصبرت
عليهن حتى بلغ امرهن الذي بلغ فشكر الله لها ذلك ومما يجب عليها من حقوق النكاح اذا مات عنها زوجها ان لا تحد عليه
اكثر من اربعة اشهر وعشر ليال فتجتنب في تلك المدة الطيب والزينة قالت زينب بنت ابي سلمة دخلت ام حبيبة زوج
النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي ابوها ابو سفيان بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلوق او غيره فدهنت به جارية ثم مست
بعارضيها ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم
الاخر ان تحد على ميت اكثر من ثلث ايام الا على زوج اربعة اشهر وعشرا رواه الشيخان ومن اهم اداب المراة ترك
المطالبة بما وراء الحاجة كما يشير اليه قوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها الآية
والاهتمام بالتعفف عن كسب الحرام وهذه كانت عادة النساء في السلف الكرام كان الرجل اذا خرج من منزله تقول امراته
او ابنته اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار وهم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره
فقالوا لزوجته لم ترضين ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته عرفته اكالا وما عرفته رزاقا ولي رزاق وهو
الخلاق فيذهب الاكال ويبقى الرزاق وخطبت رابعة بنت اسمعيل بن احمد بن ابي الحواري فكره ذلك لما كان فيه

من العبادة فقال الجماوانتم على الهم في شيء لسغلي بخاسبك وملي شهوة ولكني ورثت مالا جزيلا من زوجي فاردت
ان تنفقه على اخوانك واعرف بك الصالحين يكون طريقا الي الله فقال حتى استاذن فرجع الي سليمان الداراني قال وكان
ينهاني عن التزوج ويقول ما تزوج احد من اصحابنا الا تغير فلما سمع كلامها فقال تزوج بها هذه ولية الله هذا كلام
صديقين قال فتزوجها فكان في منزلها كرتين من جص نفيح من غسل ايدي المستعجلين للخروج بعد الاكل فضلا عمن
غسل بالاشنان قال وتزوجت عليها ثلث نسوة فكانت تطعمني الطيبا وتطيبني فتقول اذهب بنشاطك وقوتك الي
ازواجك فكانت هذه تشبه في اهل الشام برابعة العدوية في البصرة ويحافظ حال الولد اي من صغره ففي الطبراني من حديث
ابن عمر قال رجل يا رسول الله ما ذا بر قال بر والديك فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك فكما ان لوالديك عليك حقا
كذلك لولدك عليك حق ولا يسميه لئلا يصير طبعا له كبره ولا سيما سمي الانبياء لانه صلى الله عليه وسلم قد قال بكفره ويلقنه كلمة التوحيد
في اول ما ينطلق به اللسان ففي رواية ابن السني عن ابن عمر مرفوعا اذا افصح الولد فليعلمه لا اله الا الله وهو شامل لتلقينه
مبناه وتبيين معناه وفي رواية له ايضا عن انس انه صلى الله عليه وسلم كان افصح الولدان بني عبد المطلب علمه وقل الحمد لله لم يتخذ
ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا الي اخر السورة وينبغي ايضا تعليم سورة الاخلاص
والفاتحة ويعلم علوم الدين اي اصول الشريعة وفروعها ويمنعه عن تعليم المنطق والحكمة والهيئة والكلام وسائر علوم
الفلاسفة لما ورد عنه صلى الله عليه وسلم اللهم اني اسئلك علما نافعا واعوذ بك من علم لا ينفع والكتابة فانها وسيلة لوقاية الرواية
والدراية ويعلمه من كتب الهداية في البداية والنهاية والرمي لقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة وقوله صلى الله عليه وسلم الا
ان القوة الرمي وقد ذكر ما ورد في فضله فصل وذم تاركه والسباحة وهي معرفة الغوص في الماء ولعل الاحتياج اليه
في سفر البحر للحج او الغزو ولا سيما وقد ورد ان شهيد البحر افضل من شهيدي البر ومن اللطايف ان نحويا خاطب بحريا فقال
هل تعلمت النحو فقال لا فقال ضيعت نصف عمرك فسكت حتى هاج البحر فقال هل تعلمت السباحة يا نحوي فقال لا قال ضيعت
جميع عمرك ويؤدب اي ولده بضرب ونحوه لست سنين اي اذا خالفه في اداب الصالحين واخلاق المحسنين او فيما يتعلق
بعقوق الوالدين والاقربين فليس يبقى عن ابن عباس مرفوعا من حق الولد على الوالدان يحسن ادبه ويحسن اسمه واما ما دون
ست سنين فتاديبه باللسان والاحسان ويعزل الفراش اي عن امه واخته لسبع سنين لانه وقت تمييزه بين النساء و
غيرهن ويضرب على الصلوة اي على تركها لعشر اي حتى يتدرب بفعلها ويحمل ثقلها ولابي داود والبيهقي عن رجل من
الصحابة مرفوعا اذا عرف الغلام يمينه عن شماله فمروه بالصلوة ويزوج لثلاث عشرة اي فانه قارب البلوغ ويزوج
لست عشرة لتحقيق البلوغ فيجب صيانته ولابن السني عن انس مرفوعا اضربوه على الصلوة لسبع وافرقوا فراشه لتسع
وزوجوه لسبع عشرة فاذا فعل ذلك فليجلسه بين يديه ثم ليقل لا جعلك الله علي فتنة ورواه ابو الشيخ عن انس بلفظ
فاذا بلغ سبع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلث عشر ضرب على الصلوة فاذا بلغ ستة عشر زوجه ابوه ثم اخذه بيده
ويقول قد ادبتك وعلمتك وانكحتك اعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الاخرة وينبغي التسوية بين الاولاد في
الاهداء فقد روي رحم الله والدا اعان ولده على بره اي لم يحمله على عقوقه بسوء عمله فخصوصا لابو الشيخ ابن حبان

احوال الولد

سخاز

في كتاب الثواب عن علي وابن عمر رضي الله عنهما وجاء رجل الي عبد الله بن المبارك فشكي اليه بعض ولده فقال هل دعوت
عليه فقال نعم قال انت افسدته ويبداء اي في الاعطاء بالاطفال اي بصغارهم لقلة صبرهم والبنات لحرص عن كسر قلوبهن
ساووا بين اولادكم في العطية كذا في الاحياء ولم يتعرض له المخرج وفي جامع الصغير بلفظ ساووا بين اولادكم في العطية
فلو كنت مفضلا احدا لفضلت النساء والطبراني والخطيب وابن عساكر عن ابن عباس والطحاوي القبلة ونحوها مخصوص هم
ينبغي فيها التسوية قياسا علي العطية بخلاف زيادة المحبة القلبية فانها ليست من الافعال الاختيارية كما وقع ليعقوب في يوسف
واخوته في تلك القضية ثم الظاهر ان التسوية في الاعطاء انما هي اذا كانوا كلهم فقراء واغنياء واما اذا كانوا بعضهم فقراء
فزادهم في العطاء فلا باس به ويجب عليه نفقة ذوي الرحم المحرم عندنا وهذا في الحمل الولد محل الرحمة فقد عن الحسين
وهو عليه السلام على منبره فنزل الحمل وقرا قوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة كذا في الاحياء وقال المخرج رواه اصحاب
السنن من حديث ابي بريدة في الحسن والحسين يعثران وبغيرهما قال الترمذي حسن غريب والنسائي من رواية عبد الله
بن شداد عن ابيه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس اذ جاء الحسن والحسين فركب عنقه وهو ساجد فاطال
السجود بالناس حتى ظننا انه قد حدث امر فلما قضى صلوته قالوا قد اطلت السجود حتى ظننا انه قد حدث الامر فقال ان
ابني قد ارتحلني فكرهت ان اعجله حتى يقضي حاجته اي يفرغ غرضه من ملاعبته ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط
الشيخين وروي الاقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا
منهم فقال صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم البخاري عن ابي هريرة وللحافظ الذهبي في ترجمة اسامة من كتاب سير النبلاء
لمجالد عن الشعبي عن عائشة قالت امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ان اغسل وجه اسامة فجعلت اغسله وانا انفقه فضرب بيدي
ثم اخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد احسن بنا اذ لم يكن جارية يعني لنلاعبها الي الحلية وكسوة الزينة والتزويج ونحوها
من المحنة لحديث احمد عن عائشة ان اسامة عثر بعتبة الباب فدمي فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمصه ويقول لو كان اسامة
جارية لحليتها ولكسوتها حتى انفقها واسناده صحيح وعنه عليه السلام ريح الولد من ريح الجنة الي الاخطي وابن حبان في الضعفاء
عن ابن عباس وقد قيل ولدك ريحانتك سبعا وخادمك سبعا ثم هو عدوك او شريكك وقال يزيد بن معاوية
ارسل ابي الي الاحنف بن قيس فلما صار اليه قال له يا ابا الحسن ما تقول في الولد فقال يا امير المؤمنين ثمار قلوبنا
وعماد ظهورنا ونحن لهم ارض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول على كل جليلة فان طلبوا فاعطهم وان غضبوا
فارضهم يمنحوك ودهم ويحبوك وفاتك ويكرهوا قربك فقال له معاوية لله انت يا احنف لقد دخلت علي واني مملو
غضبا وغيظا على يزيد فلما خرج الاحنف من عنده رضي على يزيد وبعث اليه بمائتي الف درهم ومائتي ثوب فقاسمه اياها
على الشرط ثم اعلم ان اكثر العلماء على ان طاعة الوالدين واجبة في الشبهات حتى اذا كانا يتنغصان بانفرادك عنهما
بالطعام فعليك ان تاكل معهما لان ترك الشبهة ورع ورضي الوالدين حتم وكذلك ليس لك ان تسافر في مباح او نافلة
الا باذنهما والمبادرة الي الحج الذي هو فرض اسلام نفل على القول بالتراخي والخروج لطلب العلم نفل الا اذا كنت تطلب
علم الفرض العيني من الصلوة والصوم ونحوهما ولم يكن في بلدك ان يعلمك وذلك كمن يسلم ابتداء في بلد ليس فيه من يعلم

حقوق المملوك

شريعة الاسلام فضل الهجرة من ذلك المقام ولا ينقيد بحق الوالدين قال ابو سعيد الخدري رض هاجر رجل
الي رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن واراد الجهاد فقال عم باليمن ابواك قال نعم قال هل اذناك فقال لا قال عم فارجع الي
ابويك فاستاذنهما فان فعلا فجاهد والا فبرهما فان ذلك خير مما تلقى الله به بعد التوحيد احمد وابن حبان وجاء اخر
اليه صلى الله عليه وسلم يستشيره في الغزو فقال الك والدة قال نعم قال فالزمها فان الجنة تحت قدمها ابن ماجه والحاكم من حديث
معاوية بن جاهمة ان جاهمة اتى النبي صلى الله عليه وسلم قال الحاكم صحيح الاسناد وجاء اخر وطلب البيعة على الهجرة وقال
ما جئتك حتى ابكيت والدي فقال ارجع اليهما فاضحكهما كما ابكيتهما ابو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم من حديث عبد الله
بن عمرو وقال صحيح الاسناد ويتوضأ في موته اي في موت ولده ويصلي ركعتين عند فقده لقوله تعالى واستعينوا بالصبر
والصلوة ويأخذ بناصية المشتري اي من العبد والجارية والدابة ويدعو بالبركة ويقول اللهم بارك لنا فيه
وارزقنا خيره واكفنا شره واجعله طويل العمر كثير الرزق واللهم اعطني ما انت اخذ بناصيتها انك على صراط
مستقيم ويذيقه اي العبد والجارية الحلوا اي شيئا من الحلوا ولا اي تفاؤلا بالحلاوة اخرا ولحديث معاذ اذا ابتاع
احدكم الخادم فليكن اول شيء يطعمه الحلو فانه اطيب لنفسه الطبراني في الاوسط والخرائطي ويطعمه مما يطعم اي مما يأكل
نفسه والاولى ان يأكل معه اي يوضعا في انية ولما في الصحيحين وليأكل معه فان ابى علينا ولهما في رواية اذا كفى
احدكم مملوكه صنعة طعامه وكفاه حره ومؤنته وقربه اليه فليجلسه فليأكل معه او ليأخذ اكلة فيروغها واشار
بيده وليضعها في يده وليقل كل هذه والبخاري في تاريخه والبيهقي عن ابي هريرة مرفوعا ما استكبر من اكل معه خادم
وركب الحمار بالاسواق واعتقل الشاة فحلبها ويكسوه مما يكتسي ولا يكلفه ما لا يطيق وكان عمر رض يذهب الى
العوالي في كل سبت فاذا وجد عبدا في عمل لا يطيقه وضع عنه وروي عن ابي هريرة انه رأى رجلا على دابته و
غلامه يسعى خلفه فقال له يا عبد الله احمله فانه اخوك روحه مثل روحك ثم قال لا يزال العبد يزداد من الله بعدا
ما مشي خلفه وقد دخل رجل على سلمان وهو يعجن فقال يا عبد الله ما هذا قال بعثنا الخادم في شغل وكرهنا ان
نجمع عليه عملين ويمسك ما احب اي ما دام يحب امساكه ولا يعذب اي مملوكه اذا لم يحب امساكه بل يبيعه فالكل ما ورد
في سنن ابي داود من حديث علي كان اخر كلامه عم الصلوة الصلوة اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم وفي الصحيحين
من حديث انس كان اخر وصيته عم حين حضره الموت الصلوة الصلوة وما ملكت ايمانكم ولهما من حديث ابي ذر اطعموهم
مما تأكلون والبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم وهذا لفظ مسلم وفي رواية لابي
داود من يلايمكم من مملوكيكم فاطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ومن لم يلايمكم فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله
تعالى فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم واسناده صحيح وفي رواية لمسلم من حديث ابي هريرة للمملوك طعامه وكسوته
بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق وورد كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته رواه الشيخان عن ابن عمر
ولا يضرب غضبا اي من طريق الغضب بل تاديبا اي يضربه على سبيل الادب فيكون تهذيبا لا تعذيبا
في صحيح مسلم عن ابي مسعود الانصاري قال بينا انا اضرب غلاما لي فسمعت صوتا من خلفي اعلم ابا مسعود مرتين فالتفت

فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقيت السوط من يدي فقال والله لله اقدر عليك منك على هذا وعن ابي المنكدر ان
رجلا من اصحابه عم ضرب عبدا له فجعل العبد يقول اسألك بالله اسألك بوجه الله فلم يعفه فسمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العبد فانطلق اليه فلما رآه امسك يده فقال عليه السلام يسألك بوجه الله فلم تعفه
فلما رأيتني امسكت يدك قال فانه حر لوجه الله يا رسول الله فقال لو لم تفعل لسفعت وجهك النار ابن المبارك في الزهد
هكذا مرسلا وفي صحيح مسلم من حديث ابي سعيد فجعل يقول اعوذ بالله قال فجعل يضربه فقال اعوذ برسول الله فتركه وفي رواية
له فقلت هو حر لوجه الله فقال اما انك لو لم تفعل للفحتك النار او لمستك النار وللترمذي عن ابي سعيد اذا ضرب احدكم
خادمه فذكر الله فارفعوا ايديكم لا على ذلة لا يضربه على ما صدر منه من عثرة او غفلة ونسيان اي تخلقا باخلاق الله حيث
عفا عن الخطا والنسيان كما يشير اليه قوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا وحديث رفع عن امتي الخطاء والنسيان
وما استكرهوا عليه وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم قيل فما بلغ من حلمه قال بينما هو
جالس في داره اذا اتته جارية بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها على ابن له فعقره فمات فدهشت
الجارية فقال ليس يسكن روع هذه الجارية الا العتق انت حرة لوجه الله لا بأس عليك وكان عند ميمون بن مهران
ضيف فاستعجل على جاريته بالعشاء فجاءت مسرعة ومعها قصعة مملوة فعثرت واراقتها على رأس سيدها فقال يا جارية
احرقتني قالت يا معلم الخير ومؤدب الناس ارجع الى ما قال الله تعالى قال وما قال الله تعالى قالت والكاظمين
الغيظ قال قد كظمت غيظي قالت والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قالت زد فان الله يقول
والله يحب المحسنين قال انت حرة لوجه الله تعالى ولا يزيد على ثلاث اي ضرب ثلث اذا كان الذنب صغيرا واما
اذا كان كبيرا فينقص من الاربعين فانه غاية التعزير فان اي الزيد عليه قصاص اي يقتص منه يوم القيمة وورد اعف عنه
اي عن الخادم سبعين مرة لمن قال كم اعفو فلابي داود والترمذي وقال حسن غريب عن ابن عمر جاء رجل الى
رسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت ثم قال اعف عنه كل يوم سبعين مرة وكان عون بن عبد الله اذا عصاه غلام
قال ما اشبهك بمولاك يعصي مولاه وانت تعصي مولاك فاغضبه يوما فقال انما تريد ان اضربك اذهب فانت حر
ويعتق اي المملوك ان طالت المدة وطول المدة يكون لسبع سنين فاكثر على ما في الشرعة ففيه العتق من النار
لقوله عم من اعتق رقبة مسلمة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه رواه الشيخان عن
ابي هريرة وفيهما ايضا عنه عليه السلام من كانت عنده جارية فعالها واحسن اليها ثم اعتقها وتزوجها فله
اجران وقالت جارية لابي الدرداء اني سممتك منذ سنة وما عمل فيك شيئا فقال لم فعلت ذلك فقالت
اني اردت الراحة منك قال اذهبي فانت حرة لوجه الله او لــــ [illegible] وكانها كانت مدبرة ولا يهزل معه اي لا يمزح
مملوكه فهو يسقط الوقار اي الهيبة والرزانة فلا يحبه بعد ذلك الخدمة والمهابة وهذا وفي الصحيحين عن ابن عمر مرفوعا اذا
نصح العبد لسيده واحسن عبادة الله فله اجره مرتين ولما اعتق ابو رافع بكى وقال كان لي اجران فذهب احدهما
ويهوب اهل البيت من الولد والزوجة والخدم بالرياضة اي بتحسين الاخلاق لا سيما الولد المراهق اي القريب

الى الموضع الذي وقع فيه تكليف الخالق من ذلك الزند في حال الصغر اي حكم الامر اعلى كل منهما او ورنا كي في ذلك بابويها
الذين ادبي اقوالهم ... ايكم اي احفظوها نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملئكة غلاظ شداد لا يعصون
الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ولا في الحيوان اي بد وسم ثم يسئل عنه اي ما كان عبثا او عمدا او خطأ او نسيانا
وقد قال تعالى حكاية عن النمل لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون وقد قيل العاقل من لا يؤذي الذر
وبطوف طوافا البيت اي يجوز ان يدخلوا في بيت الاماء والعبيد الصغار دون الخصي والعبيد الكبار فهو ما تؤذن لي
فيه في الكتاب والسنة قال تعالى يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلث
مرات من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ثلث عورات لكم ليس عليكم جناح
بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله ولا يبعد ان يراد بالطوافا الهرة ففي كبشة بنت كعب بن
مالك وكانت تحت ابن قتادة دخل عليها فسكبت وضوءا فجاءت هرة تشرب منه فاصغى لها الاناء حتى شربت قالت
كبشة فرآني انظر فقال اتعجبين يا ابنة اخي فقلت نعم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انها ليست بنجس انها
من الطوافين عليكم والطوافات رواه الاربعة وقال الترمذي حسن صحيح ولا يضرب شيئا اي حيوانا
على الوجه ولا يعذب اي الوجه وغيره بالنار اي بالكي ونحوه واختلف في تجويز تحريق الزنديق فنهي عنهما
فلابي داود عن ابي هريرة اذا ضرب احدكم فليتق الوجه وللترمذي والحاكم عن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى
عن الكي ونعرض الماء والعلف على الفرس اي في الجهاد ونحوه سبعين مرة ولعله اريد به الكثرة للمبالغة والا فقد
سبق حديث للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ودمي الفرس ذلك اي انقياده لراكبه وحسن خلقه اي لصاحبه
وقد تقدم والله اعلم ولا يدخل على الظلمة اي الشاملة للكفرة والفجرة قال تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا
فتمسكم النار فالاولى والاسلم من الحال ان يعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك ودونه الحالة ان يدخلوا عليك
وترددوا اليك وشر الاحوال ان تدخل عليهم وتتوسل اليهم وهذا مذموم في الكتاب والسنة تحاميا عن استعمال
دارهم اي المغصوبة من اهل ديارهم وظلالهم اي ومكان ظلال خيمهم واشجارهم وفراشهم اي بساطهم ودثارهم
فلا يخفى عن حرام وقد قال تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وهو بعموم مبناه يشمل الاحياء والاموات
وان كان الكفار الاموات مراد في معناه ولما وصف عم الامراء الظلمة قال فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم او كاد
يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم الطبراني من حديث انس بسند ضعيف وفي رواية ومن خالطهم هلك وانما قال وكاد
يسلم فان من اعتزلهم سلم من اثمهم ولكن ربما لا يسلم من عذاب نعمة تعمهم ان نزل بهم لترك المنابذة والمنازعة
والتواضع لهم اي وعن اظهار المذلة والمسكنة المستلزمة لاكرام الظلمة لا سيما ان ركع او سجد او تمثل لهم قائما
في الخدمة والتواضع للظالم من المعصية بل من تواضع لغني ليس بظالم لاجل غناه لا لمعنى اخر يقتضي التواضع
نقص ثلثا دينه فكيف اذا تواضع للظالم فلا يباح له الا مجرد السلام فاما تقبيل اليد والانحناء فلا الا عند
خوف ولقد بالغ بعض السلف حتى امتنع رد جوابهم في السلام قاله في الاحياء وفيه نظر لان ذلك واجب

الدخول على الظلمة والفساق

فلا ينبغي ان يسقط بالظلم قلت قد يسقط بما هو اخص من ذلك ومن جملته انه عليه السلام نهى رد جواب من لبس ثوبا احمر
فورد من اكرم فاسقا وهو مرتكب الحرام وكان الاكرام من غير ضرورة في ذلك المقام فقد اعان على هدم الاسلام
اي على تعطيل بعض اركانه بتعظيم الظالم الذي يجب الاهانة في شانه والحديث غريب بهذا اللفظ والمعروف من وقر
صاحب بدعة رواه ابن عدي من حديث عائشة والطبراني في الاوسط وابو نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن بشر باسانيد
ضعيفة والسكوت اي وعن عدم الانكار بلسانه عن منكر رواه عندهم اي وقد رعلي اذ ينكر بالسنانه عليهم كان يكون
من العلماء والمشايخ العظماء وذلك لانه يرى في مجلسهم من الفرش الحرير واواني الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم
ما هو حرام من خاتم الذهب ونحوه وكل من رأى سيئة وسكت عليها فهو شريك في تلك السيئة فان قلت انه يخاف على نفسه فهو
معذور في السكوت فهذا حق لكنه مستغن عن ان يعرض نفسه لارتكاب ما لا يباح الا لعذر فانه لو لم يدخل ولم يشاهد
لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه بالعذر وعند هذا يقال من علم فسادا في موضع وعلم انه لم يقدر على ازالته
فلا يجوز له ان يحضر ذلك الموضع ليجري ذلك الفساد بين يديه وهو يشاهده ويسكت عليه والدعاء لهم بالبقاء اي
حال التحية او وقت العطاء فورد من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه اي من الابتداء الى الانتهاء
والحديث ذكره الزمخشري في تفسيره والغزالي في الاحياء فقال السخاوي ولم نره في المرفوع بل اخرج ابو نعيم في الحلية
من قول سفيان الثوري وقال العراقي رواه ابن ابي الدنيا من قول الحسن البصري وكذا قال العسقلاني
في تخريج الكشاف والمدح اي وعن ثناء الفاسق وان صدق اي في مدحه وكذا ان صدق فيما يقوله من باطل بصريح
قول او تحريك رأس او باستبشار في وجهه فهو اعانة على الاثم وتحريك للرغبة في المعصية والاعانة على المعصية ولو
بشطر كلمة لانه بسبب مدحه يجترئ على ظلمه وفسقه وورد ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق ابن ابي الدنيا وابن
عدي وابو يعلى والبيهقي عن انس ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال
لا دعه حتى يموت لان ذلك اعانة له وقال غيره يسقى الى ان يتوب اليه نفسه ثم يعرض عنه وانما يجوز له ان
يدعو له بقوله اصلحك الله او وفقك الله في الخيرات طول عمرك في الطاعات والمحبة لهم بان يظهر لهم
الموالاة والاشتياق الى الملاقات فهي ارادة الظلم اي منهم فيكون شريكا لهم في الاثم منهم ثم ان كان كاذبا عصى بمعصية
الكذب والنفاق وان كان صادقا عصى بحبه بقاء ظالم في الافاق وحقه ان يبغضه في الله ويمقته فالبغض في الله
واجب وحب المعصية والراضي بها عاص ومن احب ظالما فان احبه لظلمه فهو عاص بمحبته وان احبه بسبب اخر فهو
عاص من حيث انه لم يبغضه وان اجتمع في شخص خير وشر وجب ان يحب لذلك الخير ويبغض لذلك الشر وقد حكي عن بعض عباد
البصرة انه كان ياخذ اموالا من الامراء ويفرقها على الفقراء فقيل له الا تخاف ان تحبهم فقال لو اخذ رجل بيدي
وادخلني الجنة ثم عصى ربه ما احبه قلبي لان الذي سخره للاخذ بيدي هو الذي ابغضه لاجله شكرا له على
تسخيره اياه انتهى وهذا مقام دقيق لان الطبع مجبول على حب من احسن اليه كما ورد عن عائشة جبلت القلوب على
حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها كذا في الاحياء وهو من رواية البيهقي في الشعب عن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا

جزاء اكرام الفاسق

معصية دعاء الظالم

مدح الفاسق

توبه سئل اللهم لا تجعل للفاجر عندي يدا فيحبه قلبي رواه ابن مردويه في التفسير عن رجال لم يسم والديلمي عن معاذ وروي
ان بعض الامراء ارسل الى مالك بن دينار بعشرة الاف فاخذها كلها فاتاه محمد بن واسع فقال ما صنعت بما اتاك هذا
المخلوق فقال سل اصحابي فسالهم فقالوا اخرجه كله فقال انشدك الله اقلبك اشد حبا له الآن ام قبل ان ارسل اليك فقال بل الآن
فقال انما كنت اخاف هذا وقد صدق فانه اذا احب بقاءه وكره عزله وفناءه وكل ذلك حب لاسباب الظلم وهو
مذموم عند اهل العلم واستحقارهم لهم اي وعن استصغار نعم سبحانه الظاهرة والباطنة عليهم من العلم والعمل وعليهم
اختيار الفقر والقناعة بالكفاية بالطاعة برؤية التوسع عليهم ومشاهدة اسباب التنعم لديهم فللحاكم من حديث عبد الله بن
الشخير وصح اقلوا الدخول على الاغنياء فانه اجدر ان لا تزدروا نعم الله عز وجل وقد تقدم حديث ابي هريرة ابغض
الفقراء الى الله عز وجل الذين ياتون الامراء وحديث انس العلماء امناء الرسول على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا
فعلوا ذلك فقد خانوا الله ورسوله فاحذروهم واعتزلوهم ولابي عمرو الداني في كتاب الفتن من رواية الحسن مرسلا
لا تزال هذه الامة تحت يد الله وكنفه ما لم يمالئ قراؤها امراءها رواه الديلمي عن علي وابن عمر بلفظ ما لم يعظم
ابرارها فجارها ويداهن خيارها شرارها ولابي داود والترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود مرفوعا لما وقعت
بنو اسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم واكلوا وشاربوا فضرب الله قلوب بعضهم ببعض
ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ولفظ الترمذي وقال حسن غريب والحاصل ان الافضل في حقه ان
يغفل عنهم واذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ما قال حاتم الاصم ان ما بيني وبين الملوك يوم واحد اما
امس فلا يجدون لذته واني واياهم في غد على وجل وانما هو اليوم فعسى ان يكون في اليوم وما قال ابو الدرداء
ان اهل الاموال ياكلون ونأكل ويشربون ونشرب ويلبسون ونلبس لهم فضول اموال ينظرون اليها وننظر معهم
اليها وعليهم حسابها ونحن منها براء قلت وهو مقتبس من قوله تعالى ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون
من الله ما لا يرجون الا استثناء من قوله ولا يدخل على الظلمة الا لرعاية اطاعة الرعية فللبخاري من حديث انس
اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كان راسه زبيبة ولمسلم من حديث ابي هريرة رض عليك بالطاعة
في منشطك ومكرهك وله ايضا من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ومات مات ميتة جاهلية ودفع التاذي
اي ولدفع شر الاذى والظلم عن نفسه وغيره من اهله ونحوه فيدخل ايضا مراعيا حقه تعالى حيث قال يا ايها الذين امنوا
اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وبكرمهم اي بالقيام ونحوه كرها لان دخول الظلمة عليهم ان
معتقدين للمديح مكافات على الاكرام اي مجازاة لاكرام اي اكرام الظالم عز الدين اي لعز اهل العلم والعمل به
وقد قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان وقد سبق حديث اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه ورعاية الحشمة بين
الرعية اي في الملاء ونحو ذا الاهانة في الخلاء اي بترك القيام وزيادة الكلام بعد رد السلام وعند العلم
بعدم اضطراب الرعية اي من الامراء والوزراء اذا كان اهانة بنية اعزاز الدين واهله من العلماء المجتهدين
وبحق الظلم اي في ظلمهم واظهار الغضب لله تعالى كما هو واجب على اهل العلم وغيرهم كما ورد احاديث الحب في الله والبغض

في الله

في الله ولقد دعي الى البيعة للوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان فقال لا ابايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فان
النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيعتين فقال ادخل من الباب واخرج من الباب الاخر قال لا والله لا يقتدي بي احد
من الناس فجلد مائة والبس المسوح رواه ابو نعيم في الحلية باسناد صحيح والحاصل انه لا يكون الدخول عليهم الا
بعذرين احدهما ان يكون من جهتهم امر الزام لا امر اكرام وعلم انه لو امتنع اوذي او فسد عليهم طاعة الرعية
واضطرب امر السياسة العرفية فيجب عليه الاجابة طاعة لهم ومراعاة لمصلحة الخلق حتى لا يضطرب امر الولاية
الثاني ان يدخل عليهم لدفع الظلم عن مسلم سواه او عن نفسه اما بطريق الحسبة واما بطريق التظلم فذلك رخصة بشرط
ان يكذب ولا يثني ولا يدع نصيحة يتوقع قبولها والاصل الاستفتاء من القلب اي في جهة رضاء الرب ونية
الاصلاح اي حملهم على صلاح حالهم وفلاح مالهم لا الاشتهار اي بانه من اهل العلم والصلاح وانه من الفائزين
بالنجاة والنجاح فان العاقبة مستورة فينبغي ان تكون النية مستورة صحيحة في هذه الامور ويهون اي ما ذكر
من نية الاصلاح وعدم الاشتهار يعرف بالفرح عند حصول الوعظ اي للظلمة من غيره اي الموجودين من الوعاظ الابرار
والعلماء الجاد ثم اذا ابتلي بالدخول عليهم يجب ان ينصحهم وقد ورد ان الدين النصيحة قيل لمن قال لله ولكتابه و
لرسوله ولائمة المؤمنين وعامتهم روي عن محمد بن صالح قال كنت عند حماد بن سلمة واذا ليس في البيت الا حصير وهو
جالس عليه ومصحف يقرؤه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضا فيها فبينا انا عنده اذ دق داق الباب فاذا هو محمد بن سليمان
فاذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال ما لي اذا رايتك امتلات منك رعبا فقال حماد لانه قال عليه السلام ان العالم
اذا اراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء واذا اراد ان يكنز به الكنوز هاب كل شيء ثم عرض عليه اربعين الف درهم وقال تاخذها
وتستعين بها قال ارددها على من ظلمته بها قال والله ما اعطيتك الا ما ورثته قال لا حاجة لي فيها قال فتاخذها وتقسمها
قال لعلي ان عدلت في قسمتها ان يقول بعض من لم يرزق منها انه لم يعدل في قسمتها فيأثم فازوها عني كذا في الاحياء
وقال العراقي حديث حماد بن سلمة رويناه معضلا وروي ابو الشيخ بن حبان في كتاب الثواب من حديث واثلة بن الاسقع
من خاف الله خوف الله منه كل شيء وللعقيلي في الضعفاء من حديث ابي هريرة نحوه والاولى الاجتناب عنهم وعن خواصهم
لئلا يقع في طمع من جاههم واموالهم والتغافل عن احوالهم فالتجاهل عن افعالهم واقوالهم والاشتغال بعيوب نفسه
ومحاسبته يوما واسبوعا ومذاكرة الموت وما بعده من رمسه حتى حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب
الامراء يدخل احدكم على الامير ويصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال ابو ذر لسلمة لا تغش ابواب السلاطين فانك
لا تصيب من دنياهم شيئا الا اصابوا من دينك افضل منه وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون
للملوك والامراء وقال الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله عز وجل من عالم يزور عاملا وقال سمنون ما اسمج بالعالم
يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسال عنه فيقال عند الامير قال وكنت اسمع انه يقال اذا رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه
على دينكم حتى جربت اذ ما دخلت قط على هذا السلطان الا وحاسبت نفسي بعد الخروج فارى عليها الدرك مع ما
اواجههم به من الغلظة والمخالفة لهواهم وقال ابو ذر في حديث من كثر سواد قوم فهو منهم اي من كثر سواد الظلمة

وقال ابن مسعود رضه ان الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين له قيل لم قال لانه يرضيه بسخط الله وقال
الفضيل ما ازداد رجل من ذي سلطان قربا الا ازداد من الله بعدا وقال وهب هولاء الذين يدخلون على الملوك
لهم اضر على الامة من المقامرين وقال محمد بن سلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب هولاء الجورة و
لما خالط الزهري السلطان كتب اخ له في الدين اليه عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن
عرفك ان يدعو لك ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وليس
كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء فقال عز وجل واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه
واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا
ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى ظلمهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون
فيك الى ضلالتهم واغواتهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك في
جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم
فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات الاية وانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو
دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر سفر بعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء والسلام فان قلت
فقد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين فاقول نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل فقد حكي ان هشام
بن عبد الملك قدم حاجا الى مكة فلما دخلها قال ائتوني برجل من الصحابة فقيل يا امير المؤمنين قد تفانوا
قال فمن التابعين فاتي بطاوس اليماني فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم عليه بامرة المؤمنين
ولكن قال السلام عليك يا هشام ولم يكنه وجلس بازائه وقال كيف انت يا هشام فغضب هشام غضبا شديدا حتى هم بقتله
فقيل له انت في حرم الله وحرم رسوله فلا يمكن ذلك فقال له يا طاوس ما الذي حملك على ما صنعت فازداد غضبا
وغيظا فقال خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تقبل يدي ولم تسلم علي بامرة المؤمنين ولم تكنني وجلست بازائي بغير اذني
وقلت كيف انت يا هشام فقال اما فعلت من خلع نعلي بحاشية بساطك فاني اخلعهما بين يدي رب العالمين كل يوم خمس
مرات ولم يعاقبني ولم يغضب علي واما قولك لم تقبل يدي فاني سمعت امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضه يقول
لا يحل لرجل ان يقبل يد احد الا امراته من شهوة او ولده من رحمة واما قولك لم تسلم علي بامرة المؤمنين فليس كل الناس
راضين بامرتك فكرهت ان اكذب واما قولك لم تكنني فان الله تعالى سمى اولياءه فقال يا داود يا يحيى يا عيسى وكنى اعداءه
فقال تبت يدا ابي لهب واما قولك جلست بازائي فاني سمعت امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضه يقول اذا اردت
ان تنظر الى رجل من اهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال له هشام عظني فقال سمعت امير المؤمنين
علي بن ابي طالب رضه يقول ان في جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل امير لا يعدل في رعيته
ثم قام وهرب عن صحبته وعن سفيان الثوري قال ادخلت على ابي جعفر بمنى فقال لي ارفع الينا حاجتك
فقلت له اتق الله فقد ملات الارض ظلما وجورا قال فطاطا راسه ثم رفعه فقال ارفع الينا حاجتك

سؤال وجواب من دخول السلف على الامرا

فقلت انما انزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والانصار وابناؤهم يموتون جوعا فاتق الله واوصل
اليهم حقوقهم قال فطاطا راسه ثم رفع راسه فقال ارفع الينا حاجتك فقلت حج عمر رضه فقال لخازنه كم
انفقت قال بضعة عشر درهما واري هاهنا اموالا لا تطيقها الجمال ولما استعمل عثمان بن عفان العباس
اتاه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وابطا عنه ابو ذر وكان له صديقا فعاتبه فقال ابو ذر سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ان الرجل اذا ولي ولاية تباعد الله عنه كذا في الاحياء وقال الحرجم لم اقف له على اصل وكان عمر بن
عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك فسمع سليمان صوت الرعد ففزع ووضع صدره على مقدم الرحل
فقال عمر هذا صوت رحمته فكيف اذا سمعت صوت عذابه ثم نظر سليمان الى الناس يوم عرفة فقال ما اكثر
الناس فقال عمر خصماؤك يا امير المؤمنين فقال سليمان ابتلاك الله بهم وحكي ان سليمان بن عبد الملك قدم
المدينة وهو يريد مكة فارسل الى ابي حازم فدعاه فلما دخل عليه قال له سليمان يا ابا حازم ما لنا نكره الموت
فقال لانكم خربتم اخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم ان تنتقلوا من العمران الى الخراب فقال يا ابا حازم كيف القدوم
على الله تعالى قال يا امير المؤمنين اما المحسن فكالغائب يقدم على اهله واما المسيء فكالابق يقدم به على مولاه فبكى
به سليمان وقال ليت شعري ما لي عند الله فقال ابو حازم اعرض نفسك على كتاب الله حيث قال ان الابرار
لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين ثم قال سليمان يا ابا حازم اي عباد
الله اكرم قال اهل المروءة والتقى قال فاي الاعمال افضل قال اداء الفرائض مع اجتناب الحرام قال فاي المؤمنين
اكيس قال رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس اليها قال فاي المؤمنين اخسر قال من باع اخرته بدنيا غيره فقال
سليمان ما تقول فيما نحن فيه قال او تعفيني قال لا ولكن نصيحة تلقيها الي قال يا امير المؤمنين ان اباءك قهروا
الناس بالسيف واخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضى منهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد
ارتحلوا فلو شعرت ما قالوا وما قيل لهم فقال له رجل من جلسائه بئس ما قلت قال ابو حازم ان الله قد اخذ الميثاق
على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه فقال كيف لنا ان نصلح هذا الفساد فقال ان تاخذ المال من حله فتضعه
في حقه فقال سليمان ومن يقدر على ذلك قال من يطلب الجنة ويخاف النار قال سليمان ادع لي فقال اللهم ان
كان سليمان وليك فيسره لخير الدنيا والاخرة وان كان عدوك فخذ بناصيته الى ما تحب وترضى فقال سليمان اوصني
فقال اوصيك واوجز عظم ربك ونزهه ان يراك حيث نهاك او يفقدك حيث امرك وحكي ان ابا بكرة
دخل على معاوية فقال اتق الله يا معاوية واعلم انك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تاتي عليك
لا تزداد من الدنيا الا بعدا ومن الاخرة الا قربا وعلى اثرك طالب لا تفوته وقد نصب علم لا تجوزه
فما اسرع ما تبلغ العلم وما اوشك ما يلحق بك الطالب وانا وما نحن فيه زائل والذي نحن اليه صائرون باق
ان خيرا فخير وان شرا فشر ويامر بالمعروف وينهى عن المنكر لقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس
اي ما ظهرت تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض

امر بالمعروف ونهي عن المنكر

يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر الآية وقوله الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة
وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور وقوله المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا
رواه الشيخان عن ابي موسى وهو اي ما ذكر من الامر والنهي وافرد الضمير باعتبار التلازم بينهما فرض اي بالاجماع
والكتاب والسنة على الكفاية اي اذا اطلع على الامر جماعة وامر او نهي واحد منهم سقط عن الباقين والا اثم
الجميع الا اذا كانوا معذورين باليد واللسان فيجب عليهم ان ينكروا بالجنان وذلك اضعف ثمار الايمان
او اهمها في مقام الاتقان او مراتب ارباب الاحسان في الفرض اي من المعروف فعلا كالصلوة والصوم
وتركا كالاجتناب عما عرف من الحرام ومندوب اي وهو مستحب في المندوب اي من المعروف فعلا وتركا وورد
في التنزيل ولتكن منكم امة اي جماعة منكم وهو دليل كونه من الكفاية يدعون الى الخير اي المحض وهو الايمان و
يأمرون بالمعروف الآية اي وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون اي الناجون عن العذاب والمظفرون
بالثواب هم هؤلاء القائمون والمباشرون له وهو القطب الاعظم في الدين والامر المهم الذي بعث الله
له النبيين اجمعين فلو طوي بساطه واهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة وعمت الفترة واضمحلت الديانة
وارتفعت الامانة وتفشت الضلالة وشاعت الجهالة وظهر الفساد وخرب البلاد وهلك العباد وان
لم يشعرون بالهلاك الى يوم التناد ولاصحاب السنن عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال في خطبة خطبها
يا ايها الناس انكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها على خلاف تأويلها يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر
على ان ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله تعالى بعذاب من عنده ولابي داود والترمذي وحسنه
وابن ماجه من حديث ابي ثعلبة الخشني انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله لا يضركم من ضل اذا اهتديتم
فقال يا ابا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر واذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة
واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع العوام ان من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك
فيها بمثل الذي انتم عليه اجر خمسين منكم قيل بل منهم يا رسول الله قال بل منكم لانكم تجدون على الخير اعوانا
ولا يجدون على الخير اعوانا وللبزار من حديث عمر والطبراني في الاوسط من حديث ابي هريرة مرفوعا لتأمرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم وللترمذي وحسنه من حديث حذيفة
نحوه الا انه قال او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم ولابن ماجه باسناد جيد مرفوعا
ان الله تعالى ليسأل العبد ما منعك اذا رأيت المنكر ان تنكره فاذا لقن الله العبد حجته قال يا رب وثقت بك وفرقت
من الناس وللطبراني والبيهقي وحسنه عن عكرمة عن ابن عباس لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فان اللعنة تنزل
على من حضره حين لم يدفعوا عنه ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فان اللعنة تنزل على من حضره وللبيهقي
عن ابن عباس بسند حسن لا ينبغي لامرئ شهد مقاما فيه حق الا تكلم به فانه لن يقدم اجله ولن يحرمه رزقا

ح لا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فان اللعنة تنزل على من حضره ... صح

هو له رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث ابي سعيد بلفظ الا لا يمنعن رجلا هيبة الناس ان يقول بحق
اذا علمه ولابن عدي من حديث ابي هريرة من حضر معصية فكرهها فكانما غاب عنها ومن غاب عنها فاحبها فكانما حضرها
ثم الامر والنهي يجب على العبد وان عدم العدالة اي من يفقد عنه بها لحجر اعن انسداد باب الاحتساب اي الحسبة
بالامر والنهي لاجل الثواب لتعذر العصمة اي عن جميع المعصية الا لارباب النبوة دون الصحابة فضلا عمن دونهم
والانبياء كما قال الحجة قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا والقرآن دال على نسبة ادم الى المعصية وكذا جماعة من
الانبياء ولذا قال سعيد بن جبير ان لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر الا من لا يكون فيه شيء لم يأمر احد
بشيء فاعجب ذلك مالكا من سعيد بن جبير ولان الواجب عليه شيئان وهما الامتناع اي بنفسه عن المعصية والمنع
اي لغيره عنها فلا يسقط ترك احدهما وهو الامتناع الاخر وهو المنع كما في عكسهما فلا تلازم بينهما واما ما ورد في ذم
القائل بما لا يعمل كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون
وقوله اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون وكحديث رأيت ليلة اسري
بي بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه
وكما روي ان الله تعالى اوحى الى عيسى عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وكقول القائل شعر
لا تلم المرء على فعله وانت منسوب الى مثله من ذم شيئا واتى مثله فانما يزري على عقله فلعدم العمل اي لمجرد
الامر والقول كما توهمه قوم وان اذن الامام اي وان عدم اذنه بالحسبة لعموم الادلة واطلاقها اي من غير تقييد
باحد دون اخر حتى يجب على الامام ايضا كما يدل عليه حديث ابي سعيد الخدري افضل الجهاد كلمة عدل عند امام
جائر ابو داود وابن ماجه والترمذي وحسنه فاذا جاز الحكم على الامام على رغمه فكيف يحتاج الى اذنه وقد
شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للاحاد من الرعية الحسبة وهذا الاشتراط فاسد فان الآيات والاخبار تدل على ان
كل من رأى منكرا فسكت عليه عصى اذ دأبه وكيف ما رآه على العموم فالتخصيص بشرط التفويض من الامام تحكم لا
اصل له والعجب ان الروافض زادوا على هذا فقالوا لا يجوز الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما لم يخرج الامام
المعصوم وهو الامام الحق عندهم وهؤلاء اخس رتبة من ان يكلموا بل جوابهم ان يقال لهم اذا جاؤوا الى القضاة
طالبين لحقوقهم في دمائهم واموالهم ان نصرتكم امر بالمعروف واستخراج حقوقكم من ايدي من ظلمكم نهي
عن المنكر وطلبكم لحقكم من جملة المعروف وما هذا زمان النهي عن الظلم وطلب الحقوق لان الامام الحق بعد
لم يخرج هذا واستمر ادعاء السلف في الحسبة على الولاة قاطع باجماعهم على الاستغناء عن التفويض بل كل
من امر بمعروف فان كان الوالي راضيا به فذاك وان كان ساخطا له فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف
يحتاج الى اذنه في الانكار ومن جملة ما انكر السلف على الامراء ما روي ان مروان بن الحكم خطب قبل الصلوة في العيد
فقال له رجل انما الخطبة بعد الصلوة فقال له مروان ان ترك ذلك يا فلان فقال ابو سعيد اما هذا فقد
قضى ما عليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه وان لم يستطع فبقلبه

وذلك اضعف الايمان وروي ان المهدي لما قدم مكة لبث ما شاء الله فلما اخذ في الطواف نحي الناس عن البيت
فوثب عبد الله بن مرزوق فلببه بردائه وقال له انظر ما تصنع من جعلك بهذا البيت احق ممن اتاه من البعد حتى اذا
صار واعنده حلت بينهم وبينه من جعل لك هذا فنظر في وجهه وكان يعرفه لانه من مواليهم فقال له اعبد الله بن مرزوق
فقال نعم فاخذ فجيء به الى بغداد فكره ان يعاقبه عقوبة يشنع بها عليه في العامة فجعله في اصطبل الدواب ليسوسها و
ضموا اليه فرسا عضوضا سيئة الخلق ليعقره الفرس فلينه له الفرس قال ثم صيروه الى بيت واغلق عليه واخذ المهدي
المفتاح عنده فاذا هو قد خرج بعد ثلث الى البستان ياكل البقل فاوذن به المهدي فاستدعاه فقال من اخرجك
قال الذي حبسني قال من حبسك قال الذي اخرجني قال فصيح المهدي وصاح وقال اما تخاف ان اقتلك
فرفع عبد الله اليه راسه وضحك وهو يقول لو كنت تملك حياة او موتا لكان ذلك فما زال محبوسا حتى مات المهدي ثم خلي
عنه فرجع الى مكة قال وقد كان جعل على نفسه نذرا ان خلصه الله من ايديهم ان ينحر مائة بدنة وروي عن جناب
بن عبد الله قال بينا هرون الرشيد بالدوير ومعه رجل من بني هاشم وهو سليمان بن ابي جعفر فقال له هرون
قد كانت لك جارية تغني فتحسن فجئنا بها قال فجاءت فغنت فلم يحمد غناها فقال ما شانك قالت ليس هذا عودي فقال
للخادم جئنا بعودها قال فجاء بالعود فوافق شيخا يلقط النوى فقال الطريق يا شيخ فرفع الشيخ راسه فرأى العود
فاخذه وضرب به الارض فاخذه الخادم وذهب به الى صاحب الربع فقال احتفظ بهذا فانه يطلبه امير المؤمنين
فقال له صاحب الربع ليس ببغداد اعبد من هذا فكيف يكون اطلبه امير المؤمنين فقال له اسمع ما اقول لك ثم دخل
على هرون فقال اني مررت على شيخ يلقط النوى فقلت له الطريق فرفع راسه فرأى العود فاخذه فضرب به
الارض فكسره فاستشاط هرون وغضب واحمرت عيناه فقال له سليمان بن ابي جعفر ما هذا الغضب يا امير
المؤمنين ابعث الى صاحب الربع يضرب عنقه ويرمي به في دجلة فقال لا ولكن نبعث اليه ونناظره اولا فجاء
الرسول فقال اجب امير المؤمنين فقال نعم قال اركب قال لا فجاء يمشي حتى وقف على باب القصر فقيل لهرون قد جاء
الشيخ فقال للندماء اي شيء ترون نرفع ما قدامنا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ او نقوم الى مجلس اخر ليس فيه
منكر فقالوا له نقوم الى مجلس ليس فيه منكر اصلح بنا فقاموا وصاروا الى مجلس ليس فيه منكر ثم امر بالشيخ
فادخل وفي كمه الكيس الذي فيه النوى فقال له الخادم اخرج هذا وادخل على امير المؤمنين فقال من هذا
عشائي الليلة قال نحن نعشيك قال لا حاجة لي في عشائك فقال له هرون اي شيء تريد منه فقال في كمه نوى فقلت له
اطرحه وادخل على امير المؤمنين فقال دعه لا تطرحه قال فدخل فسلم وجلس فقال هرون يا شيخ ما حملك على ما
صنعت فقال واي شيء صنعته فجعل هرون يستحي ان يقول كسرت عودنا فلما اكثر عليه السكوت قال اني سمعت
اباءك واجدادك يقرؤن هذه الاية على المنبر ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى
عن الفحشاء والمنكر والبغي ورأيت منكرا فغيرته فقال فغيره فوالله ما قال الا هذا فلما خرج اعطى رجلا بدرة فقال
اتبع الشيخ فان رأيته يقول قلت لامير المؤمنين وقال لي فلا تعطه شيئا وان رأيته لا يكلم احدا فاعطه البدرة

فلما خرج

فلما خرج من القصر اذا هو بنواة في الارض قد غاصت فجعل يعالجها ولم يكلم احدا فقال له يقول لك امير المؤمنين
خذ هذه البدرة فقال قل لامير المؤمنين يردها من حيث اخذها ويروى انه اقبل بعد فراغه من كلامه على نواة يعالج
قلعها من الارض وهو يقول « شعر » اري الدنيا لمن هو في يديه « هموما كلما كثرت لديه « تهين المكرمين لها بصغر «
وتكرم كل من هانت عليه « اذا استغنيت عن شيء فدعه « وخذ ما انت محتاج اليه « وحكم اي وحق وجوب الاحتساب لعالم
العلم اي معرفة خطاء الامور وصوابها ليعلم الحدود اي مراتبها والحقوق المتعلقة باصحابها فالجاهل بمعزل عن
هذا الباب بل يشترط ان يكون مسلما مكلفا قادرا على الاحتساب ومن هنا قال بعض علمائنا ان العالم انكاره
بالجنان والعالم انكاره باللسان والامير انكاره بالاركان فانه يجب ان يعلم المحتسب مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها
ليقتصر على حد الشرع في ابوابها وذلك معنى قوله والورع اي عن المنكرات مطلقا او عن ذلك المنكر والاول اظهر
ليروعه ورعه عن مخالفة معلومه فما كل من علم عمل بعلمه بل ربما يعلم انه مسرف في الحسبة وزائد على الحد المأذون
فيه شرعا ولكن يحمله عليه غرض من الاغراض الفاسدة او عوض من الاعواض الكاسدة ولم يكن كلامه ووعظه مقبولا
لعدم تاثير قول الفاسق وسقوط اعتباره عند الخلايق لان الحسبة تارة تكون بالنهي بالوعظ وتارة بالقهر
ولا ينفع وعظ من لا يتعظ اولا وكذا ان قهر بالفعل فقدره قهر بالحجة عليه فينفر الطباع عن قهره بالفعل
فلا يفيد فائدة لا سيما مع ارباب الجهل والا فلا يخرج الفعل عن كونه حقا كما ان من يجذب الظالم عن احاد المسلمين
ويحمل اياه ويعوق مظلوم منه ينفر الطباع عنهم ولا يخرج دفعه عن المسلم عن كونه حقا فتحصل من هذا ان الفاسق ليس عليه الحسبة
بالوعظ على من يعرف الفسق لانه لا يتعظ به واذا لم يكن عليه ذلك وعلم انه يفضي الى تطويل اللسان في عرضه بالانكار فنقول
ليس له ذلك ايضا فرجع الكلام الى ان احد نوعي الاحتساب هو الوعظ قد بطل بالفسق وصارت العدالة شرطا
فيه واما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حجر على الفاسق في اراقة الخمر وكسر الملاهي وغيرها اذا قدر عليه قال
الغزالي وهو غاية الانصاف والكشف في المسئلة انتهى ولا يخفى ان هذا مخالف لما تقدم من ان العدالة ليست بشرط في هذا
الباب بل هو من باب الكمال والله اعلم بالصواب وقد ورد عن انس قلنا يا رسول الله لا نامر بالمعروف حتى نعمل
به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله قال عم بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه
كله الطبراني في المعجم الصغير والاوسط وحسن الخلق اي ليقدر به على ترتيب الحسبة على الخلق بالحكمة اولا وبالموعظة
ثانيا وبالمجادلة والمدافعة والمضاربة والمقاتلة ثالثا وهو الاساس اي مدار سياسة الناس في الاحياء وورد
لا تامر بالمعروف ولا تنهى عن المنكر الا رفيق فيما يامر به ورفيق فيما ينهى عنه الحديث قال مخرجه ولم اجده هكذا والبيهقي
في الشعب من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده من امر بالمعروف فليكن بمعروف والحاصل ان العلم والورع
لا يكفي فيه بل لا بد من حسن الخلق ايضا فان الغضب اذا هاج لم يقم العلم والورع في قمعه ما لم يكن في الطبع قبول له
بحسن الخلق وعلى التحقيق فلا يتم الورع الا مع حسن الخلق والقدرة على دفع الشهوة ومنع الغضب وبه يصبر المحتسب
على ما اصابه في دين الله كما قال تعالى حكاية عن لقمان يا بني اقم الصلوة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما

اصابك اذ ذلك من عزم الامور وعن بعض السلف اذا اراد احدكم ان يامر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر
وليثق من الله بالثواب والاجر فمن وثق باجر المولى لم يجد مس الاذى والا فاذا اصيب عرضه او نفسه بشتم
او ضرب بسبب الحسبة وغفل عن دين الله وتصحيح النية وتحسين الطويل فاشتغل بنفسه الردية واخلاقها الدنية بل ربما
تقدم عليه ابتداء الطلب الجاه او طمع المال او الريا والسمعة ولعل هذا وجه القائل هذا زمان السكوت والبيوت
وقال كعب الاحبار لابي مسلم الخولاني كيف منزلتك عند قومك قال حسنة قال ان التوراة تقول ان الرجل
اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال ابو مسلم صدقت التوراة وكذب ابو مسلم فهيجان الغضب
اي منه او من غيره الا بسكين دونه اي عند امر من الاذى يتحرك فيه انواع الشرور وورد في طه فقولا له قولا
لينا اي سهلا يا هينا لعله يتذكر اي يتعظ فيترك الكفر ابتداء او يخشى اي عقابه فينتهي عن خلافه انتهاء فاذا كان
الانبياء مامورين بالرفق مع شر الخلق فكيف بالعلماء مع اهل الحق وحكي عن المامون انه وعظه واعظ وعنف
في القول فقال يا رجل ارفق فقد بعث الله تعالى من هو خير منك الى من هو شر مني وامره بالرفق فقال فقولا له
قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وقد روى ابو امامة ان غلاما شابا اتى النبي عم فقال يا نبي الله اتاذن لي في الزنا
فصاح الناس به فقال عم اقروه ادن فدنا حتى جلس بين يديه فقال عم اتحبه لامك قال لا جعلني الله فداك قال
كذا الناس لا يحبونه لامهاتهم قال اتحبه لاختك قال لا جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لاخواتهم وزاد
ابن عوف انه ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل ذلك لا جعلني الله فداك وهو عليه السلام يقول كذلك الناس لا يحبونه
وقالا جميعا في حديثهما اعني ابن عوف والراوي الاخر فوضع رسول الله صلى الله عم يده على صدره وقال اللهم
طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن شيء ابغض اليه منه اي من الزنا رواه احمد باسناد جيد رجاله رجال
الصحيح وقيل للفضيل بن عياض ان سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال ما اخذ منهم الا دون حقه ثم
خلا به وعزله ووبخه وقال سفيان يا ابا علي ان لم نكن من الصالحين فانا لنحب الصالحين ولم اي بل الحسبة
التعريف اي تعريف فحش المعصية ثم الوعظ اي النصيحة بالكلام اللطيف والتخويف منه اي بالعقوبة في الدنيا و
الاخرى لا يتجاوز اي المحتسب عنه اي عما ذكر من الامور الثلثة ان كان احتسابه على الوالدين وقد سئل الحسن
عن الولد كيف يحتسب على والده قال يعظه ما لم يغضب فاذا غضب سكت عنه قيل وفي الوالدين التلميذ
والاستاذ واما في الاحيا من الاخبار الوالد في ان الجلاد ليس له ان يجلد اباه في الزنا ولا ان يباشر اقامة الحد
عليه ولا يباشر قتل ابيه الكافر فانه لو قطع يده لم يلزمه القصاص ثم قال وثبت بعضها بالاجماع فقال لم خرجه
لم اجد فيه الحديث لا يقاد الوالد رواه الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر او المولى اي المالك من العبد
او البعل اي الزوج من المراة او السلطان اي على الخليفة ومن في معناه من الرعية من امرائه ووزرائه فانه يكاد
يفضي الى خرق هيبته واسقاط حشمته وترتب عليه الفساد من جهة حميته والغضب على رعيته فللحاكم في مستدركه
من حديث عياض بن غنم الاشعري من كانت عنده نصيحة لذي سلطان فلا يكلمه بها علانية وليأخذ بيده فليخل به

فان قبلها

فان قبلها فيها والا كان ادى الذي عليه والذي له وقال صحيح الاسناد وللترمذي وحسنه من حديث ابي بكرة من
اهان سلطان الله في الارض اهانه الله في الارض وهذا منه عم طريق رافق ورحمة على الانام والافقد
ورد عنه من حديث ابي عبيدة قلت يا رسول الله اي الشهداء اكرم على الله قال رجل قام الى الوالي جائر فامره بالمعروف
ونهاه عن المنكر فقتله الحديث رواه البزار والحاكم في مستدركه وصحح اسناده من حديث جابر سيد الشهداء حمزة
بن عبد المطلب ورجل قام الى امام جائر فامره ونهاه فقتله ويقوي ما سلف حجة قارب امرهم الى الهلاك والتلف
والحاصل انه لا يجب عليه الآن يستحب له وثنا عليه بل يشتغل بالدعاء اي لتوفيقهم بالمعروف والاستغفار اي
للمجاوزة عنهم في المنكر فان هذين الامرين نفعها اكثر خصوصا في هذا الزمان فتدبر ثم التعنيف اي
الكلام الخشن والسب اي الشتم دون الفحش فلا يقول له يا كافر يا يهودي يا نصراني يا خنزير يا كلب يا فاسق
بل يقول مثل يا جاهل ويا احمق الا يخاف من الله وما يجري مجراه لا يتجاوز عنه اي عن هذا الا ان كان
الاحتساب على المسلم من الذمي تحرزا عن استيلاء الكافر فان الذمي اذا منع المسلم بفعله دون قوله فهو
يسلط عليه فيمنعه من الوصول اليه لقوله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا واما مجرد قوله لا ترتكب
ونحوه من النصيحة والتخويف من الفضيحة فلا تصدر فيه بل ربما يكون سبيلا للامتناع عما فيه ثم التغيير
اي تغيير المنكر باليد والمباشرة على سبيل المنع بالقهر ككسر الملاهي اي من آلات الغناء كالمزمار والاوتار واراقة الخمر
اي التي ام الخبائث واصل القبائح واساس الشر وكذا اختطاف الثوب الحرير من راسه واسترداد الشيء المغصوب
من يده ورده على صاحبه فللترمذي من حديث ابي طلحة انه قال يا نبي الله اني اشتريت خمرا لايتام في حجري
قال اهرق الخمر واكسر الدنان ثم التهديد اي التخويف بالضرب من عنده او من عند غيره من الحاكم وغيره ثم
الضرب اي بمباشرة ان كان قدرة لديه حتى يمتنع عما هو عليه وهو بقدر الوسع اي الطاقة في ادية الطاعة
كالمواظب على القذف والغيبة فانه سلب لسانه غير ممكن ولكن يحمله على اختيار السكوت بالضرب وهذا وجه
الى استعانة وحصول اعانة وان لم يقدر اي على الضرب ونحوه فالكراهة اي بقلبه كافية فورد في حديث من راى
منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان اي اضعف اهل الايمان
او اضعف ثماره او اضعف مراتبه في شانه رواه احمد ومسلم والاربعة عن ابي سعيد مرفوعا ولا يخفى ان العاجز ليس
عليه حسبة الا بقلبه اذ كل من احب الله يكره معاصيه وينكرها قال ابن مسعود جاهدوا الكفار بايديكم فان لم تستطيعوا
الا ان تكفهروا في وجوههم فافعلوا ثم اعلم انه لا يتوقف سقوط الوجوب على العجز الحسي فقط بل يلتحق به ما يخاف
عليه مكروها فذلك في معنى العجز وكذا اذا لم يخف مكروها ولكن علم ان انكاره لا ينفع وهذا معنى قوله واذا ظن
الانكار صار لا يجب اي الانكار بالقول بل يستحب لاظهار الامر الدين نعم يلزم ان لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل
في بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج الا لحاجة مهمة او واجب ولا يلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة الا اذا كان ذا رهق
الى الفساد ويحمل على مسائل عنه السلاطين في الظلم والمنكرات فيلزمه الهجرة اذ قدر عليها فان الاكراه لا يكون عذرا

في حق من يقدر على الهرب من الاكرام وان ظن اصابة مكروه من ضرب ونحوه او فعل منكر اخر اي بسببه كهربه غيره من اصحابه
او اقاربه او رفقائه يحرم اي يجب الاحتساب الا ان يظن الامتناع ايضا فاذا تعارض الظنان فيستفتي من القلب
في اختيار ما يلهمه الرب ونظر في صلاحه اي صلاح الامر من غالبا في تحسين ما له فروي عن العالم الرباني ابي سليمان
الداراني انه قال سمعت من بعض الخلفاء كلاما فاردت ان انكر عليه وعلمت اني اقتل ولم يمنعني القتل ولكن كان
في ملا من الناس فخشيت ان يعتريني التزين للخلق فاقتل من غير اخلاص في الفعل الحق فان قيل فما معنى قوله تعالى ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة اجيب بانه لا خلاف في ان المسلم الواحد له ان يهجم على صف الكفار ويقاتل وان علم انه يقتل
وهذا ربما يظن انه مخالف لموجب الاية وليس كذلك فقد قال ابن عباس ليس التهلكة ذلك بل ترك النفقة في
طاعة الله تعالى اي من لم يفعل ذلك فقد اهلك نفسه ويؤيده جملتان السابقة واللاحقة اذ قال تعالى وانفقوا في
سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ولا يبعد ان تفسر التهلكة باسراف المال وتضييع العيال وقال ابو عبيدة
هو ان يذنب ثم لا يعمل بعده خيرا حتى يهلك ذكره في الاحياء وهو صحيح في المعنى لكن بعيد ماخذه من الاية يجب ارادته
من المبنى ثم اذا جاز ان يقاتل الكفار حتى يقتل جاز ايضا له ذلك في الحسبة والاعتبار للظن الغالب في حصول فائدة
من المحارب والمحتسب من معتدل الحال بان يكون في طبعه من ارباب الكمال فالجبان وهو ضعيف القلب في ميدان البيان
يستقرب البعيد اي يظن والجبان فيرى القريب بعيدا حتى كانه يشاهده ويرتاع منه ولا يجاهده والمتهور يعكس اي
الامر يستبعد القريب في الزمان والمكان فيعد وقوع المكروه به حكم لما جبل عليه من حسن امله واصل طبعه حتى انه لا يصدق في
الابعد وقوعه والحاصل ان الجبن مرض وهو ضعف في القلب بسبب قصور في القوة وتفريط والتهور افراط في القوة
وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان وانما الكمال في الاعتدال الذي يعبر عنه بالشجاعة فلا التفات
الى الطرفين في الاخلاق والاحوال ولا يتجسس فيشترط ان يكون المنكر ظاهرا للمحتسب بغير تفحص فكل من ستر على معصيته
في داره واغلق عليه بابه لا يجوز لاحد ان يتجسس عليه من طاقته وجداره وامثاله كوضع الاذن لسماع الملاهي والانف
لشم الخمر والملاهي والاحساس صوت الاوتار متعلق بوضع الاذن ورايحة الخمر في تلك الدار وطلب اراءة ما تحت الثوب
فاذا راى فاسق وتحت ذيله شيء نحو ظرف خمر او خشب عود لم يجز ان يكشف عنه ما لم يظهر بعلامة خاصة بان كانت
له رايحة فايحة او تشكل العود اذا كان الثوب الساتر رقيقا والا فمجرد الظن لا يعمل به فانه قد يستر قارورة خل
في الكم وتحت الذيل ولا يدل فسقه على ان الذي معه خمر يشرب منها اذ الفاسق يحتاج ايضا الى الخل وغيره ولا يجوز ان
يستدل باخفائه وانه لو كان خلا لما اخفاه لان الاغراض في الاخفاء لا تحصر بالاستقصاء كذا في الاحياء فهو اي
التجسس منهي عنه اي في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب
بعضكم بعضا وروي ان عمر رض تسلق دار رجل فراه على حالة مكروهة فانكر عليه فقال يا امير المؤمنين ان كنت
قد عصيت الله من وجه فقد عصيته انت من ثلثة اوجه فقال عمر وما هي فقال قد قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال
واتوا البيوت من ابوابها وقد تسورت من السطح وقال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها

وما سلمت

وما سلمت فتركه عمر وشرط عليه التوبة وقد شاور عمر الصحابة وهو على المنبر وسألهم عن الامام اذا شاهد بنفسه منكرا
فهل له اقامة الحد فاشار علي بان ذلك منوط بعدلين فلا يكفي فيه واحد ويدخل الدار عند ارتفاع الاصوات اي اصوات
الملاهي وما يدل على مجالس المنكرات من المناهي وهذا بمنزلة الاستثناء من الحكم السابق والمعنى انه لا يجوز الدخول على من
اغلق باب داره وتستر بحيطان جداره الا ان ظهر في الدار ظهورا يعرفه من هو خارجها كاصوات المزامير والاوتار
اذا ارتفعت بحيث جاوز ذلك حيطان الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاهي وقطع الاوتار وكذا اذا ارتفعت
اصوات السكارى بالكلمات المالوفة بينهم بحيث يسمعهم اهل الشوارع فهذا الاظهار موجب للحسبة والانكار ويحتسب على
غير المكلف اذ شرط المحتسب عليه ان يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه في حقه منكرا ولو لم يكن معصية بالنسبة اليه
ولعل يكفي في ذلك ان يكون انسانا ولا يشترط كونه مكلفا اذ تقرر ان الصبي لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وان
كان قبل البلوغ ولا يشترط كونه مميزا اذ تحقق ان المجنون لو كان يزني بمجنونة او ياتي بهيمة او يشرب الخمر وجب منعه
نعم من الافعال ما لا يكون منكرا في حق المجنون كترك الصلوة والصوم وغيره فهي المحتسب عليه اي التكليف اي بخلاف
المحتسب فانه يشترط تكليفه في حق الوجوب عليه واما امكان الفعل وجوازه فلا يستدعي الا العقل حتى ان الصبي
المراهق للبلوغ المميز وان لم يكن مكلفا فله انكار المنكر وله ان يريق الخمر ويكسر الملاهي فاذا فعل ذلك نال به ثوابا ولم يكن
لاحد منعه من حيث انه ليس بمكلف فان هذه قربة وهو من اهلها كالصلوة والامامة وسائر القربات وليس حكمه حكم الولايات حتى
يشترط فيه التكليف ولذلك اثبتوا الحسبة للعبد وآحاد الرعية نعم في المنع بالفعل وابطال المنكر نوع ولاية وسلطنة و
لكنها يستفاد بمجرد الايمان كقتل المشرك وابطال سببه وسلب السلاح فان للصبي ان يفعل ذلك حيث لا يستضر به فالمنع عن
الفسق كالمنع عن الكفر لا في محل الخلاف اي لا يحتسب الا في المتفق على كونه منكرا فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه كاكل
الشافعي الضب فليس للحنفي ان ينكر عليه اكله وكذا في اكل الضبع ومتروك التسمية عمدا وللشافعي ان ينكر على الحنفي
شربه النبيذ الذي ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوي الارحام وجلوسه في دار اخذها بالشفعة بالجوار الى غير ذلك من
مجاري الاجتهاد نعم لو راى الشافعي شافعيا يشرب النبيذ وينكح بلا ولي ويطأ زوجته ورأى الحنفي حنفيا يلعب بالشطرنج
او يلبس الثوب الاحمر وهذا في محل النظر كما في الاحياء والاظهر ان له الحسبة والانكار اذ لم يذهب احد من المحصلين
الى ان المجتهد يجوز له ان يعمل بموجب اجتهاد غيره ولان الذي ادى اجتهاده في التقليد الى تخصيص رآه افضل العلماء فان
له ان ياخذ بمذهب غيره فينتقل من المذاهب اطيبها عنده بل على كل مقلد اتباع مقلده في كل تفصيل فاذن مخالفته للمقلد
متفق على كونه منكرا بين المحصلين وهو عاص بالمخالفة الا انه جوز له تقليد غيره من الائمة في بعض المسائل فاذا اعتذر و
قال انا مقلد الشافعي او الحنفي في هذا الباب يرتفع عنه الاحتساب والله اعلم بالصواب وقد ذهب جمع انه لا حسبة
الا في مثل الخمر والخنزير وما يقطع بكونه حراما كاكل الميتة والدم وما اجمع على تحريمه حيث جوز للجاهل المقلد ان يختار
من المذاهب ما اراد رفقا به ولعل وجه كلامهم ما ورد من ان الله سبحانه يحب ان يؤتى رخصه كما يحب ان يؤتى عزايمه

وقد قال الله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فمن تبع عالما لقي الله سالما ومن المعلوم ان
الله سبحانه وتعالى لم يكلف احدا ان يكون حنفيا او مالكيا او شافعيا او حنبليا بل كلفهم ان يعملوا بالكتاب
والسنة ان كانوا علماء وان يقلدوا العلماء اذا كانوا من الجهلاء ولا قبل الارتكاب اي ولا يحتسب قبل
مباشرة ما يجب عليه الاجتناب فيشترط ان يكون المنكر موجودا في الحال لا انه يتوقع منه في المآل فهو
اي وجوده قبل الارتكاب مشكوك فيه فلا يجوز فيه الاحتساب لكن يعلم بقرينة حال وهيئته انه عازم على الشرب
في ليلة فانه لا حسبة عليه الا بوعظ ونصيحة فان انكر عزمه عليه لم يجز وعظه ايضا لان فيه اساءة
ظن بالمسلم وربما صدق في قوله وربما لا يقدم على ما يعزم عليه لعائق عن فعله وليتنبه للدقيقة المتفرعة
على هذا الاصل وهي ان الخلوة بالاجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء وما يجري مجراه من
سائر الاشياء والبعدية ولا يحتسب بعده الارتكاب وفراغه عن هذا الباب فهو اي هذا النوع من الاحتساب حق
الامام اي ومن جعله من النواب وعلى المحتسب عليه القبول والاعتذار اي واجبان عليه ولازمان عليه فهو المأثور
اي عن السلف الابرار وبعض المصر اي الملازمة على المعصية من غير رجوع بالتوبة سواء كان كافرا او فاجرا
او مبتدعا ولو لم يكن داعيا فيه اي في الله تعالى اي شأنه وتعالى برهانه بالاعراض عنه اي في السلام والكلام
والاهانة اي بزيادة المهانة وترك الاعانة اي فيما يظهر من الاغاثة وابطال الاغراض تعين على المعصية
دون غيرها اي غير المعصية ولو اعان اي في الاغراض التي تعين على غير المعصية تحريضا على قبول النصح اي فيما يذكر
له من الكلام او الحق الاسلام فحسن اي فاعانته مستحسن قال الله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في
الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين فهذا في زماننا يتصور
في حق اهل الذمة فالحال يختلف بالنية اي باختلافها وتفاوت الطوية كما في ترك الفسق اي كما يختلف في
ترك الاحتساب لخوف الفسق الا ان يعلم تحرجه من قوله فان اعان الا ان يعلم المبغض الاقتداء اي اقتداء الناس
كما في نسخة فلا يعينه كما في المبتدع اي الداعي لا يعينه والمعلن بالفسق في الملاء تأكيد للاعلان او قيد للمبتدع
والمعلن فهو احتراز من البدعة والفسق في الخلاء والاظهر انه ظرف لبعض المص كما يشير اليه قوله حتى ترك
السلام اي في الابتداء ورده في الانتهاء فهو اي حق السلام ورده يسقط بادنى غرض كالبول في الحمام ونحوه
ورد من انتهر اي زجر وقهر صاحب بدعة اي منكرة ملأ الله قلبه ايمانا اي معرفة وايقانا ومن اهانه آمنه الله
اي جعله آمنا من عذاب يوم الفزع الاكبر ومن لان له اي في الكلام او اكرمه اي بالقيام او لقيه ببشر اي
في حال السلام فقد استخف بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم اي فلم يعمل بما يجب عليه من الاحكام وان استحل
ذلك فقد خرج عن دائرة اهل الاسلام والحديث لم اجده في كتب الاعلام لكن ورد عنه عليه السلام من وقر صاحب بدعة
فقد اعان على هدم الاسلام ويستثنى من القلب في الخلاء اي اذا كان وحده او في حكم الخلاء ان اظهار البغض اقرب
الى الانزجار اي امتناع المبتدع والفاسق عن حالهما الا ان التلطف بالنصح انسب الى اصلاح امرهما فيفعل بمقتضى

ذلك ولا يحسن

نصف الكتب في هذه الصحف من زين العلم شرح عين العلم لعلي القاري عفي عنه الباري

وهو القيامة الكبرى صح

ذلك ولا يحسن الى من جنى اي ظلم في حق الناس اي لا بالحماية ولا بالشفاعة والعناية فهو اي الاحسان الى الظالم
اساءة في حق المظلوم اي الاولى بالرعاية كما في نسخة بخلاف حقه اي فله ان يعاقبه بمثله وله ان يحسن اليه في مقابلة
ظلمه عليه بل هذا من الخلق الممدوح لديه قال تعالى ادفع بالتي هي احسن ويضطر الذمي الى اضيق الطرق اي بغير عزة
المسلم وغلبته فالاسلام يعلو ولا يعلى ولا يبدأ بالسلام عليه لانه ليس من ارباب الاكرام لديه والاحسان اليه ولا يزيد في جوابه
اي على قوله وعليك او عليك فحسب وعبارة المص موهمة ان يقول له وعليك السلام من غير زيادة ورحمة الله و
بركاته وليس كذلك فانه يخالف الرواية والدراية ويسلم على من اتبع الهدى ان كان اي الذمي او الحربي او الفاسق
او البدعي في جمع المسلمين وكانه مقتبس من قول موسى عم السلام عليكم وينوي المسلمين الكاملين ويدعو في تشميته اي
جواب عطسته بالهداية اي بان يقول يهدينا ويهديكم الله لا بالرحمة فلا يقول يرحمك الله ولا يرشده اي لا يدله على
معبده اي من البيعة لليهود او الكنيسة للنصارى فانه اعانة على المعصية وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى
ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ولا يصافحه لان المصافحة من باب كمال المصالحة ويعيد الوضوء اي اللغوي وهو
غسل اليدين ان صافحه اي لكونه الظاهر قوله تعالى انما المشركون نجس ولا يستقبل جنازته بالوجه اي بالمواجهة بل يدبر
عنها وجهه اذا اتت في المقابلة الباب **الباب التاسع في الصمت وآفات اللسان** المراد بالصمت السكوت
في ميدان البيان فقد ورد من صمت نجا رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمر بسند فيه ضعف والطبراني بسند جيد
والصمت حكم وقليل فاعله الديلمي عن ابن عمر بسند ضعيف والبيهقي في الشعب من حديث انس بلفظ حكم بدل
حكمة قال السخاوي والصحيح عن انس ان لقمان قال ولابي نعيم في الحلية من حديث ابن عمر من كثر كلامه كثر سقطه وما احسن قول
القائل شعر ما ان ندمت على سكوتي مرة ولقد ندمت على الكلام مرارا بسم الله الرحمن الرحيم خير كلام صدر
من كل حكيم وورد ان اكثر خطايا ابن ادم في لسانه الطبراني وابن ابي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب
بسند حسن وللترمذي وصححه وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من حديث معاذ قلت يا رسول الله
انؤاخذ بما نقول فقال ثكلتك امك وهل يكب الناس على مناخرهم الا حصائد السنتهم وللترمذي وحسنه من حديث
عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وفي الصحيحين
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليسكت ولابن ابي الدنيا وغيره من حديث انس مرفوعا رحم الله
عبدا تكلم فغنم او سكت فسلم ففي الصمت الوقار اي حصول الرزانة والطمأنينة واجتماع الهمة اي الامور المهمة
والسلامة من آفات الدارين اي محن الكونين وفتن الحالين فان البلاء اي في الدنيا والاخرى موكل في المنطق
مصدر ميمي اي بنطق اللسان الصادر عن الانسان في معرض البيان فاللسان ثم الذي ادرجه المص في كلامه
حديث رواه الخطيب في تاريخه عن ابن مسعود بلفظ البلاء موكل بالمنطق فلو ان رجلا عير رجلا برضاع كلبة
لرضعها قال السخاوي وضعيف اولا ويقويه ما نسبه الزركشي الى ابن لال في مكارم الاخلاق من حديث
ابن عباس والديلمي من حديث ابي الدرداء قال السخاوي والديلمي ايضا من حديث ابن مسعود مرفوعا واحمد

ويضطر الذمي الى اضيق الطرق

[illegible]

الباب التاسع

في الزهد عنه موقوفا وابن السمعاني في تاريخه من حديث علي مرفوعا وبهذا تبين سخط ابن الجوزي حيث ذكره في الموضوعات
لكن لفظ البلاء موكل بالقول ولعل هذا سبب نسبته الى الوضع منها اي من آفات اللسان ما لا يعني اي ما لا ينفع الانسان من البيان
وهو اي ما لا يعني ما لا اثم عليه ولا ثواب اي لا اجر له به وينبغي ان يزاد ولا حاجة اليه وقد يعبر عنه باللغو ومنه قوله تعالى
والذين هم عن اللغو معرضون واذا مروا باللغو مروا كراما والاصل في اللغو وما لا يعني كلاهما شمول القول والفعل
ربنا حصوره وتصوره في ميدان العقل الا ان الاكثر استعمالهما فيما يتعلق باللسان ففيه آفات كثيرة وعاها شهيرة
ذكر المصنف منها ثلثة عشر آفة الاولى تضييع الوقت وهو يوجب المقت فانك به تضيع زمانك وتحاسب على عمل لسانك
فرأس مال العبد اوقاته ومهما صرفت فيما الى ما لا يعنيه ضاع حالاته ضيعه اياه في الدنيا ولم يدخر فيها ثوابا للعقبى
ومن هنا قال الصديق الاكبر ليتني كنت اخرس الا عن ذكر الله في الحديث ليس تتحسر اهل الجنة يوم القيمة الا على ساعة
مرت بهم ولم يذكروا الله فيها رواه الطبراني والبيهقي عن معاذ وجاء في حديث ضعيف ان الله امرني ان يكون نطقي
ذكرا وصمتي فكرا ونظري عبرة وقساوة القلب لانها الغفلة عن ذكر الرب قال تعالى فويل للقاسية قلوبهم عن ذكر
الله وقال تعالى الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب اي تسكن وتلين وقال تعالى في
بيان القران وذكره تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ووهن البدن
اي ضعفه بضعف بعض جسده فانه اذا اشتكى بعض الاعضاء تألم معه سائر الاجزاء وتأخير الرزق اي المعنوي
او الحسي ايضا جزاء لما فات من الرفق وايذاء الحفظة اي كرام الكاتبين بالقاء كلام والملائه مرام من غير فائدة
في تمام قال عطاء بن ابي رباح ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدونه منه ما عدا كتاب
الله وسنة رسوله او امرا بمعروف ونهيا عن المنكر او نطقا بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها اتنكرون
عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وعن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد اما يستحي احدكم ان لو نشرت صحيفته التي املاء صدر نهاره كان اكثر ما فيها ليس من امر دينه ولا دنياه
وارسال كتب اي صحايف من اللغو اليه تعالى اي العرض اليه قبل الفضيحة وقراءته بين يديه تعالى يوم القيمة على رؤس الاشهاد كما يشير
اليه قوله تعالى اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ومن هنا قال عمر رض حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وهو
وهو مستفاد من قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله وتكرار الامر بالتقوى
لانها مطلوبة في الدنيا والاخرى والحبس عن الجنة اي بمقدار ما اضاعه في الدنيا من الغفلة عن الحضرة والحسنات
لما اثبته في الكتاب من استحقاق الثواب او استيجاب العقاب واللوم كما يشير اليه قوله تعالى لا اقسم بيوم القيمة ولا اقسم
بالنفس اللوامة فانها تلوم نفسها على وجه الندامة فانها ان عملت خيرا تلوم نفسها لماذا ما زادت عليه وان عملت شرا فظاهر
في حقها الملامة والتعيير اي التوبيخ على التقصير وانقطاع الحجة اي ابطالها في تلك الحالة والحياء من ترك ما الله من الجلالة
وورد اي من حديث ابي هريرة في رواية الترمذي وابن ماجه من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه بل ورد ما هو اشد من
هذا انه استشهد غلام منا يوم احد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت التراب عن وجهه وقلت هنيئا

لك الجنة

لك الجنة يا بني فقال عم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه او يمنع ما لا يضره ابن ابي الدنيا والترمذي
مختصرا وفي حديث اخر انه عم فقد كعبا فسأل عنه عم فقالوا مريض فخرج يمشي حتى اتاه فلما دخل عليه قال له ابشر
يا كعبا فقالت امه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال عم من هذه المتألية على الله قال هي امي يا رسول الله قال وما يدريك
يا ام كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه او منع ما لا يغنيه والمعنى ان الجنة انما تهنأ لمن لا يحاسب ولا يعاقب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب

فضول الكلام

وان كان كلامه مباحا فلا تتهيأ الجنة له لا استيعاب المناقشة في الحساب فانه نوع من العذاب ومنها الفضول الكلام
وهو زيادة فيما يعني على قدر الحاجة فان من يعنيه امر يمكنه ان يذكره بكلام مختصر ويمكنه ان يبسطه ويقرره
ويكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول اي فضل على الحاجة فعن ابن مسعود انذركم
فضول الكلام بحسب امرئ ما يبلغ به حاجته اي من المرام في المقام وورد طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل
من ماله تمام وسعته السنة ولم تستهوه البدعة رواه البغوي والبيهقي وابن عبد البر وحديث حسن وفضول الكلام لا
يحصر ولا يحصى بل المهم محصور في كتاب الله تعالى لا خير في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين
الناس وقد ورد الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا امرا بمعروف او نهيا عن منكر او ذكر الله البزار عن ابن مسعود والطبراني عن ابي

الخوض في الباطل

الدرداء بلفظ الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما ابتغي به وجه الله تعالى ومنها الخوض في الباطل وهو الكلام في المعاصي
كمحاسن النساء اي حكايا احوالهن من قدهن وخدهن وجمالهن ومقامات الفساق من مجالس الخمر وسماع المزامير وتنعم الاغنياء
اي بالمأكول والمشروب من الاشياء وتجبر الملوك اي واتباعهم من الامراء والوزراء وحروب الصحابة كقصة الجمل و
صفين على طريق الاخباريين لا على دراية المحدثين والمذاهب الباطلة وما يتعلق بها من المشارب العاطلة فان كل ذلك
مما لا يحل الخوض فيه وورد اعظم الناس خطايا جمع خطيئة كقضية وقضايا يوم القيمة اكثرهم خوضا في الباطل ابن
ابي الدنيا من حديث قتادة مرسلا ورجاله ثقات ورواه هو والطبراني موقوفا على ابن مسعود بسند صحيح وهو في
حكم المرفوع ولابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح من حديث بلال بن الحارث ان الرجل ليتكلم بالكلمة من
رضوان الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت يكتب الله بها رضوانه الى يوم يلقاه وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط
الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت يكتب الله بها عليه سخطه الى يوم القيمة وكان لقمان يقول كم من كلام قد
منعنيه حديث بلال بن الحرث ولابن ابي الدنيا من حديث ابي هريرة بسند حسن مرفوعا ان الرجل ليتكلم بالكلمة
يضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا وللشيخين والترمذي واللفظ له وقال حسن غريب ان الرجل ليتكلم
بالكلمة لا يرى بها باسا يهوي بها سبعين خريفا في النار وهو اي الخوض في الباطل حرام كما يشير اليه قوله تعالى
وكنا نخوض مع الخائضين وقوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقال سلمان اكثر الناس
ذنوبا يوم القيمة اكثرهم كلاما في معصية الله وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول توضؤا
فان بعض ما تقولون شر من الحدث يعني فان الحدث مباح وكلام المعصية منكر ولذا قال بعض السلف يتوضأ من
الغيبة والنميمة والحق الطهارة الظاهرة والباطنة عن المعصية الوخيمة والاولان اي ما لا يعني وفضول الكلام

مكروهاً كراهة تحريم انهما يوركث كالاولى كما لا يخفى وسبب الجميع اي باجميع ما ذكر مما لا يعني والفضول ولخوض هو الحرص على علم لا ينفع بل انه لا ينفع ومن هذا قال عم انتم اعلم بامور دنياكم وقال اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع والانبساط بالكلام للتودد اي التحبب مع الانام والغفلة عن ذكر الملك العلام وامضاء الوقت من الليالي والايام من غير منفعة للخاص او العام والعلاج اي معالجة الكل ان يذكر انياد الموت الاتي ويتدارك الفوت في الاوقات وفقدون داكثر واذكر هادم اللذات والسؤال اي وذكر السؤال عن الاحوال يوم العرض على الملك المتعال ولحوق الخسران بتضييع الوقت اي الزمان في الخسران فقد قال تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا والعزلة وهو الانفع اي المعالجة لان اكثر الضرر في الصحبة والخلطة واللقاء ونواة في الفم او حصاة ونحوهم وعن الصديق رضي في الاحياء عنه انه كان يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام فيما لا يعنيه وكان يشير الى لسانه او يقول هذا الذي اوردني الموارد اي المهالك الصادرة من شانه والسكوت عن بعض المباحات حذرا من كل الافات لانه لا نجاة من هذا الامر الا بالسكوت عن كل ما لم ياثم به لو سكت في المقام وعن بعضهم جعلت على نفسي بكل كلمة فيما لا يعنيني صلوة ركعتين فسهل ذلك علي فجعلت لكل كلمة صوم يوم فسهل علي ولم انته حتى جعلت على نفسي بكل كلمة ان اتصدق بدرهم فصعب علي فانتهيت كذا في شرح الخطيب ومنها المراء وهو في هذا المقام الطعن في الكلام اي كلام الغير باظهار خلل اي نقصان او طغيان اي زيادة في موضع بيان بحسب المبنى او من جهة المعنى وهو حرام قال عم ولا تمار فيهم الا مراء ظاهرا وعنه عم لا تمازح ولا تعده وعد افتخلفه الترمذي من حديث ابن عباس والترمذي من حديث ابي الدرداء وابي امامة وانس بن مالك وواثلة بن الاسقع وابن ابي الدنيا موقوفا على ابن مسعود ذروا المراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته والواجب السكوت باظهار كونه معرفا او موقفا وهذا اذا لم يكن بامور الدين متعلقا او السؤال مستفيدا اي متعرفا او التعريف اي تعريف الحق مستلطفا اي لا متعنتا ولا متكلفا وورد من ترك المراء وهو محق اي صاحب حق بني له بيت في اعلى الجنة ومن تركه وهو مبطل بني له في اسفل الجنة وفي رواية بني له بيت في ربض الجنة رواه الترمذي وابن ماجه من حديث انس مع اختلاف قال الترمذي حديث حسن ولابن ابي الدنيا من حديث ابي هريرة لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يذر المراء وان كان محقا وهو عند احمد بلفظ لا يؤمن العبد حتى يترك الكذب في المزاح والمراء وان كان صادقا وللديلمي من حديث مالك الاشعري ست خصال من الخير من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام في الصيف وتعجيل الصلوة في يوم الدجن اي الغيم والصبر على المصيبات واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق وللطبراني من حديث ابي امامة تكفير كل لحاء ركعتان واللحاء مصدر لاحى بمعنى مارى والافة المراء كثيرة ومضاره متظاهرة قال سفيان لو خالفت اخي في رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بي الى السلطان وقال ايضا صادق من شئت ثم اغضبه بالمراء فليرمينك بداهية تمنعك من العيش وقال ابن ابي ليلى لا اماري صاحبي فاما ان اكذبه واما ان اغضبه ومنها الجدال اي بحث لترويج كلام كيف ما كان على وفق مرام وهو لحن الوقف او الغالب يتعلق باظهار المذاهب اي الفروعية الخلافية او الاصولية الاعتقادية قال تعالى ولقد

مرقا

ولقد صرفنا في هذا القران للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا وقال عز وجل ولا تجادلوا اهل الذكر الا بالتي هي احسن وقال عز وجل ادع الى سبيل ربك تضرعا بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن فهو مادون وفيه مع اهل الكفر والبدعة ومنهي عنه في حق المسلمين من اهل السنة والجماعة فللترمذي من حديث ابي امامة وصححه ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل وهو اي الجدل المذموم يعرف بكراهة اصابة الخصم اي الحق والصواب في اثباته وارادة الخطاء وهو يوجب ظهور كفره واغوائه واظهار فضل النفس في اهوائه وورد اي من حديث ام سلمة ان اول ما عهد الي ربي ونهاني عنه بعد عبدة الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال اي مجادلتهم ومنازعتهم ومماراتهم في محاوراتهم رواه ابن ابي الدنيا والطبراني والبيهقي وابو داود مرسلا من حديث عروة بن رويم والسبب اي الباعث للمراء والجدال الترفع باظهار الفضل والكمال والتهجم على الغير باظهار نقصه في العلوم او الاعمال والغضب اي وتهيجه في محافل الرجال وعلاج كل اي من الترفع والغضب في موضعه اي اللائق به وفي جملة انه علاج الترفع ترك الكبر والتواضع وعلاج الغضب تصور قدرة الرب ويروى ان الامام الهمام ابا حنيفة رحمه الله قال لداود الطائي احد تلامذته لم اثرت الانزواء فقال لاجاهد نفسي بترك الجدال والمراء فقال احضر المجالس واسمع ما يقال ولا تتكلم في الاثناء قال ففعلت ذلك فما رايت مجاهدة اشد مما هنالك قال في الاحياء وهو كما قال لان من سمع من غيره خطاء وهو قادر على كشفه يعسر عليه الصبر عنه جدا ولذا قال عم من ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة لشدة ذلك على النفس وما يحصل لها من المحنة ثم قال وينبغي للانسان ان يكف لسانه عن اهل القبلة و اذا راى احد المبتدعة تلطف في نصحه على الخلاء بطريق المجادلة الحسنة والمحاورة المستحسنة فعنه عم رحم الله من كف لسانه عن اهل القبلة الا باحسن ما يقدر عليه ابن ابي الدنيا من حديث هشام بن عروة مرسلا وقال هشام بن عروة كان يردد قوله هذا سبع مرات ومنها الخصومة وهي من الصفات المذمومة والاخلاق المشؤومة وهي لجاج اي مخاصمة زائدة في الكلام مع الخصم الكرامة لاستيفاء حق اي له ولغيره اصالة او نيابة ابتداء او اعتراضا كاثبات الورثة ودفع الخصومة انتهاء فالاول نعت المدعي بالكسر والثاني وصف المدعى عليه ومن هنا قيل الصوفي لا يخاصم وورد اي للبخاري عن عائشة ابغض الرجال على الله الالد الخصام اي اللجوج الشديد الخصومة والحديث مقتبس من قوله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام ولابن ابي الدنيا وغيره عن ابي هريرة من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع وهو حرام الا للمظلوم في نصرة حجته بطريق الشرع مقتصرا على الحاجة من غير تعد الى عدم الحاجة لقوله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وقوله والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون والاولى الترك اي اذا وجد اليه سبيلا في مكان الامكان لعسر ضبط اللسان على الاعتدال في ميدان البيان والاحتراز عن موجبات الاثم اي والاحتراز عن مقتضيات انواع العصيان كالحقد والغضب والسب وغيرها من نحو الكذب والبهتان والفرح بغم المسلم في ذلك المقام وتوقيت طيب الكلام اي لعونه وقد قال عم يوجب الجنة اطعام الطعام وحسن الكلام الطبراني هاني بن شريح باسناد جيد وقال عم ربع شيء يجب ان البر شيء هين وجه طليق وكلام لين

ولاجل ما تقدم قال تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله وقال عز وجل وقولوا للناس حسنا وقد قال
بعضهم ما خاصم قط ورع في الدين وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن عبد الله بن ابي بكرة فقال ما يجلسك قلت خصومة
بيني وبين ابن عم لي قال ان لابيك عندي يدا واني اريد ان اجزيك بها واني والله ما رايت شيئا اذهب للدين
ولا انقص للمروة ولا اضيع للذة ولا اشغل للقلب من الخصومة قال فقمت لارجع فقال لي خصمي ما لك فقلت
لا اخاصمك فقال عرفت انه حقي فقلت لا ولكني اكرم نفسي عن هذا قال فاني لا اطلب منك شيئا هو لك ومنها التشدق
اي التكلف في الكلام والتوسع في المرام بتكلف السجع والتصنع فيه اي من غير ان يكون في سجيته بمجرد الطبع كما قيل لبعض
المشايخ في ذم السجع فقال رجعت عما سجعت واصل السجع مذموم في الشرع كما نزل في اصل اي القران القديم
وورد في كثير من حديث النبي الكريم ومنه اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع ومن هؤلاء
الاربع واما ما ورد من انه عم قضى بغرة في الجنين فقال بعض قوم الجاني كيف ندي من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل
ومثل ذلك يطل اي يهدر ويبطل فقال عم اسجعا كسجع الاعراب وانكر ذلك لان اثر التكلف والتصنع بين عليه في هذا
الباب والحديث رواه مسلم من حديث المغيرة بن شعبة وابي هريرة واصلها عند البخاري ايضا وورد شرار امتي الذين يتشدقون
في الكلام ابن ابي الدنيا من حديث فاطمة شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ياكلون الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب
ويتشدقون في الكلام ولمسلم من حديث ابن مسعود هلك المتنطعون ثلث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصاء ولاحمد
من حديث ابي ثعلبة وهو عند الترمذي من حديث جابر وحسنه ان ابغضكم الي الله وابعدكم مني مجلسا الثرثارون
المتفيهقون المتشدقون والسبب اظهار الفصاحة والبلاغة واما تحسين الالفاظ في المواعظ وكذا في الخطب والتصنيف
للتاثير في القلوب فانه يجوز دون الافراط اي من غير الاطناب في الاغراب لان المقصود تحريك القلوب وتشويقها وقبضها
وبسطها وتحقيقها وتدقيقها ولرشاقة الالفاظ والمباني تاثير في ميدان المعاني واما الكلمات التي تجري في قضاء الحاجات
فلا يليق بها السجع فيما بين الكلمات فالاشتغال به من التكلف المذموم اذ لا يباح على الاولياء اللوام ومنها الفحش وهو
التصريح بالذم اي بالكلمة الذميمة كلفظ الجماع اي صريحا الا لو عاصرهن ابن عباس ان الله حيي كريم ويكني بالمس عن الجماع
فالمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع وليست بفاحشة بالاجماع والبول وكذا الخرء بالاولى فينبغي ان يكون عنهما
بقضاء الحاجة او بالغائط فانه من كنايات القران اذ حقيقته الموضع المنخفض من الارض وفي من التنبيه ان يستعمل هذه الكلمة
يليق بقضاء حاجة الانسان والجذام ونحوه من البرص والقرع والبواسير والقولنج والاسهال بل يقال العارض الذي يشكو
وزوجته وكذا كام اولاده وسريته بل يقال من في البيت او العيال او اهل البيت او ام الاولاد ونحو ذلك والظان زوجة
من كنايات القران حيث قال تعالى اسكن انت وزوجك الجنة وقال امسك عليك زوجك وورد الفحش ليس من الاسلام
احمد وابن ابي الدنيا باسناد صحيح من حديث جابر بن سمرة بلفظ ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام في شيء الحديث وللنسائي
والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمر واياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش ولابن ابي الدنيا وابي نعيم في الحلية من
حديث عبد الله بن عمرو باسناد لين الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها قال العلماء وبذلك كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ

التشدق اي التكلف في السجع

الفحش كلفظ الجماع

شي منطقه

في منطقه فخرج خراج في ابطه فقلنا نساله ماذا يقول فقلنا من اين خرج فقال من باطن اليد ومن هذا القبيل
قوله عليه السلام لامراة رفاعة حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك رواه البخاري من حديث عائشة ومن ذلك
ما اتفق الشيخان عليه من حديثهما في المراة التي سالته عن الاغتسال من الحيض خذي فرصة ممسكة فتطهري بها
الحديث ومنها السب اي الشتم وورد سباب المؤمن فسوق رواه الشيخان عن ابن مسعود ولفظ سباب المسلم فسوق وقتاله
كفر ولمسلم من حديث ابي هريرة المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم ولاحمد وابي يعلى والطبراني من حديث ابن عباس
باسناد جيد ملعون من سب والديه وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو من اكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه قالوا
يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه قال يسب ابا الرجل ويسب الاخر اباه ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ان يسب
قتلى بدر من المشركين وقال لا تسبوا هؤلاء فانه لا يخلص اليهم شيء مما تقولون وتؤذون الاحياء رواه ابن
ابي الدنيا من حديث محمد بن علي الباقر مرسلا ورجاله ثقات وللنسائي من حديث ابن عباس باسناد صحيح ان رجلا وقع
في اب للعباس كان في الجاهلية فلطمه الحديث وفيه لا تسبوا امواتنا فتؤذوا احياءنا ولابي داود والترمذي وقال غريب
من حديث ابن عمر اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم وللنسائي من حديث عائشة لا تذكروا موتاكم الا بخير واسناده
جيد وللبخاري من حديث عائشة لا تسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا والرخصة في مثل ما قيل فلان من بني
فلان اي اذا كان بنو فلان من القبائل الدنية واهل الشمائل الردية فيكون صادقا في قوله يا سيء الخلق لان الخلق
لا يخلو من سوء الخلق لا حياء لك اي حق للحياء يا احمق اذ لا يخلو احد من نوع حماقة يا جاهل لان كل احد جهله اكثر من علمه
لقوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا فكل اي من افراد الانسان لا يخلو عن جهل وحمق ولو في بعض الاحيان والله المستعان
ومنها اللعن بمعنى الطرد وهو الابعاد عنه تعالى اي طلب بعد المرء عن رحمته سواء يكون بجملة خبرية كلعنة الله او دعائية
كاللهم العنه فهو محرم عليه تعالى لان الحرايض بمعنى الام فلا يجوز اي على احد من فاسق ومبتدع وفاجر بل يجوز ولا على ميت
كافر اي بحسب حكم ظاهر لجواز انه اسلم اي ولم يطلع على ايمانه احد الا اذا علم موته كافرا بنص قطعي من كتاب كابي
لهب او بتواتر في حديث كابي جهل وفرعون فان كفره ثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة وبلا التفات الى كلام ابن عربي
ومن تبعه كما بينته في رسالة مستقلة ولا يجوز اي ولا على كافر لاحتمال انه يسلم في اخر عمره وخاتمة امره بخلاف الترحم للاسلام
للكافر جواب سؤال مقدر وهو انه ينبغي ان لا يجوز الترحم للمسلم في الحال لجواز ان يكفر في المال فقال انما يجوز
لانه اي الدعاء بالرحمة للمسلم سؤال الثبات على الاسلام وهو مستحب باجماع الاعلام وسؤال الثبات على الكفر
كفر لانه يدل على رضاه بخلاف الدعاء على احد بالموت على الكفر فان رضاه ليس بكفر بل يموت على كفر تغليظا في امره
ويدل على جوازه دعاء موسى وهرون على فرعون وقومه بقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم
فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ومن المعلوم ان ايمانهم عند رؤية العذاب ايمان باس فلا يقبل لقوله تعالى
فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقوله حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان وقوله عليه السلام ان الله
يقبل توبة عبد ما لم يغرغر واما اذا قيل اغفر وارحم فلانا وهو كافر واراد به الدعاء له بان يجعله سبحانه اهلا للمغفرة

السب

الرخصة

اللعن

والرحمة بالايمان والمغفرة فعقيب الاياس والطامن لا يجوز لنهي الشارع ان يقال في حق اعظم الكافر رحمك
الله بل يقال هداك الله ويجوز التعميم مثل لعن الله الكافرين لقوله تعالى فلعنة الله على الكافرين والا لعنة
الله على الظالمين بل يجوز التعميم ايضا في حق الفاجرين من غير تعيين بان يقال لعن الله من اكل الربو وموكله وكاتبه
وشاهده وهم يعلمون كما رواه الطبراني عن ابن مسعود مرفوعا ولعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبايعها ومبتاعها
وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه واكل ثمنها كما اخرجه ابو داود والحاكم عن ابن عمر ولعنت القدرية
على لسان سبعين نبيا رواه الدارقطني في العلل عن علي رض ويجوز لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس
وعلى الخوارج والروافض والاولى الترك اي ترك اللعن مطلقا اي عموما وخصوصا فما لم يرد في الكتاب والسنة لعنه
اذ هو مما لا يعني قال حكي ابن ابراهيم كنا عند ابن عوف فذكروا بلال بن ابي بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه
وابن عوف ساكت فقالوا يا ابن عوف انما نذكره لما ارتكب منك فقال ابن عوف انهما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم
القيمة لا اله الا الله ولعن الله فلانا فلان تخرج من صحيفتي لا اله الا الله احب الي من ان تخرج لعن الله فلانا و
على الجملة ففي لعنة الاشخاص خطر ليجتنب في امره ولا خطر في السكوت عن لعن ابليس فضلا عن غيره وورد المؤمن
اي الكامل ليس بلعان اي بذي لعن والصيغة للنسبة كالتمار واللبان او للمبالغة فانه ربما يصدر عن المؤمن
في حالة من احوال الغضب او الغفلة وهو مذموم سواء يكون لانسان او جماد او حيوان وللحديث رواه الترمذي
وحسنه من حديث ابن عمر لا يكون المؤمن لعانا ولابي داود والترمذي من حديث سمرة بن جندب وقال
الترمذي حسن صحيح لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم وقال عمران ابن حصين بينما رسول الله صلى الله عم
في بعض اسفاره اذ امرأة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال عم خذوا ما عليها واعروها
فانها ملعونة قال فكاني انظر الى تلك الناقة تمشي في الناس لا يعرض لها احد رواه م ولابن ابي الدنيا
باسناد جيد من حديث انس كان رجل مع رسول الله صلى الله عم على بعير فلعن بعيره فقال يا عبد الله لا تسر معنا على بعير
ملعون قال ذلك انكارا عليه كذا في الاحياء وعن ابي ذر وابي الدرداء ما لعن الارض احد الا قالت لعن الله
اعصانا لله وعن عايشة رض قالت سمع رسول الله صلى الله عم ابا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه وقال يا ابا بكر
اللاعنين والصديقين كلا ورب الكعبة اللعانين والصديقين كلا ورب الكعبة مرتين او ثلثا فاعتق ابو بكر
يومئذ رقيقه وجاء الى النبي صلى الله عم وقال لا اعود رواه ابن ابي الدنيا ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء
يوم القيمة وشرب نعمان الخمر عدة مرات فجلده رسول الله صلى الله عم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يؤتى به
فقال عم لا تكونوا عونا للشيطان على اخيكم وفي رواية لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله وابن عبد البر في الاستيعاب
وللبخاري من حديث عمر ان رجلا على عهد رسول الله صلى الله عم كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا وكان
يضحك رسول الله صلى الله عم وكان قد جلده في الشراب فاتي به يوما فامر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم
العنه ما اكثر ما يؤتى به فقال عم لا تلعنوه فوالله ما علمت الا انه يحب الله ورسوله وهذا يدل على ان لعن

فاسق

فاسق بعينه لا يجوز وفي الصحيحين من حديث ابن الضحاك لعن المؤمن كقتله والتحقيق ان اللعن غير جائز الا على من يتصف بصفة
تبعد عن الله وهو الكفر والفسق والظلم والبدعة وذلك عيب باعتبار الخاتمة اذ ربما يموت صاحبها على التوبة فلعن الاعيان
فيه خطر لان الاحوال تتقلب على الاعيان الا انه عم يجوز ان يعلم من يموت على غير الاسلام ولذا كان يقول في دعائه في قريش اللهم
عليك بابي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وغيرهما ممن قتلوا على الكفر ببدر كما في الصحيحين من حديث ابن مسعود واما من
لم يعلم عاقبته ويلعنه فنهى عن ذلك اذ روي انه كان يلعن الذين قتلوا اصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى
ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون يعني انهم ربما يقولون فمن اين تعلم انهم ملعونون كذا في الاحياء
وقال المخرج رواه الشيخان من حديث انس دعا رسول الله صلى الله عم على الذين قتلوا اصحاب بئر معونة ثلثين صباحا
الحديث وفي رواية لهما قنت شهرا يدعو على رعل وذكوان الحديث ولهما من حديث ابي هريرة كان يقول حين يفرغ من صلوة
الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه الحديث وفيه اللهم العن لحيان ورعلا الحديث وفيه ثم بلغنا انه ترك ذلك لما انزل الله ليس لك
من الامر شيء ولفظ لمسلم واما من بان موته على الكفر جاز لعنه ان لم يكن فيه اذى على مسلم للدارو ان رسول الله صلى الله عم
سال ابا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص
فغضب ابنه وهو عمرو بن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان اطعم للطعام واضرب للهام من ابي قحافة فقال
ابو بكر يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال عم لعمرو كف عن ابي بكر وانصرف ثم اقبل على ابي بكر فقال يا ابا بكر
اذا ذكرتم الكفار فعموا فانكم اذا خصصتم غضب الابناء للاباء فكف الناس عن ذلك كذا في الاحياء وقال المخرج رواه
ابو داود في مراسيله من رواية علي بن ربيعة قال لما افتتح رسول الله صلى الله عم مكة توجه من فوره ذلك الى
الطائف ومعه ابو بكر ومعه ابناء سعيد بن العاص فقال ابو بكر لعن الله صاحب هذا القبر فانه كان يحاد الله ورسوله الحديث
وفيه فاذا سببتم المشركين فسبوهم جميعا وللترمذي من حديث المغيرة بن شعبة ورجاله ثقات لا تسبوا الاموات فتؤذوا
الاحياء فان قيل هل يجوز لعن يزيد لكونه قاتل حسين او امرا به فقال الغزالي هذا لم يثبت اصلا فلا يجوز
ان يقال انه قتله او امر به ما لم يثبت فضلا عن اللعن لانه لا يجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق ونعم يجوز ان يقال
قتل ابن ملجم عليا رض وقتل ابو لؤلؤة عمر رض لان ذلك ثبت متواترا ولا يجوز ان يرمي مسلم بكفر وفسق من غير تحقيق فعنه
عم لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك رواه الشيخان من حديث ابي ذر و
والديلمي من حديث انس ما شهد رجل على رجل بالكفر الا باء به احدهما ان كان كافرا وهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر
بتكفيره اياه وهذا معناه ان يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة او غيرها كان مخطئا لا كافرا فان قيل هل
يجوز ان يقال قاتل الحسين لعنه الله او الامر به قلتم لعنه الله قلنا الصواب ان يقال قاتل الحسين ان مات قبل التوبة لعنه الله
لانه يحتمل ان يموت بعد التوبة فان وحشيا قاتل حمزة قتله وهو كافر ثم تاب عن القتل والكفر جميعا ولا يجوز اللعن والقتل
كبيرة ولا تنتهي رتبة فاذا لم يقيد بالتوبة واطلق كان فيه خطر كذا في الاحياء وقد تقدم عنه انه لا يجوز لعن احد
الا اذا تحقق موته على الكفر فالصواب ان يقال قاتل الحسين اذا مات على الكفر لعنه الله اذ لا يجوز لعنه ان مات على الايمان او تاب

[illegible]

نسبة الذنب الى المسلم

الدعاء على احد

المزاح

عن العصيان والله المستعان ومنها نسبة الذنب الى المسلم يعني وهو بريء منه الا الذنب بعد التحقيق اي الا
الذنب الذي تحقق وقوعه منه فقد قال تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا
ومنها الدعاء على احد قال تعالى ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا نوزد فان المظلوم لبد
على الظالم اي فيقول لا اصح الله جسمه ولا سلم الله روحه ونحوه حتى يكافيه اي يماثله في الظلم ثم يبقى للظالم عنده فضلة
اي زيادة يوم القيمة اي ان زاد على مثله لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم والحديث
كذا في الاحياء وقال مخرجه لم اقف له على اصل وللترمذي من حديث عايشة بسند ضعيف من دعا على من ظلمه
فقد انتصر قلت وهو مطابق لقوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس اي
ابتداء او بالتجاوز عن الحد انتهاء ومنها المزاح بكسر الميم مصدر مزح او مازح وبضم الميم ما يمزح به وهي المطايبة
في الكلام بالمناسبة الا ان المكان الثاني كالترجمان عن حال الجنان قال المصنف وهو مطايبة القلب ولا يبعد ان
يكون المعنى وهو سبب لطيب القلب وهو اي كثيره او اصله مذموم اي فاعله ملوم لانه يولد اي يهيج كثيرا من
الذنوب والعيوب اي الظاهرة والباطنة كحقد العاقل وجرأة السفيه اي الجاهل عن سعيد بن العاص لابنه
يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدني فيجترئ عليك وسقوط الوقار اي الهيبة والعظمة في نظر الابرار ففي
عمر من مزح استخف به وذهاب حلاوة المحبة لانه لا يخلو عن مرارة في الصحبة ويقال المزاح مذهب للبهاء ومقطعة للاصدقاء
والغفلة عنه تعالى اي عن ذكر الرب بجلب الغلبة وظلمة القلب اي الناشية عن الغفلة وورد لا تمار اخاك ولا تمازحه
الترمذي الا النادر الخالي عن الباطل فانه غير مذموم كما ورد اني امزح ولا اقول الا حقا لكن مثله يقدر ان يمازح
ولا يقول الا حقا واما غيره فاذا فتح باب المزاح كان غرضه ان يضحك الناس كيف كان وكثرة الضحك تميت القلب وتدل
على الغفلة عن احوال الاخرة واهوالها وقد ورد لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا من حديث انس وعايشة
وقال القاسم مولى معاوية اقبل اعرابي رسول الله صلى الله عليه وسلم على قلوص له فسلم فجعل كلما دنا الى النبي صلى الله
عليه وسلم ليسأله نفرت به وجعل الصحابة يضحكون منه ففعل ذلك ثلث مرات ثم وقصته فقتلته فقيل يا رسول الله ان
الاعرابي قد صرعه قلوصه فهلك قال وافواهكم ملاى من دمه ابن مبارك في الزهد والرقايق وهو مرسل كما هو
المأثور عن الحسن قال اتت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام لا تدخل الجنة عجوز فبكت فقال انك لست بعجوز يومئذ
قال تعالى انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا الترمذي في الشمائل هكذا مرسلا واسنده ابن
الجوزي في الوفا من حديث انس بسند ضعيف وروى زيد بن اسلم ان امراة يقال لها ام ايمن جاءت الى النبي صلى الله عليه
فقالت ان زوجي يدعوك وقال ومن هو اهو الذي بعينه بياض فقالت والله ما بعينه بياض قال بلى ان بعينه
بياض فقالت لا والله فقال عليه السلام ما من احد الا بعينه بياض اراد به البياض المحيط بالحدقة الزبير بن بكار وجاءت
امراة اخرى فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال عليه السلام نحملك على ابن البعير فقالت ما اصنع به لا يحملني فقال عليه السلام وهل من
بعير الا وهو ابن البعير ابو داود والترمذي وصححه من حديث انس بلفظ انا حاملوك على ولد الناقة وكروا الضحاك بن

سفيان

السفيان الكلابي كان رجلا دميما قبيحا فبايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عندي امرأتان احسن من هذه الحميراء افلا
انزل لك عن احديهما فتتزوجها وعايشة جالسة تسمع قبل ان يضرب الحجاب فقالت هي احسن ام انت فقال بل انا احسن منها واكرم
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسارة عايشة اياه لانه دميم الزبير بن بكار من رواية عبد الله بن حسن بن حسين مرسلا
او معضلا وللدارقطني نحو هذه القصة مع عيينة بن حصين الفزاري بعد نزول الحجاب من حديث ابي هريرة وقال عليه السلام
لصهيب وبه رمد وقد راه يأكل تمرا افتأكل التمر وانت ارمد فقال انما اكل بالشق الاخر فتبسم عليه السلام قال بعض
الرواة حتى بدت نواجذه ابن ماجه والحاكم من حديث صهيب وروى ان خوات بن جبير كان جالسا الى نسوة من بني
كعب بطريق مكة فطلع عليه النبي عليه السلام فقال يا ابا عبد الله ما لك مع النسوة فقال يفتلن ضفيرا لجمل لي شرود قال فمضى
عليه السلام لحاجته ثم طلع عليه فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت قال فكنت بعد
ذلك انفر منه كلما رايته حياء منه حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت المدينة حتى طلع علي وانا اصلي في المسجد فجلس الي فطولت
صلوتي فقال لا تطول فاني انتظرك فلما فرغت قال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد فسكت واستحييت قال وكنت
انفر منه حتى لحقني يوما وهو على حمار وقد جعل رجليه في شق واحد فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد فقلت والذي
بعثك بالحق نبيا ما شرد منذ اسلمت فقال الله اكبر اللهم اهد ابا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله الطبراني
في الكبير من رواية زيد بن اسلم عن خوات بن جبير ورجاله ثقات وكان نعيمان الانصاري رجلا مزاحا وكان يشرب فيؤتى
الى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه بنعله ويامر اصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة لعنك الله فقال النبي
عليه السلام لا تفعل فانه يحب الله ورسوله قال وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة الا اشترى منها ثم جاء بها الى النبي عليه السلام فيقول
فيقول عليه السلام اولم تهده لنا فيقول يا رسول الله انه لم يكن عندي ثمنه واحببت ان تاكله فيضحك عليه السلام ويامر لصاحبه بثمنه
رواه الزبير بن بكار هذه مطايبات يباح مثلها بل يستحب احيانا ومن الغلط العظيم ان يتخذ الانسان المزاح حرفة على
الدوام ويتمسك بفعله عليه السلام فهو كمن يدور مع الزنوج ابدا ينظر الى رقصهم ويتمسك باذنه عليه السلام لعايشة في النظر الى رقصهم
في يوم عيدهم فهذا خطاء اذ الصغائر ما يصير كبيرة بالاصرار ومن المباحات ما يصير صغيرة بالاصرار كذا في الاحياء
ومنها الاستهزاء وهو استحقار الغير بذكر عيوبه على وجه يضحك منه على الملاء قولا وفعلا مستقلا بذكر عيوبه
تنبيها على ان ذلك قد يكون بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء فعن عايشة حكيت انسانا فقال عليه السلام
ما يسرني اني حكيت انسانا ولي كذا وكذا رواه ابو داود والترمذي وصححه وهو اي بجميع انواعه حرام لانه ايذاء وايضا هو عمل
السفهاء ولذا قال موسى عليه السلام اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين حين قال قومه اتتخذنا هزوا اي مهزوا بنا وورد
في سورة الحجرات لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن من عير اخاه بذنب
لم يمت حتى يعمله الترمذي عن معاذ بن جبل وحسنه وذكر عن احمد بن منيع قالوا من ذنب قد تاب منه وعنه عليه السلام ان
المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال له هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه فما يزال كذلك حتى
ان الرجل ليفتح له الباب فيقال له هلم هلم فما يأتيه ابن ابي الدنيا مرسلا وعن عبد الله بن عباس في قوله تعالى يا ويلتنا مال

الاستهزاء

مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك وذلك
كالضحك على خطه وصنعته اي على صورته وخلقته الا استثناء من حرام اي انما يحرم في حق من يتأذى به لا فيمن جعل نفسه
مسخرة بمزحه وربما يفرح بسببه فهو اي السخرية في حقه كالمزاح الذي في اصله من جنس المباح ومنها اظهار
السر افشاؤه صحا واذاعته واشاعته فهو من لوم الطبع ومنهي عنه في لسان الشرع وفيه الايذاء والاحتقار اي التهاون
بحق المعارف والاصدقاء وورد لا يحل لاحد ان يفشي على صاحبه ما يكره لم يعرف بهذا اللفظ لكن ورد الحديث
بينكم امانة رواه ابن ابي الدنيا من حديث ابن شهاب مرسلا والخطيب عن علي المجالس بالامانة ولابي داود عن جابر
المجالس بالامانة الا ثلاثة مجالس سفك دم حرام او فرج حرام او اقتطاع مال بغير حق وورد من حديث جابر اذا حدث
الرجل الحديث ثم التفت فهي امانة ابو داود والترمذي وحسنه ومنها الوعد على عزم الخلف فهو من ثلث اي خصال
هي علامات النفاق فعن ابي هريرة مرفوعا ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب
واذا اخلف وعد واذا ائتمن خان متفق عليه والواجب اي شرعا او مروءة الوفاء في كل وعد ثم اي حسن الوعد من
الجزم وان استثنى اي وقال ان شاء الله لانه قد يقال للتبرك او التبري من الحول والقوة كما يشير اليه قوله تعالى ولا تقولن
لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله اي الا مقرونا بذكر مشيته وارادته وورد اي في قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا اوفوا بالعقود اي بالعهود وورد في السنة العدة اي الوعد دين اي قرض كقرض او عطية شك او اختلاف
رواية وهو الاظهر وقد اقتصر في الاحياء على الثاني وقال خرجه ابو نعيم في الحلية عن ابن مسعود ورواه غيره ايضا
واما اللفظ الاول فرواه الطبراني في الاوسط عن علي وعن ابن مسعود وفي رواية ابن عساكر عن علي العدة دين ويل
لمن وعد ثم اخلف كرره ثلثا ولابن ابي الدنيا من رواية ابن لهيعة مرسلا الواي مثل الدين او افضل وقال الواي
مثل الوعد ورواه الديلمي ايضا عن علي وقد اثنى الله تعالى على نبيه اسمعيل عم بقوله انه كان صادق الوعد يقال انه واعد
انسانا الى موضع فلم يرجع اليه فبقي اثنين وعشرين يوما ينتظره وعن عبد الله بن ابي الحمساء بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل
وعدته ان اتيه بها في مكانه ذلك فنسيت يومي والغد فاتيته اليوم الثالث وهو عليه السلام في مكانه فقال يا فتى قد
شققت علي انا ههنا منذ ثلث انتظرك رواه عنده موعدا قال صدقت فاحتكم ما شئت فقال احتكم ثمانين
ضانية وراعيها فقال هي لك ولقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى النبي ولدته على عظام يوسف كانت احزم منك
واجزل حكما حين حكمها موسى فقالت حكمي ان تردني شابة وادخل معك الجنة ابن حبان والحاكم في مستدركه
من حديث ابي موسى مع اختلاف وقال الحاكم صحيح الاسناد واحزم بالجيم والزاي اي اوجب ولا يبعد ان يكون
بالحاء المهملة اي احوط والزم ويعذر اي يعد معذورا ان ترك اي الوفاء بعذر اي شرعي او عرفي فكان ابن مسعود
لا يعد وعدا الا ويقول ان شاء الله اي تعليقا لئلا يكون الوعد تحقيقا وقيل لابراهيم بن ادهم الرجل يواعد الرجل الميعاد
فلا يجيء قال ينتظره ما بينه وبين ان يدخل وقت الصلوة التي تجيء قلت وهذا من قبيل الايثار فما بين من باب الاستحباب
ويرد فيه اي المعذور نفي الاثم ان كان في نيته الوفاء اي من اصله في الوعد المذكور فلابي داود والترمذي

اظهار السر

الوعد على عزم الخلف

من حديث

والترمذي من حديث زيد بن ارقم اذا وعد الرجل اخاه وفي نيته ان يفي فلم يف فلا اثم عليه لكنه منصور بصورة الخلف
فالاولى الاحتراز اي احترازا من التهمة في خلف الوعد واما ما في الاحياء انه عم كان اذا وعد وعدا قال عسى
فقال المخرج لم اجد له اصلا ومنها الكذب بفتح وكسر وبكسر فسكون وقد عد من قبايح الذنوب وفواحش العيوب
وهو حرام بالكتاب والسنة قال تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله وفي الصحيحين اربع من كن فيه فهو منافق
اذا حدث كذب وفيهما عن ابن مسعود لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ولابن عبد البر في التمهيد
بسند ضعيف عن عبد الله بن جراد انه سأل النبي عم هل يزني المؤمن قال قد يكون من ذلك قال هل يكذب قال لا ثم اتبعها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه الكلمة انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله وفي حصره مبالغة وفي نفيه عن المؤمن
او مقيدة بالكامل ويؤيده ما رواه ابن ابي شيبة في مصنفه من حديث ابي امامة وابن عدي من حديث سعد بن ابي وقاص
على كل خصلة تطبع او يطوى عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقيل لخالد بن صبيح من يكذب كذبة واحدة هل يسمى
فاسقا قال نعم الا استثناء من قوله وهو حرام اي ولا يحرم بل يجب اذا وقع في تركه اي حصل في تركه فيه وكذا في
ستر اسرار نفسه الكذب افحش منه اي منكرا اعظم من الكذب كما في ستر الاسرار اي بان يسأل عن سر اخيه فله ان ينكره ويكذب
فيه وكذا في ستر اسرار نفسه من كشف عوراته فعنه عم اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها فمن الم منها شيئا فليستتر
بستر الله رواه الحاكم واسناده حسن وكذا لان اظهار الفاحشة فاحشة اخرى بل اعظم من الاولى فللرجل ان يحفظ دمه
وماله الذي يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا والانكار عن العلم اي وكما في عدم الاقرار بمكان من اختفى عن
ظالم قصد قتله او ضربه او اخذ ماله او كشف عرضه وحاله فعن ميمون بن مهران ان الكذب في بعض المواطن خير من الصدق
لو ان رجلا يسعى باخر وراءه بالسيف فدخل دارك فانتهى اليك فقال ارأيت فلانا ما كنت قائلا الست تقول لم اره
وما تصدق فهذا الكذب واجب وفيما اي تركه احسن من الصدق كما في اصلاح ذات البين ويرد الاستثناء اي استثناء
حرمة الكذب في الحرب والاصلاح اي اصلاح ذات البين والحديث مع المراة ففي صحيح مسلم عن ام كلثوم قالت ما سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص في شيء من الكذب الا في ثلث الرجل يقول القول يريد الاصلاح والرجل يقول القول في الحرب و
والرجل يحدث امراته وتحدث زوجها والمراد بحديث الزوجين ما يقع بينهما من الوعد في احوال الامر بنية عدم الوفاء
في الحرب لما رواه ابن عبد البر في التمهيد من رواية صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار مرسلا قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم
اكذب اهلي قال لا خير في الكذب قال اعدها واقول لها قال لا جناح عليك وكذا اسرار الحرب لو وقف عليه العدو
اجترأ واسرار الزوج لو وقفت عليه المرأة ينشأ منه فساد اعظم من فساد الكذب وكذا الصلح بين اثنين يدور بينهما المعصية والعداوة
فاذا امكن الاصلاح بكذب فذلك اولى من الصدق الذي لم يترتب عليه خير ثم لا يجوز الكذب ولو كان بطريق اللعب فعن عبد الله
بن عامر جاء عليه السلام الى بيتنا وانا صبي صغير فذهبت لالعب فقالت امي يا عبد الله تعال اعطيك فقال عم ما اردت ان تعطيه
فقالت تمرا فقال اما انك لو لم تفعل كتبت عليك كذبة رواه ابو داود ولا اي ولا يجوز الكذب عند استواء الطرفين فاصل القبح
اي في الامرين فلا بد من ترجيح والاولى الترك اي ترك الكذب في حاجة اي امر نفسه لان الصدق انجى والخلاص فيه ارجى

الكذب

لا حاجة الى نقله وهو تصريح بما علم ضمنا ان امكن اي ترك لغموض الامر اي لخفاء جواز الكذب فانه يختلف باختلاف
الذوات وتفاوت الحالات والاوقات ولو تعريضا غاية من قوله والاحرى ابتداء لانه اي التعريض بعض الشئ
تقرير على انه كاذب و قد ورد من حديث وهو يرى انه كذب فهو احد الكذابين رواه مسلم في مقدمة صحيحه
من حديث سمرة بن جندب هذا و قد جوز الكذب للضرورة المبيحة للمحظورة و الا اي وان لم يمكن ترك الكذب
فالمعاريض معينة وهي نفع لليم ان يتكلم الرجل بكلمة يظهر من نفسه شيئا ومراده شئ اخر كذا في البستان وتحقيقه
في قوله تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء وفي المغرب التعريض خلاف التصريح والفرق بينه وبين
الكناية هو ان التعريض تضمين الكلام دلالة ليس فيها ذكر كقولك ما اقبح البخل تعريض بانه بخيل والكناية ذكر
اللازم وارادة الملزوم كقولك فلان طويل النجاد كثير الرماد والنجاد حمائل السيف والمعنى انه طويل ومضياف
و قد ورد في المعاريض لمندوحة عن الكذب ابن عدي والبيهقي عن عمران بن حصين مرفوعا وفي الاحياء و قد نقل عن
السلف ان في المعاريض مندوحة عن الكذب وعن عمر ايضا من اراد مثله الله اعلم ما قلت لاحتمال كون
ما نافية او موصولة او استفهامية ومنذ فارقتك ما رفعت الجنب عن الفراش الا ما رفعه الله تعالى فانه يشمل الرفع
الاختياري والاضطراري في الانكار عن القول بالنسبة الى الاول وصحيح بالاضافة الى الثاني فهو لف ونشر مرتب
في بديع المعاني في الاحياء ومن امثلة المعاريض ما روي ان مطرف ادخل على زياد فاستبطاه فتعلل بمرض وقال
ما رفعت جنبي منذ فارقت الامير الا ما رفعني الله وقال ابراهيم اذا بلغ الرجل عنك شيئا فكرهت ان تكذب
قلت ان الله ليعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله ما حرف نفي عند السمع وعنده للابهام وكان معاذ عاملا
لعمر رضي فلما رجع قالت امراته ما جئت به مما ياتي به الاعمال من عراضة اهليهم ولم يكن جاء به فقال كان عندي ضاغط
فقالت كنت امينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر فبعث معك عمر رضي ضاغطا فقامت بذلك في نسائها فاشتكت
عمر بذلك فدعا معاذا فقال بعثت معك ضاغطا فقال لم اجد ما اعتذر به اليها الا ذلك فضحك عمر واعطاه شيئا
وقال ارضها به ضاغطا يريد به ربه تعالى اي محاسبا ضابطا وكان النخعي لا يقول لابنته اشتري لك سكرا ولو زاد لكن
يقول ارايت لو اشتريت لك فانه ربما لا يتفق له ذلك وكان ابراهيم اذا طلبه في الدار من يكره قال للجارية قولي له اطلبه
في المسجد ولا تقولي ليس ههنا كيلا يكون كذبا وكان الشعبي اذا طلب في البيت وهو يكره يخط دائرة ويقول للجارية
ضعي اصبعك فيها وقولي ليس ههنا ومن المعاريض ما اخرجه الحسن بن سفيان والديلمي عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خلف ناقة ابي بكر وقال يا ابا بكر ول الناس عني فانه لا ينبغي لنبي ان يكذب فجعل الناس يسالونه من انت قال باغ
يبتغي قالوا ومن وراءك قال هاد يهديني ثم التصريح اي بالكذب عند عدم امكان التلويح والمعتبر النية اي
تحسين الطوية في التصحيح والاستفتاء من القلب اي التسليم من المرض السقيم ومنه اي من جنس الكذب الملحق به
ولا يوجب بسبب التسامح في العدد اي يذكره مبالغة اي زائدة مثل قلتم مائة مرة وقد يزاد في المبالغة ويقال الف
مرة فيأثم بالمرة وبعضها الى العشرة لا بالمجاوزة عن الحد اي حد الكثرة المعهودة في المحاورة ولكن ينقاده اي

لا ينبغي اعتياد المبالغة ففيه خطر الوقوع في الاثم اي اثم الكذب اذا لم يصل في العرف الى حد الكثرة وكذا الاستعارة
مرتبة من هذا القسم من الكذب في المبالغة والكناية ليست بكذب فان علماء البيان قد حققوا ذلك بالبرهان وقالوا
الاستعارة تفارق الكذب من وجهين احدهما البناء على التاويل وثانيهما نصب الدليل من القرينة على ارادة خلاف
الظاهر نحو رايت اسدا في الحمام والله اعلم بحقائق المرام ولكن عليك بالاحتياط في مثل هذا الكلام فعن حوات
التيمي قال جاءت اخت الربيع بن خثيم عائدة الى بني فانكبت وقالت يا بني فقال ربيع ارضعتك قالت لا قال
ما عليك لو قلت يا ابن اخي فصدقت وفي شهوة الطعام اي ومن الكذب التسامح في نفي شهوة الطعام فيقول لا اشتهيه وذلك
منهي عنه وان لم يكن لغرض صحيح فيه قوله اي عن مجاهد عن اسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة التي هيأتها وادخلتها
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي نسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده قرى الا قدحا من لبن فشرب ثم ناوله
عائشة قالت فاستحيت الجارية قالت فقلت لا تردي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذيه منه فاخذته على حياء فشربت منه ثم
قال ناولي صواحبك فقلن لا نشتهيه فقال عليه السلام لا تجمعن جوعا وكذبا في الافعال والرواية الصحيحة
لا تجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت يا رسول الله ان قالت احدانا لشيء تشتهيه لا اشتهيه ايعد ذلك كذبا فقال عليه السلام ان الكذب
ليكتب حتى تكتب الكذيبة كذيبة والحديث اخرجه ابن ابي الدنيا والطبراني في الكبير ونحوه من رواية شهر بن حوشب عن
اسماء بنت يزيد وهو الصواب فان اسماء بنت عميس كانت اذ ذاك بالحبشة لكن في طبقات الاصبهاني لابي الشيخ من رواية
عطاء بن ابي رباح عن اسماء بنت عميس كانت اذ ذاك بالحبشة لكن في طبقات الاصبهاني لابي الشيخ من رواية عطاء بن ابي رباح
عن اسماء بنت عميس زففنا الى النبي عليه السلام بعض نساء الحديث فاذا كان غير عائشة ممن تزوجها بعد خيبر فلا مانع من ذلك
والافحش من انواع الكذب ووقوعه في اليمين فهو من الكبائر ورد ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم يوم
القيامة ولا يزكيهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الكاذب والمسبل ازاره رواه مسلم من حديث ابي ذر وفي الصحيحين
من حديث ابن مسعود من حلف على يمين ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان وقال عليه السلام
وكان متكئا الا انبئكم باكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد فقال الا وقول الزور متفق عليه من
حديث ابي بكرة وهو اثم من شهادة الزور وفي اي وكذا الافحش وقوعه في مثل الله يعلم انه كذا قال النووي في الاذكار
وهذه العبارة منها خطر وان كان صاحبها متيقنا فهي عيسى عليه السلام انه من اعظم الذنوب فانه نسبة الجهل الى علام
الغيوب فان علمه تعالى تعلق بعدمه ووقوعه وفي الاخبار اي وكذا الافحش الكذب صدوره في الاخبار وهو بفتح الهمزة
او بكسرها اي الاعلام لاسيما الكذب على النبي عليه السلام والرؤيا اي وفي الاحلام فهما عدا اي من اعظم الفرى اي الافتراء
ففي البخاري ان من اعظم الفرى ان يدعي الرجل الى غير ابيه او يري عينيه ما لم تري ويقول علي ما لم اقل وفي الاحياء
وقد ظن ظانون انه يجوز وضع الاخبار في فضائل الاعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا ان القصد فيه صحيح
او هو خطا محض اذ قال عليه السلام من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار وهو متفق عليه من طرق قاربت ان
يكون متواترا فهذا لا يترك الا للضرورة اذ في الصدق مندوحة عن الكذب فيما ورد من الايات والاخبار

كفاية عن هذا وقول القائل ان ذلك يكون علي الاسماع وسقط وقعه وما هو جديد يدفع اعظم فهذا هو من ذلك ليس
هذا من الاعراض التي تقاوم محذور الكذب علي الله ورسوله وتؤدي فتح بابه الي امور تشوش الشريعة ولا يقوم
خيرها بشره اصلا فالكذب علي رسوله عم من الكبائر اولا وقد صرح الجويني والد الامام الحرمين
بانه تكفير هذا وعن اسماء بنت ابي بكر سمعت امراة تسال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول ان لي ضرة واني اكثر من
زوجي بما لم يفعل اضارها بذلك علي فيه شيء فقال المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور متفق عليه وللامة
عبد البر في الاستيعاب عنه عم لا يستكمل المؤمن ايمانه حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه
ومنها الغيبة بكسر الغين وورد فيها اي في ذمها وتعريفها ذكرك اخاك بما يكره اي علي سبيل النقص في حال
الغيبة فعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك
اخاك بما يكره قيل ارايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد
بهته رواه مسلم ويكون بالاجمال اي الابهام في الغيبة وورد ما بال اقوام يفعلون كذا رواه ابو داود عن عايشة
بسند صحيح انه عم كان اذا كره من انسان شيئا قال ما بال اقوام يفعلون كذا وكذا الا ان يفهم المبهم اي من
المبهم بقرينة فقولك بعض من قدم من السفر وبعض من يدعي العلم وبعض من مر بنا وبعض من رايناه اذا
كان منهم قرينة تفهم عين الشخص هو غيبة لان المحذور تفهم دون ما به التفهيم وكذا قول الطائفة الذين مضوا
علي اليوم من جملة الابهام فان الطائفة بمعنى القوم وانواعها منه التصريح وهو ظ ومنه ان عايشة ذكرت
امراة فقالت انها قصيرة فقال اغتبتها رواه احمد واصله عند ابي داود والترمذي وصححه والتعريض اي
التلويح مثل فلان تاب الله عليه فيه تنبيه علي انه يرتكب ما يجب عليه التوبة وقد يقول ذلك المسكين قد بلي بامر
عظيم تاب الله علينا وعليه الحمد لله الذي عصمني عن مخالفة التوبة وقد تقول السلطان وهذا من غيبة
القراء المرائين واتباع الشياطين وهو اخبث انواع الغيبة فانهم يفهمونه المقصود علي صفة اهل الصلاح
ليظهروا من انفسهم التعفف عن الغيبة ولا يدرون بجهلهم انهم جمعوا بين فاحشتي الرياء والغيبة والاشارة
وقد تسمي غيبة وفي نسخة تسميه غيبة ومن ذلك قول عايشة دخلت علينا امراة فلما ولت اومات بيدي اي
قصيرة فقال عم قد اغتبتها ابن ابي الدنيا وابن مردويه ورجاله ثقات والغمز اي بالعين التنبيه او اخذ
البدن للتنبيه والمحاكاة وورد فيه حكت عايشة انسانا فقال ما يسرني وفي رواية ما احب اني حكيت انسانا و
ان لي كذا وكذا وقد تقدم يقال حكاه وحاكاه اذا فعلت مثل فعله واكثر ما يستعمل في القبيح قال النووي ومن
الغيبة المحرمة المحاكاة بان يمشي متعارجا او متطاطئا راسه او غير ذلك من الهيئات بل هو اشد انواع الغيبة لانه اعظم
في التصوير والتفهيم علي ما في الاحياء وكل ما ينبغي عنها كذكر المصنفين في تصنيفاتهم شخصا معينا وتهجين
كلامه وهو من مرام الا ان يقترن به شيء من الاعذار المحوجة الي ذكره وذلك لان القلم احد اللسانين وتحصل
الغيبة تصريحا وتلويحا وورد اي في سورة الحجرات ولا يغتب بعضكم بعضا اي لا يتناول بعضكم بعضا في

ظهر

في ظهر الغيب بما يسوؤه فيه ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا الاية فكرهتموه والاستفهام للانكار كما قال مجاهد
لما قيل لهم ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا قالوا لا اي بلسان القال او بلسان الحال قيل فكرهتموه والمعنى فكما كرهتم
هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا قال الزجاج وتاويله ان ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة اكل لحمه وهو ميت لا يحس وقالت
عايشة رض لا يغتابن منكم احد احدا فاني قلت لامراة مرة وانا عنده عم ان هذه لطويلة الذيل فقال الفظي الفظي فلفظت
بضعة من لحم اخرجه ابن ابي الدنيا وابن مردويه في التفسير ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل في الزنا قال رجل لصاحبه هذا اقعص
كما يقعص الكلب اي قتل مكانه فمر النبي صلى الله عليه وسلم وهما معه بجيفة فقال انهشا منها فقالا يا رسول الله ننهش جيفة فقال
ما اصبتما من اخيكما انتن من هذه ابو داود والنسائي من حديث ابي هريرة باسناد جيد وعن ابي هريرة مرفوعا من اكل لحم
اخيه في الدنيا قرب اليه لحمه في الاخرة فيقال له كله ميتا كما اكلته حيا ابن مردويه في التفسير وروي عن ابي بكر
وعمر ان احدهما قال لصاحبه ان فلانا النؤوم ثم طلبا ادما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأكلا به الخبز فقال عم
قد ائتدمتما فقالا ما نعلم فقال بلى ما اكلتما من لحم صاحبكما رواه ابو العباس الدغولي او الدغوطي في الاداب
من رواية عبد الرحمن بن ابي ليلى كذا في تخريج الاحياء وقال الامام الدميري هو من كبار الحفاظ توفي في سنة
خمس وعشرين وثلثماية ولم اسند مشهور في هذا الحديث وحد الرجوع جمعهما وكان القائل احدهما تنبيه علي ان السامع احد
المغتابين وان السامع لا يخرج من اثم الغيبة الا بان ينكر بلسانه فان خاف فبقلبه وان قدر علي القيام او قطع
الكلام بكلام اخر في ذلك المقام فلم يفعل لزمه الاثم ولا يكفي ان يشير باليد اي اسكت او يشير بحاجبه
وجبينه فان ذلك استحقار للمذكور بل ينبغي ان يعظم ويذب عنه صريحا فعنه عم من اذل عنده مؤمن وهو يقدر
علي ان ينصره فلم ينصره اذله الله يوم القيمة علي رؤوس الخلايق احمد والطبراني عن سهل بن حنيف ولابن ابي الدنيا عن
ابي الدرداء رض من رد عن عرض اخيه بالغيب كان حقا علي الله ان يرد عن عرضه يوم القيمة ولاحمد والطبراني عن
اسماء بنت يزيد من ذب عن عرض اخيه بالغيب كان حقا علي الله ان يعتقه من النار الغيبة اشد من ثلاثين زنية
في الاسلام وانما قيده بحال الاسلام لانه اقبح مما قبله في الاحكام وقيل لان الزنا في دار الحرب وفي عسكر اهل
البغي لا يوجب الحد وفيه بحث اذ عدم وجوب الحد ليس الا لكونه في خطر انتقاله الي اهلها والله سبحانه اعلم بحقايق
المقام والحديث رواه ابن ابي الدنيا في الصمت وابن حبان في الضعفاء وابن مردويه في التفسير بلفظ اياكم
والغيبة اشد من الزنا ان الرجل قد يزني فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه واما الحديث
بلفظ الثلاثين فلعله ذكره علي وجه المبالغة وليس له اصل صريح لكن قد يوخذ من حديث انس قال خطبنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذكر الربوا وعظم شانه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربوا اعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلثين
زنية يزنيها الرجل وان اربى الربوا عرض الرجل المسلم فالغيبة تناول العرض والحديث رواه احمد وابن ابي الدنيا
وعن مجاهد في تفسير قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي ياكل لحوم الناس
وقال الحسن الغيبة اسرع فسادا في دين المؤمن من الاكلة في الجسد وقال بعضهم ادركت السلف وهم لا يرون

العبادة في الصوم ولا في الصلوة ولكن في الكف عن اعراض الناس وقال ابن عباس اذا اردت ان تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك ولهم مقتبس من قوله عم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس الديلمي عن انس وقال ابو هريرة يبصر احدكم القذى في عين اخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه وسمع علي ابنه الحسين يغتاب آخر فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس وقال الحسن ذكر الغير ثلثة الغيبة والبهتان والافك وكلها في كتاب الله تعالى فالغيبة ان تقول ما فيه والبهتان ان تقول ما ليس فيه والافك ان تقول ما بلغك ولعل الاخير ماخوذ من القصة المعروفة وتعميم مستفاد من حديث كفى بالمرء كذبا او اثما ان يحدث بكل ما سمع والسبب اي الباعث على الغيبة سبعة منها الاول التشفي من الغيظ اي الغضب الحاصل من القلب فيسبق اللسان بالطبع الى الطعن الذي ان لم يكن له مانع من الدين القوي والورع الجلي فللبزار وابن ابي الدنيا وابن عدي والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله وللديلمي من سهل بن سعد من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه ولابي داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث معاذ بن انس من كظم غيظا وهو قادر على ان ينفذه اي يمضيه كما في رواية دعاه الله يوم القيمة على رؤس الخلائق حتى يخيره في اي الحور شاء والثاني موافقة الاقران اي اخوان الزمان خوفا عن التثقيل اي عن عده ثقيلا في ذلك المكان اذا انكر الغيبة او قطع مجلس الصحبة ويرى ذلك من حسن المعاشرة وجميل المجاورة ولم يعلم بان الله يغضب عليه اذا طلب سخطه في رضى المخلوقين والثالث اي المحافظة عن رد قوله ابتدا الغير في تقبيحه اي تقبيح قوله وبيانه ان يستشعر لمن نسبته الثالث انه سيقصده ويطول لسانه اي تقبيح قوله او تفضيح حاله عند محتشم او يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل ان يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط اثر مقالته ومشاهدته وكما اذا ذكر زيد مسئلة فاعترض عليها عمرو فيكون باعثا لزيد ان يغتاب عمرا بان يقول هو جاهل او احمق او نحوهما ليماحي ما سبق من كلام عن بطلان مرامه والرابع التبري عن فاحشة منسوبة اليه بالنسبة الى الغير ليتخلص عن عيبه وجرمه وحاصله ان ينسب اليه شيء فيريد ان يتبرى منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه ان يبرئ نفسه ولا يذكر الذي فعله ولا ينسب غيره اليه فيكون بهذا جامعا بين الذنوب لديه وقد قال تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا والخامس المباهاة اي التصنع والمفاخرة بان يرفع نفسه بتنقيص غيره وخفض امره فيقول فلان جاهل فهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه ان يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويرى انه اعلم منه والسادس الحسد وهو انه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه والطعن عليه فيريد ان يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن اكرامه والثناء على حاله ومقامه لانه يثقل عليه ان يسمع على مرامه والسابع الاستهزاء اي استحقاره فان ذلك قد يجري في الحضرة فيجري ايضا في الغيبة ونحوها اي من اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت باسباب اللهو والعلاج اي الذي به يمنع النفس من الغيبة ذكر ما ورد فيها من ذم الغيبة من الكتاب والسنة ودفع السبب اي من نحو الحقد والحسد والتكبر والغضب بما في موضعه اي بما يذكر من كتب الاخلاق في محله فان مساوي الاخلاق كلها انما يعالج بمعجون العلم والعمل المركب لها وانها

علاج

علاج كل علة بمضادة سببها فليفحص عن سببها وليعالج بضدها هذا والمغتاب فاسق فاذا كان من عادته ردت شهادته الا ان الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في امر الغيبة ولم يجتنبوا وتناولوا اعراض الخلق وهذه بلية عامة شاملة للعباد في جميع البلاد فهي من اكبر الفساد الا من حفظه الله من العباد والرخص اي في ذكر مساوي الغير سبعة الاول التظلم فورد في سورة النساء لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم فمن ذكر قاضيا بالظلم والخيانة واخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا واما المظلوم من جهة القاضي فله ان يتظلم الى السلطان وينسبه الى الظلم اذ لا يمكن استيفاء حقه الا بذكره وقد قال عم ان لصاحب الحق مقالا ومطل الغني ظلم وكلاهما متفق عليه من حديث ابي هريرة ولابي داود والنسائي وابن ماجه من حديث الشريد باسناد صحيح لي الواجد يحل عرضه وعقوبته والثاني الاستعانة اي بالحاكم ونحوه على تغيير المنكر اي ازالته واصلاح العاصي بزجره وتوبته فهو ما نوى اي الى ما نوى عن الصحابة كما قيل لعمر بن الخطاب رض ان ابا جندل قد ياولع بالخمر بالشام فكتب اليه عمر رض بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير فتاب الله عليه ورجع بالرحمة اليه والثالث الاستفتاء كما يقول للمفتي ظلمني ابي او اخي او زوجي وكيف طريقي للخلاص فلم يمنع هند امراة ابي سفيان من العيب اي لم يمنعها النبي صلى الله عليه وسلم عن الغيبة حال كونها ذاكرة بخل ابي سفيان لاخذ ماله اي لاجل اخذها من ماله بغير علمه ففي الصحيحين من حديث عائشة ان هندا قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني انا وولدي فقال عم خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف وهذا كان بطريق الفتوى لا على سبيل الحكومة والدعوى والتعريض اولى بان يقول كيف من ياخذ مال زوجها بغير اذنه لاجل بخله والرابع التحذير عند خوف سراية الفسق فاذا رايت متفقها يتردد الى فاسق او مبتدع وخفت ان يسري اليه فسقه او بدعته فلك ان تكشف له بدعته وفسقه او الضرورة اي عند خوف الضرر الكثير المنجر الى الغير فورد في رواية بهز بن حكيم عن ابيه عن جده اذكروا الفاجر بما فيه يحذره الناس رواه الطبراني وغيره بلفظ اترعوون عن ذكر الفاجر اذكروه بما فيه يحذره الناس وهذا دليل التحذير واما دليل الضرورة فقوله عم لامراة استشارت النبي عم في تزوج معاوية او ابي جهم او اسامة اما معاوية فرجل صعلوك اي فقير جدا لا مال له تاكيد لحاله واما ابو جهم فلا يرفع العصا عن اهله وهو كناية عن كثرة ضربه وسوء خلقه وفي رواية عن عنقه وهو بمعنى المذكور والكناية عن كثرة سفره وقلة اقامته في حضره انكحي اسامة بن زيد اي فانه خير منهما في حسن عشرته وطيب نفقته والخامس اشتهار المذكور باسم العيب اي من الاعذار المرخصة كالاعمش والاعرج وكذا الاعمى والاعور والاصم والابكم والابرص والاحمر والاصفر والعدول الى وصف اخر وعبارة اخرى اولى واحرى ولذا يقال البصير للاعمى عدولا عن اسم النقص في المبنى وان كان لا واحدا في المعنى وقد ذكر ابن سيرين رجلا فقال ذلك الرجل الاسود ثم قال استغفر الله اني اراني قد اغتبته وذكر لابن سيرين ابراهيم فقال النخعي ولم يقل الاعور والسادس اظهار الفسق من الرخص كالمخنث والقواد والمجاهر بشرب الخمر او الزنا او الربوا ومصادرة الناس باخذ اموالهم فورد في حديث انس من القى جلباب الحياء اي غطاءه فلا غيبة له رواه ابن عدي وابو الشيخ نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به اثم قال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج فقال ابن سيرين ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن

اعتنابه كما ينتقص من الحجاج لمن ظلمه وانك اذا اغتبته اليوم غدا كان اصغر ذنب اصبته اشد عليك من اعظم ذنب
اصاب الحجاج وقال قوم لا غيبة في الدين لانه ذم ما ذم الله فذكره بالمعاصي وذمه بها يجوز بدليل ما روي انه ذكر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم امراة وكثرة صومها وصلاتها ولكنها تؤذي جيرانها فقال هي في النار ابن حبان والحاكم وصححه
من حديث ابي هريرة وذكر امراة اخرى بانها بخيلة فقال فما خيرها اذا رواه الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث ابي جعفر
محمد بن علي مرسلا قال في الاحياء وهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعريف الاحكام بالسؤال
ولم يكن غرضهم التنقص ولا يحتاج اليه في غير مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا وفيه بحث لان الصحابة كانوا عارفين
بان اذاء الجوار والبخل من الصفات الذميمة واما ثانيا والدليل عليه اجماع الامة ان من ذكر غيره بما يكره فهو مغتاب فيه
ان هذا عام وقد خص منها احكام فلا تجري فيه ولا الزام وكذا اي ومن المذكور من الغرض الصحيح بان يقول المنى
يريد ان يودع عند احد انه خائن والاصل ان في الغرض الصحيح الاستغناء من الغلبان في التصريح والتلويح بذكر
العيب ثم اعلم ان الواجب على المغتاب ان يتوب ويندم ويتأسف على ما فعله ليخرج عن حق الله ثم يستحل المغتاب
ليحله فيخرج عن مظلمته وينبغي ان يستحله وقال الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما يحتج في ذلك بما روى
انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة من اغتبته ان تستغفر له ابن ابي الدنيا والحارث بن اسامة في مسنده
من حديث انس بسند ضعيف وقال مجاهد كفارة اكلك لحم اخيك ان تثني عليه وتدعو له بخير وبين قوله تعالى ادفع بالتي
هي احسن السيئة والاحسن التفصيل وهو انه لا يحتاج الى الاستحلال اذا لم يصل الكلام الى المغتاب فيحلله اذا وصله الا اذا كان
يتشوش بذكره فقد يكون الاعتذار اكبر من الذنب عند بعض الابرار واما قول ابن عطاء بن ابي رباح حين سئل عن التوبة
عن الفرية قال تمشي الى صاحبك وتقول كذبت فيما قلت وظلمت واسأت فان شئت اخذت بحقك وان شئت عفوت فهو خاص
بالافتراء بل ينبغي ان يعرف بالخطاء في حضور الملأ ان كان الخلاء او الملاء فقول صاحب الاحياء وهو الاصح مبني على انه لا فرق بين الغيبة
والفرية وهو بعيد بلا مرية واما الطلاق قول القائل الغرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال ضعيف اذ في الحديث
الصحيح المتفق عليه عن ابي هريرة من كان لاخيه عنده مظلمة في عرض او مال فليستحله منه من قبل ان يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم
فيؤخذ من حسناته فان لم يكن له حسنات اخذ من سيئاته فزيدت على سيئاته فان كان صاحب الغيبة غائبا او ميتا فينبغي ان يكثر
الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات تكفير السيئات فان الحسنات يذهبن السيئات وكان بعض السلف لا يحلل الظالم قال سعيد بن
المسيب لا احل من ظلمني وقال ابن سيرين اني لم احرمها عليه فاحللها ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحل ما حرم الله
ابدا والظاهر ان المراد بالاستحلال جعله في حل بمعنى عفو عنه لا ينقلب حراما بمنزلة الحلال المباح له وهذا يحمل قوله عليه السلام
ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم اني تصدقت بعرضي على الناس رواه البزار وابن
السني في اليوم والليلة والعقيلي في الضعفاء من حديث انس وذكره ابن عبد البر من حديث ثابت مرسلا عند ذكر ابي ضمضم في الصحابة
قال العراقي وانما هو رجل ممن كان قبلنا كما عند البزار والعقيلي والمعنى اني لا اطلب مظلمة في القيامة منه ولا اخاصم ولا
فلا يصير الغيبة حلالا به ولا يسقط المظلمة بسببه لانه عفو قبل وجوبه الا انه وعد وله العزم على الوفاء بان لا يخاصم فان

العلاج عن الغيبة

فان رجع وخاصم كان له ذلك قياسا على سائر الحقوق بل صرح بعض الفقهاء بان من اباح القذف لم يسقط حقه من حد
القذف ومظلمة الاخرة مثل مظلمة الدنيا في الجملة فالعفو افضل وثوابه اكمل قال الحسن اذا جثت الامم على الركب بين يدي
الله تعالى يوم القيامة نودوا ليقم من كان اجره على الله فلا يقوم الا من عفا عن مظلمة في الدنيا وكانه مستفاد من قوله فمن عفا واصلح
فاجره على الله وجاء في قوله تعالى خذ العفو الاية انه عليه السلام قال يا جبريل ما هذا العفو قال ان الله يامرك ان تعفو عمن ظلمك
وتصل من قطعك وتعطي من حرمك وقد روي عن الحسن ان رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقا من الرطب
وقال قد بلغني انك قد اهديت الي حسناتك فاردت ان اكافئك عليها فاعذرني فاني لا اقدر على ان اكافئك على التمام وقال
بعضهم لو كنت مغتابا احدا لاغتبت ابوي فانهما اولى بان تاخذ حسناتي واخذ من سيئاتهما يوم القيامة ومنها النميمة وهي
تبليغ كلام اي مذموم يقال في حق الغير اليه متعلق بتبليغ اي الى الغير وهي القول فيه كان يقول فلان كان يتكلم فيك
بكذا او كذا وهو حرام سواء كان التبليغ قولا او فعلا او كناية او رمزا او اشارة وورد في سورة ن همازاي
عيابا او مغتابا مشاء بنميم الاية وهي مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم والمعنى من يجمع بين انواع من الوصف الذميم وفي
رواية احمد من حديث ابي مالك الاشعري الا اخبركم بشراركم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبرآء العثرات
وفي الصحيحين من حديث حذيفة لا يدخل الجنة نمام وفي حديث اخر قتات وهو النمام قال عبد الله بن المبارك ولد الزنا لا يكتم الحديث
واشار به الى ان كل من لا يكتم الحديث ويمشي بالنميمة دل على انه ولد زنا استنباطا من قوله تعالى زنيم فانه هو الدعي وللحاكم من حديث
ابي موسى من سعى بالناس فهو لغير رشده او فيه شيء منها وللطبراني بلفظ لا يسعى على الناس الا ولد بغي والا من فيه عرق منه وقال تعالى حمالة الحطب
قيل كانت حمالة نمامة للحديث وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا قيل كانت امراة لوط تخبر بالضيفان وامراة نوح كانت تخبر بانه
مجنون والسبب الباعث على ذلك ثلثة ارادة الشر في القائل اي قصد السوء بالمحكي عنه فعن ابي ذر من اشاع على مسلم كلمة ليشينه بها
بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيمة ابن ابي الدنيا والطبراني وعن ابي الدرداء ايما رجل اشاع على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه بها
في الدنيا كان حقا على الله ان يشينه بها يوم القيمة في النار ولعل الحديثين مقتبسان من قوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين
امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة او اظهار محبة السامع وهو المحكي له وقد قال بعضهم لو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجتري
بالشتم عليك والمنقول عنه اولى بحلمك حيث لم يقابلك بشتمك او التفرج بالحديث اي التنزه بحكاية اهل السعاية الدنيا فعلى السامع
التكذيب اي تكذيب قول القائل وعدم قبوله فعن مصعب بن الزبير نحن نرى ان قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول
اجازة وليس من دل على شيء فاخبر به كمن قبله واجازه لان النمام فاسق لا يقبل قوله لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق
بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين وعلى السامع ان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله قال تعالى وامر بالمعروف
وانه عن المنكر وان يبغضه في الله وان لا يظن باخيه الغائب السوء لقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن وان لا يحمله ما حكي له على التحقيق
والتجسس لقوله تعالى ولا تجسسوا وان لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه فلا يحكي نميمته بقوله فلان قد حكى لي كذا وكذا فيكون
به نماما ومغتابا ويكون قد اتى بما عنه نهى فقد روي ان كعبا احدا اصاب بني اسرائيل قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما اجيب فاوحى الله اليه
اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام وقد اصر على النميمة فقال موسى يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا فقال يا موسى انهاكم عن النميمة

مطلب النميمة

راكبون عما ما نسألوا بما جرى بهم فسقوا وقال الحسن من نم اليك نم عليك وروي عن عمر بن عبد العزيز انه دخل اليه رجل فذكر عنده
عن رجل شيئا فقال عمر ان شئت نظرنا في امرك فان كنت كاذبا فانت من اهل هذه الآية ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا
وان كنت صادقا فانت من هذه الآية هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا امير المؤمنين لا اعود اليك
ابدا ومثله روي عن علي رض ان رجلا اتاه يسعى اليه برجل فقال له يا هذا نحن نسأل عما قلت فان كنت صادقا
مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت ان نقيلك اقلناك فقال اقلني يا امير المؤمنين فالسعاية قبيحة و
ان كانت صحيحة وقد ذكرت السعاة عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم بقوم يحمد الصدق في كل طبقة من الناس
الا منهم وقد بلغ سعاية بعض الى احد من العلماء فقال الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيمة تجمعنا والله يحكم بيننا وهو
خير الحاكمين هذا وقد قال تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض ونمام منهم وقال عم ان من شر الناس
من اتقاه الناس لشره متفق عليه من حديث عائشة والنمام منهم وقال عم لا يدخل الجنة قاطع رواه الشيخان من حديث
جبير بن مطعم قيل اي قاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع الرحم وقيل قاطع الطريق والله ولي التوفيق
ومنها التكلم اي تكلم ذي اللسانين مع كل من المتعاديين بما يوافقه اي تكلم كل واحد بكلام يوافقه فهو نفاق اي نوع
من النفاق وصنف من الشقاق وورد عن عمار بن ياسر مرفوعا من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان في الآخرة رواه
البخاري في كتاب الادب المفرد وابو داود بسند حسن بلفظ من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيمة
وهو كذا في الاحياء وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة تجد من شر الناس يوم القيمة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحديث وهؤلاء
بحديث وفي لفظ آخر يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقيل لابن عمر انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره
قال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الطبراني من طرق واصله في صحيح البخاري وقال ابو الدرداء انا
لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقالت عائشة رض استاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له
فبئس رجل العشيرة هو فلما دخل الان له القول واقبل عليه فلما خرج قلت يا رسول الله قلت ما قلت ثم النت له القول فقال
يا عائشة ان شر الناس الذي يكرم اتقاء شره متفق عليه ومنها المدح وهو منهي عنه في بعض المواضع فهو يضر المادح اذا
كان الممدوح ظالما او فاجرا لخطر اسرار الفاسق اي فرحه بمدحه فلابن ابي الدنيا والبيهقي من حديث انس ان الله يغضب
اذا مدح الفاسق والرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا
منافقا والكذب اي حقيقة او حكما حيث يذكره بالظن وقد لا يكون مطابقا فورد ان كان لا بد لاحدكم ان يكون
مادحا لاخيه فليقل احسب فلانا اي كذا وكذا يعني انه صالح او متق ونحوهما والممدوح اي ويضر الممدوح اي برواية الصحيحين
من حديث ابي بكرة بحدوث الكبر والعجب اي والغرور في قلبه بسبب مدحه فورد فيه اي في ضرر الممدوح اي برواية الصحيحين من حديث
ابي بكرة ان رجلا اثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك قطعت عنق صاحبك زاد ابن ابي الدنيا لو سمع
اي لو بلغه او قبله ما افلح لحديث المصك وقال عمر رض المدح هو الذبح ولو سلم اي المدح عنه اي عن الضرر
فمندوب اليه فورد انا سيد ولد آدم اي يوم القيمة كما في صحيح مسلم من حديث ابي هريرة وزاد الترمذي وابن ماجه من حديث

تكلم ذي اللسانين النفاق

المدح

ابي سعيد

ابي سعيد الخدري والحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد ولا فخر وله من حديث عبادة بن الصامت انا سيد
الناس يوم القيمة ولا فخر اي اقوله ائتمارا اي امتثالا لامره سبحانه واما بنعمة ربك فحدث لا افتخارا اي تفاخرا
كما يقصده الناس بالثناء على انفسهم وذلك لان افتخاره كان بالله وبقربه في مقام انسه لا بكونه مقدما على ابناء
جنسه لو وزن ايمان ابي بكر بايمان العالم وفي نسخة العالمين لرجح اي ايمان ابي بكر وغلب ايمان غيره من غير الانبياء
والمرسلين والملائكة المقربين اخرجه ابن عدي في الكامل من حديث ابن عمر مرفوعا ولفظه لو وزن ايمان ابي بكر بايمان الناس
لرجح ايمان ابي بكر ورواه اسحق بن راهويه والبيهقي في الشعب بسند صحيح عن عمر موقوفا وللترمذي وحسنه من حديث عقبة بن
عامر لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب ولابن عدي عنه لو لم ابعث فيكم لبعث عمر فيكم وللديلمي عن ابي هريرة لو لم ابعث
لبعثت يا عمر قال سفيان بن عيينة لا يضر المدح من عرف نفسه واثني على رجل من الصالحين فقال اللهم ان هؤلاء لا يعرفوني
وانت تعرفني وقال علي رض لما اثني عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون
ومنها التكلم بالمنهي عنه اي من الاقوال الصادرة على لسان العامة وبعض الخاصة الناشئة عن الغفلة عن دقائق الخطأ
في الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله من ذاته وصفاته كالحلف بالآباء ففي الصحيحين من حديث عمر ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم و
لابن عمر من حلف بغير الله فقد اشرك احمد والترمذي والحاكم في مستدركه وفي رواية احمد والبيهقي عن قتيلة بنت صيفي من
حلف فليحلف برب الكعبة وفيه تنبيه على انه لا يجوز الحلف بالكعبة ولا بالمصحف ولا بالنبي ولا بالامانة ونحوها وتسمية العنب
بالكرم بفتح فسكون فورد الكرم قلب المؤمن وفي الصحيحين من حديث وائل بن حجر لا تسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل المسلم ولمسلم
من حديثه لا تقولوا الكرم ولكن قولوا العنب والحبلة ولابي داود من حديث ابي هريرة لا يقولن احدكم الكرم فان الكرم
الرجل المسلم ولكن قولوا حدائق الاعناب وقوله ما شاء الله وشئت لان في العطف المطلق بالواو تشريكا وتسوية في الكلام وهو
خلاف ما يوجب الاحترام فعن حذيفة لا يقل احدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت وقال ابن عباس جاء رجل الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه في بعض الامور فقال ما شاء الله وشئت فقال عم اجعلتني لله عديلا بل ما شاء الله وحده وفي صحيح
مسلم من حديث عدي بن حاتم خطب رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد
غوي فقال عم قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوي وفي الاحياء فكره قوله ومن يعصهما لانه تسوية وجمع انتهى وفيه
بحث لا يخفى ولعل الاوجه ان يقال العدول عن الضمير الشريف غير لائق وان كان المقام يقتضي الضمير اختصارا ولله
در القائل اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره هو المسك ما كررته يتضوع ولهذا ورد في القرآن ومن يطع الله ورسوله
وعبدي وامتي وفي رب نحو عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم عبدي وامتي كلكم عبيد
الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقول المملوك ربي وربتي ولكن
ليقل سيدي وسيدتي فكلكم عبيد والرب الله سبحانه وتعالى رواه الشيخان فالصواب في مقام الخطاب
ثم شئت بدل قوله وشئت فكان ابراهيم يكره ان يقول الرجل اعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول اعوذ بالله ثم
بك ويجوز ان يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وغلامي وجاريتي بدل عبدي وامتي وسيدي

ستنبت بالذي يخرج ويحيي بحمده اي كل الساعة المرضية فقد سماه داود من حديث بريدة باسناد صحيح من قال انا بري من الاسلام
فان كان صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام فهذا وامثالها يدخل في مذموم الكلام ولا يمكن حصره
في هذا المقام وقال ابراهيم اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيامة احمارا رايتني خنزيرا رايتني
خلقتني وعن ابن عباس اذا احدكم نزل حتى ينزله بكلبه يقول لولاه لسرقنا الليلة ولاحمد من حديث البراء من سمى المدينة يثرب
فليستغفر الله هي طابة هي طابة ولابي داود من حديث بريدة بسند صحيح لا تقولوا للمنافق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد
اسخطتم ربكم وللحاكم ولا يقولن احدكم زرعت ولكن ليقل حرثت والحديث في الاكمال للسيوطي ولعله مقتبس من قوله تعالى افرايتم
ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون وكان يقول علي فيه وفي نظائره بل انت وفي الحديث لا يقل احدكم خبثت نفسي
وليقل لقست وفي الحديث لا يقل احدكم نسيت بل ليقل نسيت ومنها سؤال العامة عما يتعذر ادراكه اي حتى للخاصة كسر
الروح وقد قال تعالى قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا والمعتقد ان الارواح اجسام لطيفة تدخل في اثناء
كثيف وتخرج منها كالجسمانية وكنى عنها بقوله ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وانها
خلقت قبل الاجساد الجسمانية عام الفي حادثة غير قديمة خلافا للحكماء ومن يتوهم من الجهلاء وحقايق الصفات حقيقة كلام
سبحانه وكونه مركبا سمعه وبصره وساير كمالاته وقد قال تعالى ولا يحيطون به علما وليس كمثله شيء فكل ما خطر ببالك فالله وراء
ذلك وقد قال عليه السلام سبحانك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك اي من قوله قل هو الله احد وساير ايات الصفات
من الجمالية والجلالية الدالة على كمال الذات او بعض كسر العذر اي عما يعذره ولو لم يتعذر فانه بالنسبة الى الاغلب قد يتعسر
فهو بحر عميق لم ينج غريق ولا يخلص من الاتيان بقارفيه يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون قل فلله
الحجة البالغة فلو شاء لهديكم اجمعين خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالي وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالي وانما شان العوام
الاشتغال بالعمل بما في القرآن والتسليم بما جاء به الرسل من تفاصيل الاسلام والايمان ولذا قال عليه السلام ذروني ما تركتكم فانما
هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فاتوا منه ما استطعتم
متفق عليه من حديث ابي هريرة وقال انس سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اكثروا عليه واغضبوه
فصعد المنبر فقال سلوني فما تسألوني عن شيء الا انبأتكم به فقام اليه رجل فقال يا رسول الله من ابي فقال ابوك حذيفة
فقام اليه شابان اخوان فقالا يا رسول الله من ابونا فقال ابوكما الذي تدعيان اليه ثم قام اليه رجل فقال يا رسول الله في
اني الجنة انا او في النار قال لا بل في النار فلما راى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم امسكوا فقام اليه عمر فقال رضينا
بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فقال احسنت يرحمك الله انك ما علمت لموفق متفق عليه وفي الحديث
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال واضاعة المال وكثرة السؤال متفق عليه من حديث مغيرة وعنه عليه السلام يوشك
الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا هذا خلق الله فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا الله احد الله الصمد حتى تختم
السورة ثم ليتفل احدكم عن يساره ثلثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولما كان الاصل ان السؤال ينبغي ان يكون من
اصل الكمال فيما يكون من الضرورة في الاعتقادات او العبادات او المعاملات والله اعلم بحقايق الحالات وكالقول بالظن

لاسيما

لاسيما في العقايد المتعلقة بالرب قال تعالى ان الظن لا يغني من الحق شيئا وهو اي القول بالظن او نفس الظن ما لم يتم الدليل
اي بما علم عما كان به وحصل التردد في بابه وانما جوز في الفروع دون الاصول الضرورة في قلة المنقول قوله اجتنبوا كثيرا
من الظن الاية اي ان بعض الظن اثم ولما كان هذا الظن يشتمل ما اذا اتى عليه خبر من موت احد او قدومه او سفره
او امر غيره استثنى بقوله الا اذا اخبر عدل اي بالموت او القدوم او السفر ونحوه وعلم عدم العداوة اي بالنسبة
الى الميت واهله وحاله اي وعلم عدم غش اي الاخ كالعصبية في نسبه والدعوة الى ملته ومذهبه وبعيد زاي اذا
اخبر عن ظن وتوهم اذ تكذيبه سوء الظن اي به وبكلامه والتجسس عطف على القول بالظن اي وكالتفحص عن حقيقة الامر
فهو هتك الستر اي كاشفه وفاضحه في الخبر نزلت في سورة الحجرات ولا تجسسوا والاستماع اي وكاستماع القول بالظن نزل
في سورة القصص واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه تمام وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين
المستمع شريك القائل ام ارادوا اصلاح في الاحياء الغناء والمستمع شريكان في الاثم وقد اخرجه الطبراني في الطراني مرفوعا
نهى عن الغيبة وعن الاستماع الى الغيبة ومنه اي كاستماعه هيجان الوساوس اي ثورانها وبقاؤها في النفس على طريق الهواجس
ولا قصاص في الغيبة فلا طلب لمن يقول انا اغتاب الناس وهم يغتابون فيكون المقاصة في الدنيا دون العقبى و
السب والتجسس من الاقوال الرديئة والافعال الدنية لا حصاره اي القصاص على مورد الشرع اي النفس والاطراف ونحوها
من تضييع الاموال فيقتص بالضرب والقطع والقتل واخذ الامثال والابدال وورد ان امرءا عيرك بما فيك من الخصال
الذميمة فلا تعيره بما فيه اي فانه لا يجوز فيه المقاصصة ولا يبعد ان يكون هذا محمولا على التحريض على ما هو الاولى من العفو
وقيل يقابل اي نحو الغيبة وما عطف عليه بما الكذب فيه بظاهر قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها والاولى الترك
لقوله تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله ولقوله سبحانه ولمن صبر انه لمن عزم الامور والتحقيق في سماع الابرار ان الاخرى
في الاشعار اي في نفسها موضع النظر بما فيها فان الشعر كالنثر كلام صحيحه حسن وقبيحه قبيح والالتذاذ اي المحرم لاجل
التلذذ بها والا فالمحرم كل لذة يتلذذ منها كما في الحادي والحضرة ونحوها ولم يقل احد بحرمتها ولا الوزن اي ولا يحرم
مجرد التقابل والتعادل بين الكلمتين او الجملتين المصراعين ولا المحرم سماع صوت العندليب اي المسمى بالبلبل المعرب
بالهزار دستان فان انغامها بلغت الالف في الاشجار والبستان الحرمي وكذا الفاختة والحمام واغرب من الكل الطوطي
المسمى بالدرة التي تقصص فصيح حتى تقرا الاية والسورة وتتكلم بما وقع في البيت من امور الضرورة طبق ما وقع في المعنى
والصورة ... صوتهما وحجاهما موزون اي متلائم ينفي اوائله واواخره لتناسب مطالعه ومقاطعه اي مباديه وخواتمه
تناهيه ولا المفهم اي ولا يحرم بمجرد فهم الكلام من الصوت في ذلك المقام والا فكل مفهوم من الحرام ولم يقل به احد
من الاعلام هذا اي هذا او خذ هذا والامر هذا والشعر كلام اي كسائر الكلام من حيث هو مباح في اصل الاحكام
والانشاد مأثور وعن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه مروي ومنشور فكان عليه السلام ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد وهو يقول
هذا الحمال لا حمال خيبر هذا ابر ربنا واطهر رواه البخاري في قصة الهجرة من رواية عروة مرسلا قال ابن شهاب ولم يبلغنا
في الاحاديث انه عليه السلام تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت وفي الصحيحين من حديث انس يرتجزون ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم يقولون اللهم

الشعر كلام والانشاد مأثور

النوم ان اجر الاخرة فاغفر للانصار والمهاجرة قال الفرطبي في الحمد لله لا هو موزون بعضها باعتبار المصراع الاول
قال وفي رواية اللهم ان العيش عيش الاخرة فانصر الانصار والمهاجرة وفي الصحيحين ايضا انه رجز الخندق بلفظ
فبارك في الانصار والمهاجرة وفي رواية فاغفر وفي رواية فاكرم وطما من حديث سهل بن سعد فاغفر للمهاجرين
والانصار للبخاري تعليقا ولابي داود والترمذي والحاكم متصلا من حديث كان عم يضع لحسان منبرا في المسجد
يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم او ينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد حسان بروح القدس
ما نافح او فاخر عن رسول الله عم قال الترمذي حسن صحيح وقال الحاكم صحيح الاسناد ولمسلم من حديث عايشة انشاد حسان
شعر هجوت محمدا فاجبت عنه ، وعند الله في ذاك الجزاء ، هجوت محمدا ولست بكفو ، فشركما لخيركما الفداء ، القصيدة وانشاد
حسان ايضا ، وان سنام المجد من ال هاشم ، بنو ابنة مخزوم ووالدك العبد ، وللبخاري انشاد ابن رواحة وفينا رسول الله عم
يتلو كتابه ، اذا انشق معروف من الفجر ساطع ، الابيات وللترمذي في الشمائل انشاده ايضا بين يديه صلى الله عليه وسلم
حين دخل مكة ، خلوا بني الكفار عن سبيله ، اليوم نضربكم على تنزيله ، ضربا يزيل الهام عن مقيله ، ويذهل الخليل
عن خليله ، والبغوي في معجم الصحابة وابن عبد البر في الاستيعاب من حديث النابغة قال انشدت النبي صلى الله عليه وسلم
فقال احسنت لا يفضض الله فاك وفي الصحيحين عن عايشة لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك ابو بكر وبلال
وكانت بها وبا فقلت يا ابت كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك فكان ابو بكر اذا اخذته الحمى يقول شعر كل امرئ
مصبح باهله ، والموت ادنى من شراك نعله ، وكان بلال اذا اقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته اي صوته ويقول شعر الا
ليت شعري هل ابيتن ليلة بواد وحولي اذخر وجليل ، وهل اردن يوما مياه مجنة ، وهل يبدون لي شامة وطفيل ، وحماه الله
بمكة قالت عايشة فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد وانقل حماها فاجعلها
في الجحفة ومن انشاد عايشة شعر ذهب الذين يعاش في اكنافهم ، وبقيت في خلف كجلد الاجرب ، وللترمذي من حديث جابر بن سمرة
كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون الاشعار وهو يتبسم وللبيهقي في دلائل النبوة ان النساء انشدن عند قدوم
رسول الله صلى الله عليه وسلم شعر طلع البدر علينا من ثنيات الوداع ، وجب الشكر علينا ما دعا لله داع ، واما ذكر
السطوح والدف والالحان كما ذكره في الاحياء فلا اصل له كما صرح به مخرجه وفي الجملة اشعار بفرح قدومه وسرور
ودوم عم الى ذلك المقام وفي هذا القبيل قوله عم اني لا ادري بفتح خيبر افرح بقدوم جعفر ولمسلم من حديث عمرو بن
الشريد عن ابيه قال انشدت النبي عم مائة قافية من قول امية بن ابي الصلت كل ذلك يقول هيه هيه اي استزده
ثم قال ان كاد في شعره ليسلم فنفس الانشاد والسماع جائزان بالاجماع ولابي داود والطيالسي عن انس
كان يحدوهم في السفر وان انجشة كان يحدو بالنساء وان البراء بن مالك يحدو بالرجال فقال عم
يا انجشة رويدك سوقك بالقوارير ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمانه عم واصحابه الكرام
وما هو الا اشعار تؤدى باصوات طيبة والحان موزونة والنهي اي عن الشعر المجرد لهو اشتغال بما لا يعنيه فورد
لان يمتلي بطن احدكم قيحا اي صديدا حتى يريه بفتح فكسر من ورى وريا كرمي رميا اي يفسده خير له من ان يمتلي

شعرا رواه احمد واصحاب الكتب الستة وحمل عطف على التجرد اي ولبعض الشعر ما خسا من الكلام وهجاء اي
ذم الاحد من اهل الاسلام وافراط في مقام المرام كنظم الكفار والمبتدعة في ذم المسلمين واهل السنة والجماعة ويجوز
هجاؤهم اي ابتداء وانتهاء فقد فعله حسان وامره به كما تقدم وفي الصحيحين من حديث البراء انه عم قال لحسان اهجهم او هاجهم
وجبريل معك وقد قال تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا والتوسع اي ويجوز المبالغة في المدح اذ وجد
الوصف المذكور في الممدوح اي في الجملة لانه ليس بكذب اي محض بل مبالغة وتسامح لا سيما في الشعر لفقد قصد اعتقاد
صورته في صورة الكذب وحقيقته وتواترت استماع المبالغات وتواتر استماعها في اشعار العرب وغيرهم بلا نكير
اي بلا انكار على قائلها ومنشدها بل عد الكذب من محسنات الشعر كما قيل الكذب في الشعر احسن وبشير اليه قوله
تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون وقد سبق التسامح في النثر
ايضا اذا اريد به المبالغة من ماة مرة او الف مرة ويراد به الكثرة ونظير هذا قولهم لبيك وسعديك في اطلاق
التثنية وقصد التكثير والتكرير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين ومن هذا القبيل هنا قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين
مرة فانه لم يرد به حقيقة العدد اذ لا مفهوم له عند ارباب الاصول بل اريد به الكثرة هنالك بدليل اية اخرى سواء عليهم
استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة لن يغفر الله لهم ووصف الخد اي وجاز نعت الوجه
والوجنة من البياض والحمرة والقد اي القامة باعتدالها وجمالها وكمالها والصدغ اي الشعر المتدلي على الوجه المسمى بالزلف
على الاقرب اي جاز ما ذكر على القول الاقرب الى الصواب والانسب في بيان الخصلة المحتاج اليها في هذا الباب وقيل لا يجوز
مطلقا واذ وجد التفصيل الاتي وهو قوله ادم يحمل اي صاحب الخد والقد وكون الشاعر على معين سواء امرأة او امة
وذكر من يعشق زوجته وسريته فيصير الى غناها ليتلذذ بعيشه في لقائها وهذا اذا كان الشاعر او المغني في بيته واما
اذا كان في مجلس من جماعة فلا يجوز له ذكر امرأته ولا جاريته وكذا الامرد ان يحمل على امرد صبيح الوجه بخصوصه مطلقا
او استعار اي جاز ما تقدم ان استعار العارف بالمجاز والحقيقة والشرح والكناية سواد الصدغ لظلمة الذنب
وهو جنس المعصية الناشئة من ظلمة النفس وبياض الخد لنور الطاعة وسرور الحالة والوصال وفي معناه الوصل
والاتصال للقاء الله تعالى اي في دار البقاء او مقام الفناء والفراق وكذا الانفصال الحجاب ونحوهما من انواع العذاب
والنظر مستند الى الاثر اي جاز التاثير في المتغني به من الشروط ففيه تفصيل على الاقرب بناء على القول الاقرب
وقد قيل لا عبرة بالنظر الى التاثير بل هو حرام مطلقا شذوذ وجراي فيحب سماع ومطلوب لكن بشروط بينها بقوله ان
شوق اي المتغني به الى الحج والغزو وان كان الحج واحدهما قربة اي واجبا بخلاف ما اذا لم يجب بان لم يوجد شرائط وجوب
الحج او الابوان لا يأذنان فانه عذر في الناجز على القول بالتراخي في الحج او غلب الهلاك في الطريق اي بر او بحر او كان
من فقدان سائر شروط الاداء وفي الاحياء ومن الغناء المباح غناء الحجيج فانهم يدورون اولا في البلاد بالطبل و
الشاهين والغناء وهو جائز لانها اشعار نظمت في وصف البيت والمقام والزمزم والحرم وسائر المشاعر العظام وصف

الباديه وغيرها [illegible] ومايرد كرمهم السوق الى بيتانه واعتقال بدوامه ان كان نم عرف
حصرا وا سد [illegible] السوق الم بجاه السوق الم محمودا اوحزنا اي ان اوقع المغني بحزنا وتاسفا على التقصير
في الدين كالمروي عن داود عم وقد ورد في ترغيب المدح لداود عم انه كان حسن الصوت في النياحة على نفسه
وفي تلاوة الزبور حتى يجمع الانس والجن والوحوش والطيور لسماع صوته وكان يحمل من مجلسه اربعماية جنازة
وما يقرب من ذلك في تلك الحالة وفي الحديث في مدح ابي موسى الاشعري لقد اعطي مزمارا من مزامير آل داود
وقد تقدم وذكر في تفسير قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء هو حسن الصوت وقد قري بالحاء المهملة وقد ورد لله
اشد اذنا للرجل الحسن الصوت للقران من صاحب القينة الى قينته وفي قوله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير بدل بمفهومه على
مدح الصوت الحسن وهذا المرجح علي في الاحيا ان الطير كانت تقف على راس داود عم ومااشبه وكما انشده الوعاظ على
المنابر من نظم او نثر يجمع الترغيب والترهيب في الحج والغزو ونحوهما واكد الحيا اذا ذاد المغني به حثه كما بذكره و
التامل في امره والاشتغال بحكمه فانه مندوب ويجري في كل من التشويق والتحزين مباح مستو طرفاه لا ثواب ولا عقاب
ان كان المتغني به السرور والفرح فيما يباح فيه كالعيد والعرس والولادة اي ولها والختان وحفظ القران اي تمام
وكذا اجتماع الاخوان في بعض الزمان الطعام والكلام وكذا قدوم بعض الاصحاب من السفر كما تقدم وتقرر حمومانود
اي مذكور عن السلف والخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم اما العيد ففي الصحيحين عن عايشة ان ابا بكر رض دخل عليها
وعندها جاريتان في ايام منى تدفقان وتضربان والنبي صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما ابو بكر وفي رواية قال
مزامير الشيطان فكشف النبي عم عن وجهه فقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد قالت وكان يوم عيد تلعب فيه
السودان بالدرق والحراب فاما سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم واما قال تشتهين تنظرين فقلت نعم فاقامني وراءه وخدي
على خده ويقول دونكم اي افعلوا يا بني ارفدة حتى اذا مللت قال حسبك قلت نعم قال فاذهبي وفي صحيح مسلم فوضعت
راسي على منكبه فجعلت انظر اليهم حتى كنت انا التي انصرفت واما العرس فقد تقدم حديث اعلنوا النكاح واضربوا
عليه بالدف وفي معناه الولادة والختان ومما يؤيد الولادة ذبح العقيقة وهو اصحاب الطريقة في الحقيقة واما حفظ القران
فهو اكبر سرورا واعظم نورا وسوق المتغني به الى الاحزان من الاحيان الانقياد في القريبة او البلدان او المراة او الامرة اي
من غير تعيينها الاجنبي فانه مباح حرام ان سوق المتغني الى الزنا او نوابه او خذ المتغني به على الموتى اي فيحصل به الجزع
والفزع والبلايا اي على البلايا المتقدمة فورد في الحديد كيلا وفي التنزيل الكريم لكيلا تاسوا على ما فاتكم تمام ولا تفرحوا
بما اتيكم بالمد والقصر وقال في آل عمران لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم واذا رتبته اي اغراب التغني وسماع الاستماع الشهوة
ويحرم سواء غلب على قلبه حب شخص معين او لم يغلب لانه لا يسمع وصف نحو الخد والقد والوصل والهجر الا ويحرك ذلك
شهوته وينزله على صورة معين ويقوي لذته ولذلك سئل حكيم عن العشق فقال دخان يصعد الى دماغ انسان يزيله
الجماع ويهيجه السماع وهو نفخ الشيطان للناس ينفخ الرحمان فلا يليق من حمل على كان ابليس اول من ناح واول من
تغنى ولابن ابي الدنيا والطبراني عن ابي امامة ما رفع احد عقيرته بغناء الا بعث الله شيطانين على منكبيه يضربان على عقبيه

بصدره

بصدره حتى يمسك ثم التلهي اي الاشتغال بمجرد التغني وهو المعني بقوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث الاية
والمواظبة عليه اي من غير تخلل التوبة لديه ذنب اي عند الكل من العلماء والصوفية من الصلحاء وهذا محل كلام الائمة المجتهدين
من الفقهاء فقد حكى القاضي ابو الطيب الطبري عن ابي حنيفة ومالك والشافعي وسفيان وجماعة من العلماء الفاظا استدل بها
على انهم راوا التحريم قال وقال الشافعي في كتاب ادب القضاء ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد
شهادته وقال الشافعي صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته قال وحكي عن الشافعي انه كان يكره
الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة يشتغلوا به عن القران قال واما مالك فقد نهى عن الغنى وقال اذا
اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ان يردها وهو مذهب سائر اهل المدينة الا ابراهيم بن سعد وحده وقال
ابو حنيفة فانه كان يكره ذلك ويجعل الغنا من الذنوب وكذا سائر اهل الكوفة سفيان الثوري وحماد وابراهيم
النخعي والشعبي وغيرهم انتهى كلام الطبري ونظيره ما ورد من الاحاديث في ذم القينة وفي الجارية المغنية فللطبراني من حديث
عايشة ان الله حرم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها ويقويه ما رواه ابو داود عن نافع كنت مع ابن عمر في طريق فسمع
زمارة راع فوضع اصبعيه في اذنيه ثم عدل عن الطريق ولم يزل يقول يا نافع اتسمع ذلك حتى قلت لا فاخرج اصبعيه
ثم قال هكذا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه ابو داود وعن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا الغنا ينبت
النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل رواه البيهقي ولابن المبارك عن عكرمة بن عمار عن يحيى بن كثير مرسلا
ما امتلات دار حبرة الا امتلات عبرة والحبرة الغنا ومنه قوله تعالى فهم في روضة يحبرون اي يغنون ويسرون
ومر علي بن عمر علي قوم محرمون وفيهم رجل يغني فقال الا لا اسمع الله لكم الا لا اسمع لكم وقال النسيمي السماع ظاهره
فتنة وباطنه عبرة اي وحكمة واما ما نقل ابو طالب المكي اباحة السماع عن جماعة من الصحابة والتابعين كعبد الله بن جعفر
وابن الزبير ومعاوية وغيرهم فاما محمول على سماع ليس فيه شيء من الغنا وسماع القران واشعار العرب ولو بالالحان
واما على انهم المختار عندهم فان المسئلة اختلافية لا اجماعية وفعلهم ليس بحجة عند غيرهم فكذا ما روي عن بعض المشايخ
الصوفية وقد ذكرت هذه المسئلة في رسالة مستقلة وقد رايت رسالة منسوبة للشيخ احمد الغزالي اخي حجة الاسلام محمد
الغزالي متضمنة لتكفير منكر السماع لا دليل سخيفة ظاهرة الفساد واهية ضعيفة ما لها عند الائمة رواج وكساد
وهذا قد يكون مراد المصران التلهي صغيرة والمواظبة والاصرار على الصغيرة كبيرة وقد يريد ان التلهي مباح والمواظبة
على المباح قد تصير كبيرة كما اذا داوم على الطبل طول الايام او تبع الحبشة في رقصهم على الدوام ثم لترويح النفس
اي لاراحتها وارادة بعثها قطعا للملالة والسامة من العبادة كما يجري ويري في العادة لاهل الارادة وهي للعابد
ثم لمقابلة حالها اي حال النفس ومقامها في المعاملة مع تعالى من تحصيل مرامها وهذا حالة العارفين بها وخطر باعتبار
تمامها ودوامها وتحقيق ذلك ان الاناء يترشح بما فيه سواء يكون ضدا يوافق او ينافيه فالسماع يشبه المحرم في اخراج ما في
الباطن ويعرف ما في القلب من خوف ورجاء وقلق وسكون وشوق وذوق ونشاط وانبساط فيقابل المريد
حال نفسه في المعاملة مع ربه فاذا كان في باطنه خوف يظهر منه اثاره من نحو البكاء والحزن ونحو واذا كان رجاء

يعني انوار من الله تعالى والهم وتجلى الحضرة وكونها واذا ارادا السماع الجمعي في الاثناء فيه ونحوه
لانه ويشترط رعاية السنة اي الشريعة الغراء والطريقة الزهراء والحياء اي يجعل الاستماع مبنيا على ما يليق به تعالى اي على وجه يليق
فيجي برياض الجنة ونحوه بتذكر صفات الجمال وفي الزلف ونحوه يتفكر في نعوت الجلال ثم الخشية لتعالى فقط اي ثم قطع النظر عن لوازمه
وتفصيل مكارمه وهو اي هذا المقام لمن فني عن حظوظ نفسه اي بالكلية وغاب عما سواه اي عن حظوظ غير الله تعالى حتى
عن شهوده من ايضا المعبر عنه بالفناء عن الفناء وذلك فان من هو فني عن نفسه فهو كمن غيره افنى فهذا فني عن كل شيء الا عن الواحد
المشهود وفني ايضا عن المشهود فان القلب اذا التفت الى المشهود وفي نفسه بانه مشاهد فقد غفل عن المشهود كالذكر
اذا اخبر عن ذكره وهو نهاية مقام العارفين في حال البقاء وقد يعبر عن هذا بمقام اللقاء ولكن هذا كالبرق
الخاطف من ظهوره في عالم الشهادة فان دام لا يطيقه القوة البشرية ومنه اي ومن جنسه تعالى تولد الوجد اي حصول
الذوق وصفوا الشوق وهو الوجد ما صادف القلب اي وجد القلب من شوق الى الجانب ورضاه وخوف من
حجابه وسخط وحزن اي تأسف على ما فات وقلق اي اضطراب في حاله ويجدي من الاجد اي يفيد الوجد نقاء القلب
اي طهارته عن السوى من كمال الصفاء وحصول العلم اي زيادة المقرونة بالحلم والمكاشفة في العلم بالله وبصفاته
الفاخرة وبالاحوال الاخرة وربما لا يمكن العبارة عنه اذا كان متعلقا بالذات او بكنه الصفات كما عن الفضائح
والملاحة فانها من المعاني الدقيقة يعجز التعبير عنها ولو بالكنايات الرشيقة ثم لا يبعد ان يكون السماع سبب الكشف بما
لم يكن مكشوفا قبل الاجتماع فان للكشف اسبابا ولفتح ابوابا منها التنبيه والسماع تنبيه التنبيه ومنها تغير الاحوال و
مشاهدتها في الاقوال والاحوال وادراكها نوع علم يفيد ايضاح امور لم تكن معلومة قبل ذلك من الاحوال ومنها
انبعاث وانبساط ونشاط القلب بقوة السماع فيقوي به على مشاهدة ما كان قصر عنه دركه كما يقوي الجمل عن الحمل بحيث
يطلع على الجميل بسبب سماع الحدا بانواع الغناء وحمل القلب استكشاف جماله وملاحظة اسرار الملكوت وانوار الجبروت
وطبق جماله ووفق جلاله ومنها الصفاء وهو سبب الكشف لارباب الوفاء وهذا نوع اسباب وفتح ابواب ورفع حجاب بما تمثل
الحق لعبده في لفظ منظوم لفرط سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف او بالالهام او في صورة مشاهدة منزهة عن صورة الانام و
السماع شكر للحق بصيد به الخلق هذا وكما يسمع صوت الهاتف عند سماع القلب يشاهد ايضا بالبصر صورة الخضر عم فانه
يتمثل لارباب القلوب بصور مختلفة وفي مثل هذه الحالة يتمثل الملائكة للانبياء او على مثل حالة صورتها بعض الحكماء والتواجد
اي التكلف في الوجد واظهاره من غير تحصيل المقصد مذموم للرياء ليعلم برؤية الخلق لا المقصد الوصول الى الحقيقة
اي حقيقة الوجد ليعلم برؤية الحق وذلك لورود اللهم ارزقني حبك يحتمل الاضافة والمفعول كما حقق في قوله
تعالى يحبهم ويحبونه وكذا قوله وحب من يحبك وحب ما يقربني الى حبك اي من القوة والعمل وغير ذلك والحديث قد ذكر وما سبق
اي ولورود ما تقدم من التباكي ومدحه وهو التكلف بالبكاء في التلاوة الى فضل التلاوة وذلك التشبه باهل
البكاء من الانبياء والاولياء حال القراءة ومن تشبه بقوم فهو منهم ومشاهدة الفضاء ودوام ذكر الشيء اي اتصاله
واتصاله والنظر اليه في اختلاف احواله والفكر في فضائله وما يترتب عليه من تحقيق الامر الى العشق متعلق بافضاء اي باجزاده

الى جنة وبوده حتى يمتنع الخلاص عنها على تفكره وذكره ولو تكلف بالدفع في تصوره ويحصل كما في السماع ولتحته
ان لا يكون السمع اي المغني ممن يحرم النظر اليه كالنسوان والمراد ان الا المتبع اي الكبير الجاهل الاهمن على نفسه اي من الشهوة كما
في قوله الصائم من التفصيل بين الامن وغيره وقال القاضي ابو الطيب استماع من المراة التي ليست بمحرمة له لا يجوز عند
اصحاب الشافعي بحال سواء كانت مكشوفة او من وراء ستر وسواء كانت حرة او مملوكة انتهى وقال وجهه ان صوت العورة عورة
لا يحل الا لضرورة ولا يخفى ان الامرد الحسن الوجه حظره اقوى فانه عند الشيطان اشهى والخلق اغوى حتى قال النووي ان
النظر اليه حرام ولو بلا شهوة واما قول الغزالي ان صوت المراة في غير الغناء ليس بعورة فلم تزل النساء في زمن الصحابة
يكلمن الرجال في السلام والاستفتاء في الاحكام والمشاورة في الكلام فمحمول على ان الضرورة تبيح المحظورات ولا الالة اي وله
يكون الة المغني مزمارا وكذا طبل الكوبة والاوتار وهذه يحرم عليها لانها من شعار الشراب واما قصب الراعي فمختلف فيه فاما
الراجح وحرمه النووي من اتباع الشافعي وصرح علماؤنا بان الدف مباح في النكاح اذا لم يكن له جلاجل في طرفه لانه اباحه وقت
على خلاف القياس فيقتصر على مورده وقال يزيد بن الوليد اياكم والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وانه
لينوب على الخمر ويفعل ما يفعله السكر فان كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء فان الغناء داعية الزنا فهو اي الغناء باعتبار
اصله شعار اهل الشرب في مجلس خمر بمعنى اي حرمة شرب الخمر فانه قد يفضي الى فساد الامر ويجر الى مباشرة الشرب كخلوة الاجنبية
لانها مقدمة للجماع والنظر الى الاجنبية والاتصال بالشوقين ثم انهما حرامان لا لذاتهما بل بما يلزمه الزنا ادعاهما فقد يكونان وسيلتين الى
فعلهما ولانه اي الغناء المذموم بذكره اي الشرب وكثرة كالخمر بتشديد الفاء المفتوحة اي ظرف الخمر والحنتم اي الظرف الاخضر
ونحوهما من الدبا والنقير فان الشرع حرم استعمال هذه الاشياء ولذا امر بكسرها وان الخمر وظرفها بمعالجة الخمر تغليظا في امرها
ثم احلها بعد مرة وفيه انه ابيح بهذه الاشياء بخلاف آلات الغناء فهو حجة على من منع مطلق السماع من العلماء فالسماع حرام
كقليل الخمر وان كان لا يسكر لانه يدعو الى المسكر وما من حرام لا وله حريم يطيف به وحكم الحرمة تنسحب على حريمه ليكون حمى
الحرام ووقاية له لا لاحتضار ما نعا حوله كما ورد ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه وفيه ايضا ويقع فيما اذا كان الالة مزمارا
التشبه باهل الشرب ومن تشبه بقوم فهو منهم حتى حرم تشبه الرجال بالنساء وعكسه وحتى قيل يترك السنة اذا صارت
شعار اهل البدعة ثم قال في الاحياء بل التشبيه باهل الفساد ينهى عن لبس القباء في بلاد صار فيها من لباس
الاجناد ولا ينهى عن ذلك فيما وراء النهر لاعتياد اهل الصلاح من الزهاد والعباد قال فلهذه المعاني حرم المزمار العراقي والاوتار
كلها كالعود والرباب والبربط وغيرها واما ما عدا ذلك فليس في معناه كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطبالين و
كالطبل والقضيب وكل ما يعتاد لاهل الشرب فانه ان دفع علة التشابه يبقى على اصل الاباحة كما اعلى التشبه في الاجتماع
على السماع واحضار الالة ونصب الساقي اي المناول في ادارة السكنجبين وهو من اللبن والماء والقهوة الحادثة المصنوعة
من اللبن وقشره فانه اذا اجتمع قوم في مجلس والساقي على قاعدة يدور بكاس واحد على جماعة واحدا بعد واحد وفق عادة
فانه يحرم السكنجبين وامثاله للتشبه بخلاف نحو الدف وهنح والطبل اي طبل الحج والغزو واما طبل الكوبة فحرام لانه من شعار الفسقة
وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين ولعل هذين لم يكونا من شعار اهل الشرب في زمنه عم اي ايام الحج او ذكر

يشبه التغني الى اخرها في سنن وهم . وأما اذا كانا من شداد الفسقة فينبغي ان يقال بحرمتهما للتشبيه فان العلة مشتركة والا
المتغني به قراءة لا يجوز لانه في القراءة مد المقصور وقصر الممدود اي في الجمع بينهما عمدا لا ان في التغني الذي يوم لتوافق
الصوت اي بالالحان الفسقية والانغام الموسيقية ولا فالصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم كانوا يأمرون في مجلس سماعهم ان
يقرأ واحد بصوت حسن ما تيسر من القرآن عملا بقوله عز وجل واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع
مما عرفوا من الحق وقد اخبر سبحانه عن حال الانبياء بقوله اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا وعن حال
الاولياء من الاصفياء ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا
وفي الصحيحين عن ابن مسعود قرأ ... بامره فلما انتهى الى قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء
شهيدا قال حسبك الان فرأيت عينيه تذرفان اي تسيلان دمعا ولمسلم من حديث ابي ذر انه قرأ ان تعذبهم فانهم
عبادك فبكى ولابن عدي في الكامل والبيهقي في الشعب انه قرأ عنده ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا
اليما فصعق اي خر بصوت ولابي داود والنسائي والترمذي في الشمائل من حديث عبد الله بن الشخير انه كان يصلي ولصدره
ازيز كازيز المرجل واما حديث اختصام علي وجعفر وزيد بن حارثة في حضانة ابنة حمزة فقال لعلي انت مني وانا منك
فحجل وقال لجعفر اشبهت خلقي وخلقي فحجل فقال لزيد انت اخونا ومولانا فحجل الحديث رواه ابو داود من حديث علي وهو
عند البخاري دون ذكر الحجل وعلى تقدير صحته فالمراد به اظهار الفرح والسرور بما وقع من المدح في المقصود وانه
كان الحجل في اصله نوع من الرقص وهو على رجل واحد فلا ينبغي ان يحمل عليه لقولهم الرقص نوع من النقص وما ابعد
من استدل على جواز الرقص على الدوام بهذا الحديث الذي وقع ندرة من الصحابة الكرام في مجلسه مع عدم كونه
رضا في المقام المرام وقد ورد ليس منا من لم يتغن بالقرآن وزينوا اصواتكم بالقرآن وزينوا القرآن باصواتكم
ولا النهي اي وانما قلنا انه لا يجوز ان يكون المتغني به قرآنا اذ لا يجوز فيه مد المقصور الخ ولا يجوز النهي
عن ايه اي عن قراءته حيث لا يوافق السامع بالنسبة الى ماله من الحالات والمقامات كاحكام المعاملات والحدود في باب
السياسات وهذا المقصود يفهم السامع عن الآيات البينات وما يتضمنها من النكات والاشارات واما العارف فيلاحظ مغزه
المعنى من جميع الكتاب كما قال تعالى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم
اولو الالباب واما الموجد فينظر الى كلام ربه كانه يسمع منه قائما على غيره فيكون قلبه مطمئنا بذكره ومشتغلا بفكره كما
قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب وقال تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال
انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقال لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من
خشية الله ومن ثم كان القرآن افضل الذكر لاشتماله على ذكر الله باعتبار توحيد ذاته وانواع صفاته واصناف
حكوماته واجناس اخباره من مبدء مخلوقاته ومنتهى مصنوعاته فالطمانينة وكذا الاقشعرار والخشية ولين القلب
والوجل والخشوع وسمع عمر رجلا يقرأ ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع فصاح صيحة وخر مغشيا عليه فحمل الى بيته
فلم يزل مريضا شهرا او دون وان زرارة ابن ابي اوفى من التابعين كان يؤم الناس بالرقة فقرأ ليلة فاذا نقر في الناقور

سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان

والاقشعرار والخشية عند تلاوة القرآن

فصعق ومات في محرابه وسمع الشافعي قارئا يقرأ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فغشي عليه وكان
الشبلي في مسجده ليلة من رمضان وهو يصلي خلف امام له فقرأ الامام ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك فزعق
الشبلي زعقة ظن الناس انه قد طارت روحه وكان هذا يقول بمثل هذا يخاطب الاحباب وسمع رجل من اهل التصوف قارئا
يقرأ يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فاستعادها من القارئ وقال كم اقول لها ارجعي فليست
ترجع وتواجد وزعق زعقة فخرجت روحه وسمع علي بن الفضيل قارئا يوم يقوم الناس لرب العالمين فسقط مغشيا
عليه وسمع يحيى بن معاذ قارئا يقرأ وانذرهم يوم الازفة فاضطرب ثم صاح وقال ارحم من انذرته ثم لم يقبل اليك
بطاعتك بعد الانذار ثم غشي عليه وسمع ابراهيم بن ادهم الحدائقي اذا السماء انشقت فاضطربت اوصاله وعن محمد بن
صبيح قال كان رجل يغتسل في الفرات فمر به رجل على الشط يقرأ وامتازوا اليوم ايها المجرمون فلم يزل الرجل يضطرب
حتى غرق ومات وقال بعض الصوفية كنت ليلة اقرأ هذه الآية كل نفس ذائقة الموت فجعلت اردد ها فاذا هاتف يهتف
بي كم تردد هذه الآية فقد قتلت اربعة من الجن لم يرفعوا رؤوسهم الى السماء منذ خلقوا وقال ابو علي المغازلي للشبلي
ربما يطرق سمعي آية من كتاب الله فتجذبني الى الاعراض عن الدنيا ثم ارجع الى احوالي والى الناس فلا ابقى على ذلك فقال ما طرق
سمعك من القرآن فاجتذبك به اليه فذلك عطفه منه عليك ولطفه منه بك واذا ردك الى نفسك فهو شفقة
منه عليك فانه لا يصلح لك التبري من الحول والقوة في التوجه اليه وبالجملة لا يخلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القرآن
وذكر الرب فان كان القرآن لا يؤثر فيه اصلا فمثله كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم
لا يعقلون ولا يجوز اي ح وهو حال كون المتغني به قرآنا ضرب اليد والدف لان القرآن حق محض فلا يقرن بصورة
اللهو كما يشير اليه قوله تعالى افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون اي لاعبون ويدل عليه قوله تعالى
وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون وقوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب
الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون وثم في معنى القرآن كل ما يكون من ذكر الله
والصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فما يفعله بعض المشايخ اليمن من الجمع بينهما منكر ظاهر لكن يجب على جماعة
بحيث يحسبه العامة طريق الصوفية وقد جرت عادتهم على مثله في المسجد وفي المقبرة وفي الاسواق ومجامع العشاق
والله ولي دينه وناصر دين نبيه وزماننا هذا زمان السكوت وملازمة البيوت لظهور اهل الفساد وغلبة اهل
العناد والله رؤف بالعباد ومما يؤيد ما قدمناه ما في البخاري لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت الربيع بنت معوذ و
عندها جوار يغنين فسمع احدى تقول وفينا نبي يعلم ما في غد فقال عليه السلام دع هذا وقولي ما كنت تقولين وهذه شهادة
بالنبوة فزجرها وردها الى الغناء الذي هو لهو لان هذا حد محض فلا يقرن بصورة اللهو فاعلون الجمع بينهما يصدق
عليهم قوله سبحانه وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم وينبغي عطف
على ان لا يكون عطف وحق السماع ان ينبغي فيه شاغل الخاطر مما يأتي من الزمان كوقت الصلوة والطعام اي حضوره
والمكان اي شاغل من المكان كالشارع اي الجادة والاسواق والحمام وصورة قبيحة ورائحة كريهة فانهما منفرتان الطبيعة

لا المستقيم وبتبديد الاولياء ... الاحوال الحاضرين كالاكل والمنام الى رعاية حضور صفاء اذكارهم من ذكر الله والحكم
والمنكر اي ... احبه ... فحضوره المشوش في خاطر من الوقص بادعائي قول بعض الصوفية انه
الرقص من النقص وخفة الراس فانه من ضيق للحال وعدم الدماغ والجمال مع ما فيه من تضييع المال او لتكلف التواجد من
اهل التصوف المرخص بالوجد والرقص وتمزيق الثياب وقد قال سهل كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل
فهو باطل وروي ان موسى عم وعظ في بني اسرائيل فمزق واحد منهم ثوبه فاوحى الله الى موسى عم قل له مزق لي قلبك
ولا تمزق ثوبك والمتزهد اي المتكلف في الزهد عن الدنيا والرغبة الى العقبى المقتبس في الباطن عن محبة المولى ودعيهم
الزهد في السماع بان لا يكون في طبيعته لذة وشوق الى الاستماع وقد عد هذا اضل من البهائم فانه جو لحصو سانه
مهنا والجاهل الحامل على ما لا يليق به كما كان الصحيح وقد تقرر في الباطن قبل الظاهر والملوث قلبه بحب الدنيا
وهذا يستغنى عنه بقوله والمتزهد وانما ذكره لاستيفاء الانواع المحذورة في مجلس السماع والشهوة اي وبحب
ما يشتهي من المحمدة والثناء والمتلهي بالنغمة اي المشتغل بمجرد النغمة بما به يتلهى ويضيع بالحضور اي وحق السماع
ان يستمع بحضور القلب الشديد المردد ونفي الخاطر المحظور ولا يلتفت الى الجوانب اي ولا ينظر الى الداخل و
الخارج من الاقارب والاجانب ووجوه المستمعين لانه من اسباب الفتور المانع من الحضور الحاصل باسماعهم
وكلامهم لا يلاحظ وجوههم ومقامهم ويشتغل بنفسه وما يجب عليه من انسه برعاية قلبه عند ذكر ربه
وما فتح عليه من كشف لديه ويجلس على هيئة المتامل في الكلام المستغرق في المقام من بهجة التفريد وفرح التوحيد
وكف زعما يشوش اي عليه وعلى غيره ان امكن له كالسعال والتثاؤب وكذا العطاس فانها من الشيطان
والمنكرات كضرب اليد اي على طبق الغناء وكذلك الاطراف اي التي مقدمة الرقص المعبر عنه بالوجد و
الرقص نفسه وهو بالقيام ونحوه وخرق الثوب اي قطعه ورميه الا ان صار مغلوبا على عقله بحيث لا يعلم بفعله
اي اذا كان مجبورا بالا يطيق الامتناع لطريان نحو هيبة او عظمة الهيبة او اجلال اي خوف نحو خشية بايته او
حياء من نعم واردة على تواتر زمانه فيعذر اي في هذه الحالة عن مخالفة ظاهر التزيين من المنكر كما غلبت
على عمر رض عام الحديبية بالتخفيف افصح ويوم ما عبد الله بن ابي رئيس المنافقين حمية الدين كما غلب
اي حمايته ورعايته بحسب ما ظهر له من حسن رايه وفق عادته حيث انكر الصلح اي عام الحديبية فقال
عمر كما في صحيح البخاري فاتيت النبي صلى الله عم فقلت يا رسول الله الست نبي الله حقا قال بلى قال السنا
على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال اني رسول الله ولست اعصيه
وهو ناصري قال العلماء لم يكن سؤال عمر وكلامه المذكور شكا بل طلب الكشف ما خفي عليه من الامر وحثا
على اذلال الكفار وظهور الاسلام وعن اهله الابرار كما عرف في خلقه وقوته في نصر الدين و
اذلال المبطلين والصلوة اي انكر عمر الصلوة على جنازة اي جنازة ابن ابي والدعاء له اي في الصلوة
وغيرها والقيام على قبره حيث هم النبي عم بفعل هذا كله وقد وافق قول عمر حكم الله حيث نزل ولا

تصل

ولا تصل منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون نهى ... رسول الله صلى الله عم
كان الظاهر له حاله يبدي من الاسلام او لتالف ولي فانه كان في انقياد الاحكام مع عمر المحاد ... من ابي
اثار الكفر والظلام واي طيبة ... ولما غلب على اي طيبة حب الاسلام حيث شرب دم عم بعد الحجامة
تبركا بما برز من باطنه عم والحديث رواه الدارقطني وقال حسن صحيح وقد وقع شرب بوله ودمه عن جماعة
من الصحابة الكرام ولم ينكر عليهم ولا نسب الجرح اليهم فقال للواحد صح ولا خر لم يمسك النار وقد بسط عليه الكلام
في بر صدم وقد قال جماعة من العلماء الشافعية ان فضلاته عم طاهرة وانه من خصوصياته ظاهرة وهو
قول امامنا الاعظم والله اعلم ومن ذلك ما روى ابن حبان ان غلاما كان في بني اسرائيل على جبل فقال لامه
من خلق السماء فقالت الله فقال من خلق الارض قالت الله قال من خلق هذه الغيم قالت الله فقال اني
اسمع لله تعالى شانا ثم رمى نفسه من الجبل فتقطع وهذا كانه سمع ما دل على جلال الله وعظمته وتمام قدرته
فطرب لذلك ورمى بنفسه من هناك وفي الاحياء رايت مكتوبا في الانجيل غنينا لكم فلم تطربوا وزمرنا لكم فلم
ترقصوا اول ... المعنى بينا لكم الترغيب والترهيب فلم تمتثلوا وشوقنا بذكرنا وفكرنا فلم تشتاقوا
لكنه اي وصف المغلوبية ضرب نقص اي فيه نوع قصور من حال قدر دون الكمال عند الانبياء وكذا
ورثتهم من العلماء واتباعهم من الاولياء ومن اصحاب شرايع اي حقيقة او حكما متمكنون اي كاملون في
انفسهم متمكنون لغيرهم لقول عيسى عم من علم بذي في الملكوت عظيما اي فينبغي ان يكون في الملك كريما ويساعد
اي وحق السماع ان يساعد الاخوان في القيام في المجلس ورفع العمامة عن الراس اذا سقطت عمامته ان كان
اي التعاون معتادا فيما بينهم فالمخالفة موحشة اي بعد الحضور والاسرار اي وادخال السرور بالمساعدة فيما
ينبغي عنه اي ... وصار معتادا ابدعهم اي بعد انقضاء زمان السلف وانتهاء الامر الى الخلف حسن خبر المبتدا
اي مستحسن والكره وعن ابن مسعود ... فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن لقوله عم خالقوا الناس
باخلاقهم رواه الحاكم وقال وان كان اي ما ذكر بدعة اي في نفس الامر والدعاء عدم حضور ذلك المجلس لا يحتاج
الى خطر فقد قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان فاحسن التعاون على المباح اقرب
الى المباح وعدم المباح لا سيما وقد قال عم من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد اي مردود على صاحبه
وقال كل بدعة ضلالة فعليك باتباع السنة وترك البدعة المحذورة فما تركتم السنة الماثورة ولم يقع نهي عن الصور
للذكر في وحقي به اي وحق السماع بالنسبة الى المقتدي ان يخفي بالسماع لئلا يقتدي العوام به في جواز مطلق
الاستماع وعموم انواع السماع وظهر المنع اي للعوام ... الاكثر الاعانة على الهوى اي لغلبة هوى النفس حتى على المبتدي
من المريدين وتخلف الكامل العارف اي ... والجمهور عن مجالس النغم والسماع في غالب امره للاستغناء اي لاستغنائه
الحاصل في مقام الفناء والبقاء عن الحظ الخارجي من سماع الغناء كما اشار الصديق رض حيث راى الاعراب يقدمون
ويسمعون القران فيبكون فقال كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا اي اشتدت وقرب لتحمل ما نزل بنا وقيل للجنيد ما بالك تركت

السماع فقال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وقال بعضهم صحبت سهل بن عبد الله ستين سنة فما رأيته تغير عند
شيء كان يسمعه من الذكر والقرآن فلما كان في اخر عمره قرأ رجل بين يديه فاليوم لا يؤخذ منكم فدية الآية فرأيته
قد ارتعد وكاد يسقط فلما عاد الى حاله سألته عن ذلك فقال نعم يا حبيبي ضعفنا وكذلك سمع مرة قوله تعالى
الملك يومئذ الحق للرحمن فاضطرب فسأله ابن سالم وكان من اصحابه فقال قد ضعفت فقيل له وان كان هذا من
الضعف فما قوة الحال فقال لا يرد عليه وارد الا وهو يبتلعه بقوة حاله وقال الجنيد لا يضر نقصان الوجد مع فضل
العلم اذ تصدق العلم اتم من الوجد لا ابنية الاسرار اي ادخال السرور في قلوب اصحابه الشيخ الجامع ربط بالساعة
في الموافقة وترك المخالفة بالمباعدة تعليم والابنية تعليم ضبط الجوارح من الاقوال والافعال مع كمال الحال والاسلم
في جميع الاحوال والاقوال الاجتناب عن مطلق السماع ولو بشرط جميع الاصحاب المكان الاخلاء في هذا الباب والصوفي
طريقة اختيار العزلة دون الرخصة والخروج عن الخلاف مستحب بالاجماع ومنه السماع المشهور في السماع وندرة
تحقيق الشروط في غالب مجالس الاستماع لدقة مكايد النفس اي احبها والشيطان حملها على وساوسها ومن حسن قول
الحصري ما ذا اعمل بسماع ينقطع اذا مات من يسمع منه اشارة الى ان السماع من الله هو الدائم فالانبياء وكمل الاولياء
في لذة السماع على الدوام فلا يحتاجون الى التحريك كالعوام وقال بعض المشايخ الكرام ليتناجون امن هو السماع رأسا
برأس وقال ابو القاسم النصراباذي لابي عمرو بن نجيد انا اقول اذا اجتمع القوم فيكون معهم قوال يقول خير من ان
تغتابوا فقال ابو عمرو الرياء في السماع وهو ان ترى من نفسك حالا ليس فيك شر من ان تغتاب ثلاثين سنة

الباب العاشر في الاناءة والعجلة والحلم والعفو والنصيحة والحقد

الباب العاشر

الاناءة بفتحات ضد العجلة
والحلم التحمل والعفو التجاوز والنصيحة ارادة الخير للمنصوح له بالكسر العداوة بالقلب وينتج نحو
الحسد والغضب بسم الله الرحمن الرحيم الذي يستعان به على كل خلق كريم ويستعاذ
به عن كل طبع ذميم الاناءة معنى اي خلق باطني باعث على الاحتياط في الامور اي المتعلقة بالحكم الخارجي وهو
ارادة اتمام الامور على وجهها بحيث لا يفوت شيء من حقها والتأني مصدر ربما التفعل وتاؤه للطلب و
التكلف اتباعها اي تتبع تلك الامور بعد الدخول الانسان فيها اي في محل الدخول قبل الدخول وضده
التعسف في الحصول والتوقف قبله اي ويقال له التوقف وضدها اي الاناءة العجلة وهي اي العجلة معنى
باعث على الاقدام اي اقدام الانسان على الامور باول خاطر من غير تأمل وتفكر والاستعجال اتباعه اي تتبع ذلك الباعث
من غير تأخر وورد العجلة من الشيطان ابو يعلى من حديث انس بلفظ التأني من الله والعجلة من الشيطان والترمذي
وحسنه من حديث سهل بن سعد بلفظ الاناءة من الله الا في تزويج البكر اي حضورها اذا بلغت ووجد لها كفوا
وقضاء الدين ولو كان مؤجلا وتجهيز الميت اذا كان ميسرا وقرى الضيف اذ حسنه ان يكون معجلا لقوله تعالى
فما لبث ان جاء بعجل حنيذ ففيه الدلالة على المبادرة بالعبادة والاشارة والتوبة من الذنب اذ يجب ان يكون
في الحال فان اكثر اهل النار من تسويفهم في القال ويستثنى ايضا الصلوة اذا دخل وقتها فان في التأخير افات

الاناءة والعجلة وافاتها

وافاتها

وافاتها اشياء منها الحرمان عن المطلوب فمن استعجل نيل منزلة من مال او جاه او لذة او مقام او حال او مرتبة او اجابة
دعوة قبل الوقت اي المقدر لها فان الامور مرهونة باوقاتها يترك ملازمة اي يترك المستعجل طلب تلك المنزلة والدعوة
من جهة الملالة فيكون الحرمان عن وصول تلك الحالة لا محالة او يغلو ويبالغ في الجد واتباع النفس فينقطع عن
الطريق فهو بين افراط وتفريط وكلاهما نتيجة الاستعجال وقد ورد برواية البزار والحاكم والبيهقي وغيرهم ان
دينكم هذا متين فاوغل فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى والمنبت الذي قد انقطع به في
سفره وعطبت راحلته والفعل انبت مطاوع بته من البت القطع وفي المثل السائر ان لم تستعجل تصل وبعضهم شر وقد يدرك
المتاني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل فمنه قيام ويترك الدعاء فيحرم حاجته قال تعالى لا يسأم الانسان من دعاء
الخير اذ مسه الشر فيؤس قنوط او مكافاة ظالم او منصب عطفا على نيل منزلة او حرود عطفا على منزلة ليبطل اجره
لعدم صبره بالدعاء عليه اي على الظالم وذلك بان يظلمه انسان فيغتاظ فيدعو عليه وربما يتجاوز عن الحد فيقع
في المعصية والهلاك قال تعالى ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا واقتحام الشبهات ومن
افات العجلة دخول الشبهات المورثة للسيئات فاصل الورع اي اساسه الذي عليه مدار الشرع النظر البالغ في كل شيء
اي من الاصل والفرع الذي هو بصدده من اكل وشرب وكلام وغيره فان كان الرجل مستعجلا في اموره غير متان
ولا متثبت عند صدورها فيميل الى كل طعام وكلام فيقع في شبهة او حرام وكذا الى نساء المرام فيفوته الورع
الذي عليه مدار احكام الاسلام وقد ورد اخبار واثار في فضل الرفق الذي عليه مدار حسن الخلق في معاشرة
الخلق ففي صحيح مسلم من حديث عائشة رض ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف وفي الصحيحين من
حديثها يا عائشة ان الله يحب الرفق في الامر كله ولمسلم من حديث جرير من يحرم الرفق يحرم الخير كله كما في رواية ابي
داود والطبراني في الاوسط من حديث ابن مسعود والبيهقي في الشعب كلاهما من حديث عائشة الرفق يمن والخرق شوم
ولابن المبارك في الزهد من حديث ابي جعفر مرسلا اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه
وان كان سوى ذلك فانته وعن الحسن المؤمن وقاف متان وليس كحاطب ليل ثم العنف وان كان محبوبا في بعض الاحوال
والافعال وهنا قال سفيان لاصحابه اتدرون ما الرفق قالوا قل يا ابا محمد قال ان تضع الامور في مواضعها الشدة
في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه وفيه تنبيه على انه ينبغي مزج الغلظة باللين و
العنف بالرفق كما قيل اي شرعا وعرفا ووضع الندى في موضع السيف بالعلى اي بالمعالي مضر كوضع السيف في موضع الندى
اي العطاء وعن ابي عون الانصاري ما تكلم الناس بكلمة صعبة الا وجانبها كلمة الين منها تجري مجراها والافراط
اي ومن افات العجلة الاكثار والمبالغة في الغضب وهو اي الغضب او افراطه مذموم اي شرعا وعرفا فهو رداي
برواية الطبراني والبيهقي من رواية بهز بن حكيم عن ابيه عن جده الغضب يفسد الايمان اي كماله او يطفي
نوره ويمنع ظهوره كما يفسد الصبر العسل وهو بفتح الصاد وكسر الباء عصارة شجرة مر وعن ابي هريرة رض
ان رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل واقلل قال لا تغضب ثم اعاد عليه فقال لا تغضب رواه البخاري ومن هنا

وقاف الذي لا يستعجل في الامور وهو فعال من الوقوف صحاح

قيل لابن المبارك اجمل لنا حسن الخلق بكلمة قال ترك الغضب وعن عكرمة في قوله تعالى وسيدا وحصورا قال الذي
لا يغلبه الغضب وقيل الغضب غول العقل وهوى الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام والمحمود من
الغضب الاعتدال كسائر الاخلاق والاحوال فليسع في التشعب سلاحيو الامور اوساطها وهواي الاعتدال
الضبط تحت الشرع والعقل بان لا يكون فيه تفريط ولا افراط فيغضب حيث وجبت الحمية الشرعية وينطفي حيث يحسن الحلم
في المذنبة الفرعية فالتفريط اي فقد الغضب او ضعفه مذموم وهو الذي يقال فيه انه لا حمية له ولذا قال الشافعي من
استغضب فلا يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان كالافراط اي كما ان الافراط بالتجاوز عن الحد مذموم
قال تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ذم الكفار بما
تظاهروا به من الحمية الصادرة من الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما انعم الله به عليهم من السكينة نور في مدح الاعتدال
وقوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وكذا قوله تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وقد قال تعالى لنبيه عم يا ايها
النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ولا تأخذكم بهما اي بالزاني والزانية وفي حدهما رأفة في دين الله اي
شفقة ورحمة وهو دليل الذم التفريط وقال عم خيار امتي احداؤها يعني في الدين رواه الطبراني والبيهقي عن علي وقلع
اي قلع الغضب ودفعه في زوال ما استغني عنه كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب ممكن اذ ليس هذه الاشياء ضروريا قلع الغضب
لاحد من الخلق فيمكن دفعها بالرياضة والمجاهدة العلمية والعملية لا اي كلا يمكن قلعه في زوال ما احتيج اليه اي ولا يستغني
عنه بحال كطعام يسد جوعه من قوت يوم وليلة وثوب يستر عورته وبجعه صلوته وبيت يواريه اي يستر حاله ويدفع
عنه برده وحرارته وكتاب يطالعه وفي معناه كل آلة بها يكتسب صاحبها الاخرة من ضروريا بعض افراد الناس لصعوبة
تفريغ القلب عن حبها اي عن حب هذه الاشياء بحكم الطبيعة فانه لا يمكن قلعها بالرياضة ولا كلف احد به في ابواب الشريعة
وقد اشار اليه صلى الله عم بقوله من اصبح منكم امنا في سربه معافا في بدنه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا اي
جمعت له لذاتها الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن محصن وقال الترمذي حسن غريب ورواه البخاري في تاريخه
والكل بدون زيادة بحذافيرها الا لمن غلب عليه التوحيد فلا يغضب على تفويته هذه الاشياء لما عنده من المقام
السديد وحال الفنا فيرى الخلق مسخرين للحق القاهر الغالب كالقلم للكاتب لكن غلبة التوحيد الى هذه الحد في مقام
التفريد انما يكون كالبرق الخاطف يقع في احوال نادرة مع الرب ثم ترجع القلب الى الوسائط رجوعا طبيعيا لا
يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لاحد من الانام لتصور لرسول الله صلى الله عم فانه كان يغضب حتى تحمر
وجنتاه ويقول انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر كما في الصحيحين وفي رواية فايما مسلم سببته او لعنته او ضربته
فاجعلها له صلوة وزكوة وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة وفيه اي فيما احتيج اليه يتصور الكسر اي كسر النفس بان
لا يظهر الاثر اي اثر الغضب في البشرة لا قلع الغضب بالمرة لانه غير مقدور البشر وعن علي رض كان عم
لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له رواه الترمذي في الشمائل وفي صحيح مسلم
عن عروة عن عائشة رضي الله عنها حدثت ان رسول الله صلى الله عم خرج من عندها ليلا قالت فغرت عليه فجاء فرأى ما اصنع

فقال مالك

فقال مالك يا عائشة اغرت فقلت وما لي لا يغار مثلي على مثلك فقال عم لقد جاءك شيطانك قالت يا رسول الله
او معي شيطان قال نعم قلت ومع كل انسان قال نعم قلت ومعك يا رسول الله قال نعم ولكن ربي اعانني عليه حتى اسلم
فلا يأمرني الا بخير في الاحياء اراد شيطان الغضب والمعنى انه لا يحملني على الشر وقال عبد الله بن عمرو بن العاص
يا رسول الله اكتب عنك كلما قلت في الغضب والرضا قال اكتب فوالذي بعثني بالحق ما يخرج منه الا حق
واشار الى لسانه فلم يقل اني لا اغضب ولكن قال ان الغضب لا يخرجني عن الحق ولا اعمل بموجب الغضب والحديث رواه
ابو داود باسناد صحيح وهو متضمن لما في قوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقوله تعالى قل انما انا
بشر مثلكم يوحى الي اي التميز بيني وبينكم بوقوع الوحي الي دونكم بهذا وقد يفقد اصل الغضب فيما هو ضروري
اذا كان القلب مشغولا بضروري اهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان استغراق القلب
ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداها ولو كان من الضروريات ومن هنا لما شتم سلمان قال ان خفت موازيني فانا
شر مما تقول وان ثقلت موازيني فلا يضرني ما تقول فقد كان همه وفاهمه الى الاخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم ولم يهيج
سبب الغضب وكذلك شتم الربيع بن خثيم فقال يا هذا سمع الله كلامك وان دون الجنة عقبة ان قطعتها لم يضرني
ما تقول وان لم اقطعها فانا شر مما تقول وقيل للبسطامي لحيتك افضل ام ذنب الكلب فقال ان مت مؤمنا
فلحيتي والا فذنب الكلب فكان همه حسن الخاتمة وشتم رجل ابا بكر الصديق رض فقال ما ستره الله عنك اكثر فكانه
كان مشغولا بالنظر في تقصير نفسه من ان يتقي الله حق تقاته ويعرفه حق معرفته فلم يغضب بنسبة غيره اياه الى نقصان
في امره اذ كان ينظر الى نفسه بعين النقصان وذلك لجلال قدره وقالت امراة لمالك بن دينار يا مرائي فقال
ما عرفني غيرك فكانه كان مشغولا بان ينفي عن نفسه آفة الرياء ليصل الى حالة الاخلاص ومقام البقاء بعد الفناء
وسب رجل الشعبي فقال ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك والسبب اي باعث الغضب ستة
اشياء الكبر والمزاح والاستهزاء والايذاء اي بالتعيير والمراء والحرص اي شدة الميل في الفضول اي زيادة المال
والجاه وهي باجمعها اخلاق ردية واحوال دنية مذمومة في امور شرعية واحكام فرعية ولا خلاص من الغضب مع
بقاء هذه الاسباب فلا بد من ازالتها باضدادها المعروفة في الباب وعلاج كل اي الكبر ونحوه في موضعه اي بابه
مفصلا واما مجملا فهو بان يميت الكبر بالتواضع ويميت العجب بمعرفة النفس اذا كان بالعلم والعمل واما اذا كان
بالنسب فمجرد بمعرفة ان بني ادم جنس واحد وان الشرف بالفضائل والفخر والعجب من الكبر رذائل ويميت المزاح
بالاشتغال بالمهمات الدينية والامور الاخروية ويزيل الهزل بالجد ويميت الباطل بالحق لقوله تعالى انه لقول
فصل وما هو بالهزل ويزيل التعيير بالاشتغال بعيوب نفسه ورد طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومن
عيّر اخاه بذنب لم يمت حتى يبتلي به ويزيل الحرص على مزايا العيش بالقناعة والاشتغال بالعبادة على قدر الاحتياط
فالدنيا ساعة فاجعلها طاعة مع ما في القناعة من الاستغناء والترفع عن ذل الحاجة ثم المواظبة على مباشرة
اضدادها مرة بعد مرة حتى تصير العبادة مألوفة هينة سديدة فاذا انمحق عن النفس فقد زكت وطهرت

عن هذه الرذائل انصفت بمحامد الفضائل ومكارم الشمائل والحاصل ان الغضب انما هو لضعف في النفس
فالمريض اسرع غضبا من الصحيح والمراة اسرع غضبا من الرجل والصبي اسرع غضبا من الكبير والشيخ الضعيف
اسرع غضبا من الكهل وذو الخلق السيئ والرذائل اسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته
عند فوت لقمته والبخيل عند فوت حبته وصاحب الفضل يملك نفسه عند غضبه وحدته وفي الصحيحين عن ابي هريرة
ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وهذا الذي ذكرناه علاج بتفصيل الاحوال و
بالاجمال علاجه اثنى عشر النوع والاغتسال ثم في الحديث اذا غضب احدكم فليتوضا بالماء الغضب من النار
ابو داود من حديث عطية السعدي وفي اخرى ان الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وانما يطفا
النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضا وروي ان عمر رض غضب يوما فدعا بماء فاستنشق وقال ان الغضب
من الشيطان وهذا يذهب الغضب اي في الجملة والتعبد اي بالصلوة ونحوها وفي نسخة الغسل وهو الظاهر
فيكون في الاصل تصحيف وتحريف اذ لم يرد فيه حديث شريف بخلاف الاغتسال فقد اخرج ابن عساكر انه اذا غضبت
من حديث معاوية الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار والنار يطفى بالماء فاذا غضب احدكم فليغتسل
ومن جملة العلاج السكوت فعن ابن عباس مرفوعا اذا غضبت فاسكت احمد وابن ابي الدنيا والطبراني والبيهقي في
الشعب والقعود اي الجلوس اذا كان قائما والاتكاء اذا كان جالسا والاضطجاع اذا كان متكئا فطلق مد في
من حديث ابي سعيد ان الغضب جمرة في القلب الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد احدكم من ذلك
شيئا فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فليضطجع اي فليضطجع فان لم يزل بذلك فيتوضا بالماء البارد او يغتسل
فان النار لا يطفيها الا الماء ولابن ابي الدنيا من حديث ابي هريرة كان عم اذا غضب وهو قائم جلس واذا غضب
وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه ولاحمد باسناد جيد وكان ابو ذر قائما فجلس ثم اضطجع فقيل له لم جلست ثم اضطجعت
فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا اذا غضب احدكم وهو قائم فليجلس فاذا ذهب عنه الغضب والا فليضطجع ورواه
عند ابي داود بسند فيه انقطاع والاضطجاع غاية السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة والظ
عنوان الباطن ويسعدان بكل منهما على الاخر كما حقق في طهارة الظاهر والباطن وقد ورد ان ابا ذر قال
لرجل يا ابن الحمراء في خصومة بينهما وفي رواية يا ابن الحمراء فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر
بلغني انك اليوم عيرت رجلا بامه قال نعم فانطلق ابو ذر ليرضي صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر ارفع راسك فانظر ثم اعلم انك لست بافضل من احمر فيها ولا اسود الا ان
تفضله بعمل ثم قال اذا غضبت فان كنت قائما فاقعد وان كنت قاعدا فاتكئ وان كنت متكئا فاضطجع رواه
ابن ابي الدنيا باسناد صحيح وفي الصحيحين من حديثه قال كان بيني وبين رجل من اخواني كلام وكانت امه اعجمية
فعيرته بامه فشكاني الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر انك امرؤ فيك جاهلية ولاحمد انه عم قال انظر فانك
لست بخير من احمر ولا اسود الا ان تفضله بتقوى ورجاله ثقات والصاق الخد بالارض فعن ابي سعيد

الخدري رضي الا ان الغضب جمرة في قلب ابن ادم الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك
شيئا فليلصق خده في الارض الترمذي وحسنه وكان هذا اشارة الى تمكين اعز الاعضاء من اذل الاشياء
ليستشعر به النفس الذلة وتزيل عنها الذهو والعزة وايماء الى ان من اوله واخره التراب لا يصلح له الغضب
في باب من الابواب والى قول بعض اولي الالباب ما للتراب ورب الارباب والله اعلم بالصواب وقال عروة بن محمد
لما استعملت على اليمن قال لي ابي اوليت قلت نعم قال فاذا غضبت فانظر الى السماء فوقك والى الارض تحتك ثم عظم
خالقهما فالكل مر اي ضده كما قدمنا مامور به كما بينا والمعنى انه جمع فيه بين العمل والقول معلا وفي نسخة معللا بانه
اي الغضب جمرة اي حرارة غريزية او حادثة عرضية يتوقد في القلب بدليل حمرة العين اي الوجه وانتفاخ الاوداج اي
عروق الرقبة وقد سبق به الرواية وتحقق فيه الدراية والاستعاذة اي ومن جملة العلاج العودة الى الحالة الاولى
بعد التغير عنها الى الحالة الثانية والاستعاذة اي التعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند الغيظ وهو متفق عليه من حديث
سليمان بن صرد قال كنت جالسا مع النبي عم ورجلان يستبان فاحدهما احمر وجهه وانتفخت اوداجه فقال عم
لو قال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يجد الحديث ولابن عدي من حديث ابي هريرة اذا غضب الرجل فقال اعوذ
بالله سكن غضبه ولابن السني في اليوم والليلة من حديث عايشة كان عم اذا غضبت عايشة اخذ بانفها وقال يا عويش
قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من مضلات الفتن والاستعانة بالله تعالى اي بحوله
وقوته في دفع غضبه وشدة حدته والعلم بثواب الحلم والتحلم عطف على العلم لا الحلم اي ومن العلاج التكلف في الحلم كما
نحوه ايضا وللطبراني انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم لورود في التنزيل والكاظمين الغيظ اي المتحلمين وذلك في موضع
مدح المتقين من المؤمنين وتمامه والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وللطبراني في الاوسط والبيهقي في
الشعب من حديث انس من كف غضبه كف الله عنه عذابه ولابن ابي الدنيا من حديث ابن عمر من ملك غضبه وقاه
الله عذابه ولابن ابي الدنيا من حديث علي اشدكم من ملك نفسه عند الغضب واحلمكم من عفا عند القدرة
ان المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم اي بالنهار القائم اي بالليل رواه الترمذي في الاوسط ولابن السني
من حديث ابي هريرة اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم وفي الصحيحين يا اشج ان فيك خلقين يحبهما
الله الحلم والاناءة وللطبراني من حديث فاطمة ان الله يحب الحليم ولابن ماجه باسناد جيد من حديث ابن عمر ما جرع
عبد جرعة اعظم اجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله وزاد ابن ابي الدنيا من حديث ابن عباس ما كظمها
الا ملأ الله قلبه ايمانا وقال ايوب حلم ساعة تدفع شرا كثيرا واجتمع سفيان الثوري وفضيل بن عياض فتذاكرا
واجتمعا على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقال رجل لعمر انك ما تقضي بالعدل ولا تعطي
الجزل فغضب عمر حتى عرف في وجهه فقال رجل يا امير المؤمنين الم تسمع ان الله تعالى قال خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين وهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت وكانما كانت نارا فاطفئت وشرف غضبه تعالى و
قدرته وفضيلة الاخرة اي والعلم بها فانها تكون سببا لاطفاء نار الغضب وتسكينها عن التهب فيخوف نفسه بعقاب الله

بان يقول قدرة الله علي اعظم من قدرتي علي هذا الانسان فلو امضيت غضبي عليه لم امن ان يمضي الله غضبه علي يوم القيمة
احوج ما اكون الي العفو والرحمة وقد قال تعالي في بعض الكتب المتقدمة يا ابن ادم اذكرني حين تغضب اذكرك
حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفا الي حاجة فابطا عليه فلما جاءه قال لولا القصاص
لاوجعتك ضربا اي خوف القصاص في القيمة ابو يعلي من حديث ام سلمة بسند ضعيف ولابن احمد من عبد الله بن عمرو سال
رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبعدني من غضب الله قال لا تغضب وتشبه الحليم بالانبياء فقد كاد الحليم ان يكون نبيا
وقد مدح الله تعالي خليله بانه حليم وكذا بشره بغلام حليم والاولياء اي باتباع الانبياء من الاصفياء فقد ورد
العلماء ورثة الانبياء وضد ذلك من حال الاكراد والاتراك والجهلة والاغبياء والفسقة اي وتشبه كثير الغضب با
لسبع الضاري اي الصائل العادي من الاسد ونحوه فهو من اخلاق البهائم والكلف البهائم وقبح هيئته اي بتغير
صورته حال الغضب وشدة حدته بان يتفكر ويتذكر صورة غيره حال غضبه وتغير لونه وشدة رعدته في الاطراف
والاكتاف وخروج افعاله عن ترتيبه ونظامه من اضطراب الحركة في اعضائه وكلامه حتى يظهر الزبد علي الاشداق
وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة في المظاهر ولو راى الغضبان في حال غضبه قبح صورته لسكن غضبه
من قبح هيئته واستحالة خلقته وقبح باطنه اعظم من ظاهره وهذا التغير في جسده واما اثره باللسان فانطلاقه بالشتم
والفحش وقبح الكلام الذي يستحيي منه قائله اصحه عند فتور غضبه وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ واما اثره علي
الاعضاء فالضرب والهجم والتمزيق والجرح والقتل عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه او فاته
بسبب لعذر وعجز عن التشفي اليه رجع الغضب علي نفسه بتمزيق ثوبه ولطم وجهه وقد يضرب بيده علي الارض او جدره
ويعدو عدو الواله والسكران فربما يسقط صريعا لا يطيق العدو وربما يضرب الجمادات والحيوانات ويضرب
القصعة علي الارض ويكسر المائدة ويتعاطي افعال المجانين فيشتم البهيمة ويخاطبها ويقول لها الي متى الي متى
منك هذا يا كيت وكيت كانه يخاطب عاقلا حتى ربما رفسته دابة فرفس هو الدابة وقابلها بذلك وربما قتل نفسه
بيده اما بالة او بشق او برمي في بحر ونحوه والعجز اي والعلم بالعجز عن الغلبة عن مراده تعالى فانه غالب علي امره
وهو القاهر فوق عباده فان الغضبان يود جريان الشي علي وفق مراد نفسه دون مراد ربه ومن وقع في هذه الورطة
وياتيه بالغضب من الله وعذابه ونعم ما قيل تود النفس ان تلقى سناها ويابي الله الا ما يريد فيفعل الله ما يشاء
ويحكم ما يريد فكن مسلما الامر اذ كنت من المريد الطالب لمقام المزيد وانتقام المغضوب عليه اي يجد نفسه عاقبة
عاقبة الانتقام من تسلط المغضوب عليه علي اظهار معايبه والشماتة بمصائبه وحدث والذنوب اي انواع العصيان
لاخذ اللسان في الفحش والسب للانسان والجوارح في الضرب والجرح والقتل كما سبق في عرض البيان والقلب
في الحقد فان الغضب اذا لزم كظمه بعجز عن التشفي في غيظ رجع الي باطنه واحتقن فيه فصار حقدا ومن
يلزم قلبه استثقاله وبغضه وحسن حاله ويظهر الشماتة بمساته والحزن بمسرته والعزم علي افشاء سره وهتك
ستره والاستهزاء به في قوله وفعله وجميع امره وهو اي الحقد ذميمة اي خصلة مذمومة فاحشة اي متجاوزة

الرفس دميله او رمق اهـ ح حكيم الشق دوه لو لاري اهـ ق

الحقد

عن الحد لاشتمالها علي سيئات متعددة من العدو ورد المؤمن اي الكامل ليس بحقود فعول بمعني فاعل اي ليس بذي
حقد اوليس بمبالغ في الحقد والحديث في الاحياء وقال المخرج لم اقف له علي اصل والعلاج اي علاج الحقد
قلع الغضب الذي هو سبب الحقد الباعث علي الحسد ونحوه وذكر ما ورد من الفضائل في الكتاب والسنة في العفو
مثل والعافين عن الناس تمامه والله يحب المحسنين والطبراني في مكارم الاخلاق من حديث انس اذا وقف العباد نادي
مناد ليقم من اجره علي الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذي اجره علي الله قال العافون عن الناس وهو مستفاد من قوله
فمن عفا واصلح فاجره علي الله ولاحمد والحاكم وصححه ان الله عفو يحب العفو فالتخلق باخلاق الله له شان عظيم
عند مولاه خذ العفو تمامه وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وورد في تفسير العفو ان يعطي من حرمك وتصل
من قطعك وتعفو عن ظلمك وان تعفوا اقرب للتقوى تمامه ولا تنسوا الفضل بينكم وهو اي العفو اسقاط
حق وجب اي ثبت للعبد علي غيره اما قول ابي ضمضم وهو رجل من بني اسرائيل اللهم تصدقت بعرضي علي عبادك
وعد اي لا عفو لانه اثبات ما لم يثبت لا اثبات حق وجب له علي الغير وعليه الوفاء اي بوعده وعهده ولو ضمنه
انه لما قال العفو اسقاط حق وجب ورد عليه ان قول ابي ضمضم تصدقت يدل علي ان العفو قد يكون باسقاط
الحق قبل الوجوب فاجاب بانه وعد بانه لا يخاصمه يوم القيمة لا عفو كما قدمنا في الاحياء قال رجل من
اللهم ليس عندي صدقة اتصدق بها فايما رجل اصاب من عرضي شيئا فهو صدقة فاوحى الله الي النبي عم اني قد
غفرت له قال المخرج رواه ابو نعيم في الصحابة والبيهقي في الشعب وابن عبد البر في الاستيعاب من حديث ابي هريرة
ان رجلا من المسلمين ولم يسمه وقال اظنه ابا ضمضم وتقدم في افات اللسان حديث ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم
قالوا وما ابو ضمضم قال رجل فيمن كان قبلكم اذا اصبح قال اللهم اني قد تصدقت اليوم بعرضي علي من ظلمني والمعني
انتم اولي بهذه الفضيلة المهمة فاكظم خزامه وقيل في قوله تعالي ربانيين اي علماء حلماء وعن الحسن في قوله تعالي واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما قال حلماء ان جهل عليهم لم يجهلوا يعني بل يجيبونهم بقول يسلمون فيه عنهم وقال عطاء بن
ابي رباح ويمشون علي الارض هونا اي حلماء وقال ابن حبيب في قوله وكهلا قال الكهل منتهى الحلم وقال مجاهد
واذا مروا باللغو مروا كراما اي اذا اوذوا صفحوا اي واذا ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال عم اصبح ابن مسعود
وامسى كريما ثم تلا ابراهيم بن ميسرة وهو الراوي قوله تعالي واذا مروا باللغو مروا كراما ابن المبارك في البر
والصلة ولاحمد من حديث سهل بن سعد اللهم لا يدركني ولا ادركه زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون
فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم والسنتهم السنة العرب وعن علي رض ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير
ان يكثر علمك ويعظم حلمك وان لا تباهي الناس بعبادة ربك فاذا احسنت حمدت الله واذا اسات
استغفرت الله وعن الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالحلم وقال بعضهم ما احسن الايمان يزينه العلم وما احسن العلم
يزينه العمل وما احسن العمل يزينه الرفق وما اضيف شيء الي شيء مثل حلم الي علم وعن انس بن مالك في قوله تعالي فاذا
الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم الي قوله عظيم هو الرجل يشتمه اخوه فيقول ان كنت كاذبا فيغفر الله لك

وان كنت كاذبا فاستغفر الله وعن بعضهم قال شتمت رجلا من اهل البصرة فحلم عني فاستعبدني بها زمانا او سب رجل ابن
عباس فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها فنكس الرجل رأسه واستحيى وعن علي بن الحسين انه سبه رجل فرمى اليه
خميصة كانت عليه وامر له بالف درهم ومر المسيح بن مريم عليه السلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له انهم
يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال كل واحد ينفق مما عنده ولاحمد من حديث جابر بن سمرة ان امرؤ عيرك بما فيك
فلا تعيره بما فيه ولابي داود من حديث ابي هريرة شتم رجل ابا بكر وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام عليه السلام فقال انك
كنت ساكتا لما شتمني فلما تكلمت قمت قال لانه كان الملك يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن
لاجلس في مجلس فيه الشيطان ومنها ترك اي وذكر منها الكسب الحقود من تركه ومنها ترك الاعانة في الحاجة وقد قال تعالى
وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان والدعاء اي وترك الدعاء له في الغيبة فان الدعاء
يستجاب في غيبة المؤمن ويكون للداعي مثله والوعظ اي النصيحة وترك النصيحة فقد ورد الا ان الدين النصيحة قيل
لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المؤمنين وعامتهم والرفق اي بالنية الصحيحة فقد ورد ان الله تعالى
يحب الرفق اي اللطف وهو ضد العنف وقد تقدم ترجمه ومن حرام كالشماتة وهي الفرح ببلية العدو والاعراض
عند المواجهة بترك السلام والكلام والاهانة بترك القيام والتوسيع في المقام والغيبة اي ذكر ما يكرهه في غيبته
وترك صلة الرحم ان كان من ذوي القرابة وقضاء الحق اي وترك من حقوق المسلمين من رد السلام وتسميت العاطس
وعيادة المريض وامثالها والنصيحة اي وتركها ومنها اي ومنه ارادة بقاء النعمة على المسلم مما اي من شيء له اي للمسلم فيه
اي في ذلك الشيء صلاح ديني او اخروي وكان عرف كون صلاحها بغلبة الظن او قيد بشرط اي او قيد البقاء بشرط الصلاح
بان يقول ان كان له فيها صلاح فابقها وضدها النصيحة الحسد وهو ارادة زوالها اي النعمة عنه اي عن المسلم
مما له فيه صلاح فان انتفى الصلاح وقد اراد زوالها عنه مطلقا من غير ان يباشر سببا لا جلاء زوالها فغيرة
وهي غير مذموم وان اراد مثلها لنفسه دون الزوال عنه فغبطة ومنافسة وهي خصلة محمودة ومنه قوله تعالى
وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وحديث الصحيحين عن ابن عمر لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه
الناس ورجل اتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق والحسد اي المذموم حرام لقوله تعالى ام يحسدون الناس
على ما اتاهم الله من فضله وعن الفضيل المؤمن يغبط والمنافق يحسد ولقوله عليه السلام الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار
الحطب لابي داود من حديث ابي هريرة ولابن ماجه من حديث انس وفي الصحيحين لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا
ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا وللبيهقي في الشعب كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب القدر
فان الحاسد ستر كراهة نعمته تعالى فللطبراني من حديث معاذ استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة
محسود وللطبراني في الاوسط من حديث ابن عباس ان لاهل النعم حسادا فاحذروهم وقضائه فعن زكريا عليه السلام قال
الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي وقد يؤخذ هذا المعنى
من قوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن

حسد

واسألوا الله

واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما وقد قال تعالى لكل اجل كتاب وكل شيء عنده بمقدار وقد شكى
نبي من الانبياء من امرأة ظالمة مستولية على الخلق فاوحى الله اليه فر من قدامها حتى تنقضي ايامها او راغم
اي وكونه وهو من خصال المنافقين كما قال تعالى في حقهم ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا
بها وقال كل الناس اقدر على رضاه الا الحاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها ولذا قيل كل العداوة قد ترجى اماتتها الا
عداوة من عاداك حسدا ومن هنا قال تعالى قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور وقال اعرابي ما رأيت
ظالما اشبه بمظلوم من حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة عليه وقال الحسن يا ابن ادم لم تحسد اخاك فان كان
الذي اعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار وكونه كالعائم
اي من افاته كالتملق فالحسد منه اما يتملق الحسود لئلا يطلع على ارادته الباطنة اذ المتملق يخاف من الفضيحة
وهو من صفات المنافقين وقد سبق ان المؤمن ليس يتملق الا في طلب العلم والغيبة اي غيبة المحسود فيعاقبه الله
ويبتليك في رواية ابن ابي الدنيا فرحمه الله فورد في التنزيل ومن شر حاسد اذا حسد اي اذا اظهر الحسد
ولا فلاح للحسد من الحسد وعن الحسن انه سئل عن الحسد فقال غمه فانه لا يضرك ما لم تبده والتعب في الدنيا فانه
للحسود لا يسود ولعدم خلو الدنيا من ذي نعمة والعقاب في الاخرة بلا نفع للحاسد بل ينفع المحسود في الدنيا
بنصرة العدو وهو الحاسد وفي الاخرة بطلب المكافات اي المجازات على ظلم الحاسد وعمى القلب اي الناشئ من عدم
الرضا بقضاء الرب والخذلان اي عدم النصرة في الدنيا والاخرة وضيق الاثر الحاصل وعن بعض السلف ان الحاسد لا
ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند
النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا الا في نعمة الكافر مستثنى من قوله والحسد حرام
والفاسق المستعين بها على الفسق والظالم المتقوي بها على الظلم والمبتدع الذي يستعين بها على البدعة وهو
يكره من حيث انه اي التمادي من الكفر والفسق والظلم والبدعة دون النعمة اي اصلها بخلاف الغيرة فانها غير
حرام فورد اتعجبون من غيرة سعد وهو ابن ابي وقاص فوالله انا اغير منه
والله اغير مني وغيرة الله ان يأتي المؤمن ما حرم الله عليه والغبطة اي وبخلاف الغبطة فانها ليست بحرام فورد
في التنزيل وفي ذلك فليتنافس المتنافسون اي ليرغب الراغبون وليطلب الطالبون المنازل العالية والمحافل
العالية وورد في الحديث هما اي في الاجر سواء فيمن قال لو ان لي مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله اي من الخيرات والبر فلابن
ماجه والترمذي وقال حسن صحيح مثل هذه الامة مثل اربعة رجال رجل اتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله
ورجل اتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو ان لي مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الاجر سواء
ورجل اتاه الله مالا فهو يتخبط في معاصي الله ورجل لم يؤته الله مالا فيقول لو ان لي مثل مال فلان لكنت اعمل
مثل عمله فهما في الوزر سواء ثم ان الغبطة تتبع ما اغتبط به فيصير بصيغة المحمول حراما كالمعاصي واباحة كالمباحات
من الثياب الفاخرة وسائر النعم الظاهرة لكن الغبطة في المباحات تناقض علو الحال والمقامات كالزهد

الغبطة

من حد وانا الاسفع الطرح البحيق فالتزمه

والرضاء والتوكل والقناعة والتسليم وتحصيل المقامات الرفيعة من عزائم في قواعد الشريعة ووجوبها كالايمان
والصلوة والزكوة وسائر الاعمال وندبها كانفاق الاموال في تحسين الاحوال والسبب اي للحسد سبعة
خبث النفس وهو داء مزمن اي لازم لا ينجلي الا بعلاج لم نفقد يوصف عنده حسن حال رجل من عباد الله فيما انعم
عليه مولاه فيشق ذلك عليه ويحب زوال النعمة الله عنه وليس بينه وبينه عداوة خفية ولا جنسية جلية ولا سبخ
مما ذكر من اسباب الحسد بل انما هو بحث في نفسه ورذالة في طبعه لا يزول الا بموته كما تقدم في ذمه والرغبة
في نعمة الغير كالرياسة في مقام الجاه والسياسة فانه يحب ان يكون فريد دهره ووحيد عصره وخوف فوت
المقاصد كما في الضرة على توهم المضرة ومن هذا القبيل الاخوان عند الاب والتلاميذ عند الاستاد والندماء
عند الامراء بل ومن ذلك حسد العالم للعالم دون العابد وحسد العابد للعابد دون العالم وقس على هذا
والعداوة الكائنة في القلب والتعزز كراهة ترفع الغير عليه في المنازل والمحافل فيما بين اهل الفضائل ومنه قوله تعالى
اهؤلاء من الله عليهم من بيننا والتكبر وهو من ارذل الرذائل والتعجب يحسد من ساواه اي نسبا وحسبا ومنه
قوله تعالى ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون بعجبوا من ان يكون الرسول بشرا وجوز والالحجر اومنه قوله
وقد قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقوله ءانزل عليه الذكر من بيننا وقوله
تعالى او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم حتى ان اكثر الحسد بين الاقارب فقد بين الاجانب
لكثرة تحققها اي المساوات في ذوي القرابات ودون علماء الاخرة فانه لا يكثر فيهم بل لا يوجد عندهم اذ مقصودهم
معرفة الله تعالى وهي بحر واسع لا ضيق فيه وعرضهم المنزلة عنده وليس فيه ممانعة ولا مزاحمة بل يزيد الانس بسبب
الكثرة كما ورد في التنزيل ونزعنا في الدنيا والاخرى ما في صدورهم من غل اي من حقد وحسد اخوانا
على سرر متقابلين وعلاج كل اي كل واحد من اسباب الحسد ضده فعلاج خبث النفس سلامته وطيبه وعلاج
الرغبة التنفر وعلاج الخوف الامن لعدم خلاف المقدور وعلاج العداوة المحبة والتعزز التذلل
والتكبر التواضع والتعجب الاطمينان بالتفكر في قدرته وقضائه وارادته في خليقته وذكره الافات المذكورة
اي من جملة علاج الحسد وما ورد فيه اي وذكره ما ورد في ذم الحسد ووجوب اي وذكره وجوب محبة
المؤمن ورعاية حقوقه وعظم قدره والفوائد اي وذكره الفوائد الواصلة من المؤمن اليه في ترك
الحسد كالتعاون على البر والتقوى والتساعد على العلم والعمل والتقوى وبركة الجماعة لا سيما في الجمعة
والجنازة والمشاعر العظام والاجتماع بالعلماء الكرام والمشايخ العظام وقد قال تعالى ود كثير من اهل الكتاب
لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم وقال ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء
فلا تتخذوا منهم اولياء وقال بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا اي حسدا ولله در القائل
من ذوي الفضائل لا مات اعدائك بل خلدوا حتى يروا فيك الذي يكمد لا زلت محسودا على نعمة
فانما الكامل من يحسد ونعم المقال من بعض اهل الحال حسدوا فزه وحقد حاسده ❊ الباب

الباب الحادي عشر

الباب الحادي عشر في العزلة والخمول وحب الذم وبغض المدح العزلة ضد الخلطة

والخمول ضد الشهرة فذهب الى اختيار العزلة وتفضيلها على الخلطة سفيان الثوري وابن ادهم وداود
الطائي وفضيل بن العياض وبشر الحافي وطائفة وقال اكثر التابعين باستحباب المخالطة تعاونا على البر
والتقوى ومال الى هذا سعيد بن المسيب وابن عيينة وابو ح وابن المبارك والشافعي واحمد بن حنبل و
جماعة فعن الفضيل كفى بالله محبا وبالقرآن مونسا وبالموت واعظا اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا وقال الثوري
هذا زمان السكوت ولزوم البيوت وقيل كان مالك بن انس يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعطي الاخوان
حقوقهم فترك ذلك واحدا واحدا حتى تركها كلها وكان يقول يتهيا المرء ان يخبر بكل عذر له وقال الفضيل
اني لاجد الرجل عندي يدا اذ لقيني ان لا يسلم علي واذا مرضت ان لا يعودني وقال ابو سليمان الداراني
بينما الربيع بن خيثم جالس على باب داره اذ جاءه حجر فصكه في جبهته فشجه فجعل يمسح الدم ويقول لقد وعظت
يا ربيع فقام ودخل داره فما جلس بعد ذلك بباب داره حتى اخرجت جنازته وكان سعد بن ابي وقاص وسعيد
بن زيد لزما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا ياتيان المدينة لجمعة ولا غيرها حتى ماتا بالعقيق ودخل بعض الامراء على حاتم
الاصم فقال له الك حاجة قال نعم قال ما هي قال ان لا تراني ولا اراك وقيل للفضيل ان ابنك علينا
يقول لوددت اني في مكان ارى الناس ولا يروني فبكى الفضيل فقال ويح علي افلا اتمها فقال لا اراهم ولا
يروني وعن ابن عباس افضل المجالس مجلس في قعر بيتك لا ترى ولا ترى بسم الله الرحمن الرحيم
الذي به يانس ارباب الخلوة ويستانس به اصحاب الخلوة العزلة فوائد تسعة وهي الفراغ للعبادة فالخلق
شاغلون بل مانعون لاهل الارادة وفوق العادة فانهم كما قال تعالى اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة
معرضون فعن حاتم الاصم طلبت من هذا الخلق خمسة اشياء فلم اجد منها الواحدة طلبت منهم الطاعة والزهادة
فلم يفعلوا فقلت اعينوني عليها ان لم تفعلوا فلم يفعلوا فقلت ارضوا عني ان فعلت فلم يفعلوا فقلت لا تمنعوني
عنها اذ منعوني فقلت لا تدعوني الى ما لا يرضى الله ولا تعادوني عليها ان لم اتابعكم فيها فلم يفعلوا فتركتهم
واشتغلت بمخاصمة نفسي فانها الزمهم بها وكان عم يعتزل في جبل حراء اي في اول امره كما في الصحيحين
من حديث عائشة كان يخلو بغار حراء يتحنث فيه اي يتعبد الليالي المتتابعة حتى فتح فيه انوار النبوة و
ظهر منه اسرار الرسالة والجمع بين الفراغ والخلطة متعذر فتعين الخلطة الا لمن استغرق باطنه به
تعالى بحيث لا يمنعه الوحدة عن الكثرة ولا يحجبه الكثرة عن الوحدة وهو مقام جمع الجمع للصوفية المعبرة
عنها الكائن البائن والقريب الغريب والعرشي الفرشي فغاب عنهم قلبا اي جنانا وتشهدهم لسانا
اي حضرهم بيانا وبرهانا وهذا انما يتصور لمن اراده سبحانه شانا وقد نقل عن الجنيد قال
انا اكلم الله منذ ثلثين سنة والناس يظنون اني اكلمهم وقال بعضهم لا يتمكن احد
من الخلوة الا بالتمسك بكتاب الله والمتمسكون بكتابه استراحوا من الدنيا بذكر الله عاشوا وبذكر الله

ما اوى ودر الله لهو الله وقيل لبعضهم ما اصبرك على العزلة فقال انا وحدي انا جليس الله تعالى اذا شئت ان
يناديني قرأت كتابه واذا شئت ان اناجيه صليت وقيل للاستيناس بالناس علامة الافلاس وقيل بينما اويس
القرني جالس اذ اتاه هرم بن حيان فقال له اويس ما جاء بك فقال جئت لآنس بك فقال اويس ما كنت ارى احدا
يعرف ربه فيأنس بغيره وقال بعض الحكماء انما يستوحش الانسان من نفسه لخلو ذاته من الفضيلة التي بسببها انسه
وقال الفضيل اذا اقبل الليل فرحت به وقلت اخلو بربي واذا اصبحت استرجعت كراهية لقاء الناس وان يجئ
من يشغلني عن ربي وعن بعضهم اني اصبح وامسي بين نعمة وخطيئة فاشتغل نفسي بشكر الله على النعم وبالا
ستغفار من الخطيئة والخلاص عن المعاصي التي يتعرض لها الانسان غالبا بالخلطة ويسلم منها في الخلوة كالرياء والسمعة
اذ كل من خالطهم داراهم ومن داراهم راياهم ولقد صدق يحيى بن معاذ في قوله رؤية الناس بساط الرياء
والغيبة والسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع عن الاخلاق الرديئة والاحوال الدنية
والبدع في الاقوال المتعارفة مثل كيف اصبحت فانه ان لم يكن على قصد الاعانة فهو نفاق وليس من اخلاق
اهل الديانة فقد كان السلف يتلاقون ويحترزون في قولهم كيف اصبحت وكيف حالك وفي الجواب عنه وكان سؤ
لهم عن احوال الدين لا احوال الدنيا قال حاتم الاصم لحامد اللفاف كيف انت في نفسك قال سالم معافى فكره حاتم
جوابه فقال يا ابا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة اي على بساط النشاط وحال الانبساط وقد
ورد اللهم لا عيش الا عيش الاخرة وكان اذا قيل لعيسى عم كيف اصبحت قال اصبحت لا املك نفع ما ارجو ولا استطيع
دفع ما احذر واصبحت مرتهنا بعملي والخير كله بيد غيري فلا فقير افقر مني وكان الربيع بن خثيم اذا قيل
كيف اصبحت قال اصبحنا ضعفاء مذنبين نستوفي ارزاقنا ننتظر اجالنا وكان ابو الدرداء اذا قيل له كيف
اصبحت قال اصبحت بخير ان نجوت من النار وكان السفيان الثوري اذا قيل له كيف اصبحت يقول اصبحت
اشكو ذا الى ذا وادم ذا الى ذا وافر من ذا الى ذا وقيل لاويس القرني كيف اصبحت قال كيف يصبح رجل
اذا امسى لا يدري انه يصبح واذا اصبح لا يدري انه يمسي وقيل لمالك بن دينار كيف اصبحت قال اصبحت
في عمر ينقص وذنب يزيد وقيل لبعض الحكماء كيف اصبحت قال اصبحت لا ارضى حياتي لمماتي ولا نفسي
لربي وقيل لحكيم كيف اصبحت قال اصبحت اكل رزق ربي واطيع عدوه ابليس وقيل لمحمد بن واسع كيف
اصبحت قال ما ظنك برجل يرتحل كل يوم الى الاخرة مرحلة قلت وعن علي كل نفس خطوة الى اجله وقيل
لحامد اللفاف كيف اصبحت قال اصبحت اشتهي عافية يوم الى الليل فقيل له الست في عافية كل الايام فقال
العافية يوم لا اعصي الله فيه وقيل لرجل وهو يجود بنفسه ما حالك فقال وما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد
ويدخل قبرا موحشا بلا مونس وينطلق الى ملك عدل بلا حجة وقيل لبعضهم ما حالك قال ما حال من يموت
ثم يبعث ثم يحاسب عافاك الله انما كان قيل السلام ولم يكن في الحمام وعن الحسن انما كانوا يقولون السلام
السلام عليك اذا اسلمت والله القلوب فاما الان كيف اصبحت عافاك الله كيف انت اصلحك الله فان اخذنا

اصبحت كيف اجوبة السلف واسلمهم

الذر جمع ذرة وهي اصغر النمل ومنه سمي الرجل ذرا وكني ابو ذر والذرية ولد الرجل والجمع الذراري والذريات مختار

بقولهم

بقولهم كانت بدعة ولا كرامة فان شاؤا غضبوا علينا وان شاؤا لا كذا في الاحياء وانما قال ذلك لان البداية
بقوله كيف اصبحت بدعة ومشاهدتها اي ورؤية المعاصي فمن يورث الاستهانة بها بل رؤية ارباب الدنيا
فانه يورث الاستعظام بها ومن هنا قال تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم لا تمدن عينيك
الى ما متعنا به ازواجا منهم وذلك لان مسارقة الطبع لما يشاهده من اخلاق الناس واعمالهم وسائر احوالهم
داء دفين قل ما ينتبه له العقلاء فضلا عن الغافلين فلا يجالس الانسان فاسقا او مبتدعا مدة مع كونه
منكرا عليه في باطنه الا ولو قاس نفسه الى ما قبل مجالسته لادرك فيها تفرقة في النفرة عن الفساد بكثرة المشاهدة
من العباد هينا على الطبع ويسقط عنه وقعه واستعظامه في الشرع ومهما طالت مشاهدة الكبائر من غيره
استصغر الصغائر من نفسه ولذا يزدري الناظر الى الاغنياء نعمة الله عليه فيؤثر مجالستهم ان يستصغر ما عنده
ويؤثر مجالسة الفقراء في استعظام ما قد رك من النعماء وكذا النظر الى المطيعين والعصاة في همته نظره
ملاحظة احوال الصحابة والتابعين في عبادة المولى والتنزه عن الدنيا فلا يزال ينظر الى نفسه بعين الاستصغار
والى عبادته بعين الاستحقار وما دام يرى نفسه مقصرا فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال واستتماما
للاقتداء ومن نظر الى الاحوال الغالبة على اهل الزمان واعراضهم عن الله واقبالهم على الدنيا واعتيادهم المعاصي
استعظم امر نفسه بادنى رغبة في الخير يصادفها من قلبه وذلك هو الهلاك لنفسه ومما يدل على سقوط وقع الشئ
عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته ان اكثر الناس اذا راوا مسلما افطر في نهار رمضان استبعدوه استبعادا
يكاد يفضي الى اعتقادهم كفره وهم يشاهدون من يخرج الصلوة عن اوقاتها ولا ينفر عنهم طباعهم كنفرتهم عن
تأخير الصوم مع ان صلوة واحدة يقتضي تركها الكفر عند قوم وحز الرقبة عند قوم وترك صوم رمضان
كله لا يقتضيه وكذا لو لبس الفقيه ثوبا من حرير او خاتما من ذهب استبعدته النفوس وقد يشاهد
في مجلس طويل لا يتكلم فيه الا بما هو اغتياب للناس ولا يستبعد منه والغيبة اشد من الزنا فكيف لا يكون
اشد من لبس الحرير ولكن كثرة سماع الغيبة ومشاهدة المغتابين اسقط عن القلوب وقعها وهون على
النفوس امرها وقيل لبعضهم ما حملهم على العزلة قال خشيت ان اسلب ديني ولا اشعر به فيفطن لهذا القول
الاسد وفر من الناس فرارك من الاسد لانك لا تشاهد منهم الا ما يزيد على حرصك في الدنيا وغفلتك
عن العقبى ويهون عليك المعصية ويضعف رغبتك في الطاعة فان وجدت جليسا يذكرك بالله صورة
وانفاسا يشكرك الله سيرته فالزمه واغتنمه فان الجليس الصالح خير من الوحدة فان الوحدة خير من الجليس لكن الجليس
الصالح عزيز الشهود في صحن الوجود كما قال م اخبر تقله والناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة وكما قيل امنى
على الزمان محالا ان ترى مقلتاي طلعة حر فان الحر من لا يستعبده هواه ولا يستغرقه دنياه بل يستغرق خدمة
مولاه وهذا معنى قوله والجليس السوء فهو الشيء وضعها اي ومشاهدة والخلاص عنه لتأثير الصحبة اي جر الاثر
بحسب الرتبة وورد مثل الجليس السوء مثل القين اي الحداد ثمام ان لم يحرق ثوبك اصابك ريحه ومثل الجليس الصالح مثل العطار ان

بيان وقت اختيار العزلة

مطلب الجليس السوء والصالح

لزوم البيت في زمان الفتن

ان لم يعطك من عطره اصابك من ريحه وفي البخاري من حديث ابي موسى مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك اما تشتريه او تجد ريحه وكير الحداد يحرق بيتك او ثوبك او تجد منه ريحا خبيثة والفتن اي والخلاص من تحمل انواع الفتنة وقل ما يخلو العباد في البلاد عن تعصبات وخصومات ونزاعات وقد روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه ذكر عليه السلام الفتن ووصفها وقال اذا رايت الناس مرجت عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه قلت فما تامرني فقال الزم بيتك اي لازم بسكونه واملك عليك لسانك اي التزم سكوته وخذ ما تعرف واعمل به ودع ما تنكر اي اتركه وعليك بامر الخاصة اي والزم خاصية نفسك ودع عنك امر العامة اي من لم يتعلق بك حين قيل ظرف لورد ما ذا تامرني في زمان الفتن والحديث رواه ابو داود والنسائي في اليوم والليلة باسناد حسن وفي البخاري من حديث ابي سعيد الخدري يوشك ان يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعاف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن وللخطابي من حديث ابن مسعود وللبيهقي من حديث ابي هريرة سياتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه الا من فر بدينه من قرية الى قرية ومن شاهق الى شاهق ومن حجر الى حجر كالثعلب الذي يروغ قيل له ومتى ذلك يا رسول الله قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصي الله تعالى فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وقد امرتنا بالتزوج قال اذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يدي ابويه فان لم يكن ابوان فعلى يدي زوجته وولده فان لم يكن فعلى يدي قرابته قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يعيرونه بضيق اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة وفي الاحياء هذا الحديث وان كان في العزوبة فالعزلة مفهومة منها اذ لا يستغني المتاهل عن المعيشة والمخالطة ثم لا تنال المعيشة الا بالمعصية ولاجله قال سفيان الثوري والله لقد حلت العزلة اقول وفي زماننا وجبت وعن سفيان بن عيينة لقيت ابراهيم بن ادهم في بلاد الشام فقلت له يا ابراهيم تركت خراسان قال ما هنا بالعيش الا هنا افر بديني من شاهق الى شاهق فمن رآني يقول موسوس او حمال او ملاح وعن ابن عمر انه لما بلغه توجه الحسين الى العراق لحقه على مسيرة ثلثة ايام فقال اين تريد فقال العراق فاذا معه طوامير وكتب فقال هذه كتبهم وبيعتهم فقال لا تنظر الى كتبهم ولا تاتهم فابى فقال ابن عمر اني احدثك حديثا ان جبريل اتى النبي عم فخيره بين الدنيا والاخرة فاختار الاخرة على الدنيا وانك بضعة من رسول الله عم والله لا يليها احد منكم ابدا وما صرفها عنكم الا الذي هو خير لكم فابى ان يرجع فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال استودعك الله من قتيل رواه الطبراني في الاوسط والبزار بنحوه واسنادهما حسن وكان في الصحابة اكثر من عشرة الاف فاختفى ايام الفتنة اكثر من اربعين رجلا ولما بنى عروة قصره بالعقيق ولزمه فقيل له لزمت القصر وتركت مسجد رسول الله صلى الله عم فقال رايت مساجدكم لاهية واسواقكم لاغية والفاحشة في فجاجكم عالية وفيما هناك عما انتم فيه عافية وايذائهم اي والخلاص عن ايذاء الجلساء فانهم يؤذونك تارة بنحو الغيبة والنميمة واخرى بسوء الظن والتهمة والمقول الذميمة ومرة بالاطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها

فيشتد الجفاء بسببها وقد قيل مشاعرة اللئام تورث سوء الظن بالاخيار وقيل لعبد الله بن الزبير الا تاتي المدينة قال لا يبقى فيها الا حاسد نعمة او فرح بنقمة وقيل كان الناس دواء يتداوى بهم فصاروا داء لا دواء له وعن ابي الدرداء كان الناس ورقا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه وقال رجل لابراهيم بن ادهم اوصني فقال اياك والناس وعليك بالناس ولا بد من الناس فان الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس ذهب الناس وبقي النسناس والخناس وما اراهم بالناس بل غمسوا في ماء الناس وقيل الزم الزوايا او المقابر وقال الحسن اردت الحج فسمع ثابت البناني وكان ايضا من اولياء الله فقال الحسن بلغني انك تريد الحج فاحببت ان نصطحب فقال الحسن ويحك دعنا نتعاشر بستر الله علينا اني اخاف ان نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه قال في الاحياء وهذه اشارة الى فائدة اخرى في العزلة وهي بقاء الستر على الدين والمروة ولقد قال شاعر ولا عار ان زالت عن المرء نعمة ولكن عارا ان يزول التجمل وقال ابو الدرداء اتقوا الله واحذروا الناس فانهم ما ركبوا ظهر بعير الا ادبروه ولا ظهر جواد الا عقروه ولا قلب مؤمن الا خربوه وطمعهم من اضافة المصدر الى الفاعل اي في الخلاص من طمع الناس عنك فان رضاء الناس غاية لا تدرك فرعاية الحقوق شديدة ومن اهون الحقوق وايسرها حضور الجنائز وعيادة المريض وحضور الولايم والاملاكات وفيها اي في رعاية الحقوق وضياع الاوقات وفوات المهمات والتعرض للآفات ثم قد يعوق عن بعضها عايق ويستقل فيها المقادير ولا يمكن اظهار تلك الاعذار فيقولون قام بحق فلان وقصر في حقي ويصير ذلك سبب عداوة ومن عمت الناس بالحرمان رضوا عنه كلهم وعن عمرو بن العاص كثرة الاصدقاء كثرة الغرماء والطمع فيهم وفي نسخة فيهم اي والخلاص من ان تطمع انت فيهم فالنظر الى زهرة الدنيا اي انواع زينتها واصناف بهجتها يحرك الحرص وانبعث بقوة الحرص طمعه ثم لا يرى الا الخيبة في اكثر الاطماع فيتاذى بذلك ومهما اعتزل لم يشاهد واذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع هنالك ولذا قال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقال عم فيما رواه مسلم من حديث ابي هريرة انظروا الى من هو دونكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم وحكي ان المزني خرج من باب جامع فسطاط وقد اقبل ابن عبد الحكم في موكبه فبهره ما راى من حاله وهيئته فتلا قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون ثم قال اصبر وارض كما قيل شعر رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللاعداء مال فان المال يفنى عن قريب وان العلم يبقى لا يزال ولقاء الثقيل والاحمق اي والخلاص عن ملاقاة الثقلاء والحمقى ومشاهدة اخلاقهم ومقاساة اوهامهم فهو اشد البلاء اي العقوبة فان رؤية الثقيل هو العمى الاصغر قيل للاعمش لم عمشت عينيك قال من النظر الى الثقلاء وحكي ان دخل عليه ابو حنيفة فقال له في الخبر ان من سلب الله كريمتيه عوضه عنهما ما هو خير منهما فالذي عوضك فقال له في معرض المطايبة عوضني منهما انه كفاني رؤية الثقلاء وانت منهم وقيل النظر الى الاحمق حمى باطن وافات اي العزلة وهي ثمرة فوات التعلم فهو مقدم على العزلة لافتقار العبادة العلمية والتقوى

الرجوع اليه وله اقال الصفي رضي الله عنه اعتزل في لطائف المعارف للجامي قدس سره الكثير لانه ينبغي
عن العلم لان كلام ابو زكريا الراغب عليه والتعليم اي وفوات ثواب وعي من العزلة ايضا كالتعلم اي كافادة
التعليم في علم الاخرة اي كعلم ينفعهم في العقبي وراعي حقهما بالاخلاص وابتغاء وجه ربه الاعلي وكذا بالاحتراز
عن الرذائل كالرياء وحب الجاه من الاستكثار بالاصحاب والاتباع وما يتبعه من حب المال وسائر الاخلاق
الذميمة في الاحوال فحكم العالم في هذا الزمان اذ يعزل ان اراد سلامة دينه مستفيدا لطلب فائدة ليقيني
بل يستعمله في معرض المنافسة والمباهاة لعلمه وتبيينه ولا يطلب غالبا الا للتوصل الي التقدم علي الامثال والتولي
الولايات واجتلاب الاموال واستنفار الاذلال الي الجهال فان صرف طالب لله وتقرب بالعلم الي رضا مولاه
فلا عبرة النعم وكتمان العلم منه من اكبر الكبائر لو زاد اظهرت الفتنة فسكت العالم فعليه لعنة الله
لم اجد له اصلا وقد قال تعالى ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدي من بعد ما بيناه للناس في الكتاب
اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وقد قيل ما فسدت الرعية الا بفساد الامراء وما فسد الامراء الا بفساد
العلماء ومن هنا قيل فساد العالم فساد العالم فنعوذ بالله من الغرور والعمى فانه الداء الدفين الذي
ليس له الدواء والا اي وان لم يكن تعليم وتعلم في علم الاخرة فالعزلة مستعينة بل واجبة كما في زماننا
لذهاب علم الاخرة من التفسير والحديث والفقه المتعلق بالعبادة في اكثر البلدان او العمل عليه اي
ولذهاب العمل علي طبق العلم في غاية اهل الزمان ولا ينبغي ان يغتر الانسان بقول سفيان تعلمنا العلم
لغير الله فابي ان يكون الا لله وان الفقهاء يتعلمون لغير الله ثم يرجعون الي الله وانظر الي اواخر اعمار الاكثرين
منهم واعتبرهم انهم ماتوا وهم هلكى علي طلب الدنيا ومتكالبين عليها او راغبين عنها او زاهدين فيها
وليس الخبر كالمعاينة واما العلم الذي اشار اليه سفيان فهو علم الحديث وتفسير القران ومعرفة سير الانبياء
والصحابة فان فيها التخويف والتحذير فان لم يؤثر في الحال فقد يؤثر في المال واما الكلام وجدل
الخصام والفقه المجرد الذي يتعلق بفتاوي المعاملات وفصل الخصومات فلا يرد الراغب فيه للدنيا الي الله
بل لا يزال متماديا في حرصه الي اخر عمره ونهاية امره ومن هنا قال بشر الحافي حدثنا باب من ابواب الدنيا
فقد رعاية الحقوق اي ولفقدها وعدمها من حقوق الاساتذة والتلامذة فعن ابي سليمان
الخطابي دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال اخوان العلانية اعداء السر اذا القوك
تملقوك واذا غبت عنهم سلقوك من اتاك منهم كان عليك رقيبا واذا خرج كان عليك حفيظا اهل نفاق
ونميمة وغل وخديعة فلا تغتر باجتماعهم عليك فما غرضهم العلم وحسن الحال بل الجاه والمال وكثر
وان يتخذوك سلما الي اوطارهم وحمارا في حاجاتهم وان نازعتهم ان قصرت في غرض من اغراضهم كانوا
اشد اعدائك ثم يعدون ترددهم اليك دالا عليك ويرونه حقا واجبا لديك ويعرضون عليك
ان تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم فتعادي عدوهم وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم وتنتهض لهم سفيها

وقد كنت

وقد كنت فقيها وتكون لهم تابعا خسيسا بعد اذ كنت متبوعا رئيسا ومن ثم الفتن اي ولتقلب الفتن وما يترتب
عليه من انواع المحن ما ظهر منها وما بطن فانك ترى المدرس في رق دائم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن
يتردد لديه فكانه يهدي تحفة اليه ويرى حقه واجبا عليه وربما لا يختلف اليه ما لم يتكفل برزقه علي الدوام
ثم المدرس المسكين قد يعجز عن القيام بذلك من ماله فلا يزال يتردد الي ابواب السلاطين
ويقاسي الذل والشدائد مقاساة الذليل المهين حتي يكتب له علي بعض وجوه السحت من مال المسلمين
من اليتامي والمساكين ثم لا يزال العامل يسترقه ويستخدمه ويمتحنه ويستذله الي ان يسلم اليه ما يقدره
نعمة مستانفة من عنده عليه ثم يبقي في مقاساة القسمة علي اصحابه اذ سوى بينهم مقتهم المبرزون
ونسبوه الي الجنون وقلة التمييز والمعرفة في الفنون وان فاوت بينهم سلقته السفهاء بالسنة حداد و
ثاروا عليه ثوران الاساود والاساد فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا وفي مظالم ما ياخذه ويفرقه في العقبي
والانتفاع اي وفوات من الغير وكذا نفع الغير بالكسب لكفاية اي للكفاية نفسه من ابناء جنسه او الصدقة
علي غيره بالزيادة علي قدر الكفاية بطريق القناعة فهو اي الكسب وفي نسخة فهي اي الصدقة اولي من عمل
الظاهر كالصلوة والصوم وتلاوة القران وتوضيحه ان حالك لا يخلو من ان تكون محتاجا الي القوت اولا فان
كنت محتاجا اليه فاشتغالك بالكسب اولي بل فرض كما لا يخفى وان كنت مستغنيا عنه فلا يخلو اما ان تكون في خلوتك
مشغولا باعمال الظاهرة فالكسب للصدقة افضل من العزلة لتعدي النفع واما ان تكون مشتغلا بالاعمال
الباطنة من الانس بالله والحضور مع الله والتفكر في صفات الله والتذكر لاحوال الاخرة في عقباه والشوق
الي لقاء ربه والذوق الي مقام رضاه فالعزلة اولي من الكسب لبقاء النفع ودوامها وتمامها في الدنيا
والاخرى والتادب اي فوات كسب الادب وتحصيله بالارتياض اي المجاهدة وهو لرياضة النفس و
المعاودة في البداية والتاديب اي وفوات تعليم الادب بالرياضة في النهاية وهو كالتعليم في مقام الهدى
في الاحياء ونعني بالتاديب الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة في تحمل اذاهم كسر النفس وقهرا
للشهوات وهي من الفوائد التي تستفاد بالمخالطة وهو افضل من العزلة في حق من لم يتهذب بعد اخلاقه
ولم يذعن لحدود الشرع شهواته واما التاديب فيعني به ان يروض غيره وهو حال مشايخ الصوفية معهم فانه لا
يقدر علي تهذيب حالهم الا بمخالطتهم وللترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر المؤمن الذي يخالط الناس
ولا يصبر علي اذاهم والمؤانسة اي وفوات الاستيناس والايناس بالناس في المصاحبة والمجالسة كالانس
بملازمة ارباب التقوى من الاولياء وبمواظبة اصحاب الفتوى من العلماء وانما سمي الانسان بالانس لما فيه
نوع من الانس لا سيما والمؤمنون اخوة وبينهم زيادة الالفة لقوله تعالى والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض
جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم ولقوله عم المؤمن مؤلف ولا خير فيمن لا يالف ولا يؤلف
رواه احمد عن سهل بن سعد فهي اي المؤانسة مستحبة لقطع الملالة المنفرة للعبادة اي كما هو في العادة والرفق

في العبادة كما هو حزم اهل الارادة لو زاد ان الله لا يمل حتى تملوا وقد تقدم ومن يشاد هذا الدين يغلبه
فان الدين متين والايغال فيه برفق دأب المسترشدين ولهذا قال ابن عباس لولا مخافة الوسواس لم
اجالس الناس وقال مرة لدخلت بلدا لا انيس بها وهل يفسد الناس الا الناس قلت ولكن لا يصلح الناس
الا الناس ومن هنا قيل ما زينة الناس الا الناس فلا يستغني المعتزل اذا عن رفيق يستانس بمشاهدة
ويستلذ بمحادثته في اليوم والليلة من ساعة فليجتهد في طلب من لا يفسد في ساعة تلك شيئا من طاعته
فقد قال عم الربيع دين خليله فلينظر احدكم من يخالل وقد تقدم وليحرص ان يكون حديثه عند اللقاء
في امور الدين وحكاية المشايخ الصالحين والعلماء المجتهدين فهذا النوع من الجلوة في بعض الاوقات
قد يكون افضل من الخلوة في تحسين المقام فقد ورد نوم العالم عبادة ومن كلمتين يا حمراء ثواب اقامة
الجمعة والجماعة اي وفوات اقامتها وادامتها ونحوهما من حضور الجنازة وصلوة العيدين ومجلس العلم
ووقوف عرفة وامثالها وحقوقهم اي وفواتها كالعيادة للمرضى والتشييع للجنازة ومنها اجابة الدعوة
في نحو الوليمة وقد حكي عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره اجابة الدعوة وعيادة المرضى وحضور الجنازة
بل كانوا احلاس بيوتهم لا يخرجون الا الى الجمعة او زيارة القبور وبعضهم فارق الامصار وانحاز الى
الجبال ميلا الى الفرار تفرغا للعبادة وتحرزا عن الشواغل في الارادة والتواضع اي وفواته فانه من آداب
المخالطة ولا يقدر عليه في الوحدة فقد يحمل التكبر عليها اي على العزلة يحب زيادتهم تبركا اي على سبيل التبرك
والمضيافة قد يكون الكبر سببا للعزلة وعلامته ان يحب ان يزار ولا يحب ان يزور ولو كان لم الاشتغال
بذكره والاستغراق في فكره لبغض زيارة الناس اليه وقوفهم عليه لشغلهم عن المقصود لديه اعلم
ان التواضع في المخالطة لا ينقص عن منصب من هو كبير بعلمه او دينه فقد كان علي رض يحمل التمر والملح في ثوبه
ويده ويقول لا ينقص الكامل من كماله ما جر من نفع الى عياله وكان ابو هريرة وحذيفة وابي وابن مسعود يحملون
حزمة الحطب وجراب الدقيق وغيره على اكتافهم وكان ابو هريرة يقول وهو والي المدينة والحطب على
رأسه طرقوا الاميركم وكان عم يشتري فيحمله الى بيته بنفسه فيقول له صاحبه اعطني احمله فيقول صاحب المتاع
احق بحمله رواه ابو يعلى من حديث ابي هريرة في حمل سراويله الذي اشتراه ثم اعلم ان من حبس نفسه في بيته
لتحسين اعتقاد الناس في حقه فهو في عناء حاضر في الدنيا ولعذاب الاخرة اشد وابقى فلا يستحب المعتزلة
الا المستغرق الاوقات بربه ذكرا او فكرا وعلما وعبادة واشتغالا بامره تجردا او تزهدا بحيث لو خالط
الناس لضاعت اوقاته او كثرت آفاته او تشوشت عليه عبادته فمن شغل نفسه بطلب رضى الناس فهو
مغرور لانه لو عرف حق المعرفة لعلم ان الخلق لا يغنون عنه من الله شيئا وان ضره ونفعه بيد الله فلا نافع
ولا ضار سواه وان من طلب رضاء الناس بسخط الله سخط عليه الحق واسخط عليه الخلق بل رضاء الناس
غاية لا يدرك ولذا قيل شعر من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور وقيل للحسن يا ابا سعيد ان قوما

حمله عم ما يشتري من السوق بنفسه الى بيته

يحضرون مجلسك ليس بغيتهم الا تتبع سقطات كلامك وتعنتك في السؤال فتبسم فقال للقائل هون على نفسك
نفسك فاني حدثت نفسي لسكنى الجنان ومجاورة الرحمن فطمعت وما حدثت نفسي بالسلامة من الناس لاني قد
علمت ان خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم وقال موسى عم يا رب احبس عني السنة الناس
فقال يا موسى هذا شيء لم اصنعه لنفسي فكيف افعله لك واوحى الله سبحانه الى عزير ان لم تطب نفسا بان
اجعلك علكا في افواه الماضغين لم اكتبك عندي من المتواضعين وفي الحديث النبوي اذكر الله حتى
يقولوا مجنون وقد قالوا اخرج اعقل الخلق مجنون وساحر ومسحور وكذا شاعر ومغرور والتجارب اي وفوائدها
فانها تستفاد من الخلطة ولا توجد في العزلة فالقلب المشحون بالحقد والبخل والحسد والغضب وسائر الاخلاق
الذميمة انما يتجرد وتظهر آثارها من القلوب السقيمة اذا حرك بادنى الحركة المستقيمة كما يثير التهيج اخبر نقله قولهم
حو الحتري ما يجري فيتعلق بها اي بالتجارب مصالح الدارين من المناقب والمراتب لا سيما الرياضة في ترك
المناصب وعند حصول المصالح فمن هنا كانوا يجربون انفسهم حتى من كان يحمل قربة ماء او نحوه بين الناس على ظهره
او حزمة حطب على رأسه ويتردد في الاسواق لتجربة نفسه اذ استتر كبرها في باطنه كان غوائل النفس ومكايدها
قل من يتفطن لها فقد حكي عن واحد انه قال اعدت ثلثين سنة صلوتي التي صليتها في الصف الاول ولكني تخلفت يوما بعذر
فما وجدت موضعا في الصف الاول فوقفت في الصف الثاني فوجدت نفسي تستشعر خجلة من نظر الناس الي وقد سبقت
الى الصف الاول فعلمت ان جميع صلواتي كانت مشوبة بالرياء فالمخالطة لها فائدة ظاهرة في استخراج القبائح واظهارها
ولذا قيل السفر يسفر عن الاخلاق فانها نوع من المخالطة مع الخلق واذا عرفت فان تحققت الفوائد وانتفت
الآفات فاختر العزلة والا فالخلطة وان تقابلا فخذ بالارجح في المسئلة والاصل الاستفتاء من القلب
اذا كان متحرزا بذكر الرب والافضل هو الجمع بين الخلوة كما يشير اليه قول الشافعي الانقباض عن الناس مكسبة
للعداوة والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء في المحادثة فكن بين المنقبض والمنبسط ولذا قيل كن وسطا وامش
جانبا ويومي اليه في قوله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور
وحقها اي العزلة نية الاحتراز اي الاحتراس عن شر النفس وما فيها من الوسواس والغرائز وغيرها من الجنة
والناس فينبغي للمعتزل ان ينوي بعزلته كف شر نفسه عن الابرار ثم طلب السلامة من شر الاشرار والتقصير في رعاية
الحقوق اي ثم الخلاص عن آفة القصور عن القيام والتجرد للعبادة اي ثم العزيمة بكنه الهمة للعبادة والفراغ
للطاعة وتهذيب الاخلاق بان يكون في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر ودفع الامل وانتظار الاجل
والسلوك في طريقه فتمنع الناس عن زيارته لئلا يكون مشوشا في وقته وحالته وعدم السؤال عن اخبار
الناس واقوالهم واراجيفهم في احوالهم والقناعة باليسير من المعيشة والصبر على ما يلقاه من اذى الجيران وغيرهم و
عدم الاصغاء الى ما يقال في حقه من مدح فيه بترك المخالطة وينبغي ان يكون له اهل صالح او جليس يعتمد عليه
ليستريح نفسه اليه في اليوم ساعة عن ذكر المواظبة في الطاعة ثم لا يتم له الصبر في العزلة الا بقطع الطمع عن الدنيا

مصالح الدارين من المناصب

وما الناس بتبكون فيه مما يبواحه اوبرنين ولا بسقطع طمع الاجنبر الامل وتقريب الاجل الجمعة نور في الجمعة
فانه فرض والجماعة فانه واجب او فرض كفاية او سنة موكدة والعيد فانه واجب او سنة مؤكدة الدرك
وشعار اهل التقى والحج فانه طريق اهل السلوك ومجلس العلم فانه لا يستغني عنه الصعلوك ولا الملوك ويجوز
الترك اي ترك المحضور في تلك الامور عند معارضة منكر الخشي منه اي من ترك المحضور والاحب حينئذ ان
يسكن موضعا بعيدا من العمارة بسقطها اي المذكورات من الجمعة والجماعة ونحوها من المامورات والسكون
في رباط السالكين اي خانقاه الصالحين يفيد سلامة العزلة عن آفات الخلطة وبركة الجمعة والجماعة والتعاون
على البر والتقوى والتادب باداب اهل الشرع والفتوى فلسان الحال افصح من بيان القال وورد في التنزيل
الفوائد وكونوا مع الصادقين والطريق اي الموصل للعزلة الاستغراق للعبادة ذكرا وفكرا وعلما وعملا
وصبرا وشكرا وصحوا ومحوا وسكرا وفناء وبقاء ورضا وبسطا فالاستيناس بالناس من الافلاس اي من علامة
الافلاس عن مقام الايناس فاذا رايت نفسك تتطلع الى سلامهم وكلامهم وملاقاتهم في مقامهم فاعلم ان
ذلك فضول منشا الفراغ وفي الحديث نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وقيل ان الشباب والفراغ
والجدة مفسدة للمرء اي مفسدة ومتى عانقت العبادة ولازمت حقائق الملازمة ووجدت حلاوة المناجات مع الحضرة
واستانست بكتاب الله واياته واخبار رسوله واثار صحابته استوحشت عن الاغيار على انه لبقي الداعي ديار في نظر
الابرار وفي بعض الاخبار ان موسى عليه السلام كان اذا رجع من المناجاة يستوحش من كلام الناس ويجعل اصبعيه في اذنيه
كيلا يسمع كلامهم ولا يفهم مرامهم فعليك مما قال بعضهم اعبد الله صاحبا ودع الناس جانبا شاهدا كنت
فيهم او غائبا وقلب الناس كيف شئت تجدهم عقاربا واقطع الطمع عن الخلق ايضا بان تعطيك غير ما قسم لك
فهون عليك امر الخلق والنظر اليهم والطمع فيهم فان من لا ترجوا نفعهم ولا تخاف ضرهم فوجوده وعدمه سواء
عليك وقبوله ورده مستو لديك وهذا نبذة من توحيد الافعال حيث قال تعالى خبرا عما لهم من الاحوال
واتخذوا من دونه الهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون حيوة
ولا نشورا وذكر الاقات اي آفات الخلطة وفوائد العزلة وايثار الخمول فانه الراحة وضده الشهرة فيها
الافة وهي اي صفة الخمول فضيلة عظيمة ومنقبة جسيمة وقد قيل في تعريفه هو اسقاط النفس عن نظر الخلق
وورد رب اشعث اي متفرق الشعر اغبر متغير الوجه ذي طمرين اي كسائين اسودين او ذي خلقين لا يؤبه
له اي لا يعبأ به عند اكثر الخلق لو اقسم على الله في شيء نفيا او اثباتا لابره اي لجعل الحق بارا في قسمه ذلك
بان يجعل مطابقا لما اراده هنالك والحديث رواه مسلم من حديث ابي هريرة بلفظ رب اشعث مرفوع بالابواب
لو اقسم على الله لابره وللحاكم رب اشعث اغبر ذي طمرين تنبو عنه اعين الناس لو اقسم على الله لابره وقال
صحيح الاسناد ولابن ابي الدنيا ومن طريقه الديلمي من حديث ابن مسعود رب ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على
الله لابره او قال اللهم اني اسألك الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وفي الاحياء عن ابي هريرة مرفوعا

الخمول

ان اهل الجنة

ان اهل الجنة كل اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين اذا استاذنوا على الامراء لم يؤذن لهم واذا خطبوا
النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج احدهم تتجلجل في صدره لو قسم نوره يوم القيمة على
الناس لوسعهم وسكت عليه مخرجه وفي رواية ان من امتي من لو اتى احدكم فساله دينارا لم يعطه اياه
ولو ساله درهما لم يعطه اياه ولو ساله فلسا لم يعطه اياه ولو سال الله تعالى الجنة لاعطاها اياه الطبراني
في الاوسط من حديث ثوبان باسناد صحيح وزاد في الاحياء ولو ساله الدنيا لم يعطه اياها وما منعها اياه
لهوانه عليه بل لكرامته لديه قال مخرجه ورويناه مرسلا ولو اتسع الجاه بلا طلب فغير مذموم كما للانبياء و
المرسلين والخلفاء الراشدين والائمة المجتهدين من العلماء والصلحاء المعتمدين الا ان فيه اي في
اتساع الجاه فتنة للضعفاء اي ابتلاء ومحنة لغير الاقوياء حيث لم يتلذذوا بحال الفقراء وفي خاطرهم
ميل الى مقام الاغنياء وذهلوا عما ورد من ان سليمان عليه السلام يدخل الجنة بعد سائر الانبياء بخمسمائة عام
وكذا ابن عوف من العشرة المبشرة يدخل الجنة بعد فقراء المهاجرين بخمسمائة عام بل في الاحياء ان عذاب
الحاكم الفقير اخف من الغني في دار البقاء وورد من حديث انس عند البيهقي حسب امرئ من الشر الا من عصمه
الله ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه اي بالعلم والعمل اي مخافة عجبه وغروره ودنياه اي بالمال
والجاه اي خشية كبره وبطره وفتنة للغني دينه بالبدعة ودنياه بالفسق وانما المذموم حب الجاه اي
لا وجوده وشهوده وورد في التنزيل تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض اي
لا يطلبون اعتلاء بالجاه والمال او لا يريدون استعلاء بغير حق ولا فسادا بحال الخلق بل يريدون صلاحا
لاهل الحق لكن كما قيل اخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة ولو كان من حيث المشيخة وباب
السياسة والحاصل وان الله سبحانه علق جعل الدار الاخرة بنفي ارادة العلو المستلزم لحب الجاه دون
نفي الجاه فاعلم ان المذموم حب الجاه دون نفي الجاه من غير حب له واصله اي الجاه انتشار الصيت
واشتهار السمت فالخمول محمود الا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه لقوة يقينه وحقيقته
اي الجاه ملك القلوب المطلوب منها تعظيمها وطاعتها الموصل الى المقاصد الدنيوية وقد تكون الدينية
والاخروية وقال ابن ادهم ما صدق الله من احب الشهرة وقال ايوب السختياني ما صدق الله عبد
الا سره ان لا يشعر بمكانه وعن خالد بن معدان انه كان اذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة وعن ابي
العالية انه كان اذا جلس اليه اكثر من ثلثة قام وقال بشر لا يجد حلاوة الاخرة رجل يحب ان يعرفه
الناس وعن معاذ بن جبل ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا
لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة والطبراني والحاكم
وصححه وقال الفضيل بلغني ان الله عز وجل يقول في بعض ما يمن به على عبده الم انعم عليك الم استرك
الم اجمل ذكرك وكان الخليل بن احمد يقول اللهم اجعلني عندك من ارفع خلقك واجعلني في نفسي من اوضع

خلفه وانقطع به الناس اوسط خلقه وقال الثوري وجدت قلبي بمكة والمدينة مع قوم غرباء
اصحاب صوف وعبا وهواي الجاه اشتهي اى الدنى المال ولذا يبذل المال لتحصيل الجاه ولا يحصل
به المال ولو كان المال لتحصيل الغرض من حظ النفس واتباع الهوى به اى بالجاه ايسر اى اقرب من تحصيله
بالمال مع انه اي الجاه مامون عن نحو السرقة والغصب بخلاف المال ونام اي منتشر في العالم دون التعب
بخلاف المال وبيان المال ومطاع بالطوع اي بالرغبة في خدمته لارباب الكمال واصحاب الجمال فحرام اي
الجاه ان كان بارتكاب ذنب كالكذب بكونه علويا بالنسب او نسل الملوك والعلماء والمشايخ في الحسب
والخداع باظهار انه عالم او ورع او شريف وهو بخلافه من جاهل او فاسق او وضيع ومن هنا قيل
من ادعى للشيخة فان كان صادقا فهو افضل الخلق وان كان كاذبا فهو شر الخلائق وقد ورد ما ذئبان
ضاريان في زريبة غنم باكثر فسادا من حب الشرف والمال في دين الرجل المسلم رواه الترمذي والنسائي
وقال حسن صحيح من حديث كعب بن مالك وبيع العبادة اي حرام ان كان بيعها وهي من امور الدين بشيء
من امور الدنيا مالا او جاها فجعلها اي العبادة النافعة في العقبى وسيلة الدنيا الدنية الفانية جناية
على نفسه خيانة والا اي وان لم يكن حب الجاه بارتكاب ذنب ولا بيع عبادة فمباح وبعضه نفع مسلم
او دفع ظالم بصير مندوبا وقد يكون مطلوبا او فرضا يوسف عم قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ
عليم خاطب الملك بمصر فانه طلب منزلة في قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا اليه طلبه وكان صادقا
في قوله ونافعا الغيره في امره والاولى لغير الاولياء الاحتراز عنه اي عن طلب الجاه فانه لا يخلو عن خطر لحظ
نفسه وما يهواه ففيه افات اربعة وهي النفاق لان صاحب الجاه لا يستغني عن المداهنة في الاخلاق
وهي مخالفة الظاهر الباطن قولا وفعلا واضطراب القلب اي تزلزله عند ظهور العيوب لشغله برعاية
القلوب وحفظ الجاه اي تمام بين العباد ودوامه في البلاد ودفع الحساد اى طردهم وشر المعاندين
الا قدر المستثنى من الاحتراز الا قدرا يسيرا من الجاه يعين على الطاعة ويكون سبب الراحة بقدر
الاستطاعة كاستمالة قلب خادم يتعهد امورا من امور ضرورية او رياسة مخدوم او رفيق يعاون في السفر او الحضر
على البر والتقوى ومحافظة امور العقبى او سلطان يدفع الشر والبلوى والسبب اي سبب حب الجاه ثلثة
طول الامل اي بتبعيد الاجل وخوف الافة اي توهم المحنة التي تكون منشأ المنة وتوضيحه ان الشفيق بسوء
الظن مولع والانسان وان كان مكتفيا في الحال فانه طول الامال يخطر بباله ان المال الذي فيه كفايته ربما
يتلف فيحتاج الى غيره واذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه فلا يدفع الم الخوف الا الامن الحاصل لوجود
مال اخر يفزع اليه هذا المال جايحة فهو ابدا لشفقته على نفسه وحبه الجاه يقدر طول الحياة ويقدر
هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق الافات وهذا خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال او الجاه
ومن هنا ورد منهومان لا يشبعان منهوم المال الطبراني وغيره ولو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى

ثالثا ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب واستدعاء الطبع اي استشعاره الكمال
الحقيقي والوهمي لتحقق الطبع اى الخلق الربوبي في الانسان من الاستعلاء والاستيلاء والتكبر والتجبر
واظهار العظمة والكبرياء اذ معنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال
وكل انسان بطبعه محب لان يكون منفردا بالكمال والجمال والجلال ولذا قال بعض الصوفية ما من انسان الا وفي
باطنه ما صرح به فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكنه ليس يجد مجالا وهو في الاحياء كما قال فان العبودية
قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع ولكن لما عجزت النفس عن درك المنتهى في الكمال لم يسقط شهوتها للكمال
في جميع الاحوال كالسبعي من القتل والجرح والضرب والايذاء والشيطاني كالمكر والخديعة والاغواء والبهيمي
من الاكل والشرب والوقاع مع النساء يحب اي الانسان بالطبع الربوبي الاستعلاء بالاسترقاق العبيد على
وجه الاكثار واستعباد اجساد الاحرار ان امكن الاسترقاق ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف فيهم
بالاستيجار كما في الاجساد الارضية من نحو الكلاء والاغراس والاشجار بالقلع والابقاء والابداء والافناء
وكالدراهم والدنانير والامتعة فيجب ان يكون قادرا عليها يفعل فيها ما يشاء من الرفع والوضع والعطاء
والمنع فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية محبوبة بالطبع والجبلة الخلقية ولذا
احب الاموال وان كان يحتاج اليها في ماكله ومشربه وملبسه وشهوة نفسه ثم بالاستمالة اي بطلب ميل الخلق اليه
ظاهرا وغلبته وباطنا ورغبته كما في القلوب طوعا وكرها ثم بالاطلاع اي الاشراف كما في السموات في نسخة
السماويات اي اخبارها وامورها واسرارها وعالم الملكوت من العرش والكرسي وحولهما من الملائكة وانوارها
والمراد بالملكوت عالم الباطن بما يخطر من الخطرات والعزايم في الحركات والسكنات والحاصل ان مطلوب القلب
الكمال والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور فسرور كل انسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال
فهذا هو السبب في كون العلم والمال والجاه من المحبوبات وهو امر وراء كونه محبوبا لاجل التوصل به الى قضاء الشهوات
فان هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات واللهوات بل يحب الانسان من المعلوم ما لا يصلح للتوصل به الى قضاء
الاغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الاغراض والاعواض ولكن الطبع يتقاضى العلم في جميع العجايب والمشكلات
لان في العلم استعلاء على المعلومات وهو نوع من الكمال الذي هو من الصفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع ولو
كان صاحبه في مقام العبودية والعلاج اي علاج حب الجاه خمسة اشياء العلم بانه اي الجاه الدنيوي
كمال وهو ليس في الواقع كمال حقيقي لزواله بالموت انتهاء ولحدوثه ابتداء ولان القدرة الحقيقية لله تعالى
ازلا وابدا وفيه اي في الجاه الوهمي الصوري التشبه بالسباع والشياطين والبهايم كما تقدم اما الحقيقي
اي كماله معرفته تعالى ومحبته وما يعين عليه اي على كماله من العلم والعمل كما حكم به شريعته وانما يكون هذا
كمالا حقيقيا لبقائه بعد الموت فالكمال الحقيقي ما ينتقل مع صاحبه ولا ينفك عن جانبه وفيه اي وفي هذا الكمال
التشبه بالانبياء والملائكة والصوفية بكمال المعرفة والمحبة الدائمة الباقية فانظر كيف انقلب الجاهلون

الملكوت عالم المختص بالارواح والنفوس تمرقنا

ر... ... العمياء وهم ... اولون واقبلوا على ... الخيال بالجاه والمال وهو الحظ الآتي
لانيسهم من الزوال ... ان ... في الحال فلا بقاء له في المال واعرضوا عن الكمال الحقيقي والمعرفة المسمى علما الذي نسب
واما ... كان ابدا لا انقطاع له لكونه ... فاولئك هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا
يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا
والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا فالعلم والقربة هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالا
في النفس واما المال والجاه فينبغي في الحال والمال كما مثله الله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء
فاختلط به نبات الارض الآية واما الدنيا اي الجهل بها وخساستها اي ودناءة نفسها من كثرة عنائها
وقلة غنائها وخسة شركائها وسرعة فنائها فلله در القائل شعر اشد الغم عندي في سرور تيقن
عنه صاحبه انتقالا والاخر من اهل الفضائل اضغاث احلام وظل زائل ان اللبيب بمثله لا يخدع وما ورد
اي والعلم بما جاء من السنة في ذم الجاه ومدح الخمول على ما تقدم واحوال السلف في ايثار العقبى على مناصب
الدنيا ومعاونة بعضهم لبعض في البر والتقوى فقد كتب الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز اما بعد
فكانك باخر من كتب عليه الموت قد مات فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كائنا وكتب عمر بن عبد
العزيز في جوابه فكانك بالدنيا لم تكن وكانك بالاخرة لم تزل فهؤلاء كان التفاتهم الى العاقبة فكان
عملهم لها بالتقوى اذ علموا ان العاقبة للمتقين واستحقروا المال والجاه في الدنيا وبصائر اكثر الخلق
ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب الاجلة كما قال تعالى بل تؤثرون
الحيوة الدنيا والاخرة خير وابقى وقال تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة ومباشرة
امر بالرفع عطف على العلم اي والعلاج العملي وهو مباشرة فعل يسقط اي جاهه وقدره عن قلوب الخلق واعينهم
ويفارق لذة ويانس بالخمول ويقنع بنظر الخالق وقبوله وهذا طريق الملامية الطالبين للسلامية كشرب
الماء الحلال في قدح يشبه الخمر لونا اي يشبه لونه لون الخمر حتى يظن به انه يشرب الخمر فيسقط من الاعين وهذا في
جوازه نظر من حيث الفقه الا ان ارباب الاحوال ربما يعالجون انفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما راوا اصلاح
واصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد واقبل
الناس عليه فدخل حماما ولبس ثوب غيره وخرج ووقف في الطريق حتى عرفوه واخذوه وضربوه واستردوا
منه الثياب وسموه لص الحمام الا ان يكون متبوعا اي من المقتدين حيث لا يجوز ان يفعل ما لا يكون ظاهره
مشروعا فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين واما الذي لا يقتدى به فلا ينبغي له ايضا ان يقدم على المحظور
لاجل ذلك فيباشر ما يرى مباحا مما يسقط قدره عند الناس كاظهار الشره بفتح الشين اي الحرص في الطعام
كما روي ان بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا واخذ ياكل بشره ويعظم
اللقم فلما نظر اليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني وهذا بالنسبة

الى المتقدمين

الى المتقدمين واما في زماننا حتى عمل بالكتاب والسنة في امره لم يقل احد بقاء في دهره ... وان لا ...
اي في المعالجة القناعة بلزوم الطاعة وعدم الطمع من اهل الاستطاعة والاكتفاء بما لا بد منه من الاشياء
كلقمة يسد جوعته وخرقة يستر عورته وبيت يدفع عنه حره وقره والاعتزال او طلب الغربة والهجرة
الى موضع الخمول وعدم الشهرة اما الاعتزال في الوطن فلا يخلو عن اي عن نوع من الجاه لمعرفة الناس به
فان المعتزل في البلد الذي هو فيه مشهور ولا يخلو في بيته عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب
عزلته فربما يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور وانما سكنت نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها
ولو تغير الناس عليه عما اعتقدوا فيه وذموه جزعت نفسه وتالمت ثم لا يمكنه ان لا يحب المنزلة في قلوب
الناس ما دام يطمع فيهم فاذا احرز قوته من كسب او من جهة اخرى وقطع الطمع عنهم اصبح الناس كلهم عنده
كالاراذل فلا يبالي اكان له منزلة في قلوبهم كما لا يبالي بما في قلوب الذين هم في اقصى المشرق او المغرب لانه لا
يراهم ولا يطمع فيهم ثم لا ينقطع الطمع عنهم الا بالقناعة فمن قنع شبع واستغنى عن غيره ومن هنا ورد لا يكمل ايمان
احدكم حتى يكون الخلق عنده كالاباعر ثم الاولى في باب العلاج كراهية المدح وحب الذم فان معالجة الفساد
انما يكون بالاضداد كما ورد ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف الا من تنزهت نفسه عن الدنيا و
ابغض المدحة واستحب المذمة كذا في الاحياء وقال مخرجه لم اجده هكذا وذكر صاحب الفردوس من حديث انس
ويل لمن لبس الصوف فخالف فعله قوله ولم يخرجه ولده في مسنده ثم المستوية اي تسوية المدح والذم بان
لا تغم المذمة ولا تسره المدحة قال بعض السلف اذا قيل لك نعم الرجل فكان احب اليك ان يقال بئس الرجل
انت فانت والله بئس الرجل وهذا قد يظن بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا به اذ لم يمتحن نفسه في حال السبب ونحوه
اي استواء المدح والمذم بتسوية المادح والذام في اشتغال جلوسهما عنده والفرح بسروره والغم بمصيبتهما
وحزنهما ونحوه من المدح والمنع والعطاء في فعلهما والسعي في قضاء حاجتهما وما ابعد ذلك عن قلوب اكثر العباد
من العلماء والعباد والزهاد فان وجد فهو الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى ومنهم من اذا سمع المدح لم يسر به
ولم يغتم ولكن لم يؤثر فيه هذا العلاج كثيرا وان كان قد بقي عليه بقية من الاخلاص الذي هو سبب الخلاص
من المناص ثم عكس الاول الذي ذكر في الاول وهي اذ يحب المدح ويكره الذم في الضمير ودون اظهار قول وفعل
في وجههما بضرب وشتم او ثناء وعطاء ثم اظهارهما اي اظهارهما بالقول والفعل في مقابلة المدح والذم فيقابل
الذام بالشتم والضرب والمادح بالثناء والعطاء وهو حال اكثر الخلق وحب المدح كحب الجاه حرام ان كان
بارتكاب ذنب واباحة ان كان بامر مباح ونفعا اذ كان لدفع شر وضرا ان كان يجلب نفع حرام كما سبق
مفصلا والسبب لحب المدح ثلثة الشعور بكمال النفس اي استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك
فيه ان ترجع الى عقلك الراجح وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها قد صفيتها ام لا فان كنت متصفا
بها فهي اما ان تكون صفة يستحق بها المدح كالعلم والورع فينبغي ان لا يفرح بها لان الخاتمة غير معلومة والصفة

كراهية المدح وحب الذم

لا يستحق المادح كالمال والجاه فالفرح بهما كالفرح بنبات الارض مما تذروه الرياح ولا ينبغي ان يفرح الانسان
بعروض الدنيا وان فرح فلا ينبغي ان يفرح بمدح المادح بها بل بوجدها فالمدح ليس هو سبب وجودها
وشهودها فلا يجب ان يفرح بل بسبب وجودها هو الله سبحانه فهو مستحق الحمد والثناء تبارك وتعالى ومن قوله
عز وجل قل بفضل الله وبرحمته وبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وان الصفة التي مدحت بها وفرحت
بسببها انت خال عنها فهو فرحك بعدم غاية الجنون عند اهل الفنون اذ مثال ذلك من يهزء به انسان ويقول
سبحان الله ما اكثر العطر الذي في احشائك وما اطيب المسك الذي في اعضائك وانت تعرف نفسك
بكثرة الاقذار والنتن في اثوابك واجزائك والاستيلاء على المادح فان المدح يدل على استيحاء قلب المادح
واستمالة قلوب السامعين فهذا يرجع الى حب الجاه وعلاجه بقطع الطمع وطلب المنزلة عند الله فيقوى
اي حب المدح اذا حصل من المعتبر اكثر واظهر علما وعملا من غيره والمرتفع قدره في الجاه والمال وفي نسخة المرتفع
اي من اهل التصدر في المجالس والمحافل وان لم يكن من ذوي الفضائل وفي الملاء اقوى من الخلاء وقيل حظ
للممدوح ولذا قال عليه السلام للمادح ويحك قطعت ظهره لو سمعك ما افلح الى يوم القيمة والعلاج اي علاج
حب المدح شيئان علاج للجاه اي حبه وتقدم حكمه وعلم اي الممدوح ان الصفة الممدوح بها ان فقدت
ان يكون كذبا فاستهزاء هذا كثير في قصائد الشعراء للاغنياء والامراء وقد ورد اذا رايتم المداحين
فاحثوا في وجوههم التراب وهو كناية عن الخيبة او ايماء الى دفع شرهم بباب من الابواب وسبب من الاسباب
من اعطاء الدراهم والدنانير والثياب فقد ورد ما وقي به العرض فهو صدقة وان وجدت اي تلك
الصفة بان يكون صادقا في قوله فالدنيوية من المال والجاه كمال وهمي والدينية من العلم والعمل موقوف
على الخاتمة اي حسنها وهي غير معلومة فانما الاعمال بالخواتيم كما ورد ولا ولى في علاج حب الجاه اظهار
البغض للمادح قطعا للفتنة ومن هنا كان الصحابة على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب
من السرور بمدحه وما يتفرع عليه من خطره حتى ان بعض الخلفاء الراشدين سال رجلا عن شيء فقال يا امير
المؤمنين انت خير مني واعلم فغضب فقال اني لم آمرك ان تزكيني وقيل لبعض الصحابة لن يزال الناس
بخير ما ابقاك الله فيهم فغضب فقال اني لاحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك
تقرب الي بمقتك فاشهدك على مقته وانما كرهوا المدح خيفة ان يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند
الخالق فكان اشتغال قلوبهم باحوالهم عند الله يبغض اليهم مدح الخلايق لان الممدوح على الحقيقة هو
المقرب عند الله تعالى والمذموم على الحقيقة هو المبعد عن الله الملقى في النار مع الاشرار في دار البوار فهذا
الممدوح ان كان عند الله من اهل النار فما اعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من اهل الجنة فلا ينبغي
ان يفرح الا بفضل الله وبرحمته وليس امره بيد الخلق ومهما علم ان الآجال والارزاق بيد الله قل التفاته
الى مدح الخلق وذمه من سواه وسقط من قلبه حب مدحه واشتغل بما يهمه من امر دينه وحب دنياه وسبب

كراهة

كراهة الذم النقائص المذكورة اي الآفات المسطورة في حب المدح من الشعور بكمال النفس واستيلاء الفرح واستمالة
قلوب السامعين والعلاج لكراهة الذم علم ان الصفة المذموم بها ان وجدت فيك سواء قصد القائل به النصيحة
او النقمة والفضيحة بشيء من العيوب وهو الملا لاهل القلوب وفيه الفرح بالاطلاع على الصفة الذميمة والتشغل بالازالة
اي بازالة الصفة المذمومة عن نفسه اذ قدرت عليها ليس للكراهة بحال اذ بها فعن عمر رضي الله عنه رحم الله من اهدى الي
عيوب نفسي وان فقدت تلك الصفة بان يكون القائل كاذبا في المذمة فكفارة الذنوب اي لبقية مساويك فكانه
رماك بعيب انت بريء منه وطهرك عن عيوب انت ملوث بها وفيه الشكر لله تعالى اذ لم يطلعه على عيوبك ودفع عنك بذكر
ما انت بريء منه وما ستر الله من عيوبك الكثيرة فتدبره والترحم عليه اي على الذام حيث اهلك نفسه بذمك فالمسكين
جني على دينه حتى سقط من عين ربه واهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقاب الاليم يوم جزائه فلا ينبغي ان يغضب
عليه مع غضب الله لديه ويقول اللهم اهلكه ونحوه فيشمت الشيطان بك وبه بل ينبغي لك ان يقول دعما للشيطان
وحزبه اللهم اصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه اللهم اهده وورد في دلائل النبوة للبيهقي اللهم اهد قومي
فانهم لا يعلمون دعاء النبي عليه السلام لقوم من كفار قريش كسروا سنه عليه السلام اي رباعيته وشجوا راسه وذلك باحد
ودعا ابراهيم بن ادهم لمن شج راسه بالمغفرة فقيل له في ذلك فقال اعلم اني ماجور بسببه فلا ارضى ان يكون هو معاقبا
بسببي ومما يهون عليك كراهة المذمة قطع الطمع فان من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم اثر ذلك في قلبك
واصل الدين القناعة بما اعطاه الله من الحال وبها ينقطع الطمع عن الجاه والمال واما ما دام الطمع قائما فكان
حب المدح والجاه يغلب في قلب من طمعت فيه دائما الباب الثاني عشر في التواضع وذكر المنة اي
في مدحها وذم ضدهما وهو الكبر والعجب بسم الله الرحمن الرحيم و

الذي يتواضع له العرش الكريم وورد في الحلية لابي نعيم عن ابي هريرة من تواضع لله رفعه الله ومن
من تكبر على الله وضعه وللبيهقي في الشعب عن ابن عباس اذا تواضع العبد رفعه الى السماء السابعة و
للاصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث انس ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة ولمسلم في اثناء حديث
لابي هريرة وما تواضع احد لله الا رفعه الله ولاحمد والبيهقي في الشعب باسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمر
ومن كان في قلبه مثقال حبة من كبر اكبه الله في النار على وجهه وللترمذي وحسنه من حديث سلمة بن الاكوع لا يزال
العبد يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما اصابهم وللترمذي من حديث اسماء بنت عميس بئس العبد
عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد سها ولها
ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتى وبغى ونسي المبدأ والمنتهى ورواه الحاكم في مستدركه وصححه
الشرف التواضع ولابن ابي الدنيا الكرم التقوى والشرف التواضع والتقى الغنى وعن عروة بن الورد
التواضع احد مصائد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها الا التواضع وقال الفضيل التواضع ان تخضع
للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته منه ولو سمعته من اجهل الناس قبلته وعن ابن المبارك التواضع ان تضع

وصنيعه عند كون ه ونك في نعم الدنيا حتى تعلم انه ليس عليك بدنياك فضل وان ترفع نفسك على من هو دونك
في الدنيا حتى تعلم انه ليس له بدنياه عليك فضل وقال قتادة من اعطي مالا او جمالا او ثناء او علما
ثم لم يتواضع فيه كان عليه يوم القيمة وبالا وضده التكبر وهو اتباع الكبر واظهاره كما ان التواضع اتباع
الصنعة واظهار المسكنة بان يرى نفسه دون غيره في صفة الكمال فمن تكبر على امثاله فهو متكبر في حاله
ومن تأخر عنهم فهو متواضع في مقام كماله وهو اي الكبر اي يرى نفسه فوق غيره في صفة الكمال فيحصل به
نفخة اي انتفاخ الكبر في نفسه وعن ابن عباس في قوله تعالى ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه فقال عظمة
لم يبلغوها وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر وعن ثابت
بلغنا انه قيل يا رسول الله ما اعظم كبر فلان فقال اليس بعده الموت البيهقي في الشعب هكذا مرسلا وتردد
ان خرج يونس وايوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن التواضع ان تخرج من منزلك فلا ترى
مسلما الا رايت له عليك فضلا وقال الجنيد التواضع عند اهل التوحيد تكبر وفي الاحياء لعل مراده ان
المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يضعها او يرفعها وورد اعوذ
بك من نفخة الكبر رواه ابو داود وابن ماجه من حديث جبير بن مطعم ونحوه اعوذ بالله من الشيطان من نفخه
ونفثه وهمزه ففسر نفخه الكبر ونفثه الشعر او السحر وهمزه الوسوسة في السر واثاره اي علاماته ثلثة
عشر الترفع في المجلس على الاقران اي من غير استحقاق له به والتقدم في الطرق على الاخوان مع استحقاقهم
به قال ابو الدرداء رضي لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشى خلفه وكان عبد الرحمن بن عوف
لا يعرف من عبيده اذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة ومشى قوم خلف الحسن البصري فمنعهم وقال
ما يبقي هذا من قلب العبد وكان عم في بعض الاوقات يمشي مع الاصحاب فيامرهم بالتقدم ويمشي في الغمار اما
لتعليم غيره واما لنفي وسواس الشيطان بالكبر والعجب كما انتزع الثوب الجديد في الصلوة ولبس الخليع لاحد
هذين المعنيين كذا في الاحياء والمراد نزع الشراك الجديد ورد الشراك الخلق ونزع الخميصة ولبس الانبجانية
كما تقدم والله اعلم وللديلمي في مسند الفردوس من حديث ابي امامة بسند ضعيف جدا انه خرج يمشي
الى البقيع فتبعه اصحابه فوقف وامرهم ان يتقدموا ومشى خلفهم وسئل عن ذلك فقال اني سمعت خفق نعالكم
فاشفقت ان يقع في نفسي شيء من الكبر والنظر الى الغير بالمآقي اي بطرف العين تكبرا وتجبرا قال تعالى يعلم خائنة
الاعين وما تخفي الصدور وعين الاحتقار بان يستنكف عن جلوس غيره بالقرب منه الا ان يجلس بين يديه
فعن ابي وهب جلست الى عبد العزيز بن ابي رواد فمس فخذي فخذه فنحيت نفسي عنه فاخذ بثوبي فجرني الى نفسه
وقال لم تفعلون بي ما تفعلون بالجبابرة اني لا اعرف منكم رجلا شرا مني وقال انس كانت الوليدة من ولائد
المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عم فلا ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت وقد تقدم تخريجه
ومن ذلك ان يتوقى مجالسة المرضى والمعلولين ومن هم يتحاشى فكان ابن عمر لا يجلس عن طعامه مجذوما ولا ابرص ولا مبتلى

الا اقعدهم على مائدته وقد ثبت اكله عم مع مجذوم وقال له كل باسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه رواه ابو داود والترمذي
وابن ماجه من حديث جابر وتعويج العنق مع تحريك الاطراف واطراف الراس فروي ان عمر بن عبد العزيز حج
قبل ان يستخلف فنظر اليه طاوس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه باصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خرء
فقال عمر كالمعتذر يا عم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها وعن الحسن ان في كل عضو من الاعضا
لله نعمة وللشيطان به لعنة وراى محمد بن واسع ولده يمشي يختال فدعاه فقال اتدري من انت امك اشتريتها
بمائتي درهم واما ابوك فلا اكثر الله في المسلمين مثله ولاحمد والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب من
حديث ابن عمر من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان ولعله مقتبس من قوله تعالى ان الله لا يحب
من كان مختالا فخورا ومن قوله ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا وفي الصحيحين
من حديث ابي هريرة لا ينظر الله الى من جر ازاره بطرا وفي لفظ لمسلم خيلاء والاتكاء اي الميل الى احد جوانبه مخصوص
اقاربه واجانبه من غير ضرورة وعارضة في بابه وكذا حكم التربع المشير الى الترفع وقيام الناس بين يديه تجاه
اي في الحضر او الاثر اي من قعد والناس بين يديه اي واقفون بامره فهو من اهل النار والحديث معروف بلفظ
من احب ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار احمد وابو داود والترمذي عن معاوية وفي الشمائل
للترمذي عن انس لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عم وكانوا اذا راوه لم يقوموا له لما يعلمون
من كراهيته لذلك وقال الفضيل من احب الرياسة لم يفلح ابدا وقال الفضيل من احب الرياسة لم يفلح ابدا
وقال الشبلي من راى لنفسه قيمة فليس له من التواضع حصة والتحقيق ان من راى انه خير من اخيه واحتقر اخاه
وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار ورد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق وانف من ان
يخضع لله ويتواضع له بطاعته واتباع رسله فقد تكبر بينه وبين الخلق والمشي اي الخروج راكبا والمشاة
بين يديه وترك الخروج من منزله ولو الى المنزل الى المسجد للجمعة والجماعات الا بشخص واشخاص عقبيه وكان عم
يمشي بين الجمع غير متقدم كما تقدم وعمل البيت اي وتركه وهو خلاف التواضع ومخالف لفعله عم ففي مسند احمد
عن عائشة رضي انه عم كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم وللبيهقي في الشعب من
حديث ابي هريرة من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر وبالجملة فجامع حسن الاخلاق يوجد في سيرته
عم واتباعه من اصحابه الكرام ولما عوتب عمر في بذاذة هيئته عند دخول الشام قال انا قوم اعزنا الله بالاسلام
فلا نطلب العز من غيره وحمل السلعة اي وتركه وتركه ومن حملها اي سلعته وفي رواية بضاعته فقد برئ من الكبر
البيهقي عن ابي امامة ولابي يعلى الموصلي عن ابي هريرة انه عم حمل سراويل اشتراه لنفسه واباه ان يحمله غيره
وقال صاحب المتاع احق بحمله وعن علي كرم الله وجهه شعر لا ينقص الكامل من كماله ما جر من شيء الى عياله وكان
عبيدة بن الجراح وهو امير يحمل سطلا له من خشب الى الحمام وقال ثابت بن مالك رايت ابا هريرة اقبل من السوق
ويحمل حزمة من حطب وهو يومئذ خليفة المروان فقال اوسع الطريق للامير يا ابن مالك وعن الاصبغ بن نباتة

السطل الظرف والسيطل مثله ... [illegible]

قال كان لابي عمر معلقا الحمايل بيده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الاسواق حتى دخل رحله وقال
رايت عليا يشتري لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له احمله عنك يا امير المؤمنين فقال لا ابو العيال
احق ان يحمل وروي ان عبد الله بن سلام حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان في غلمانك
وبنيك ما يكفونك فقال اجل ولكني اردت ان اجرب نفسي هل تنكر ذلك مني فلم تقنع منها بما اعطيت من العزيمة
على ترك الانفة حتى جربها هل هي صادقة ام كاذبة وروي ان عمر بن الخطاب حمل قربة على عنقه فقال له اصحابه
يا امير المؤمنين ما حملك على هذا فقال ان نفسي اعجبتني فاردت ان اذلها وروي ان ابا كريب قيل له ان
اقواما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فليس عباءة صلى فيها بالناس واحتمال الاذى اي وتركه فهو
اي احتمال الاذى من السب وغيره هو الاصل الذي عليه مدار حسن الخلق والتواضع للحق الماثور المروي
عن السلف والخلف خلافا فلا كلمه الحشيش والعلف وقد قدمنا ما نقل عنهم في ذم الغضب وما يتعلق به من
الادب ولباس الدون اي وترك اللباس الحسن او الخلق او المرقع ورد من ترك زينة لله ووضع
ثيابا حسنة اي مع قدرته عليها تواضعا وابتغاء وجه الله لا للرياء والسمعة في حقه كان على الله
اي واجبا بمقتضى وعده ان يدخره له عبقري الجنة اي بياجها من سندسها واستبرقها ابو سعيد الماليني
في مسند الصوفية وابو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس من ترك زينة الدنيا ام الحديث وقد ورد البذاذة
من الايمان ابو داود وابن ماجه من حديث ابي امامة بن ثعلبة وقال هرون سالت عن معنى البذاذة فقيل
هو الدون من اللباس وقال زيد بن وهب رايت عمر بن الخطاب خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه
ازار فيه اربعة عشر رقعة بعضها من ادم اي جلده وعوتب علي في ازار له مرقوع فقال يقتدي المؤمن و
يخشع له القلب وقال عيسى عم جودة الثياب خيلاء القلب وقال طاوس اني لاغسل ثوبي
هذين فانكر قلبي ما داما نقيين وقيل لسلمان الا تلبس ثوبا جيدا فقال انما انا عبد فاذا اعتقت يوما
لبست اشار به الى العتق في الاخرة وما اعد الله لعبيده من الثياب الفاخرة ونزع عليه الجديد اي من الترك
والخيصة ولبس العتيق منهما الى التعليم اي لتعليم غيره والبعد عن الوسوسة في نفسه على ما تقدم الا النظافة
اي لقصدها فانه لا باس بترك الدون من اللباس ولبس الثوب الفاخر كسائر الناس وورد في
الكبر حسن الثياب لمعرفة حال السائل اي لمعرفته عم لحال السائل ومقام من المرام في الطبراني من حديث ثابت بن قيس
بن شماس انه سال النبي عم وقال اني امرؤ قد حبب الي من الجمال ما ترى فهل من الكبر فقال لا ولكن من سفه الحق اي
جهله وانكره وغمض الناس اي حقرهم رواه احمد من حديث عقبة بن عامر وفي رواية مسلم عن ابن مسعود الكبر
من بطر الحق وغمط الناس وفي رواية الترمذي من بطر الحق وغمض الناس وقال حسن صحيح وفي رواية ابن
بكار عن ابن مسعود قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عم فقال انه ليعجبني ان يكون ثوبي غسيلا وراسي
دهينا وشراك نعلي جديدا وذكر اشياء حتى ذكر علاقة سوطه افمن الكبر هذا فقال عم لا هذا من الجمال

والله يحب

البطر الطغيان عند النعمة وطول الغنى وسفه الحديث الكبر بطر الحق هو ان يجعل ما جعله الله حقا من توحيده وعبادته باطلا وقيل هو ان يتجبر عند الحق فلا يراه حقا وقيل هو ان يتكبر عن الحق فلا يقبله نهاية

الكبر ان تسفه الناس وتغمط الناس وبالاحتقار وبقيل الغمض يقال غمط يغمط وسفه الحديث الغمط الاستهانة وغمط الناس اي البغي وفعل من سفه وغمط انما ذلك من سفه الحق نهاية

والله يحب الجمال لكن الكبر من سفه الحق وظلم الناس ويعرف اي حال من يلبس النظافة او لكونه مظهر الغني شكرا
لنعمة او لكونه فقيرا يريد نفي اغنياء للفقه بتسوية الخلا والملا عنده في لباس النظافة ونحوها بان يلبس
في الخلاء الصلوة وغيرها كما يلبس في الملا بمحضر الجماعة ونحوها من المحبوب الوسط المطلوب فللنسائي
وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير اسراف
ولا مخيلة والغضب بالرفع عطف على الترفع اي ومن اثار الكبر الغضب على من لا يبدا بالسلام او يبادر
بالقيام ونحوه من انواع الاكرام والاهتمام بالرفع اي والاغتمام باصابة الخصم الناظر اي المجادل في
منقوله والانكار عليه اي وبانكار الخصم عليه في معقوله وتوضيحه ان من يناظر في مسئلة مع واحد من
اقرانه فان ظهر شيء من الحق على لسانه ضاق ليثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له على
تنبيهه وتعريفه واخراجه للحق فذلك يدل على ان فيه كبرا دفينا فليتق الله وليشتغل بعلاجه اما من حيث
العلم فبان يذكر نفسه خبث نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا بالله تعالى واما بالعمل فبان يكلف نفسه
ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق فيطلق لسانه بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالعجز في الاداء ويشكره على الاستفادة
ويقول له احسن ما فطنت له من الافادة وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا على ما نبهتني له فالحكم
ضالة المؤمن فاذا وجدها ينبغي ان يشكر من دل عليها وافته اي الكبر منازعته تعالى اي
مشاركته سبحانه في بعض صفاته ورد في صحيح مسلم وغيره الكبرياء ردائي اي بمنزلته في اظهار ملكي وجبروتي
والعظمة ازاري اي بمنزلته في اسرار ملكوتي والمعنى انهما صفتان مختصتان بي كما ان رداء الانسان
وازاره مختصان به ولا يشاركه احد في لبسهما فمن نازعني فيهما اي واحدا منهما كما في رواية قصمته تعالى اي
له في الدنيا والاخرة ورد في التنزيل انه لا يحب المستكبرين اي كيف وهو انه يحب المتواضعين وعمى القلب
بمعرفة الرب ورد في التنزيل ساصرف عن اياتي اي المنصوبة في الافاق والانفس مصنوعا وقيل
في التفسير سادفع فهم القران عن قلوبهم الذين يتكبرون تمامه في الارض بغير الحق وان يروا كل اية
لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا وفي بعض
التفاسير سا حجب قلوبهم عن مشاهدة ملكي وملكوتي وعجايب قدرتي وغرايب حكمتي وقال ابن جريج
ساصرفهم عن ان يتفكروا فيها ويعتبروا بها ولذا قال عيسى عم ان الزرع ينبت في السهل لا في الوعر و
كذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع دون المتكبر الا ترى ان من يشمخ براسه السقف شجه ومن تطاطا
اظله واكنه ويطبع الله على كل قلب متكبر بالاضافة ودونها جبار ومبالغة في الفساد من قهر العباد
وكسر البلاد والذل اي المذلة في العاقبة والمهانة في الاخرة فللترمذي وحسنه من رواية عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده ويحشر المتكبرون يوم القيمة في صورة الذر يطؤهم لهوانهم على الله وعن حاتم
اجتنب الموت على ثلثة على الكبر والحرص والخيلاء فان المتكبر لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يريه

الهوان من اذ زل عمله وخدم والحريص لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يخرجه الى الكرة او سهوه ولا يجد
مساغا والمختال لا يخرجه الله تعالى حتى يرغمه ببوله وقذره والبعث اى التحريض والحث على الذمايم من صفات
البهايم كتغيير الخلق اى بانكاره وعدم اقراره وقد سبق في الحديث تفسير الكبر المذموم ومنه البعد عن اهل الحق
فقد قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نجلس عندك وعليك هؤلاء الفقراء فنزل قوله تعالى ولا تطرد
الذين يدعون ربهم رواه مسلم وابن ماجه والحجب اى والمنع عن الفضائل والحجز عن حسن الشمائل كالتواضع للحق والحلم
عن الخلق والنصيحة للعامة لنزع الفضيحة والامر بالمعروف وكذا النهي عن المنكر ولا يستلزم اى الامر
بالمعروف والتكبر فالعبد الرقيب بامر الحبيب يجرب ولذا لو تولى عند الاساءة ويتواضع لم يعد لك بعد تلك
الحالة ثم التخاسس اى طلب الخسة المشبه بالضعة وهو الافراط في التواضع كتأخر العالم على الخصاف ونحوه من النداف
والعلاف في المجلس او الطريق مذموم ايضا كعكسه وللبغوي وابن قانع والطبراني والبزار من حديث انس طوبى
لمن تواضع في غير مسكنة وانفق مالا جمعه في غير معصية ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة
ومن ذلك حديث من تواضع لغني لغناه ذهب ثلثا دينه البيهقي في الشعب عن ابن مسعود من قوله من خضع لغني
ووضع له نفسه اعظاما له وطمعا فيما قبله ذهب ثلثا دينه وذلك لان اركان العبادة قلب ولسان واركان وفي
تعظيم الغني لا بد من استعمال اللسان والجوارح ولحديث انس بلفظ من اصبح حزينا على الدنيا اصبح ساخطا على
ربه ومن اصبح يشكو مصيبته فانما يشكو ربه ومن دخل على غني فتضعضع له ذهب ثلثا دينه واخرج
الديلمي من حديث ابي ذر لعن الله فقيرا تواضع لغني من اجل ماله من فعل ذلك منهم ذهب ثلثا دينه وكذا ابو داود
ولم يصب ابن الجوزي في ذكره في الموضوعات كما قال السيوطي ومن التخاسس بل الخسة اى مشي العالم خلف
الظالم ولذا قيل بئس الفقير على باب الامير ونعم الامير على باب الفقير وعن يحيى بن معاذ التكبر على ذي
التكبر عليك بماله تواضع ويقال التواضع في الخلق كلهم حسن وفي الاغنياء احسن والتكبر في الخلق كلهم قبيح
وفي الفقراء اقبح وكان بشر الحافي يقول سلموا على ابناء الدنيا بترك السلام فالتواضع مع عدم الاعتقاد
ففي الصديق لا يحقرن احدكم احدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير ولمسلم من حديث ابي هريرة
بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم واظهار البشر وفق مرام والرفق بحسب مقام واجابة الدعوة
وكان عليه السلام يجيب دعوة المملوك ونحو والسعي في الحاجة لقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وحديث
من كان في عون اخيه المؤمن كان الله في عونه فالعدل ان يعطي كل ذي حق حقه فقد ورد اذا اتاكم
كريم قوم فاكرموه لكن التكبر الخفي من التخاسس اذ ورد عن بعض المشايخ ما يقاربه وكانه كان في
مقام المعالجة والسبب اى سبب الكبر الحقيقي العجب فقط اي العجب سبب الكبر والكبر سبب التكبر
فسبب الشيء سبب لذلك الشيء وهو مذموم قال تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ذكر ذلك
الاخبار في معرض الانكار ولابي داود والترمذي وحسنه وابن ماجه اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا

من اشرف الخلق كالشباة الى المستحق والجحد عن الحق صح

العجب

ذ اعجاب

واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك وللبزار والبيهقي في الشعب من حديث انس رضي الله عنه لو لم تذنبوا
لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب العجب وعن مطرف لان ابيت قائما واصبح نادما احب الي من ان
ابيت قائما واصبح معجبا وكان بشر بن منصور من الذين اذا راوا ذكر الله فاطال الصلوة يوما ورجل
جالس خلفه ينظر ففطن له بشر فلما انصرف من الصلوة قال لا يعجبك ما رايت مني فان ابليس قد تعبد
مع الملائكة مدة طويلة ثم صار الى ما صار اليه وقيل لعائشة رضي الله عنها متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن
انه محسن وكانه مقتبس من قوله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وفي الصحيحين بينما رجل يتبختر في
بردية قد اعجبته نفسه خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة ويطلق اي الكبير مجازا اي
بطريق المجاز لوجود اثاره اي اثار الكبر من اراده على المنبعث من غيره اي على الكبر المنبعث من غير
العجب كالحقد في الباطن والحسد ثم والرياء في الظاهر ويختص هذا الاخير وهو الكبر المنبعث من
غير العجب بالملاء دون الخلاء والمعنى ان الرياء يختص بالملاء دون الحقد والحسد والعجب فان
الذي يتكبر بها يستوي عنده الخلاء والملاء والحاصل ان اثار الكبر اذا ظهرت من الكبر يسمى
تكبرا حقيقة واذا ظهرت من غير التكبر كالحقد والحسد والرياء يسمى تكبرا مجازا لا حقيقة لانها
ليست من نتايج الكبر لكن لما كانت صورتها صورة التكبر الحقيقي سميت تكبرا مجازا ثم اعلم ان
العجب انما هو بالاسباب التي بها يتكبر وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالرأي الخطا الذي يزين له بجهله
وثمرته الاستبداد بالرأي وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين لرأيه والعلاج اي علاج
الكبر خمسة اشياء ذكر ما ورد فيه اي في ذم الكبر من الاخبار واحوال السلف الاخيار وما صدر
عنهم من الاثار في ترك الكبر واختيار التواضع ومواظبة اخلاق المتواضعين من العلماء الابرار
والمشايخ الكبار والتكلف فيه اي في دفع العجب بدفع العجب او التكلف في تحصيل اخلاق المتواضعين
بالتشبه في افعالهم والتزين باحوالهم والتصنع باعمالهم فان المجاز قنطرة الحقيقة والرياء قنطرة الاخلاص
ويشير اليه حديث ان لم تبكوا فتباكوا والعلم بالتعلم والحلم بالتحلم وقلع العجب اي استيصاله من اصله
وقطعه من مادة فرعه وفصله من وصله ولا يحصل اصلا فلم لا ينقلع الحقد والرياء والحسد من قلبه
وهو اي العجب استعظام النفس اي عدها عظيمة برؤية قدرها فوق قدر غيرها وخصالها التي
هي النعم فيها جسيمة ووهمه مع الركون اليها اي الى النفس وما صدر منها وما ظهر عليها ونسيان الاضافة
اي نسبة النعم اليه تعالى وهو المنعم بجميع النعم على جميع الامم والامن من الزوال لتوهمه انه من اهل الكمال
فمن راى النعمة منه تعالى ابتداء وفرح بها من حيث انها منه اي من الله تعالى واستوجب عليه حمدا وثناء وخاف
على الزوال اي زوال تلك النعمة انتهاء لا يكون معجبا وان كان مستعظما لها وهو اي العجب غير الادلال
فهو اي الادلال عجب مع رؤية حق النفس عنده تعالى على ظنه ان لها الكمال فلا يدل الا وهو معجب

ربه معجبا لا يكون مدلا اذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء والادلال لا يتم الا مع توقع جزاء . وورد ان صلوة المدل لا ترتفع فوق رأسه وهو كناية عن عدم قبولها والحديث كذا في الاحياء وقال مخرجه لم اجده اصلا وقال قتادة في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تدل بعملك قبل ولا تضحك وانت معترف بذنبك خير من ان تبكي وانت مدل بعملك او بعلمك ويعرف اي الادلال او المدل بالتعجب اي تعجبه عن رد دعائه حال استدعائه في كشف بلائه او استجلاب عطائه بناء على ظن انه من اهل ولائه واستقامة حال موذيه اي ويعرف ايضا بتعجبه عن استقامة اهل ايذائه وغير الكبر اي والعجب ليس عين الكبر بل غيره لكونه اي الكبر اثره اي العجب والاثر غير المؤثر واستدعائه اي ولاستدعائه الكبر المتكبر عليه بخلاف العجب فانه يتصور بغيره حيث لا يستدعي غير المعجب به وهو اي العجب مذموم لما تقدم وافاته اي العجب ثمانية الهلاك فهو اي العجب عد من المهلكات فقد ورد ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه البزار والبيهقي والطبراني في الاوسط عن ابن عمر ونسيان الذنوب فانه لو ذكرها لما اعجب مع وجود العيوب وعن عيسى عم كم من سراج قد اطفاه نسيان ذنب وكم من عمل قد افسده العجب واستصغارها اي استصغار الذنوب وهو قد عد من كبارها وترك التدارك اي لما فات من العبادات والطاعات وحقوق الادميين والحيوانات وتفقد افات العمل اي وترك تفقدها وتعهدها على زعم انه معفور اي بناء على توهم انه غير ماخوذ بنقصها والامن من مكره تعالى ولو بالكرامات وخوارق العادات فانه لا يامن من مكر الله الا القوم الخاسرون والاستنكاف اي العار من التعلم عن الابرار وهذا من كمال جهله والانتعاظ اي ومن الاتعاظ بغيره وقد ورد كفى بالموت واعظا والسعيد من وعظ بغيره والشقي من وعظ به غيره وتزكية النفس اي ومن افات العجب ثناؤها ومدحها وورد في التنزيل فلا تزكوا انفسكم تمامه هو اعلم بمن اتقى وقال تعالى ونفس وما سويها فالهمها فجورها وتقويها قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها وقال عم اللهم آت نفسي تقويها وزكها انت خير من زكيها انت وليها ومولها قال ابن جريج يعني قوله لا تزكوا انفسكم اذا عملت خيرا فلا تقل عملت وقال زيد بن اسلم لا تبروها اي لا تشهدوا لها بالبرارة وهو معنى العجب وضده مبتدأ اي ضد العجب وهو ذكر توفيقه تعالى جملة معترضة مفسرة للمنة التي هي ضد العجب فرض اي ختم لازم ان حدث داعية العجب في خاطره والافضل في امر باطنه وظاهره و السبب اي سبب العجب خبث الطبع وهو اي خبث الطبع داء معنوي معضل اي مشكل الدواء لم والجهل بالحقايق واعتقاد كمال النفس اي بحقايق النفس ودنايتها وهو انها من اي شئ خلقت ابتداء وما تكون في عاقبة امرها انتهاء . فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة عرف انه اذل من كل ذليل واقل من كل قليل وانه لا يليق الا التواضع والمسكنة واذا عرف ربه علم انه لا يليق العظمة والكبرياء الا بالله وحده ثم معرفة ربه و عظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو الى علم المكاشفة يؤول واما معرفة نفسه فيكفيه ان يعرف معنى اية

واحدة

واحدة في كتاب ربه ففيه علم الاولين والاخرين لمن فتح بصيرته ودع جوابه فلا يفصل قال تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره وفي الاحياء هنا كلام طويل فيه تنبيه جزيل والعلاج للعجب قلع السبب له بالنظر اي بالتأمل في حقارة النفس وخساستها فاولها النطفة اي المذكورة كما قال تعالى فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ولحوقها الجيفة اي القذرة وهو فيما بينهما العذرة وعن الحسن العجب لابن ادم يغسل الخراء بيده كل يوم مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات وكان الاحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما وقعد الاحنف فزحمه بعض الزحمة فراى اثر ذلك في وجهه فقال عجبا لابن ادم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين وقيل في قوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون هو سبيل الغائط والبول وفي قوله تعالى كانا ياكلان الطعام ايماء الى انهما يبولان ويتغوطان انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يؤفكون اي يصرفون عن الحق ولا يعرفون انهما لا يستحقان الربوبية مع ما ظهر منهما من اثار العبودية ولابن ماجه والحاكم وصحح اسناده من حديث بسر بن جحاش ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بصق يوما على كفه ووضع اصبعه عليها وقال يقول الله ابن ادم تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق وانى اوان الصدقة ملخصا ويروى ان مطرف بن عبد الله بن الشخير راى المهلب بن ابي صفرة وهو يتبختر في جبة خز فقال يا ابا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب اما تعرفني فقال بلى اعرفك اولك نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة وتحمل بين ذلك عذرة فمضى المهلب وترك مشيته وقال مجاهد في قوله تعالى ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر ثم قال عز وعلا ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى واية اي وبالنظر في انه لو اساء ذنب للمدخول على امير البلدة ربما لا يؤذن له اي لحقارته عنده فاي فائدة في تعجبه بنفسه والامير من اذل الخدام على باب الملك العلام وقد اذن الله تعالى بسقمه حتى تعبده لديه ويمشي عليه ويتوجه اليه ويرضى بركعته مع معايبهما وعد من الثواب الجزيل على ادائهما اقل مراتبهما واحوالها اي وبالنظر في احوال النفس الناجمة اي الاتية بغتة بالورود عليها والوجود لديها كالمحن والشدايد المتوجهة اليها من الفقر والمرض وسائر المحن فربما يتعجب من تفاوت المراتب اذ رزق الله عاقلا وافقره وافاض على غيره المال مع كونه جاهلا وافقده فيقول ينبغي كيف يوتي وانا الفاضل العاقل وافاض على غيري وهو الجاهل الغافل حتى يكاد يرى هذا ظلما كما يشير اليه قوله عم كاد الفقر ان يكون كفرا ولا يدري المغرور لعلمه المعذور في جهله بانه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان بالظلم اشبه في ظاهر الحال اذ يقول الجاهل العاجز الفقير يا رب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتني منهما فهلا جمعتهما لي او هلا رزقتني احدهما والى هذا اشار علي رض حيث قيل له ما بال العقلاء

بين تعالى ان تعطى الرجال محسوب عليه من رزقه والعجب ان العاقل الفقير ربما راي الجاهل الغني احسن حالا من نفسه
ولو قبل لم هل تؤثر جهله وغناه عوضا من عقلك وفقرك لامتنع من ذلك ومن هنا قال تعالى نحن قسمنا بينهم
معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات الاية وقال عز وعلا كل حزب بما لديهم فرحون
وفي الحديث اللهم قنعني بما رزقتني ولله در القائل رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللاعداء مال فان المال
يفني عن قريب وان العلم يبقى لا يزال وقال تعالى كلا نمد هؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء
ربك محظورا اي ممنوعا عن احد من خلقه وقال ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان
بعباده خبيرا بصيرا فيعلم من يصلح للفقر ومن يصلح للغنى ومن يصلح للجمع بينهما وقد راى النبي عم
رجلا غنيا جلس بجنبه فقير فانقبض منه وجمع اليه ثيابه فقال عم اخشيت ان يعدو عليك فقره رواه احمد
وقال ابو ذر كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا ابا ذر ارفع راسك فرفعت راسي
فاذا رجل عليه ثياب جياد ثم قال ارفع راسك فرفعت راسي فاذا رجل عليه خلقان فقال يا ابا ذر
هذا خير عند الله من قراب الارض مثل هذا رواه ابن حبان في صحيحه واعمالها اي وبالنظر في اعمال النفس
اي من اعمالها واحمالها فاجرة اجير يعمل طول النهار ويحرس ذلك الاجر طول الليل درهما اي لذلك
الاجير او لكل منهما اذ يعلم به ان اعمال العباد انما صارت ذات قيمة لما وقع من الله في موقع الرضاء و
القبول والا فاجرة اجر الاجير المعمول وبه يعرف نقصان كمالها فيضعف في بعض دلالها وانما يعطي
المال الخسيس بالاستخدام على الدوام في العمل النفيس والالقاء في الاخطار كالغوص في الماء وتعليق
البناء من جانب الهواء في جو السماء وانت تصلي ركعتين في غمضة العين بقوة ما اعطاك الله من النعم
الظاهرة والباطنة وتطمع ما وعدك من الدرجات الفاخرة في الدار الاخرة فتعجب منهما وتستعظمها
وليس هذا شان العاقل وكرمه تعالى اي وبالنظر الى كرمه ولطفه تعالى بالتوفيق الاعانة على الطاعة والعبادة
ووعده اي وبوعده سبحانه الثواب المخلد اي المؤبد ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر كما ورد في الخبر على ساعة من العمل المعيوب في حد ذاته المخلوط بسائر سيئاته والنظر اي كرمه
بنظره اليه واقباله عليه وهو حقير ذليل في مقداره مع جلاله اي عظمة الله في جماله الذي عجز العالمون
من الانبياء والاولياء عن ادراكه اي ادراك كنه كماله ومعرفته عطف على النظر اي وبعلم ان الكمال الدنيوي
من النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار من الرجال وهي تزول بالموت في ما لم كما سبق
في حب الجاه والديني من العلم النافع والعمل الصالح ينافيه اي العجب فالعمل النافع في الدنيا والاخرى
ما يزيد خوفا منه تعالى كما قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وورد انا اعلمكم بالله واخشاكم
منه ومن لم يزد من العلم زهدا لم يزدد من الله الا بعدا ولا عبرة لغيره اي لغير العلم النافع فقد تعوذ
منه عم حيث قال اسئلك علما نافعا واعوذ بك من علم لا ينفع واعلم ان العلم هو معرفة العبودية والربوبية

فاما ماوراء

فاما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والنحو والشعر وفضل الخطاب وطريق المجادلات فاذا
تجرد الانسان لها حتى امتلأ بها كبرا وشقاقا بل كفرا ونفاقا وهذه العلوم تسمى صناعات اولى من
ان تسمى علوما ولا عمل موجود دونه اي بدون العلم فهو اي العلم شرط اي العمل صحة وكمالا فلا يستقيم
لغيره في جميع امره هذا الكلام فصح اواحفظ هذا ولا يصلح النسب اي المجرد عن الحسب التعويل
اي الاعتماد عليه والاستناد اليه فهو تعزز بالغير اي بغيره سبحانه فروي من تعزز بالعبيد اذله الله وللابي
داود والترمذي وحسنه وابن حبان من حديث ابي هريرة ليدعن قوم الفخر باباءهم وقد صاروا فحما في
جهنم او ليكونن اهون على الله من الجعلان الذي تدوف بانفها القذر وتفاخرت قريش عند
سلمان يوما فقال لكني خلقت من نطفة قذرة ثم اعود جيفة منتنة ثم اتي الى الميزان فان ثقل فانا
كريم وان خف فانا لئيم وروي ابن المبارك عن ابي ذر قال قاولت رجلا عند النبي عم فقلت
له يا ابن السوداء فقال عم يا ابا ذر طف الصاع اعيرته بامه ليس لابن بيضاء على ابن سوداء فضل
قال ابو ذر فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدي ولله در القائل شعر لئن فخرت
باباء ذوي شرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا وورد في التنزيل فلا انساب بينهم يومئذ
ولا يتساءلون حين نقلت من ازينه الايات يا فاطمة بنت محمد ويا صفية بنت عبد المطلب اعملا
لانفسكما فاني لا اغني اي لا ادفع عنكما شيئا اي من العذاب حين خاطبهما حين نزل قوله تعالى وانذر
عشيرتك الاقربين ففي الصحيحين من حديث ابي هريرة وفي مسلم من حديث عائشة لما نزل قوله تعالى وانذر
عشيرتك الاقربين ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة الحديث وفيه الا ان لكما رحما سابلها
ببلالها وللطبراني من حديث عمران بن حصين يا معشر بني هاشم لا يأت الناس بالاعمال يوم القيمة وتاتون
بالدنيا تحملونها على رقابكم وقال اترجوها بنو عبد المطلب الطبراني في الاوسط من حديث عبد الله
بن جعفر ولا الجمال اي ولا يصلح التعويل للجمال الظاهر المتغير في المال فالاعتبار للباطن والقلب من
الكمال وهما مملوان بالاقذار الحسية والرذائل المعنوية خاليان عن الفضائل العلمية والفواضل
العملية والدينية والقضائح مر نوعها فان العلم النسيان وافة الجمال الخيلاء ولا المال لانه سريع
الزوال ولا القوة اذ لا حول ولا قوة الا بالله ثم لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت
انفه او نملة لو دخلت اذنه لقتلته وان شوكة لو دخلت رجله لاعجزته وان حمي يوما تأخذ بقوة
عديدة ما لا يجبر في مدة مديدة ثم ان اقوي انسان لا يكون اقوي من حيوان فاي افتخار بين ارباب
العظائم بما سبق به البهائم وقد حكى الله عن قوم عاد اذ قالوا اشد منا قوة اولم يروا ان الله
الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وكما اتكل عوج على قوته واعجب بها فاقتلع جبلا ليطبقه على عسكر
موسى عم فثقب الله تلك القطعة من الجبل حتى صارت في عنقه كالطوق وقد ورد ليس الشديد

بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب والحاصل ان القوة المحمودة هي التي تصرف في العبادة
التي هي وسيلة للسعادة وقلة الاتباع اي الاشياع المتكثر بين الاتباع قد زيد في التنزيل حتى
اذا فرحوا اي فرح بطر بما اوتوا اي من كثرة المال وقوة الحال وغلبة الرجال اخذناهم بغتة اي
فجاءة الاية فاذا هم مبلسون اي ايسون متحيرون وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين
فقال لصاحبه وهو يحاوره او يخاطبه ويناظره الاية انا اكثر منك مالا واعز نفرا حتى
اجابه صاحبه بقوله ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل
عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا ومن ذلك
تكبر قارون ونحوه كما اخبره سبحانه عنه بقوله فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة
الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون الاية يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه الاية اي وصاحبته
وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه ولا العمل اي المجرد عن قبول قد ورد في التنزيل وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا وافمن زين له سوء عمله فراه حسنا وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم
سيئات ما عملوا وبالجملة من جوز ان يكون شقيا عند الله فمحال ان يتكبر على من سواه يشير
اليه قوله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون اي يؤتون الطاعات ويخافون
من عدم قبولها فالكبر دليل الامن والامن مبعد والتواضع دليل الخوف وهو مسعد ولا العلم
المجرد من العمل الظاهر والباطن فالاطلاع على الذنوب الباطنة صعب والخلاص عنها بعد
الاطلاع عليها لا يمكن الا اذا كان هناك كسب ووهب ومن هنا ورد اشد الناس عذابا عالم
لم ينفعه الله بعلمه وقد تقدم وفي الصحيحين يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في النار فيندلق
اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر
بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر واتيه وقد مثل الله تعالى العالم الذي لا يعمل بالحمار والكلب فقال
مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا وقال في بلعام بن باعورا
واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا الى قوله فمثله كمثل الكلب قال ابن عباس اوتي بلعام كتابا
فاخلد الى الشهوات الارض اي سكن حب اليها فمثله بالكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث
اي سواء اتيته الحكمة او لم اوته فلا يدع شهوته ومن هنا كان بعض الصحابة يقول يا ليتني لم تلدني
ويأخذ الاخر تبنة من الارض ويقول يا ليتني كنت هذه التبنة ويقول الاخر يا ليتني كنت طيرا
كل ذلك خوفا من خطر العاقبة كما اشار اليه المص بقوله والخاتمة مع هذا مستورة والروايات
بان المدار على العاقبة مشهورة فينبغي للعالم ان يعلم ان التكبر لا يليق الا بالله وحده وانه
اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا وقد احب الله منه ان يتواضع وقال له ان لك عندي قدر

العالم من المقت قدرا واذا نظر الى العاقبة تيسر له ان يتواضع للفسقة والمبتدعة بل الكفرة فكم من
مسلم نظر الى عمر بن الخطاب قبل اسلام فاستحقره لكفره وقد رزقه الله الايمان وفاق اهل الاتقان
فاذن حق العبد ان لا يتكبر على احد بل اذا نظر الى جاهل قال انه قد عصى الله بجهل وانا عصيته
بعلم فهو اعذر مني واذا نظر الى عالم قال قد علم ما لم اعلم واذا نظر الى كبير قال قد اطاع الله قبلي
واذا نظر الى صغير قال قد عصيت الله قبله واذا نظر الى مبتدع او كافر قال ما يدريني لعله يختم له
بالاسلام ويختم لي بما هو عليه الان من سوء المقام فليس دوام الهداية الي كما لم يكن ابتداؤها
الي وكل ذلك بان يعلم ان الكمال في سعادة الاخرة والقرب من الله في المرتبة الفاخرة الباقية
لا فيما يظهر للناس من الدنيا من الامور الفانية والمعصية المستعقبة ندما اي ندامة وحسرة خير
من الطاعة المستعقبة عجبا اي غرورا وغفلة لا ضمحلالها اي لذهاب المعصية مع حصول الندامة
وبقاء العجب بالطاعة [illegible] وهو اكبر من كل السيئة وفي الحكم معصية اورثت ذلا واستصغارا
خير من طاعة اورثت عزا واستكبارا وورد ما منكم من احد ينجيه عمله اي من غير قبوله بفضله
ولا انا اي ولا ينجيني عملي ايضا الا ان يتغمدني الله برحمته متفق عليه من حديث ابي هريرة وهذا في
الاحياء قد صلى حذيفة بقوم فلما سلم لتلتمسن اماما غيري او لتصلن وحدانا اني رأيت في نفسي
انه ليس في القوم افضل مني فاذا كان مثل حذيفة لا يسلم من هذا فكيف يسلم الضعفاء من متأخري
هذه الامة فما اعرف على بساط الارض لما يستحق عالما انه لا يحركم حب العلم وصلاحه فان وجد
ذلكم فهو صديق زمانه فلا ينبغي ان يفارق بان يكون النظر اليه من العبادة فضلا عن الاستفادة
من انفاسه واحواله ولو عرفنا ذلك ولو في اقصى الصين لسعينا اليه رجاء لان تشملنا بركته ومن
الناسين ونجيته وهيهات فانه يسم اخر الزمان فهم ارباب الاقبال واصحاب الدول وقد انقرضوا
في قرن الاول ومن يليهم من اهل العلم والعمل بل يعز في زماننا عالم يختلج في نفسه الاسف والحزن والحسرة
على فوات هذه الخصلة فذلك ايضا اما معدوم او عزيز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله
سياتي على الناس زمان من تمسك بعشر ما انتم عليه نجا كما رواه الترمذي من حديث ابي هريرة واحمد
عن ابي ذر لكان جديرا بنا ان نقتحم والعياذ بالله ورطة الياس والقنوط مع ما نحن فيه من سوء اعمالنا
ومن لنا بالتمسك بعشر ما كانوا عليه وليتنا تمسك بعشر عشره ونسال الله تعالى ان يعاملنا بما هو
اهله وان يستر علينا قبائح اعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله **الباب الثالث عشر**
في الاخلاص والنية والصدق فيصحح اي الصدق في الاخلاص من الذي
هو تصحيح النية وتخليصها من الرياء والسمعة بسم الله الرحمن الرحيم الذي به يحصل الناس
في الدنيا والخلاص في العقبى الاخلاص تجريد النية وهي الارادة المتوسطة بين العلم والعمل

الباب الثالث عشر

وبطانيها الصفة عن الشوب اى خلطة الرياء والسمعة او عن شائبة حظ النفس بهن من
شوايبها ومعايبها ان تدعي ترك الدعوى على التواضع مع ادعائها انها قد بلغت مرتبتهم
او تعجب بحالها حيث تركت هذه الدعوى باستقلالها ولم ترت عند اهل المناقب فالا علي
اى اعلى مراتب الاخلاص للمولى ارادة وجهه تعالى اى قصد رضاه في الدنيا والاخرى دون
جلب الثواب وخوف العقاب كما قال تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه
وقال عز وعلا وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى وقال انما نطعمكم
لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا وقال فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا
ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزلت فيمن يعمل لله ويحب ان يحمد عليه للحاكم من حديث طاوس مرسلا
قال رجل اني اقف الموقف ابتغاء وجه الله واحب ان يرى موطني فلم يرد عليه حتى نزلت
هذه الاية وللبزار كن حديث معاذ من صام رياء فقد اشرك وفيه انه عم تلا هذه الاية وعن
رابعة وحقك ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك الا ابتغاء وجهك ونعرف الاخلاص
الاعلى بالتفكر في صفاته وافعاله اى مصنوعاته والمناجاة مع ربه في جميع اوقاته وقد قال
في اخلاص عمله تجاه الابد ولكن الاخلاص عزيز قال تعالى الا لله الدين الخالص وللديلمي
من حديث معاذ اخلص العمل يجزك منه القليل ولابن عدي من حديث ابي موسى ما من عبد يخلص لله اربعين
يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وكان معروف الكرخي يضرب نفسه ويقول يا نفس
اخلصي تخلصي وقال يعقوب المكفوف المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وقال
ابو سليمان طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله تعالى ويشير اليه قوله تعالى وان تك
حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما ثم ارادة نفع الاخرة سواء اراد النجاة من النار
او درجات الابرار فهو حظ النفس اي في الجملة فهو حط عن مرتبة الاحرار وورد في حقيقته
الاخلاص او في تحققه في الاشخاص ان تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت اي لا تعبد هواك
ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم في عبادته كما امرت باستقامته في الاحياء سئل عم عن
الاخلاص فقال ان تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت قال مخرجه لم اره بهذا اللفظ وللترمذي
وصححه وابن ماجه من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول حدثني بامر اعتصم به قال قل
ربي الله ثم استقم وهو عند مسلم بلفظ قل لي في الاسلام قولا لا اسأل عنه احدا بعدك قال قل امنت
بالله ثم استقم والكل مقتبس من قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الايتين وكذا
قوله تعالى فاستقم كما امرت خالص الاعمال اي ورد خالص الاعمال اى العمل الخالص هو الذي يعمله
لله لا يحب ان يحمد عليه احد ولم اعرف له اصلا في المرفوع نعم ورد عن عيسى عم انه قال الحواريون

ما الخلاص

ما الخلاص من الاعمال قال الذي يعمل العمل لله لا يحب ان يحمده عليه احد وهذا المعنى في نسبته قوله الاية السابقة
قد تقدم ولا يبعد ان يكون الجملة كمبتدا وخبر في تعريف الاخلاص ويكون معترضة وقد قال بعضهم كنت نصدقت
بصدقة بين الناس فاعجبني نظرهم الي فوجدته لا علي ولا لي قال سفيان لما سمع هذا الحسن حالا لئن لم
يكن عليه فقد احسن اليه وقال يحيى بن معاذ الاخلاص تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم
وقال سهل الاخلاص ان يكون سكون العبد وحركته لله خاصة قال السوسي الاخلاص فقد رؤية
الاخلاص لان من يشاهد في اخلاصه الخلاص فقد احتاج في اخلاصه الى اخلاص والى المقامين يشير قوله
تعالى الا عبادك منهم المخلصين بكسر اللام وفتحها وقال رويم الاخلاص في العمل هو ان لا يريد صاحبه
عليه عوضا في الدارين وقيل اي شيء اشد على النفس فقال الاخلاص اذ ليس لها فيه نصيب وقال ابو
عثمان الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر الى الحق وقيل الاخلاص ما استتر عن الخلائق وصفي من العلائق
وقال الجنيد الاخلاص تصفية الاعمال من كدورات الاحوال وقال الفضيل ترك العمل لاجل الناس
رياء والعمل لاجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله عنهما وهذا افضل ما قيل في هذا الباب
وفي فضله اي وورد في فضل الاخلاص في التنزيل وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
فتقييد العبادة بالاخلاص يشير الى فضله الخاص الاخلاص اى وورد في الحديث القدسي والكلام
للانسي الاخلاص سري استودعته قلب من احببت من عبادي رواه القشيري في رسالته من حديث علي كرم
واصله اى اصل الاخلاص النية اي تصحيحها وتحسينها وهي اي النية الارادة الباعثة اى الداعية
للاعمال المنبعثة اى تلك النية عن المعرفة بالاحوال والمعنى الارادة انبعاث القلب الى ما يراه موافقا لغرض المعرفة
بعوضه اما في الحال واما في المال كشهوة الطعام الحاصلة من المعرفة بتحققه اي الطعام ودفعه اي وعن المعرفة
بدفع الجوع الباعثة بالحرصة بعد صدقه للشهوة اي الداعية لامتداد اليد اليه فان امتداد اليد الى
الطعام انما يكون بعد المعرفة بتحقق الطعام وبانه دافع للجوع عن الانام فلا تدخل اى النية تحت الاختيار
لان الارادة اثر والاثر لا يدخل تحت الاختيار انما هو المؤثر وتوضيحه ان كل عمل اختياري فانه لا يتم
الا بثلاثة امور علم وارادة وقدرة لانه لا يريد الانسان ما لا يعلمه فلا بد ان يعلم ولا يعمل ما لم يرد
فلا بد من الارادة بعد خلق الانسان بحيث يوافقه بعض الامور ويلايم غرضه ويخالفه بعض الامور
وينافيه فاحتاج الى جلب الملايم الموافق لقلبه الهائم في وطي المراة لغلبة الشهوة عليه في تلك الحالة الى
دفع قوله المحسن اى الساكن او النغمي اي الجالي نويت به اي بالوطء اقامة السنة وتكثير الامة من هنا
ورد الشرك اخفى في قلب ابن ادم من دبيب النملة السوداء في الظلمة الظلماء على الصخرة الصماء رواه
احمد وغيره ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة الطاعات اذا لم يحضرهم تصحيح النية لعلمهم بان النية
روح العمل وان العمل بغير النية الصادقة رياء وهو سبب مقت لا باعث قرب حتى ان ابن سيرين لم يصل على
وتكلف

على جنازة الحسن البصري وقال ليس لي حضور نية وما حماد بن ابي سليمان وكان من اكابر علماء الكوفة وشيخ
ابي حنيفة على الفضيل الثوري الا اشهد جنازته فقال لو كان لي نية لفعلت وكانوا اذا سئلوا عملا عن اعمال
البر قالوا ان رزقنا الله نية فعلنا ذلك وحكي ان داود بن المحبر لما صنف كتاب المعتقد جاءه
احمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه احمد صفحا فرده فقال له ما لك قال فيه اسانيد ضعاف فقال داود انما
لم اخرجه على الاسانيد فانظر فيه بعين الخير انما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت قال احمد فرده علي
حتى انظر فيه بالعين التي نظرت بها اليه فاخذه ومكث عنده طويلا ثم قال جزاك الله خيرا فقد انتفعت به
وقال بعضهم انا في طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما صحت لي بعد وقال عيسى بن كثير
مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى الى باب داره انصرفت فقال له ابنه الا تعرض عليه العشاء فقال
ليس من نيتي وهي اي النية احدى جزئي العبادة اي ركنيها وهما النية والعمل فهي اي العبادة
تتوقف عليها اي على النية توقفها مثل توقف النية على العمل لان العبادة بدون النية لا تسمى عبادة
وورد اي في الصحيحين انما الاعمال بالنيات اي معتبرة بها في جميع الحالات وكل امرئ ما نوى اي من الخير
والشر في المباحات وتمامه فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا
يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه وخيرهما اي والنية افضل جزئي العبادة لورود
نية المؤمن خير من عمله رواه البيهقي في الشعب عن انس مرفوعا وذلك لان النية عمل السر ولا رياء فيها
والعمل يخالطها الرياء ولانها تمتد الى ما لا نهاية لها والعمل محصور في حصوله ولانها بانفرادها تصير عبادة
يترتب عليها الثواب بخلاف اعمال الجوارح فانها انما تكون عبادة اذا صاحبتها النية لحديث من هم
بحسنة فلم يعملها كتب الله عنده حسنة كاملة متفق عليه ولانها تبقى بخلاف العمل ولذا قيل الخلود في الجنان
والنار جزاء النية ولان مكانها مكان المعرفة اعني قلب المؤمن قال سهل ما خلق الله تعالى مكانا اعز و
اشرف عنده من قلب عبده المؤمن وما اعطى كرامة للخلق اعز عنده من معرفته فجعل الاعز في الاعز فقال
تعالى ما من اعز الاماكن يكون داعيا تماشيا من غيره قال سهل قدس سره فمتى عبد اشتغل المكان الذي
هو اعز الاماكن عنده سبحانه بغير معرفته تعالى وفي خبر انا عند المنكسرة قلوبهم والمندرسة قبورهم
وما وسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن اشعارا بذلك وقيل نية المؤمن خير من عمله
وعمل المنافق خير من منافق نيته وقيل نية المؤمن خير من عمله بغير نية ثم قيل للقلب عملان النية والندامة
فالنية تجعل المعدوم موجودا والندم يجعل العصيان الموجود معدوما وبما ورد في نفع النية بدون
العمل حديث انس ان في المدينة اقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة
ولا اصابتنا مخمصة الا شركونا في ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا قال حبسهم
العذر فشركونا بحسن النية البخاري مختصرا وابو داود ولتوقف اي ولتوقف نفع العمل اي تاثيره طاعة او

او معصية على النية دون العكس اذ لا يتوقف نفع النية على وجود كل عمل لورود في المقاتلين اي في حقهم
ان القاتل والمقتول في النار وبين اي النبي عليه السلام علته المقتول اي في دخوله النار انه قصد الرياء كذا
في النسخ والظاهر انه قصد قتل اخيه لا دفعه عن نفسه او اراد بالقاتل الكافر وبالمقتول المسلم المرائي ويؤيده
ما اخترناه حديث الاحنف عن ابي بكرة اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قالوا يا رسول
الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه متفق عليه ولابن ابي الدنيا من حديث ابن عمر انما يبعث
المقتتلون على النيات ولمسلم من حديث جابر يبعث كل عبد على ما مات عليه ويؤيده ما في الاصل حديث اكثر
شهداء امتي اصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله اعلم بنيته احمد من حديث ابن مسعود وفيمن
اي وورد فيمن يتمنى ان لو اصاب ما لا ينفق في المعصية اي معصية انه شريك المنفق فيها اي في المعصية حقيقة
في الوزر اي فهما في الوزر سواء ومفهومه ان لو اصاب مالا ينفق في الطاعة انه شريك المنفق فيها فهما
في الاجر سواء فقد ورد الناس اربعة رجل اتاه الله علما ومالا فهو يعمل بعلمه فيقول رجل لو اتاني الله
كما اتاه لعملت كما يعمل فهما في الاجر سواء ورجل اتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يخبط بجهله في ماله
فيقول رجل لو اتاني الله مثل ما اتاه لفعلت كما يفعل فهما في الوزر سواء ابن ماجه والترمذي وكون الشراب
اي ولكون شرب المعجون لعلاج المعدة انفع من الطلاء على الصدر لسرعة تاثير الاول وبطء الثاني
في العمل ووجه كونه علة لتشبيه الشراب الداخل في المعدة بالنية الداخلة في القلب من حيث انهما
من الامور الظاهرة بل اضراب عن قوله وخيرهما هي اي النية هي الاصل وما سواها الفرع لكون المقصود
من العمل تاثير القلب بالميل اليه تعالى عن الغير اي عما سوى الرب وذلك التاثير بالميل اليه تعالى حاصل
بالنية دون مجرد العمل فهي الاصل لورود في التنزيل لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم
وهي انما تكون في القلب كما قال عليه السلام التقوى هاهنا واشار الى صدره وفي الخبر ايضا ان الله لا ينظر الى صوركم ولا
اعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم ووقع الاجماع اي الاجماع على اثم المجامع امراة على قصد انها غيرها اي غير امراته على قصد
انها هي اي امراته ولاحمد من حديث صهيب من تزوج امراة على صداق وهو لا ينوي اداءه فهو زان واثم
المصلي والاجماع على اثم المصلي المتوضئ على ظن انه محدث بخلاف المحدث اي المصلي على ظن انه متوضئ
وهي اي النية التي معناها القصد اما واحد وهو الخالص عن التشارك كالقيام للاكرام اي اكرام
المسلم حال السلام من غير نظر الى سائر اوصاف الغلام واما متعدد كالتصدق للفقراء والقرابة
ونحوهما من استحقاق الصدقة فاما اي المتعدد اما لا يستقل كل شيء اي من المقصود بنفسه عند انفراده
في باعث العطاء فيعرف عدم الاستقلال المذكور بالامتناع اي بامتناع النية والقصد عند انفراد
احد من المقاصد اي من الاخر فلا يعطي الغني القريب لمجرد قرابته ولا الفقير الاجنبي لمجرد فقره وعند
الاجتماع لا يمتنع عن العمل فيعطي الفقير القريب او يستقل كل من المقصود متساويا بان يكون كل واحد

بخلاف المجامع غيرها اي غير امراته ح

داعيا الي القصد او متفاوتا في مراتب القصد او مناقب الاستقلال فيكون بعضها مستقلا وبعضها
لا يكون مستقلا كقوة فرح المصلي عند حضور الناس اي بمجرد باعث الرياء وهو الفرحة في قول المصرح انه
لولم يرج الثواب لما صلي وتوضيحه ان يكون للانسان ورد في الصلوة وعادة في الصدقة فاتفق ان
حضر في وقتها جماعة من الناس فصار الفعل اخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه انه لو كان
منفردا لم يفتر عن الصلوة وعلم ان عمله لولم يكن طاعة لم يكن بمجرد الرياء بجملة فهو شوب يتطرق الي النية
ويتنوع في تضمن الطوية ويتعدد الجزاء اي الثواب بتعددها بمقدار تعدد النية خبر لكان المتعدد
في النية كالدخول في المسجد اي مسجد كان للزيارة اي لزيارة بيت الله او اخ له في الله عز من قعد في المسجد
فقد زار الله تعالى وحق على المزور اكرام زائره ابن حبان من حديث سلمان وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة
من غدا الي المسجد او راح اعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا او راح وانتظار الصلوة اي لادائها بالجماعة
في وقتها وقد عد من الرباط في قوله تعالى ورابطوا في الخبر انتظار الصلوة بعد الصلوة والاعتكاف وهو من جملة
العبادات الفاضلة فتارة مستحبة نافلة واخرى سنة مؤكدة كاملة ان كان بمكة في زيارة الطواف
وان كان بالمدينة في زيارة الزيارة المندوبة بلا خلاف والانزواء اي الاعتزال عن الاشتغال بالمنوا
والتجرد للذكر من التهليل والتمجيد والتحميد والثناء وترك الذنوب ولو كان من باب الحياء فان من
العصمة ان لا تقدر على الجفاء او شرا او كان التعدد ترا كالمقعود فيه اي في المسجد للتحدث بالباطل
فان كلام الدنيا في المسجد يبطل الحسنات في العقبى وملاحظة النساء ومخالطة المردان يبغي الاشتهاء والمناظرة
للمباهاة اي المفاخرة والمرايات اي المجادلة للسمعة والرياء وكذا قصد التنزه في ليلة القمراء وسماع
ما فيه من الذكر والشعر المشابه بمجلس السمراء ويجعل خيرها اي نية الخير المباح عبادة كالتطيب الذي
في اصله مباح يوم الجمعة لاقامة السنة وتعظيم المسجد فقد قال تعالى وطهر بيتي قيل في معناه
بخره والبوم اي وتعظيم فانه افضل ايام الاسبوع بلا خلاف وقيل افضل الايام مطلقا وهو عند
المؤمنين وجه المساكين ودفع الاذي بالنتن اي الريح الخبيثة عن نفسه وغيره لا سيما الملائكة الحاضرين
في وقته والاسراد بالعرف بفتح العين اي وتفريح من يجنبه بالريح الطيبة وسد باب الغيبة بالروائح
الكريهة وربما تفضله اي النية المباح من محضها اي فيصير المباح بالنية افضل من العبادة المحضة فالترفه
اي التنعم والاستراحة بنوم قليلة نحو قيلولة او دعابة اي مزاح ومطايبة مباحة لرد نشاط
الصلوة افضل منها اي من الصلوة في الملال اي في حال الكلالة فعن ابي الدرداء رضي اني لاستجم نفسي
باللهو ليكون ذلك عونا على الحق وتؤيده قول ابي مدين لا تنكر الباطل في طوره فان بعض ظهوراته
وقال علي رض روحوا القلوب ساعة فساعة فانها اذا اكرهت عميت ومن هنا حرم الصوم في بعض
الاوقات وكذا الصلوة في الاوقات المكروهات وشرها اي يجعل شر النية المباح معصية كالطيب المباح في اصله

السحر بالمحطة عبادة

للتفاخر باظهار الثروة اي الغنى والنعمة على وجه الكثرة فانه يصير به معصية في الخبر من تطيب لله جاء
يوم القيمة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة ابو الوليد
الصفار مرسلا والتزين اي وكالتزين المباح في اصله للرياء فانه معصية كما انه للعبادة طاعة لقوله
تعالى يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد والطبراني باسناد جيد من حديث ابن مسعود من هاجر
يبتغي شيئا فهو له هاجر رجل فتزوج امراة منا فكان يسمى مهاجر ام قيس وللنسائي من حديث عبادة بن
الصامت من غزا وهو لا ينوي الا عقالا فله ما نوى ولابي داود باسناد جيد من حديث يعلى بن امية انه
استاجر اجيرا للغزو وسمى له ثلثة دنانير فقال عم ما اجد له في غزوته هذه في الدنيا والاخرة الا
دنانيره التي سمي وقال بعض السلف رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية
وقال داود الطائي من كان اكثر همته التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما الي
نية صالحة وكذا الجاهل بعكس ذلك وقال ابو هريرة مكتوب في التورية ما اريد به وجهي فقليله كثير
وما اريد به غير وجهي فكثيره قليل وكان الفضيل بن عياض اذا قرا ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم و
الصابرين ونبلو اخباركم يبكي ويرددها ويقول انك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا ولا تؤثر
اي النية في الحرام فلا يباح شرب الخمر لموافقة الاخوان وللمرافقة حكام الزمان فقد ورد لا طاعة
لمخلوق في معصية الخالق وكالذي يغتاب انسانا مراعاة لقلب غيره او يطعم فقيرا من مال ظلمه او يبني
مسجدا او مدرسة او رباطا ونحوه بمال حرام وقصد الخير به ومن هنا قال سهل ما عصي الله بمعصية
اعظم من الجهل قيل يا ابا محمد هل تعرف شيئا اشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل ويسمى هذا الجهل
المركب وكذا افضل ما اطيع الله به العلم وراس العلم بالعلم فاذا من لا يعلم العلم النافع من العلم الضار
اشتغل بما اكب عليه الناس من العلوم المزخرفة التي هي من وسائلهم الي الدنيا وذلك هو مادة الجهل ومنبع
فساد العلم والحق ان من قصد الخير لمعصية عن جهل فهو غير معذور قال تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم
لا تعلمون وقال عم لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت
على علمه رواه الطبراني في الاوسط من حديث جابر ثم لا يجوز امداد المتعلم نوع علم يتمكن به من الوصول
الي شهواته وللحصول في مقام رياسة فلم يزل علماء السلف يتفقدون احوال من يتردد اليهم فاذا راوا
منهم تقصيرا في نفل من النوافل انكروه وتركوه اكرامه واذا راوا منه فجورا هجروه ونفوه عن مجالستهم
وتركوا تكليمه فضلا عن تعليمه لعلمهم ان من يعلم مسئلة ولم يعمل بها فليس يطلب الا الة الشر وقد تعوذ
جميع السلف بالله من الفاجر العليم بالسنة وما تعوذوا من الفاجر الجاهل وقد هجر احمد بعض
اصحابه الملازم له سنين بان طين حائط داره لماخذه من الطريق فقد سمك الطين والحاصل
ان الشيطان لا يسلم منه احد الا من دق في نظره وسعد بعصمة الله وقدره وحفظ من خطره

والا فالهود وملازم للمشركين لعبادة الله لا ينفعهم ثم لخدمتي يحملهم على الرياء في سكون او حركة
حتى في كحل العين وقص الشارب ونحوهما مما هو صورة العبادة ولذا قال تعالى ان الشيطان لكم عدو
فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وقال تعالى حكاية عنه انه قال
فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم اي من امور الدنيا
والاخرة وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من طرق الحسنات والسيئات ولا تجد اكثرهم شاكرين وكذا قيل ركعتان
من عالم افضل من عبادة الف سنة من جاهل وفي الخبر لفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد
وكماله اي كمال الاخلاص وجمال الصدق في نيته وقوله وعمله فمن جمع له هذا يكون صديقا مبالغة
الصادق ولا هو اصلا في عند ذوي الحقائق والدقائق ويدل عليه حديث ان الرجل ليصدق حتى
يكتب عند الله صديقا فيستحق عليه ما ورد في التنزيل واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا
اي قبل النبوة نبيا اي مخبرا عن الله تعالى حال الرسالة ثم الصدق لا ينافي المعاريض الصادرة عنه المخبر
عنها بثلث كذبات لصورتها لان العبرة بمعانيها لا بمبانيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توجه
في سفر ورى بغيره كما في الصحيحين من حديث كعب بن مالك وذلك كيلا ينتهي الخبر الى عدوه وقد ورد
في الصحيحين ايضا من حديث ام كلثوم ليس بكاذب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا
ورخص في النطق به اي وفي المسلم في ثلثة مواضع من اصلح بين اثنين ومن كان له زوجتان
ومن كان في مصالح الحرب فالصدق ههنا تحول من القول الى النية فلا يراعى فيه الا صدق الطوية
فمهما صدقت بجرت الخبر ارادته كان قاوصديقا كيف ما كان لفظه توفيقا ان الرجل اي وورد في الحديث
ان الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وادناه اي اقل مراتب الصدق
الصدق في القول مع الخلق في كل حال من الامن والخوف والنفع والضر والرضاء والغضب والكمال
اي وكمال الصدق في القول بترك المعاريض حذرا عن تفهيم غير الحق وكسب القلب صورة كاذبة
الا ان الضرورة تبيح المحذورات وقد ورد ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب وقد حكي
عن بعضهم انه كان يطلبه بعض الظلمة وهو في داره فقال لزوجته خطي باصبعك دائرة وضع الاصبع
في الدائرة وقولي ليس هو هنا ورعايته اي ومراعاة العبد الصدق معه اي مع الحق تعالى حتى قال
وجهت وجهي لله او للذي فطر السموات والارض حنيفا وكان في قلبه سواه واياك نعبد اي نخص
بالعبادة وهو عبيد الدنيا فهو كاذب في دعواه اختصاص عبادة مولاه فان قلبه اذا كان منصرفا
عن الله مشغولا بما في الدنيا وشهواتها فهو كاذب في دعواه وعن مالك بن دينار لولا ان هذه
الاية اي اياك نعبد واياك نستعين امر من الله لما قرأتها العدم صدقي فيها وروي ان العبد اذا قرأ
هذه الاية يقول الله تعالى له كذبت لو كنت اياي تعبد لم تطع غيري ولم تلتفت الى سواي ولو كنت

صدق النية وقوله وعمله

ورى ... [illegible]

رخص الكذب في ثلثة مواضع

في نستعين لم ترفع حوايجك الى ذليل مثلك ولم لي لذه وكسبك وكقولك انا عبد الله اذا لم يتصف بحقيقة
العبودية وكان له مطلب سوى الله لم يكن كلامه صدقا ولو طولب يوم القيمة بالصدق في قوله انا عبد الله
لعجز عن تحقيقه لانه ان كان عبد النفس او عبد الدنيا او عبد الشهوات لم يكن صادقا في قوله
وكلما انقيد العبد فهو عبد له كما قال عيسى عليه السلام يا عبيد الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس
عبد الدنيا وتعس عبد الدرهم وعبد الخميصة رواه البخاري انما العبد الحق لله من اعتق اولا نفسه
عن غير الله فصار حرا مطلقا فاذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا فخلت فيه العبودية لله
فيشغله بالله ومحبته ويقيد ظاهره وباطنه بطاعته وعبادته فلا يكون له مراد الا الله ثم يتجاوز هذا
الى مقام اخر اسنى منه يسمى الحرية وهو ان يعتق ايضا عن ارادته لله من حيث هو هو بل يقنع بما يريد الله
تعالى له من تقريب او تبعيد كما قيل شعر اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد
وهذا عبد عتق عن غير الله فصار حرا ثم عاد وعتق عن نفسه وصار حرا عن نفسه وصار مفقودا
لنفسه موجودا لسيده ومولاه ان حركه تحرك وان سكنه سكن وان ابتلاه رضي ولم يبق فيه متسع لطلب
والتماس واغراض واعواض بل هو بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل وهذا منتهى الصدق
في العبودية وفوق ما يقتضيه الربوبية وهذا الوجود في منتهى دائرة الشهود فقد قيل انمي على الزمان
محالا ان ترى مقلتاي طلعة حر ثم في النية اي ثم اعلى من الصدق في القول الصدق في النية بتمحيضها
اي تخليصها لله تعالى فالشوب اي الخلط بغيره في النية يفوته اي هذا المقام من الاخلاص او الصدق
يقال هذا صادق الحلاوة اي محضها يعني حالها في العزم اي ثم الصدق في العزم اعلى مما ذكر وهو
اي خالها جزم اي على الخير اي فعل وجزم وعلى ترك الشر كالتصدق والعدل ان نال مالا او ولاية و
توضيحه ان الانسان قد يعزم على العمل فيقول في نفسه ان رزقني الله مالا تصدقت بجميعه او بشطره وان
اعطاني الله ولاية عدلت فيها ولم اعص الله بظلم وميل عن الحق الى الخلق وهو قد يكون صادقا في عزمه
وقد يكون كاذبا في جوابه ومن الاول قول عمر رضي الله عنه لان اقدم فيضرب عنقي في غير حد احب لي ان اتأمر
على قوم فيهم ابو بكر اللهم الا ان يسول لي نفسي عند القتل شيئا لا اجده الان لاني لا آمن ان يثقل
عليها ذلك فيتغير عن عزمها اشار بذلك الى شدة الوفاء بالعزم ومن الثاني قول مجاهد رجلان خرجا
على ملأ من الناس قعود فقالا ان رزقنا الله مالا لنصدقن فرزقهما الله فبخلا به فنزلت ومنهم
من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الاية ثم في الوفاء اي
ثم الصدق في الوفاء اقوى مما ذكر فالنفس قد تسمح اي تسمح بالعزم عند البيان وتتواطئ
اي تتقاعد وتتباعد بالوفاء عند الامتحان وورد في التنزيل رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه وقد وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصعب بن عمير وقد سقط على وجهه يوم احد شهيدا

وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه رواه ابو نعيم في الحلية
وفي البخاري مجملا ان هذه الاية نزلت في انس بن النضر وفي الترمذي وقال حسن صحيح عن انس ان عمه
انس بن نضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك على قلبه وقال اول مشهد شهده
رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه والله لئن ارانى الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما اصنع
فشهد احدا من العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو الى اين فقال واها لريح الجنة
اني لاجدها دون احد فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين رمية وضربة وطعنة
فقالت بنت النضر اخته ما عرفته الا ببنانه ونزلت هذه الاية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
فمنهم من قضى نحبه اي نذره ثم في العمل اي ثم الصدق في العمل او هو اي الصدق في العمل تسوية
السر والعلانية بان يكون باطنه مثل ظاهره وظاهره مثل باطنه ولذا قال عيسى عليه السلام اللهم اجعل
سريرتي خيرا من علانيتي واجعل علانيتي صالحة وقال زيد بن الحارث اذا استوت سريرة العبد
وعلانيته فذلك النصف اي العدل وان كانت سريرته افضل من علانيته فذلك الفضل من سريرته
وذلك الجود ... للحظ وانشد واشعرا اذا السر والاعلان في المؤمن استوى شعر
فقد عز في الدارين واستوجب الثناء ❊ فان خالف الاعلان سرا فالم على سعيه فضل سوى الكد والعناء
كما خالص الدينار في السوق نافق ❊ ومغشوشه المردود لا يقتضي المناء ❊ وقال معاوية بن قرة من يدلني
على بكاء بالليل بسام بالنهار وكان عبد الرحمن الزاهد يقول الهي عاملت الناس فيما بيني وبينهم
بالامانة وعاملتك فيما بيني وبينك بالخيانة فالماشي على هدوء بصفتين وقد يدغم وفي نسخة
على هدء بفتح وسكون ومعناهما على سكون في الظاهر ان خلا الباطن اي باطن الماشي عن الوقار
اي السكون والثبوت غير صادق فيما بينه من الاظهار وورد فيه اي في حق الصادق في العمل ان يكون
سريرته خيرا من العلانية اي علانيته يعني علانيته واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام من صدقني في سريرته
صدقته عند المخلوقين في علانيته ثم اي ثم الصدق في مقامات الدين من احوال اهل اليقين اعلى
في الخوف اي الصدق فيه يتحقق لصفرة الوجه وقلق الباطن اي اضطرابه في الحالات وترك المعاصي
واللذات اي المناهي والشهوات التي فيها الشبهات واقامة الطاعات في انواع العبادات وعلى هذا
القياس في غيره اي غير الخوف من سائر المقامات كالرضاء فهو بعدم الحزن لفوت شيء من الجاه والمال
والنفس من الاولاد والاتباع من الرجال وعدم الشكاية الى المخلوق في جميع الاحوال والصديق
المطلق هو اي المتصف بالجميع انواع الصدق عند اهل الحق وقال بشر بن الحارث من عامل
الله بالصدق استوحش من الخلق وقال ابو سليمان اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك
والله غاية طلبك وقال رجل لحكيم ما رايت صادقا فقال لو كنت صادقا لعرفت الصادقين

وتسود وجوه قوله تعالى اتقوا الله وكونوا مع وقال الثوري في قوله تعالى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله
وجوههم مسودة قال هم الذين ادعوا محبة الله ولم يكونوا بها صادقين وقال محمد بن سعيد المروزي
اذا طلبت الله تعالى بالصدق افادك الله تعالى مرآة بيدك حتى تبصر كل شيء من عجائب الدنيا والاخرة وقال ابو بكر
الوراق احفظ الصدق فيما بينك وبين الله والرفق فيما بينك وبين الخلق وقيل لذي النون هل للعبد
الى صلاح اموره سبيل فقال شعر قد بقينا مذ بذبين حيارى ❊ نطلب الصدق ما اليه سبيل ❊ فدعاوى الهوى
تخف علينا ❊ وخلاف الهوى علينا ثقيل ❊ وعن الجنيد في قوله تعالى ليسئل الصادقين عن صدقهم قال يسئل
الصادقين عند انفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا امر على خطر عظيم وحذر جسيم وضده اي الاخلاص
الرياء اي رؤية الخلق وفي معناه السمعة وان كان في اصل المادة فرق بينهما فان الرياء مشتق من الرؤية والسمعة
من السماع في الصحيحين من حديث جندب بن عبد الله من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به وللطبراني من حديث ابي عمر
بلفظ من سمع الناس سمع الله به مسامع خلقه وحقره وصغره وكذا لاحمد وابن المبارك وابن منيع من حديث ابي عمر
وهو اي الرياء طلب المنزلة اي الوجاهة والمرتبة بالرؤية او السمعة عند غيره تعالى بالعبادة اي لا بالامور
المباحة وفي العادة وهو حرام لقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون الذين هم يراؤن وقوله
تعالى والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد قال مجاهد هم اهل الرياء ولاحمد والبيهقي في الشعب من حديث
محمود بن لبيد عن رافع بن خديج ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول
الله قال الرياء يقول الله عز وجل يوم القيمة اذا جازى العبد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم
تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء فيختص الرياء بعمل الظاهر اي بما يتعلق به الرؤية
او السماع وذلك لامكان نظر الخلق اليه واطلاعهم عليه دون عمل الباطن فانه لا رياء لديه قال عكرمة ان
الله يعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لان النية لا رياء فيه اما الخلو قصد الحمية اي الاحتماء بترك
ما يضره عن الاكل في الصوم مع قصد التقرب والتبرد اي وقصد تبرد الاعضاء في الوضوء وكذا قصد
النظافة فيه وفي الغسل مع التقرب والتفرج اي وقصد طلب الفرج والخلاص من الهم والغم بالتنزه والتوحش
اي الملالة عن الاهل اي القرابة واهل القرية صداقة او عداوة وكذا قصد صحة المزاج في السفر والتجارة
اي وقصدها في الحج اي اداء حجه مع التقرب والخلاص اي قصده عن المؤنة اي مؤنة نفقة المملوك وسوء
الخلق من المالك او المملوك من جهة التربية في العتق اي عتق عبد او جارية فغيره اي غير الرياء لعدم تعلق
نظر الخلق اليه ويفوت به اي بقصد المذكورات الاخلاص في تلك العبادات لان فيه شوب نفع نفسه و
حظ انسه والاخلاص تجريد النية عن شوب الارادة النفسية ويكون الرياء بالبدن اي من جهة
البدن باظهار الخشوع واكثار الحزن والهيئة اي السمت الصالح والزي اي لبس الصلحاء والقول
اي نقل كلام الاولياء والعمل اي واعمال الاصفياء وغيرها كالمال والاتباع والبيوت وانواع الاستمتاع

كما ظهرت النحول عدا وما بعده نشر للفقه المتقدم مرتبا والمراد بالنحول ضعف البدن في مشيه وصوته
ونظره ليوهم بذلك شدة الاجتهاد في العبادة وتكثر بالحزن على امر الدين وغلبة خوف الآخرة و
ليدل بالنحول على قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل وكذا بتشعث الشعر ليشعر على استغراقه في الامر ولذا
قال عيسى عم اذا صام احدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه ويرجل شعره ويكحل عينيه
وكذا روي عن ابي هريرة وكذا قال ابن مسعود اصبحوا صياما مدهنين وابقاء اثر السجود على الجبهة
واطراق الرأس في المشي والهدوء في الحركة ولبس الصوف وغلظ الثياب وتشميرها الى قريب الساق
وقصر الاكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا من غير ترقيع ومنه التقنع بالازار فوق العمامة ونحوها
وقد يلبس الاصواف الرفيعة في الاصناف المبلغة اذا كان يدخل على الاغنياء او على الامراء فيقيم ثوبه
قيمة ثوب الاغنياء ولونه هيئة لون ثياب الصلحاء فيلتمس القبول عند الفريقين في مقام
الرياء ولو كلف ان يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح والوعظ
اي التذكير والنصيحة والنطق بانواع الحكمة وحفظ الاخبار واثار الاخيار وتحريك الشفتين
بحضر الناس وامثالها وتطويل الصلوة بطول القيام والركوع والسجود واطراق الرأس وترك
الالتفات وتسوية القدمين واليدين وكذا في الصوم والزكوة والحج وسائر العبادات
وبقية الاعمال وكثرة التلاميذ للعلماء وكثرة المريدين للصلحاء وكثرة الزائرين من الاجانب
والاقرباء وما مبتدأ اي والرياء الذي طلب بغير العبادة بكثرة المال والانصار من الرجال
وحفظ الاشعار فخارج عن حد الرياء كما سبق في تعريفه فحكم طلب تلك المنزلة اذا لم يؤد
الى رذيلة اي خصلة مذمومة كالتكبر على الناس كما سبق في الجاه اي ذم وهو قوله هناك
فحرام اي فالجاه حرام ان كان بارتكاب ذنب كالكذب وههنا ايضا كذلك وكذا التزين
لاستمالة قلوب الاخوان حال مخالطتهم والتحامي اي السلامة عن ملامتهم والمعنى ان تحسين الثوب
الذي يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس مراياة ليس بحرام لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا
وعلى هذا فقس كل تجمل للناس وتزين لهم والمروي لابن عدي في الكامل عن عائشة رضي الله عنها
من تزينه عم اي حين اراد ان يخرج على اصحابه الكرام فكان ينظر في جب الماء ويسوي عمامته
وشعره فقالت أو تفعل ذلك يا رسول الله قال نعم ان الله يحب من العبد ان تزين لاخوانه اذا خرج
اليهم فهذا كان منه عم عبادة لانه عم مامور بالدعوة اي بدعوة الخلق وترغيبهم في اتباع الحق
واستمالة قلوبهم بالرفق فلو اسقط نفسه عن قلوبهم بسقوطها عن اعينهم ليترك تزينه لهم لما
حصل الحق فلم يرغبوا في اتباع المطلوب من المعبود وهو اجابة الحق من الخلق فكان يجب عليه
ان يظهر لهم محاسن احواله كيلا تزدري اعينهم في اقباله فان اعين الخلق تمتد الى الظواهر

دون

آفة الرياء

دون السرائر وافة الرياء التلبيس اي المكر والتدليس الحاصل من وسوسة ابليس بارادة ما لبس فيه
متحقق في الخارج موجودا في الواقع لانه خيل اليهم انه مخلص مطيع لله وانه من اهل الدين وليس كذلك فهو
اي التلبيس بالامر الدنيوي حرام ايضا حتى لو قضى دين جماعة وخيل الى الناس انه متبرع عليهم ليعتقد
واسخاوته لانه بذلك لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالمكر والخديعة بخلاف ما اذا انفق الرجل
ماله على جماعة من الاغنياء ولا في معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقده الناس انه سخي فهذه
مراياة وليس بحرام وكذا امثاله فالديني اولى اي فالتلبيس بالامر الديني اولى ان يكون حراما لانه طعن
العبادة والاستهزاء عليه تعالى ومن افاته الاستخفاف بالنسبة اليه سبحانه وهو بايثار رضى غيره
اي اختياره على رضاه اي على ايثار رضاه سبحانه وتعالى والمعنى انه مهما قصد بعبادة الله رضاء
ما سواه فهو مستهزئ بالله ولذا قال قتادة اذا رايا العبد قال الله تعالى للملائكة انظروا اليه كيف
يستهزئ بي ومثاله ان يمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة وقوفهم لملاحظة
جارية من جواري الملك او غلام من غلمانه فان هذا استهزاء بالملك اذ لم يقصد التقرب الى الملك
بخدمته بل قصد عبدا من عبيده فاي استحقار يزيد على ان يقصد العبد بطاعة الله مراعاة
عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا وهل ذلك الا انه ظن ان ذلك العبد اقدر على تحصيل اغراضه
من الله وانه اولى بالتقرب اليه من الله اذ اثره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادته واي استهزاء يزيد
على رفع العبد فوق المولى وتعظيم نفسه اي وبايثار تعظيمها في القلوب على تعظيمه اي تعظيم علام الغيوب
ولو ضم ان الرياء لو لم يكن فيه الا انه يركع ويسجد لغير الله لكان فيه كفاية فانه اذا لم يقصد التقرب
الى الله تعالى ولعمري لو عظم غير الله بالسجود لكفر جليا الا ان الرياء هو الكفر الخفي لان المرائي عظم في
قلب الناس فاقتضت تلك العظمة ان يركع ويسجد فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه فمهما
زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق بالسجود كان ذلك قريبا من الشرك المعهود الا انه
قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده باظهاره من نفسه صورة التعظيم لله فعن هذا كان شركا خفيا
لا شركا جليا وذلك غاية الجهل والنقصان ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان واوهم عنده
ان العباد يملكون من ضره ونفعه ورزقه واجله ومصالح حاله ومنافع امآله اكثر مما يملكه
تعالى فلذلك عدل بوجهه عن الله تعالى اليهم فاقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك قلوبهم اليه ولو وكله
الله سبحانه اليهم في الدنيا والاخرة لكان ذلك اقل مكافاة له على صنعه فان العباد كلهم
عاجزون عن انفسهم لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا
فكيف لغيرهم وهذا في الدنيا فكيف في العقبى يوم لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز
عن والده شيئا بل يقول الانبياء فيه نفسي نفسي فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة

وينل القرب عند الله بالدرجات الفاخرة ما يرتقبه بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس فلا ينبغي ان يشك
مع ان المرائي بطاعة الله في سخط الله من حيث النقل والعقل وهذا معنى قوله والاحتراز اي بايثار
المرائي الاحتراز عن مقت نفسه سبحانه عليه اي على الاحتراز من مقته تعالى فقد سئل رجل سعيد بن المسيب
فقال احدنا يصطنع المعروف ويحب ان يحمد ويوجر قال له اتحب ان يمقتك الله قال لا قال اذا عملت
لله عملا فاخلص ورد العمل اي ومن افاته عدم القبول فورد اي في الحديث القدسي اي لا اقبل الا ما كان
خالصا لي لم اجده بهذا اللفظ ولكن ورد معناه وهو ما رواه مالك من حديث ابي هريرة يقول الله من
عمل عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا اغنى الاغنياء عن الشرك ويؤيده قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين
واللوم اي ومن افاته الملامة بين الملائكة فورد في الحديث الانسي يقال عند صعودهم بالعمل المخلوط بالرياء
ردوه الى سجين لقوله تعالى ان كتاب الفجار لفي سجين وهو موضع في اسفل سافلين مكان الشياطين و
قيل هو كتاب اعمال المشركين فانه لم يرد بي اي بعمله خالصا لي الديني ولابن المبارك في الزهد ومن طريقه
ابن ابي الدنيا وابو الشيخ في حديث طويل ان الله تعالى يقول للملائكة ان هذا لم يرد بعمله فاجعلوه في سجين
وفي القيامة اي ومن افاته الملامة والندامة يوم القيمة فورد في نداء اي المرائي فيها اي في القيمة
يا كافر حقيقة او حكما بكفران النعمة يا فاجر اي فاسق بترك الاخلاص في الطاعة يا غادر اي يا ماكر
للخلق او للحق ايضا على زعمه الباطل يا خاسر اي الذي خسر الدنيا والاخرة والحديث رواه ابن ابي الدنيا
من رواية جبلة اليحصبي عن صحابي لم يسم ان المرائي ينادي يوم القيمة باربعة اسماء يا كافر يا فاجر
يا غادر يا خاسر ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن عملت له فلا اجر لك عندنا و
الحرمان عن الاجر اي ومن افاته حرمان ثواب العمل فورد يقال اي للمرائي التمس الاجر اي اطلب الثواب
ممن كنت تعمل له من الخلق كما تقدم الم يوسع عليك في المجالس الم تكن رئيس الدنيا الم يرخص بيعك
الم تكرم اي بالقيام والسلام وانواع من الاكرام وقد روي عن علي رضي الله عنه ان الله تعالى يقول للقراء يوم
القيمة الم يكن يرخص عليكم السعر الم تكونوا تبتدئون بالسلام الم تقض لكم الحوائج وفي الحديث لا اجر لكم
قد استوفيتم اجوركم والمعنى كان هذه الاشياء قصدكم من اظهار الطاعة فقد جوزيتم بها في الدنيا
فلم يبق لكم اجر في العقبى كما قال تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها
لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون
والعذاب اي ومن افاته عذاب الاخرة فورد اهل الرياء يعذبون في النار لم اره بهذا اللفظ وللترمذي
وابن ماجه من حديث ابي هريرة استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وما هو قال واد في جهنم اعد للقراء
المرائين والافحش مبتدا اي الاغلظ والاشد في الرياء باعتبار نفسه اي نفس الرياء واصله ولهذا الرياء
اربع درجات ان لا يريد الثواب اصلا اي لا يكون مراده الثواب مطلقا كالذي يصلي بين الناس ولو انفرد

كان

كان لا يصلي بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصد للرياء وهو اي كل اثم في غاية
المقت من الله وغضبه وكذا من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو
خلي بنفسه لما اداها وهذا غالبا لا يتصور الا من المنافق فالنفاق يبطل العمل من اصله والرياء
يوجب رده والمن والاذى يحبطان الصدقة اصلا وعن بعض المشايخ ببطلان اضعافها واما الندامة
فيحبط العمل في قولهم جميعا والعجب يذهب اضعافه والتهاون يخفف العمل فيذهب رزانته ثم ما فيه
ارادة تان ارادة الاجر والرياء غالب وقصد الاجر ضعيف بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله و
لا يحمله ذلك القصد على العمل كمن يريد الصلوة لوجه الله ارادة ضعيفة لا تنهض عليها فاتفق
لحضور جماعة عنده فظهر داعية الرياء في قلبه مع بقاء ارادة وجه الله فانهض الله عليها ولو لم يكن
الرياء ما كان ينهض لمجرد ارادة وجه الله ولو لم يكن ارادة وجه الله لكان ارادة تنهض وهو يغره
اي هذا النوع من الرياء يقرب الافحش وهو اول الذي ليس فيه ارادة الثواب اصلا فهذا يقرب
ما قبله في المقت لكن بما فيه من شائبة قصد الثواب لا يستقل بحمله على العمل ولا ينفي عنه المقت والاثم
ثم ما استويا اي ثم الافحش باعتبار نفس الرياء قصد استوى الارادتان او القصدان فيه اي
في ذلك العمل بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الاخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعث الرغبة
او كان كل واحد منهما لو انفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا قد افسد مثل ما اصلح فالمرجو اي المأمول
من فضل الله وكرمه ان لا يكون له اي لصاحب الارادتين المستويين نفع وثواب ولا عليه ضرر وعقاب
بل يسلم راسا براس او يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب ويؤيده ما روي عن معاذ فانه لما تلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا شق على القوم واشتد عليهم فقال
افلا اخرجها عنكم قالوا بلى يا رسول الله قال هي مثل الاية التي في الروم وما اتيتم من ربا ليربوا في
اموال الناس فلا يربوا عند الله فقال عليه السلام من عمل رياء لا يكتب له ولا عليه كذا في الجامع الكبير للسيوطي
لكن اطلاق الاخبار في الادلة يشمله اي ظواهر الاخبار في ادلة ذم الرياء يشمل هذا النوع
فيحصل له الاثم ويدل على انه لا يسلم ثم اي ثم الافحش باعتبار نفس قصد الرياء ما ترجح فيه قصد
الثواب بان يكون طلب الاجر غالبا ويكون اطلاع الناس مقويا ومرجحا للنشاط ولو لم يكن له لكان
ترك العبادة ولو قصد الرياء وحده لما اقدم فالمظنون اي الذي نظنه والعلم عند الله تعالى فيه
اي في هذا النوع النقصان الثواب لا البطلان اي لا يحكم على العمل ببطلانه بالكلية لان العبرة بالغلبة
في الاحكام الجزئية او الثواب اي على قدر ما خلص في نيته والعقاب على قدر الرياء بحسب القصدين
اي المتقدمين والاصلان القرب من الله تعالى بالميل اليه تعالى اي بسبب الاقبال عليه والحضور لديه و
البعد عنه تعالى بالذهول اي الغفلة عنه لقوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه

وكما اوه وقط وما ورد في حديث انا اغنى الاغنيا عن الشرك في نسخة من الشركا. ويجوه مما
بد اعلى البطلان محمول على الاول اي مما لا يريد الثواب اصلا اي على ما اذا استوى القصدين
اوكان قصد الريا ارجح فان لفظ الشرك مطلق للتسوية وباعتبار ما به اى والاخفى
باعتبار ما يقع به الرياء من العبادات هو الرياء باصل الايمان وقيل هو بدل من قوله به باعادة
للجار ووافقه رتاه اولى بالاعتبار وذلك بان يظهر كلمتى الشهادة باللسان من غير تصديق
بالجنان لكنه يرائي احيانا لظاهر الامر في بعض الاركان وهو اغلظ ابواب الرياء كما يشير
اليه قوله تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك اي متحيرين
هنالك لا الى هؤلاء المسلمين ولا الى هؤلاء المشركين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اى
مخلصا ودليلا فهم لم يكونوا مخلصا بل يكون دائما حقيرا ذليلا وفيه الخلود في النار في دار
البوار بل كما قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وذلك لانهم جمعوا بين كفر
الباطن ونفاق الظاهر فحال هؤلاء اشد من حال الكفار المجاهرين ولان ضررهم للمسلمين اكثر
من المشركين وكان النفاق في بدء الاسلام يكثر ممن يدخل في ظاهر الاسلام ويعمل ببعض الاحكام
لغرض فاسد او عوض كاسد وذلك مما يقل في زماننا حيث لا باعث عليه هنالك ولكن يكثر
نفاق من ينسلخ عن الدين باطنا ويجحد الجنة والنار والدار الاخرة ميلا الى قول الملاحدة او
يعتقد بساط الشرع والاحكام ميلا الى اهل الاباحة او يعتقد كفرا او بدعة وهو يظهر خلافه
فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدين في النار وليس وراء هذا الرياء ثم اي ثم الاخفى بعده
الرياء باصل فرايض سواه اي غير الايمان وذلك بان يكون مال الرجل في يد غيره فيامره باخراج
الزكوة خوفا من المذمة والله يعلم من باطنه انه لو كان في يده لما اخرجها او يدخل وقت الصلوة
وهو في جمع فيصلي وعادته ترك الصلوة في الخلوة وكذا يحضر الجمعة ولولا خوف المذمة لما كان
يحضرها وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق ليفطر او يصل رحمه او يبر والديه لا عن
رغبة ولكن خوفا من المذمة او نحوه واقبح كذلك وفيه المقت اي اشد الغضب من جناب الرب الا انه
ليس بكافر عند اهل السنة والجماعة وذلك لانه مراء في الاركان وهو اصل الايمان فيعتقد ان الله
لا معبود سواه ولو كلف ان يعبد غير الله او يسجد لما عداه لم يفعل ولكن يترك العبادات للكسل
الطاري في الاوقات وينشط عند اطلاع الناس وفوق العبادات فيكون منزلته عند الخلق احب اليه
من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس اعظم من خوفه من عقوبة الله ورغبته في محمدتهم
اشد من رغبته في مثوبة الله وهذا غاية الجهل بالرب وما اجدره بهذا المقت الذي هو اشد
الغضب ثم اى ثم الاخفى بعده الرياء باصل السنن المؤكدة والنوافل المستحبة التي لو تركها لا يعصي

ولكن يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ولايثار لذة الكسل على ما يرجى من ثواب العمل ثم يبعثه
الرياء على فعلها وذلك كحضور الجماعة في الصلوة وعيادة المريض واتباع الجنازة وغسل الميت وكا
التهجد بالليل وصيام يوم عاشوراء وكذا نحوه فقد يفعل المرائي هذه الجملة خوفا من المذمة او طالبا للمحمدة
ويعلم الله تعالى من ضميره انه لو خلي بنفسه لما زاد على اداء الفرائض وهذا ايضا عظيم في نفسه لكن كما قال
وفيه اى وفي هذا النوع من الرياء نصفه اى نصف المقت او بعضه باختلاف تفاوت احوالهم في الرغبة
باعمالهم وذلك لايثاره رضا غيره تعالى عن رضاه سبحانه وعدم ايثاره الاحتراز عن مقت غيره سبحانه عليه
اى على المرائي من مقته تعالى فان الذي قبله اثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا ايضا قد فعل ذلك
واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق عنده اعظم من عقاب الخالق واما هذا فلم يفعل
ذلك لانه لم يخف عقاب الله على ترك النافلة لو تركها ويخف على الشرط الاول فله اعقابه نصف عقابه
فتامل ثم بالاوصاف ثم اى الاخفى بعده الرياء باوصاف العبادات لا باصولها من الفرائض المهمات فالواجب
كتعديل الاركان من الركوع والسجود والقومة بتسكين الجوارح والاعضاء بها حتى تطمئن فانه يرائي
بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه ان يخفف الركوع والسجود والقومة فان راه الناس
حسن افعالها ومد القعود بين السجدتين وامثالها فقد قال ابن مسعود من فعل ذلك استهانة
يستهين بها ربه يعني انه ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة كما في الجلوة فاذا اطلع ادمي عليه احسن
الصلوة ومن جلس بين يدي انسان متربعا او متكئا فدخل غلام فاستوى في الجلسة واحسنها كان
ذلك تقديما للغلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة وهذا حال المرائي بتحسين الصلوة في الملاء
دون الخلاء وكذا الذي يعتاد اخراج الزكوة من الدنانير الردية فاذا اطلع عليه غيره اخرجها من الجيد
خوفا من المذمة وكذا الصائم يصون صومه عن الغيبة كمالا لعبادة الصوم خوفا من المذمة فهذا
ايضا من الرياء المحظور لان فيه تقديم الخلق على الخالق لكنه دون الرياء باصول التطوعات كذا في الاحياء
والظاهر انه دون الرياء باصول العبادات من الفروض لان اصول التطوعات دون اصول الواجبات
ولذا يجوز ترك التطوعات راسا ولا يجوز ترك الواجبات اصلا ثم بترك الفرائض يبطل العبادات بخلاف
ترك الواجبات فانه يوجب الاثم والنقصان في وصف العبادات ثم التكميلات اى ثم الاخفى بعده الرياء
بفعل ما لا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة لعبادته فهو ما كان وجوده خيرا من عدمه
كتطويلها اي الصلوة بتطويل الركوع والسجود ومد القيام واطالة القراءة وتحسين الهيئة في رفع اليدين
ووضعهما واظهار تزيين السنة المشعر بتحسين الطوية وحفظ العين عن الالتفات واطراق الراس
في الحالات فيستدل بذلك على غاية خشوعه ونهاية خضوعه وكل ذلك مما لو خلي ونفسه لكان لا يقدم عليه
بمقتضى طبعه ومراعاة نفسه ثم الزائد اي بعده الرياء بزيادة خارجة عن نفس النوافل ايضا كالبكور

في المسجد اي حضوره للجماعة قبل القوم وقصد الصف الاول و توجهه الى يمين الامام وما يجري
مجراه من الاحكام وكل ذلك مما يخبر به الامام ويعلم الملك العلام انه لو خلا بنفسه لكان لا يبالي
اين وقف ومتى حضر و باعتبار انه اي والاطلس باعتبار ما يقع الرياء لاجله ماله فيه قصد المعصية
وقيل انه بدل من ضمير ماله والاول في ما قدرناه احسن ماله وذلك بان يكون مقصوده التمكن من معصية
كتقلد الوقف لمداهنة كالذي يرائي بالعبادات ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل من الطاعات
والامتناع عن اكل الشبهات وغرضه ان يعرف بالديانة فيولى تولية القضايا او الاوقاف او الوصايا
او مال الايتام فياخذها او يسلم اليه تفرقة الزكوة والصدقات فيستأثر بما قدر عليه منها في الحاجات او
يودع الودايع فياخذها ويجحدها في بعض الحالات وهؤلاء ابغض المرائين الى الله لانهم جعلوا طاعة ربهم
سلما الى المعصية واتخذوه الة ومتجرا وبضاعة لهم في فسقهم ثم المباح اي قصده بالرياء كنكاح
الشريفة او المراة الجميلة فيكون غرضه بالرياء نيل حظ من حظوظ الدنيا من مال او جمال فيظهر الحزن
بالبكاء ويشتغل بالوعظ في الصباح والمساء ليبذل له الاموال ويرغب في نكاحه النساء فهذا رياء
محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الحيوة ولكنه دون الاول فان المطلوب لهذا مباح في نفسه
ثم التميز عن العامة بالمشي والزي وترك اكل اللحم ونحوه كي يعد من الخاصة كزهاد والعباد فيما بين
العباد من اهل البلاد فيظهر عبادة لا لقصد نيل حظ دنيوي من مال ونكاح بل خيفة من ان ينظر اليه
بعين النقص ويعتقد انه من جملة العامة كالذي يمشي مستعجلا في طريق فيطلع عليه الناس فيحسن
المشي ويترك العجلة كيلا يقال انه من اهل اللهو والسهو لا من اهل الوقار والسكون وكذلك
الذي يسبق اليه الضحك او يبدو منه المزح فيخاف ان ينظر اليه بعين الاحتقار لا بعين الوقار
فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء واظهار الحزن والبكاء ويقول ما اعظم غفلة الادمي
عن نفسه والله يعلم منه انه لو كان في خلوة هنالك لما كان يثقل عليه ذلك وقد يخفى اي الرياء
فانه كما تقدم اخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليل الظلماء كالفرح باطلاع
الغير على طاعته فرب عبد مخلص في عمله ولا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده عن نفسه ويتم العمل كذلك
ولكن اذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا
يدل على رياء خفي فيه ترشح السرور منه والتعريض للاظهار يعني ثم اذا استقر لذة السرور بالاطلاع
ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفي من الرياء فيتقاضى خفيا ان يتكلف
سببا يطلع عليه بالتعريض والقاء الكلام عرضا بالاظهار وقد حكي ان رجلا اضاف الثوري
واصحابه فقال لاهله هاتوا الطبق الذي جئت به في الحجة الاولى فنظر اليه سفيان وقال مسكين قد
افسد عليه هذا حجته وتحسين الاداء في الخلاء وجعله عادة له لئلا يخالف بالملاء ظنا منه انه

يخلص بهذا عن الرياء ولم يعرف انه يتكدر منه الرياء في الخلاء والملاء وليتزين كذا في النسخ والظ
ان يقول والتزين في الاعين اي اعين اهل الملاء بظهور الخشوع في الاعضاء كاظهار النحول والصفار
وخفض الصوت ويبس الشفتين واثار الدمع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد والحاصل انه مهما
ادركت النفس تفرقة بين ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ففيه شعبة من الرياء فقد روي
لا يكمل ايمان احدكم حتى يكون الخلق عنده كالاباعر وتاثيره اي الرياء في العمل بالاحباط والاثبات
انه اذا هجم اي غلب الرياء بعد التمام اي تمام العمل الخالص بالفرح متعلق بهجم اي بفرحه على الظهور من
غير قصده والاظهار بقوله لا يبطل ثواب العمل المودي بالاخلاص لعدم بطلان الثواب المتقدم
بالعمل الطاري اي الحادث بعده وفيه الثواب على عمله الذي مضى والعقاب على مراءاته بطاعة الله
بعد الفراغ منها وحمل ما ورد اي في الحديث من نفي العمل تغليظا ما صمت ولا افطرت فيمن قال صمت
اي في حق من قال صمت دائما والمحفوظ صمت الدهر يا رسول الله ثم المعروف في مسلم من حديث ابي قتادة
قال عمر يا رسول الله كيف بمن يصوم الدهر قال لا صام ولا افطر فهذا محمول على كراهة صوم الدهر
اي لا على ابطاله بالرياء لاظهار اعماله ولانه يكون في قوله نوع كذب لدخول العيدين اي عيدي
الفطر والاضحى والتشريق فيه اي في قوله صمت الدهر وصوم هذه الايام الخمسة حرام باتفاق الائمة
الاربعة واخرج ابن جرير كما في الجامع الكبير عن ام كلثوم قالت قيل لعايشة تصومين الدهر وقد
نهى رسول الله صلى الله عم عن صيام الدهر قالت نعم سمعت رسول الله صلى الله عم نهى عن صيام
الدهر ولكن من افطر يوم الفطر ويوم النحر فلم يصم الدهر وقال بعضهم انما قال عم زجرا له
عن اظهاره وما جاء اي وحمل ما ورد عن ابن مسعود ذلك اي اظهاره حظه ولفظ الاحياء حظه
منها اي من القراءة فيمن قال قرأت البارحة اي الليلة المتقدمة سورة البقرة على اي حمل على عدم خلو
القلب عنه اي عن الرياء حالة القراءة لا انه هجم بعد تمامها بدلالة الاظهار وكيف ما كان فيحتمل ان
يكون ذلك من رسول الله صلى الله عم ومن ابن مسعود استدلالا على ان قلبه عند العبادة لم يخل
عن عقد الرياء وقصده لما اظهر منه التحدث به ان يكون ما يظهره بعد العمل مبطلا لثواب العمل بالكلية
نعم يبطل كمال ثوابه في القضية واذا هجم اي غلب الرياء في الاثناء العبادة مجردا عن الاخلاص في
قصد الثواب وبعث على العمل اي على تمامه وختم العمل به اي بالرياء المتجرد عن قصد الثواب
كما لو تذكر ضالته في اثناء الصلوة او حك نظارة اي فرجة ونزهة في اثنائها فاتم العمل المقصود
الفرع عنده لولاه وفي نسخة لولا هو اي ذلك الفرع لقطع ذلك العمل وطلب الضالة او تفرج على النظارة
يبطل جواب اذا هجم اي يبطل هذا الرياء ثواب العمل الكلي في عمل ذي اركان اي اجزاءه يتعلق
صلاح بعضها ببعض كالصلوة والصوم والحج والظاهر ان الغزو كذلك الكلي في عمل ذي اركان

قال الطبراني اذا كان أكبا ارلا اعلاه كلمه انه لا يضره ما عرض له بعد ذلك على ما نقل عنه السيوطي في حاشية البخاري
ورد العمل كالوعاء اذا طاب اخره طاب اوله هكذا في الاحياء ورواه ابن ماجه عن حديث معاوية بلفظ
اذا طاب اسفله طاب اعلاه على كل تقدير فظاهره لا يوافق الدعوى الا ان يراد بعموم الحديث كما لا يخفى من رأى
بعمله شيئا حبط عمله والذي كان قبله كذا في الاحياء قال العراقي ولم اجده بهذا اللفظ وللشيخين من حديث
جندب من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به دون غيره اي بخلاف عمل ليس بذي اركان يتعلق صلاح
بعضها ببعض كالصدقة والتلاوة وانما لم يبطل هذا النوع من العمل كله بالرياء اذ كل جزء من كل منها منفرد
اي من جزء اخر حيث انه مستقل بنفسه لا تعلق له بغيره فحكي بعض الصالحين قال كنت ليلة وقت السحر في غرفة
لي اقرا سورة طه فلما ختمتها غفوت غفوة فرايت شخصا نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدي
فاذا فيها سورة طه فاذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة الا كلمة واحدة فاني رايت مكانها محوا ولم
ار تحتها شيئا فقلت والله لقد قرات هذه الكلمة ولم ار لها ثوابا ولم ارها اثبتت فقال الشخص قد قراتها
وكتبناها الا اذا سمعنا مناديا ينادي من قبل العرش امحوها واسقطوا ثوابها فمحوناها قال فبكيت في
منامي بكاء شديدا وقلت لم فعلتم ذلك قالوا مر رجل فرفعت بها صوتك لاجله فذهب ثوابها وهذا
يدل على ان الرياء في الاوصاف يبطل الثواب العمل راسا والطارئ اي الحادث من الرياء لا يبطل الماضي من
العمل بل يبطل الباقي وفيه مخالف لما ورد من ان الشخص اذا ذكر العمل السر جهرة ينقل الى العلانية واذا ذكر
ثانيا ينقل الى الرياء واذا لم يتجرد الرياء عن الاخلاص وقصد الثواب بل غلب الرياء عليه بغلبة الفرح باطلاع
الغير اي مشاهدة غير اليه فالغالب فيه اي الظن الغالب في هذا النوع من العمل الفساد ان انقضى على حالة الرياء
ركن من اركان ذلك العمل مع غلبة قصد الرياء ولم يعاوده اي العامل الركن او المصلي ابتداء الاصلي للصلوة
وهو الاخلاص لانا نستصحب نية البداءة اي نعطي النية السابقة التي كانت خالصة لقصد المثوبة
حكم استصحاب الحال والمعنى نحكم عليها الى تمام العمل في المال بشرط ان لا يطرأ اي لا يحدث بعد النية السابق
اثناء العمل من الرياء اللاحق نما اي رياء لو قارن ابتداء لمنع ابتداء الاصلي للصلوة الصحيح الذي هو
الاخلاص وان احتمل اي ولو احتمل الجواز اي صحة العمل لبقاء قصد الثواب الموجود حال العقد كذا
التحريمة المقرونة بالنية وتوضيحه ما في الاحياء اذا كان وارد الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الاستتمام
لاجل الثواب كما لو حضر جماعة في اثناء صلوة ففرح بحضورهم فاعتقد الرياء وقصد تحسين الصلوة
لاجل نظرهم وكان لولا حضورهم لكان يتمها ايضا فهذا رياء قد اثر في العمل وانتهض باعثا على الحركات
فان غلب عليه حتى انمحى معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغمورا فهذا
ايضا ينبغي ان يفسد العبادة مهما مضى ركن من اركانها على هذا الوجه لانا نكتفي بالنية السابقة عند
الاحرام بشرط ان لا يطرأ ما يغلبها ويغمرها ويحتمل ان يقال لا يحبط العبادة نظرا الى حالة العقد وبقاء

اصل الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو اغلب منه والله اعلم بالصواب وذهب الحارث المحاسبي الى الاحباط
في امر اهون منه قال اذا لم يرد الا مجرد السرور باطلاع الناس يعني سرورا هو حب المنزلة والجاه قال
وقد اختلف الناس في هذا فصارت فرقة الى انه حبط لانه قد نقض العزم الاول وركن الى حمد المخلوقين ولم
يختم عمله بالاخلاص وانما يتم العمل بخاتمته ثم قال ولا اقطع عليه بالحبط وان تزيد في العمل ولا امن عليه
وقد كنت اقف فيه لاختلاف الناس فالاغلب على قلبي انه يحبط اذا ختم عليه بالرياء ثم قال فان قيل
فقد قال الحسن البصري انهما حالتان فاذا كانت الاولى لله لم يضره الثانية وقد روي ان رجلا قال يا
رسول الله اسر عملي لا احب ان يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني قال لك اجران اجر السر واجر العلانية رواه
البيهقي والترمذي وابن حبان من حديث ابي هريرة ثم تكلم المحاسبي على الاثر والخبر فقال اما الحسن فانه
اراد بقوله لا يضره اي لا يدع العمل ولا تضره الخطرة وهو يريد الله ولم يقل اذا اعتقد الرياء بعد
عقد الاخلاص لم يضره واما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلثة اوجه احدها انه
يحتمل انه اراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث انه قبل الفراغ وثانيها انه اراد ان يسر به للاقتداء
الناس به ونحوه من سرور محمود لا سرور راجح حب المحمدة والمنزلة بدليل انه جعل له به اجرا ولا ذاهب
من الامة الى ان السرور بالمحمدة اجرا وغايته ان يعفى عنه فكيف يكون للمخلص اجر وللمرائي اجران وثالثها
انه قال اكثر من يروي هذا الحديث يرويه غير متصل الى ابي هريرة بل اكثرهم يوقفه على ابي صالح السمان ومنهم
من يرفعه فالحكم بالعمومات الواردة اولى وان اتصل الرياء بالعقد اي بالتحريمة وابتداء النية مجردا
من قصد الثواب واتم العمل حتى سلم عليه اي على الرياء المتجرد عن قصد الثواب يفسد هذا ذلك العمل
اتفاقا اي وهو اثم اجماعا وان رجع المصلي عن الرياء الى الاخلاص وندم على ما قصده قبل التمام
اي تمام العمل فكذلك يفسد ذلك العمل اتفاقا فالعقد الانعقاد على الاخلاص وضعف القول اي ولضعف
قول القائل بوجوب اعادة الافعال الصادرة عن الرياء لفسادها اي لبطلان تلك الاعمال دون
التحريمة اي من غير وجوب اعادتها فهي اي التحريمة عقد له ثبوت واستقرار والرياء خطرة لا تخرجها اي التحريمة
عن الانعقاد والمعنى ان قول المصلي اصلي لله تعالى عقد يتم على الاخلاص ثم نعتا كالاقرار باللسان عقد ثابت
والرياء خطرة لا تبطل العقد كما ان اقرار المنافق باللسان لا يبطل نفاقه بالجنان بل يثبت حكمه في الدنيا
فكذا هنا فقوله فهي عقد الخ دليل وجوب الاعادة واما دليل القول الاول المضعف الثاني فقوله لان
الافعال الفاسدة من الركوع والسجود اذا لم تصح فهي زائدة فيها اي في الصلوة فتبطلها اي تلك الافعال
الصلوة وبوجوب الاستغفار اي ولضعف القول بوجوب الاستغفار قلبا والاتمام اي بوجوب اتمام
العمل لفظا اي بتجرد اعن الرياء لاعتبار الختم تعليل لوجوب الاستغفار والاتمام لفظا اي لاعتبار خاتمة
العمل كما لو ختم بالرياء وابتداء بالاخلاص كان يفسد عمله وكون العمل اي ويكون العمل او ولا اعتبار كون

العمل له تعالى لا لغيره والا اى فلو لم يكن العمل خالصا له بان صلى لغيره لكفر كما كفر من يسجد للصنم ونحوه
وزوال عارض الرياء اي وبزواله او ولاعتبار زواله بالتوبة لانه دليل لضعف وجوب الاستغفار
والمعنى لان الرياء قادح في النية وحالة البداءة اى الاولى اولى بالرعاية في الاخلاص من الحالة الثانية
لان المدار عليها في الافعال باقية فقد فات ذلك فيبطل العمل ويجب الاعادة وتوضيحه ما في الاحياء
من ان الرياء الذي يقارن حال العقد بان يبتدئ الصلوة على قصد الرياء فان تم عليه حتى سلم فلا خلاف
في انه يقضي بصلوته وان ندم عليه في اثناء صلوته واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزم ثلثة اوجه
قالت فرقة لم تنعقد صلوته مع قصد الرياء فليستأنف فقالت فرقة يلزم اعادة الافعال كالركوع و
السجود وتفسد افعاله دون تحريم الصلوة لان التحريم عقد والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه
عقدا وقالت فرقة لا يلزم اعادة الشيء بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر
الى خاتم العبادة كما لو ابتدأها باخلاص وختمها بالرياء لكان يفسد عمله وقالوا ان الصلوة والركوع
والسجود لا تكون الا لله فان سجد لغير الله كان كافرا ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة
وصار الى حالة لا يبالي بحمد الناس وذمهم فتصح صلوته قال ومذهب الفريقين الاخيرين خارج
عن قياس الفقه جدا خصوصا من قال يلزم اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لان الركوع والسجود
اذا لم يصح صارت افعالا زائدة في الصلوة فيبطل الصلوة وكذا من يقول لو ختم باخلاص صح نظرا
الى الاخر فهو ايضا ضعيف لان الرياء يقدح في النية واولى الاوقات بمراعاة احكام النية حال الافتتاح فالذي
يستقيم على قياس الفقه هو ان يقال ان كان باعثه مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتثال
الامر لم ينعقد الافتتاح ولم يصح ما بعده وذلك فيمن اذا خلا بنفسه لم يصل فهذه الصلوة لانية فيها اذ النية
عبارة عن اجابة باعث الدين وهنا لا باعث ولا اجابة واما اذا كان بحيث لولا الناس ايضا لكان يصلي الا انه ظهر له
الرغبة في المحمدة ايضا فاجتمع الباعثان وهذا معنى قوله وان لم يتجرد الرياء من قصد الثواب ففيما لا يقبل
الفساد وهو العمل الذي ليس بذي اركان كالصدقة والقراءة والحج والصوم يثاب على قصد الاخلاص حيث
اطاع باجابة باعث الثواب ويعاقب على قصد الرياء حيث عصى باجابة باعث الرياء وعدل عن طريق
الصواب وقد ورد في التنزيل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره اي يرى جزاءه في الدنيا والاخرى الاية اي ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعليه عقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط احدهما
الاخر وفي غيره اى وفي غير ما لا يقبل الفساد وهو وفيما يقبل الفساد وهو عمل ذو اركان كالصلوة فانها تقبل
الفساد ويتطرق خلل الى النية فيفرق بين الفرض والنفل حيث قيل لا يبطل النفل حتى يصح الاقتداء والمعنى
ان حكمه ايضا حكم صدقة فقد عصى من وجه واطاع من وجه اذ اجتمع في قلبه الباعثان ولا يمكن ان يقال
صلوة فاسدة والاقتداء به باطل حتى ان من صلى التراويح وتبين من قرائن حاله ان قصده الرياء باظهار

حسن القراءة

حسن القراءة ولولا اجتماع الناس خلفه وخلا في البيت وحده لما صلى لا يصح الاقتداء به فان المصير الى هذا
بعيد جدا بل يظن بالمسلم انه يقصد الثواب ايضا بتطوعه فيصح باعتبار ذلك القصد صلوته ويصح الاقتداء
به ولا يسقط الفرض ان لم يستقل قصد الثواب بان اقترن به قصد اخر هو عارض به فاجتمع الباعثان
وكان كل واحد لا يستقل ولا نما يحصل الانبعاث بمجموعها فهذا لا يسقط الواجب عنه لان الايجاب لم ينتهض باعثا
في حقه بمجرده واستقلاله وان استقل اى قصد الثواب بمقتضى ظاهر كلام المص والاظهر ان استقل
كل من القصدين الباعثين حتى لو لم يكن باعث الرياء لادى الفرض ولو لم يكن باعث الفرض لانشأ صلوة
التطوع لاجل الرياء فوجهان اي ففيه احتمالان احدهما السقوط اي سقوط الفرض واعتباره للامتثال
بالنية المستقلة وانفراد غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار مغصوبة فانه وان كان عاصيا
بايقاع الصلوة في الدار المغصوبة فانه مطيع بامتثال الصلوة ومسقط للفرض عن نفسه وعدمه اي وثانيهما
نفي سقوط الفرض لان الواجب في تادية الفرض هو الخالص من الرياء لقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين وقد فات ذلك باتصال الرياء وان كان باعث الاخلاص مستقلا ثم تعارض الاحتمال في تعارض البواعث
انما هو في اصل الصلوة وان كان اتصال الرياء في المبادرة مثلا دون اصل الصلوة مثل من بادر بالصلوة
في اول الوقت لحضور الجماعة ليقولوا انه مبادر الى الخيرات ومسارع الى الطاعات والمبرات ولو خلا لاخر الى وسط
الوقت او آخره ولولا الفرض لكان لا يبتدئ صلوة لاجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلوته وسقوط الفرض
عن ذمته ففيه فوت الفضيلة وهي تصحيح النية في المبادرة والمعصية لقصد الرياء في المبادرة اما المغلوب
من الرياء الغير المؤثر اى اذا لم يبلغ اثره الى حيث يؤثره في العمل كالذي لم يحمله على تطوع بل الصلوة مثلا لمجرد
الفرحة باطلاع الغير فالغالب من جهة الظن فيه اي في ذلك الرياء المغلوب الغير المؤثر الجواز اى صحة العمل لعدم
اعتبار غير المؤثر دفعا للحرج واحتمال ان الواجب على العبد هو الخالص من العمل عن الرياء والمختلط بالرياء
غير مؤد اي غير معتبر اداؤه حق الاداء ومن ثم توقف الحارث المحاسبي مائلا الى الفساد اى فساد العمل بالرياء
غير المغلوب كما قدمناه وقيل بالفساد باقل خطره فيما كان من اركان العمل مطلقا اي سواء بلغ اثره
الى حيث يؤثره في العمل ام لا وقيل مطلقا اى رياء كان او غيره وهو ما طلبه الحرث في تصفية القلب عما عداه
سبحانه لاستكمال العبادة وهو مذهب الثوري والجنيد والمسئلة اى مسئلة الرياء غامضة اى مشكلة من
حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا لها في الفقه والذين خاضوا فيها ونظروا من ارباب التصوف لم يحافظوا
قوانين الفقه من صحة الصلوة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب ومرادها وطلب الاخلاص
على افساد العبادات بادنى الخواطر والارادات والعلم عنده تعالى في جميع الحالات والمقامات ومما يؤيد القول
بابطال الرياء جميع الطاعات اطلاق قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
كالذي ينفق ماله رئاء الناس الاية وروايه ابي داود من حديث ابي هريرة ان رجلا قال يا رسول الله رجل

علاج دفع الرياء

من الجهاد في سبيل الله ... ويبتغي به عرضا من عرض الدنيا فقال عم لا اجر له ولمسلم من حديث ابي امامة باسناد
حسن ارايت رجلا غزا يلتمس الاجر والذكر ماله فقال لا شيء له فاعادها ثلث مرات يقول له لا شيء له ثم
قال ان الله تعالى لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا وابتغي به وجهه نعم قد يقال الحكم للاغلب والله
تعالى اعلم والعلاج اي دواء داء الرياء اربعة قلع حب الجاه والمدح الذي هما سببه وكراهة الذم
والطمع بما في ايدي الناس اي وقلع كراهتهما بما سبق ذكره من الاشياء ومما يشهد للرياء بهذه الاسباب
وانها الباعثة للمرائي ما روي ابو موسي ان اعرابيا سال النبي عم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية
ومعناه انه يانف ان يقهر او يذم بانه مقهور ومغلوب قال والرجل يقاتل ليري مكانه وهذا هو طلب
لذة الجاه قال والرجل يقاتل للذكر وهذا هو طلب الحمد باللسان فقال عم من قاتل ليكون كلمة الله
هي العليا متفق عليه وعنه عم من غزا لا يبتغي الا عقالا فله ما نوي رواه النسائي وهذا اشارة الى الطمع
واخفاء العمل مستكلفا اي مجتهدا مبالغا فيه بان يعود نفسه اخفاء العبادات كما يخفي السيئات وذكر فوائد
الاخلاص وآفات الرياء على ما تقدم والحاصل ان قوة المعرفة بحسب قوة الايمان ونور الايقان وضعف
المعرفة بسبب حب الدنيا وحب الغفلة ونسيان العقبي وقلة التفكر فيما عند الله تعالى من الدرجات وعدم
التامل في آفات الدنيا وعظيم نعيم الاخري والحاصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل
خطيئة ومنبع السيئات فان حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا الفانية هي التي تعمي القلب وتميله
عن الرب وتحول بينه وبين التفكر في العاقبة الباقية والاستبصار بنور الكتاب والسنة الثابتة وانوار
العلوم النافعة واسرار الاعمال الرافعة فاقبح من لا يكتفي بنظره تعالى على ساعة من العمل المحبوب عنده
وهو تعالى مع جلاله اي جلالة قدره وعظم شانه يكتفي بنظره اي بنظر عبده وتامله في خلق سمائه وارضه
ونزول امره كما ورد في التنزيل الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا
ان الله على كل شيء قدير الاية اي وان الله قد احاط بكل شيء علما ومن اي وما اقبح من باع عمله بخسيس
واعرض عن بيعه بثواب الدارين من نفس باق لجسيم ثان كما ورد في التنزيل من كان يريد ثواب الدنيا
فعند الله ثواب الدنيا والآخرة اي فليطلبهما من عنده فانه لا يوجدهما عند غيره وذكر ما ورد فيه اي
في الاخلاص من الفضيلة وفي ذم الرياء من الرذيلة ويكفي في ذلك قوله سبحانه فمن كان يرجو لقاء
ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا والاخبار في هذا الباب كثيرة والآثار شهيرة
ويحمد الفرح بالظهور اي بسبب ظهور الطاعة من غير قصد في اظهارها على حسن لطفه تعالى اي شكرا
باخفاء الذنوب اي ستر السيئات واظهار الطاعات كما ورد في التنزيل قل بفضل الله وبرحمته من الايمان
والقرآن فبذلك فليفرحوا اي بهما بل بما ذكر هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا الفانية وفي الدعاء يا من
اظهر الجميل وستر القبيح او دلالته اي او يحمد الفرح بالظهور على دلالته على انه تعالى يفعل كذلك

من اظهار

من اظهار الحسنات وستر السيئات في الآخرة اي آخر الحال كما ورد في صحيح مسلم من حديث ابي هريرة ما ستر
الله على عبد في الدنيا الا وستره عليه في الآخرة وفي معناه انشدوا اشعارا لقد احسن الله فيما
مضي كذلك يحسن فيما بقي فيكون الاول فرحا بالقبول في الحال من غير ملاحظة الاستقبال والثاني
التفاتا الى حال المآل وحسن المنال او لانه اي يحمد بالفرح او بالظهور على ان من ظهر عمله يقتدي
به فيضاعف الاجر بسبب ظهوره او اي او يحمد الفرح على ان المطلعين على عمله يثابون بحبه اي
بحب صاحب العمل له والثناء عليه في مقام رضاه ففي الخبر افضل الاعمال الحب في الله وبعرف الاخير
وهو صدق دعوى فرحه باثابة الناس او فرحه باقتدائهم في عمله بتسوية مدحه ومدح صالح
غيره فانه يدل على ان فرحه محمود لا مذموم مردود ومنه اي ومن الفرح المحمود ما ورد كما جاء ان
اجر السر واجر العلانية فيمن قال على طريق السؤال اخفي العمل خوفا من الرياء فاذا ظهر او فرح
بظهور الثناء فللبيهقي في شعب الايمان عن ابن مسعود ان رجلا قال اسر العمل لا احب ان يطلع
عليه فيطلع عليه فيسرني فقال عم لك اجران اجر السر واجر العلانية ورواه الترمذي وابن حبان
من رواية ابي هريرة ولفظه قال قلت يا رسول الله بينا انا في بيتي في مصلاي دخل علي رجل
فاعجبني الحال التي رآني عليها فقال عم رحمك الله يا ابا هريرة لك اجران اجر السر واجر العلانية
والحديث في المشكوة والاظهار اي ويحمد اظهار العمل للترغيب اي لترغيب غيره فيه كما ورد في صحيح
مسلم عن جرير بن عبد الله البجلي من سن سنة حسنة اي فعل بها كما في رواية فله اجرها واجر من
عمل بها الى يوم القيمة وسبب وروده ان انصاريا جاء بصره فتتابع الناس بالعطية لما
رواه وللبيهقي من حديث ابن عمر عمل السر افضل من عمل العلانية افضل لمن اراد الاقتداء
وله من حديث ابي الدرداء ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا وله من حديث عائشة
يفضل او يضاعف الذكر الخفي الذي لا يسمعه الحفظة على الذي يسمعه سبعين ضعفا وبه اي
وبالاظهار امر الانبياء عليهم السلام ويفهم منه ان يحسن الاظهار بشرط ان يكون المظهر ممن
يقتدي به من العلماء والصلحاء ليتم فائدة الاظهار الذي دون الاسرار قال الحسن قد علم
المسلمون اجوز العملين ولكن في الاظهار ايضا قد يكون فائدة فلذلك اثني الله على السر و
العلانية فقال تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير
لكم قلت وقد قال ايضا الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم
اجرهم عند ربهم الآية قال علي رض تصدقت بدرهم في ليل وآخر في النهار وآخر سرا و
آخر علانية عملا بالآية وعاملا عليها نية ويبالغ اي بشرط ان يبالغ في الاحتراز عن الرياء
ليصل الى مقام اهل الاختصاص من الاخلاص فربما يكون فيه رياء في غاية خفاء فيدعوه الى

يحمد اظهار العمل ليرغب غيره

الى الاظهار بعد ان اقتداء يهلك هنالك وهو لا يشعر بذلك ويعرف احترازه او يعرف المظهر
للترغيب دون الرياء بانه لو قدر اي عرض اقتداء الناس بغيره من العلماء في عمله حال ظهوره
وعرفانه اى وقد يعرف هذا المظهر باستواء الحمد والذم والعلانية فضلا عن كون عمل السر افضل
للترغيب المظهر فيه اى في اظهار عمله لان غرضه حصل من عمل غيره فيهما وجد الثقل في نفسه او
رغب في اظهار العمل مع وجود اظهاره من الغير فهو كاذب في دعواه طالب لمقتضى هواه والذكر
اي ويحمد ذكر العمل بعده اي بعد الفراغ من العمل ليقتدى به كقول عثمان ما تغنيت ولا تمنيت ولا
مسست ذكري بيميني منذ بايعت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا في الاحياء ولابي يعلى الموصلي
في معجمه من رواية انس عنه في اثناء حديث وان عثمان قال يا رسول الله فذكره بلفظ منذ
بايعتك قال هو ذاك يا عثمان او تحدثا بنعمة ربه وهو اي الذكر انما جاز لمن قوي باطنه في
المعرفة بعدم الالتفات الى ما سوى الله وتم اخلاصه عن الرياء وخطره اي خطر الذكر بعد العمل
اصعب من خطر الظهور لخفة المؤنة اى الكلفة في ذكره ببعض الكلمة وزيادة المبالغة اي
ولزيادة تمادي ذكر العمل بان يقول ما نمت البارحة مع انه لا يخلو من نوع من النوم ولو بالنعاس
ولذة النفس في اظهار الدعاوى واخفائها هون على المظهر في التأثير وان يطرق في الذكر
بعد العمل لان اللاحق من ذكر العمل لا يبطل السابق من نفس العمل مع الاخلاص وكتمان المعاصي
اي ويحمد كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس على العيوب لا اي لا يحمد لان يعتقد فيه اي
في الكاتم الورع رياء بل يحمد لثمانية اشياء للتحامي عن الهتك اي للمحافظة على هتك سره وظهور
امره من ذنبه خوفا من سقوط وقع المعاصي من النفس وجراتها عليها فان النفس متى الفت ظهور
الذنوب زادت تهاكها واسترسلت في شهواتها بارتكابها وما بالت بعدم اجتنابها فقيه اي للهتك
في الدنيا خوفه اى خوف العبد او خوف الهتك في الاخرة اي في القيمة بالكرة الاخرة عكس ما تقدم
في قوله شعر لقد احسن الله فيما مضى كذلك يحسن الله فيما بقي اولان الستر اى كتمان المعاصي مامور به
اي في باب استحبابه ورد في حديث من ستر الله عليه في الاخرة باعتبار مفهوم وكذا من ارتكب شيئا
من هذه القاذورات اى السيئات فليستتر بستر الله تعالى عليه رواه الحاكم ويعرف صحة هذا المقام بكراهة
ظهورها اي المعاصي من الغير ففي الحديث لا يؤمن احدكم حتى يسلم اى يحب لاخيه ما يحب لنفسه او يتألم بالذم
اي بذم الناس فان الذم مؤلم للقلب وتألم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان بعاص فهو اي التألم
مباح لكونه جبليا كما ان الضرب يؤلم الجوارح بالطبع فاذا تألم القلب بالذم ربما يصير مانعا من الخشوع
والخضوع في العبادة بتفوت عقله بسبب الغضب الناشئ عن تألمه والترك اي ترك التألم كمال فان
كمال الصدق في ان يزول عنه رؤية الخلق فيستوي عنده ذامه ومادحه لعلمه ان الضار والنافع هو الله تعالى

وان العباد

وان العباد كلهم عاجزون مقهورون وتحت قدره وقضائه فللترمذي من حديث البراء وحسنه
بلفظ قام رجل فقال ان حمدي زين وان ذمي شين فقال كذبت ذاك الله ولاحمد
من حديث الاقرع بن حابس وهو قائل ذلك دون قوله كذبت ورجاله ثقات اولان الناس شهداؤه
اي شهداء الله تعالى كما قيل السنة الخلق اقلام الحق ورد في مسند احمد والصحيحين والنسائي
عن انس من اثنيتم ايها الصحابة او ايها الامة عليه خيرا وجبت له الجنة ومن اثنيتم عليه شرا وجبت له
النار وانتم شهداء الله في الارض ثلثا اي قاله ثلث مرات وهو المستفاد من قوله تعالى وكذلك
جعلناكم امة وسطا اي عدلا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ولان الذام
يصير عاصيا اي بسبب ذمه ولو بالمعاصي او بتجاوزه عن الحد في الذم فيذم بما ليس فيه ويعرف تصحيح
هذا المقام او يعرف هذا الكتمان بتسوية ذمه وذم غيره يعني كما يتألم بذمه كذلك يتألم بذم غيره
والفرق بين هذا التألم والذي قبله ان هذا يوجد في الانسان اذا ظهرت المعصية عن غيره ايضا
كما يوجد اذا ظهرت منه والذي قبله انما يوجد في الشخص اذا ظهرت منه المعصية دون غيره او لخوف
ان يقصد بسوء من محتسب وغيره وهذا وراء الم الذم فان الذم مذموم من حيث يشعر القلب
بنقصانه وان كان ممن يؤمن شره وهذا يخاف شر من يطلع على ذنبه فيخفيه عليه من جهة قلبه او للحياء
وهو من كرم الطبع ولا يلزم منه الرياء وورد الحياء خير كله مسلم من حديث عمران بن حصين الحياء شعبة
من الايمان متفق عليه من حديث ابي هريرة وفي لفظ الحياء لا يأتي الا بخير متفق عليه من حديث عمران بن حصين
ويعرف الكتمان للحياء بعدم الكتمان عمن لا يستحيي منه كالاخ بخلاف باقي الاسباب فان اصحابها
يحب الكتمان في الاجانب والاقارب اولان لا يقتدى به الغير في معصيته فينبغي ان يخفي المعاصي معصيته
من ولده وعبيده ايضا وحب اى ويحمد حب محبة الناس كان الظاهر ان يقال محبة الناس ليكون اضافة
المصدر الى فاعله والمفعول محذوف اي اياه لكنه قلب الكلام وقال محبة الناس بالاضافة الى المفعول
والناس فاعله لانه يعلم منه اى من حب الناس له محبته تعالى اياه حتى احبه تعالى جعله محبوبا في قلوبهم اي
قلوب الخلق اجمعهم لقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ولقوله عليه السلام اذا
احب الله عبدا دعا جبرائيل فقال اني احب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء ان الله يحب
فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض الحديث رواه مسلم عن ابي هريرة ثم الطاعة التي
لا يلتذ بها العامة كالصلوة والصوم والصدقة يتوقف بعض العمل ان هجم الرياء مجردا عن باعث اخر
او عن الاخلاص في الشروع اي في ابتداء شروعه في العمل حتى اندفع الرياء الى ان يندفع الرياء ويطرء
باعث الاخلاص ويشرع في العمل يجاهد نفسه في دفع الرياء وتحصيل الاخلاص بالمعالجة والدواء ان هجم
باعثان في حق الشروع ويتم اي يجاهد كذلك اى كما انه في هجوم باعثين ان هجم باعث الرياء بعده اي

اي بعد الشروع ولا يترك اي الشروع في العمل لاجل هجوم الرياء لوجهين لانه موافقة الشيطان فانه يحب ترك العمل
من اصله فانه يدعوك اولا الى ترك العمل فاذا لم تجبه واشتغلت بالعمل فيدعوك الى الرياء فاذا لم تجبه وقد بقي
يقول لك هذا العمل ليس بخالص وانت مراء وتعبك ضايع فاي فائدة لك في العمل الذي لا اخلاص فيه حتى
يدلك على ترك العمل لخوفه فاذا تركته فقد حصلت غرضه بل يجب عليه ان يعمل العمل ويطلب الاخلاص
من الله تعالى فان الرياء قنطرة الاخلاص ولان الاشتهار باخفائها اى الطاعة ليعلم اخلاصه رياء والاحتراز
اى ولان الاحتراز عن النسبة الى الرياء كما قال الفضيل العمل لغير الله ترك وترك العمل لاجل الخلق رياء
والاخلاص ان يخلصك الله عنهما وترك التخفي التلاوة لدخول شخص لم يكن لمجرد اخفاء الطاعة بل لما علم
انه يحتاج اليه بالاشتغال به فبادر الى ترك التلاوة قبل دخوله لكونه اى التبادر ابعد من الرياء فرأى
ان عدم رياءه في القران ابعد من الرياء وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود اليها بعد ذلك
والحاصل ان تركه لم يكن لهجوم الباعثين عند الشروع او هجوم باعث الرياء بعد الشروع وان زاد اى
المصلي مثلا على المعتاد في ورده كمية او كيفية لحدوث النشاط في العبادة عند رؤية متعبد اخر
فان للصحبة تاثيرا بليغا ولذا شرعت الجمعة والجماعة فان كان ما زاد على المعتاد غبطة في العبادة لزوال
الغفلة والكسل الناشئ هو اي المتعبد فيفعل الزيادة على العبادة وان ظن انه رياء فلما فعل وسوسة
انه رياء بخلاف ما اذا كان نشاطا لاستمالة قلبه اى قلب المتعبد الاخر فلا يفعل الزيادة لانه رياء
محض لا ثواب له بل عقاب عليه ويعرف هذا المقام وهو النشاط لاجل الغبطة بانه اى بان العابد الذي
يزيد على المعتاد غبطة لو رأى النشط المتعبد بحيث لم يره المتعبد النشط رغب العابد فيه اي في العمل
الزائد فانه حينئذ يصدق انه مخلص وباعث الزيادة حصول الغبطة اما ما يلتذ به العامة من الطاعة
فلا على الخلافة اى الامامة الكبرى ورد في الطبراني والبيهقي من حديث ابن عباس ليوم من امام عادل
خير من عبادة وحده ستين سنة في رواية عاما وللاصبهاني في الترغيب والترهيب من حديث ابي سعيد
بن الخدري اقرب الناس مجلسا يوم القيمة الامام العادل وخطرها اى خطر الخلافة اعظم لتحريكها
اى الخلافة الباطن في محبة الجاه وهو اعظم بلاء الدنيا فلاحمد والبزاز وابي يعلى والطبراني من حديث ابي
هريرة ما من والي عشرة الا جاء يوم القيمة يده مغلولة الى عنقه لا يفكها الا اذا عفا له وفي الصحيحين من
حديث معقل بن يسار ما من عبد يسترعيه الله رعية لم يحطها بنصيحة الا لم يرح رائحة الجنة وعن
ان رجلا ولاه النبي عليه السلام فقال خرط يا رسول الله قال اجلس رواه الطبراني ورواه ايضا من حديث ابي هريرة
عمر بلفظ الزم بيتك وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن سمرة لا تسأل الامارة وللبخاري من حديث ابي هريرة
انكم تحرصون على الامارة وانها حسرة يوم القيمة وندامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة ورواه ابن حبان
فبئست المرضعة وبئست الفاطمة وفيهما من حديث ابي موسى انا لا نولي امرنا من سألنا والاقضاء اى ولا

يصال

اى ولا يصال الخلافة اجزاءها الى ارتكاب الذنب لعموه اي لزيادة الجاه فان في نفي جاههم وغضب لي
النفس حجة صاحب الولاية طربة عنده فيحتاج الى حفظها ويوشك ان يتبع هواه فيمنع من كل ما يقدح في
جاهه وان كان حقا ومن ثم احترز عنها اي عن الخلافة الاتقياء من اكابر الائمة لكن لا بد لاحد ان
يقوم بامرها فيحترز عنها الضعيف اى العاجز عن السياسة دون القوي القادر على الرياسة لعدم تاثيرها
اي تاثير الخلافة او طمع الجاه فيه اي في القوي الا اذا علم القوي اي خاف الانقلاب عن حالة القوة
الى حالة الضعف عند التقليد اي عند قبول الخلافة لما قدمنا من الخطر والآفة فالصحيح اي الاحوط
فيه اي في هذا البناء من خوف الانقلاب الاحتراز اذ النفس خداعة تخاف عليها عند الهجوم اي عند عزمها
وجزمها بالثبات فقيد الخوف من عدم الثبات اولى اذ يخاف عليها والامتناع عن المنصب اهون
من العزل كما هو الشايع في اهل العدل ويشير اليه ما في حديث البخاري نعمت المرضعة وبئست الفاطمة
ثم القضاء وخطره ايضا ادنى من خطر الخلافة ولمسلم من حديث ابي ذر لا تامرن على اثنين
ولا تلين مال يتيم ولاصحاب السنن من حديث بريدة القضاة ثلثة اثنان في النار وواحد
في الجنة رجل علم الحق فقضى به فهو في الجنة ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار ورجل عرف
الحق فجار في الحكم فهو في النار ولهم من حديث ابي هريرة من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين وفي
رواية من ولي القضاء واسناده صحيح ثم الوعظ للناس والدرس للطالب والفتوى لارباب الحاجة
في الفضل لانها عبادات متعدية والخطر لاتساع الجاه فيها وعظم القدر بها فخطر ما فيها اعظم بقدرها
واشتراط القوة بان يجوز التعليم خالصا لوجه الله الكريم ومدافعة السلف مبتدأ فيها في المذكورات
مشهورة قال بعضهم كان السلف يتدافعون اربعة اشياء الامامة والوديعة والوصية والفتوى
ويعرف القوة في كل منهم بعدم كراهة ظهور راجح احسن منه علما وعملا بتقلده اي بالقيام
في امره فان عدم القوي في مقام التقوي الكامل في العلم بالفتوى يتعين اقوى الناس مجتهدا
اي حال كونه مبالغا في الاحتراز عن افاته اى افات ما ذكر من الخلافة وغيرها في جميع حالاته ومقاماته
وبالجملة ما يتعلق بالخلق من الطاعة وللنفس فيه لذة فهو مثار الافات ومنبع البليات فالاحب
للتقوي ان يعمل ويدفع الافات بالعلم فان عجز فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه وليستخرج
وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر وليفعل ما يدل عليه نور العلم بالشريعة دون الميل اليه بالطبع
ثم ما يجده اخف على قلبه واهون اليه يكون في الاكثر اضر عليه لان النفس لا تشير الا بالشر
وقلما تشير بمحض الخير وهذه امور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي واثبات نظرا الى تفاصيلها
بل هي موكولة الى اجتهاد القلب المشحون بذكر الرب لينظر فيه لدينه وتحقيق يقينه ويدع ما يريبه
الى ما لا يريبه ومن جرب افات مناصب العلم وما يترتب عليها من الحرام والشبهة علم انها بالولايات

آفات القضاة

والحكم كما سبق وان الحذر منها في حق الضعيف اسلم والله سبحانه اعلم **الباب الرابع عشر في التفويض وقطع الامل وذكر الموت والانتباه اي تيقظ من نوم** الباب الرابع عشر
الغفلة بالتوبة والاستقامة بسم الله الرحمن الرحيم وافوض الى الله الكريم
الخطر وهو الاشراف على الهلاك ان لم يكن مقرونا بالحذر وفي القدر خطران اي نوعان احدهما خطر
الفساد بان لا يستيقن فيه الصلاح ويحتاج فيه الى التفويض اي التسليم الى امر الله وما قدره وقضاه فما اراد
من الصلاح والفساد فان المراد للعباد ثلثة مراد يعلم يقينا انه شر وفساد كالنار والعذاب وفي الافعال
كالكفر والبدعة والمعصية فلا سبيل لك الى ارادة ذلك ومراد يعلم قطعا انه خير وصلاح كالجنة والايمان
والطاعة والسنة فلك ان تريدها بالحكم لا موضع في التفويض فيه اذ لا خطر فيه ومراد لا تعلم فيه يقينا ان لك
فيه صلاحا ام فسادا هذا موضع التفويض فليس لك ان تريده قطعا الا باستثناء او بشرط الخير والصلاح
فان قيدت ارادتك بالاستثناء فهو تفويض وان اردت دون الاستثناء فهو مذموم ومنهي عنه في موضع التفويض
اذ كل مراد فيه خطر وهو ان لا يستيقن صلاحك فيه وهو اي التفويض ارادة حفظ تعالى للمفوض فيما في عمل
لا امن فيه عن الفساد وقال بعض المشايخ هو ترك اختيار ما فيه مخاطرة الى المختار المدبر العالم بمصالح العباد
من الصلاح والفساد وعبارة الشيخ السنجي هو ترك اختيارك المخاطرة على المختار ليختار لك ما هو خير لك
ويؤيده كلام الامام الشاذلي لا تختر فان تختر فاختر ان ربك يخلق ما يشاء ويختار ومن هنا ما قيل لابي
يزيد ما تريد قال اريد ان لا اريد وقال الشيخ ابو عمر هو ترك الطمع اي من الحق والطمع ارادة شيء الخاطر
بالحكم وعن الشاذلي اقطع طمعك عن الله تعالى ان يطعمك غير ما قسم لك فهذه عبارات القوم وما ذكره المص هو اختيار
الامام الغزالي بعينه وهو ان التفويض ارادة ان يحفظ الله عليك مصالحك فيما لا تأمن الخطر فيه لاجل قيل هو اي
العمل الذي لا امن فيه من الفساد وما يكون دون نجاة فالايمان ليس بعمل نجاه وكذا الواجبات والمحرمات ويمكن ان
يجامعه ذنب فالاستقامة التي هي حمل النفس على طريق السلامة من اخلاق القرآن والسنة من غير الشك والشبهة لا
يجامعها ذنب اذ السنة لا يجامعها بدعة لان البدعة الذميمة هي التي تزاحم السنة الكريمة فيختص التفويض
بالنوافل والمباحات دون الواجبات والمحرمات والمكروهات والمراد بالعمل الذي لا امن فيه من الفساد وما اي
عمل يمكن ان يعترض عليه اي بطرء ويحدث عليه شر وعم ما يكون الاشتغال به اولى فيعم الفرض اي وكذا واكثر المشايخ
واختيار الامام في منهاج العابدين ان الفرض ليس موضع التفويض ورد قال القشيري حيث قال في هذه المسئلة
ان الذي افترض الله عز وجل على عبده من الصلوة والصيام والحج ونحوها ففيها صلاح العبد لا محالة وصحت
ارادتها بالحكم البتة انتهى وقال بعضهم ان الله عز وجل لا يأمر العبد بشيء الا وفيه صلاح اذا تجرد عن
العوارض ولا يضيق عليه فعلا فرضا بحيث لا يعدى عن ذلك الا وفيه صلاح له وانه ربما بسبب عذر الاجل
يكون العدول عن احد الفرائض او الحج من الاشتغال بالاخر فيكون العبد في ذلك معذورا بل مأجورا لكن لا يترك

هذا الفرض بل يفعل الفرض الذي هو اولى اولا ان من قصد اداء صلوة في اول وقتها وعنده غريق
او حريق او اعمى او صغير يريد ان يرمي في بئر يمكن انقاذه اي تخليصه بترك اداء الصلوة او بقطعها وتأ
خيرها فهو اولى من ادائها او اتمامها لان ذلك هو فرض الوقت الذي يتوجه تركه الفوت ولا بد منه اي من التفويض
لامرين لاطمينان القلب في الحال فان الامور اذا تمت خطرة مبهمة لا يدري صلاحها من فسادها فيكون
مضطرب القلب متردد النفس في مرادها لا يدري ايقع فيه صلاح او فساد فاذا فوضت الامر الى الله وما قدره
وقضاه علمت انه لا يقع الا خير ونفع وفلاح فتكون امنا من الخطر والآفة والخائفة مطمئن البال في
الحال وهذه الطمانينة والامن والراحة في القلب غنيمة عظيمة في الحال فكان يقول بعض المشايخ في
مجالسهم كثيرا دع التدبير الى من خلقك تسترح وحصول الصلاح اي الخير والنفع في الاستقبال وذلك
لان الامور بالعواقب مبهمة فكم من شر في صورة خير وكم من نفع في حلية ضر وكم من سم في طيبه شهد
وانت جاهل بالعواقب واسرار المراتب واما اذا فوضت الامر اليه وتوكلت عليه وسلمت نفسك لديه وسألته
ان يختار لك ما هو صلاحك فلا يفعل رب العباد في المفوض اي في امر المفوض المراد الفاسد بل لم يلق الا الخير
والرشاد ولا يقع الا الصلاح والسداد ورد في التنزيل حكاية عن مؤمن آل فرعون وافوض امري الى
الله فوقيه الله الآية ان الله بصير بالعباد فوقيه سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب فالمرجو
هو المتيقن الصلاح واما الاصلح للعبد فربما لا يفعل الله في المفوض حتى نام عم مع اصحابه الكرام عن صلوة
الفجر حين عرس عم وقد سحر في حال سفر والحديث في الصحيحين بطوله وكذا او للمفوض اختيار الافضل
اي في طلبه من الله بغير الاستثناء منه وهو لا يقدح في تفويضه الذي هو كمال التسليم كقول المريض المفوض
للطبيب التي بمنزلة الطبيب اجعل دوائي ماء السكر لا ماء الشعير اذ كان الصلاح فيهما بحسب التدبير مع
الرضاء بالمفضول وهو ماء الشعير ان اختير اي اختار الطبيب المفضول له للمريض بحسب التقدير وانما قيد
بكونه مع الرضاء لانه لو لم يرض به لكان المفضول مكروها وكان الافضل هو الفاضل بخلاف الاصلح فهو
مجهول اي لا يعرف احد من العباد جهة الصلاح وجهة الفساد حتى يختار الاصلح فيما اراد وتوضيح ما
في الاحياء فان قيل هل يجب ان يفعل بالمفوض ما هو الافضل فاعلم ان الايجاب مستحيل في حق الله تعالى و
لا يجب لعباده عليه شيء وقد يفعل بالعبد الاصلح دون الافضل لحكمة في فعله الا ترى انه قدر للنبي عم
واصحابه ان ناموا طول الليل في بعض الاسفار حتى فاتتهم صلوة الفجر والصلوة افضل من النوم وربما
يقدر للعبد الغنى والنعمة في الدنيا وان كان الفقر افضل باعتبار العقبى ويقدر له الاشتغال بالاولاد
والازواج وان كان التجرد لعبادة الله افضل فانه بعباده خبير بصير فالحق للعبد النجاة من الهلاك
لا الفضل والشرف مع الفساد والاهلاك فان قيل فلماذا كان للعبد ان يختار الافضل وليس له ان يختار
الاصلح فاعلم ان الفرق بينهما ان العبد يعرف الافضل من المفضول ولا يعرف الصلاح من الفساد ليريده

بالحكم من اختيار الادنى ان يريد كون الله ان لحظه الحكم فيما هو الافضل ويختار له ذلك و
يعتمد ... الذكر ... العبد ... لقوله تعالى ليس لك من الامر شئ فهذه الجملة من دقايق
هذا العلم واسراره وحقايقه وانواره ولولا ان الحاجة ست اليه لما تعرضنا بالايراد عليه لانه
يلاطم بحار علوم المكاشفة ويجري في ساحل علوم المعاملة وضده اي ضد التفويض الطمع من الحق
بمعنى الرجاء وهو اي الطمع محمود ان قيد بشرط الصلاح فيما لامن فيه من الفساد او باين اي ان
فارق المطموع لخطر اي خطر الفساد ثم ورد في التنزيل حكاية عن ابرهيم والذي اطمع ان يغفر
لي خطيئتي يوم الدين وعن السحرة انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين وكذا قوله
تعالى حكاية عن المؤمنين وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم
الصالحين فالطمع الوارد في هذه الايات مثل ما باين الخطر والا فمذموم اي وان لم يقيد بشرط
الصلاح او لم يباين الخطر فالطمع مذموم فيحجر اياكم والطمع فانه فقر حاضر وقيل صلاح الدين
الورع وفساده الطمع فهو اي الطمع المذموم سكون القلب الى منفعة مشكوكة وقيل هو ارادة
الشئ الخاطر بالحكم وهذه الارادة تقابل التفويض لا غير فاعلم ذلك واما حصن التفويض
فهو ذكر خطر الامور وامكان الهلاك والفساد وفيها حصن حصين ذكر عجزك عن الاعتصام
عن ضرب للنظر والامتناع من الوقوع فيها بجهلك وغفلتك وضعفك فالمواظبة على هذين
الذكرين يحملك على تفويض الامور كلها الى الله تعالى والتحفظ عن الحكم فيها والامتناع عن ارادتها الا بشرط
صلاحها وهذه غاية التحقيق والله ولي التوفيق وخطر عدم الكون بالرفع عطف على قوله في اول
الباب خطر الفساد اي الخطر خطران خطر الفساد وخطر عدم الكون اي عدم وجود الامر ويحتاج
فيه اي في خطر عدم الكون الى قصر الامل اي وتقريب الاجل وتكثير العمل وهو اي قصر الامل ان لا يراد
امر يشك في كونه اي وجوده الا بالاستثناء بذكر المشية اي تقييد ان شاء الله تعالى ولا تقولن
لشئ اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله او العلم او بذكر علم الله فيقول ان علم الله اني افعل ذلك
الفعل فافعل قلبا اي يكفي في الذكر والعلم خطور القلب وحضور الجنان ولا يلزم منها النطق
باللسان كما في علم البيان ثم ورد في قصر الامل خطابا لابن عمر اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء اي
بادراكه فاذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وتمامه وخذ من حيوتك لموتك ومن صحتك
لسقمك فانك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا وصدر الحديث كن في الدنيا كانك غريب او
عابر سبيل وعد نفسك من اصحاب القبور رواه ابن حبان ورواه البخاري من قول ابن عمر ولابن ابي
الدنيا من حديث علي مرفوعا قال ان اشد ما اخوف عليكم خصلتين اتباع الهوى وطول الامل فاما
اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق واما طول الامل فانه يورث الحب للدنيا ثم قال الا ان الله يعطي الدنيا

من يحب ويبغض ولا يعطي الاخرة الا من يحب فان لنا الدنيا ابناء وللدين ابناء فكونوا ابناء
الدين ولا تكونوا ابناء الدنيا الا ان الدنيا قد ارتحلت مولية الا ان الاخرة قد ارتحلت مقبلة الا وانكم
في يوم عمل ليس فيه حساب الا وانكم يوشك ان تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل والامل اي وضد التفويض
الامل ايضا هو الارادة اي ارادة امر يشك في كونه بالحكم اي بالقطع لا بالاستثناء وقيد الشيخ وفيه
اي في الامل النقات من الامل البقاء ابدا كالكفار من الدهرية وفي الالف كما قال تعالى ومن الذين اشركوا يود
احدهم لو يعمر الف سنة وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة قلب الشيخ شاب على حب اثنين طول الحيوة وحب المال
والى الهرم وهو حال الاكثر والسنة وهو قريب الى السنة فانه عم كان يدخر لعياله قوت سنة الكفاية حالهم من لم
والفصل من الفصول الاربعة والشهر فلابن ابي الدنيا والطبراني وابي نعيم والبيهقي عن ابي سعيد اشترى
اسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عم يقول الا تعجبون
من اسامة اشترى الى شهر ان اسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي الا ظننت ان جفني
لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي وظننت اني واضعه حتى اقبض ولا لقمت الا ظننت اني
اسيغها حتى اغص بها من الموت ثم قال يا بني ادم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى والذي
نفسي بيده انما توعدون لات وما انتم بمعجزين ولابن المبارك وابن ابي الدنيا والبزار من حديث ابن عباس
كان يخرج عم يريق الماء فيمسح بالتراب فاقول الماء منك قريب فيقول ما يدريني لعلي لا ابلغه وكان عم
يقول في دعائه اللهم اني اعوذ بك من دنيا تمنع خير الاخرة واعوذ بك من حيوة تمنع خير الممات واعوذ
بك من امل يمنع خير العمل ابن ابي الدنيا من رواية حوشب وقال مطرف بن عبد الله لو علمت متى اجلي
لخشيت على ذهاب عقلي ولكن الله تعالى من على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ما تهنوا بالعيش
ولا قامت بينهم الاسواق وقال بعضهم لولا الحمقى لخربت الدنيا وقال الثوري الزهد في الدنيا قصر الامل ليس
باكل الغليظ ولبس العباء وقيل للحسن الا تغسل قميصك قال الامر اعجل من ذلك ورأى وهب بن منبه في حجر
منقور ابن ادم انك لو رأيت ما بقي من اجلك لزهدت في طول املك ورغبت في زيادة عملك ولقصرت عن حرصك
وحيلك انما تلقاك غدا ندمك لو قد زلت قدمك واسلمك اهلك وحشمك وفارقك الولد والقريب
ورفضك الولد والنسيب فلا انت الى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيمة قبل الحسرة
والندامة وعن داود الطائي من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال امله ضعف عمله وكل ما هو ات
قريب وكل ما شغلك عن ربك فهو مشؤم وان اهل الدنيا جميعا من اهل القبور انما يندمون على ما يخلفون
ويفرحون بما يقدمون فما ندم عليه اهل القبور اهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند
ربهم يختصمون وروي ان معروف الكرخي اقام الصلوة فقال لاحمد بن ابي ثوبة تقدم فقال ان صليت
لكم هذه الصلوة لم اصل لكم غير هذه الصلوة لم اصل لكم غيرها فقال معروف وانت تحدث نفسك ان تصلي

[illegible] اخرى [illegible] ذلك ان يفتح خير العمل وكان الحسن يقول في موعظته [illegible]
[illegible] لو جبت انقطعت [illegible] الذي تترقبون الاماني وعلى رحم الله عبدا نظر لنفسه وبكى
على ذنوبه ثم قرا هذه الاية انما نعد لهم عدا يعني الانفاس آخر العدد خروج نفسك واجتهد ابو بكر
الاشجعي قبل موته اجتهادا شديدا فقيل له لو امسكت ورفقت نفسك بعض الرفق فقال الخيل اذا
ارسلت فقاربت رأس مجراها اخرجت جميع ما عندها والذي بقي من اجلي اقل من ذلك فلم يزل
كذلك حتى مات [illegible] يقول الامر [illegible] النبي عم [illegible] وقال ابن عمر خرج عم والشمس على اطراف السعف
وقال ما بقي من الدنيا الا مثل ما بقي من يومنا هذا الى مضي مثله في الدنيا والترمذي وحسنه وعن انس
قال عم مثل الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى اخره فبقي متعلقا بخيط في اخره فيوشك ذلك الخيط ان
ينقطع رواه ابن ابي الدنيا ومر داود الطائي فسأله رجل عن حديث فقال دعني انما ابادر خروج روحي
قال بعض المفسرين في قوله تعالى ولكنكم فتنتم انفسكم قال بالشهوات واللذات وتربصتم
قال بالتوبة وارتبتم قال شككتم حتى جاء امر الله قال الموت وغركم بالله الغرور واليوم فمن
عيسى عم لا تهتموا برزق غد فان يكن غدا من اجالكم فستأتي فيه ارزاقكم مع اجالكم وان لم يكن
من اجالكم فلا تهتموا لاجال غيركم وهو يؤخذ من قوله تعالى وما تدري نفس ماذا تكسب غدا والساعة
الجزمية واللغوية الشاملة للحظة واللحظة ويؤخذ من قوله تعالى اذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون ومن قوله ولن يؤخر الله نفسا اي ولو نفسا اذا جاء اجلها وفي الاحياء ومنهم من
يكون الموت نصب عينيه كانه واقع به فهو ينتظره وهذه الانسان هو الذي يصلي صلوة مودع وفيه
ورد ما نقل عن معاذ لما سأله عم عن حقيقة ايمانه فقال ما خطوة الا ظننت اني لا اتبعها اخرى
رواه ابو نعيم في الحلية وكما نقل عن الاسود وهو الحبشي انه كان يصلي ليلا ويلتفت يمينا وشمالا فقال
قائل ما هذا قال انظر ملك الموت من اي جهة يأتيني وفي اي صفة يحضر لي وهل اكون من اصحاب
اليمين واصحاب الشمال خوف الرجال من هذا الحال لا من انتهاء الآجال وفي منهاج العابدين قال
اكثر علمائنا ان الامل ارادة الحيوة للوقت المتراخي بالحكم وقصر الامل ترك الحكم فيه بان تقيده
بالاستثناء بمشية الله تعالى وعلمه في الذكر او بشرط الصلاح في الارادة فاذن ان ذكرت حيوتك باقي
العيش بعد نفس ثان او ساعة ثانية او يوم ثان بالحكم والقطع فانت آمل وذلك معصية اذ هو حكم على
الغيب وان قيدته بالمشية والعلم من الله فقلت اعيش ان شاء الله او ان علم الله اني اعيش فقد
خرجت عن حكم الامل وكذلك ان اردت حياتك للوقت الثاني قطعا فانت امل وان قدرت
ارادتك بشرط الصلاح خرجت عن حكم الامل ووقعت صفة تقصير الامل تركت الحكم في ذكر البقاء وارده
والمراد بالذكر ذكر القلب ثم المراد منه التوطن وعلى ذلك وتثبت القلب على ما هنالك ونظيره هذا

البقا

البقا وبالادخار اي بوضع وتخيير الارزاق والحاجب اي الحائل [illegible] الارزاق عن
افاته اي آفات الامل وهو ان سنة ترك الطاعة واما الكسل في العبادة والملل والتسويف اي تاخير
العمل بان يقول سوف اعمل والحرص على الدنيا ونسيان الاخرة وما يتبعها من الطغيان والقسوة اي
قساوة القلب ومنه قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وقوله فويل
للقاسية قلوبهم من ذكر الله ومن علامة القساوة عدم الرقة وقلة البكاء على الغفلة كما ورد في التنزيل الم
يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم
الامد اي زمان الاجل فقست قلوبهم بسبب طول الامل وفي آية اخرى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم
الامل اي يشغلهم الامل عما خلقوا له من العمل فسوف يعلمون غاية جهلهم في طول املهم وقصر عملهم ونوم
تأخر اجلهم والسبب اي سبب الامل شيئان حب الدنيا فانه يوجب كراهة مجيء الاجل والجهل بالحقائق
اي حقائق ما يرد على الانسان من موت الفجأة وقتل البغتة ومن مقدمات الموت كالحمى والصداع ونحوهما فانه
لا يكون الا غفلة قال تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون اي
مستريحون بالقيلولة وعلاج كل من سببيه ما عرف في موضعه وذكرها فجأة الموت اي من علاج تصورها
في الجنان وتقررها باللسان فذكره اي الموت مطلقا يوجب التأهب له اي يقتضي التهيؤ والاستعداد
للموت قبل مجيئه والتجافي اي التباعد عن دار الغرور وهي الدنيا فانها غدارة مكارة كما قال تعالى ولا تغرنكم
الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور اي الشيطان المانع عن سلوك سبيل العقبى وورد في الحديث نعم من
يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة والظاهر ان يكون في كل عدد اللهم بارك لي في الموت وفيما بعد
الموت ويحتمل ان يذكره في اليوم عشرين وفي الليلة عشرين او في اليوم عشرة وفي الليلة عشرة متوالية او
متفرقة والمقصود الكثرة حيث قيل هل يحشر مع الشهداء احد والحديث تقدم وقال المخرج لم اقف له
على اسناده فات روى الطبراني في الاوسط عن عائشة قالت قلت يا رسول الله ليس الشهداء الا من قتل
في سبيل الله قال يا عائشة ان شهداء امتي اذن لقليل من قال في يوم خمسا وعشرين مرة اللهم بارك
لي في الموت وفيما بعد الموت ثم مات على فراشه اعطاه الله اجر شهيد وفي السنن الاربع عن ابي هريرة
اكثروا ذكر هادم اللذات فانه لا يكون في كثير الا قلله ولا في قليل الا اجزاه وفي رواية فانه لم يذكره
احد في ضيق من العيش الا وسعه ولا ذكره في سعة الا ضيقها عليه وفي رواية اكثروا ذكر الموت
فانه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا فان ذكرتموه عند الغنى هدمه وان ذكرتموه عند الفقراء
رضاكم بعيشكم وللبيهقي في الشعب من حديث ام صبية الجهنية لو يعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم
ما اكلتم منها سمينا ولابن ابي الدنيا عن عطاء الخراساني مرسلا انه عم مر بمجلس
قد استعلاه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت و

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اكثروا من ذكر هادم
اللذات والذي نفسي بيده لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ورواه ابن ابي الدنيا من
حديث ابن عمر وفيه ايماء الى قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وللطبراني والبيهقي في الشعب من حديث
عمار بن ياسر كفى بالموت واعظا وفي رواية مرفوعا وقال ابن عمر اتيت النبي عم عاشر عشرة فقال رجل من
الانصار من اكيس الناس واكرم الناس يا رسول الله قال اكثرهم ذكرا للموت واشدهم استعدادا
له اولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الاخرة ابن ابي الدنيا بسند جيد وقيل في تفسير قوله
تعالى ايهم احسن عملا ايهم اكثر ذكرا للموت واشدهم استعدادا قبل الموت وقال بعضهم احذر الموت
في هذه الدار قبل ان تصير الى دار تتمنى فيها الموت ولا تجده وقال كعب من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها
وقالت صفية ان امراة شكت الى عائشة رض قساوة قلبها فقالت اكثري ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها
فجاءت تشكر عائشة رض وقال عبد الله بن ثعلبة تضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار وحقه
اي وحق ذكر الموت ان يذكر رغبة اي ميلا ومحبة الى لقائه تعالى في الجنة وبعثا اي تحريصا وحثا للخوف الموجب
سرعة التدارك اي تلافي ما فات منه من الطاعات وذا التاسف اي الحسرة على فوات الدنيا اي من لذاتها
وشهواتها فهو اي التاسف المذكور مبعد عنه تعالى لقوله عم من تاسف على دنيا فاتته اقترب من النار
مسيرة الف سنة اخرجه الرازي في مشيخته عن ابن عمرو فورد في الحديث من احب لقاء الله احب الله لقاءه
ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه رواه الشيخان وغيرهما وفي رواية زيادة والموت دون لقاء الله والمراد
بلقاء الله المصير الى دار الاخرة وطلب ما عند الله من المراتب الفاخرة وليس الغرض به الموت لان كلا يكرهه
ومن ترك الدنيا وابغضها احب لقاء الله ومن اختارها واثرها وركن اليها كره لقاء الله لانه يصل اليه
بالموت وقوله والموت دون لقاء الله تبيين ان الموت غير اللقاء ولكنه معترض دون الغرض المطلوب وهو الوصول
الى قرب المحبوب فيجب ان يصبر عليه ويحتمل مشاقه لديه حتى يصل الى الفوز باللقاء كذا في النهاية وفي شرح مسلم
للنووي يبين معنى الحديث ان حبهم لقاء الله سبب لحب الله لقاءهم وليس كراهتهم سبب لكراهته بل الغرض
بيان وصفهم بانهم يحبون لقاء الله حين احب الله لقاءهم انتهى وتوضيحه ان المحبة صفة لله ومحبة العبد لربه
تابعة لها ومنعكسة منها ومتفرعة عليها كظهور عكس الماء على الجدار ويؤيده ما روي انه عم قال اذا احب الله
عبدا عشقه عليه وفي تقديم يحبهم على يحبونه في القرآن اشارة اليه دلالة عليه فمعنى الحديث من احب لقاء الله
فهو بسبب الاخبار بان الله يحب لقاءه اذ اتاه الله حلاوة محبته واذاقه من مزيد عنايته كذا في شرح
المشارق فالاول صفة المحبين والاخر صفة من يخاف عقاب الله على ذنوبه من المؤمنين او صفة
الكافرين والمفهوم من ظاهر ما ذكر في المصابيح ان الاخر صفة الكفرة فقط حيث قال عم هذه الحديث
فقالت عائشة انا لنكره الموت قال عم ليس ذلك ولكن المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته

فيه

فليس شيء احب اليه مما امامه فاحب لقاء الله واحب الله لقاءه وان الكافر اذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فلم
يكن شيء اكره اليه مما امامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه وفي القرآن يشير الى المقامين حيث قال تعالى ان الذين قالوا
ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون الآية قال تعالى
وعلى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون والمراد بالمحب لقاء الله
في الحديث انما هو العارف بذات الله في الحديث وصفاته وبدائع مصنوعاته المشتاق اليه لزيادة ما لديه فالموت
موعده اذ لا يتصور لقاؤه دونه كما في حديث مسلم انكم لن تروه حتى تموتوا وهذا محمل جوابه تعالى لموسى عم لن
تراني اي في الدنيا بالعين الفانية وانما تراني في العقبى بالعين الباقية وهذا محمل لقوله عم تحفة المؤمن الموت
ابن ابي الدنيا والطبراني والحاكم من حديث عبد الله بن عمر بسند حسن وعلامة المحب العارف ان لا ينسى قط موعد
لقاء الحبيب بل يستعجل مجيء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين كما روي
انه لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم اللهم ان كنت تعلم ان الفقر احب الي من الغنى والسقم
احب الي من الصحة والموت احب الي من العيش فسهل علي الموت حتى القاك فاذا الثاني بعد ورد في كراهة الموت
وهذا مشكور في حب الموت واعلى منهما رتبة من فوض امره الى الله فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حيوة بل يكون
احب الاشياء اليه احبها الى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء الى مقام التسليم والرضاء وهو غاية والمنتهى
وهو معنى الصنف وبالكاره اي والمراد بالكاره لقاء الله الراغب الى الدنيا مالا وجاها ومنالا كما قدمناه
بخلاف الخائف هجومه اي هجوم الموت ومفاجأته بغتة قبل تمام التوبة وتدارك اوقات الغفلة واصلاح الزاد
ليوم المعاد فهو انما يكره فوت اللقاء اي لا نفس اللقاء وعلامة صدق هذا ان يكون دائم الاستعداد لا شغل
له سوى اعداد الزاد للمعاد قال القعقاع بن حكيم قد استعددت للموت منذ ثلثين سنة فلو اتاني ما احببت
تاخير شيء منه وقال الثوري رايت شيخا في مسجد الكوفة يقول انا في هذا المسجد منذ ثلثين سنة انتظر
الموت ان ينزل بي لو اتاني ما امرته بشيء ولا نهيته عن شيء ولا لي على احد شيء ولا لاحد عندي شيء والاعلى اي
اعلى المراتب بالنسبة لما ذكر من ذكر الموت وسائر المناقب ترك الاختيار اي في امره فما اراد الله منه ان يختاره
والتفويض بالرفع اي وتفويض امره وتسليمه الى المدبر المختار بقوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار وفي الاخبار
عن سيد الاخيار وسند الابرار لا يتمنى احدكم الموت فان فعل ذلك لا محالة فليقل اللهم احيني ما كانت الحيوة
خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي واجعل الحيوة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل
شر وانما كره بعض الانبياء والاولياء الموت فان الدنيا مزرعة الاخرة وطول العمر في العبادة من كمال
السعادة ويفرغ القلب اي وان يفرغ قلبه عن غير الموت اي استعداده قبل الفوت ويتفكر دائما تفكر العازم
على السفر هاجما من خوف البحر والبر واوضح طريق فيه ان يذكر موت اخوانه واقرانه الذين مضوا قبله ويتذكر
مصرعهم تحت التراب ويتفكر صورهم في مناصبهم ومقام حضورهم وكيف تبددت الآن اجزاؤهم في قبورهم

ركبوا اوصلوا انسابهم واشتاروا اباءهم وابناءهم وضيعوا اموالهم ونفعته اموالهم وخلت منهم مجالسهم
واين اجسادهم واثارهم اذ ابهم من طول الامل للعيش والبقاء ونسيانهم للموت والفناء واتخاذهم
من اقاة الاسباب وركونهم الى القوة والاسباب وميلهم الى الغفلة عما اراد بهم من الموت الذريع والهلاك السريع
وانه كيف كان يتردد والان قد تهدمت رجلاه ومفاصله وعيناه وكيف كان ينطق وقد اكل الدود
لسانا وكيف كان يضحك وقد اكل التراب اسنانه وانه كيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه الى عشر سنين وفي
ذلك من الاحوال والاهوال فهمه ذلك بنظره في نفسه انه مثلهم في عاقبة امره و... ابو الدرداء اذا ذكرت الموتى
فعد نفسك كاحدهم وقال ابن مسعود السعيد من وعظ بغيره وقال عمر بن عبد العزيز الا ترون انكم
تجهزون غاديا ورايحا الى الله عز وجل تضعونه وقد توسد التراب وخلف الاحباب وقطع الاسباب ولم
الحسنا ونظر ابن مطيع ذات يوم الى داره فاعجبه حسنها ثم بكى ثم قال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا و
الاصل فيه اي في ذكر الموت انتباه اي استيقاظ القلب من نوم الغفلة وهواي الانتباه خلاف الغرور
اي ضده ولذا قيل الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وهواي الغرور سكون النفس واطمينانها وهي قوة
في الانسان مائلة الى الشر والفساد كما قال تعالى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي فالغرور ميلها الى ما
يوافق الهوى والشبهة ويخالف الهدى والسنة بان يكون ارادتها موافقة الطبع من غير داعية الشرع
واما اذا اجتمع الهوى والهدى فهو نور على نور ذو سرور ولذا قال تعالى ومن اضل ممن اتبع هواه
بغير هدى من الله نور ذو في التنزيل لا تغرنكم الحيوة الدنيا فانها غدارة مكارة غرارة سحارة فقيل انها
اسحر من هاروت وماروت ولا يغرنكم بالله الغرور اي الشيطان الغرور وفي الترتيب تنبيه على ان من احب
الدنيا يضله الشيطان ومن تركها لم يقدر عليه بالطغيان بل قيل من اراد الدنيا لم يقدر على هدايته
جميع الانبياء ومن ترك الدنيا لم يقدر على اضلاله جميع الشياطين واهل الاغواء وقال عز وعلا وغرتكم
الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور وفي الحديث حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر
الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين افضل من ملء الارض من المغترين كذا في الاحياء
وهو قول من ابي الدرداء ... كما رواه ابن ابي الدنيا والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث شداد بن اوس
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وانواعه اي انواع الغرور
كثيرة لان الغرور عبارة عن بعض انواع الجهل اذ الجهل هو ان يعتقد الشيء ويراه على خلاف ما هو به
فالغرور هو الجهل الا ان كل جهل ليس بغرور بل يستدعي الغرور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به وهو
الذي يغره فمن اعتقاده على خير اما في العاجل او في الآجل عن شهوة فاسدة او شبهة فاسدة فهو
مغرور واكثر الناس يظنون بانفسهم الخير الا ان غرور بعضهم اظهر واشدها غرور الكفار و
غرور العصاة والفجار كايثار الدنيا اي اختيارها فانه من اقبح انواع الغرور ثم ان اختيارهم الدنيا

واعتزازهم

واعتزازهم بها لكونها نقدا حاضرة والاخرة تكون نسيئة اي متاخرة نسيئة وهو تكبر جاهل وهو ... ان النسيئة
الكثيرة راجح على النقد القليل وان شك فيه اي في حصول النسيئة الكثيرة وانما يرجح لا وجود الشك فيه
اذ المريض يترك اللذات التي هي نقد الحال ليصح زمانا طويلا في المستقبل من الاوقات والتاجر يخاطر الاموال
اي يوقعها في خطر من الاهوال كركوبه في البحر وسفره في البر وتحمله شدايد الاحوال ليربح فيه اي في زمان
الاستقبال فالاخرة اولى بان تطلب الاختيار من الدنيا للتيقن بها اي بالاخرة وعدم نسبة الدنيا اليها اي الى العقبى
شدة ودواما اي كمية وكيفية ونظاما كما قال تعالى والاخرة خير لمن اتقى وابقى بل قيل لو كانت الدنيا ذهبا فانيا و
الاخرة خزفا باقيا لكان العاقل اختيار الاخرة فكيف والامر بالعكس وممن غرته الحيوة الدنيا من قال
اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الاخرة شك فلا يترك اليقين بالشك وهذا ونحوه اقيسة
فاسدة يشبه قياس ابليس حيث قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والى هولاء الاشارة بقوله
تعالى اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا
الغرور اما بتصديق الايمان واما بتحقيق البرهان اما الاول فهو ان يصدق الله تعالى في قوله ما عندكم ينفد
وما عند الله باق وقوله وما عند الله خير وابقى وقوله والاخرة خير وابقى وقوله وما الحيوة الدنيا الا
متاع الغرور واما الثاني فيعلم مما تقدم والله اعلم في هذا المقام قال علي رضي لبعض الملحدين ان
كنت ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ما قلناه حقا فقد تخلصنا وهلكت وما قال على هذا عن
شك منه في الاخرة ولكن كلم الملحد على قدر عقله فمن شك في الاخرة يجب عليه بحكم الحزم ان يقول الصبر
اياما قلائل وهي مدة العمر قريب بالاضافة الى ما يقال من امر الاخرة فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني
الا التنعم ايام حيوتي وقد كنت في العالم من الازل الى الان لا اتنعم فاحسب اني بقيت في العدم وان
كان ما قيل صدقا فابقى في النار ابد الاباد وهذا لا يطاق فيه العباد ولذا قال ابو العلاء المعري
قال المنجم والطبيب كلاهما لا تحشر الاموات قلت كما ان صح قولكما فلست بخاسر ان صح قولي فالخسار عليكما ومن
جملة غرور الكفار قول بعضهم في انفسهم وبالسنتهم ان كان ثم من معاد فنحن به احق من غيرنا ونحن
اوفر حظا منه واسعد حالا كما اخبر الله تعالى عنه من حال الرجلين المتحاورين اذ قال وما اظن الساعة
قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وجملة امرهما كما نقل في التفسير ان الكافر منهما بنى
قصرا بالف دينار واشترى بستانا بالف دينار وخدما بالف دينار وتزوج بالف دينار وفي
ذلك كله يعظه المومن ويقول اشتريت قصرا وبستانا يخرب ويفنى الا اشتريت قصرا وبستانا في الجنة
لا يفنى واشتريت خدما بالف دينار وزوجة بالف دينار الا اشتريت خدما لا يموتون وازواجا
من الحور العين لا يفنون وفي ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هناك شيء وما قيل من ذلك فهو
الكاذب وان كان ليكونن لي في الاخرة خير من هذا وكذا وصفاته قول العاص بن وائل او يقول

لا وتين مالا وولدا ورد عليه بقوله اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا وروي عن الخباب بن
الارث انه قال لي على العاص بن وائل دين فجئت اتقاضاه فلم يقضني فقلت لي اخذه في الاخرة فقال
اذا صرت الي الاخرة فان لي هناك ولدا ومالا فاقضيك منه فانزل الله تعالى افرايت الذي كفر باياتنا وقال
لاوتين مالا وولدا رواه الشيخان وقال عز وجل ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته
ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الي ربي ان لي عنده للحسنى الاية وذلك انهم ينظرون
تارة الي نعيم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعم الاخرة وتارة الي تاخير العذاب عنهم فيقيسون
عليه عذاب الاخرة ويقولون كما اخبر الله تعالى عن بعضهم لولا يعذبنا الله بما نقول الاية واخري ينظرون
الي المومنين وهم فقراء شعث غبر فيزدرونهم ويستحقرونهم ويقولون اهولاء من الله عليهم من بيننا
ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه ولم يعرف هذا المغرور ان الله يحمي عبده المومن في الدنيا وهو يحبه
كما يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه كما رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه من حديث
قتادة بن نعمان وكان ارباب البصائر اذا اقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته واذا
اقبل الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين فالمغرور اذا اقبلت عليهم الدنيا ظنوا انها كرامة عند الله واذا
صرفت عنهم ظنوا انها هوان كما اخبر الله عنهم بقوله فاما الانسان اذا ما ابتليه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي
اكرمن واما اذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا بين ذلك غرور كل منهما فقد قال
الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا بكرامتي ولا هذا بهواني ولكن الكريم من اكرمته بطاعتي غنيا
كان او فقيرا والمهان من اهنته بمعصيتي غنيا كان او فقيرا والاعتماد بالرجاء وكالاعتماد على مجرد الايمان
مع ترك العبادات وارتكاب المحظورات فانه من اعظم المغرورين لكلامه فورد في التنزيل واني لغفار لمن تاب
عن الشرك والكفران وامن بالقلب واللسان وعمل صالحا بسائر الاعضاء والاركان من ارتكاب الحسنات
واجتناب السيئات ثم اهتدي بالاستقامة في الحيوة الي الممات والمغفرة مقيدة بهذه الطاعات وكقوله
تعالى ان رحمت الله قريب من المحسنين في العبادات وقيل للحسن قوم يقولون نحن نرجو الله ويضيعون العمل
فقال هيهات هيهات تلك امانيهم من رجا شيا طلبه ومن خاف شيا هرب منه والعصر اي اقسم بصلوة العصر التي
هي الصلوة الوسطي وبعصر المصطفى او بالدهر الذي هو منبع الخير والشر ومعدن النفع والضر ان الانسان
اي جميع افراده لفي خسر اي خسارة فيما عندهم من تجارة السورة اي الا الذين امنوا كالصديق
وعملوا الصالحات كالفاروق وتواصوا بالحق كذي النورين وتواصوا بالصبر كالمرتضي وعلى اي
وكالاعتماد على انه تعالى كريم مع ترك الطاعات وارتكاب المنهيات وطلب الدنيا والشهوات فيغفر لي في الاخرة بكرمه
وفضله ويدخلني في الجنات ومنشا هذا قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي حيث لقنه
بان يقول غرني كرمك وقد غفل انه تعالى كما انه كريم رحيم متفضل بالثواب شديد العقاب فقد

وقد قال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادني ويقولون سيغفر لنا وقال
تعالى قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصاري تلك امانيهم وورد في التنزيل ما يدل على ذم الغرور
بارتكاب المحظور ان ليس للانسان نفع في العقبي الا ما سعي من خير في الدنيا وان سعيه سوف يري قليلا او كثيرا
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وفيه العكس اي في هذا الاعتماد عكس ما ينبغي
في الاعتقاد بترك التعويل اي الاعتماد على المولي في الدنيا اي في امورها وعليها مع ورود من في شانه
ورد ومن يتوكل على الله فهو حسبه وحاصله ان المغرور لم يعتمد على كرم سبحانه في امر الدنيا مع وروده
وعدها في باب التوكل من غير قيد مباشرة بسبب من اسباب السعي ويعتمد في باب الاخرة على كرمه مع ان وعدها
مقيد بالسعي والعمل وتوضيحه انه يجتهد في امور الدنيا ويعتمد في امور الاخرة على كرم المولي مع انه كريم
في الدنيا والاخرة فالم لم يعتمد على المولي في الدنيا من غير السعي مع انه سبحانه ما كلفه بكسبه وبترك العمل في الاخرة
مع انه عز وجل كلفه به ولم يرض عنه بتركه والعلاج اي علاج الغرور العلم بالكتاب والسنة وبما يقربه من الله
وما يبعده عنه وتوضيحه ما في الاحياء من ان الغرور وعلاجه معرفة دلائل الكراهة والاهانة اما بالبصيرة
واما بالتقليد واما البصيرة فبان يعرف وجه كون الالتفات الي شهوة الدنيا مبعدا عن الله ووجه
كون التباعد عنها مقربا الي الله ويدرك بالالهام في منازل العارفين والاولياء وشرحه من جملة علوم
المكاشفة ولا يليق بعلوم المعاملة واما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو ان يؤمن بكتاب الله و
تصديق رسوله وقد قال تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون
وقال سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قيل في تفسيره انهم كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم
وقال تعالى فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وقال تعالى
انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه
الابصار الي غير ذلك مما ورد فيه الكتاب والاخبار والتفكر في احوال الماضين من الامة والمراد
بالتفكر هنا احضار القلب المعارف فاذا اجتمعت وازدوجت على ترتيب مخصوص انتج ذلك العلم ضروريا
وصورته كمن يعلم مثلا ان الابقي بالايثار اولي ثم يعلم ان الاخرة خير وابقي فينتج ان اختيار الاخرة
اولي بلغني الله المقام الاسني الباب الخامس عشر في نفي الخواطر والرياضة اي
نفي الخواطر الدنية وتحصيل رياضة النفس الردية ليتهذب بالاخلاق البهية العلية والاحوال
السنية ويندرج فيه عجايب الخلق وغرايب خلق الرب بسم الله الرحمن الرحيم
استعين به على كل خلق كريم الاهم في امر الدين الاتم اصلاح القلب وحفظه عما يفسده لثمانية
عشر وجها النظره تعالى اليه واقباله عليه كما انه يصلح بدنه ونوبه لنظر الخلق اليه فورد في الحديث
كما تقدم ان الله لا ينظر اي نظر عناية ورعاية الي صوركم واموالكم ولكن ينظر الي قلوبكم ونياتكم وفي

الباب الخامس عشر

القلب

وفي رواية واعمالكم وفي اخرى ولا الى اجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم قوله لانه عظيم بزيادة الصدق ورفاد الخلق والعلم والخشوع لا ...
حسن نظر الرب بما ينوره وحديث لا يسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المومن قوله الحجاب المتحقق
بتنظيف وجه الذي هو منظر الخلق ولا يهتم بتطهير قلبه الذي هو منظر ربه وتعلق صلاح الجسد بصلاحه
اي لتوقفه ظاهرا عليه عقلا وعملا وكذا تعلق فساد الجسد بفساده قوله ورد في الحديث كما تقدم ان في الجسد
لمضغة اي قطعة لحم بقدر ما يمضغ لانها مضغوطة اذا صلحت بصلاح الامر ونفع صلح الجسد كله تمام واذا فسدت فسد
الجسد كله الا ألا وهي اي المضغة هو القلب اي كما تعلقه وبرهانه ملك مطاع ورئيس متبع والاعضاء كلها
له تبع فاذا صلح المتبوع صلح التبع واستقام الرعية ولذا قيل الناس على دين ملوكهم وسعادة الابدي
وسيادة السرمد بسلامته اي سلامة القلب من الكفر والغل والحقد والحسد قوله ورد في التنزيل يوم لا ينفع
مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم اي من كل خلق سقيم كالشرك والنفاق والشقاق والاغراض الدنيوية
والاعواض الدينية وقيل هو ما لا يخطر فيه الا شهود الرب وكونه اي وكونه القلب معدن النفايس
ومنبع الفواضل المستوهبة من العلم والمعرفة اي علم الكتاب والسنة ومعرفة الرب التي هي اجل انواع
النعمة وسائر الفضائل المكتسبة من تحسين الاخلاق وتزيين الشمائل والحاصل ان القلب خزينة نعم
الرب فحق لها ان تحفظ وتحرس عن الافات وتكرم وتجل بصلوب الكرامات ثم اعلم ان شرف الانسان و
فضله الذي فضله الله على سائر خلقه باستعداده من بين عباده لمعرفة ربه التي هي في الدنيا جماله
وفخره وفي الاخرة كماله وعدته وذخره وانما استعد للمعرفة بقلبه وجنانه لا بعضو اخر من اركانه
فالقلب هو العالم بالله وهو العامل لله وهو الساعي والمتقرب الى الله وهو المقرب اليه والمشهود عليه والكاشف
بما عند الله ولديه وانما الجوارح اتباع وخدم والات كالجوارح يستخدمها القلب في خدمة الرب
استعمال الملك العبيد واستخدام الراعي للرعية والصانع للالة والقلب هو المقبول عند الله اذا سلم
من غير الله اذا صار مستغرقا بغير الله وهو المطالب والمعاتب وهو المعاقب وهو الذي يسعد بالقرب
من الله تعالى فيفلح اذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى
وانما الساري الذي ينتشر على الجوارح من العبادات انواره وهو الكافر المتمرد على الله سبحانه وانما الطاري
الى الاعضاء من الفواحش اثاره وباظلامه واستنارته يظهر محاسن الظاهر ومساويه اذ كل اناء
يترشح بما فيه وهو الذي اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه عرف ربه وهو الذي
اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه واذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو لغيره اجهل فمعرفة
القلب وحقيقته اوصافه الحق مظاهر الرب اصل الدين واساس طرق المهتدين ومقصد العدو اليه اي
ولمقصد الشيطان الذي هو اكبر اعدائه دائما الى اغوائه كما ورد به اي بمقصد العدو الى القلب الخبر
وهو قوله عم ان الشيطان لجاثم وفي رواية واضع خرطومه على قلب ابن ادم فاذا ذكر الله تعالى خنس

اي تاخر

ولذا قيل قلب المومن عرش الله

ولعل من هنا ان الانسان هو العالم الاكبر فتدبر والانظر بين العبارة الى الاكبر والاصغر
الذي على اربعة النووي

اي تاخر وخلاه واذا غفل التقم قلبه فحدثه ومناه ابن ابي الدنيا وابو يعلى وابن عدي وكثرة شغله اي والكثرة
لاشتغال القلب واحواله وتقلبه ما عليها من احوال الانسان واضافته فهو اي القلب معترك العقل والهوى اي موضع
عراكهما وقتالهما وهلاكهما فاذا بخاطر الهوى داعيا الى الشر قابله خاطر العقل ودافعه داعيا الى الخير فتارة
يغلب العقل ويعلو علم الهوى واخرى يغلب الجهل فيرتفع راية النفس والهوى فالحرب سجال وقد قال الملك المتعال
وتلك الايام نداولها بين الناس وقد قيل فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر وفي الحديث رجعنا من
الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ومنه قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وكثرة العوارض اي وبكثرة الامور
الطارية والاحوال السارية لورود الخواطر الدنية في القلب والفوائد الردية من حب الدنيا والرياسة وحصول
اللذات والشهوات والكدورات مع العجز عن المنع اي مع عجز السالك عن دفع وقوع ما هنالك فان الخواطر كالسهام لا تزال تقع
في القلب وكالمطر لا يزال ينزل عليه ليلا ونهارا لا ينقطع ولا انت تقدر على منعها فيمتنع وليس بمنزلة العين التي
هي بين الجفنين حتى تغمض وتستريح او الكلام الذي هو وراء الشفتين حتى تنطبق وتصمت والحاصل ان الخواطر لا
يقدر احد على منعها ولا على التحفظ عنها مع ان النفس مائلة اليها ومجبوبة لديها وسرعة الانقلاب اي وبسرعة تقلب
القلب في الطاعة والمعصية للرب وسمي بالقلب لتقلبه في احواله ولذا كان عم يكثر في دعائه يا مقلب القلوب
ثبت قلبي على دينك رواه الترمذي وحسنه من حديث انس والحاكم من حديث جابر وقال صحيح على شرط مسلم ولمسلم من
حديث عبد الله بن عمرو اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك وفي رواية قالوا وتخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلب
بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء وللنسائي في الكبرى وابن ماجه والحاكم وصحح على شرط الشيخين
من حديث النواس بن سمعان ما من قلب الا بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه وان شاء ازاغه قوله ورد في حديث
ابي عبيدة بن الجراح كما رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط المسلم والبيهقي في الشعب انه اي القلب مثل
العصفور وهو الطير الصغير المشهور بالتقلب الكثير يتقلب في كل ساعة اي الى جهة فكذا القلب تارة يميل الى
طاعة ويقظة واخرى الى المعصية وغفلة ولاحمد والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري من حديث المقداد بن اسود
مثل القلب في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا وفي رواية لهما قلب المومن اشد تقلبا من القدر في غليانها و
للطبراني والبيهقي من حديث ابي موسى الاشعري باسناد حسن كمثل ريشة بارض فلاة يقلبها الرياح ظهرا لبطن وفيه
عطف بالمعنى على قوله النظر لانه في قوة قولنا ولما فيه اي في القلب ومحله في الصدر الانشراح اي الانبساط
الموجب للصلاح والفلاح والانفساح اي الاتساع والانفتاح عند عدم النقصان اي نقصان القلب بارتكاب
المخالفة بل يكونان عند كماله في اكتساب الموافقة فللحاكم في مستدركه من حديث ابن مسعود انه عم سئل عن قوله تعالى
افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ما هذا الشرح فقال هو التوسعة ان النور اذا قذف به في
القلب اتسع له الصدر وانشرح والمعنى اتسع القلب لتجلي الرب وحفظ السر الذي شاهده في القلب ولذا قيل صدور
الاحرار قبور الاسرار ونعم ما قال بعض الابرار من اطلعوه على سر فنمّ به لم يامنوه على الاسرار ما عاشا والحجاب

اي وربطها الضمير من كل ياء من يقلبها على اصغر فكذا القلب
نقلت بائه من الخرج الى ... وبالعكس وفي رواية ظهرا لبطن البعض
من الضمير في يقلبها والام لبطن بمعنى الى وكون ان يكون
ظهر امفعولا مطلقا اي تقليبا مختلفا وان يكون حالا بمعنى
مقلوبا اي يقلبها مختلفة

اي عن رتب الارتياب وهو اشد العذاب او الحجاب عن الاكتساب فهو بالجر عطف على النقصان اي عند عدم حجاب التلألؤ ويجوز رفعه عطفا على الانفساح اي في التلف حجاب المعاصي والشهوات المتراكمة الواردة على وجه القلب المانعة له عن مشاهدة تجليات الرب فان ذلك يمنع من صفاء القلب وجلائه فيمنع ظهور الحق بقدر ظلام في اثنائه وقد قال ابو سليمان الداراني اذا اعتادت النفوس ترك الاثام جالت في الملكوت ورجعت الى صاحبها بطرائف الحكمة ويؤيده حديث لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السماء رواه احمد من حديث ابي هريرة والمهلكات الذي هو ضد المنجيات والانصراف اي عند الانصاف والاعتراف الى العلم اي علم الشريعة والطريقة ليعلم به ليصل الى مراتب الحقيقة او المراد بالعلم هو علم التوحيد المقرون بوصف التفريد من معرفة ذات الحق وصفاته وقدرته في مصنوعاته والتوجه اليه وترك كل ما يشغل لديه مما يرد عليه وانما زاد الانصراف الى العلم التوحيدي لحصول الانشراح والانفساح ولم يكتف في ذلك النقصان والحجاب والمهلكات لان المطيع القاهر لشهواته الماهر في استقامة حالاته من طاعته وعباداته وان كان قلبه صافيا عن لهواته وغفلاته فانه لا يحصل له الانشراح والانفساح بل ينكشف له ما هو متفكر فيه من دقايق آفات الاعمال ان كان تفكره فيها او من مصالح المعيشة والاحوال ان كان تفكره فيها واما الانشراح والانفساح فلا يحصل الا اذا انصرف القلب الى العلم التوحيدي المتعلق بالذات والصفات بشرط عدم النقصان والحجاب والمهلكات وهو اي العلم المترتب عليه العمل المراد بالامانة التي حملها الانسان اي قبلها بقابلية لتحمل التكاليف الشرعية من تصحيح العقايد الدينية الاصلية وارتكاب الفرايض الفرعية واجتناب الامور المنهية وفي الاحياء فيه اشارة الى ان للقلب خاصية تميز بها عن السموات والارضين والجبال وتلك الامانة هي المعرفة والتوحيد وقلب كل ادمي مستعد لحمل الامانة ومطيق لها في الاصل انتهى ولا يخفى ان جميع الاجزاء من الارض والسماء له قابلية ذلك بل الواقع كذلك عند العارفين بما هنالك كما حقق في قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وغير ذلك من الايات والاحاديث الثابتات ان الاشياء كلها لها معرفة بصانعها وكذا اهل السموات والارض والجبال من النساء والرجال فلا ظهر ان الملائكة مظاهر الجمال فلا ياتي منهم المعصية وما يقتضيه من العقوبة والشياطين مظاهر الجلال فلا يتصور منهم الطاعة وما يترتب عليها من الرحمة فاراد انه سبحانه جمعا يكون لهم رتبة الكمال بان يكون فيهم نصيب وحظ من الجمال والجلال ويقع فيهم قابلية الطاعة والرحمة والمعصية والعقوبة ولذا ورد لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وفي قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ايماء الى ذلك وفي قوله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول كذلك ثم من افراد هذا الانسان من يكون على الشأن بحيث انه مع انه خلق فيه داعية العصيان جاهد نفسه واطاع ربه وقام بحق الامانة في ميدان البيان ومنهم من ترك الطاعة وضيع الامانة بالخيانة من غاية الطغيان فصار المؤمن الكامل من الانسان اعلى رتبة من ملائكة الرحمن والكافر منهم

احفظ منزلة من جنس الشيطان كما يشير اليه قوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار فنعوذ بالله من دار البوار وبما قررنا اندفع ما جوزنا انكشف وجه قوله تعالى انا عرضنا الامانة اي حملها من غير الخيانة على السموات والارض والجبال اي ذواتها او اهلها من سكانها ومتصرفاتها فابين ان يحملنها لعدم استعدادهن لها ولكونهن ما خلقن لاجلها وحملها الانسان مع كونه ضعيف البنيان فكل ميسر لما خلق له انه كان ظلوما على نفسه بحمله جهولا بعاقبة امره وتحمله وهذا حكم عليه باعتبار اغلب افراده ممن لم يميز بين صلاح حاله وفساده في ماله كما اشار اليه بقوله ليعذب الله المنافقين الاية وزيادة اليقين اي وفي القلب مزية الانقياد في امر الدين والايمان اي وفيه الايمان الذي هو سبب الامن والامان ويشتمل على الاسلام والايمان والاحسان فلهما مراتب ودرجات فيها مناقب ادناها التقليد كالعوام المؤمنين واوسطها الخروج عن التقليد بنوع من استدلال التوحيد كالمتكلمين واعلاها المشاهدة والمكاشفة كالعارفين ومثاله كمن اخبر صادق بوجود زيد في الدار فصدقه من غير شهوده ثم سمع صوته ما استدل به على وجوده ثم راه وشاهده فالمشاهدة نتيجة المجاهدة ثم المشاهدة ايضا على مراتب كمن يشاهد السلطان جالسا على سريره من وراء الحائط وحجاب ستره ثم من يشاهده من داخل داره ثم من قريب في مزاره ثم من هو جالس في مجلسه قريبا منه بحيث يلاحظ صفحة وجهه وجميع ما خفي من غيره وقس على هذا تفاوت درجات المشاهدة في الامور الالهية السبحانية والعلوم التوحيدية الربانية الصمدانية كما يشار اليه قوله تعالى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى ثم اكثر العوام ايمانهم تقليد تبع لاباءهم فانهم اذا بلغوا سن التمييز سمعوا وجود ذاته وعلمه وارادته وقدرته وبعثة الرسول وصدقه فيما جاء به وكما سمعوه قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا اليه وهذا الايمان سبب النجاة في الاخرة عند جمهور المتكلمين واهله من اوائل رتب اصحاب اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين وقلوب اليهود والنصارى ايضا مطمئنة لما سمعوا من اباءهم الا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لانه القي اليهم الخطأ والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم ولكن لما القي اليهم كلمة الحق ودرجات العلى اي فيه مراتب العلم من علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين او المراد بها علم الشريعة التي هي متعلقة بالاعمال الظواهر وعلم الطريقة التي هي مطلوبة في اصلاح السرائر وعلم الحقيقة التي هي المواهب بعد تحصيل الكمالات من ترائف المناقب ولطائف المراتب والنور اي وفيه النور المسئول في الدعاء الماثور اللهم اجعل في قلبي نورا وامثاله وغيره والطبع اي وفيه الختم قال تعالى ونطبع على قلوبهم وختم الله على قلوبهم والرين اي وفيه السواد الذي يعم الفؤاد عند الاتصاف بالرذائل والخلو عن الفضائل وتراكم الظلام اي وتكاثف الظلمات الناشئة عن الظلم وسائر السيئات والاحتجاب منه تعالى بعدم توفيق الحسنات وهو مأخوذ من قوله تعالى كلا بل ران اي غلب وعلا على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون اي عن رحمته او رؤيته وفي الحديث ان المؤمن اذا اذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها واذا زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران

الذي ذكره الله في كتابه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اخرجه بعوي في تفسيره باسناده والتحقيق
عند اهل التوفيق ان اي القلب هو ذلك الانسان العارف اي المدرك لجزئيات العالم بالكليات المخاطب
بالامر والنهي المطالب باكتساب الامورات واجتناب المنهيات ليترتب عليهما الثواب والعقاب في دار الجزاء والحسنات
فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون
يطلق عليه اي على الانسان اسم القلب اي بمجاز التعلق اي الانسان به اي القلب بلا واسطة اي من غير واسطة
بشيء اخر وسائر الحواس اي وتعلقه بباقيه بواسطته اي القلب كما يطلق اي القلب على المضغة المكيفة وهي قطعة
لحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك
التجويف دم اسود هو منبع الروح ومعدنه كذا في الاحياء وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت الحائم
واما قول سهل التستري القلب هو العرش والصدر بالكرسي وعن كعب الاحبار قال دخلت عايشة رض فقلت
الانسان عيناه هاد واذناه قمع اي داع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب ملك فاذا
طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وقال علي رض في تمثيل القلوب
ان الله تعالى في ارضه آنية وهي القلوب فاحبها اليه ارقها واصفاها واصلبها ثم فسره فقال اصلبها في الدين
واصفاها في اليقين وارقها على الاخوان يعني المرافقين وهو اشارة الى قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم
وقوله تعالى مثل نوره كمشكوة فيها مصباح قال ابي بن كعب مثل نور المؤمن وقلبه وقوله او كظلمات في بحر لجي
مثل المنافق والفاسق وقال زيد بن اسلم في قوله تعالى في لوح محفوظ هو قلب المؤمن وفي الحديث اذا اراد الله
بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه الديلمي من حديث ام سلمة باسناد جيد ولاحمد والطبراني في الصغير من حديث
ابي سعيد القلوب اربعة اجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب منكوس فذلك قلب الكافر وقلب
اغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها
الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاي المادتين غلبت عليه حكم له وفي رواية
ذهبت به وفي الحديث القدسي والكلام الانسي لم يسعني ارضي وسمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين
الوادع كذا في الاحياء وقال مخرجه لم ار له اصلا وتعقبه بعض الحفاظ بانه روى عبد الله بن احمد في الزهد
عن وهب بن منبه بلفظ ان الله فتح السموات لحزقيل حتى نظر الى العرش فقال حزقيل سبحانك ما اعظم شانك
يارب قال الله تعالى ان السموات والارض ضعفن عن ان يسعني ووسعني قلب عبدي المؤمن الوادع اللين انتهى
ولا يخفى ان هذا من الاثار فلا ينافي ما نفاه المخرج من الاخبار وفي الخبر قيل من خير الناس فقال كل مؤمن مخموم
القلب فقال هو التقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غدر ولا حسد رواه ابن ماجه من حديث عبد الله بن
عمرو باسناد صحيح وفي الاحياء عن عمر رض رأى قلبي ربي اذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب
بينه وبين قلبه تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه فيرى جنة عرضها عرض السموات والارض اما جملتها فاكثر

سعة

سعة من السموات والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وان كان واسع الاطراف متباعد الاكناف فهو متناه
على الجملة واما عالم الملكوت وهو الاسرار الغائبة عن مشاهدة الابصار المخصوص بادراك البصائر فلا نهاية
له نعم الذي يلوح للقلب فيه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالاضافة الى علم الله لا نهاية له وجملة الملك والملكوت
اذا اخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية المحيطة بكل الموجودات اذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى
وافعاله ومملكته وعبيده من افعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هو الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة
عند اهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما يتجلى له من الله تعالى وصفاته وافعاله من مصنوعاته
وانما اراد الطاعات واعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه وقد افلح من زكاه ومراده بتزكيته
حصول نور الايمان فيه اعني اشراق نور المعرفة وفي الاحياء ان القلب لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب
الجسماني تعلق عجيب وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهي المدركة العالمة العارفة من الانسان وهو المخاطب
والمطالب والمعاقب والمعاتب ولها علاقة مع القلب الجسماني وقد تحيرت عقول اكثر الخلق في ادراك وجه علاقته
وان تعلقها به يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات انتهى ومن هذا قيل معنى قوله من
عرف نفسه فقد عرف ربه تعجيز وفيه تنبيه اذ ليس لاحد من الانسان ان يعرف حقيقة نفسه ومعرفة ربه كما
انتهى هذا وفي اطلاق القلب على الانسان لم يظهر له وجه خفي اذ التباين بل المغايرة بينهما ظاهرة عند
الاعيان لقوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب الاية فالصحيح ان القلب آلة لمعرفة الرب كما
يشير اليه قوله تعالى اولم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يفقهون بها او آذان يسمعون بها والفرق
بين القلب والنفس والعقل ان القلب يفرق بين الحق والباطل ثم تتقلب في قبول احدهما وتتردد في خاطرهما
وتترتب عليهما اصلاح الجسد وفساده والنفس غالبا مائل الى الشهوات والشبهات واللذات كما يشير اليه قوله تعالى
وفيها ما تشتهيه الانفس من المأكولات والمشروبات والمشمومات والمسموعات وسائر الملذوذات ثم النفس المذمومة
هي التي لا تفرق بين المباحات والمحظورات ومنه قوله سبحانه واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى
فان الجنة هي المأوى واما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى والعقل الجزئي مشترك بين الحيوان
والصبيان وسائر الانسان والعقل الكلي وهو المميز بين الخير والشر في العاقبة دنيويا واخرويا وتمييزا بين خير
الخيرين وشر الشرين فهذا عقل المطبوع وهو لا ينفع بدون عقل المشروع ولذا ترى الحكماء مجبولا بعقولهم
الناقصة وان ادعوا كمالها عن متابعة الانبياء زعما منهم ان الرسل ارسلوا للعامة وانهم من الخاصة
فضلوا واضلوا وجهلوا من كل جاهل فان المقلد قبل ايمانه وفاز بالتقليد درجات جنانه والحكيم لعقله ينزل في
دركات نيرانه واسم النفس اي ويطلق على الانسان اسم النفس كقوله تعالى خلقكم من نفس واحدة
فالنفس جسم كثيف والروح جسم لطيف له سريان في سائر الاعضاء لطيف كلطافة سريان الهوى
في البدن وما يتعلق به من الاجزاء وكالزبد في اللبن والدهن في الجوز واللوز وماء الورد والقلب داخل

الفرق بين القلب والنفس والعقل

اسم النفس

النفس وهو الطف واصفى من النفس والمراد روحها الم للنفس فانها تحرى من الجماد ونحوه ولا تقيد فائدة
ملم يكن التركيب ونحوه والحاصل ان النفس هنا عبارة عن الهيكل الانساني المركب من الجسد الجسماني والروح الرباني
اذ المراد من نفس واحدة ادم عم فقسم اي النفس التنزيل اي القران بعد اطلاقه النفس على ادم ونحوه من
قوله كل نفس ذائقة الموت وعلمت نفس ما قدمت واخرت وعلمت نفس ما احضرت الى مطمئنة حيث قال تعالى
يا ايتها النفس المطمئنة اي بذكر الله سبحانه وفي النفس المؤمنة ولذا قال ارجعي الى ربك راضية مرضية الآية
وهي يحتمل ان يراد بها الهيكل المركب الانساني فالمراد بقوله فادخلي في عبادي وادخلي جنتي اي مع عبادي الصالحين
كقوله تعالى حكاية عن الانبياء والمرسلين توفنا مسلمين والحقنا بالصالحين وادخلنا الجنة آمنين ويشير
اليه قوله سبحانه الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب ويحتمل ان يراد بها الروح المجرد
عن الجسد فالمراد بقوله فادخلي في عبادي اي في اجسادهم وعلى كل تقدير اريد بالنفس ولوامة حيث قال
ولا اقسم بالنفس اللوامة اي كثيرة الملامة لنفسها لا سيما يوم القيمة اذ كانت عملت خيرا قالت هلا زدت وان
عملت شرا قالت ليتني لم افعل وهو قول الفراء فهي شاملة للنفس البرة والفاجرة وقيل تلوم على الخير والشر والنفع
والضر وهو قول سعيد بن جبير وعكرمة وقال الحسن هي النفس المؤمنة فان المؤمن والله ما تراه الا تلوم
نفسه ما اردت بكلامي ما اردت باكلي وان الفاجر يمضي عليه الدهر لا يحاسب نفسه ولا يعاتبها وقال مقاتل هي النفس
الكافرة تلوم نفسه في العقبى على ما فرط في امر الله في الدنيا وهي يحتمل الاحتمالين السابقين وامارة حيث
قال تعالى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي اي الا مدة رحمة ربي او الا من رحمه ربي ولا يخفى انه
لا يصح اطلاق النفس لهذا الوصف على الانسان المعروف وفي بعض النسخ هنا زيادة وملهمة وهي نسخة مهملة اذ
لم يعرف في اية منزلة كما يطلق اي النفس على ما يجمع الرذائل من سوء الشمائل فسماه الشارع اعدى الاعداء كما
اخرجه البيهقي عن ابن عباس بسند ضعيف اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وهذا الاستعمال هو الغالب على
الصوفية فهم يريدون بالنفس الجامع للصفات المذمومة من الانسان فيقولون لا بد مجاهدة النفس وكسرها
واسم الروح اي ويطلق عليه اسم الروح ايضا بانفراده وفيه البحث الذي تقدم والله اعلم فان الارواح   اسم الروح
ضد الاشباح والانسان عبارة عن المركب عنهما واستدل له بقوله قوله في التنزيل قل الروح من امر ربي
ليس فيه دلالة على انه يطلق الروح ويراد به الانسان فان كل موجود ذات كمية ومقدار فهو من عالم
الخلق وكل ما ظهر بمجرد الامر وهو تعلق الارادة او بلفظ كن على اختلاف فيه فهو من عالم الامر كما قال تعالى
اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وقال تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام الى ان قال
الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين كما يطلق اي الروح الاطباء من الحكماء على الجسم المكيف والصواب
التوقف في سر الروح وامره اذ لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قاله ابن مسعود كما في الصحيحين
وما لم يتكلم فيه فليس لغيره ان يتكلم فيه وقد قال تعالى وما اوتيتم من العلم اي به وبغيره الا قليلا لان علم

جميع

جميع الخلق بالاضافة الى علم الحق كقطرة من البحر والمراد به العلم بانه ما بوجوده الحيوة وبفقده الممات والاقرب
في تعريفه ما قيل من انه جسم لطيف روحاني منبعه تجويف قلب جسماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب
الى اجزاء البدن ثم جريانه في البدن فيضان انوار الحيوة والحس والسمع والبصر والشم منه على اعضائه يضاهي
فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانه لا ينتهي الى جزء من البيت الا ويستنير به فالحيوة
مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثاله السراج وسريان الروح وحركاته في الباطن مثاله مثال
حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه واما قوله تعالى فنفخت فيه من روحي فالمراد به اضافة تشريف لان الروح من
جملة مخلوقاته وقد ثبت ان الارواح خلقت قبل الاجسام الفي عام واول الارواح خاتم الانبياء وكذا
قوله وروح منه اي من عنده او من امره وانما اطلق الروح على جبرائيل الامين لتجرد روحه لان الملائكة كلهم
ارواح مجردة او لتخصصه بنزول القران المسمى بالروح فانه سبب احياء الروح وروحه كما قال تعالى يلقي
الروح من امره على من يشاء من عباده وقال او من كان ميتا فاحييناه وسمي جبرئيل ايضا بالروح القدس   اسم العقل
اي المنزه عن النقصان في تبليغ امر الحق الى رسل الانسان والله المستعان واسم العقل اي ويطلق عليه اسم العقل وفيه
النظر السابق وما ذكره من الاستدلال لايقع المطابق حيث قال قوله اول ما خلق الله العقل وقال له اقبل الحديث اي
فاقبل وقال له ادبر فادبر ثم قال الله تعالى وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم منك بك اخذ واعطي وبك اثيب
وبك اعاقب الحديث كذا في الاحياء وقال العراقي رواه الطبراني في الكبير والاوسط من حديث ابي امامة وابو نعيم من
حديث عائشة باسنادين ضعيفين انتهى وقال ابن تيمية وتبعه الزركشي انه كذب موضوع باتفاق اهل العلم
وتعقبه الحافظ السيوطي بما رواه عبد الله بن الامام احمد في زوائد الزهد عن الحسن مرفوعا مرسلا بسند
جيد بلفظ لما خلق الله العقل الخ وفي الحديث دليل على ان العقل غير القلم فان القلم عرض لا يتصور
ان يكون اول مخلوق بل لا بد ان يكون المحل مخلوقا قبله او معه ولانه لا يمكن الخطاب معه كما يطلق اي العقل
على الصفة المكيفة اي الوصف الذي يتميز الانسان به عن سائر البهائم من جنس الحيوان وهو الذي استعد
به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي اراده الحارث بن اسد المحاسبي
حيث قال في حد العقل انه غريزة يتهيأ بها درك العلوم النظرية وكانه نور يقذف في القلب يستعد به
لادراك الاشياء وهذا هو الصواب في تعريفه ونظيره ان الحيوة غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية
والادراكات الحسية ثم العقل كالمرآة التي تفارق غيرها من الاجسام والالوان في حكاية الصور والالوان
لصفة اختصت بها في تلك الحالة وهي الصقالة وبها اتصفت بالالة ففي ابن عباس مرفوعا لكل شيء
آلة وعدة فان آلة المؤمن العقل رواه ابن النجار وكذا العين تفارق الجبهة في هيئتها وصورتها استعدت
للرؤية فنسبة هذه الغريزة التي هي العقل الى العلوم كنسبة العين الى الرؤية ونسبة القران والشرع
الى الغريزة في سياقها الى انكشاف العلوم بها كنسبة نور الشمس الى البصر وعن علي كرم الله وجهه رأيت العقل عقلين

مطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يرزقه مطبوع كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع فالاول
هو المراد بقوله عم ما خلق الله خلقا هو اكرم عليه من العقل كما خرجه الترمذي والحكيم في النوادر من
رواية الحسن عن عدة من الصحابة والاخير هو المراد بقوله عم لعلي رض اذا اكتسب الناس من انواع البر
ليتقربوا بها الى ربهم عز وجل فاكتسب انت انواع العقل تسبقهم بالزلفة والقربة رواه ابو نعيم في الحلية
وهو المراد ايضا بقوله عم لابي الدرداء رض ازدد عقلا تزدد من ربك قربا فقال بابي
انت وامي فكيف لي بذلك فقال اجتنب محارم الله وادّ فرائض الله تكن عاقلا واعمل بالصالحات من الاعمال
تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل بها من ربك القرب والعز رواه الترمذي الحكيم وغيره و
قال ابن المسيب ان عمر وابي بن كعب وابا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من
اعلم الناس فقال العاقل قالوا من اعبد الناس فقال العاقل قالوا من افضل الناس قال العاقل قالوا
أليس العاقل من تمت مروته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال عم وان كل ذلك لما متاع
الحيوة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين ان العاقل هو المتقي وان كان في الدنيا خسيسا دنيا
رواه ابن المحبر وله من حديث انس سأل النبي صلى الله عليه وسلم من حديث طويل في اخره وصف عظم العرش وان
الملئكة قالت يا ربنا هل خلقت خلقا اعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال
هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال تعالى فاني خلقت العقل اصنافا شتى كعدد الرمل
فمن الناس من اعطي حبة ومنهم من اعطي الثلاث ومنهم الاربع ومنهم من اعطي فرقا ومنهم من اعطي
وسقا ومنهم من اعطي اكثر من ذلك رواه الترمذي الحكيم في نوادره مختصرا ولهذا انقسم الناس
الى بليد لا يفهم بالتفهيم الا بعد تعب طويل في التعليم والى ذكي يفهم بالرمز والاشارة من غير حاجة
الى العبارة والى كامل ينبعث من نفسه حقائق الامور ودقائقها بدون التعلم يكاد زيتها يضيء و
لو لم تمسسه نار وذلك مثل الانبياء عم وبعض اتباعهم من الاولياء الكرام ويعبر عن الاول بالوحي
وعن الثاني بالالهام هذا وقد قال عم يا ايها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا
ما امرتم به وما نهيتم عنه واعلموا انه ينجدكم عند ربكم واعلموا ان العاقل من اطاع الله وان كان
ذميم المنظر حقير الخطر دنيّ المنزلة رث الهيئة وان الجاهل من عصى الله وان كان جميل المنظر عظيم
الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا نطوقا فالقردة والخنازير اعقل عند الله ممن عصاه ولا تغتروا
بتعظيم اهل الدنيا اياكم واياهم فانهم من الخاسرين رواه داود بن المحبر احد الضعفاء في كتاب العقل
من حديث ابي هريرة وهو في مسند الحارث بن ابي اسامة عن داود وعن انس قال اثنى قوم على رجل
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال عليه كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده في
العبادة واصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال عم الاحمق يصيب بحمقه اكثر من فجور الفاجر وانما يرتفع

العباد

العباد غدا في الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم رواه ابن المحبر بتمامه والحكيم الترمذي مختصرا
وعن عمر مرفوعا ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه الى هدى او يرده عن ردى وما تم ايمان
عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله ابن المحبر وعنه الحارث بن ابي اسامة وعن ابي سعيد مرفوعا لكل
شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته اما سمعتم قول الفجار في النار لو كنا نسمع او
نعقل ما كنا في اصحاب السعير وابن المحبر وعنه الحارث وقال عم ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم
القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم له عقله فعند ذلك تم له ايمانه واطاع ربه وعصى عدوه
ابليس ابن المحبر من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده به وللحديث عند الترمذي مختصرا دون قوله
ولا يتم من حديث عائشة وصححه وعن عائشة رض قالت قلت يا رسول الله باي شيء يتفاضل الناس في الدنيا
فقال بالعقل قلت ففي الاخرة قال بالعقل قلت اليس انما يجزون باعمالهم فقال هل عملوا الا بقدر ما اعطاهم
الله من العقل فبقدر ما اعطوا من العقل كانت اعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون رواه ابن المحبر والحكيم الترمذي
نحوه وقال عم اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر به ونهى عنه نظرا وان كان اقلكم
تطوعا ابن المحبر من حديث ابي قتادة وفي الاحياء اما العلوم الدينية فهي المأخوذة من الانبياء عليهم
السلام بطريق التقليد وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله وسنة رسول الله وفهم معانيهما بعد سماع مبانيهما
وبه كمال صفة القلب في معرفة الرب وبه سلامته عن الاعراض والادواء والامراض فالعلوم
العقلية غير كافية في سلامة القلب وان كان محتاجا اليها في معرفة الرب فالداعي الى محض التقليد مع
عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفي بمجرد العقل عن انوار القرآن والسنة مغرور فاياك ان تكون من احد
الفريقين وكن جامعا بين الاصلين فان العلوم العقلية كالاغذية والعلوم الشرعية كالادوية والشخص
المريض يتضرر بالغذاء مهما فاته الدواء فكذلك امراض القلب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من
الشريعة المصطفوية وهي وظائف العبادات والاعمال التي ركبها الانبياء لاصلاح القلوب فمن لا يداوي
قلبه المريض بمعالجة العبادات الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء ثم
قال والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية واخروية والدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم
وسائر الحرف والصناعات والاخروية كعلم احوال القلب وآفات الاعمال والعلم بالله وصفاته وافعاله وهما علمان
متنافيان يعني ان من صرف عنايته الى احدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الاخر ضرورة على الاكثر
ولذا ترى الكاملين في علوم الدنيا جهالا في امور الاخرة والكاملين في دقائق علوم الاخرة جهالا في اكثر علوم
الدنيا لان قوة العقل لا تفي بالامرين جميعا في الغالب فيكون احدهما مانعا من الكمال في الثاني ولذا قال عم
اكثر اهل الجنة البله رواه البزار من حديث انس وقال الحسن لقد ادركنا اقواما لو رأيتموهم لقلتم مجانين ولو
رأوكم لقالوا شياطين وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون فالدنيا والاخرة

علوم العقلية ينقسم الى قسمين

لا يجتمعان فهما ضرتان اذا ارضيت احديهما اسخطت الاخرى ومن هنا قال عليه السلام من احب اخرته اضر بدنياه
ومن احب دنياه اضر باخرته فاثروا ما يبقى على ما يفنى ثم الخواطر اثار تحدث في القلب التي تعرض فيه
من الاذكار والافكار تبعث على الافعال اي تارة والترك اي وعليها تارة فان الخواطر هي المحركات
للارادات فمبدأ الافعال الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الاعضاء
والخواطر المحركة تنقسم الى قسمين فان نفع اي الخواطر او الخاطر منهم او الفعل او الترك في الاخرة فخير
محض والاعانة عليه توفيق اي لطف وهداية من الله سبحانه وان ضر ذلك في الاخرة فشر والاعانة
اي عليه كما في نسخة خذلان اي ترك نصرة منه واغواء فالاعانة الثانية وقعت بطريق المشاكلة والفارق
بين الخير والشر الشرع ولا عبرة بالطبع ثم الفارق عمل الصلحاء اي من العلماء فالموافق خير والمخالف
شر ولو كان المخالف برخصة او شبهة لانه لا ينفع في الاخرة اذ التقدير ولو كان ذلك الموافق برخصة
والمخالف بشبهة والرخصة ما يستباح لعذر مع قيام دليل الحرمة كتناول المضطر مال الغير وترك المخالف
على نفس الامر المعروف وحكم ان الاخذ بالعزيمة اولى ثم الفارق النفس فما نفرت عنه نفرة طبع لا خشية
اي مخافة من مخالفة الله تعالى وغيره خير قيل نفرة الطبع كنفرة الشخص عن البزاق والمخاط ونحوهما
ونفرة الخشية كنفرته عن الحيوانات المؤذية فاذا حضر له ان يطوي مثلا الى ثلثة ايام في الصوم ولكن
يجد في نفسه نفرة كراهة من هذا العمل فهذا الخاطر خير لانه لا يهلك بجوع ثلثة ايام غالبا وما مالت اليه
ميل طبع لا رجاء من الله سبحانه شر مثلا خطر الخاطر ان خرج من البيت وتفرج المكان الفلاني
ولا يخطر معه نية خير يرجو ثوابه مثل زيارة اخ في الله او عيادة مريض بل خروج بمجرد الخاطر فهو شر
لما ورد من حديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه ثم الخاطر الصادر من الملك الالهام وليس ذلك
الخاطر سوى الخير لانه مرشد ناصح هنالك لم يرسل الا لذلك ومن الشيطان وسواس وهو شر محض
غالبا وقد يكون الوسواس خيرا في الصورة وقصده شر لانه كما يدعوه الى المفضول بالشغل
اي بسبب اشتغاله بالمفضول ممتنعا عن الفاضل كمن يلقي في قلبه خاطر العبادة من النفل ليشغله عن العلم
الذي هو افضل منها مع الجهل او للعطف على الشغل او كما يدعوه الى خير بسبب جره الى ذنب لا يفي خيره
اي لا يعد لعظم ضرره وشره كالعجب او غيره من طلب جاه ونحوه ثم ورد ان القلب مخضود اي ممتحن بملك
وشيطان يدعوانه اي الى خير وشر والحديث لم اجد له اصلا فالملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى
شانه افاضة الخير وافادة العلم والشيطان عبارة عن خلق شانه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر
بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر كما قال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم
مغفرة منه وفضلا فنسب فعل الملك الى نفسه تفضلا او نظرا الى الحقيقة من غير الواسطة فان رؤية الاسباب
نوع من الجفا ومن هذا الباب قوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم وقوله واعلموا ان الله يحول بين المرء

وقلبه وورد القلب بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه
قال تعالى حكاية عن الراسخين في العلم حيث يقولون ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا الاية [illegible]
في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله سبحانه وتعالى
فليحمد الله ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله
من الشيطان الرجيم ثم تلا الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء رواه الترمذي وحسنه من حديث
ابي سعيد وقال الحسن انما هما همان يجولان في القلب هم من الله سبحانه وهم من العدو فرحم الله عبدا
وقف عند همه فما كان لله امضاه وما كان من عدوه جاهده ونهاه ولتجاذب القلب بين
هذين المسلطين ورد قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن اي بين صفتي الجمال والجلال او هو
تمثيل لسرعة تقلب القلب وتردده بالشيء المأخوذ بين الاصبعين المحركتين ولما كان قلب لا يخلو
عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول امل الى غير ذلك من الصفات البشرية المتشعبة عن الهوى
لا جرم لا يخلو قلب عن ان يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذا قال عليه السلام ما منكم من احد الا وله شيطان
قالوا واياك يا رسول الله قال وانا الا ان الله تعالى اعانني عليه فاسلم فلا يامرني الا بالخير رواه مسلم
عن ابن مسعود ثم القلب الخالي عن الهوى لا يدخلها الشيطان ولذا قال تعالى ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان وكل من اتبع هواه فهو عبد الهوى لا عبد الله قال تعالى افرايتم من اتخذ الهه هواه وقال
جرير بن عبد الله شكوت الى العلاء بن زياد ما اجد في قلبي من الوسواس فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذي
تمر به اللصوص فان كان فيه شيء عالجوه والا مضوا وتركوه ومن مناقب المفلس في امان الله وقال
عثمان بن ابي العاص يا رسول الله ان الشيطان بيني وبين صلوتي وقرائتي فقال ذلك شيطان يقال له
خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله عني رواه
مسلم ولابن ماجه والترمذي من حديث ابي بن كعب ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا
بالله منه والحاصل انه لا خلاص من الشيطان الا بالالتجاء الى الرحمن والتبري من الحول والقوة للانسان
واظهار العجز في ميدان البيان والاشتغال بذكر الله فانه هو السلطان وذلك لا يقدر عليه الا المتقون
كما يشير اليه قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ومنه اي
من الوارد من عنده تعالى ابتداء خاطر مطلق وانما قال ابتداء لان حدوث الخواطر جميعا في قلب العبد
من الله حقيقة لكن اذا احدث عقيب دعوة الملك تنسب اليه ويسمى الهاما واذا احدث عقيب دعوة الشيطان
تنسب اليه وتسمى وسوسة واذا احدث موافقا الطبع يقال له هوى النفس وينسب اليه واذا احدث من الله في القلب
ابتداء بلا واسطة الملك والشيطان لا موافقا الطبع الانسان يسمى خاطرا مطلقا غير مقيد بالواسطة
والرابطة وهو اما خير اعتناء اي عناية ورعاية لعبد واما شر ابتلاء اي امتحان لعبده ومن النفس هوى

يدعو الوارد منه الي هوي وهو ضد هدي وليس الهوي سوي الشر كما ان الهدي سوي الخير وقيل كما الوسوسة
من الشيطان اي يدعو الي الشر ابتدا وقد يدعو الي الخير اليسير ليجره الي الشر الكثير وذلك كما قال احمد بن
ارقم البلخي نازعتني نفسي بالخروج الي الغزو فقلت سبحان الله ان الله تعالي يقول ان النفس لامارة بالسوء
وهذه تامرني بالخير لا يكون هذا ابدا ولكنها استوحشت فتريد لقاء الناس لتتروح اليهم وتتسامع الناس
فيستقبلونها بالتعظيم والتكريم فقلت لها لا انزلك العمران ولا انزلك علي ذي معرفة فاجابت فاسأت
الظن بها فقلت ان الله اصدق فجعلت اقاتل العدو حاسرا اي بلا سلاح فتكونين اول قتيل فاجابت
فاسأت الظن بها فعددت اشياء مما ارادها فاجابت الي كل ذلك فقلت يا رب نبهني لها فاني متهمها ومصدق
لك فكوشفت كانها تقول يا احمد تقتلني كل يوم بمنعك اياي شهواتي مرات وبمخالفتك لي كرات وما يشعر
بذلك احد فان قاتلت فقتلت مرة واحدة فنجوت منك ويتسامع فيقال استشهد احمد ويكون لي
شرف وذكر فقعدت ولم اخرج الي الغزو في ذلك العام فانظر الي خداع النفس وغرورها براءي الناس
بعد الموت بعد الحياة بعد ولقد صدق القائل شعر توق نفسك لا تامن غوائلها فالنفس
اشر من سبعين شيطانا وقيل الا اذا كانت النفس مطمئنة بذكر الله فليس خاطرها سوي الخير وهذا
هو الخامس من الخواطر المسمي بخاطر القلب لقوله تعالي الا بذكر الله تطمئن القلوب يعني ولا تميل ابدا
الي الذنوب والعيوب فهو ان استقت قلبك تام وان افتاك المفتون فالخطا للمفتي فان قلبه
لا يخطي ومن هنا قيل حدثني قلبي عن ربي اما الفرق بين الخواطر في الخير والشر ففي الخير يعرف الخاطر المطلق
الذي هو ذكر الله بكونه مصمما اي ثابتا علي حالة واحدة دائما ومحدثا اي بكونه واقعا عقيب الطاعة
اثابة اي جزاء واكراما كما ورد في التنزيل والذين جاهدوا فينا اي بالطاعة لنهدينهم سبلنا
الباقية الموصلة الي قربنا ووصلنا ففي الخبر من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وهو معني قوله
تعالي والذين اهتدوا زادهم هدي وآتيهم تقويهم وقوله واما من اعطي واتقي وصدق بالحسني
فسنيسره لليسري اي الطريقة الموصلة السهلة الي الحالة الاخري في الدنيا والعقبي وطارئا
عطف علي مصمما اي عارضا في الاصول اي الاعتقاد والاعمال اي العبادات الباطنة فلا سبيل للغير تعالي
اليها فهو عليم بذات الصدور وخفايا الامور ومنبها عطف علي اثابة اي والتنبيه عن نوم
الغفلة في مقام الاثابة علي فعل الطاعة ولا يبعد ان يعطف علي مصمما بذكر المصدر وارادة
الفاعل اي منبها عن الغفلة علي عمل الخيرات كما ورد في الدعاء اللهم نبهنا عن نومة الغافلين لم ادله
اصلا والالهام الملكي يعرف بكونه اي الخاطر مترددا بين الفعل والترك غير قوي في حكم وقيل
مترددا اي يجيء مرة ويذهب اخري ومبتديا اي لا حدثا بعد عمل عبادة ونحوه وطارئا
اي عارضا في الفروع العلمية والعملية والاعمال الظاهرة الاخروية وقيد الاعمال بالظاهرة لان

لان الملك لا سبيل له الي معرفة باطن العبد في قول الاكثر ومنها اي من علامة الملك في الامور الدينية
في التنزيل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون اي الملائكة ما يؤمرون لانهم جبلوا علي الطاعة والوسوسة
من الخواطر تعرف بكونها مع عجلة لا مع تان لقوله تعالي وكان الانسان عجولا وفي الحديث العجلة من الشيطان
والاناة من الله رواه الترمذي وحسنه من حديث سهل بن سعد وقال عز وجل ولا تعجل بالقران من
قبل ان يقضي اليك وحيه ونشاط اي فرح وانبساط وهو خفة تحصل في الانسان للاقدام علي العمل
من غير بصيرة وتصور منه دون خشية اي من غير مخافة علي اتمام اي اتمام العمل انتهاء وادائه
علي وجهه اي وجه العمل وحقه ابتداء وقوله تعالي اباه اي العمل وصح اذ لا عبرة لما سواه وبصيرة
اي ودون بصيرة انه اي ذلك العمل خير يرجي عليه الثواب او شر يخاف عليه العقاب وقيل المراد
بالبصيرة بصارة العاقبة بان يبصر ويحقق ويتيقن انه خير ورشد ويجب لزومه مع قطع النظر
عن قصد الثواب والله اعلم بالصواب والحاصل انك ان وجدت نفسك في الفعل الذي خطر بقلبك
مع نشاط لا مع خشية ومع عجلة لا مع تان ومع امن لا مع خوف ومع عمي عن الاخرة لا مع بصيرة
فاعلم انه من الشيطان وان وجدت نفسك مع ضد ذلك بان تكون مع خشية لا مع نشاط ومع تان لا مع عجلة ومع خوف
لا مع امن ومع بصيرة لا مع عمي فاعلم انه من الله تعالي او الملك هذا الفرق في الخير كله وفي الشر يعرف الخاطر المطلق الذي
هو من الله سبحانه بكونه مصمما اي قويا ومحدثا واقعا عقيب الذنب عقوبة اي للعقوبة علي المعصية كما ورد في التنزيل
بل ران اي غلب وعلا علي قلوبهم ما كانوا يكسبون من الشيطان والاثم بعضها عقيب بعض عقوبة لهم حتي اسودت
قلوبهم حيث تراكمت ذنوبهم ومنه قوله تعالي واما من بخل واستغني وكذب بالحسني فسنيسره للعسري اي الطريقة
العسرة الموصلة الي الشر فيها في الدنيا والاخري والهوي اي ويعرف خاطر هوي النفس بكونها مطالبة للشهوة
اي للذة التي فيها الهوي كما ورد في التنزيل ما تشتهي انفسكم حيث نسب الاشتهاء الي النفس التي منبع الهوي
ومصرة علي معين اي وبكونها مصممة علي شهوة معينة علي وجه معين وطريق مبين لا عدول عنه بوجه اصلا
وقطعا فالنفس لا تسكن دون قضاء الشهوة اي من غير غرضها التي تريدها كما قيل تريد النفس ان تلقي
مناها ويابي الله الا ما يريد والوسوسة تعرف بكونها ابتداء اي ليست عقب طاعة ولا معصية في الاكثر اي
الاكثر الاحوال واكثر الوساوس ومترددة فتارة تدعو الي معصية واخري الي اخري فهي غير مصممة علي حالة
واحدة فالشيطان كلب او ذئب اذا طرد من جانب دخل من اخر كما يشير اليه قوله تعالي فبما اغويتني لاقعدن
لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن شمائلهم والمراد طرق المعاصي جميعا وعن
ابن مسعود خط لنا رسول الله صلي الله عليه وسلم خطا فقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط
فقال هذا سبيل الشيطان علي كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ومباعثه اي بكونها حريصة علي غير معينة من انواع المعاصي فهو ضد

نفسي لا عواد مني اي جهة كان من الاعمال والاحوال ومسولة اي ذكورها مزينة ومسهلة لمعصية من المعاصي
غير متعينة ورد في التنزيل الشيطان سول لهم اي زين لهم سوء اعمالهم واملي لهم اي امهلهم بمطول اجالهم
او الحق في قلوبهم ما يتمدون عليه في امورهم قال الحسن بلغنا ان ابليس قال سولت لامة محمد المعاصي فقطعوا
ظهري بالاستغفار فسولت اليهم ذنوبا لا يستغفرون الله عز وجل منها وهي الاهواء وقد صدق الملعون
فانهم لا يعلمون ان ذلك من الاسباب التي تجر الى المعاصي فكيف يستغفرون منها ومن عظم حيل الشيطان انه
يشغل الانسان بنفسه بالاختلاف فالواقعة بين الناس في المذاهب الاصولية والفروعية والخصومات
الدنيوية وقال عبد الله بن مسعود قعد قوم يذكرون الله عز وجل فاتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم
فيفرق بينهم فلم يستطع فاتى رفقة اخرى يتحدثون بحديث الدنيا فافسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس
اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله واشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان
منهم ومن صفتهم اي كونه مختفيا بذكره تعالى ولا يذكر خفية ثم ورد في الحديث فيه اي في حق الشيطان اذا
ذكر العبد الله خنس اي تاخر الشيطان واذا غفل وسوس قال مجاهد في معنى قوله تعالى من شر الوسواس
قال هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد
بين ذكر الله ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتطاردهما قال
تعالى استحوذ عليهم الشيطان فانسيهم ذكر الله وعن انس قال عم ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن ادم
فاذا ذكر الله خنس وان نسي الله التقم قلبه ابن ابي الدنيا وابو يعلى وابن عدي هذا ولما كان الشهوات
ممتزجة بلحم الادمي فسلطنة الشيطان ايضا سارية في لحم ودم ولذا قال عم ان الشيطان ليجري
من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوة
المانعة عن الطاعات وفيه تنبيه على انه لا يتخلص احد من الشيطان ما دام حيا نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف
قوته كما قال عم ان المومن ينضي شيطانه كما ينضي احدكم بعيره في السفر اي يهزله ويضعفه رواه احمد من
حديث ابي هريرة وقال ابن مسعود شيطان المومن مهزول وقال قيس قال لي شيطاني دخلت فيك وانا
مثل الجزور وانا الان مثل العصفور فقلت ولم ذلك قال تذيبني بذكر الله تعالى وقال ابو هريرة التقى
شيطان المومن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر سمين دهين كاس واذا شيطان المومن مهزول
اشعث اغبر عار فقال شيطان الكافر لشيطان المومن ما لك فقال انا مع رجل اذا اكل سمى الله فاظل جايعا
واذا شرب سمى الله فاظل عطشانا واذا ادهن سمى الله فاظل شعثا واذا لبس سمى الله فاظل عريانا فقال
شيطان الكافر لكني مع رجل لا يفعل شيئا مما ذكرت فانا اشاركه في طعامه وشرابه ودهنه ولباسه وفي
النسائي عن حديث سبرة باسناد صحيح ان الشيطان قعد لابن ادم في طريقه فقعد له في طريق الاسلام فقال
اسلم وتذر دينك ودين ابائك فعصاه واسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر وتذر ارضك

وسمايك

حيل الشيطان

وسماء ابائك فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له اتجاهد وهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل
فتنكح نساءك ويقسم مالك فعصاه فجاهد فقال عم فمن فعل ذلك وما كان حقا على الله ان يدخله الجنة واذا عرفت
هذا فينبغي للعبد ان يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالبحث عن اصله ونسله ومحل قعوده قال تعالى ان الشيطان لكم عدو
فاتخذوه عدوا انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وقال تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا
الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم وقيل يفتقر التمييز بين الخواطر الى من الاشياء
الى نور التقوى والمعرفة بصفات القلوب كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا واى
رجعوا الى نور العلم فاذا هم مبصرون اي انكشف لهم الاشكال وانحل لهم العقال وتبين لهم غامض الاحوال
واما من لم يروض نفسه بالتقوى فيميل طبعه الى الاذعان للهوى لتلبيسه بمتابعة الهوى فيكثر فيه غلطه ويتعجل هلاكه
وهو لا يشعر به وفي مثلهم قال تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل هي اعمال ظنوها حسنات فاذا هي
سيات وفي الاحياء ينبغي ان يعلم ان الخواطر تنقسم الى ما يعلم قطعا انه داع الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة والى ما
يعلم انه داع الى الخير فلا شك في كونه الهاما والى ما يتردد فيه ولا يدرى انه من لمة الملك او من لمة الشيطان فان
من مكايد الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك غامض واكثر العباد به يهلكون فان الشيطان
لا يقدر على دعائهم الى صريح الشر فيصور الشر لهم بصورة الخير ولذا روي ان ابليس تمثل لعيسى عم فقال
له قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا اقولها بقولك وعن النبي صلى الله عم كان راهب في بني اسرائيل فاخذ
الشيطان جارية فخنقها والقى في قلوب اهلها ان دواءها عند الراهب فاتي بها الى الراهب فابى ان
يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فكانت عنده ليعالجها فاتاه الشيطان فوسوس اليه وزين له مقاربتها
فلم يزل به حتى وقع عليها فحبلت منه فوسوس اليه وقال الان تفتضح ياتيك اهلها فاقتلها فان اتوك
فقل ماتت احبلها ثم قتلها ودفنها فاتاه اهلها فسالوه فقال ماتت فالقى اليهم الشيطان انها مدفونة
عنده فنبشوا عليها فوجدوها مقتولة فاخذوه فاتاه الشيطان فقال انا الذي اخذتها وانا
الذي القيت في قلوب اهلها فاطعني اخلصك منهم قال بماذا قال اسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين
فقال له الشيطان اني بريء منك فهو الذي قال الله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر
قال اني بريء منك الاية والحديث رواه ابن ابي الدنيا في مكايد الشيطان وابن مردويه في تفسيره
من حديث عبيد بن رفاعة مرسلا وللحاكم نحوه موقوفا على علي ابن ابي طالب رض وقال صحيح الاسناد
ووصله مطين في مسنده من حديث علي وذكره البغوي في تفسيره عن ابن عباس وذكر ان الراهب اسمه
برصيصا ونقل بعد قتلها بان جنبها اخذها وراح بها ولم يقدر على دفعها القصة بطولها
فانظر الان الى حيل الشيطان واضطراره الراهب الى هذه الحالة وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية
للمعالجة وهو امر هين في المخالطة وربما يظن صاحبه انه خير وحسنة وملاطفة في المرافقة وحسن عشرة

حكاية عجيبة في وسوسة الشيطان

في المخالفة فيحصل ذكره في قلبه ويخفي الهوى في نفسه فيقدم اليه كالراغب في لذيذه فيخرج الامر بعد
ذلك عن اختياره هنالك وفي البعض بحيث لا يجد محيصا في الخلاص عن الالم المذكور فنعوذ بالله من
تضييع اوائل الامور واليه الاشارة بقوله عم من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه متفق عليه من حديث
نعمان بن بشير واختلف في الاخذ اي في المواخذة بالخواطر فبعضهم قال بعدم الاخذ مطلقا واستدل
بقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والتحقيق التفصيل فان اول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطرت
له مثلا صورة امراة وانها وراء ظهره في الطريق بحيث لو التفت اليها لراها ويسمى حديث النفس
والثاني هيجان النفس في الرغبة الى النظر وهو حركة الشهوة الكامنة في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الاول
ويسمى ميل الطبع والثالث حكم القلب بان هذا ينبغي ان ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم ينبعث الهمة والنية
ما لم يندفع الصوارف فانه قد يمنعه حياء او خوف من الله تعالى عن الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون
بتامل وهو على كل حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخواطر والميل والرابع تصميم
العزم وجزم النية ويسمى الارادة ميل الباطن نحو المطلوب والقصد قراره في القلب على نهج المرغوب و
العزم بحيث لا يمكن زواله والجزم بحيث يوجب العمل في ماله فاذا عرفت هذا والتحقيق عند اهل التدقيق
عدم اي عدم الاخذ بمعنى المواخذة فيما لا اختيار له كحديث النفس مما يخطر ببالها ويذهب
بسرعة زوالها وميل الطبع اي الجبلي الذي لا اختيار لصاحبه في الميل اليه وانت عرفت ان حديث
النفس وميل الطبع متغايران وقيل عطف تفسيري وهو خاطر فعل الذي ما انجر الى العزم والهم لامتناع
التكليف فيه اي فيما لا اختيار فيه فانه تكليف ما لا يطاق وقد قال تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها
وورد عفي لها ما حدثت به نفوسها وهو معنى حديث الصحاح الستة عن ابي هريرة ان الله تجاوز لامتي عما
حدثت به انفسها ما لم تتكلم به او تعمل به وعن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اذا هم عبدي
بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها عليه سيئة فان تركها من اجلي فاكتبوها حسنة واذا هم بحسنة
ولم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا رواه الشيخان وانما هو اي الاخذ والمواخذة
في العزم اي حكم القلب بان هذا ينبغي ان يفعل والهم اي المصمم فهو عطف تفسيري وهو قصد الفعل
بعد الخطور ولكن ما افضى الى مباشرة الفعل لمانع من الشرع والعقل او غيرهما فانه قد يكون الفاسد
كرها وفسقه نحو وما او الثاني اخص من الاول فتامل لو ورد في التنزيل وان تبدوا ما في انفسكم
او تخفوه يحاسبكم به الله اي ان تظهروا ما فيها من العزم والهم على المعصية او تخفوه يجازكم الله
كما قال فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولما نزل الاية جاء اناس من الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا كلفنا ما لا نطيق ان احدنا ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال عم لعلكم
تقولون كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا فانزل الله الفرج بقوله لا يكلف الله نفسا

الا وسعها

الا وسعها رواه مسلم من حديث ابي هريرة وابن عباس وظهر به ان كل ما لا يدخل تحت الوسع من اعمال القلوب
هو الذي لا يؤاخذ به ان السمع والبصر الاية اي والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا وقال تعالى ولا تكتموا الشهادة
ومن يكتمها فانه اثم قلبه وقال لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم انما يحشر
الناس على نياتهم رواه ابن ماجه من حديث جابر دون قوله انما وله من حديث ابي هريرة انما يبعث الناس
على نياتهم واسنادهما حسن ومن نعلم ان من عزم ليلا على ان يصبح فيقتل مسلما او يزني فمات تلك
الليلة مات مصرا ويحشر على نيته والدليل القاطع فيه حديث اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول
في النار قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه رواه الشيخان ووقع
الاجماع على الاخذ اي المواخذة بالكبر والعجب والرياء وخص الثلثة بالذكر لكونها من اعمال الباطن
ولمناسبتها بالخواطر الا ان يمتنع عن العمل السوء بعد العزم اي القصد الجزم على الفعل له اي يكون
امتناعه لاجله تعالى رجاء او خوفا او نحوه اي ونحو الله سبحانه الاخذ بها والعقوبة عليها لرجحان
تاثير الامتناع عن العمل لاجله تعالى في تنوير الباطن لانه اي الامتناع يخالف الطبع ويوافق الشرع
فيرجح على تاثير القصد اي قصد المعصية والعزم عليها فيكون مؤثرا في تسويده اي تسويد
الباطن وتغييره لانه يوافق انه لانه قصد المعصية يوافق الطبع ويلايم الشرة وحاصله ان الامتناع
من حيث انه يخالف الطبع يحتاج الى جد شديد وسعي اكيد وما كان جده اشد وسعيه اهم كان تاثيره
اكمل واتم فثبت بهذا ان تاثير الامتناع في تنوير الباطن اشد من تاثير قصد المعصية في تسويد
الباطن لانه لا يحتاج الى سعي بليغ وما كان جده واجتهاده اقل كان التاثير انقص فتامل وفي الخبر افضل
الطاعات احمزها اي اشقها واصعبها وورد في الخبر اي في الامتناع ان تركها اي العبد السيئة
فاكتبوها حسنة وقد تقدم ولابن ابي الدنيا في مكايد الشيطان هكذا مرسلا قال ثابت لما بعث النبي عم
قال ابليس لشياطينه لقد حدث امر فانظروا فانطلقوا ثم جاؤه فقالوا ما ندري قال ابليس انا اتيكم
بالخبر فذهب ثم جاء فقال بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه الى اصحاب النبي عم فينصرفون
خائبين فيقولون ما صحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقولون الى صلوتهم فيمحي ذلك فقال
ابليس رويدا بهم عسى الله ان يفتح لهم الدنيا فهنالك تصيبون حاجتكم منهم ومما يدل على حديث النفس
لا يؤاخذكم به ما روي عن عثمان بن مظعون حيث قال يا رسول الله ان نفسي تحدثني ان اطلق خولة قال
مهلا ان من سنتي النكاح قال نفسي تحدثني ان اجب نفسي قال مهلا خصاء امتي دؤب الصيام قال نفسي
تحدثني ان اترهب قال مهلا رهبانية امتي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني ان اترك اللحم قال مهلا فاني
احبه ولو اصبته لاكلته ولو سالت الله لاطعمني رواه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول عن سعيد
بن المسيب مرسلا ثم الواجب الاحتراز اي الاحتراس عن الشيطان وما فيه من الوسواس لانه عدو

وفي الاحياء

احتراز عن الشيطان

كما نطق به القران حيث قال ان الشيطان لكم عدو مبين وقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه
عدوا الآية وان العابد العالم يغايظه اي يغالبه في غيظه لاجل كونه في سبيل الله فيشتد معاداته
اي الشيطان اياه اي ذلك العابد ولذا ورد لفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد ثم من عداوته
للانام امره لهم بالاثام وعده الامان من عذاب الله وعدم حسابه والياس من ثوابه من غير شبهة فضلا
عن حجة وتخويفهم بالفقر في اعطاء الزكوة وحثهم على الانفاق في المحرمات ويجعل لهم حسن اللذات في الشهوات واللهوات
ويدعو الى ازواج وجواري ذات جمال وزينة ومعطرة في غاية كمال الى زنا من ليس لها ذلك في الاحوال ويامر
الامراء بالظلم في اموال الاغنياء واوقاف الايتام والفقراء ومنع ورد المظالم ويقتل النفس بادنى خيال مع
تمكنهم من الدفع في حال واستقبال ولم ابوا فيها اطنابا والطريق اي طريق الاحتراز خمسة الاستعاذة
منه به تعالى لانه اي العبد او الاستعاذة مامور بها في قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ
بالله الآية وسائر الآيات والاخبار الواردات وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلوة الصبح اللهم انك
سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا مطلعا على عوراتنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم
اللهم فايسه منا كما ايسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وابعد بيننا وبينه كما ابعدت بينه
وبين جنتك انك على كل شيء قدير وعن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال كان شيطان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم بيده
شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي ويقرا ويتعوذ فلا يذهب فاتاه جبريل عم فقال اعوذ بكلمات
الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ذرء وبرء في الارض ومن شر ما يخرج منها وما ينزل من السماء
وما يعرج فيها ومن فتن الليل والنهار وطوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن فقال ذلك فطفئت
شعلته وخر على وجهه رواه ابن ابي الدنيا في مكايد الشيطان هكذا مرسلا ولمالك في الموطا نحوه عن يحيى بن سعيد
مرسلا ووصله ابن عبد البر في التمهيد من رواية يحيى عن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن زرارة عن عياش
الشامي عن ابن مسعود ورواه احمد والبغوي من حديث عبد الرحمن بن خنبش وان الكلب اذا حاربته تعبت و
ربما غلبت فالرجوع الى ربه اولى في الخلاص عن البلوى ومثل الشيطان بالكلب الجايع يقرب منك فاذا لم تكن بين
يديك لحم او خبز فانه ينزجر ان يقول له اخس بمجرد الصوت يدفع وان كان بين يديك شيء من ذلك وهو
جايع فانه يهجم عليك ولا يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوة الشيطان يندفع عنه بمجرد ذكر فاما الشهوة
اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر الى حواشي القلب فلم يتمكن الذكر من سويدائه فيستقر الشيطان في
سويداء القلب ومثل بعضهم الشيطان بالكلب التركي فانه لا يخلص لاحد منه لا بالسيف ولا بالفرار ولا باعطاء اللحم
ونحوه وانما ينجيه من همه صاحب خيمته داخل خيمته فيغتر غضب كلبه ونهيه والمجاهدة مع الشيطان بالرد اي
برد الوسوسة ودفعها في حالة الانسية وقلع المهلكات اعوانها من اصلها مع الحسد والحرص والغضب والشهوة
وحب التزيين في الثياب والاثاث والدار والشبع من الطعام ولو لم يكن من الحرام والطمع في الانام واخذ كل

دعاء محمد بن واسع

ما يزيد

ما يزيد على قدر القوة والحاجة من الدراهم والدنانير وسائر اصناف الاموال وخوف الفقر والبخل والتعصب
للمذاهب والترصد للمذاهب والتفكر في ذات الله وسوء الظن بالمسلمين ونحو ذلك من الحالات الفاسدة
والمقامات الفاسدة فهوى الشيطان انما يسلط على الانسان للامتحان في ميدان الطاعة والعصيان
في يوم الموت وبيان وادامة ذكره تعالى لسانا خفية او جهرا او قلبا فهو افضل واكثر تاثيرا والجمع
بينهما اكمل لما سبق من ان العبد اذا ذكر الله خنس الشيطان وتاخر وفي الخبر ما سلك عمر فجا اي طريقا
الا سلك الشيطان فجا غير فجه رواه الشيخان من حديث سعد بن ابي وقاص قال في الاحياء هذا لان قلبه
هذا كان مطهرا عن مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات فمهما طمعت في ان يندفع الشيطان عنك بمجرد
الذكر كما اندفع عن عمر كان محالا لكن طمع في ان يشرب الدواء قبل الاحتماء والمعدة مشغولة بغليظة
الاطعمة ويطمع في ان ينفعه الدواء كما نفع الذي شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة فالذكر دواء والتقوى
احتماء فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان عنه كما يندفع العلة بنزول الدواء
في معدة خالية عن الاطعمة فان قلت الحديث قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم يفهم ان عمومات
الشرع مخصوصة بشروط يعرفها علماء الدين فانظر الى نفسك فليس الخبر كالمعاينة وتامل ان منتهى ذكرك وعبادتك
وصلوتك ثم راقب قلبك اذا كنت في صلوتك كيف يجاذبه الشيطان الى الاسواق وحساب العاملين وجواب
المعاندين وكيف يمر بك في اودية الدنيا ومهالكها حتى انك لا تذكر ما نسيته من فضول الدنيا الا في صلوتك
فلا تزدحم الشيطان على قلبك الا اذا صليت والصلوة محك القلوب فيها يظهر مساويها ومحاسنها والصلوة
لا تقبل من القلوب المتخمة بشهوات الدنيا فلا جرم لا تطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس
في ذلك الزمان كما ان الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر في الداء فان شئت الخلاص عن الشيطان فقدم
الاحتماء بالتقوى ثم اردفه بدواء الذكر كما يشير اليه قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا فاذا هم مبصرون فالشرط في الذكر تقدم التقوى او كمال الحضور في ذكر المولى ومن هنا ورد
من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وقد قال وهب بن منبه اتق الله ولا
تسب الشيطان في العلانية وانت صديقه في السر اي مطيع له في الباطن وقال بعضهم يا عجبا لمن يعصي المحسن
بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه وعن بعض الحكماء الشيطان ياتي ابن ادم من قبل
المعاصي فان امتنع اتاه من قبل النصيحة حتى يلقيه في البدعة فان ابى امره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس
بحرام فان ابى شككه في وضوئه وصلوته حتى يخرجه من العلم فان ابى خفف عليه اعمال البر حتى يراه الناس
صابرا عفيفا فيميل قلبه اليهم ويعجب بنفسه وبه يهلكه وعنده يشتد الحاجة فانها اخر درجة ونعم انه لو
جاوزها افلت منه الى الجنة والاستخفاف بدعوته اي الاستحقار وعدم الاعتبار بدعوة الشيطان فالكلب
ان اعرضت عنه سكت عنك وان اشتغلت معه بالدفع اتعبك بالعواء ومعرفة مكايده الاتي بيانها فالقصد

ان علم احسنها صنفا الدار في اي شرد واضطر الي الفرار ولم يتمكن من القرار و في اي المكايد سبعة كالمنع على
العمل من اصله والتسويف اي التاخير عن مجلسه والعجلة في فعله والرياء في قصده والعجب بعد فراغه
ورجاء الاظهار منه تعالى للخلق بعدم الاكتفاء بنظر الحق وهو من الرياء الخفي وعدم الحاجة الي العمل بناء
على قسمة الازل في السعادة والشقاوة وهذا الف في العبارة ويشير بالاشارة في قوله والرد اي رد المكايد
المذكورة بالحاجة الي العمل للتزود اي لزاد المعاد في يوم التناد فقد قال تعالى فتزودوا فان خير
الزاد التقوي وهجوم الاجل اي مجيئه بغتة قبل حصول العمل ورجاء القليل من العمل التام اي الكامل
بالتاني على الكثير من العمل الناقص بالعجلة وكفاية رؤيته تعالى لقوله تعالى الم يعلم بان الله يرى وقوله
تعالى اليس الله بكاف عبده وذكر منته والتفويض اليه الي التسليم بين يديه في الاظهار والاخفاء في
العبادة بل ينبغي ان يميل الي الاخفاء لانه ابعد من الرياء وفي الخبر افضل امتي الاتقياء الاخفياء وفرضية
امتثاله اي امتثال امره على عبده ثم ان كنت شقيا فانا محتاج الي العمل لكيلا الوم نفسي يوم القيمة فاني لو ادخلت
النار وانا مطيع احب الي من ان ادخلها وانا عاص لخفة العذاب وان كنت سعيدا فانا محتاج الي زيادة
الثواب وحقيقة وعده الادفع اي الاقرب بالاثابة على الطاعة والاجابة ثم الافضل الاقتصار على
التكذيب اي تكذيب الشيطان فيما يوسوس وترك الجدال فانه يرد قلب العبد ويشوش ولان المجادلة شاغل
عن العبادة الكاملة ثم الاستمرار على ما كان عليه من العبادة والاستمرار من غير تكذيب ولا جدال لان التكذيب
ايضا شاغل كالجدال وان كان قليلا فان الحق الاعلى هو المصون مع الموفي ثم الزيادة اي زيادة الاجتهاد في ضده
اي اضداد ما ذكر من المكايد او في ضد كيد الشيطان ففيه اغضابه اي اغضاب الشيطان وارضاء الرحمن
كما حكي عن ابراهيم ابن ادهم انه لما اراد ان يدخل البادية اتاه الشيطان فخوفه بان هذه بادية مهلكة هادية
ولا هناد معك ولا سبب ولا راوية فعزم على نفسه ان يقطع البادية على تجرده ذلك وان لا يقطعها حتى
تصلي الف ركعة تحت كل ميل من اميالها هنالك وقام بما عزم عليه من الهمة وبقي عليه في البادية اثني
عشرة سنة ويروى عن الفضيل بن عزوان انه قيل له ان فلانا ذكرك بسوء فقال والله لاغيظن من
امره قبل من امره قال الشيطان ثم قال اللهم اغفر له اي لاغيظنه بان اطيع الله فيه ومما عرف الشيطان من
عند هذه العادة كف عن خيفة ابي يزيد في حسناته وهو خلا مالم من الارادة واختلف اي اختلف العلماء
في امن الاقوياء كالانبياء والاصفياء من الاولياء منه اي من الشيطان فقال قوم هم معصومون ومحفوظون
عنه لقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين والحق من الاقوال
عدمه اي عدم امنهم من الشيطان في جميع الاحوال لقصة ادم عليه السلام في اكل الشجرة فانه صريح في الملاء
ونص في الكلام حيث قال تعالى وعصى ادم ربه فغوي ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدي ولقوله تعالى وما
ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله والخطاب لنبيناعم وقد روي انه عم نظر اي علم ثوبه في

الصلوة

في الصلوة فلما سلم رمي ذلك الثوب وقال شغلني عن الصلوة ولقوله سبحانه وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الا اذا تمني اي قرا القي الشيطان في امنيته اي قراءته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته وورد
في صحيح مسلم وغيره انه اي الشان ليغان اي يحجب على قلبي فيمنعني عن ذكري ربي ان مع الشيطان اسلم فلم يامر الا
بخير وتمام الحديث لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وفيه انه ليس في هذا الحديث ما يدل على مدعي المصنف من اغواء
الشيطان له فان المراد بالغين حجاب يقع من كثرة غبار الغير في مقام ابي فيمنع عن مشاهدة العين فيستغفر ربه
من ذنبه اللايق به فان سيئات المقربين الاحرار حسنات المطيعين الابرار وما دامت في هذه الدار لا تسترب
وقوع الاكدار وفي اي وكذا اختلف في منافاة الترصد اي التحفظ لحذر من الشيطان التوكل بالنصب مفعول
منافاة والحق من الاقوال المختلفة عدمها اي عدم المنافاة فاخذ السلاح من الدرع والمغفر وسائر الاسلحة
وجمع العسكر للمقاتلة وحفر الخندق في المقابلة ما قدحت في توكله اي ما طعنت في توكله عم واصحابه الكرام
بل ورد الامر من الله سبحانه باخذ السلاح في قوله تعالى وليأخذوا حذرهم واسلحتهم وقال تعالى واعدوا لهم
ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وفي الحديث الا ان القوة الرمي وفي اي وكذا اختلف في كيفية الحذر
عن الشيطان فقوم قالوا اذا احذرنا الله تعالى عن العدو فينبغي لنا ان نستغرق في ترصده ولا يكون شيء
اغلب على قلوبنا من ذكره وفكره وقال قوم لا ينبغي لنا ان نجمع بين ذكر الله سبحانه وبين ذكر عدوه فضلا
عن ان يكون ذكره غالبا ففي الخبر من احب شيئا اكثر ذكره وقال قوم غلط الفريقان لان كلا من القولين لا يخلو
عن نوع من النقصان كما سياتي له البيان فالاولى تقرير عداوته اي احكام عداوة الشيطان واثباته على
القلب فاذا تقرر عداوته في القلب لزم ترك الالتفات اليه والاستغراق في ذكره تعالى اي وتمام التوجه الي
ذكر الرب بجمع الهمة من غير التفات الي ذكر الشيطان وفكره بسبب حضور القلب في طاعة ربه والاشتغال بالدفع
اي بدفع الشيطان عند الانتباه بوروده اي بدخول الشيطان في القلب بالوسواس ونحوه لدخوله في الانسان
مجري الدم في لحمه واما الاستغراق في الترصد اي في التحفظ عن الشيطان للحذر فينافي الذكر المطلوب وهو
اي الاستغراق المذكور او ذكر النفي امراده اي ايقاع الشيطان في التردد وانا ده لانه مراده في مقام اختياره
والجمع اي وينافي جمع الهمة او مقام الجمع او جمع الجمع وهو ان لا يمنع الكثرة عن الوحدة ولا يحجب الوحدة عن الكثرة
والجمع بين ذكر الرحمن وبين ترصد الشيطان ينقص الحضور في ميدان المشاهدة والعيان فقدر اشتغال
القلب بذكر الشيطان فان الله تعالى امر العبد بذكره ونسيان غيره وورد في التنزيل قل الله اي ولا سواه
ولا نعبد ولا نشهد الا اياه ثم ذرهم اي اترك الخلق من الشيطان وغيره فهم في خوضهم اي اباطيلهم
من الاشتغال بغير الحق يلعبون كالبهائم والاطفال والمجانين كما قال في موضع اخر ذرهم ياكلوا ويتمتعوا
ويلههم الامل فسوف يعلمون اي جزاء عملهم او مصيرهم قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي
ليوحدون اولا ثم يطيعون ثانيا ثم يذكرون على الدوام ثالثا ثم يعرفون حق المعرفة رابعا وعن النفس

نعطي على قوله عن الشيطان أي ثم الواجب الاحتراز عن النفس الامارة بالسوء لانها اشد الاعداء و
بلاؤها اصعب البلاء فعلاجها اعسر من علاج الشيطان واشد الاشياء دواؤها اعضل الداء ودواؤها
اشكل الدواء لان اماره امور انها محبوبة لصاحبها مع انها اعدى عدوه وللحب يعمي العين عن رؤية
العيب في محبوبه ويصم الاذن عن سماع الملام في مطلوبه ففي الحديث حبك الشيء يعمي ويصم رواه احمد وغيره
عن ابي الدرداء رض والحاصل ان الانسان عمي عن عيب محبوبه لايكاد يبصر عيبا في مطلوبه كما قال قائل في
شعره • وعين الرضا عن كل عيب كليلة • ولكن عين السخط تبدي المساويا • فاذا استحسن الانسان من
نفسه كل قبيح • ولا يكاد يطلع على عيب لها • الا ويقول انه مليح وهي في عداوة مستقرة وفي غواية مستمرة
فما اوشك ان توقعه في هلاك وفضيحة ويتوهم انه خلاص ونصيحة وهو لايشعر به الا اذا حفظ الله
تعالى بفضله وكرمه وعدو داي ولانها عدو داخل اي باطني فلص البيت اي ممن يدخل فيه ويخرج منه
تعز فيه الحيلة اي تعسر في دفعه والخلاص من المكيدة ولذا قال تعالى لاتتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم
خبالا ولا تنفك اي النفس عن الانسان الا بالموت بخلاف الشيطان فانه ينفك بالاستعاذة والمجاهدة
ولاتندفع النفس وشرها بالذكر اي بذكر الله بخلاف الشيطان فانه يندفع بالذكر لما سبق من حديث
اذا ذكر الله خنس ويشكو النفس يوم القيمة عمن وافقها في الدنيا فللحاكم عن انس مرفوعا عجبت من
مجادلة العبد ربه يوم القيمة يقول يارب اليس وعدتني ان لا تظلمني قال بلى قال فاني لا اقبل
على شهادة شاهد الا من نفسي فيقول اوليس كفى بي شهيدا وبالملئكة الكرام الكاتبين فيردد
هذا مرارا فيختم على فيه ويتكلم اركانه بما كان يعمل فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اجادل و
اما ماي الاحياء من انه عم قال كف اذا كان نفسك ولاتتابع هواها في معصية الله تعالى اذن
يخاصمك يوم القيمة فيلعن بعضك بعضا الا ان يعفو الله ويستر فقال ط رجم لم اجده بهذا السياق
ومنها اي من النفس نشأ ذنب ابليس بالكبر والحسد حيث قال انا خير منه وامتنع عن حكم ربه فكفر
بسببه بعد قضاء الله السابق في حقه فغرق في بحر الضلال بعد عبادته ثمانين الف سنة في بعض
الاقوال ولم يكن هنا دنيا ولا خلق ولا شيطان اخر بل كانت النفس وحدها فعملت ما عملت من جرها
وقابيل بالشح اي بسبب بخله على اخيه في اخته فانكر على الله توقع في الكفر بسبب لا بسبب قتل اخيه و
هاروت وصاحبه ماروت وقعا فيما وقعا من البلية بالشهوة التي ادت الى الزنا ونحوه من
المعصية قيل وادم وحوا بالحرص على الدوام والبقاء حتى اغترا بقول ابليس هل ادلكما على شجرة
الخلد وملك لايبلى فسقطا بذلك من جوار المولى الى هذه الدنيا الدنية الحقيرة النكدة الفانية ولقي
اولاده من الامور المهلكة ثم هلم جرا الى يوم القيمة لا يجد في الخلق فتنة ولا فضيحة ولا محنة وضلالة
ولا معصية الا واصلها النفس وهواها ولا كان الخلق في سلامة وخير في ميدان الامور ومنتهاها

واذا كان

اذا كان العدو بهذا الضرر نحكم في الملاقي ان يهتم بامرها في حقه واذا قيل بين لنا طريق دفع شر هذا
النفس فيقال والطريق اي طريق تذليل وكسر هواها او طريق الاحتراز عن النفس وشرها ثلثة منع الشهوات
ودفع الشهوات ورفع اللذات فالرياضة اي الغصب الدواكي يلين بنقص العلف عن عادته مع حبسه في ربط وحمل
اعباء العبادة اي اثقالها واستثقالها فالحمار الجموح ينقاد بزيادة الحمل على ظهره والاستعانة به تعالى
والتضرع اليه ليهون امرها عليه والا فلا خلاص لديه قد ورد في التنزيل ان النفس لامارة بالسوء الا
ما رحم ربي اي من رحمه او مدة رحمته والاصل فيه اي طريق الاحتراز اي طريق تذليل النفس
الرياضة اي وفق الشريعة المرضية فهي تحفة الملوك لا لاجل الرياضة بتقليل الاكل الى ان يضعف عن اداء
العبادة ولو واصل اربعين يوما فمات مات عاصيا ولو مرض وترك المعالجة توكلا على الله فمات
لم يمت عاصيا والتوكل والتنعم بانواع الفاكهة مباح وتركه افضل والجمع بين الاطعمة حرام اي ممنوع
ومكروه كراهة تنزيهية او حرام في طريق الصوفية ثم الاصل المهم في المجاهدة الوفاء بالعزم على المعاقدة
فاذا عزم على ترك شهوة وتيسر اسبابها ابتلاء من الله تعالى فينبغي ان يصبر عنها ويستمر عليها فانه ان عوده
نفسه كسر العزم الفت بعد ذلك عدم الجزم وفسدت بفقد الجزم واذا اتفق منه نقض العزم فينبغي
ان يلزم نفسه عقوبة عليه وجزاء لديه وهي اي الرياضة المستحسنة بالاتفاق تهذيب الاخلاق فورد
في الحديث اني رايت البارحة عجبا الحديث رايت رجلا جاثيا اي جالسا على ركبتيه وبينه وبين
الله حجاب فجاء حسن خلقه من بابه فادخله على الله تعالى من غير حساب ولا عتاب والحديث رواه الخرائطي
في مكارم الاخلاق من حديث جابر بن سمرة اثقل ما يوضع في الميزان حسن الخلق رواه ابو داود و
الترمذي وصححه من حديث ابي الدرداء ولابي داود والترمذي من حديث ابي الدرداء ما من شيء
في الميزان اثقل من حسن الخلق والطبراني في الاوسط من حديث عمار بن ياسر حسن الخلق خلق الله الاعظم و
لاحمد والحاكم والبيهقي من حديث ابي هريرة بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ولاحمد من حديث عائشة الشوم
سوء الخلق ولابن حبان وغيره سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل والخرائطي في مكارم الاخلاق
من حديث عائشة اليمن حسن الخلق وللطبراني في الصغير من حديث عائشة ما من شيء الا وله توبة الا صاحب
سوء الخلق فانه لايتوب من ذنب الا عاد في شر منه وذكر شيخ مشايخنا الجلال السيوطي حديث احسن الحسن
الخلق الحسن رواه الحسن عن الحسن عن ابي الحسن عن جد الحسن بسند حسن وهو اي حسن الخلق ضبط اي حفظ
وربط تحت الشرع والعقل في قضية الطبع وهو اي تحسين الاخلاق ممكن بالاتفاق لصيرورة الصيد
الوحشي اهليا كالظبي والحمام والجموح منقادا كالفرس والبعير والكلب معلما وكذا سائر الجوارح
من الطيور حتى يصير الة للصيد في مقام القيد وورد في الحديث حسنوا اخلاقكم رواه ابن لال
في مكارم الاخلاق من حديث معاذ يا معاذ حسن خلقك للناس ولاحمد من حديث عائشة اللهم حسنت

ذا لي فحسن خلقي وللطبراني من حديث جابر ان اقربكم مني مجلسا يوم القيمة احسنكم اخلاقا هذا والخلق
عبارة عن هيئة للنفس راسخة يصدر عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى روية وفكر ثم
ان كان الهيئة بحيث يصدر منها الافعال الجميلة شرعا وعقلا سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا
حسنا وان كان الصادر منها الافعال القبيحة بسهولة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا و
كما ان حسن الصورة الظاهرة لا يتم الا بحسن جميع اعضائه فكذا في الباطن اربعة اركان لا بد من
الحسن في جميعها وهي قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه الثلثة
ويعبر عن قوة حسن الغضبية بالشجاعة وعن حسن قوة الشهوة بالعفة والمراد بالعدل هو اعتدال
القوتين بين الافراط والتفريط فان الامر المحمود في كل شيء هو التوسط فالجبن والتهور مذمومان
كما ان البخل والاسراف منهيان والشره والجوع مشغلان وقد ورد خير الامور اوساطها رواه
البيهقي في شعبه وقال تعالى في ذم التبذير والتقصير والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان
بين ذلك قواما وقال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا
ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا وقال تعالى كلوا واشربوا
ولا تسرفوا وقال تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على
الكافرين فالاعتدال مطلوب في جميع الاحوال فان العقيدة الحميدة هي المتوسط بين التشبيه
والتعطيل وبين القدر والجبر وبين النصب والرفض وهو الصراط المستقيم والدين القويم
الذي لا عوج له ولا ميل الى احد الجانبين الزايغ عن الجادة وقال تعالى وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقال واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا
ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو ادق من الشعر واحد من السيف فلاجرم
من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في العقبى وقل ما ينفك
العبد عن ميل عن الصراط المستقيم اعني الوسط حتى لا يميل الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب
الذي مال اليه فلذا لا ينفك عن عذاب ما واجتياز عن النار وان كان مثل البرق قال تعالى وان منكم
الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ولاجل عسرة الاستقامة وجب على كل عبد يدعو الله في كل يوم
سبع عشرة مرة بقوله اهدنا الصراط المستقيم ومن هنا قال عم استقيموا ولن تحصوا اي لن تطيعوا
ان تستقيموا حق الاستقامة وهي الموصوفة بصفة الاستدامة فينبغي للعبد ان يستقيموا حق
يجتهد ان يصل الى القرب من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقتها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله
والى عجز الانسان كما اشير اليه قوله تعالى كلا لما يقض ما امره هذا وقال يحيى بن معاذ في سعة الاخلاق
كنوز الارزاق وعن الحسن من ساء خلقه عذب نفسه وقال الكتاني التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق

زاد عليك

بلغ قراءة ... [illegible]

زاد عليك في التصوف وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا ينفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا يضر معها كثرة
السيئات ثم قال الحسن حسن الخلق بسط المحيا وبذل الندى وتحمل الاذى وقال الواسطي هو ان لا يخاصم
ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى وقال الحسين بن منصور هو ان لا يؤثر فيه جفاء الخلق بعد مطالعته
للحق فالاسرع علاجا اي الاهون مداواة من غفل من اعتقاد وتمييز من جهة اعتماد كالصبيان والنسوان
والبله من الاناث وجماعة التركمان ومن هنا ورد اكثر اهل الجنة البله ثم من عرف القبيح اي واعتقده
شيئا فانه قابل للعلاج في تركه ثم من اعتقده اي القبيح حسنا ومن يشاء وهو اصعب لان علاجه
باخراجه عن اعتقاده وفيه غاية من التعب وفي مثله قيل من النقد تهذيب الذئب والطريق مبتداء
اي طريق تهذيب الاخلاق عند فقد الكمال الفطري اي الجبلي الذي لا يحتاج الى التكلف الطبيعي كما للانبياء
عليهم السلام وكذا البعض لاصفياء والاولياء من اتباعهم الكرام والجذبة اي وعند فقد الجذبة
الالهية كما للسحرة اي سحرة فرعون وعمر رض فانه امن بغتة التكلف خبر المبتدا اي تكلف السالك
في اعتقاد الاضداد اي تعود اضداد الاخلاق السيئة بالتدريج اي بالتاني في المعالجة والمجاهدة
بالرفق عطف على التكلف ونحو زجره عطف على التدريج اي المبالغة في المعالجة في اي في الاعتياد
حتى يعتاد السالك الطاعة بوصف الدوام ويلتذ بها اي بالطاعة التذاذ المريض بالطعام بعد
العلاج اي بعد علاج المريض والمتعلم اي والتذاذه بالعلم على الدوام متعلق بالتكليف كذا قيل و
الاظهر انه متعلق بيلتذ لا احيانا اي متساوية نعم قد تفيد المجاهدة اذا كان اكثر الاحوال الواردة
وقد مثل عدم افادة بعض الاوقات في الذكر والفكر والطاعة بايقاد النار تحت البرمة فانها لا تفور ابدا
اذا كان الامر مترددا بين الحالة هذا وقد توهم عبارة المصنف ان صاحب الجذبة لا يحتاج الى سلوك المجاهدة
وليس كذلك فان الجهاد لابد لجميع العباد غاية ما في الباب ان ارباب السلوك على نوعين منهم سالك مجذوب وهو
اغلب احوال المريدين ومنهم مجذوب سالك وهو قليل من بين المرادين كما يشير اليه قوله تعالى الله يجتبي اليه من يشاء
ويهدي اليه من ينيب واختلفوا في ايهما افضل والجمهور على ان السالك المجذوب اكمل هذا والانبياء عم
ايضا في مقام الترقي لا يستغنون عن زيادة المجاهدة فقد قال تعالى وقل رب زدني علما وفي دعائه عم
اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي اي زد في تحسينه خلقي والاكفاء عم خلق على خلق عظيم ثم كان خلقه القران
وقد قال له خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وفسر العفو بان تصل من قطعك وتعطي من حرمك
وتعفو عن ظلمك وكان من دعائه عم اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف
عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت رواه مسلم من حديث علي فالمقصود منه اي من حسن الخلق او من رياضة
الخلق رسوخ حبه تعالى اي ثبوته في القلب وقلع حب الدنيا عنه اي عن القلب فانهما لا يجتمعان كما يشير اليه
قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وورد من احب آخرته اضر بدنياه ومن احب دنياه اضر باخرته

ة آخرة باقية ابدية يعني وقد مثل علي رض الدنيا والاخرة بالضرتين اذا ارضيت واحدة اسخطت
الاخرى وبكفتي الميزان اذا ثقلت واحدة خفت الاخرى وبالمشرق والمغرب فمهما توجهت الى الشرق
تبعدت عن الغرب وكذا بالعكس فكل قلب مال الى حب شيء سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله وقال
الا اذا احب الشيء لكونه معينا له على حب الله ودينه قال تعالى في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا وقال علي رض
الايمان يبدو لمعة في القلب بيضاء وكلما ازداد الايمان ازداد ذلك البيض فاذا استكمل العبد الايمان
ابيض القلب كله وان النفاق ليبدو في القلب نكتة سوداء فكلما ازداد النفاق ازداد السواد فاذا
استكمل النفاق اسود القلب كله وفيه تنبيه على ان حسن الخلق من نتيجة الايمان والعرفان والسيء من ثمرة النفاق
والكفر ثم اعلم ان الاصل للاشياء وموجدها ومخترعها الذي جعلها اشياء هو الله تعالى فلو عرف كل شيء
ولم يعرف الله سبحانه فكانه لم يعرف شيئا وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله احبه ومن احبه لا يؤثر عليه الدنيا
ولا غيرها من المحبوبات كما قال تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله فقلبه
مريض كما ان كل معدة صار الطين احب اليها من الخبز والماء او سقطت شهوتها عن الخبز والماء فهي مريضة
محتاجة الى الدواء وهو اي الطريق الذي يتعرف به الانسان عيوب نفسه او التكلف باعتبار الاضداد انما
يحصل بجميعه اشياء بالاستفادة من شيخ اي ولو شابا تائب من الذنوب بصير بالعيوب اي الظاهرة و
الباطنة مطلع على الخفايا من احوال المريد كالعجب والرياء وهو عزيز الوجود في ميدان الشهود كما يشير
قوله تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وقوله وقليل من عبادي الشكور وورد الناس
كابل مائة لا تجد فيها راحلة واخبر تقله وقال الشاعر اتمنى على الزمان محالا ان ترى مقلتاي طلعة حر
والمراد بالحر من لا يستعبده هواه ولا يسترقه دنياه فالاطباء هم العلماء وقد استولى المرض عليهم
وغلب حب الدنيا لديهم فلا يفيد للسالك التردد اليهم بل اندرس هذا العلم وهو معرفة احوال القلوب
الخفية وانكر وجودها بالكلية واقبل الخلق على اعمال الظاهر عبادة وباطنها رياء وعادة نعم كان يكثر
وجودهم في الصحابة واكابر التابعين وبعض المتأخرين كالسري والجنيد والشبلي وقد قال الشيخ
المحاسبي ان يخطر بقلبك من النعمة التي يأتي بها غير الله عز وجل حرام عليك ان تأتي او صديق
اي صاحب صديق ينبه صديقه عليها اي على عيوبه كما روي عن السلف ومنهم عمر رض حيث قال رحم
الله من اهدى الي من عيوبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه كلما قدم عليه وقال الذي بلغك عني
ما كرهته فاستعفى والح عليه فقال سمعت انك جمعت بين ادامين على مائدة وان لك حلتين حلة
بالنهار وحلة بالليل فقال هل بلغك غير هذا فقال اما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة
ويقول انت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى علي شيئا من اثار النفاق وقد
قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال بعضهم كن مع الله فان لم تطق

فكن مع

مع من يكون مع الله وهذا ايضا عزيز فيقل في الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب او يترك
الحسد فلا يزيد على قدر الواجب ولذا كان داود الطائي قد اعتزل عن الناس فقيل له لم لا تخالط
الناس فقال ما اصنع باقوام يخفون عني عيوبي فكانت شهوة ذوي الدين من السلف المجتهدين
ان ينبهوا على عيوبهم بتنبيه غيرهم وقد آل الامر الى امثالنا ان ابغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا
بعيوبنا او الناو يشبه ان يكون هذا من قساوة القلب التي اثمرها كثرة العصيان واصل ذلك كله
ضعف الايمان او عدو عاقل حاذق فعين السخط بفتحتين وبضم فسكون اي عدم الرضا تبديها
اي تظهر العيوب وتكشف الذنوب كما تقدم في قول الشاعر فعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين
السخط تبدي المساويا ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوب نفسه اكثر من انتفاعه
بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه او مخالطة الناس اماما او ماموما وترك ما
راى مذموما كيلا يكون مذموما وما يراه محمودا ليطالب نفسه به ليصير مسعودا فان المؤمن مرآة المؤمن
فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن مؤدب
لانفسهم وقيل لعيسى عم من ادبك فقال ما ادبني احد رأيت جهل الجاهل فجانبته او الكتاب والسنة
اي العمل بهما وهو الاعتصام بهما الانفع هو النافع ويؤيده قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم والاصل في تهذيب الاخلاق او في رسوخ حبه سبحانه ترك التمتع
بما لا ينال اي لا يحصل نفعه في القبر الذي هو البرزخ بين الدنيا والاخرى فينبغي ان لا يتمتع الا بقدر
الضرورة في معيشة الدنيا من اللقمة والخرقة ونحوهما ويتعين ترك التمتع باللذات والشهوات من غير
الضرورات فقد قال وهب بن منبه ما زيد على الخبز فهو شهوة وقال يزيد الرقاشي السلام على الماء
البارد ما دمت في الدنيا لعلي لا احرمه في الاخرى وقال سري منذ اربعين سنة تطالبني نفسي ان اغمس
جزرة في دبس فما اطعمتها لئلا تحصل الانس في الدنيا المؤدي الى حبها والى نسيان الاخرى وذلك لانه
اذا تمتع بشيء منها انس به والفه واذا مات تمنى الرجوع الى الدنيا بسببه ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من
لا حظ له في الاخرى فهو اي حب الدنيا رأس كل خطيئة كما رواه البيهقي عن الحسن البصري مرسلا وقال
تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع عنهم محبة شهوات الدنيا وقال عم المؤمن بين
خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه رواه
ابو بكر بن لال من حديث انس وقال لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر فقالوا وما جهاد الاكبر يا رسول الله قال جهاد النفس رواه البيهقي في الزهد والترمذي
في اثناء حديث وصححه وابن ماجه من حديث فضالة بن عبيد المجاهد من جاهد نفسه وقال سفيان الثوري
ما عالجت شيئا اشد علي من نفسي مرة لي ومرة علي وكان ابو العباس الموصلي يقول يا نفس لا في الدنيا

مع ابناء الملوك تنعمين ولا في طلب الاخرة مع العباد تجتهدين كانى بك بين الجنة والنار تحلبسين
الا بانفس اما تستحيين وقال يحيي بن معاذ الرازي جاهد النفس باسياف الرياضة والرياضة علي
اربعة اوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام واحتمال الاذي من
الانام فيولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفوة الارادات ومن قلة الكلام
السلامة من الافات ومن احتمال الاذي البلوغ الي اعلي الدرجات وليس علي العبد اشد من الحلم عند الجفاء
والصبر علي الاذي فاذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والانام وهاجت منها حلاوة فضول
الكلام جردت عليها سيف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بايدي الخمول وقلة
الكلام حتي تنقطع من الظلم والانتقام فتامن بوايقها في سائر الايام وتصفيها من ظلمة شهواتها
فتنجو امن غوائل افاتها فتصير عند ذلك روحانية لطيفة ونورانية حقيقة فتجول في ميدان الخيرات
وتسير في مسالك الطاعات والمبرات كالفارس الفاره في ميدان وكالملك المتنزه في البستان وقال
ايضا اعداء الانسان ثلثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد في نعيمها ومن
الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك شهواتها وقال جعفر بن حميد اجمعت العلماء والحكماء ان
لا يدرك الا بترك النعيم وقال ابو يحيي الوراق من ارضي الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجرة
الندامات وقال وهب بن الورد من اراد شهوات الدنيا فليتهيا للذل في العقبي والجنيد ارقت ليلة
فقمت الي وردي فلم اجد الحلاوة التي كنت اجدها فاردت ان انام فلم اقدر فقعدت فلم اطق
القعود فخرجت فاذا رجل ملتف في عباءة مطروح علي الطريق فلما احس بي قال يا ابا القاسم
الي الساعة فقلت يا سيدي من غير موعد قال بلي سالت الله محرك القلوب ان يحرك لي قلبك قلت
قد فعل فما حاجتك قال متي يصير داء النفس دواءها فقلت اذا خالفت النفس هواها صار داؤها
دواءها فاقبل علي نفسه فقال اسمعي قد اجبتك بهذا سبع مرات فابيت ان تسمعيه الا من الجنيد
قال فانصرف وما عرفته وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فاذا راي الشيء يشتهيه قال النفس
اصبري فوالله ما امنعك الا من كرامتك علي وقال ابراهيم الخواص كنت في جبل لكام فرايت رمانا
فاشتهيته فاخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرايت رجلا
مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت كيف
عرفتني قال من عرف الله لا يخفي عليه شيء فقلت لم اري لك حالا مع الله فلو سالته ان يحميك من هذه
الزنابير فقال واري لك حالا مع الله فلو سالته ان يحميك من شهوة الرمان فان لدغ شهوة الرمان
يجد الانسان المه في الاخرة ولدغ الزنابير يجد الانسان المه في الدنيا فان قيل التنعم بالمباح مباح
فكيف يكون سبب البعد من الله فيقال هذا خيال ضعيف اذ المباح الخارج عن التنعم من الدنيا وحب الدنيا

رأس كل خطيئة كما ورد ويؤيده حديث اشبعكم في الدنيا اجوعكم في العقبي وللطبراني في الكبير و
ابي نعيم في الحلية من حديث ابن عباس ان اهل الجوع في الدنيا هم اهل الشبع في الاخرة وللديلمي من حديث
ابي هريرة مرفوعا نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع ولاحمد والحاكم والبيهقي باسناد
جيد انه عم نظر الي رجل سمين البطن فاوما الي بطنه باصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان
خيرا لك وللبيهقي في الشعب من حديث عائشة انه عم قال لها اياك والاسراف فان الاكل في يوم من مرتين
وللابي الشيخ عن ابن عمر مرفوعا ايما امرئ اشتهي شهوة فرد شهوته فاثر بها علي نفسه غفر الله له ثم اعلم
ان الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب وورد من نوقش في الحساب عذب كما في الصحيحين
فعند الصباح يحمد القوم السري فترك الشهوة يثقل علي المريد في البداية ثم يتنعم في النهاية ونظيره
الطفل في الفطام عند الرعاية وسئل رسول الله صلي الله عم عن علامة المومن والمنافق فقال ان المومن
همته في الصلوة والصيام والعبادة والمنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة وقال حاتم الاصم
المومن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والامل والمومن ايس من كل احد الا من الله
والمنافق راج كل احد الا الله والمومن آمن من كل احد والمنافق خائف من كل احد الا من الله والمومن
يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمومن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك
والمومن يحب الوحدة والخلوة والمنافق يحب الخلطة والجلوة والمومن يزرع ويخشي الفساد والمنافق
يقطع ويرجو الحصاد والمومن يامر وينهي للسياسة والمنافق يامر وينهي للرياسة واولي ما يمتحن به حسن
الخلق الصبر علي الاذي واحتمال البلوي ومن شكي من سوء خلق غيره دل ذلك علي سوء خلقه لان
حسن الخلق احتمال الاذي للخلق وقال عيسي عم جوعوا بطونكم لعل قلوبكم تري ربكم وقال سهل ما صار
الابدال ابدالا الا باربع خصال اخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس وقد قيل
الابدال اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة **الباب السادس عشر في التوبة** الباب السادس عشر
والمرابطة والتقوي **قد** ورد التوبة ندم رواه ابن ماجة وابن حبان والحاكم وصححه
من حديث ابن مسعود وقال تعالي يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم
تفلحون ومعني التوبة ندم اي معظم اركان التوبة الندامة كما ورد الحج عرفة والا ففي اركانها
ترك المعصية مباشرة والعزم علي ان لا يعود اليها ابدا والتدارك لما امكنه من حقوق الله وحقوق
العباد بسم الله الرحمن الرحيم المستعان به في امر الدنيا والاخرة التوبة في اللغة الرجعة
وفي الشرع الرجوع من المعصية الي الطاعة ومن الغفلة الي الحضرة وقال بعضهم وهي تنزيه القلب
عن الذنب اي اختياره فقيل الرجوع من البعد اي من كل ما يبعد العبد عن المولي الي القرب اي
الي قرب الرب في الدنيا والاخرة فيختص بتحصيل كل فضيلة جليلة تقربه الي الله وبالرجوع عن كل

خصلة رذيلة تبعده عن الله في دنياه واخريه فتعم الذنوب الظاهرة والعيوب الباطنة
والاخلاق الذميمة والغفلة عن الاذكار الكريمة وقيل في حد التوبة ذوبان الحشا لما سبق
من الخطاء وقيل هو نار في القلب يلتهب وصدع في الكبد لا ينشعب وقيل هو خلع لباس الجفا
ونشر بساط الوفا وقال سهل التستري التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة
فكانه اخذ من قوله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا ولا يتم ذلك الا بالخلوة والصمت و
اكل الحلال فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات على ما ذهب اليه البعض المفسرين ومن معانيها ترك
المعاصي في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير في الماضي الاحوال
وهي اي التوبة واجبة اي فريضة لازمة لكل من المكلفين لورود قوله تعالى توبوا الى الله اي جميعا ايه
المؤمنون لعلكم تفلحون وفي سورة توبة نصوحا اي خالصة لله من دون رياء وسمعة واغراض
فاسدة والامر في الايتين للوجوب بناء على اصله ولدلالة الاجماع المنعقد من الامة على ان
التوبة من المعصية فريضة والعقل اي ودلالته فالواجب من طريق العقل مع قطع النظر من ورود
النقل ما تعلق بفعله السعادة العظمى وبتركه الشقاوة الكبرى اذ بها الوصول الى السعادة
الابد من قرب المولى والنجاة من هلاك السرمدي الذي هو الحجاب عن اللقاء في العقبى وهو التعلق
بها متحقق فيها اي ثابت في التوبة بلا خلاف عند العقلاء وجد ولها اي فائدة التوبة و
منفعتها وثمرتها ونتيجتها اربعة اشياء جمعها تعالى اياه لورد في التنزيل ان الله يحب التوابين
وفي الحديث التائب حبيب الله رواه ابن ابي الدنيا وابو الشيخ من حديث انس بلفظ ان الله يحب
الشاب التائب ولعبد الله بن احمد في زوائد المسند من حديث علي ان الله يحب العبد المؤمن
المفتن التواب ولأحمد والطبراني من حديث عقبة بن عامر يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة
ولابن ماجه من حديث ابن مسعود التائب من الذنب كمن لا ذنب له وللشيخين من حديث ابن مسعود و
انس الله افرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في ارض دوية مهلكة فقد راحلته عليها
طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه
الحر والعطش او ما شاء الله قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه فانام حتى اموت فوضع رأسه
على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة
العبد المؤمن من هذا براحلته زاد مسلم في حديث انس ثم قال من شدة الفرح اللهم انت عبدي
وانا ربك خطا من شدة الفرح هذا وايضا من علامات حب عبد الله ان يتوب عما يشغله عن مولاه
ويطيعه فيما يأمره وينهاه كما قيل شعر تعصي الاله وانت تظهر حبه * هذا لعمري في الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع * ويشير اليه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله

فاتبعوني يحببكم الله ويفيد ايضا الملازمة بين المحبتين كما يومي اليه قوله سبحانه يحبهم ويحبونه
ولولا محبته السابقة لما وجدت محبتنا اللاحقة والتوفيق اي جعله تعالى اسبابا موافقة للاعانة على الطاعة
في كل وقت وعيشا فقيد الذنوب التي بمنزلة القيود والاغلال من العيوب يمنع عنها اي عن الطاعة و
توفيقها ولان الاصرار اي الاقامة على المعاصي من غير تحلل التوبة بالرجوع الى الرب يقسي القلب اي
يسوده ويشدده ويجر الى الشقاوة الكبرى فان المعصية بريد الكفر وقد قال تعالى والذين اذا
فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا
على ما فعلوا وهم يعلمون ولان المتلطخ بالنجاسة اي المتلوث بنجاسة المعصية لا يقرب الى بساط الرب
بل يبعد ويحجب لورد اذا كذب العبد وهو من اهون اسباب البعد تنحى الملكان اي تبعد الذين
معين الكرام الكاتبين من عنده لكمال نزاهتهما وجمال طهارتهما عن نتن ما يخرج فيه اي من فم وهو الكذب
والحديث رواه الترمذي وحسنه وابو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر ولفظه اذا كذب العبد كذبة تباعد عنه
الملك ميلا من نتن ما جاء به وحلاوة اي لذة الطاعة التي لو لم يكن للمطيع جزاء لعمله الا ما يجده من
حلاوة الطاعة وروح الانس بمناجاة ربه لكان ذلك كافيا فكيف بما ينضاف اليه من نعيم الاخرة كما
يشير اليه قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون افمن كان مؤمنا كمن
كان فاسقا لا يستوون الاية وفي الحديث القدسي اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر نعم هذه اللذات لا تكون في ابتداء التوبة بل التوبة في اولها مرة كانفطام
الصبي ثم تصير حلوة بعد ما صبر على مرارة ترك العادة مدة مديدة ومعالجة شديدة والنفس
قابلة ما عودتها تتعود فالمصر لا يجدها اي تلك اللذة اذ من لم يذق لم يعرف ان ترك اللذة الفانية
في اللذة الباقية وقبولها اي قبول الطاعة قال تعالى انما يتقبل الله من المتقين فرب الدين لا يقبل هدية
المديون المماطل اي الممتنع من اداء الدين في الفضول تضييع الاصول ولان الغضب المترتب على معصية
بالعقاب الصادر عن تجلي صفة الجلال ينافي القبول اي قبول طاعة المترتب عليه بالثواب الوارد
عن تجلي نعت الجمال وهي اي التوبة واجبة على الكل من الانبياء والاولياء فلا تظن ان التوبة
اختصت بادم عم حيث قال تعالى وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتبيه ربه فتاب عليه وهدى بل هو حكم
ازلي مكتوب جنس البشر لا يمكن فرض خلافه ما لم تتبدل السنة الالهية التي لا مطمع في تبديلها
فالرجوع في حق كل انسان يكون ضروريا نبيا كان او غنيا وليا او غويا شعر فلا تحسبن هذا لها العذر
وحدها سجية نفس كل غاية هند ويشير اليه حديث كلكم خطاؤن وخير الخطائين التوابون كما
رواه احمد وغيره عن انس في كل حال اي على الدوام لعموم الادلة الواردة في التوبة كقوله تعالى
وتوبوا الى الله جميعا وذلك لان كل بشر لا يخلو عن معصية بجوارحه اذ لم يخلو عن الانبياء الاخيار

كما ورد في القرآن والاخبار من خطاياهم وتوبتهم وبكائهم فان خلا احد في بعض الاحوال عن
معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب في القلب فان خلا عن الهم فلا يخلو عن وساوس الشيطان بايراد
الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله فان خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وبصفاته
وافعاله وكل ذلك نقص وله اسباب وترك اسبابه بالتشاغل باضدادها رجوع عن الطريق الى ضده وانما
يتفاوتون في مقادير النقصان لا في اصله وعلى الفور واجبة من غير تراخ ومهلة لوجوب الانتهاء
اي الامتناع عن المعاصي كذلك اي على الفور من غير التراخي وحرمة التسويف اي ولحرمة تاخير التوبة
لورود في التنزيل وليست التوبة الاية اي للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت
الآن اكثر صياح اهل النار من التسويف كذا في الاحياء وقال المخرج لم اجد له اصلا وقال لقمن لابنه
يا بني لا تؤخر التوبة فان الموت ياتي بغتة فكل ايمان لم يثبت في اليقين اصله ولم ينتشر في الاعمال فرعه
لم يثبت على عواصف الاحوال عند ظهور ناصية ملك الموت وساء الاحوال وخيف عليه سوء الخاتمة الا ما سقي
بماء الطاعات على توالي الايام والساعات واما قول العاصي للمطيع اني مؤمن كما انك مؤمن فهو كقول شجرة القرع
لشجرة الصنوبر انا شجرة وانت شجرة وما احسن جواب الصنوبر اذ قال ستعرفين اغترارك بشمول الاسم
اذا عصفت رياح الخريف فعند ذلك ينقطع اصولك ويتناثر اوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة في اسم
الشجرة مع الغفلة عن اسباب ثبات الاشجار شعر سوف ترى اذا انجلى الغبار افرس تحتك ام حمار وهذا
امر يظهر عند الخاتمة نسئل الله العافية ولقد صدق ابو سليمان الداراني في قوله لو لم يبك العاقل
فيما بقي من عمره الا على فوت ما مضى منه في غير طاعة الله وامره لكان خليقا ان يحزنه ذلك الى الممات فكيف
من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله فيما سبق من الحيوة وقال بعض العارفين ان ملك الموت
اذا ظهر للعبد واعلمه انه قد بقي من عمرك ساعة وانك لا تستاخر عنها طرفة عين فيبدو للعبد من الاسف
والحسرة ما لو كان له الدنيا بحذافيرها لخرج منها على ان يضم الى تلك الساعة ساعة اخرى ليستعتب فيها ويتدارك
تفريطه فلا يجد اليه سبيلا وهو اول ما يظهر من معاني قوله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون واليه
الاشارة بقوله سبحانه وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى
اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها اي ولا نفسا هذا
واما مثال المسوف الاستثال من احتاج الى قلع شجرة فراها قوية لا ينقلع الا بمشقة شديدة جليلة فقال
اؤخرها سنة ثم اعود اليها وهو يعلم ان الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها وهو كلما طال عمره ازداد
ضعفه فلا حماقة في الدنيا اعظم من حماقته اذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعيف فاخذ ينتظر الغلبة
عليه اذا ضعف هو في نفسه وقوي الضعيف وهي اي التوبة اذا استجمعت شرائطها مقبولة
لا محالة لورود في التنزيل وهو الذي يقبل التوبة الاية اي عن عباده لوعده حق وقوله صدق

حتى تطلع الشمس من مغربها وفي الاحياء
ان الله عز وجل يبسط يده بالتوبة صح

لا يخلف وعده ولا يتصور تبديله قابل التوب فهو من صفاته كقوله غافر الذنب ان الله يبسط
يده بالتوبة حتى تطلع الشمس من مغربها وفي الاحياء ان الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء
الليل ولمسيء النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وقال المخرج رواه مسلم من حديث ابي موسى بلفظ
يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار الحديث وفي رواية الطبراني المسيء بالليل ان يتوب بالنهار ويبسط
اليد كناية عن طلب التوبة ومبالغة في قبولها اذ الطالب ابلغ من القابل فرب قابل ليس بطالب و
لا طالب الا هو قابل ولابن ماجه من حديث ابي هريرة لو اخطأتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم تبتم لتاب
الله عليكم اي قبل توبتكم او رجع عليكم بالرحمة والمغفرة ولابن المبارك في الزهد عن الحسن مرسلا
ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة قيل كيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينيه تائبا منه
فارا حتى يدخل الجنة ولابي نعيم في الحلية من حديث ابي هريرة ان العبد ليذنب الذنب فاذا ذكره احزنه
فاذا نظر الله اليه انه احزنه غفر له الحديث ولاحمد ولابي يعلى والحاكم وصححه من حديث ابي سعيد
ان الشيطان قال وعزتك يا رب لا ازال اغوي عبادك ما دامت ارواحهم في اجسادهم فقال تعالى
وعزتي وجلالي لا ازال اغفر لهم ما استغفروني وقال سعيد بن المسيب نزل قوله تعالى انه كان
للاوابين غفورا في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال طلق بن حبيب ان حقوق الله
اعظم من ان يقوم بها العبد ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين وروي ان نبيا من انبياء بني
اسرائيل اذنب ذنبا فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي لئن عدت لاعذبنك فقال يا رب انت انت و
انا انا وعزتك لئن لم تعصمني لاعودن فعصمه الله وقال بعضهم ان العبد ليذنب الذنب فلا يزال
نادما تائبا حتى يدخل الجنة فيقول ابليس يا ليتني لم اوقعه في الذنب لا هلكته بالعجب وروي انه كان
في بني اسرائيل شاب عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته
فساءه ذلك ثم قال الهي اطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك اتقبلني
فسمع قائلا يقول ولا يرى الشخص احببتنا فاحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فامهلناك فان رجعت الينا
قبلناك وقد قال تعالى وان عدتم عدنا وورد ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة
وايضا اي وفي العقل ايضا دلالة على ان التوبة مقبولة لا محالة فانها تزول ظلمة الذنب ونجارها
عند سطوع نور التوبة وآثارها وازال الدنس اي كما يزول الوسخ والدرن من الثوب والبدن
بالصابون ونحوه من الاشنان والصدأ اي وكما يزول الصدأ الحديد من المرآة ونحوها بالصيقل و
توضيحه ان نار الندم تحرق غبرة الذنب ونور الحسنة تمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة
لظلام السيئات مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار وكما لا طاقة لكدورة الوسخ
مع بياض الصابون فكما ان الثوب الوسخ لا يقبله الملك لان يكون لباسه فالقلب المظلم لا يقبله الله

لا انه يكون في جوده زكاته استعمال الثوب في الاعمال الخسيسة يوسخ الثوب وغسل بالصابون والماء الحار
ينظفه لاستعماله فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويطهره
فكل قلب زكي طاهر فهو مقبول كما ان كل ثوب نظيف فهو مقبول والقبول له حسب قضاء السابق الازلي
مبذول وللحاصل ان من توهم ان التوبة تصح ولا تقبل فهو كمن يتوهم ان الشمس تطلع والظلام لا يقلع و
ان الثوب يغسل والوسخ لا يزول نعم اذا غاص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب وخلله فلا يقوي
الصابون على قلعه من اصله ومثاله ان يتراكم الذنوب حتى تصير طبعا ورينا على القلب فمثل هذا القلب
لا يتوب ولا يرجع الرب وربما يقول باللسان قد تبت من العصيان فيكون ذلك كقول القصار قد غسلت
الثوب هذا وقد ورد ان للقلب صدء كصداء الحديد وجلاؤها الاستغفار رواه الحكيم الترمذي
وابن عدي عن انس ثم لما كان المصر استانف شرع الاوهان يقال ينبغي ان لا يجوز الشك في القبول لانه
يخالف اخبار الله والرسول اجاب بقوله وانما يشك التائب في قبول توبته وحصول اوبته لتشكك في
تحقيق الشروط المعتبرة في باب التوبة والاركان اللازمة في حصول الاوبة كما سياتي بيانها في محلها
اللايق بها ومجملها الندم والقلع والعزم والتدارك بالجزم فهي اي الشروط والاركان دقيقة ادركها
فلا يجزم بكونها حقيقة شك اي مثل شك شارب المسهل في حصول شروط الاسهال في الدواء باعتبار
الوقت والحال وكيفية خلط الدواء وطبخ وجودة عقاقيره وادويته والا فلا يشك في تاثيره و
خاصيته بخلاف القصار اذ شروط من الماء والصابون والدلك جلية وليست في نظرها خفية
ثم اعلم ان التوبة ترك الذنوب ولا يمكن ترك الشيء الا بعد معرفته واذا كانت التوبة واجبة كان
ما لا يتوصل اليها الا به واجبا فمعرفة الذنوب اذا واجب ولذا قال المص والذنب ما يخالف
امره تعالى من فعل الطاعات وترك السيئات وينقسم على حقه تعالى وهو اقرب الى العفو كترك الصلوة
والصوم ونحوهما وحق العبد اي وعلى حقه كترك الزكوة وقتل النفس وامثالها وهو اي حق
العبد اغلظ اي اشد وعن العفو ابعد وورد في الحديث انه اي حق العبد لا يترك اي لا يعفى
الا ان العبد يرضي ولذا قيل حق الكافر اشد من حق المسلم واقوى وحق الحيوان اشد من الكافر
كما لا يخفى ولاحمد والحاكم وصحح من حديث عايشة الدواوين ثلثة ديوان يغفر وديوان لا يغفر
وديوان لا يترك فالديوان الذي يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى واما الديوان الذي
لا يغفر فالشرك واما الديوان الذي لا يترك فظالم العباد اي لا بد ان يطالب بها حتى
يتخلص عنها وايضا ينقسم الى معصية كبيرة وصغيرة كما جاء في القران ان تجتنبوا كباير ما تنهون
عنه نكفر عنكم سيئاتكم وورد في البعض من المعاصي انه اي ذلك البعض من الكباير ففي
البخاري من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا الكباير الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس

انقسام الذنوب الى كبيرة وصغيرة

والبمين

واليمين الغموس وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هي قال الشرك
بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل الربوا واكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف
المحصنات الغافلات المومنات ولهما من حديث ابي بكرة الا انبئكم باكبر الكباير الاشراك بالله وعقوق الوالدين
وشهادة الزور او قول الزور ولهما من حديث ابن مسعود سئلت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الذنب اعظم
قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك مخافة ان تطعم معك قلت ثم اي قال
ان تزني حليلة جارك وللطبراني من حديث سلمة بن قيس انما هي اربعة لا تشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تزنوا ولا تسرقوا وفي الاوسط للطبراني من حديث ابن عباس باسناد
حسن ان رجلا قال يا رسول الله ما الكباير قال الاشراك بالله والاياس من روح الله والقنوط
من رحمة الله وللحاكم من حديث عبيد بن عمير عن ابيه الكباير تسع فذكر منها استحلال البيت الحرام و
للطبراني من حديث واثلة ان من اكبر الكباير ان يقول الرجل علي ما لم اقل وله ايضا من حديثه ان من اكبر
الكباير ان ينتفي الرجل من ولده ولمسلم من حديث جابر بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلوة
ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو من الكباير شتم الرجل والديه ولابي داود من سعيد بن زيد ان
من اربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق وفي الصحيحين من حديث ابن عباس انه عم مر على
قبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير وانه لكبير اما احدهما فكان يمشي بالنميمة واما
الاخر فكان لا يستنزه من بوله الحديث ولاحمد في هذه القصة من حديث ابي بكرة اما احدهما فكان ياكل
لحوم الناس الحديث ولابي داود والترمذي من حديث انس عرضت علي ذنوب امتي فلم ار ذنبا
اعظم من سورة من القران او اية اوتيها رجل ثم نسيها وللديلمي من الكباير السب الى السبة وقد
اختلف الصحابة والتابعون في عدد الكباير من اربع الى تسع الى احدي عشر فيما فوق ذلك قال ابن
مسعود هي اربع وقال ابن عمر وهي سبع وكان ابن عباس اذا بلغه قول ابن عمر الكباير سبع يقول هي الى
سبعين اقرب من سبع واختلف على اقوال في حصرها اي الكباير على ما نهي اي على ذنب ورد عن نهي
نهيا مخصوصا فالتخصيص بالذكر في القران للتعظيم اي لتعظيم العصيان وقد قال ابن عباس
كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة وبئس اليم قوله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه اذ كانت الاضافة
بيانية وما اي وعلى ذنب اوعد اي ورد الوعيد عليه بالنار لعظم العقوبة فقد قال جماعة من
الصحابة كلما توعد الله عليه بالنار فهو من الكباير وما اي وعلى ذنب وجب عليه حد من رجم و
جلد وقتل وقطع فالتعجيل لعقوبة المذنب للتغليظ في حق ذنبه فقد قال بعض السلف كلما اوجب
الحد في الدنيا فهو كبيرة وما اي وعلى ذنب انه تصغر اي استحقر اي عد صغيرا وحقيرا كما ان الصغيرة
ما استعظم او عد عظيما وكبيرا لورود لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار رواه الديلمي

من ابي هريرة مرفوعا وعن انس موقوفا وعن ابي سعيد الخدري وغيره من الصحابة رضي الله عنهم انكم
لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر
رواه احمد والبزار بسند صحيح وقال ابن مسعود لما سئل عن الكبائر فقال اقرأ من اول سورة النساء
الى راس ثلثين آية منها عند قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم فكل ما نهي
الله عنه في هذه السورة الى ههنا كبيرة وضعف هذا القول لقوله تعالى تجتنبوا الكبائر ما تنهون عنه
وقوله والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم اي الصغائر وفي الحديث ان تغفر اللهم فاغفر
جما واي عبد لك لا ألما وقيل الاصح انها اي الكبيرة مبهمة اذ بما قصد الشرع بابهامها كون العباد
على وجل منها كليلة القدر وساعة الجمعة وكذا الصلوة الوسطى ليعظم جد الناس في طلبها وعدم
الاكتفاء بها عن غيرها لانها اي والدليل على كون الكبيرة مبهمة ان اطرد بها ما اي ذنب لا يكفره
الصلوة الخمس اي ونحوها من المكفرات للسيئات وقد ورد في الحديث الصلوة الخمس تكفر ما بينهن اي من
الصغائر ولم يبق عليه شيء من الذنوب ح ان اجتنب الكبائر وليس المعنى ان اجتناب الكبائر
شرط لكون الصلوة ونحوها تكفر الصغائر بل ان كان عنده الصغائر والكبائر فتكفر الصغائر
والا فتخفف الكبائر وان كان محفوظا من الكبائر والصغائر فيكون سببا لرفع الدرجات العالية
والزلفات الغالية ولا الكبائر شك من الراوي او الاختلاف في الروايات فالاخير رواية مسلم والحاكم
من حديث ابي هريرة وصح الصلوة الى الصلوة كفارة ورمضان الى رمضان كفارة الا من ثلث اشراك
بالله وترك السنة ونكث الصفقة قيل وما ترك السنة قال الخروج من الجماعة ونكث الصفقة ان يبايع
رجلا ثم يخرج عليه بالسيف يقاتله وهو اي حكم الكبيرة او التكفير وهو الاظهر متعلق بالاخرة فالابهام
اولى ليحذروا عن الكل اي كل المعاصي لئلا يقع احد في مخالفة المولى لاحتمال ان يكون كل ذنب اقدم
عليه بارتكاب كبيرة فيتخلص من الكبائر والصغائر جميعا وهو مطلوب الرب من العبد ان لا يقع
في مطلق الذنب ليحصل له كمال القرب وتوضيحه ان كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا فنحو زاد يتطرق اليه
الابهام ولا تكليف فيها اي لا تكليف بما لا يطاق في معرفة الكبائر للاجتناب عنها فان الدار التكليف
هي دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث انها كبيرة بل انها تعلق في حكم العقبى
فموجبات الحدود معلومة باساميها كالسرقة والزنا والقتل وغيرها في الاحياء وكذلك اجتناب الكبائر
يكفر الصغائر بموجب قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ولكن اجتناب الكبيرة
انما تكفر الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة والارادة كمن يتمكن من امرأة ومن موافقتها فيكف نفسه
عن الوقاع بها ويقتصر على نظر ولمس منها فان مجاهدة نفسه في الكف عن الوقاع بها ويقتصر اشد
تأثيرا في تنوير قلبه من اقدام على النظر من اظلام فهذا معنى تكفيره فان كان عنينا ولم يكن امتناعه

الا بالضرورة للعجز او كان قادرا ولكن امتنع لخوف امر اخر فهذا لا يصلح للتكفير اصلا فكل من كان
يشتهي الخمر بطبعه ولو ابيح له لما شربها فاجتنابها لا يكفر عنها الصغائر التي هي من مقدماته كسماع الملاهي والاوتار
لمن يشتهي الخمر وسماع الاوتار فيمسك نفسه عن الخمر ويطلقها في السماع فمجاهدة النفس بالكف ربما يمحو عن
قلبه الظلمة التي ارتفعت اليه من معصية السماع وورد لا يخص الشهادة بالحكومة لا يختص بها بالكبيرة
بل ولا بالصغيرة فالاكل في الطريق من السوق ونحوه يوجب اي رد الشهادة مع كونه مباحا وفي الاحياء
لا خلاف في ان من يسمع الملاهي ويلبس الديباج ويتختم بخاتم الذهب ويشرب من اواني الذهب
والفضة لا تقبل شهادته ولم يذهب احد الى ان هذه من الكبائر فكل الذنوب يقدح في العدالة
الا ما لا ينفك الانسان عنه غالبا بالضرورة بمجاري العادات كالغيبة والتجسس وسوء الظن والكذب في بعض الا
حوال وسماع الغيبة وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واكل الشبهات وسب الولد والغلام وضربهما
بحكم الغضب زائدا على حكم المصلحة واكرام السلاطين الظلمة ومصادقة الفجرة والتكاسل عن تعليم
الاهل والولد جميع ما يحتاجون اليه في امر الدين فهذه ذنوب لا ينفك الشاهد عن قليلها او كثيرها
الا بان يعتزل الناس ويتجرد لامر الاخرة ويجاهد نفسه مدة بحيث يبقى على سمته مع المخالطة بعد ذلك
ولو لم يقبل الا قول مثله لعز وجوده وبطلت الاحكام والشهادات وليس لبس الحرير ونحوه من هذه
المذكورات وقيل الاصح انها اي الكبيرة اسم اضافي كما ان الزنا كبيرة بالنسبة الى المعانقة مع التجرد عن
الثياب في الجانبين والمعانقة كبيرة بالنسبة الى اللمس واللمس كبيرة بالنسبة الى النظر بالشهوة والنظر كبيرة
بالنظر الى الهم والعزيمة وقطع يد المسلم كبيرة بالاضافة الى ضربه وصغيرة بالاضافة الى قتله والمطلق اي
الفرد الذي اذا اطلق الكبيرة هو الكفر اذ لا كبيرة فوقه ولقد قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم ولهذا
لا يغفر بالاجماع او الذنب المطلق هو الكفر وباقي الذنوب مقيد بالاضافة ولما كان هذا القول يفيد انه
لا كبيرة الا الكفر وهو مفرد وقد جاء في القران بلفظ الجمع قال في دفع هذا الاشكال والجمع مبتدأ اي
وقوع لفظ الكبيرة جمعا فيما ورد في التنزيل ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وقد قرئ كبيرة ما تنهون عنه
فيكون المراد به الكفر او اريد به الجنس والذين يجتنبون كبائر الاثم لتنوع خبر المبتدأ اي لوقوع افراد الكفر
انواعا كعبادة الصنم والشمس والقمر وكفر اليهودي والنصارى والمجوس وامثالها او تعدد المخاطب فوقع
مقابلة الجمع بالجمع او لانه كفر زيد غير كفر عمرو والمغفرة الصغيرة والكبيرة وهي العفو من غير التوبة
يتعلق بالمشية لا لا غير اي لا لغيرها من الاشياء الكثيرة كما ورد في التنزيل ويغفر ما دون ذلك اي غير الشرك والكفر
بجميع انواعه لمن يشاء اي لمن تعلقت مشية الله بمغفرته وكان مطرف بن عبد الله يقول اللهم ارض عنا فان
المولى قد يعفو عن عبده وهو غير راض عن فعله والحاصل ان الرضاء يتعلق بالطاعة والعفو والمغفرة
بالمعصية ثم هو اي الذنب ولو صغيرة يعظم في الكيفية حتى يصير كبيرة بسبب اربعة اشياء بالاصرار وهو

الاستمرار على الذنب ولا استمرار الا اى لا اصرار سبب تراكم الظلام اى ظلمات الاثام فى قلوب الانام
وورد لا صغيرة مع الاصرار تمام ولا كبيرة مع الاستغفار وقد تقدم فكبيرة واحدة تنصرم
ولا يتبعها مثلها لو تصور وجود ذلك كان العفو عنها ارجى من صغيرة يواظب العبد عليها الا ان
الكبيرة قل ما يتصور الهجوم عليها بغتة من غير سوابق ولواحق من جملة الصغائر فقل ما يزني بغتة من
غير مراودة ومطالبة ومصالحة وقل ما يقتل القاتل بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة سالفة
فكل كبيرة تتبعها صغائر سابقة ولاحقة والمباهاة اي والمباهاة والمفاخرة والاستحقار بعدم المبالاة
فيهما مترادفان ولهما مرتبا سبب التألف اي تألف الذنب والالفة شديدة الاثر في القلب والقلب
هو المطلوب تنويره بالطاعات وتسويده بالسيئات فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد
كبرت الصغيرة عند الرب وعظم اثرها في تسويد القلب وورد المنافق يري ذنبه كذباب
مر على انفه فاطاره اى عن نفسه وتمامه والمؤمن يري ذنبه كالجبل فوقه يخاف ان يقع عليه رواه
البخاري من رواية الحارث بن سويد عن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا ولا يخفي ان هذا الحديث
يصلح ان يكون شاهدا لعدم المبالاة لا لوجود المباهاة فكان حقه ان يؤخر عن قوله ونسيانه
حكمه وهو بالجر عطف على التألف اى وسبب نسيان حلمه وكرمه تعالى وستره وعدم كشف حاله
فهو اي ما ذكر من النسيان سبب الامن عن المكر الالهي من استدراج العبد بالنعمة واخذه بالنقمة
للنقمة وورد في التنزيل انما نملي لهم اي نمهلهم اياما ليزدادوا والتمادي اثما وقال بعضهم الذنب
الذي لا يغفر قول العبد ليت كل شئ عملته مثل هذا فانما يعظم الذنب في القلب لعلمه بعظمة الرب
فاذا نظر الي جلال من عصي راى الصغيرة كبيرة وقد اوحي الله تعالى الي بعض الانبياء لا تنظر الي قلة
الهدية وانظر الي عظم مهديها ولا تنظر الي صغر الخطيئة وانظر الي كبرياء من واجهته بها وبهذا الاعتبار
قال بعض العارفين الابرار لا صغيرة بل كل مخالفة فهي كبيرة وهذا السبب يعظم من العالم ما لم يعظم
من الجاهل ويتجاوز عن العامي في امور لا يتجاوز في امثالها عن العارف لان المخالفة تكبر
بمعرفة قدر المخالف كما يشير اليه قوله سبحانه يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها
العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها
اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما فان وزرهن يضاعف كاجرهن ومن هذا قال تعالى خطابا بالعلماء
اهل الكتاب يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته وقال الذين
اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلي عليهم الي ان قال اولئك يؤتون مرتين بما صبروا والاية
والاظهار اي وباظهار المعاصي الجهار فهو اي الاظهار يؤدي الي ذنوب اخر لهتكه الستر بنفسه
والله سبحانه هو الستار وترغيب الغير الي مثل فعله فيكون عليه ذنب التسبب في عمله فحدث مسلم من حديث

جرير بن عبد الله من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الحديث وورد كل الناس
معافون بضم الميم وفتح الفاء اى يقربون الي العفو الا المجاهر بالذنب فانه بعيد عن العفو و
تمامه يبيت احدهم على ذنب قد ستره الله عليه فيكشف ستر الله فيحدث بذنبه والحديث في الصحيحين من
حديث ابي هريرة بلفظ كل امتي وقال بعضهم لا تذنب فان كان ولا بد فلا ترغب غيرك فتذنب ذنبين
ولذا قال تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف وقال
بعض السلف ما انتهك المؤمن من اخيه حرمة اعظم من ان يساعده على معصيته ثم يهون لها عليه فسبحانه
من يظهر الجميل ويستر القبيح وقال تعالى ونكتب ما قدموا واثارهم والاثار ما يكتب بعد انقضاء العمل
والعامل فاذا كان المذنب المظهر عالما يقتدي به وهو يلبس الحرير ويركب مراكب الذهب وياخذ مال
الحرام ويدخل على الظلمة من بين الانام طمعا في المناصب العظام كثرت له الاثام فطوبي لمن اذا مات ماتت
ذنوبه معه ولم يتجاوز غيره فعن ابن عباس ويل للعالم من الاتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها
الناس فيذهبون بها في الافاق وقال بعضهم مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق وتغرق
اهلها وفي الاسرائيليات ان عالما كان يضل الناس بالبدعة ثم ادركته التوبة فعمل في الاصلاح دهرا
فاوحى الله الي نبيهم ان قل له ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن قد اضللت من عبادك
فادخلتهم النار وحقها اي وحق التوبة على صاحب المعصية ان يندم اي يظهر الندامة في القلب فورد
في الحديث كما تقدم الندم وهو توجع القلب بمخالفة الرب توبة اى معظم اركانها هو الندامة على
فعل المعصية من حيث انها معصية ويكون خالصة لله من الرياء والسمعة ويتبعها قطع المعصية في
الحال والعزم على تركها في الاستقبال وفي الاسرائيليات ان الله سبحانه وتعالى قال لبعض انبيائه وقد سأله
النبي عم قبول توبة عبد بعد ان اجتهد سنين في العبادة ولم ير اثر قبول توبته في مقام السعادة
فقال وعزتي وجلالي لو شفع فيه اهل السموات والارض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذي
تاب منه في قلبه فلا بد في التوبة من مرارة المعصية بدلا عن حلاوتها فيلتزم بترك اللذة ويشير
اليه قوله عم ذاق طعم الايمان من رضي بالله وينبغي ان يجد مثل هذه المرارة في جميع الذنوب وان
لم يرتكبها قبل فيكون فيه مرارة المعصية وحلاوة الطاعة بالطبع الموافق للشرع فتكون المعصية عنده
كالسم والطاعة كالعسل هذا وفي الحديث الندم توبة ايماء الي انه معظمه ومرغوب فيه وكذا في قوله
تعالى وتوبوا الا فيكون الامر بما لا يطاق وهو ما وقع في الشرع بالاتفاق على خلاف في جوازه وعدمه وقيل
هو اي الندم غير مقدور للبشر وفي الاحياء فان قلت تألم القلب امر ضروري لا يدخل تحت
الاختيار فكيف يوصف بالوجوب فاعلم ان سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب وله سبيل الي تحصيل سببه
وبمثل هذا المعني دخل العلم تحت الوجوب لا بمعني ان العلم يخلقه العبد ويحدثه في نفسه فان ذلك

محال بل العلم والنعم والفعل والارادة والقدرة للقادر والكل من خلق الله تعالى والله خلقكم
وما تعملون هذا هو الحق عند ذوي البصائر وما سوى هذا ضلال ويتدارك اى وحق التوبة ان
يتدارك ويتلافى ما فاته من الطاعة وما سبق له من المعصية وهو اى التدارك في حقه تعالى القضاء بدل
الاداء والكفارة بدل المعصية والمقصد دوام الطاعة ودوام ترك المعصية الى الموت مع استدراك
الفوت محتاطا اى حال كونه محتاطا في امره من اوله الى آخره برد فكره الى اول يوم بلغ فيه بالسن او الاحتلام
فيفتش عما مضى من عمره سنة سنة وشهرا شهرا ويوما يوما ونفسا نفسا وينظر الى الطاعات ما الذي قصر عليه فيها
والى المعاصي ما الذي قارفه منها فان كان قد ترك صلوة او صليها مع ثوب نجس او صلاها بنية غير
صحيحة او ترك فيها شيئا من الواجبات كتعديل الاركان ونحوها فيقضيها من آخرها فان شك في عدد ما فاته
منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذي يستيقن انه اداه ويقضي الباقي وله ان ياخذ فيه
بغالب الظن ويصل اليه على حسب التحري والاجتهاد وكذا امر الصوم والحج والزكوة وسائر فرايض
الاسلام وشرايع الاحكام هذا طريق تفتيشه عن الطاعات واما عن السيئات فيفتش من اول بلوغه الى
آخر عمره عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه ويده ورجله وفرجه وسائر جوارحه ثم ينظر في جميع ايامه
وساعاته ويفتش عند نفسه ديوان سيئاته حتى يطلع على جميعها قليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها ثم
ينظر فيها فما كان من ذلك بينه وبين الله من حيث لا يتعلق بمظالم العباد كنظر الى غير محرم وقعود في
المسجد مع الجنابة ومس المصحف من غير الطهارة واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع الملاهي
فالتوبة عنها بالندم والتحسر عليها ثم اعلم ان حب الدنيا راس كل خطيئة واثر اتباع الدنيا في القلب
التردد بها والالفة لها والحنين اليها فلا جرم ان كل اذى يصيب المسلم بسبب تنبو قلبه عن الدنيا يكون
كفارة له اذ القلب يتجافى بالهموم عن دار الهموم ان من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهموم
وفي لفظ الا الهم في طلب المعيشة رواه الطبراني في الاوسط وابو نعيم في الحلية من حديث ابي هريرة
ولاحمد من حديث عائشة اذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له اعمال يكفرها ابتلاه الله بالحزن فيكون
كفارة لذنوبه ويقال الهم الذي يدخل على القلب والعبد لا يعرف هو ظلمة الذنوب والهم بها وروي
ان جبريل عم دخل على يوسف عم في السجن فقال له يوسف كيف تركت الشيخ الكئيب فقال قد حزن
عليك حزن مائة ثكلى قال فما له عند الله قال اجر مائة شهيد والطبراني والحاكم عن ابي الدرداء
مرفوعا ان الله يحب كل قلب حزين وفي حق العبد اي والتدارك في حق العباد ثلثة اشياء
رد المال محتاطا اى في قدره الى المالك ان كان حيا او الوارث ان كان ميتا مبالغا اي غاية
الاحتياج في التبليغ اي ايصال حق العباد بالطوف اي السير والتردد في البلاد وجاه ان يلقى
المالك هناك فيرد اليه حقه او يستحله منه ان امكن له السفر والا فالتصدق على الفقراء والمساكين

او الصرف

او الصرف الى مصالح المسلمين من بناء مسجد وعمارة جسر ومدرسة والتسليم الى القاضي الامين
لتصرفه في امور الدين والدية عطف على رد المال اى وفي حق العبد اداء الدية الى مستحقها اذا
وقع القتل او القطع خطا والقصاص اذا وقع عمدا في النفس وكذا في الاطراف فيجب عليه ان يعترف
عند ولي الدم ويحكمه في روحه فان شاء عفى عنه وان شاء قتله ولا يسقط عهدته الا بهذا ولا يجوز
له الاخفاء وليس هذا كما لو زنى او شرب او سرق او قطع طريقا او باشر ما يجب فيه الحد فانه لا يلزمه
في التوبة ان يفضح نفسه ويهتك ستره ويلتمس من الوالي استيفاء حق الله بل عليه ان يستتر بستر
الله ويقيم حد الله على نفسه بانواع المجاهدة فان رفع امره الى الوالي حتى اقام عليه الحد وقع في موقعه
ويكون توبة صحيحة مقبولة عند الله او الاستعفاء اى العفو والاستحلال عند العجز عن رد المال او
الدية والقصاص نفسا كان حق العبد او مالا وعند العجز اي عدم القدرة على الاستعفاء متعين تجب
المظالم اي مراتبها في مقابلة السيئات وذلك بان يحسب مقدارها من حيث الكثرة ومن حيث المدة
ويحاسب نفسه على الحسنات والسيئات من اول يوم حيوته الى يوم توبته قبل ان يحاسب يوم القيمة وليناقش نفسه قبل ان
يناقش وهذه التوبة تشق على الظلمة وعلى التجار فانهم لا يقدرون على طلب المعاملين كلهم ولا على طلب
ورثتهم ولكن على كل منهم ان يفعل منه ما يقدر عليه فان عجز فلا يبقى له طريق الا ان يكثر من الحسنات حتى يقتص منه
يوم القيمة فيوخذ حسناته وتوضع في موازين ارباب المظالم وليكن كثرة مظالمه فانه ان لم يف بها حسناته
حمل من سيئات ارباب المظالم على سيئاته فيهلك بسيئات غيره وفي اى وفي التدارك في مثل الغيبة وكذا النميمة
والسب اى الشتم واللعن والايذاء باليد او باللسان او بالاركان ومن الزنا بحليلة المسلم او جاريته او قرابته
فالاستعفاء متعين لعدم وجوب المال وجواز القصاص في امثالها والذي في المفصل بفتح الصاد
وكسرها بان يذكر الغيبة ونحوها مبينة معينة الا ان يزداد التاذي لصاحب الحق بالاظهار فالمبهم
اي فالاستعفاء المبهم متعين تحاميا عن ذنب آخر فان هذا الاعتذار اشد من الذنب عند اهل
اعتبار ولانه يصير سببا لعدم عفو الذنب الاول والجبر اي جبر نقصان الاستعفاء المبهم بالحسنات
ولو كان حيا موجودا حاضرا كما لو كان صاحب الحق ميتا او غائبا لم يكن الاجتماع به والمبالغة
اي جد في الاستعفاء بالتلطف في طريق الجبر والتودد اي اظهار المحبة بالقيام والاكرام والاحسان
بالهدية والضيافة والانعام لا بالاكراه والالزام فانه غير مفيد عند الله فان عفا اي صاحب
الحق وفي نسخة فان عفى اي عن المذنب بالاستعفاء فيها والا يحاسب في القيمة بحسنات في مقابلته
اى مقابلة سيئاته كما قدمنا فالكل ماثور وعن السلف مذكور والحاصل ان الانسان عبيد الاحسان
وكل من نفر قلبه بسبب سيئة مال بحسنة فاذا طاب قلبه بكثرة تودده وتلطفه سمحت نفسه بالاحلال عن
فعله فان ابى الا الاصرار فليكن تلطفه واعتذاره اليه من جملة حسناته التي يمكنه ان يجبر بها

فتكثير النسخ صح

في الحمام جناية ولكن قد رشعيه في فرح وسرور وقلبه بنوده وتلطف كقدر سعيه في ايذائه
حتى اذا قاوم احدهما الآخر او زاد عليه اخذ ذلك عوضا منه يوم القيمة بحكم الله عليه كمن اتلف
في الدنيا مالا لاحد بمثله وامتنع من هوله عن القبول وعن الابراء فان الحاكم يحكم عليه بالقبض
والابراء عنه شاء ام ابى فكذلك يحكم الله في صعيد القيمة احكم الحاكمين واعدل المقسطين
ويتبع اي وحق التوبة انه يتبع للحسنة بحسب السيئة اي بقدرها كمية وكيفية فسماع وهو مرفوع و
قبل منصوب الملاهي من انواع الاوتار المناهي يتبع بسماع القرآن ومجالس الذكر الالهي والقعود
في المعصية كقعوده في المسجد جنبا بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة وكذا مس المصحف
محدثا بالاكرام المصحف وكثرة تقبيله وبان يكتب مصحفا ويجعله وقفا وشرب الخمر بالتصدق بشراب
حلال لذيذ اي حلو بارد والقتل بالاعتاق اي وقتل النفس عمدا او خطاء باعتاق رقبة لان
ذلك نوع احياء اذ العبد مفقود لنفسه موجود لسيده فالاعتاق ايجاد لا يقدر الانسان على اكثر
منه فيقابل الاعدام بالايجاد والغيبة ونحوها من الايذاء بالثناء على صاحبه الحق وعلى اهل الدين
والجزء في المصون والغضب بالصدقة ونحوها عطف على سماع الملاهي اي وكذا في المذكورات
فعد جميع الصغائر ممكن في العبادات والعاقل يكفيه بعض الاشارات والحق سلوك طريق المضادة
فان المريض يعالج بضده فكل ظلمة ارتفعت الى القلب بمعصية فلا يمحوها الا نور يرتفع اليها
بحسنة تضادها والمتضادات هي المتناسبات فكذا ينبغي ان يمحو كل سيئة بحسنة من جنسها لكن لا تضادها
فان البياض يزال بالسواد لا بالحرارة والبرودة وهذا التدريج والتحقيق من التلطف في طريق
المحو فالرجاء فيه اصدق والثقة به اكثر من ان يواظب على نوع واحد من العبادات وان كان ذلك
ايضا مؤثرا في المحو هذا وسلوك طريق المضادة في التكفير والمحو مشهود له في الشرع حيث كفر القتل
باعتاق الرقبة لو ورد في التنزيل ان الحسنات اي جميع الطاعات يذهبن السيئات اي يمحوها اتبع السيئة اى
وورد اتق الله حيث كنت واتبع السيئة من باب الافعال اى اعقب السيئة الحسنة تمحها رواه
الترمذي من حديث ابي ذر وصححه وللبيهقي في الشعب من حديث معاذ اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تكفرها
السر بالسر والعلانية بالعلانية ويستغفر اى وحق التوبة ان يستغفر لورد ما اصر من استغفر وان عاد
في اليوم سبعين مرة رواه ابو داود والترمذي عن ابي بكر والتراحب اى من الاظهار في حق الله
ولو اقر لاقامة الحد في حقوق الله تعالى الخالصة فلا قدح اي لا ذم ولا منع كما تقدم لو رد في ماعز
رضي حيث اعترف بالزنا فرجم لقد تاب توبة لو قسمت بين الامة وفي رواية بايه الخلايق لوسعتهم
اي لكفتهم وهو عبارة عن كثرة ثوابها والحديث رواه مسلم من حديث بريدة بن الحصيب وكذا حديث الغامدية
واعترفها بالزنا ورجمها وقوله عم لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ويؤكد العزم اى

وحق التوبة ان يشدد العزم ويقوي الجزم على ان لا يعود بمثل الذنب الذي تاب منه ابدا الحال
بعضهم من صدق في ترك شهوة وجاهد نفسه لله سبع مرات لم يبتل بها وقال آخر من تاب من ذنب
فاستقام عليه سبع سنين لم يعد اليه ابدا ويخلص النية اي وحقها ان تصحح النية ويخلص التوبة
في ترك المعصية الجلية والخفية من ترك المعصية لذهاب ماله كما في القمار ونحوه او جاه سقط من سقوط
اعتباره عند الخلق او عدم استطاعته له على المعصية لا يكون تائبا فانه قيل من العصمة ان لا تقدر
ثم اي بعد ذلك حق التوبة على التائب ان يغسل الثياب التي عصى الله فيها ويغتسل فان طهارة الظاهرة
عنوان طهارة الباطن وفي رواية ويتوضأ واختيار الغسل اشعار بالتوبة عن الكل ويصلي اربع
ركعات فيها على اربع جهاتها تشهد له يوم القيمة كما قال تعالى يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها
في موضع خال من اشتغال وعن توهم الرياء والسمعة في بال ويضع الوجه اى وان يضع جبينه على الارض
تواضعا لله والتراب لزيادة الخشوع عند رب الارباب وللتذكر الى اصله ومرجعه في هذا الباب
كما يشير اليه قوله منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى بدمع حار اي مع بكاء في الندامة
فان دمع الندامة والخوف حار ودمع الفرح والسرور بارد ولذا ورد قرة عين وقرى عينا
وقلب حزين على ما سبق له من المعصية وصوت عال اى رفيع في البكاء والاقال الدعاء والاذكار اولى
ان يكون بالاخفاء ويذكر الذنوب اي وان يتذكر ذنوبه واحدا واحدا جنسا وفردا ويلوم
النفس اي وان يعيبها ويذمها ويوبخها اي ويذبها ويقرعها ويرفع يديه الى كتفيه او اذنيه حق
يرى بياض ابطيه مبالغة في التضرع الى الله والالتجاء اليه ويحمد الله على آلاء الله ونعماته الظاهرة و
الباطنة عليه ويقول الحمد لله على كل حال ونعوذ بالله من حال اهل النار ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
لانه شفيع المذنبين ويدعو لنفسه بقبول التوبة وحصول المغفرة والرحمة ولوالديه فيقول رب ارحمهما
كما ربياني صغيرا وللمسلمين فيقول رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ويكثر
الاستغفار لا سيما ما ورد عن سيد الابرار نحو قوله رب ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي ذنوبي
وكذا يكثر من سيد الاستغفار وجاء في الاثر اذا اتبع الذنب بعزم التوبة اي بالتوبة على وجه
العزم واللوم وخوف العقاب عند مناقشة الحساب ورجاء العفو من رب الارباب واداء ركعتين
في المسجد فانه افضل الاماكن والتزامها فيشهد له بما عمل فيها والاستغفار سبعين مرة لما ورد
في بعض طرق الاحاديث ولو زاد حتى صار مائة مرة فهو افضل واكمل والتسبيح والتحميد مائة
اي كل واحد منهما او يقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة وينبغي ان يكون التكبير والتهليل
كذلك ليجمع الباقيات الصالحات ويضم اليها لا حول ولا قوة الا بالله وكذلك والتصدق سرا وعلانية
وكذا يوما وليلة ليدخل في قوله تعالى الذين ينفقون بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند

ربهم ولم يكن […] فهو مكفر لجميع انواع متعلقها من السيئات السرية والعلانية والليلية والنهارية
وصوم يوم فانه من جملة الحسنات المكفرات للسيئات فالعفو عن الذنب ح ارجى اي اكثر رجاء و
في الاحياء ان في الاثار ما يدل على ان الذنب اذا اتبع بثمانية اعمال كان العفو عنه مرجوا اربعة
من اعمال القلب وهي التوبة او العزم على التوبة وحب الاقلاع عن الذنوب وخوف العقاب عليه
ورجاء المغفرة له واربعة من اعمال الجوارح وهو ان يصلي عقيب الذنب ركعتين ثم يستغفر
الله بعدهما سبعين مرة ويقول سبحان الله العظيم وبحمده ماة مرة ثم يتصدق بصدقة ثم
يصوم يوما وفي بعض الاخبار يصلي ركعات قال المخرج اثران من مكفرات الذنب ان يسبغ الوضوء
ويدخل المسجد ويصلي ركعتين رواه اصحاب السنن من حديث ابي بكر الصديق ما من عبد يذنب
ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ثم يستغفر الله الا غفر الله له هذا لفظ ابي داود وهو في
الكبرى للنسائي مرفوعا وموقوفا وحديث التكفير بصلوة اربع ركعات ذكره ابن مردوية في التفسير
والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس قال كان رجل يهوى امراة الحديث وفيه فلما راها جلس منها
مجلس الرجل من امراته وحرك ذكره فاذا هو مثل هدبة فقام نادما فاتى النبي عم فذكر له ذلك فقال
عم صل اربع ركعات فانزل الله عز وجل اقم الصلوة طرفي النهار الاية واسناده جيد وفي هذا الحديث
دلالة على ان توبة العنين صحيحة وفي الصحيحين ان رجلا قال يا رسول الله اني عالجت امراة فاصبت
منها كل شئ الا المسيس فاقض علي بحكم الله فقال عم اوما صليت معنا صلوة الغدوة فقال بلى
فقال عم ان الحسنات وهذا يدل على ان ما دون الزنا من معالجة النساء صغيرة اذ جعل الصلوة كفارة
له بمقتضى قوله عم الخمس كفارة لما بينهن الا الكبائر كذا في الاحياء قال المخرج حديث الرجل متفق عليه
من حديث ابن مسعود دون قوله اوما صليت معنا صلوة الغدوة وفيه انه شهدت الصلوة معنا قال
نعم الحديث والطريق الموصل الى التوبة عشرة اشياء ذكر ما ورد فيها اي من الكتاب والسنة في
فضل التوبة كقوله تعالى ان الله يحب التوابين وكقوله عم ليتمنين اقوام لو اكثروا من السيئات
الذين بدل الله عز وجل سيئاتهم حسنات رواه الحاكم في مستدركه عن ابي هريرة وهو مقتبس من
قوله تعالى الا من تاب وامن وعمل صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقبح الذنب فعن ابن
مسعود نسي المرء بعض العلم بالمعصية وتلا اية فنسوا حظا مما ذكروا به وكانه مخالفة الرب وقد
يجر الى الكفر كقصة ابليس اوله ذنب واخره كفر وكذا قصة قابيل وبلعم بن باعورا اوله
شهوة واخره شقوة وشدة العقوبة اي وذكر شدتها الناشئة من غضب الله واليم سخطه
الذي لا طاقة لاحد بها وضعف النفس عن الاحتمال اي تحمل الاحوال يوم القيمة فقد قال تعالى
فما اصبرهم على النار فان من لا يحتمل حر شمس ولطمة شرطي كيف يحتمل غدا حر نار جهنم وضرب

طريق الوصول الى التوبة

مقامع الزبانية

وضرب مقامع الزبانية ولسع حياة اعناقها كاعناق البخت وعقارب كالبغال […] من النار اد
الغضب والبوار نعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سخط الواحد القهار وشرف الاخرة اي وذكر شرفها
فانها خير وابقى لمن اتقى وخسة الدنيا اي خستها بسرعة فنائها وقلة بقائها وكثرة غمها وخسة شركائها وقرب
الموت كما قيل شعر كل امرئ مصبح باهله ٭ والموت ادنى من شراك نعله ٭ ولذة المعرفة فانها لا تجامع
المعصية فقد اجمع السلف على ان كل من عصى الله فهو جاهل والمناجاة لانها تختص باهل الطاعات والمنادات
وخوف الاملاء بالرفع عطف على ذكر اي وخوف الامهال بعدم الاخذ الحالي اي الحال ضد الماضي والاستقبال
فقال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما والاستدراج اي وخوف الاستدراج بالاحسان اي باحسان الرب
بعد الارتكاب اي ارتكاب الذنب وذلك بمزيد العطية وفيه صدود للخطية وقطع اسباب عطف
على ذكر ما ورد اي وقطع اسباب الذنب وهي اي اسبابه ثلثة الغرور قال تعالى وما متاع الحيوة الدنيا الا متاع
الغرور فلا تغرنكم الحيوة الدنيا وهو سكون النفس دليل فيه شذوذ وشبهة لمن يذنب ويسكن نفسه اي
ان الله تعالى غفور فهذا امن وغرور وجهل فمن يطيعه ويرجو ثوابه من اللقاء والحضور او الجنة و
الحور والقصور وحب الدنيا فانه راس كل خطيئة كما ورد وطول الامل فانه مانع من العمل و
مسوف الى اخر الاجل وقطع اسبابها في موضعها من علاج هذه الاشياء بتمامها والتحقيق في وجوب
التوبة عن كل معصية بلا مهلة او في قطع الاسباب علمك ان ترادف المعاصي اي توارده وتتابعها
باصرارها من غير تخلل توبة في اثنائها سبب تراكم ظلام القلب اي تكاثف ظلماته وبه يحصل الرين
في قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون والطبع اي الختم في قوله سبحانه ولو نشاء اصبناهم
بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون وقال مجاهد القلب مثل الكف المفتوح كلما اذنب ذنبا
انقبضت اصبع حتى تنقبض الاصابع كلها فيشد على القفل فذلك هو القفل يعني فيما قال تعالى افلا
يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها وقال بعض السلف ليست اللعنة سوادا في الوجه انما اللعنة
ان لا تخرج من ذنب الا وقد وقع في مثله او اكثر منه وقال ابو سليمان الداراني لا يفوت احدا صلوة
جماعة الا بذنب يذنبه وفي الخبر ما انكرتم من زمانكم فيما تركتم من اعمالكم رواه البيهقي في الزهد من
حديث ابي الدرداء وهو اي ترادفها داء عضال اي صعب في غاية الاشكال عجز منه اطباء القلوب الا ان
يريد دواءه علام الغيوب واختلف في صحتها اي التوبة عن بعض الذنوب ففي الاحياء ومن مهمات التائب
اذا لم يكن عالما ان يتعلم ما يجب عليه في المستقبل وما يحرم عليه حتى يمكنه الاستقامة ثم ان لم يوثر العزلة لم يتم له
الاستقامة المطلقة الا ان يتوب عن بعض الذنوب كالذي يتوب عن الشرب والزنا واللواطة والغصب مثلا
دون غيره وليست هذه توبة مطلقة وقد قال بعض الناس ان هذه التوبة لا تصح وقال قائلون تصح
ولكن لفظ الصحة في هذا المقام مجمل والحق الذي لا مخلص عنه ان في التوبة عن بعض المعاصي افادة نقصان العقوبة

لانها اي الاعتزاز يجب الذكر قلة وكثرة دون النجا اي دون اصل النجاة من النار لان اصل النجاة انما
تحصل بترك الكل اي جميع المعا وتوضيح ان يقال المحق قال لا يصح ان عنيت به ان ترك بعض الذنوب
لا يفيد اصلا بل وجوده كعدمه فالاعظم خطاك فانا نعلم ان كثرة الذنوب سبب لكثرة العقا
وقلتها سبب لقلته ويقال المحق قال يصح توبته ان اردت به ان التوبة عن بعض الذنوب يوجب قبولا
يوصل الي النجاة او الفوز فهذا ايضا خطا بل النجاة والفوز بترك الجميع هذا حكم الظاهر فلسنا نتكلم
من خفايا اسرار عفو الله فهو اعلم بالسرائر فان قلت انما الترك اي مراد القائل الاول بعدم الصحة عن
بعض لان ترك بعض الذنوب فهو ترك الخمر مثلا لكونه اي ذلك البعض الذي تاب منه وهو الترك ذنبا لا بعينه
اي لا يكون ترك الخمر بذاته وهو اي كونه ذنبا او علة تركه مشترك فيه اي يشترك في هذا المعنى جميع الذنوب
شامل بين جميع المعاصي لانه من ترك الخمر لكونها معصية ويوقع في عقوبة وجب عليه ان يترك سائر المعاصي
لكونها معصية وموقعة في العقوبة فكيف يتصور التوبة عن البعض دون البعض فاذا ثبت انها لا تصح
عن البعض بهذا المعنى وجب ان يتوب عن الجميع دون البعض قلت التوبة عن بعض الذنوب لا يخ اما
ان يكون من الكبائر دون الصغائر او بالعكس او عن كبيرة دون كبيرة اما الاول فانه ممكن ويقال
يجوز الترك لبعض الذنوب لكونه اي ذلك البعض الفحش اي اغلظ واعظم واجب وسخط الله وغضبه
والعقاب عليه اصعب اي اشد واقوي وابقي والصغيرة اقرب الي انطرق العفو اليه فلا يستحيل ترك
الكبيرة لهذه العلة ومثاله كمثل عبد يترك ضرب ولد السيد لعظم العقوبة ويضرب دابته يظن ان
السيد ربما يسامحه في ذلك وكالمريض يحذر الطبيب عن اكل الحلو تحذيرا شديدا فيتوب المريض عن
العسل دون السكر واما الثالث وهو ان يتوب عن بعض الكبائر دون بعض وهذا ايضا ممكن
لاعتقاده ان بعض الكبائر اشد عند الله من بعض كمن ترك شرب الخمر مثلا لكونه مفتاح الشر
ولانه اذا زال عقله ارتكب سائر المعاصي فيتجنبها دون الزنا او التدارك اولعدم التدارك ذلك البعض
اشق اي اتعب كالذي يترك القتل او النهب ومظالم العباد لعلمه ان التدارك فيه اصعب ولان
ديوان العباد لا يترك يوم المعاد ويرتكب ما بينه وبين الله كترك الصلوة فانه يتسارع العفو
اليه واما الثالث وهو ان يتوب عن الصغائر وهو مصر على كبيرة يعلم انها كبيرة وهذا ايضا ممكن
كالذي يترك الغيبة او النظر الي غير المحرم وما يجري مجراه وهو مصر على شرب الخمر لان ميل النفس اليها
اكثر او ميل النفس اليه اي الي ما يتركه من الصغائر اقل فيكون تركه اهون واسهل ووجه امكان
ذلك انه ما من كل مؤمن الا وهو خائف على المعاصي نادم على فعله ندما ضعيفا او قويا ولكن ميل نفسه
في تلك المعصية اقوي من الم قلبه في الخوف عنها الاسباب توجب الخوف من الجهل والغفلة واسباب توجب قوة
الشهوة فيكون الخوف موجود الكن لا يحمل على ترك الذنب فان سلم عن شهوة هو اقوي منه بل لم يعارضه

الا ما هو

الا ما هو اضعف منه فهو ذلك الخوف من الضعف متشكل تلك الشهوة التي هي اضعف منه ودفعها وان لم
عن شهوة هي اقوي منه كشرب الخمر لم يقدر على الدفع فمثاله كمثل رجل له عدوان احدهما ضعيف والاخر
قوي فاذا واجد الضعيف غلب عليه واذا واجد القوي صرعه القوي ولان التوبة تجب بحسب المعصية وتوبة
ذنب لا يتوقف على توبة ذنب اخر وهذا لان توبة ذنب احسان في العبودية وتوبة ذنب اخر احسان
اخر وصحة احسان لا يتوقف على صحة احسان اخر هذا هو التحقيق وخذ هذا على طريق التوفيق ولم يشترط
الكمل اي ولم يشترط التوبة عن جميع المعاصي فيما ورد من الكتاب والسنة في التوبة كقوله تعالى ان الله يحب
التوابين حيث لم يقل عن جميع الذنوب وكقوله عم التائب من الذنب كمن لا ذنب له ولم يقل من جميع الذنوب
وقوله الندم توبة ولم يقل عن جميع المعاصي وايضا يقاس على الطاعات من نحو الصوم والصلوة والزكوة حيث
لا يتوقف صحة طاعة ووجودها على اخري اجماعا في صحتها اي وكذا اختلف في صحة التوبة عن العاجز الذي
لم يقدر على المعصية كالعنين او زنه سكين وهو من لم يقدر على الجماع عما زني اي كتوبتهما عما فات قبل
العنة اي حدوثها والاقرب اي القول الاقرب الي الصحة او الصواب العدم اي عدم صحتها لامتناع الترك
في غير المقدور ولان التوبة عبارة عن ندم يبعث العزم على الترك فيما يقدر على فعله واما ما لا يقدر على
فعله فقد انعدم بنفسه لا بتركه اياه لكن قد يقال لو تندم العنين وتولم القلب بالزنا بحيث لو فرضت
الشهوة اي قدرت شهوة الزنا لقهرها اي لقتلها وتركها فالرجاء اي المامول من كرمه سبحانه القبول
اي قبول توبته على حسب اطلاعه تعالى على الضمائر اي ما يخفي على غيره من السرائر كما لو تاب العنين عن الزنا
قبل طريان العنة اي حدوثها وما قبل هيجان الشهوة اي شهوة الزنا او الجماع وبعد اسباب قضائها اي
قضاء الشهوة ومباشرتها لكان من التائبين اتفاقا فبعد طريان العنة لو تندم بما تقدم لكان من التائبين
ايضا حيث لا فرق بينهما وفي اي واختلف ايضا في ان الافضل امن يجاهد شهوته ويمنع معصيته او من
انقطعت شهوته وسكنت نفسه عن الميل الي المعصية فقال احمد بن ابي الحواري واصحاب ابي سليمان الداراني
ان المجاهد افضل لان له مع التوبة فضل المجاهدة ويؤيده ما اخرجه الامام احمد في الزهد عن مجاهد
انه قال كتب الي عمر يا امير المومنين رجل لا يشتهي المعصية ولا يعمل بها افضل ام رجل يشتهي المعصية و
لا يعمل بها فكتب عمر ان الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوي
لهم مغفرة واجر كريم ويقويه ان جنس البشر افضل من جنس الملك لما تقدم والله اعلم وقال علماء البصرة
ذلك الاخر افضل لانه لو فتر في نيته كان اقرب الي السلامة من المجاهد الذي هو في عرضة العصو دون
المجاهدة فالحق ان الثاني اسلم مطلقا سواء كان انقطاع شهوته من المجاهدة او ضعف البنية والافضل
اي الثاني مقيدا بقيد انه ان كان انقطاعها اي الشهوة لقوة اليقين في مقام المشاهدة وسبق المجاهدة مع
النفس في دفع الشهوة على سبيل المعصية فالمصنف اي المنصور على العدو وهو من المجاهد المشغول في صف القتال

ولا يدر كيف يتم في الاستقبال وان كان انقطاعها لضعفها اي لضعف الشهوة في نفسها اي في
اصل خلقتها فالاول وهو الذي يجاهد شهوته افضل لان الترك بالمجاهدة من قوة اليقين
واستيلاء الدين ولقد زل في هذا البحث طرق فظنوا ان الجهاد هو الحق الاقصى ولم يعلموا ان
ذلك طلب الخلاء من عوائق وعلائق الشاغلة عن المولى وظن آخرون ان قمع الشهوة والمنهيا
بالكلية مقصود بالذات حتى جرب بعضهم ذلك فعجز عنه فقال هذا محال وكذب بالشرع وسلك
سبيل الاباحة واسترسل في اتباع الشهوات وكل ذلك جهالة وضلالة وفي اي وكذا اختلف في
نفع الاستغفار باللسان مع الاصرار على الذنوب الكبائر والصغائر والحق النفع لثلثة اوجه لما
سبق من الاخبار في فضل الاستغفار من غير تقييد بعدم الاصرار ولكونه اي ولكون الاستغفار باللسان
حسنة يصلح للتكفير اي لتكفير العصيان وعدم ضياع الاجر اي ولعدم ضياع اجر عامل
عنده سبحانه كما ورد في التنزيل ان الله لا يضيع اجر المحسنين ولا يضيع اجر من احسن عملا وان تك
حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما وقال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وما ورد مبتدا
اي وما جاء في حديث ان المستغفر بلسانه المصر على ذنبه اي وبجنانه المستهزئ بربه وفي الاحياء لفظ المستغفر
من الذنب وهو مصر كالمستهزئ بآيات الله قال العراقي هو حديث ابن عباس عند ابن ابي الدنيا من طريق البيهقي
في الشعب ولفظ المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بربه محمول على خبر المبتداء اي حمله العلماء
على الاستغفار بحكم العادة من الغفلة عن الارادة دون الابتهال اي التضرع في الحال والصدق
في السؤال اي سؤال المغفرة في الاستقبال فهذا حسنة تصلح ان يدفع بها السيئة وكذا ما نقل عن
بعضهم انه كان يقول استغفر الله من قولي استغفر الله وقال الاستغفار باللسان توبة الكذابين
وهو محمول على الاستغفار بمجرد القول من غير ان يكون للقلب فيه شركة العمل وقالت رابعة العدوية
استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير فلا تظنن انها تذم حركة اللسان من حيث انها ذكر الله بل تذم
غفلة القلب فهو يحتاج الى الاستغفار من غفلة جنانه لا من حركة لسانه فانه من سكت عن الاستغفار
باللسان ايضا يحتاج الى استغفارين لا الى استغفار واحد فهكذا ينبغي ان يفهم حمد ما يحمد وذم ما يذم
والا جهلت قول القائل الصادق حسنات الابرار سيئات المقربين فان هذه امور تثبت بالاضافة
فلا ينبغي ان يؤخذ من غير اضافة بل ينبغي ان لا يحتقر ذرات الطاعات والسيئات ولذا قال الامام
جعفر الصادق ان الله كتم ثلثا رضاه في طاعته فلا تحقروا منها شيئا فلعل رضاه فيه
وسخطه في معاصيه فلا تحقروا منها شيئا فلعل غضبه فيه وخبأ وليته في عباده فلا تحقروا احدا من
عباد الله فلعله ولي الله وزاد وخبأ اجابته في دعائه واسمائه فلا تتركوا شيئا
منها فلعل الاجابة فيه وقال سهل لا بد للعبد في كل حال من مولاه فاحسن احواله ان يرجع اليه

في كل شي

في كل شيء مما قدره وقضاه فان عصاه قال رب استر علي فاذا فرغ من المعصية قال يا رب تب علي فاذا
تاب قال يا رب ارزقني العصمة واذا عمل الطاعة قال يا رب تقبل مني وسئل ايضا عن الاستغفار الذي
الذي يكفر الذنوب فقال اول الاستغفار الاستجابة ثم الانابة ثم التوبة فالاستجابة اعمال الجوارح و
الانابة اعمال القلوب والتوبة اقباله على مولاه بان يترك الخلق ثم يستغفر الله من تقصيره الذي هو
فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر فعند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ثم التنقل الى الانفراد ثم الثبات
ثم البيان ثم القرب ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم محادثة السر وهو الخلة ولا يستقر هذا
في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه والذكر قوامه والرضاء زاده والتوكل صاحبه ثم ينظر الله اليه فيرفعه
الى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش وسئل عن معنى قوله التائب حبيب الله فقال انما يكون حبيب الله
اذا كان فيه جميع ما ذكره الله في قوله تعالى التائبون العابدون الاية وقال الحبيب هو الذي لا يدخل فيما
يكره حبيبه وفي الاحياء فاياك ان تستحقر ذرات الطاعات فلا تأتيها وذرات المعاصي فلا تتقيها كا
لمرأة الخرقاء تكسل عن الغزل تعللا بانها لا تقدر في كل ساعة الا على خيط واحد فتقول واي غنى
يحصل في خيط واحد وما وقع ذلك في الثياب ولا تدري المعتوهة ان ثياب الدنيا اجتمعت خيطا
خيطا وان اجسام العالم مع اتساع اقطاره اجتمعت ذرة ذرة فاذا التضرع والاستغفار بالقلب حسنة
لا تضيع عند الله اصلا بل اقول الاستغفار باللسان ايضا حسنة اذ حركة اللسان بها عن غفلة خير
من حركة اللسان في تلك الساعة بغيبة او فضول كلام بل هو خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالاضافة
الى السكوت عنه وانما يكون نقصانا بالاضافة الى عمل القلب ولذا قال بعضهم لشيخه ابي عثمان المغربي
ان لساني في بعض الاحوال يجري بالذكر والقران وقلبي غافل فقال اشكر الله اذ استعمل جارحة من
جوارحك في خير وعوده الذكر ولم يستعمله في الشر ولم يعوده الفضول انتهى واياك ان تلحج في الطاعات
بمجرد الآفات فتفتر رغبتك في العبادات فهكذا مكيدة روج الشيطان بلعبه على معز وريه وخيل اليهم انهم
ارباب البصائر واهل التفطن في الخبايا والسرائر فاي خير في ذكر اللسان مع غفلة الجنان والشيطان
وفي اي وكذا اختلف في نسيان الذنب وذكره بعد التوبة ايهما اولى وانما قيد بما بعد التوبة فان النسيان
قبلها مذموم اجماعا قال تعالى ونسي ما قدمت يداه فقال قوم حقيقة التوبة ان تنصب ذنبك بين
عينيك وقال الآخرون حقيقة التوبة ان تنسى ذنبك وهو اي نسيان الذنب الاولى للمبتدي تحاميا عن
تحريك الميل اي احترازا عن تحريك ميل قلبه الى المعصية الناشئة من الشهوة عند ذكرها ولانه اذا نسيه
لم يكثر احترازه ولا يقوي ارادته وانبعاثه لسلوك الطريق لان ذلك يستخرج منه الحزن والخوف الوازع
عن الرجوع الى مثله فهو بالاضافة الى الغافل كمال ولكنه بالاضافة الى سالك الطريق نقصان فانه شغل
مانع عن سلوك الطريق وما روي مبتدا اي وما نقل من كثرة نوح المتهيئين من الانبياء والمرسلين

والاولياء الصالحين وبكائهم حال كثرة دعائهم والحزن خلايقا من في سلوك طريق الذين الملئكة
بالجدادين فان صدور البكاء واظهار الذنوب بالاستغفار والدعاء انما كان لتعليم امتهم حتى
لا يغفلوا عن حال الجفاء وقت الوفاء هذا وقد اخرج ابن المبارك وابن ابي حاتم عن المقبري ان عيسى بن
مريم كان يقول يا ابن ادم اذا عملت حسنة فاله عنها فانها عند من لا يضيعها فاذا عملت سيئة فاجعلها نصب
عينيك وافضل التائبين المستقيم على اكتساب الطاعات واجتناب السيئات الى الموت اي انقضاء الحيوة من غير
نقصان العزمة مبالغا في اجتناب الزلات التي لا ينفك البشر عنها في الحالات بحسب العادات من المعاصي
والمهمات وانما المبالغة مطلوبة في جانب المحظورات والا ورد اذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم واذا
نهيتكم عن شيء فاجتنبوه فهو اي المستقيم سابق بالخيرات ومسارع الى المبرات مستبدل لسيئات الحسنات و
في الكلام ايماء الى قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم
مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير والنفس اي نفس هذا التائب الموصوف
بهذه الصفات مطمئنة راضية مرضية في رضاء التوبة واهل هذه الرتبة يتفاوتون في القوة
فمنهم من سكنت شهوته تحت قهر المعرفة ففتر نزاعها ولم يشغله عن السلوك صراعها ومنهم من لا ينفك عن
منازعة النفس لها ولكن تغلب بالمجاهدة وردعها ومنهم من يقل مدة النزاع ومنهم من يكثر ومنهم من يطول
عمره ويطول اجتهاده في امره ويكثر حسناته ويتم استقامته ومنهم من يقصر عمره ويحظى بالسلامة عن
زلاته امره ومن فتور في الطاعات وقصوره وهذا معنى قوله ويزداد الفضل اي فضل التائب
بطول العمر اي ان طال عمره في مكابدة الطاعة والمجاهدة مع النفس في العبادة ورد افضل العبادات
طول العمر في طاعة الله اي في العبادات والحديث المرفوع وقد ورد طوبى لمن طال عمره وحسن عمله رواه
الطبراني وابو نعيم عن عبد الله بن بسر والسلامة عطف على الفضل اي ويحصل زيادة السلامة
عن الوقوع في المعصية والملامة بقرب الموت وقصر العمر وتمام الامر ونقصان الاجر وقد طلب بعض
الاكابر طول العمر وجاء كثرة العبادات وبعضهم الموت خلاصا من الفتنة والتسليم اسلم ففي الدعاء المأثور
اللهم احيني ما كانت الحيوة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي واجعل الموت راحة لي من كل شر واجعل
الحيوة زيادة لي في كل خير ثم المعاود عطف على المستقيم اي ثم الافضل المعاود في بعض الذنب المجدد
للتوبة رجوعا الى الرب مبالغا في تجديد التوبة وهو اي كثير الابتلاء بالمعصية والتوبة المفتنة
التواب اي كثير التوبة والرجعة وعند البيهقي عن علي رض خياركم كل مفتن تواب والنفس
اي نفس هذا التائب المعاود في بعض الذنوب لوامة تلوم صاحبها بعد المعصية وترجع الى الطاعة
التي فيها سلامة وهو المقتصد وهذه ايضا رتبة عالية وان كانت عن الطبقة الاولى ناقصة نازلة
فهي اغلب احوال التائبين لان الشر مجبول في طينة البشر وانما غاية سعيه ان يغلب خيره شره

حتى يثقل

حتى يثقل ميزانه فيترجح كفة الحسنات واما ان يخلو عنها بالكلية كفة السيئات وذلك في غاية البعد من حيث
العادات فهؤلاء مع هذا الابتلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى اذ قال سبحانه الذين يجتنبون كبائر الاثم و
الفواحش الا اللمم اي الصغائر ان ربك واسع المغفرة وفي الخبر ان تغفر اللهم فاغفر جما واي عبد لك
لا الما وقد قال عز وجل في مقام المدح والثناء والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله
الاية فاثنى عليهم مع ظلمهم انفسهم لتندمهم وتحرمهم ثم التائب عطف على المعاود او المستقيم اي ثم الافضل
بعدهما التائب عن البعض اي بعض الذنوب المسوف اي الموخر بالتوبة في الاخر اي بعض الاخر من الذنوب
المستدام اي الظاهر الندامة بعد الارتكاب اي اكتساب المعصية القاصد التائب للتوبة فهو المخلط الداخل
فيمن قال الله تعالى في حقهم واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب
عليهم وهو ظالم لنفسه والنفس اي نفس هذا الغافل مسولة اي مزينة للمعصية ومكهلة لتاخير التوبة و
قد قال تعالى اولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون فالظاهر انه مترتب على الغفلة
وهو على الخطر في الخاتمة فان مات تائبا فاز بالجنة وظفر بالمثوبة والا اي وان لم يتب ومات ففي مشية الله تعالى
ان شاء عفا عنه بلطفه وكرمه وان شاء عذبه بقدر ذنبه بخلاف الاولين اي صاحب النفس المطمئنة
وصاحب النفس اللوامة فهما فائزان بالجنة والسلامة في العاقبة اما المرتكب للمعصية المصر عليها من
غير التوبة الناسي للتوبة اي التارك لها نفسها وعزمها والعزم عليها فهو الذي اسمه الغافل
عن حكمة ربه الجاهل عما خلق لاجله فقد ورد من حديث ابن عمر عند الديلمي ان لله ملكا ينادي في كل يوم
وليلة ابناء الاربعين زرع قد دنا حصاده للحديث وفيه ليت الخلائق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا
علموا لماذا خلقوا فجلسوا بينهم فتذاكروا والحديث والنفس اي نفس امارة اي كثير الامر بالسوء اي بالمعصية
يخشى عليه سوء الخاتمة من الموت على الفسق والكفر هنالك نعوذ بالله من ذلك ويرجو شمول العفو من الله اياه
اي الغافل ولكنه نادر لا يقع في الاغلب بلا سبب كنيل الكنز اي كوصوله بالكنز بلا طلب ولكن
كتحصيل العلم اللدني بمجرد الجذب الالهي لكن التوقع للعفو مع الاصرار على المعصية وعدم اتيانه
الطاعة حماقة اي غرور وجهالة لورود في التنزيل وان ليس للانسان الا ما سعى وفق ما قدره الله له
وقضى فلا بد من فعل الطاعة وترك المعصية او الرجوع عنها بالتوبة والا فعاقبته خطرة فربما يختطف
قبل التوبة ويقع امره في المشية فان تداركه الله بالرحمة وامتن عليه بالتوبة التحق بالسابقين وان
غلبت شقوته وتحكمت شهوته فيخشى عليه ان يحق عليه في الخاتمة ما سبق عليه من القول الاول في قضاء الازل
لانه مهما تعذر على النفس مثلا الاحتراز عن شواغل التعلم دل بقدره على انه سبق له في الازل ان
يكون من الجاهلين فيضعف الرجاء في حقه من ذلك الجنس واذا تيسرت له اسباب المواظبة على التحصيل
دل على انه سبق له في الازل ان يكون من جملة العالمين فكذا ارتباط سعادة الاخرة ودركاتها بالحسنات

والسبب بحكم تقدير مسبب الاسباب كارتباط المرض والصحة بتناول الاغذية والادوية وارتباط
حصول ظمع النفس الذي يستحق به المناصب العلية في الدنيا بترك الكسل في طلب مراتب العليا والمواظبة
على طلب العلم فكما لا يصلح لمنصب الرياسة والتقدم بالعلم في مقام الشيا الا نفس صارت فقيهة بطول
التفقه فلا يصلح لملك الاخرة ونعيمها وللقرب من رب العالمين الا قلب سليم صار طاهرا بطول التزكية
والتطهير هكذا سبق في الازل بتقدير رب الارباب ومسبب الاسباب قال تعالى ونفس وما سويها فالهمها
فجورها وتقويها قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها فالمخافة من الخاتمة قبل التوبة وكل نفس خاتمة
ما قبله اذ يمكن ان يكون الموت متصلا به فليراقب الانفاس والاوقات في المحذور ودامت الحرقة الى ان يخرج
من دار الغرور فالناس كلهم محرومون الا العالمون والعالمون كلهم محرومون الا العاملون والعاملون كلهم محرومون
الا المخلصون والمخلصون كلهم على خطر عظيم ولا يتركها اي التوبة لخوف العود اي لمخافة الرجعة
الى المعصية لجواز الموت قبله اي قبل عوده الى ذنبه وغفران السالفة اي السابقة ان عاد الى ذنبه
ولم يتب الى ربه فهذا الترك من خداع الشيطان فانه من اين لم هذا العلم فعسى ان يموت تائبا عن الذنوب
ويصير حبيبا للرب والخوف من العود لا ضرر فيه بل فيه منفعة فعلى العبد العزم والصدق في الجزم
وعلى الله الاتمام من باب الفضل والاكرام فان اتم فهو المط الاعلى وان لم يتم فقد غفرت ذنوبه
السالفة كلها فهذا هو الربح العظيم والفائدة الكبرى فالعبد من التوبة ابدا بين احدى الحسنيين
ورد عن علي رضي الله عنه خياركم المفتن بصيغة المفعول وفي رواية المفتن بالادغام التواب
رواه البيهقي في شعب اي كثير الابتلاء بالذنب وكثير التوبة منه الى طاعة الرب وفي خبر اخر
المؤمن كالسنبلة تقدم احيانا وتميل احيانا رواه ابو يعلى وابن حبان من حديث انس والبيهقي
والطبراني من حديث ابن عباس باسانيد حسنة لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينة اي حينا بعد الحين
فالفقيه في الدين هو الذي لا يؤيس الخلق من درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات ومفارقة
السيئات المختلفات فللترمذي والحاكم وصحح من حديث انس كل بني ادم خطاؤن وخير الخطائين التوابون
والطبراني والبيهقي من حديث جابر المؤمن واه راقع فسعيدهم من مات على رقعه اي واه بالمعصية واللام
راقع بالتوبة والندامة وسبب للاستقامة الرياضة وهي تهذيب الاخلاق والمرابطة وهي الاقامة
بالمجاهدة والاستدامة ورد في التنزيل يا ايها الذين امنوا اصبروا على الطاعات وعن
السيئات وفي المصيبات وصابروا اي وغالبوا الاعداء الظاهرة والباطنة بشدة الصبر وحدة الامر
ورابطوا انفسكم بالمشارطة اي ربط النفس بالمداومة على الطاعة والمواظبة على العبادة في كل يوم
وساعة خوفا عليها من ضياع بضاعة والتحقيق ان المرابطة ربط النفس على الارتحال والفناء والقلب
على اغتنام العبادات والتاهب ليوم الجزاء ومعنى قوله وهو اي ربطها بالمشارطة ثلثة اشياء منها وصية

النفس

النفس اي وصيته بها في اول النهار بان في كل نفس من الاعمار كنز اذ لا بضاعة لك اي ليس لك راس مال
سوى العمر وهو ايام معدودة والانفاس اي والحال ان انفاسه معدودة لا تزيد ولا تنقص والماضي
لا يعود في الوجود والوقت ضيق في ميدان الشهود والتمني بان يرجع الى الدنيا يوما واحدا ليعمل عملا
صالحا او تمني المراتب العلية بدون الكمالات العملية والعلمية غرور نافع بعد الورود ومنها توظيف العمل بان يجعل
في كل وقت عملا ينفعه في العقبى او يعينه على الطاعة في الدنيا ومنها شرط الشروط عليها اي على النفس بحذف لفظ
النفس فاتى الجار على ضميره فصار عليها ولا يبعد ان يكون الضمير راجعا الى العمل والمعنى يقول لها ان كذبت
فعليك صوم ثلثة ايام وان اغتبت فعليك صدقة درهمين ونحوها ثم المرابطة والمراقبة وهي مشاهدة كونه
سبحانه رقيبا عالما بما يفعله في الحركات والسكنات فلا يتحرك ولا يسكن الا بامر رضاه الحق في تلك الساعات من العبادات
والطاعات فالاعلى اي اعلى انواع المراقبة ان يصير العبد مغلوبا بالاستغراق به من ذكره وفكره تعالى وعدم
الالتفات الى ما سواه اي سوى الله وما عداه وهذا مراقبة المقربين من الصديقين وهو مراقبة التعظيم والاجلال
بان يصير القلب في جميع الاحوال مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومطالعا تجليات ذلك الجمال على وجه الكمال
ومنكسرا تحت الهيبة والعظمة في المشاهدة فلا يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير حتى يحتاج الى المجاهدة وهذا
الذي صار همه واحدا وكفاه الله سائر هموم ابدا ومن نال هذه الدرجة مع الحق فقد غفل عن مراقبة
الخلق فلا يبصر من يحضر لديه وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له مع انه لا صمم في اذنيه ثم الادنى من انواع
المراقبة اذ يكون تحت حكم الشرع خارجا عن تحكم الهوى والطبع وهذه مراقبة الورعين من اصحاب اليمين فينظر
ويتامل ويتفكر قبل العمل في خاطر يخطر فيتم ما هو له تعالى في رضاه ويترك ما سواه وينظر ايضا عنده اي
عند الشروع في العمل طاعة او غيرها ففي الطاعة يخلص النية ويصفي الطوية بان يجعلها لله تعالى من غير الرياء
والسمعة ويحضر القلب لمشاهدة الرب كما ورد الاحسان ان تعبد الله تعالى كانك تراه ويراعي الادب في حضرة الرب
ويحفظ نفسه عن التساهل في بساط الانبساط وفي المعصية يستحيي من الرب ويتوب من الذنب ويكفر بما يناسبه ان
صدرت عنه وفي المباح يراعي النية فان المباحات تصير بحسب النيات عبادات والاداب ان لا يتجاوز عن الضرورات
ثم مرابطة النفس بالمحاسبة في اخر النهار وفي اخر كل نفس وقتا وهو النظر بعد العمل من الحسنات والسيئات ورد حاسبوا
انفسكم قبل ان تحاسبوا وهو اثر عن عمر كما تقدم وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس
ما قدمت لغد واتقوا الله للعاقل اربع ساعات ساعة يحاسب نفسه فيها اي وساعة يناجي فيها ربه وساعة يفضي
فيها الى بعض اخوانه الذين يبصرونه بعيوبه وساعة يخلو فيها بينه وبين شهواته وقد تقدم ثم مرابطة
النفس بالمعاقبة لها بالجوع يعاقبها ان اكل حراما وبالسهر اي ويعاقبها بالسهر ان نظر حراما ونحوه
بان رقد عن التهجد فلو ساهل النفس في هذه المعاقبة سهل عليه الرجوع اي المراجعة الى المعصية وما
يتبعها من الغفلة فقد عاقب عمر رضي الله عنه حين فاتته صلوة العصر في جماعة بان تصدق بارض كانت له

قيمتها ثمانية الف درهم وكان ابن عمر اذا فاتته صلوة في جماعة احيى تلك الليلة واخر ليلة صلوة المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين ثم المرابطة بالمجاهدة وهي مخالفة النفس باداء الورد من الطاعات والعادات عند استثقال النفس عن بعض المأمورات بل بالزيادة على الموظفات كاحياء الليلة في عبادة عند التواني اي التكاسل والتساهل عن حفظ جماعة كان يحفظها واداء نافلة كان يفعلها ثم المرابطة بالمعاتبة بمثل يا نفس بالصبر او الكره اي يا نفسي الا تستحيي من تعالى في ترك طاعته او فعل معصيته الا طاقة بعذابه الاليم اي المولم من نار الجحيم من ماء الحميم والكل اي جميع ما ذكر من انواع المرابطات ما ورد عن السلف والخلف القائمين بمجاهدة النفس والرياضات في مقام الطاعات والاصل المعتبر في تحصيل الاستقامة الاستعانة بكرمه سبحانه متضرعا بين يديه تعالى في حال عبادته وطاعته متبريا عن الحول والقوة من جهته ورؤية العمل من طاقته كما يشير اليه قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين فاياك نعبد تفرقة واياك نستعين جمع وفي الجملة الاولى رد على الجبرية وفي الثانية على القدرية قيل اي في باب الاستقامة من جاهد في ترك المعصية سبع مرات لا يبتلى بالذنب ثامنة اي مرة ثامنة وبه تحصل الاستدامة وقيل من استقام على التوبة سبع سنين لا يعود الى المعصية في جميع عمره وهو قول فرقد السبخي ثم التوبة في عرف المحققين من الذنب وهي للمؤمنين خاصة حيث قال تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا وعامة ورد في التنزيل توبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون والانابة من الغفلة الى الحضور وهي للمقربين كما ورد في التنزيل من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ومنه قوله تعالى الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب وقوله وخر راكعا واناب والاوبة عن رؤية التقصير في الطاعة وهي للمرسلين كما ورد في التنزيل ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب وكذا في حق ايوب انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وقد يستعمل في حق المؤمنين المقربين كقوله تعالى ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا ثم التقوى اعم منها اي من التوبة وهي اخص من التقوى فكل تائب متق وليس كل متق تائبا فالممتنع عن ذنب لم يرتكبه قبل اي قبل وقته متق لا تائب والممتنع بعد ارتكابه تائب ومتق اما كونه تائبا فظاهر واما كونه متقيا فلانه لم يرتكب الذنب مع امتناعه فمن هنا يصح ان يقال للنبي انه متق ولا يجوز ان يقال انه تائب والله سبحانه اعلم واما ما في الاحياء من انه يجب على كل عالم باقليم او بلدة او محلة او مسجد او مشهد ان يعلم اهله دينهم ويميز ما يضرهم عما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم ولا ينبغي ان يصبر الى ان يسئل عنه بل ينبغي ان يتصدى بدعوة الناس الى نفسه فان العلماء ورثة الانبياء والانبياء ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون على ابوابهم ودورهم في الابتداء ويطلبون واحدا بعد واحد فيرشدونهم فان مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كما ان الذي ظهر على وجهه برص ولا مرآة معه لا يعرف مرضه ما لم يعرفه غيره وهذا فرض عين على العلماء كافة ففيه ان هذا غير معروف

في الكتاب

في الكتاب والسنة انه فرض عين بل ولا فرض كفاية انما الواجب على العلماء ان لا يكتموا العلم ويبينوا الاحكام وعلى الجهال ان يسئلوهم كما قال تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وانما معنى قوله عليه السلام العلماء ورثة الانبياء فهو ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر وهم مختلفون في مراتب الوراثة كتفاوت مناصب العلوم من التفسير والحديث والفقه والقراءة هذا والعلماء الذين هم بمنزلة الاطباء في زماننا صاروا مرضى للداء الذي ليس له دواء وهو حب الدنيا فبهذا السبب عم الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء ومع هذا غلب عليهم الرجاء وهي المعضلة الدهياء والعلماء العاملون من الاولياء والاصفياء اختاروا ان يكونوا من الاتقياء الاخفياء فنسأل الله الهداية من الابتداء والانتهاء ثم اعلم ان من ابتلي بحب الدنيا فداءه عضال ليس له الدواء وقد قال رجل لمحمد بن واسع اوصني فقال انا اوصيك بان تكون ملكا في الدنيا والاخرة فقال كيف لي بذلك فقال الزم الزهد في الدنيا وكتب معاوية الى عائشة رضي الله عنها بالسلام ان اكتبي لي كتابا توصيني فيه ولا تكثري فكتبت اليه من عائشة الى معاوية سلام عليك اما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضى الناس بسخط الله وكله الله الى الناس ومن التمس رضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس والسلام عليك والحديث رواه الترمذي والحاكم وكتبت اليه مرة اخرى اما بعد فاتق الله فانك ان اتقيت الله كفاك الناس واذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا والسلام وهو مقتبس من قوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله ومن قوله سبحانه انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وقال لقمان لابنه يا بني زاحم العلماء بركبتيك ولا تجادلهم فيمقتوك وخذ من الدنيا بلاغك وانفق فضول كسبك لاخرتك ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا وعلى اعناق الرجال كلا وصم صوما يكسر شهوتك ولا تصم صوما يضر بصلوتك فان الصلوة افضل من الصوم وقال ايضا يا بني لا تضحك من غير عجب ولا تمش في غير ارب ولا تسئل عما لا يعنيك ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما خلفت يا بني من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يفعل الخير يغنم ومن يفعل الشر يأثم ومن لم يملك لسانه يندم وقال رجل لابي حازم اوصني فقال كل ما لو جاءك الموت عليه فرأيته غنيمة فالزمه وكل ما لو جاءك الموت عليه فرأيته مصيبة فاجتنبه وقال رجل لحامد اللفاف اوصني فقال اجعل لدينك غلافا كغلاف المصحف لئلا تدنسه الآفات قال وما غلاف الدين قال ترك طلب الدنيا الا ما لا بد منه وترك كثرة الكلام الا فيما لا بد منه وترك مخالطة الناس الا فيما لا بد منه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فخف ما خوفك الله واحذر ما حذرك الله وخذ مما في يدك لما بين يديك فعند الموت يأتيك الخبر اليقين والسلام وكتب مطرف بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار عقوبة لها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم عنده فكن فيها يا امير المؤمنين كالمداوي جرحه يصبر على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة

ملخص الوصايا الاربع

الداء وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن ارطاة اما بعد فان الدنيا عدوة اولياء الله تعالى
وعدوة اعداء الله اما اولياء الله فغمتهم واما اعداء الله فغرتهم وتحمل الكلام في هذا المقام كن الزام ان
من اعطى قلبه حسن الاصغاء واستشعر للخوف والتقى وانتظر المثوبة الاسنى وصدق بالحسنى فسييسره الله
تعالى طريقة اليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسييسره الله العسرى ثم لا يغني عنه ما اشتغل به من
ملاذ الدنيا من ماله ما هلك وتردى وما على الانبياء الا شرح طرق الهدى وانما لله الاخرة والاولى

الباب التاسع عشر في الصبر والرضاء والشكر فضلها بسم الله الرحمن الرحيم

الذي يستعين بذاته وصفاته على توفيق الصبر على بلائه وابتلائه والرضاء بحكمه وقضائه والشكر
على نعمائه وآلائه وقد اجتمع الثلثة في حديث عطا عن ابن عباس لما دخل ع م على الانصار فقال امؤمنون
انتم فسكتوا فقال عمر نعم يا رسول الله وقال وما علامة ايمانكم فقالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء
ونرضى بالقضاء فقال ع م مؤمنون ورب الكعبة رواه الطبراني في الاوسط الصبر وهو حبس النفس عن
الامر ثبات باعث الدين من قصد الامتثال ثم خوف النار ثم طمع الجنة ثم رجاء اللقاء وهذا كله طرق اهل
الهدى في مقابلة باعث الهوى من الاغراض الفاسدة والاعواض الكاسدة فالهوى هو ميل النفس الى
الشيء من غير داعية الشرع بل بمجرد هوى النفس والطبع وقيل الصبر على ثلثة انواع صبر العوام وهو صبر النفس
على مكروه وصبر الخواص وهو تجرع المرادات من غير تعبس وصبر اخص الخواص وهو التلذذ بالبلاء كالتلذذ
بالآلاء فانه علامة اهل الولاء من الانبياء والاولياء وقيل الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الادب في الثبات
على الولاء وتلقي مراقضيه بالرحب والسعة على احكام الكتاب والسنة وينقسم اقساما صبر لله وهو الثبات
على اداء اوامره وانتهاء زواجره وصبر مع الله وهو السكوت تحت جريان قضائه من سرائه وضرائه
وصبر على الله وهو الركون الى وعده في كل شيء من امره وحلوه ومره وصبر عن الله وهو مذموم و
صاحبه ملوم مذموم كما قيل شعر • الصبر يحمد في مواطن كلها • الا عليك فانه مذموم • اي
الا عنك وقد يحمد اذا وصل الى مقام الرضاء في جميع ابواب القضاء كما قيل شعر • اريد وصاله ويريد
هجري • فاترك ما اريد لما يريد • وقال الجنيد المسير من الدنيا الى الاخرة سهل هين وهجران الخلق
في جنب الحق شديد والسير من النفس الى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله اشد وحكي عن
بعض العارفين انه سئل الشبلي عن الصبر اي اشد فقال الصبر في الله فقال لا فقال الصبر لله قال
لا فقال الصبر مع قال لا قال فاي شيء قال الصبر عن الله قال فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه تتلف
وقد قيل في معنى قوله تعالى اصبروا وصابروا ورابطوا اصبروا في الله وصابروا بالله ورابطوا
مع الله وقيل الصبر لله غناء والصبر بالله بقاء والصبر في الله بلاء والصبر مع الله وفاء والصبر
عن الله جفاء شعر • والصبر عنك فمذموم عواقبه • والصبر في سائر الاشياء محمود • فاما ان يكون

بالجسم الاهم المشاق على البدن كالعبادة او عن المشتهيات البدنية واما ان يكون الصبر بالدخول طلبا
للثواب او هربا عن العقاب عن الشهوة اي شهوة البطن وشهوة الفرج وغيرهما فعن الشهوتين المذكورتين
يقال له عفة وعن احتمال المكروه بموت الاقارب ونحوه يقال له صبر مطلقا اي وهو الفرد الكامل في
هذا الباب كما اطلق في منزل الكتاب وبشر الصابرين الآية فاقتصر ح على اسم الصبر بلا اختلاف اسم
خاص وضده اي نقيض الصبر الجزع وهي حركة الفزع والهلع بفتحتين لحصول الجزع كرفع الصوت
بالبكاء وضرب الخدود وشق الجيوب ونحوه ومنه قوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر
جزوعا واذا مسه الخير منوعا وظاهر الاية ان الهلع ضد الجزع والمنع كليهما وفي الغنى اي ويقال في
احتمال الغنى وتحمله من البلوى ضبط النفس تحت الشرع والعقل والهدى وضبطها عن مطابعة الطبع
والهوى وضده البطر بفتحتين وهو الطغيان بالنعمة ومنه قوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان رآه
استغنى وفي الحرب اي والصبر في مواطن الحرب يقال له شجاعة وهي قوة القلب وثباته في المقاتلة و
ضده الجبن وهو ضعف القلب وخوفه عن رؤية العدو في المعركة حين المقابلة وفي كظم الغيظ
اي تحمل الغضب حلم وعفو وضده التهور صوابه ما في الاحياء من جعل ضده سفها واما التهور فهو
التجاوز عما يقتضيه العقل في الشجاعة وهو مذموم في الشريعة قال تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
فان الخلق الحسن هو المتوسط بين الافراط والتفريط والتدمر اي الترتيب على التهور وهو قبول الدمار
وهو الاهلاك كالتدمير ومنه قوله تعالى عز وجل تدمر كل شيء بامر ربها وفي نوائب الزمان اي حوادث
الدهر وآفات الدوران سعة الصدر وهو كناية عن كمال التحمل في الامر ويقال له شرح الصدر ومنه
قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وضده ضيقه اي ضيق الصدر ومنه قوله تعالى ولا تك في ضيق مما يمكرون
قرئ بالتخفيف والتشديد والتضجر والتبرم فالثلثة الفاظ مترادفة او متقاربة وفي اخفاء الامر
كتمان وضده الاظهار والافشاء وفي فضول العيش زهد وهو عدم الرغبة وقلة الهمة وضده
الحرص على الزيادة وفي اليسير من الدنيا اي في القليل من فضول الدنيا قناعة وضده الشره
بفتحتين وهو الحرص على طلب الكثير وورد في التنزيل انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقال
واصبروا ان الله مع الصابرين وقال وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله
وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وكان عمر رض
يقول نعم العدلان ونعم العلاوة بالصابرين يعني بالعدلين الصلوة والرحمة وبالعلاوة الهدى
والعلاوة ما يحمل فوق العدلين على البعير وقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري عليك
بالصبر واعلم ان الصبر صبران احدهما افضل عن الاخر الصبر في المصيبات حسن وافضل منه الصبر عما حرم
الله وكان حبيب بن ابي حبيب اذا قرئ هذه الاية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب بكى وقال

والعجباه اعطى وانني اى هو المعطى الصبر وهو المثني عليه كما يشير اليه قوله تعالى واصبر وما صبرك
الا بالله الايمان اى معظم خصال اهل الايمان هو الصبر لم العرفي وفي رواية الديلمي عن انس مرفوعا
الصبر من الايمان بمنزلة الجسد وزاد البيهقي عن علي موقوفا ولا جسد لمن لا راس له ولا ايمان لمن لا صبر له
الرأس من
وهو اي كون الايمان هو الصبر لدخول اكثر اخلاقه اى اخلاق الايمان من فعل الطاعة وترك المعصية
وعدم الجزع في المصيبة فيه اي في الصبر وللاكثر حكم الكل امر مقرر وقد جمع الله تعالى اقسام ذلك وسمى الكل
صبرا فقال والصابرين في البأساء اى المصيبة والضراء اي الفاقة وحين البأس اي المحاربة الصبر نصف
الايمان رواه ابو نعيم والخطيب من حديث ابن مسعود والديلمي والبيهقي في الشعب عن انس الايمان نصفان
نصف صبر ونصف شكر وفي النهاية اراد بالصبر الورع لان العبادة قسمان نسك وورع فالنسك ما امرت
به الشريعة والورع ما نهت عنه انتهى والحديث مقتبس من قوله تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور اي لكل
مؤمن وفي تقديم الصبر على الشكر ايماء بان الاحتياج اليه اكثر واتم وانه افضل كما تقدم والله اعلم وهو اي
وكون الصبر نصف الايمان لاطلاقه اي الايمان على المعارف اليقينيات من الاعتقادات والاعمال الصالحات من
العبادات ولايتم الاعمال بالجهد في الاثبات باعث الدين في الهدى في مقابلة باعث الهوى فهو اي الصبر
نصف الايمان بهذا الاعتبار والترتيب بين النصف الاول والثاني وفق ما اقتضاه الشرع والطبع وايضا
لاطلاقه اي الايمان على الاحوال من استيلاء تلك المعارف وهي الرضاء والمحبة والانس والشوق المثمرة
للاعمال لاعلى المعارف والعوارف من مقامات الرجال وفي الاحياء ان جميع مقامات الدين ومنازل السالكين
انما ينتظم من ثلثة امور معارف واحوال واعمال فالمعارف هي الاصول فهي تورث الاحوال والاحوال
تثمر الاعمال فالمعارف كالاشجار والاحوال كالاغصان والاعمال كالثمار وما يحويه لاجل ان اصناف السالك
النعم الدنيوية اما نافع في الدنيا والاخرة كالطاعات والمباحات واما ضار فيهما كالمعاصي والسيئات وفيهما اي
النافع والضار الشكر للعبد بالاضافة الى ما ينفعه والصبر بالنسبة الى ما يضره وهما لا يحصلان الا بتلك
الاحوال فهما نصفان لتلك الاحوال باعتبار ما ذكر من الاقوال ولابد للعبد منه اي من الصبر لابتناء العبادة
عليه اي على الصبر من الصلوة وسائر ابواب السعادة فالدخول فيها اى في العبادة يمنع النفس لتكميلها ونفعها
والاتمام اي اتمام العبادة بعد الدخول فيها اشد من دخولها في باب الارادة والقمع والاتمام انما يتاتى
بالصبر في المقام ولان الدنيا دار محنة لمن كان في الدنيا فلابد له من الابتلاء بشدائدها ومصائبها و
الصبر على جميع مراتبها لتحصل العبادة ومنافعها والجزع شاغل عن العبادة التي هي غاية المحنة ولان
طالب الاخرة اشد ابتلاء لورود اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء كالعلماء فالامثل فالامثل كالصلحاء
رواه الترمذي وقال حسن صحيح وصححه ابن حبان والحاكم لكنه بدون لفظ الاولياء وقد قسم عم
مرة مالا فقال بعض الاعراب من المسلمين هذه قسمة ما اريد بها وجه الله فاخبر عم فاحمرت

تم الاستلاح

وجناه ثم قال عم رحم الله اخي موسى قد اوذي باكثر من هذا فصبر متفق عليه من حديث ابن مسعود و
قال عم صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك وقد تقدم وقال عيسى عم لقد قيل لكم من قبل
يعني في التورية ان السن بالسن والعين بالعين والانف بالانف وانا اقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل
من ضرب خدك الايسر فحول له خدك الايمن ومن اخذ رداءك فاعط ازارك ومن سخرك لتسير
معه ميلا فسر معه ميلين انتهى ولا يخفى ان عيسى عم كان مظهر الجمال كما ان موسى عم مظهر الجلال
ونبينا صلى الله عليه وسلم مظهر الكمال المقتضي الجلال والجمال فاحكامه في غاية الاعتدال والله سبحانه اعلم
بحقائق الاحوال وهو اي الصبر عن الحرام واجب اى فرض لازم وعن المكروه اي كراهة تنزيه نفل
بل مستحب واما عن المكروه كراهة تحريمية فواجب وعن فضول المباح زيادة فضيلة وحزم وفي الاحياء
ان الصبر ينقسم ايضا باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم فالصبر عن المحظورات فرض وعن المكاره
نفل والصبر على الاذى المحظور محظور كما يقطع يده او يد ولده وهو يصبر عليه ساكتا وكمن يقصد
حريمه بشهوة محظورة فيهيج غيرته فيصبر عن اظهار الغيرة ويسكت على ما يجري على اهله فهذا الصبر
محرم والصبر على المكروه هو الصبر على اذى ينال بجهته مكروهة في الشرع فليكن الشرع محك الصبر الذي
هو نصف الايمان ولا ينبغي ان يخيل اليك ان جميعه محمود بل المراد به انواع الصبر مخصوصة ثم هو الصبر
في النعم الدنيوية انما يحصل بترك الميل اليها ويعرف بترك ارتكاب المحرم والمكروه في تحصيلها ورعاية
حقه تعالى فيها بصرفها الى الطاعة وعبادته وهو الشكر اي كل وجه فلا يتحد الصبر والشكر كما قيل ثم اعلم ان جميع
ما يلقى العبد في هذه الحيوة الدنيا لا يخلو من نوعين احدهما ما يوافق هواه والاخر لا يوافقه بل يكرهه و
هو محتاج الى الصبر في كل واحد منهما والنوع الاول اصعبهما فانه يوافق هوى نفسه من الصحة والسلامة والمال و
الجاه وكثرة العشيرة واتساع المعيشة وكثرة الاتباع والانصار وجميع ملاذ الدنيا وما احوج العبد الى الصبر
على هذه الامور فانه لم يضبط نفسه عن الاسترسال فيها والركون اليها والانهماك في اللذات المباحة منها اخرجه
ذلك الى البطر والطغيان وجره الى انواع من العصيان كما قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى
وقال بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعافية لا يصبر عليها الا صديق ولما فتحت اموال الدنيا على
الصحابة قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر وقال عم الولد مبخلة محزنة رواه
ابو يعلى الموصلي من حديث ابي سعيد واصحاب السنن من حديث بريدة باسناد حسن انه عم لما نظر الى ابنه
الحسن او الحسين رضي الله عنهما يتعثر في قميصه نزل عن المنبر فاحتضنه ثم قال صدق الله انما اموالكم واولادكم
فتنة اني لما رايت ابني يتعثر لم املك نفسي ان اخذته ففي ذلك عبرة لاولي الابصار والصبر في الطاعة
اي العبادة بصون النية اى بحفظها عن السمعة والرياء في حالة الابتداء والاداء اي وبصون
اداء العمل من غير الاخلاص او عن الغفلة ودواعي الفترة في الاثناء والثواب اي وبصون

عن الافشاء حال الالم فالثلثة مذكورة بطريق اللف وبمقابلتها مسطورة على وجه النشر حيث
قال عن الرياء وفي معناه السمعة وترك الفخر في الملاء والتكاسل اي وعن التثاقل في الاعضاء والافشاء بالاملاء
في الملاء وغيرها من العجب والغرور والندامة عن الطاعة ورؤية الحول والقوة والامن من مكر الله و
استدراجه وعدم خوف الخاتمة ولعل المراد بقوله تعالى نعم اجر العاملين الذين صبروا اي على تصحيح
النية وعلى تمام العمل والخلاص عن الآفات والصبر في المعصية المبتلى بها بالرياضة اي برياضة النفس
في مخالفة هويها والصبر في مصيبة من شانها انها يمكن المجازاة اي يمكن فيها المكافاة بالتحمل اي الحلم والعفو
بترك المكافاة اي المجازاة ولو بالمماثلة في المعاقبة فيما لا يمكن سببه وفيما يمكن ضربه ومنه قوله تعالى وان
عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى و
اصلح فاجره على الله وقد قال بعض الصحابة ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى وقال تعالى
حكاية عن الانبياء ولنصبرن على ما اذيتمونا وقال تعالى ودع اذيهم وتوكل على الله وقال واصبر على
ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وقال ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون وقال ولتسمعن من
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم
الامور وفي غيرها اي وفي مصيبة غير ممكن المجازاة بترك الجزع والفزع والشكاية الى الخلق واستمرار العادة
اي باستقرارها على حالها في الطعام واللباس وكذا الكلام مع الناس وقد قيل ان الصبر هو ان لا يعرف
من صاحب المصيبة اذ يتبين غيره وقال داود عم ما جزاء الحزين يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك قال
جزاؤه ان البسه لباس الايمان فلا انزعه عنه ابدا وقال نبينا عليه السلام من اجلال الله ومعرفة حقه
ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك ذكره في الاحياء وقال مخرجه لم اجده مرفوعا انما رواه ابن ابي
الدنيا رواية سفيان عن بعض الفقهاء قال من الصبر ان لا تتحدث بمصيبتك ولا بوجعك انتهى وقد قيل
من كنوز البر كتمان المصائب والاوجاع والصدقة وفي الاثر ان ثواب الصبر على المصيبة اكثر مما فات
فاذن مجاري الصبر ثلثة الطاعة والمصيبة والبلية من جهة الخلق والخالق اما التالم اي الحزن للقلب
وجريان الدمع من العين فلا ينافيه اي الصبر لعدم الدخول تحت الاختيار بل هما مستحبان لما ورد عن سيد
الابرار انه بكى عند موت ولده وقال القلب يحزن والعين تدمع وانا على فراقك يا ابراهيم لمحزونون
رواه الشيخان من حديث انس والكمال اي كمال الصبر ترك ما يشغل عنه اي عن الله تعالى من امور الدنيا
فمن غفل عن الله ولو في لحظة فليس له في تلك اللحظة قرين الا الشيطان قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن
الآية وعن الحسين بن منصور الحلاج حين كان يصلب وقد سئل عن التصوف فقيل ما هو قال هي نفسك
ان لم تشغلها شغلتك وجاء في الاثر عن ابن عباس الصبر على الفرايض اي اداءها ثلثمائة درجة اي
بالنسبة الى الصبر على اداء النوافل وعن المحارم ستمائة لانه اصعب على النفس ثان في فعل الطاعة

نوعا

نوعا من اللذة زيادة على لذة ترك المعصية وفي المصيبة عند الصدمة الاولى اي قوتها و
شدتها وحدتها تسعمائة لانه اقوى واشق على النفس فلابن ابي الدنيا في كتاب محاسبة النفس عن
عمر بن عبد العزيز افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس وللحديث الذي في المتن رواه ابن ابي الدنيا
في الصبر وابو الشيخ في الثواب عن علي مرفوعا بلفظ الصبر ثلثة فصبر على المصيبة وصبر على الطاعة و
صبر عن المعصية فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلثمائة درجة ما بين
الدرجتين كما بين السماء والارض ومن صبر على الطاعة كتب الله ستمائة درجة ما بين الدرجتين
كما بين تخوم الارضين الى منتهى الارضين ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين
الدرجتين كما بين تخوم الارضين الى منتهى العرش فالحديث يدل على ان الصبر عن المعصية افضل الانواع
ويؤيده ما سبق من اثر عمر رض حيث قال الصبر في المصيبات حسن وافضل منه الصبر عما حرم الله واما
الصبر عند الصدمة الاولى فلحديث رواه البزار وابو يعلى عن ابي هريرة مرفوعا وفي رواية البزار
عن ابن عباس الصبر عند الصدمة الاولى وفي رواية البخاري في تاريخه عن انس الصبر عند صدمة
الاولى والطريق في تحصيل الصبر بعد التوفيق ثلثة منها تضعيف باعث الهوى اي تقليله بالرياضة
الكثيرة بان يقوي داعي الهدى ويفتر داعي الهوى فلا يبقى لها قوة المنازعة في الامتناع عن الطاعة
بحسب الاستطاعة وعند هذا يقال من صبر ظفر والواصلون الى هذه الرتبة هم الاقلون فلا جرم هم
الصديقون والمقربون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فهؤلاء لزموا الطريق المستقيم واستووا
على الصراط القويم واما من يغلب عليه دواعي الهوى ويضعف عنده باعث الهدى فهؤلاء هم الغافلون وهم
الاكثرون وهم الذين استرقتهم شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم وهم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة
فخسرت صفقتهم وما ربحت تجارتهم وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالاماني وهي غاية
الحمق كما قال عم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى
وفي رواية العاجز بدل الاحمق كما رواه احمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن شداد بن اوس ومعنى
دان نفسه حاسبها قاله الترمذي وغيره من العلماء واما من يغلب عليه باعث الهدى تارة وداعي الهوى
اخرى فهذا من المجاهدين الذين قيل فيهم واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى
الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم واما التاركون المجاهدة فيشبهون بالانعام حيث قال تعالى
ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وقال بعض الشعراء • دع المكارم لا ترحل لبغيتها •
واقعد فانك انت الطاعم الكاسي • وقد قال تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل اذ البهيمة لم يخلق لها المعرفة
والقدرة التي بها يجاهد مقتضى الشهوة وهذا قد خلق له وعطله فهو الناقص حقا والمدبر يقينا و
صدقا ولذا قيل شعر • ولم ار في عيوب الناس عيبا • كنقص القادرين على التمام • وهو مقتبس من قوله تعالى

اشد الناس حسرة يوم القيمة رجل امكنه طلب العلم في الدنيا فلم يطلبه و رجل علم علما فانتفع به دونه
رواه ابن عساكر واما من علم وعمل وعلم فيدعى في الملكوت عظيما كما قال عيسى عم ومنها ذكر قلة قدر
الشدة في مخالفة النفس حال المجاهدة لان شدايد الدنيا واهوالها سهل بالنسبة الى شدايد الاخرة
واهوالها و وقتها اى وذكر قلة وقت الشدة كما يشير اليه قوله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا
ساعة من نهار ولذا قيل الدنيا ساعة فاجعلها طاعة واضرار الجوع اي وذكر اضرار الجوع
والفزع من غير حصول الدفع والنفع ومنها تقوية عزم الدين بذكر فضل المجاهدة الواردة في
الكتاب والسنة في حق المجاهدين والمجتهدين من قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
ولقوله فضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله
غفورا رحيما وقوله عم المجاهد من جاهد هواه رواه النسائي ورجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد
الاكبر وقد تقدم ثم ان كان الصبر والتحمل اذ لك الثبات والتحمل حاصلا بتعب قوي اي شديد وجهد
جهيد فتصبر اي فيقال له فتصبر لان صاحبه متكلف في الصبر كما يقال زاهد ومتزهد وصوفي ومتصوف
وان كان ماذكر واقعا يسيرا اي بتعب يسير وبغير عسير فصبر اي فيختص باسم الصبر فاذا دام التقوي
وقوي التصديق بما في العاقبة من الحسنى فيتيسره الصبر بالوجه الاسنى قال تعالى فاما من اعطى واتقى
وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وان كان الصبر دون جهد اي من غير تعب فرضي اي فهو رضي بما يفعل
المولى وورد اعبد الله على الرضا فان الرضا بالقضاء باب الله الاعظم فان لم تستطع على عبادة
في مقام الرضا من غير جهد البلاء ففي الصبر على ما تكره بمقتضى البشرية خير كثير في امور الدنيوية و
الاخروية فاعبده على الصبر فان ما لا يدرك كله لا يترك كله والحديث رواه الترمذي من حديث ابن
عباس وقال ابو سليمان والله ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما نكره وان كان الصبر على البلاء بتلذذ
كتلذذ النعماء فشكر اى فشكر ينشأ عن كمال المحبة والصدق وغاية الرضا عن الحق فقد قال بعض
العارفين اهل الصبر على ثلث مقامات الاولى ترك الشكوى وهذه درجة التائبين والثانية الرضاء
بالمقدور وهذه درجة الزاهدين والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين
وهو اي التلذذ بالبلاء انما يكون بستة اشياء بالغيبة عن حظوظ النفس ولذات الهوى والشهود
اي وبالحضور معه تعالى ليلا ونهارا كما ورد عنه عم انه قال اني ابيت عند ربي اي حاضر الدرجة كالواقف
بين يديه يطعمني هواي ايعزه ويسقيني اي يغنيني عن الطعام والشراب ويقويني بدلهما يتلذذ به
الاحباب فلم اجد الم الجوع والعطش لفناء حظوظ نفسي وشهود قلبي مع ربي فهذا المعنى يصلح ان يكون
استيفاء علة لمنع الاصحاب عن الوصال بدون ارتكاب الاسباب واما ما قيل من ان المعنى يطعمني ويسقيني
من طعام الجنة وشرابها فلا يصلح ان يكون علة لمنعهم كما لا يخفى على اولي الالباب وعدم التمييز اي وبعدم

الفرق بين الالم واللذة الطبيعيين ولقد قال بعض المحبين شعر فليس لي في سواك حظ فكيف ما شئت
فاختبرني لكن لما كان في هذا شائبة من الدعوى ابتلي بنوع من البلوى كما في حديث حارثة ما ابالي على اي
الحالين اي المقامين وقعت اي سقطت وثبت على غنى او فقر وكذا صحة او مرض وكذا وصل او هجر وقيل
الفقر بلاء ومحنة والغنى هم ومشقة وكل ذلك قادح في كمال الرضا والمحبة بل ينبغي ان يفوض التدبير
لمالكها ويسلم الامر الى صاحبها وسيدها ويقول ما قال عمر رض لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري
ايهما خير لي وفيه اشارة الى قوله تعالى ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا
والى الحديث القدسي ان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ومنهم من لا يصلحه الا الغنى الحديث وقال عز وجل
عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون فالتسليم اسلم
والله اعلم والاعلى اى اعلى مراتب الصبر من التلذذ بالبلاء الذي هو الشكر بالنسبة الى عدم التمييز كما اهل
الشكر التمييز بين النفع والضر والحلو والمر واحتمال الالم في موافقته تعالى حيث جعله مختارا والالتذاذ
به اي بالالم فهو الكامل كما ورد عنه عم انه لما خير بين الدنيا وتركها بان يكون ملكا نبيا او عبدا نبيا
فقال اختار ان اكون عبدا نبيا وفي رواية زيادة اجوع يوما واشبع يوما فاشكر ليفوز بالمقامين وجمع
بين الامرين لانه كان في غاية من الكمال فاخذ ما يقتضيه الجلال ويستدعيه الجلال وجاء في الخبر اي يا قوم
حبذا المكروهان اى نعم المكروهان في طبع الانسان وهما سببا مزيد الاحسان الموت على الايمان والفقر المقرون
برضى الرحمن رواه ابن ابي الدنيا وغيره واخرج احمد وسعيد بن منصور في سننه بسند صحيح عن محمود بن
لبيد ان النبي عم قال اثنتان يكرههما ابن ادم يكره الموت والموت خير له من الفتنة ويكره قلة المال اقل
للحساب ثم الرضاء ترك الاعتراض بالقلب في جميع انواع القضاء فلا يقول لحادث لم يحدث لكان اولى او لو
حدث في هذا الموضع كان احسن واعلى اذ ليس في الامكان ابدع مما كان كما في الاحياء واعترض عليه من لم يفهم
معناه من العلماء وقيل ترك التسخط اى الكراهة وهو ضد الرضا والرضاء غاية الغايات ونهاية العنايات
ففي الحديث ان الله يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاك ويؤيده قوله تعالى ورضوان من
الله اكبر اي من النعيم الذي هم فيه فهذا افضل رضى الله وهو ثمرة رضى العبد كما يشير اليه قوله تعالى
رضي الله عنهم اولا ورضوا عنه اخرا ولا بد للعبد منه اى من الرضا عن الله تعالى للاربعة اشياء و
للفراغ اى فراغ الخاطر للعبادة وقد ورد نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ والتخلي
اى وللتحافظ عن هموم الدنيا بالقلب والتعب وعن هموم النصب بالبدن والقالب فيها اي في
الدنيا وقد ورد من جعل الهموم هما واحدا هم الاخرة كفاه الله هم الدنيا والاخرى وغضبه اي وللتحامي
عن غضبه تعالى ورد في الحديث القدسي والكلام الانسي من لم يرض بقضائي في احكام ادمي و
سمائي ولم يصبر على بلائي اي ابتلائي في سرائي وضرائي وفي رواية زيادة ولم يشكر على نعمائي

فليطلب ربا سواي اي غيري وما عندي من اعدائي وروي انه عم سال طائفة من اصحابه الكرام فقال ما انتم
فقالوا مومنون فقال ما علامة ايمانكم قالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء
فقال مومنون ورب الكعبة وفي لفظ اخر انه قال حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء في
مناجات موسى عم قال يارب اي خلقك احب اليك قال من اذا اخذت منه محبوبه سالمني قال فاي
خلقك انت ساخط عليه قال من يستخيرني في الامر فاذا قضيت له سخط قضائي وفي الخبر قدرت المقادير
ودبرت التدابير فمن رضي فله الرضاء مني حتى يلقاني ومن سخط فله السخط مني حتى يلقاني وفي الخبر المشهور
يقول الله تعالى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريت الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر
واجريت الشر على يديه وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف ومن الاخبار السالفة ان نبيا من الانبياء شكى
الى الله تعالى الجوع والفقر والقمل عشر سنين فما اجيب الى ما اراد ثم اوحى الله اليه كم تشكو هكذا
كان بدوك عندي في ام الكتاب قبل ان اخلق السموات والارض وهكذا سبق لك مني وهكذا قضيت
عليك قبل ان اخلق الدنيا افتريد ان اعيد خلق الدنيا من اجلك ام تريد ان ابدل ما قدرت عليك
فيكون ما تحب فوق ما احب ويكون ما تريد فوق ما اريد وعزتي وجلالي لئن تلجلج هذا في صدرك مرة
اخرى لامحونك من ديوان النبوة وروي ان الله تعالى اوحى الى داود تريد واريد وانما يكون ما اريد
فان سلمت لما اريد كفيتك ما تريد وان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد ولله
در من قال من اهل المزيد شعر تريد النفس ان تلقى مناها ويابى الله الا ما يريد وتحصيل رضوا
اي وتحصيل رضاء الله عنه هو في التنزيل رضي الله عنهم ورضوا عنه فعلامة رضى العبد عن الله
رضاء الله عنه او بالعكس وهو الاولى لذكر رضي الله في المرتبة الاولى وسبق رضاه في الازل الاعلى
وقد سئل الفضيل عن الصبر فقال هو الرضاء بقضاء الله قيل وكيف ذلك قال الراضي لا يتمنى فوق
منزلته وقال داود لسليمان عم يستدل على تقوى المومن بثلث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضاء
فيما قد نال وحسن الصبر فيما قد فات وروي عن بعضهم قال مررت على سالم مولى ابي حذيفة في
القتلى وبه رمق فقلت له اسقيك ماء فقال جرني قليلا الى الاعداء واجعل الماء في الترس فاني
صائم فان عشت الى الليل شربته وفي الخبر طوبى لمن هدي للاسلام وكان رزقه كفافا ورضي به
وفي خبر آخر من رضي من الله القليل من الرزق رضي الله عنه بالقليل من العمل والترمذي من سعادة
ابن ادم رضاه بما قسم الله وفي خبر آخر ارض بما قسم الله لك تكن اغنى الناس وفي اخبار موسى عم ان بني
اسرائيل قالوا له سل لنا ربك امرا اذا نحن فعلناه يرضى به عنا فقال موسى الهي قد سمعت ما قالوا
فقال يا موسى قل لهم يرضون عني حتى ارضى عنهم ويشهد لهذا ما روي عن نبينا عم انه قال من احب
ان يعلم ما له عند الله فلينظر ما لله عز وجل عنده فان الله ينزل العبد منه حيث انزله العبد من نفسه وفي

وفي اخبار

وفي اخبار داود عم ما لاوليائي والهم بالدنيا ان الهم بالدنيا يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم
يا داود ان علامة محبتي من اوليائي ان يكونوا روحانيين لا يغتمون وروي ان موسى عم قال يارب
دلني على امر فيه رضاك حتى اعمله فاوحى الله اليه ان رضائي في كرهك وانت لا تصبر على ما تكره قال
يارب دلني عليه فقال ان رضائي في رضاك بقضائي وعن عمر بن عبد العزيز ما بقي لي سرور
الا في مواقع القدر وقيل له ما تشتهي قال ما يقضي الله تعالى والسبب لرضاء العبد بما يفعل الرب
شيئان احدهما ادهاش غلبة الحب اي اغمائها واقفالها عن الاحساس بالالم في المحن وهو الهاكما
للعاشق بالدنيا والحريص في جميع مالها واحوالها وكان سهل به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل
له في ذلك يا دوست ضرب الحبيب لا يوجع وقال الجنيد سالت سريا السقطي هل يجد المحب الم البلاء قال لا
قلت وان ضرب بالسيف سبعين ضربة على ضربة وقال بعضهم احببت كل شيء يحبه حتى لو احببت النار احببت
دخولها وقال بشر بن الحارث مررت برجل وقد ضرب الف فقال الاني عاشق فقلت ولم سكت فقال
لان معشوقي كان بحذائي ينظر الي قلت ولو نظرت الى المعشوق الاكبر فزعق زعقة وخر ميتا وقال
يحيى بن معاذ الرازي اذا نظر اهل الجنة الى الله سبحانه وتعالى ذهبت عيونهم في قلوبهم في لذة النظر
الى الله تعالى ثمانمائة سنة لا يرجع اليهم فما ظنك بقلوب وقعت بين جلاله وجماله اذا لاحظوا جلاله
هابوا واذا لاحظوا جماله تاهوا وقال بشر قصدت عبادان في بدايتي فاذا انا برجل اعمى مجذوم مجنون
قد صرع والنمل ياكل لحمه فرفعت راسه فوضعته في حجري فلما افاق قال من هذا الفضولي الذي دخل
بيني وبين ربي لو قطعني اربا اربا ما ازددت له الا حبا قال بشر فرايت بعد ذلك نقمة بين عبد وبين
ربه فانكرتها وروي ان يونس عم قال لجبريل عم دلني على اعبد اهل الارض فدله على رجل قد قطع
الجذام يديه ورجليه وذهب سمعه وبصره وهو يقول الهي متعني بهما ما شئت وسلبتني ما شئت وابقيت
لي فيك الامل يا بر يا وصول وروي ان عيسى عم مر برجل اعمى ابرص مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر
لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى عم يا هذا اي شيء في
البلاء اراه مصروفا عنك فقال يا روح الله انا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته فقال
صدقت هات يدك فناوله يده فاذا هو احسن الناس وجها وافضلهم هيئة قد اذهب الله عنه ما كان به
صحب عيسى وتعبد معه وقطع عروة بن الزبير رجله من ركبته من آكلة خرجت بها ثم قال الحمد لله الذي
اخذ مني واحدة وابقى اخرى لئن كنت ابليت لقد عافيت ثم لم يدع ورده تلك الليلة وقال ابو
سليمان الداراني قد نلت من كل مقام حالا الا الرضا فما لي منه الا مشام الريح وعلى ذلك لو ادخل
الخلايق كلهم الجنة وادخلني النار راضيا ولما قدم سعد بن ابي وقاص مكة وقد كان كف بصره
جاءه الناس يهرعون اليه كل واحد يسالة ان يدعو له فيدعو لهذا ولهذا وكان مجاب الدعوة قال

اهل السلف في رضاء الله وعشقه وابتلاءهم

قال عبد الله بن السائب فاتيته وانا غلام تشوقاً اليه فعرفني وقال انت قارئ اهل مكة قلت نعم فذكر
قصة قال في آخرها فقلت له يا عم انت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك فتبسم
و قال يا بني قضاء الله عندي احسن من بصري وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض لكان احب
الي من ان اقول لشيء قضاه الله ليته لم يقضه والعلم اي وثانيهما المعرفة بشيئين بجزالة الثواب اي
عظمته وكثرته يوم الحساب فقد قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقد ينال الجزاء في الدنيا
ايضاً قبل العقبى كما روي ان الرميصاء ام سليم انها قالت توفي ابن لي وكان زوجي ابو طلحة غائباً
فقمت فسجيته في ناحية البيت فقدم ابو طلحة فقمت فهيأت له افطاره فجعل يأكل فقال كيف الصبي فقلت
في احسن حال بحمد الله ومنه فانه لم يكن منذ اشتكى خيراً منه الليلة ثم تصنعت له باحسن ما كنت اتصنع من
قبل ذلك حتى اصاب مني حاجته ثم قلت الا تعجب من جيراننا فقال وما لهم فقلت اعيروا عارية فلما
طلبت منهم واسترجعت جزعوا فقال بئس ما صنعوا فقلت هذا ابنك كان عارية من الله تعالى فان الله
قبضه اليه فحمد الله واثنى عليه واسترجع ثم غدا على رسول الله صلى الله ع م فاخبره فقال ع م اللهم
بارك لهم في ليلتهم قال الراوي فلقد رأيت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرأ القرآن رواه
الطبراني في الكبير ومن طريقه ابو نعيم في الحلية والقصة في الصحيحين من حديث انس مع اختلاف وللنسائي
في الكبرى باسناد صحيح من حديث جابر دخلت الجنة فاذا انا بالرميصاء امرأة ابي طلحة فقد روي ان امرأة فتح
الموصلي عثرت فقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبي حرارة
وجعه وعذابه وقد ورد في الترمذي وغيره حديث هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت وقال
شقيق من يرى ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها ولله در القائل ان كان سركم ما قال حاسدها
فما لجرح اذا ارضاكم الم كالمريض والتاجر المسافر للمتحملين شدة الحجامة رجاء الصحة والسفر اي وطمعه
طمعاً للزيادة وبانه تعالى في كل صنع حكمة كما قال تعالى صنع الله الذي اتقن كل شيء وقال صبغة الله
ومن احسن صبغة بل حكماً كثيرة يتعجب الزاهد الغافل عن السر اي تلك الحكم في تلك الصنعة وما يترتب
عليها من الحكمة كما في قصة موسى والخضر عليهما السلام وما وقع بينهما من الملام والكلام في تحقيق المقام
وتدقيق المرام ولا يرد التناقض بينه اي بين الرضاء بالقضاء فقد ورد في الدعاء اللهم اني اسألك
الرضاء بالقضاء وبين بغض المعصية الواقعة بحكم القضاء لان الرضاء انما هو بالقضاء الذي هو فعل
الرب وخلقه والمعصية مقضية على العبد صادرة عن فعله وكسبه ولو كان بتقدير الرب وحكمه ولان
قضاء الشر ليس بشر انما الشر هو المقضي فلا يكون الرضاء بالشر وبهذا يتحقق معنى خبر الخير كله بيديك
والشر ليس اليك ولان الرضاء بالقضاء من حيث انه مقضي لا ينافي ايضاً البغض للمعصية من حيث انه
معصية فالحيثية اذا كانت مختلفة تصير الامور المختلفة كلها مؤتلفة كالولد العاق يحب من حيثية

الولدية

الولدية ويبغض من جهة العقوقية وهو الرضاء بالقضاء لا يوجب ترك الاسباب اي اسباب البقاء وغيره
من الابواب وتحقيقه اي تحقيق ترك الاسباب يأتي في التوكل الموضوع لهذا الباب ولا الدعاء اي ولا يوجب
الرضاء ترك الدعاء لقوله تعالى ويدعوننا رغباً ورهباً وثبت انواع من الدعاء عن سيد الانبياء ع م انه
في اعلى مقامات الرضاء بشرط الصلاح قلباً ولو لم يشترط لساناً فزد اللهم زدنا في اللبن اللهم ارزقنا
خيراً منه في غيره والحديث رواه الترمذي في الشمائل عن ابن عباس انه ع م قال من اطعمه الله طعاماً فليقل
اللهم بارك لنا فيه واطعمنا خيراً منه ومن سقاه الله لبناً فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه وقال ع م
ليس شيء يجزي مكان الطعام والشراب غير اللبن هذا وقد قال ميمون بن مهران من لم يرض بالقضاء فليس
لحمقه دواء وقال الفضيل ان لم تصبر على تقدير الله فلم تصبر على تقدير نفسك وقال عبد العزيز بن ابي
داود ليس الشأن في اكل خبز الشعير والخل ولا في لبس الصوف والشعر ولكن الشأن في الرضاء بالقضاء و
القدر وقال عبد الله بن مسعود لان الحس جمرة احرقت ما احرقت وابقت ما ابقت احب الي من ان اقول
لشيء كان ليته لم يكن او لشيء لم يكن ليته كان ونظر رجل الى قرحة في رجل محمد بن واسع فقال اني لارحمك
من هذه القرحة فقال اني لاشكرها منذ خرجت اذ لم تخرج في عيني وقال الثوري يوماً عند رابعة
العدوية اللهم ارض عنا فقالت اما تستحيي من الله ان تسأله الرضاء وانت عنه غير راض فقال استغفر الله
فقال جعفر بن سليمان متى يكون العبد راضياً عن الله قالت اذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة
وعن الفضيل اذا استوى عنده المنع والعطاء فقد رضي عن الله تعالى وعن احمد بن ابي الحواري قال ابو سليمان
الداراني ان الله من كرمه قد رضي من عبيده بما رضي به العبيد من مواليهم قلت كيف ذلك قال اليس مراد العبد
من الخلق ان يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فان محبة الله من عبيده ان يرضوا عنه وقال بعض السلف من
حسن الرضاء بالقضاء ان لا يقول هذا يوم حار وبارد في معرض الشكاية وقول القائل الفقر بلاء و
محنة والعيال هم وتعب والاحتراف كد ومشقة كل ذلك قادح في كمال الرضاء بالقضاء فعن عمر رضي
لان اصبحت غنياً او فقيراً فاني لا ادري ايهما خير لي وعن ابن مسعود انه قال الفقر والغنى مطيتان لا
ابالي ايهما ركبت ان كان الفقر ففيه الصبر وان كان الغنى ففيه البذل وانما لم يقل ففيه الشكر ايماء الى ان
الفقر افضل من الغنى واشارة الى ان الغنى من غير البذل مذموم عند اهل الفضل والعدل هذا
وقد اختلف العلماء في الافضل اهل مقامات ثلاثة رجل يحب الموت شوقاً الى الله تعالى ورجل يحب البقاء
لخدمة المولى ورجل قال لا اختار شيئاً وارضى بما يختاره الله لي ورفعت هذه المسألة الى بعض
العارفين فقال صاحب الرضاء افضل لانه اقلهم فضولاً واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد و
سفيان الثوري ويوسف بن اسباط فقال سفيان الثوري كنت اكره موت الفجاءة قبل اليوم و
اليوم وددت اني مت فقال له يوسف لم قال لما اتخوف من الفتنة فقال يوسف لكني لا اكره طول البقاء

فقد سعد ان لم قال العتبي اصابت يوما التوبة فيه زاعمر اصالحا او اتاه وهيب اي شي تقول قال انا لا اختار
شيئا احب ذلك الي الله احبه الي فقبل الثوري بين عينيه فقال روحانية ورب الكعبة ويؤيده
الدعاء المأثور اللهم احيني ما كانت الحيوة خيرا لي واجعل الحيوة زيادة لي في كل خير واجعل الموت
راحة لي من كل شر ثم الشكر يجمع ثلثة اشياء عرفان النعمة من المنعم وهذا علم يصدر عن اعتقاد ان كل
ما في العالم موجود فهو من الله مشهود كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وفي دعائه عم اللهم ما اصبح بي
من نعمة او باحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر والفرح به اي بالمنعم الحاصل
بالانعام لا بنفس النعمة من حيث ذاتها الادنى بل من حيث انها وسيلة الى القرب مع الوط والنظر الى وجهه الاعلى
فهذه هو الرتبة العليا وعلامته ان لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة للاخرى ويحزن بكل نعمة تلهيه عن
طريق الهدى وهذا حال واستعمالها اي صرف النعمة في طاعته اي طاعة دون معصية للمنعم وهذا عمل وقال
الشبلي الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة وقال الجنيد الشكر ان لا ترى نفسك اهلا للنعمة وقال الخواص
شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات القلوب وفي رتبة لا يدركها كل من انحصرت همته
اللذات في البطن والفرج وسائر الشهوات ومدركات الحواس من الالوان والاصوات وخلي عن لذة القلب وما
يرد عليه من الواردات فان القلب السليم لا يلتذ في حالة من الصحة القديم الا بذكر الله ومعرفته من حيث الذات
والصفات وانما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين ويختاره على السكنجبين
وكما يستبشع بعض المريض الاشياء الحلوة ويستحلي الاشياء المرة حتى قيل شعر ومن يك ذا فم مر مريض
يجد مرا به الماء الزلالا ولا بد للعبد منه اي من الشكر لاستدامة النعمة اي لطلب دوام النعمة وبقائها
فورد في التنزيل وكفرت صوابه فكفرت كما في نسخة وصدد الاية وضرب الله مثلا قرية اي مكة كانت
كانت امنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا اي واسعا من كل مكان فكفرت اي اهلها بانعم الله اي بتكذيب رسوله
فاذاقها الله لباس الجوع اي القحط سبع سنين والخوف اي الرعب من المسلمين بما كانوا يصنعون واذا
وورد في الحديث ان النعم اوابد اي وحشيات منفرات كصيود وشوارد فقيدوها بالشكر رواه وقد قيل
الشكر قيد النعم الموجودة وصيد النعم المفقودة كما يشير اليه قوله تعالى واستزادتها اي ولطلب زيادة
النعمة فورد في التنزيل ولئن شكرتم لازيدنكم وتمامه ولئن كفرتم ان عذابي لشديد والذين اهتدوا
بالايمان وترك الكفر واداء الشكر زادهم هدى اي هداية على هدايتهم وعناية على عنايتهم ثم اعلم
ان لكل عضو من القلب واللسان وسائر الجوارح والاركان شكرا يليق به من عمل الطاعة وترك المعصية
واعظمها شكر الجنان واظهرها شكر اللسان وقد قال عم لرجل كيف اصبحت فقال بخير فاعاد عم
السؤال حتى قال في الثالثة بخير احمد الله واشكره فقال عم هو الذي اردت منك رواه الطبراني في الدعاء
من رواية فضل بن عمرو مرفوعا وهذا معضل وفي المعجم الكبير من حديث عبد الله بن عمرو وليس فيه

تكرار

تكرار السؤال وقال احمد الله ثلثا وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر ليكون الشاكر ثم
مطيعا والمستنطق له به مطيعا فكل عبد يسأل عن حاله فهو بين ان يشكر وبين ان يشكو فالشكر طاعة
محبة والشكوى معصية قبيحة وكيف لا يقبح الشكوى من المولى وهو ملك الملوك وبيده كل شيء الى عبد مملوك
لا يقدر على شيء فالاحرى بالعبد انه لم يصبر على البلوى ويفضيه الضعف الى الشكوى ان يكون شكواه
الى المولى فهذا بلي وهو القادر على ازالة البلاء وذل العبد لمولاه عز والشكوى الى غيره ذل واظهار
الذل للعبد مع كونه عبدا مثله ذل قبيح قال الله تعالى ان الذين يعبدون من دون الله لا يملكون
لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون وقد روي ان وفدا قدموا
على عمر بن عبد العزيز فقام شاب يتكلم فقال عمر الكبر الكبر فقال يا امير المؤمنين لو كان الامر بالسن لكان
في المسلمين من هو اكبر منك فقال تكلم فقال لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة اما الرغبة فقد اوصلها
الينا فضلك واما الرهبة فقد امننا منها عدلك وانما نحن وفد الشكر جئنا نشكرك باللسان وننصرف
ايضا مما يدل على تحقيق وجوب الشكر على العبد من جهة العقل مع قطع النظر من النقل مثال فهو ان
يقال اذا ارسل ملك عظيم فرسا وثوبا وزادا الى عبد بعيد عن قربه يجيء اليه لكمال انبساطه عليه
وينال حظ القربة اي ويلقى حظ قرب الملك اليه مع استغناء الملك عنه وكمال احتياج العبد منه
فاستعمل الفرس والزاد في البعد عنه اي عن حكمه وفي سفر المخالفة من قربه او اهمل امره ونسي قدره
وجلس في محله ولم يستعمل لا في قربه ولا في بعده او مكث اي او اذا قدر عبدا على بساط القربة و
امكنه من الانبساط في نشاط عدم الكربة فاستغل العبد عن خدمته اي عن خدمة الملك وعن الملاقات
الى حضرته ملتفتا الى الخسيس خرقة من ديباج وكاس وسلس دابة يسألها اي يطلب العبد عن ذلك
الخسيس كسرة رغيف باظهار فاقته وحرقته في حضرة الملك وصحبته فلا شك ان كلا منهما يستحق المقت
اي كمال الغضب ويقتضي سلب النعمة وجلب النقمة وادامة العقوبة والطرد عن الخدمة والبعد عن الحضرة
وتوضيح ما في الاحياء ان الانبياء عليهم السلام بعثوا الدعوة الخلق الى كمال توحيد الحق ولكن بينهم
وبين الوصول اليه تعالى مسافة بعيدة وعقبات شديدة وانما الشرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة
وقطع تلك العقبات الشاقة ويمكنك ان تفهم بمثال وهو ان ملكا من الملوك ارسل الى عبد قد بعد
عنه مركوبا وملبوسا ونقدا للاجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد فيقرب من حضرة الملك ثم يكون
له حالتان احدهما ان يكون قصده من وصول العبد الى حضرته ان يقوم ببعض مهماته ويكون
له عني في خدمته والثانية ان لا يكون للملك حظ في العبد ولا حاجة به اليه بل حضوره لا يزيد
في ملكه كما ان غيبته لا تنقص من ملكه فيكون قصده من الانعام عليه بالمركوب ونحوه ان يحظى العبد
بالقرب منه في مقابلة خدمته وينال سعادة حضرته ينتفع هو في نفسه لا ينتفع الملك به وبانعام فيزول

العباد من الله في المنزلة الثانية لا في المنزلة الاولى فان الاولى كمال على الله والثانية غير كمال ثم اعلم
ان العبد لا يكون شاكرا في الحالة الاولى بمجرد الركوب والوصول لحضرة ما لم يقم بخدمته التي اراده
الملك منه واما في الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة اصلا ومع ذلك يتصور ان يكون شاكرا او كافرا
فيكون شكره بان يستعمل ما انفذه اليه مولاه فيما احبه لاجله لا لاجل نفسه وكفره ان لا يستعمل ذلك فيه
بان يعطله او يستعمله فيما يزيد في بعده منه فمهما لبس العبد الثوب وركب المركوب ولم ينفق الزاد
الا في الطريق فقد شكر مولاه اذا استعمل نعمته في سبيل محبته اي فيما احبه لعبده لا لنفسه وان ركبه واستدبر
حضرته واخذ يبعد منه فقد كفر نعمته اي استعملها فيما كرهه مولاه لعبده لا لنفسه وان جلس ولم
يركب لا في طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر ايضا نعمته اذا اهملها وعطلها وان كان هذا دون
ما لو بعد منه فكذا خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون الى استعمال الشهوات لتكمل
ابدانهم بها فيبعدون عن حضرته بسببها وانما سعادتهم في القرب منه فاعد لهم من النعم ما يقدرون
على استعماله في نيل درجة القرب وعن بعدهم وقربهم غير الله تعالى فقال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم
ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات الآية فاذا نعم الله الات يترقى بها العبد
عن اسفل سافلين خلقها الله لاجل العبد حتى ينال بها سعادة القرب والله سبحانه غني عنه قرب او بعد
فيه بين ان يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر لموافقة محبة مولاه وبين ان يستعملها في معصية فقد كفر
لاقتحامه لما يكرهه مولاه ولا يرضاه له فان الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية وان عطلها فلم يستعملها
في طاعة ولا معصية فهو ايضا كفران النعمة بالتضييع اذ كل ما خلق الله تعالى في الدنيا انما خلق آلة
للعبد ليتوصل بها الى السعادة الاخرى ونيل القرب من المولى فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر
لنعمة الله في الاسباب التي استعملها وكل كسلان ترك الاستعمال او عاص استعمل ذلك في طريق البعد
فهو كافر جار في غير محبة الله فالمعصية والطاعة تشملهما المشية ولكن لا تشملهما المحبة والكراهة بل رب
مراد مكروه وورد بيان هذا الدقيقة سر القدر الذي منع من افشائه صونا للحقيقة والفارق
بين محبوبه تعالى ومبغوضه عز وعلا للفعل محبوبا ومبغوضا والترك كذلك العلم بالكتاب والسنة
فانهما كفتان ميزان العدالة والاستبصار اي بروية كما في نسخة اي والاعتبار بفكر من العقل
ونظر وتامل في النقل والضابط لما يحبه الله وما يبغضه ان الموصل للعبد الى معرفته اي الله ومحبته
محبوب لله فينبغي استعمال النية فيه والشاغل عنه اي والمانع عما ذكر من المعرفة والمحبة مبغوض لله
فيجب عدم استعمال النية فيه ثم النعمة اما دنيوية كالخلقة السوية والملاذ الشهية من المطالبات
النفسية وصرف المفاسد والمضار البدنية بالآت حسية مثل اليد والرجل حيث يدفع الضرر او ظهر به
من الشر واما دينية كالتوفيق على الطاعة والعصمة في حق الانبياء والحفظ في حق الاولياء عن

المعصية

عن المعصية مع القدرة او عدمها فان المعصية ان لا تقدر وهي اي النعمة الدينية اعظم قدرا
من النعمة الدنيوية لايصالها اي لتبليغ النعمة الدينية الى السعادة الابدية التي لا غاية لها
والانجاء اي الخلاص عن الشقاوة السرمدية التي لا نهاية لها واشتراك الكفار مع الابرار في الدنيوية
والدنيا مبغوضة بسرعة فنائها وكثرة عنائها وخسة شركائها واغتنام الابرار زوالها اي فقد
النعمة الدنيوية خوفا من نقصان النعمة الاخروية كما قال بعض المجتهدين وورد الفاقة اعياد
المربية المجتهدين وطلب الاحصاء لنعم الله وعدها نوع المحال وتمنيه لعدم طاقة البشر في ذلك الحال فورد
في التنزيل وان تعدوا اي تريدوا ان تحصوا نعمة الله لا تحصوها اي لا تطيقوا احصاءها وعدها فضلا
عن القيام بحقها من شكرها وقد قيل الانفاس في اليوم والليلة اربعة وعشرون الفا وفي كل نفس نعمتان في
حصولها باعتبار طلوعها ونزولها والطريق المفضي الى الشكر معلمة المعرفة لنعمه سبحانه فما من عبد
الا ولو امعن النظر في احواله له اي من الله نعمة او نعما كثيرة يخصه لا يشاركه فيها عامة الناس بل يشاركه
عدد يسير منهم وربما لا يشاركه فيها احد والتفكر في صنايعه تعالى من الانفسية والافاقية واحسانه سبحانه
وتعالى عليه من بين البرية والنظر الى الادنى في المرتبة المعيشية والامور الدنيوية فورد كن ناظرا في الدنيا
الى من دونه في المرتبة من الجاه والمال وناظرا في الدين الى من فوقه من العلم والعمل والحال كتبه الله صابرا
بالنظر الثاني وشاكرا بالنظر الاول فتامل والحديث رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وهو في الصحيح
بلفظ انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم
اي لا تحقروها وللعسكري عن انس مرفوعا من نظر الى ما في ايدي الناس طال حزنه ولم يشف غيظه وحكي
عن بعضهم انه كان يحضر كل يوم دار المرضى والمقابر ومواضع الحدود ليشاهد انواع بلاء الله تعالى عليهم
ثم يتامل في صحته وسلامته عما ابتلوا به فيحمد الله على ما اعطاه من نعم فان كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما
خص به وجد لله تعالى على نفسه نعما كثيرة لا سيما من خص بالسنة والايمان والعلم والقرآن ثم بالفراغ و
الصحة والامان ولذا قيل شعر من شاء عيشا رحيبا يستطيب به في دينه ثم في دنياه اقبالا فلينظرن
الى من فوقه ورعا ولينظرن الى من دونه مالا وقال عليه السلام ان القرآن هو الغنى الذي لا غنى بعده
ولا فقر معه رواه ابو يعلى والطبراني من حديث انس وقال عليه السلام من اتاه الله حفظ كتابه فظن
ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد صغر اعظم النعم رواه البخاري في تاريخه وعن الصديق من اوتي
القرآن فظن ان احدا اوتي افضل منه فقد حقر عظيما وعظم حقيرا وقال عليه السلام من لم يتغن بالقرآن فليس
منا اي لم يستغن وقد سبق والكل مقتبس من قوله سبحانه ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم
لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم وقال بعض السلف يقول الله تعالى اي عبد اغنيته عن ثلثة
لقد اتممت عليه نعمتي من سلطان يأتيه في احماله وطبيب يداويه وعما في يد اخيه وعن الشاع عن

عن هذا بقوله اذا القوت تأتى لك والصحة والامن واصبحت محزونا فلا فارقك الحزن بل افضل العباد ما
وامنح الاشارة كلام افصح من نطق بالضاد حيث عبر عن هذا المراد على وجه الارشاد والاخبار بقوله
من اصبح امنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يوم فكانما حيزت له الدنيا اي جمعت والحديث قد
تقدم قال في الاحياء مهما تاملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتالمون من امور وراء هذه الثلث
مع انها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله في هذه الثلث ولا يجدون نعمة الله عليهم في الايمان الذي به وصولهم
الى النعيم المقيم والملك العظيم بل البصيرة ينبغي ان لا يفرح الا بالمعرفة واليقين والايمان بل نحن نعلم من
العلماء من لو سلم اليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الارض من المشرق الى المغرب من اموال واتباع وانصار
وقيل له خذ هذا عوضا عن علمك بل عن عشر عشير علمك لم ياخذه وذلك لرجائه ان نعمة العلم تفضي به
الى قربه سبحانه في الاخرة بل لو قيل له لك ما ترجوه في الاخرة بكماله فخذ هذه اللذات في الدنيا بدلا عن التلذذ
بالعلم في الدنيا وفرحه به قبل العقبى لكان لا ياخذه لعلمه بان لذة العلم دائمة لا ينقطع وثابتة لا يسرق
ولا تغصب ولا ينافس فيها ولا تنقطع وانها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها ناقصة مكدرة
مشوشة لا يفي مرجوها بمخوفها ولا لذاتها بالمها ولا فرحها بغمها هكذا يكون الى اخر ما بقي من الزمان اذ ما
خلقت لذات الدنيا الا لتخدع بها العقول الناقصة حتى اذا انخدعت وتقيدت بها ابت عليهم وامتنعت
عنهم واستعصت منهم كالمراة الجميلة ظاهرها تزين لشاب الشبق الغني حتى اذا تعلق بها قلبه احتجبت عنه
فلا يزال معها في عناء دائم وتعب قائم وكل ذلك لاغتراره بلذة النظر اليها في لحظة ولو غفل وغض
البصر واستهان بتلك اللذة سلم في جميع عمره فهذا وقع ارباب الدنيا في شباك الدنيا وحبائلها ولا ينبغي
ان يقول ان المعرض عن الدنيا متالم بالصبر عنها فان المقبل عليها ايضا متالم بالصبر عليها وحفظها
وتحصيلها وجمعها ومنعها ودفع القصود عنها وتالم المعرض عنها يفضي الى اللذة في الاخرة وتالم
المقبل عليها يفضي الى الالام في العاقبة فليقرا المعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى ان تكونوا تالمون
فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون فان قلت كيف يمكن الشكر لله فالعبد يعجز عنه
اي عن شكر الله الا بتوفيقه بشكره وهو اي والحال ان توفيقه بشكره نعمة يستدعي شكرا اخر الى ان
يتسلسل فيصير الشكر محالا قلت التحقيق لمن بلغ مقام الفناء عن نفسه والبقاء بربه ان الشاكر الذي
هو الشكور المشكور وان المثني هو المثنى عليه كما ورد في الحديث المشهور لا احصي ثناء عليك اي لا اطيق
الحمد والشكر على نعمك انت هو كما اثنيت على نفسك وحاصله ان الاعتراف بالعجز عن الشكر شكر ولذا
شعر • العجز عن درك الادراك ادراك • كما حقق في توحيد الذات • حيث قال تعالى ولا يحيطون
به علما وليس كمثله شيء وقال على ما خطر ببالك فالله غير ذلك وقالت الملئكة سبحانك لا علم لنا الا
ما علمتنا ويوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا وقيل في معنى قول بعض السلف

كذا

من عرف نفسه فقد عرف ربه اي من عرف نفسه بالعجز عرف ربه بالقدرة ومن عرف نفسه بالفناء
عرف ربه بالبقاء وتوضيح السؤال والجواب واحتيج الى بعض الاطناب لانه من فصل الخطاب الذي
هو لب لباب هذا الباب من الكتاب عند ارباب الالباب وهو ان جميع ما نتعاطاه باختيارنا من انواع الشكر
على نعم الدنيا والاخرة هي نعمة اخرى من الله تعالى وبالشكر احرى اذ جوارحنا وقدرتنا وارادتنا
وداعيتنا وسائر امورنا التي هي اسباب حركتنا وسكوننا من خلق الله تعالى ونعمه فكيف نشكر نعمة بنعمة
ولو اعطانا الملك مركوبا فاخذنا مركوبا اخر له وركبنا او اعطانا الملك مركوبا فاخذنا مركوبا اخر
لم يكن الثاني شكرا للاول منا بل كان الثاني يحتاج الى شكر اخر كما يحتاج الاول ثم لا يمكن شكر الشكر الا بنعمة
اخرى فيؤدي الى ان يكون الشكر محالا في حق الله تعالى من هذين ولسنا نشك في الامرين وقد ورد به
الشرع فكيف السبيل الى الجمع فاعلم ان هذا الخاطر خطر لداود وكذا لموسى عم فقال يا رب كيف اشكرك
وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفي لفظ اخر وشكري لك نعمة اخرى منك يوجب
الشكر على لك فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا شكرتني وفي خبر اخر اذا عرفت ان النعم مني رضيت
بذلك منك شكرا والتحقيق في مقام التوفيق ان ههنا نظرين نظر بعين التوحيد المحض وهذا
النظر يعرفك قطعا انه الشاكر وانه المشكور وانه المحب وانه المحبوب وهذا نظر من عرف انه ليس
في الوجود غيره وان كل شيء هالك الا وجهه ومن هنا قول لبيد شعر الا كل شيء ما خلا الله باطل
وقول بعض ارباب الشهود سوى الله والله ما في الوجود وقول بعض الابرار ليس في الدار غيره ديار وذلك
لان الغير هو الذي يتصور ان يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال ان يوجد اذ
الموجود المحقق هو القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو
موجود بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره لم يكن له وجود البتة وانما الموجود هو القائم
بنفسه والقائم بنفسه هو الذي اذا قدر عدم غيره بقي موجودا فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده
وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم الا الواحد ولا يتصور ان يكون غيره فاذا نظرت في هذا المقام
علمت ان الكل منه مصدره واليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن هنا نظر
حبيب بن ابي حبيب حيث قرا انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب فقال واعجباه اعطى واثنى اشار
الى انه اذا اثنى على عطائه فعلى نفسه اثنى فهو المثني وهو المثنى ومن هنا نظر الشيخ ابو سعيد المهيني حيث
قرئ بين يديه يحبهم ويحبونه فقال لعمري يحبهم ودعه يحبهم فبحق يحبهم لانه انما يحب نفسه اشار به الى
انه المحب وهو المحبوب وهذه رتبة عالية ومنزلة غالية لا يفهمها الامثال على حد عقلك فيقال
ان المصنف اذا احب تصنيفه فقد احب نفسه والصانع اذا احب صنعته فقد احب نفسه وكل ما في الوجود
سوى الله فهو تصنيفه وصنعته فان احبه فما احب الا نفسه واذا لم يحب الا نفسه فبحق احب ما احب و

و... الا الناظر بعين التوحيد بتحقق التفريد وبغير الصوفية عن شدة الحال بفناء النفس اي فني
عن نفسه وعن غير الله فلم ير في الكون الا الله وليس المعنى كما فهم الوجودية من العينية لنص المعية
كما بينته في رسالة المرتبة الشهودية في المنزلة الوجودية فهذا اخذ النظرين واما النظر الثاني فنظر من لم
يبلغ الى مقام الفناء عن نفسه فظن لنفسه وجودا مستقلا ولو عرف لعلم انه من حيث هو لا ثبات له
ولا وجود له وانما وجوده من حيث اوجده لا من حيث وجد وفرق بين الموجود وبين الموجد وليس
في الوجود الا موجود واحد وموجود فالموجود حق والموجد من حيث هو هو باطل والموجود قائم
وقيوم والموجد هالك وفان فاذا كان كل من عليها فان فلا يبقى الا وجه ربك ذو الجلال والاكرام و
درجات الموحدين متفاوتة في مقامات المجتهدين وقد جاء جميع الانبياء والمرسلين داعين الى التوحيد
المحض وترجمته قول لا اله الا الله ومعناه اذ لا ترى الا الله الواحد القهار فالواصلون الى كمال التوحيد
الاقلون والباقون وهم الاكثرون عن هذا المعنى غافلون كما قال تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم
مشركون اذ عبدة الاوثان قالوا انما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وكانوا داخلين في اوائل
التوحيد دخولا ضعيفا والمتوسطون وهم الكثيرون فمنهم من ينفتح بصيرته في بعض الاحوال فيلوح
لهم حقايق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت ومنهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ولكن
لا يدوم والدوام فيه عزيز كما قيل شعر لكل ساق العلى حركات ولكن عزيز في الرجال ثبات
ولما امر عليه السلام لطلب القرب لقوله سبحانه واسجد واقترب قال في سجوده اعوذ بعفوك من عقابك
واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقوله عم
اعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط وكانه لم ير الا الله وافعاله فاستعاذ بفعله
من فعله ثم اقترب ففني عن مشاهدة الافعال وترقى الى مصادر الافعال وهي الصفات فقال اعوذ
برضاك من سخطك ثم رأى ذلك نقصانا في التوحيد فاقترب ورقي من مقام مشاهدة الصفات
الى مشاهدة الذات فقال اعوذ بك منك فهذا فرار منه اليه من غير رؤية فعل ولا صفة ولكنه
رأى نفسه فارا منه اليه ومستعيذا به ومثنيا عليه ففني عن مشاهدة نفسه اذا رأى ذلك نقصانا
في مقام الانس فاقترب فقال لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقوله لا احصي خبر عن فناء
نفسه وخروجه عن مشاهدتها وقوله انت كما اثنيت على نفسك بيان انه هو المثني وهو المثنى عليه و
ان الكل منه بدأ واليه يعود ولقد كان عم لا يرقى من مرتبة الى اخرى الا ويرى الاولى بعدا بالاضافة
الى الثانية فكان يستغفر الله تعالى من الاولى كما قال انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة حتى استغفر الله
سبعين مرة فكان ذلك لترقيه الى سبعين مقاما بعضها فوق بعض في مقام الوحدة ومشاهدة
الكثرة هذا وما من مقبول الا وهو مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب من تسليط العلم والخوف عليه

وما من مخذول الا وهو مقود الى النار بسلاسل تسليط الغفلة والغرور عليه فالمتقون يساقون
الى الجنة قهرا والمجرمون يقادون الى النار قهرا ولا قاهر الا الله الواحد القهار ولا قادر الا الملك الجبار و
هذا معنى قوله خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالي وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالي واختلف في وجوب الشكر
في المصائب والحق الوجوب بناء على ستة اشياء على ان لا يصيب اكبر منها اي من تلك المصيبة التي اصابته اذ
مقدورات الله لا تتناهى فلو ضعفها وزادها ماذا كان يردها عما اراده وكان يقول شيخ العلم الشبلي
على المتقي اذا اخذ احد مما معك فتصدق بالحلاوة لسلامة رأسك فالمصيبة المالية اهون من المصيبة البدنية
وان لا يكون المصيبة في الدين فقط قال رجل لسهل دخل اللص بيتي واخذ متاعي فقال له اشكر الله تعالى لو دخل
الشيطان قلبك وافسد التوحيد ماذا كنت تصنع وقد ورد في دعائه عم لا تجعل مصيبتنا في ديننا وقال
عمر رضي ما ابتليت ببلاء الا كان لله علي فيه اربع نعم اذ لم يكن في ديني ولم يكن اعظم منها واذ لم احرم الرضاء و
اذ رجوت الثواب عليها وان تجعل عقوبتها بصيبة المجهول اي عقوبة المعصية في الدنيا ولا تدخر للاخرة فلعذاب
الاخرة اشد وابقى اذ مصيبات الدنيا تتسلى عنها باسباب اخر تهون المصيبة فيخف وقعها ومصيبة الاخرة تدوم
وان لم تدم فلا سبيل الى تخفيفها بالتسلي اذ اسباب التسلي مقطوعة بالكلية في الاخرة عن المعذبين وايضا ما
من عقوبة الا وكان يتصور ان يؤخر الى الاخرة ومن تعجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانية في العقبى لقوله عم
ان العبد اذا اذنب ذنبا فاصابته شدة او بلاء في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا في العقبى كذا في
الاحياء وقال العراقي رواه الترمذي وابن ماجه من حديث علي من اصاب في الدنيا ذنبا عوقب به فالله اعدل من
ان يثني عقوبته على عبده ولاحمد والطبراني باسناد صحيح من رواية الحسن البصري عن عبد الله بن مغفل ان رجلا
من الصحابة رأى امرأة كان يعرفها في الجاهلية فكلمها ثم تركها فجعل الرجل يلتفت اليها وهو يمشي فصدمه حائط
فاثر في وجهه فاتى النبي عم فاخبره فقال عم اذا اراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبته في الدنيا وقال
علي رض الا اخبركم بارجى آية في كتاب الله قالوا بلى فقرأ عليهم ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم
ويعفو عن كثير والله در القائل شعر لعمرك ما كان لشكر داع زيادة ولا عوض كالصبر عند المصائب وانها
اي ولان المصيبة الماضية كانت في التقدير آتية لا بد من وصولها اليه وقد وصلت ففرغ منها وتخلص عنها
فهي نعمة بذاتها كما يشير اليه قوله ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها
وان ثوابها اي المصيبة خير منها اي من عدمها فما من شيء يقع للعبد الا ويتصور ان يكون له فيه خيرة دينية
فعليه ان يحسن الظن بالله فيما يعطيه ويبليه فان حكمته تعالى واسعة وهو بمصالح العباد اعلم من العباد وغدا
يشكره العباد على البلاء اذا رأوا ثواب البلاء ويتمنى انه كان يقرض ابدانه في الضراء فقد روي ان
رجلا قال له عم اوصني فقال لا تتهم الله في شيء قضاه عليك رواه احمد والطبراني من حديث عبادة عجبا
لامر المؤمن ان امره كله له خير وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان اصا

ضرّاء صبر وكان خيراً له رواه مسلم وانما اى وان المصيبة تنقص من القلب حب الدنيا فلم يسكن اليها
ولم يانس بها فقد ورد الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر رواه مسلم من حديث ابي هريرة في اي الصاف
التحقيق نعم لاهل التوفيق يجب عليه شكرها اذ لا يخ المصيبة عن تكفير للخطيئة ان كان من المبتدئين او رياضة
للنفس لما فيها من المحنة والبلية ان كان من المتوسطين او رفع للدرجة ان كان من المنتهين والاخبار
الواردة في الصبر على المصائب كثيرة شهيرة لقوله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيراً يصب منه رواه البخاري
من حديث ابي هريرة ولابن ابي الدنيا من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رجلا قال يا رسول الله
ذهب مالي وسقم جسدي فقال لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسده ان الله تعالى اذا احب
عبداً ابتلاه واذا ابتلاه صبره ولابي داود ان الرجل ليكون له الدرجة عند الله لا يبلغها بعمل حتى
يبتلى ببلاء في جسمه فيبلغها بذلك وقراءة سورة الواقعة ظرف مستقر في ايام العسرة ظرف للخبر
لطلب القناعة اي قناعة القلب وهو ان لا يشغله شاغل عن حضرة الرب وهو جواب سؤال مقدر
تقديره الحمد او جميع الشكر على المصيبة واستعمال انها في التحقيق من النعم فقراءة السلف سورة الواقعة
كل ليلة في ايام العسرة لاي معنى كان فاجاب بما تقدم وقد اخرج ابن عساكر في فضائل القرآن و
ابو يعلى وابن مردويه في تفسيره والبيهقي في شعب الايمان عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة واخرج ابن مردويه عن انس
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سورة الواقعة سورة الغنى فاقرؤها وعلموها اولادكم او العدة
اي الاستعداد على العبادة دون وسعة الدنيا لان السلف لم يكونوا محبين لوسعتها وانما قرئت
السورة لما ورد فيه اي فضلها الاخبار والآثار كما سبق والا اي وان لم يحمل على ما تقدم فلا مبالاة
بحمده تعالى للسلف بالشدة اي بالبلاء والمحنة فهم اي السلف كانوا يغتنمونها اي الشدة والبلاء
اكثر مما كانوا يغتنمون الرخاء والنعماء واما نداء ايوب ربه اني مسني الضر فلبيان الشكر واظهاره
على نعمة الصبر لقوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث وجزيل جزائه اي وعلى عظم جزاء الصبر وعطائه
لقرينة وانت ارحم الراحمين وذلك لان الله تعالى سلط بعض بلائه على خاصة عباده وخلاصة اصفيائه
وهو فضل من الله ومن جملة عطائه فشكر عليه وتبجح لديه واشار اليه بقوله مسني الضر الذي تخص به
انبياءك واولياءك بلا استحقاق مني بل تكرم منك فانك ارحم الراحمين او لبلوغ المرض الى العقل
اي القلب واللسان المفوت ذلك المرض للمعرفة بالجنان والذكر باللسان او العجز عن اقامة الصلوة بتمام
اركانها او لانقطاع الوحي اربعين يوما ومقام الفترة في غاية من العسرة حتى كاد نبينا عليه السلام ان
يرمي نفسه عن الصخرة ولذا قيل للفراق اشد العذاب وانما ورد الامر بسؤال العافية في الاحاديث
الثابتة الوافية كما رواه الترمذي من قوله عليه السلام ما سئل الله شيئا احب اليه من ان يسأل العافية ولابن

قراءة سورة الواقعة

سؤال العافية من الله تعالى

ولابن ماجه عن انس مرفوعا سل ربك العافية والمعافاة في الدنيا والاخرة فاذا اعطيت العافية
في الدنيا واعطيتها فقد افلحت ولاحمد والترمذي عن ابي بكر سلوا الله العفو والعافية فان احدا
لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية والنهي عن سؤال البلية فقد مر عليه السلام بقوم مبتلين
فقال اما هؤلاء كانوا سألوا الله العافية رواه الترمذي وقال علي رضي الله عنه اللهم اني اسألك
الصبر فقال عليه السلام لقد سألت الله البلاء فسله العافية رواه الترمذي ولابن ماجه والنسائي باسناد
جيد عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله العافية فما اعطي عبد افضل من العافية الا
اليقين واشار باليقين الى عافية القلب عن مرض الجهل والشك فعافية القلب اعلى من عافية القالب
لان الاولى سؤال تمام النعمة في الدنيا فان تمامها بعافية البدن فيها وثواب الشكر اي وسؤال
ثوابه على نعمة دفع البلاء في الاخرة لقدرته تعالى على ان يعطي الاجر الجزيل على الشكر على نعمة دفع البلاء
ما يعطي على الصبر على محنة البلاء ومن هنا قال عليه السلام ولكن عافيتك اوسع لي كما رواه ابن ابي الدنيا
وغيره في اثناء دعائه يوم خرج الى الطائف وقال مطرف بن عبد الله لان اعافى فاشكر احب الي من ان
ابتلى فاصبر واما ما يرد على قوله والنهي عن سؤال البلية مثل قول سمنون المحب شعر فليس لي
في سواك حظ • فكيف ما شئت فاختبرني • وقول اخر شعر • اريد وصاله ويريد هجري •
فاترك ما اريد لما يريد • فكلام العشاق في حالة الغلبة من الاشواق وهواى مثل هذا الكلام حين
يجري يطوى ولا يروى لان صاحبه لحاله لا يقتدي ومن الطائف ما حكي عن فاختة كان يراودها
زوجها فمنعته فقال ما الذي يمنعك عني ولو اردت ان اقلب لك ملك سليمان ظهر البطن لفعلت
لاجلك فسمع سليمان فاستدعاه وعاتبه على ما جرى فقال يا نبي الله كلام العشاق يسمع ولا يحكى
ثم اعلم انه حكي ان سمنون بلي بعد هذا البيت بعلة الحصر فكان بعد ذلك يدور على ابواب
المكاتب ويقول للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب ومن هذا القبيل ما قال بعضهم اود ان اكون جسرا على
النار يعبر على الخلق كلهم فينجون واكون انا في النار لان محبة الانسان ان يكون هو في النار دون سائر
الخلق غير ممكن ولكن قد يغلب المحبة على القلب حتى يظن بنفسه حبا مثل ذلك فمن شرب كاس المحبة سكر ومن
سكر توسع فيما ذكر فلو زايله سكره علم ان ما غلب عليه كان حالة لا حقيقة لها فما يسر الدعوى وما
اعسر المعنى واما قول الشاعر اريد وصاله البيت فهو ايضا محال اذ معناه انا اريد ما لا اريد
لان من اراد الوصال ما اراد الهجر فكيف اراد الهجر الذي لم يرده كذا قرره الامام حجة الاسلام
ولا يبعد ان يقال في البيت الثاني انه اراد ان لا يكون له ارادة بدون ارادة الله وان يكون
ارادته بالله لارادته سبحانه سواء يكون وصلا او هجرا قربا او بعدا كما يشير اليه قوله تعالى وما
تشاؤن الا ان يشاء الله وقول السلف ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وفي هذا المقام قال ابو يزيد

البسط للفقير الم ما يريد اريد ان لا اريد غايته ان قال صاحب منازل السائرين هذه ايضا ارادة و
نوقض بان هذه ارادة مطلوبة وبانها داخلة في قوله لا اريد والحاصل انه من باب كمال الرضاء
بالقضاء واما البيت الاخر فلا يدع ان يصل السالك الى مقام ليس له فيه حظ سوى ولذة سوى ذكر
المحبوب وشكره وقربه ولعل وجه الابتلاء انه كان فيه بقية حظ او شطبة لذة ولو كان في ضمن الدعوى
لهذه الحالة التي اظهارها بتلك المقالة وفي اي واختلف ايضا في ان الشاكر الغني افضل ام
الصابر الفقير وان الفقير الشاكر فهو افضل من الغني الشاكر اتفاقا فقد قال قائلون ان الصبر افضل من
الشكر وقال اخرون الشكر افضل من الصبر وقال جماعة هما سيان لقوله عم الصبر نصف الايمان و
هو الشكر ولا ضعيف اذ يحتمل ان يكون احدهما افضل من الاخر كما قال ان الايمان علم وعمل وهما لا يستويان
اذ العلم خير من العمل وقالت طائفة يختلف باختلاف الاحوال وقيل القناعة خير منهما واختاره الجلال
السيوطي والصوفية اجمعوا على ان الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر وسئل الجنيد عن الصبر والشكر
ايهما افضل قال ليس مدح الغني بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم وانما المدح في الاثنين قيامهما بشروط
ما عليهما فشرط الغني يصحبه فيما عليه اشياء يلائم صفته ويمتعها ويلذذها والفقير يصحبه فيما عليه اشياء توحش
صفته وتقبضها وتزعجها فاذا كان الاثنان قائمين لله عز وجل بشروط ما عليهما كان الذي الم صفته
وازعجها اتم حالا ممن متع صفته ونعمها ويقال كان ابو العباس بن عطا قد خالفه في ذلك فقال الغني الشاكر
افضل من الفقير الصابر فدعا عليه الجنيد فاصابه ما اصابه من البلاء من قتل اولاده وتلف امواله وزوال
عقله اربع عشر سنة وكان يقول دعوة الجنيد اصابتني ورجع الى تفضيل الفقير الصابر على الغني
الشاكر هذا والشاكر الذي يشكر على الموجود والشكور والذي يشكر على المفقود ومن هنا قوله سبحانه
وقليل من عبادي الشكور وانه كان عبدا شكورا واما الشكور من اسمائه عز وجل فهو الذي يعطي الاجر
الجزيل على الامر القليل والحق في المسئلة انه اي الشان ان اريد الصبر ما كان الصبر بتلذذ فلا تعدد
كما سبق بيانه ان الصبر حينئذ هو الشكر وهو اي الصبر المطلق من غير التلذذ اي التحلي على البلاء خير منه على الرخاء
كما مر في كلام الجنيد من طريق الايمان وهواي وهذا الصبر هو المراد بما ورد من افضل ما اوتيتم اليقين
وعزيمة الصبر وقد تقدم يؤتى يوم القيمة باشكر اهل الارض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويؤتى
باصبر اهل الارض فيقال له اترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول الله عز وجل
لا انعمت عليه وفي نسخة الاحياء كلا انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر كذا في الاحياء
وقال مخرجه لم اجده اصلا انتهى لكن معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير
حساب وروي يؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا
بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من

بل قال بعضهم ان الفقير الشاكر افضل من الغني الشاكر صح

الفضل

الفضل كذا في تفسير البغوي والا اي وان لم يرد ما كان الصبر بتلذذ فالشكر الذي يظهر بركته
وهما الامتناع عن المعصية وصرف النعمة الى الطاعة افضل من الصبر لابتنائه اي الشكر هذا على المحبة وهذا
اي المحبة على المقامات وحاصله ان لا فرق بين الصبر مع التلذذ والشكر القائم ثم الصبر بغير التلذذ خير
من الشكر الذي غير تام والشكر التام خير من الصبر بغير التلذذ واما قوله عم الطاعم الشاكر بمنزلة
الصائم الصابر كما ذكر الترمذي وحسنه من حديث ابي هريرة فهو دليل على فضيلة الصبر حيث الحق به
الشكر ومن المعلوم ان المشبه به ينبغي ان يكون اعلى رتبة في القدر ومما يدل على فضيلة الفقر ما رواه
الطبراني في الاوسط من حديث معاذ بن جبل يدخل الانبياء كلهم قبل داود وسليمان عليهما السلام الجنة
باربعين عاما وروى البزار من حديث انس آخر من يدخل الجنة من اغنياء امتي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه

الباب الثامن عشر في الخوف والرجاء

وهما جناحان للسالك يطير بهما الى كل مقام محمود و
مطيتان بهما يقطع كل عقبة كؤد فلا يقود الى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الارجاء الا بازمة
الرجاء ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الاليم الا بسياط التخويف وسطوت التعنيف وقد دخل عم على
رجل وهو في النزع فقال عم كيف تجدك فقال اجدني اخاف ذنوبي وارجو رحمة ربي فقال عم ما
اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه الله ما رجا وآمنه مما يخاف رواه الترمذي وغيره باسناد
جيد ومن هنا قال تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ليكونوا بين
الرجاء والخوف وفي تقديم الرجاء ايماء الى ان الوصول به ارجى كما لا يخفى وكذا قوله تعالى ان ربك لذو مغفرة
للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب فكان حق المص ان يقدم الرجا وانما اخره كما في الاحياء
لان الخوف حال اهل الابتداء بخلاف الرجاء فانه مقام اهل الانتهاء ومما يدل على استواء الامرين حديث
القلوب بين الاصبعين ومما يدل على ترجيح الرجاء حديث غلبت رحمتي غضبي وفي الجملة لا بد للمؤمنين
من اجتماعهما وعدم انفكاك احدهما فلابن حبان في صحيحه والبيهقي في شعبه وابن المبارك في زهده من
رواية الحسن مرسلا لا اجمع على عبدي خوفين ولا اجمع له امنين بسم الله الرحمن الرحيم
رجاء لكل خائف من العذاب الاليم الخوف للسائرين والرجاء للطائرين في منازل السالكين خاطران عاطران
وفي اصلهما عارضان وهما من جملة مقامات المريدين واحوال الطالبين وانما يسمى الوصف مقاما اذا ثبت
واقام وانما يسمى حالا اذا كان عارضا يوشك زواله والذي هو غير ثابت يسمى حالا لانه يحول عن القلب على
القرب وجار في كل وصف من اوصاف القلب لتقلبه بتقليب الرب ثم اعلم ان العمل على الرجاء اعلى منه من الخوف
لان اقرب العباد الى الله احبهم له والحب يغلب بالرجاء واعتبر ذلك بملكين لهما عبدان يخدم احدهما
خوفا من عقابه والاخر رجاء ثوابه واذا كان الخوف والرجاء خاطرين من غير اختيار فيهما ولا اقتدار عليهما
فلا تكليف الا في مقدماتهما وهي ذكر الآيات والاحاديث التي تبعث الانسان على الخوف والرجاء فقدم الخوف

الباب الثامن عشر

سبقت هكذا في النسخة بدل غضبي

اربع ذكر الاثر السابقة وذكر شدة العقوبة التي لا طاقة للانسان بها في العاقبة وذكر
ضعف النفس عن احتمالها وذكر قدرة الله على الانسان متى شاء وكيف شاء في احوالها ومقدمات الرجاء
اربع ايضا ذكر سوابق الفضل اليه من غير العمل وذكر ما ورد من جزيل ثوابه وعظيم كرامته في بابه
دون استحقاقه اياه بالخدمة في جنابه وذكر كثير نعمه عليك دنيا واخرى وذكر سعة رحمته
تعالى وسبقها على غضبه فهو بالرجاء اولى واحرى ثم هما مبنيان على انتظار ما يستقبل من الثواب والعقاب
فان الخوف غم يلحق لتوقع المكروه والرجاء فرح يلحق لتوقع المحبوب فالمستغرق بذكره تعالى ابن الوقت
بل ابو الوقت فانه الغالب عليه واما غيره فهو ابن الوقت لانه الحاكم لديه والحاصل انه مشتغل بما هو اولى
في الوقت قائم بما هو مطالب فيه حذرا عن المقت فبعدمهما اي للخوف والرجاء في نسخة فيفقدهما
فالرجاء الفرح الانتظار محبوب فلا بد من سبب وباعث لتحقق انتظار مطلوب فان حصل اكثر الاسباب
ايجابا حصوله لديه فلا اصدق فاسم الرجاء وصوله غلبه كتوقع الحصاد ممن القى بذرا جيدا
نقيا غير عفن ولا مسوس في ارض صالحة للزراعة بان تكون غير سبخة يصلها الماء على سعة وان فقد
اكثر الاسباب فالغرور والحماقة اصدق عليه من اسم الرجاء ليصدقه في هذا الباب كما لو القى بذرا تالفا في
غير صالحة من ارض لا يصلها الماء الا مرة وان شك فيها اي في كثرة الاسباب للحصاد بان حصل بعضها
دون بعضها فالتمني اصدق عليه من اسم الرجاء كما اذا اصلحت الارض مع القاء البذر الجيد ولا ماء
لاحتمال وصول ماء السماء وتوضيحه ان الدنيا مزرعة الاخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر و
الطاعات جارية مجرى تقليب الارض وتنظيفها وحفر الانهار ونحوها والقلب المولع بالدنيا ومتاعها
المستغرق بحبها وذكرها كالارض السبخة التي لا ينمو البذر فيها ويوم القيمة يوم الحصاد لا يحصد احد
الا ما زرع ولا ينمو زرع الا من بذر الايمان وقلما ينفع الايمان من خبث الجنان وسوء الاخلاق ومساوي
العصيان فاسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد و
لم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله بصرف القواطع والمفاسد والموانع فالعبد اذا بث
بذر الايمان وسقاه بماء الطاعات وطهر القلب عن شوق الاخلاق الردية وانتظر من فضل الله تثبيته
على ذلك الى الممات وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة والرحمة الكاملة الشاملة كان انتظاره رجاء حقيقيا
وان قطع عن بذر الايمان تعهده بماء الطاعات وترك القلب مشحونا بالاخلاق السيئات وانهمك في طلب
اللذات والشهوات واللهوات ثم انتظر المغفرة وعلو الدرجات فانتظاره حمق وغرور في الحالات
وورد ان الذين امنوا والذين هاجروا والسيئات والذات وجاهدوا في سبيل الله بتكثير الطاعات
اولئك يرجون رحمة الله اي هم الذين يستحقون ان يرجوا رحمة ربهم بخلاف من ينهمك فيما يكرهه
الله ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع اليه فرجاؤه المغفرة حمق وغرور كما قيل

العزة بالله ان يعمل الرجل بمعصية الله تعالى ويتمنى مغفرة عز وجل وكما ورد الاحمق من اتبع نفسه
هواها وتابعها في طلب مشتهاها وتمنى على الله ان يدخل الجنة وماويها والحديث تقدم وقال
يحيى بن معاذ الرازي من اعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب على رجاء العفو من غير ندامة
وتوقع القرب من الله عز وجل من غير طاعة وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين
بالمعاصي وانتظار الجزاء من غير عمل والتمني على الله عز وجل مع الافراط في امل وانشد شعرا مثلا
دينك ترضى ان تدنسه • وثوبك الدهر مغسول من الدنس • ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها •
ان السفينة لا تجري على اليبس • وقد ورد ان زيد الخيل الذي يزعم وسماه زيد الخير جاءه عم
وقال جئت لاسئلك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف اصبحت احب الخير و
اهله واذا قدرت على شيء منه سارعت اليه وايقنت بثوابه واذا فاتني شيء منه حزنت عليه وحننت
اليه فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولو هياك للاخرى هياك لها ثم لا يبالي في اي ديتها هلكت
رواه الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود فمن ارتجى ان يكون مراد الخير من غير هذه العلامات فهو
مغرور في وادي الملامات وعن علي رضي من اشتاق الى الجنة تسلى عن الشهوات ومن اشفق من النار
رجع عن المحرمات اما احسن الظن بالله حيث يقول انا عند ظن عبدي بي كما رواه الشيخان وزاد
ابن حبان فليظن بي ما شاء وعنه عم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله كما رواه مسلم من حديث
جابر انما يكون بالحذر عن المعصية والاجتهاد في الطاعة فلا بد للسالك منهما اي من حسن الظن وغلبة
الرجاء فهو يبعث على الطاعة وترك المعصية ويهون احتمال المشقة في ورود المشقة والمحنة
والقنوط وهو ضد الرجاء كفر قال تعالى لا تقنطوا من رحمة الله الا القوم الكافرون وقال ومن
يقنط من رحمة ربه الا القوم الضالون وهو بمعنى الياس وورد في التنزيل لا ييأس من روح
الله الا القوم الكافرون وورد انه عم قال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
ولخرجتم الى الصعدات تلومون صدوركم بجار ودالي ربكم فهبط جبريل فقال ان ربك عز وجل
يقول لم تقنط عبادي فخرج اليهم فرجاهم وشوقهم رواه ابن حبان في صحيحه من حديث ابي هريرة
واوله متفق عليه من حديث انس وقال علي رضي لرجل اخرجه الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه
يا هذا ياسك من رحمة الله اعظم من ذنوبك وعنه رض انما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة
الله ولا يؤمنهم من مكر الله والبيهقي في الشعب عن زيد بن اسلم ان رجلا من بني اسرائيل كان يقنط الناس
ويشدد عليهم قال فيقول الله تعالى له يوم القيمة اليوم اويسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي
منها وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود عم احبني واحب من يحبني وحببني الى خلقي فقال يا رب كيف
احببك الى خلقك فقال اذكرني بالحسن الجميل واذكر الائي واحساني وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون

اما احسن الظن

[illegible]

مني الا الجميل ولابن ابي الدنيا والبيهقي في شعبه من حديث انس مرفوعا ان رجلا يدخل النار فيمكث
فيها الف سنة ينادي يا حنان يا منان فيقول الله تعالى لجبريل اذهب فائتني بعبدي قال فيجيء به
فيوقفه على ربه فيقول الله له كيف وجدت مكانك قال فيقول شر مكان فيقول بما قدمت يداك
وما انا بظلام للعبيد ردوه الى مكانه قال فيمشي فيلتفت الى ورائه فيقول الله عز وجل الى اي
شيء تلتفت فيقول رجوت ان لا يعيدني اليها بعد ان اخرجتني منها فيقول الله تعالى اذهبوا به الى
الجنة تدل هذا على ان رجاءه انجاه والطريق الموصل الى التحقيق ستة اشياء ذكر سوابق فضله
في ايجاد العبد وامداده من جوده وكرمه دون شفيع اي بلا شفيع من عنده وما وعد
الله من جزيل ثوابه في كتابه دون استحقاق سابق في بابه مع انه لا استحقاق للمملوك بشيء
من احسانه وما انعم على عبده من الرزق والعافية وتوفيق الطاعة مما يمد نفعه في الدارين
من عنده دون سؤال اي من غير مسالة سابقة من عبده وسعة الرحمة قال الله تعالى ورحمتي وسعت
كل شيء وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة لو علم الكافر سعة رحمة الله ما ايس من جنته احد وسبقها
الغضب لورود رحمتي سبقت غضبي وفي رواية غلبت وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة ان الله
كتب على نفسه قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي تغلب غضبي وما ورد فيه اي في فضل الرجاء من الكتاب
والسنة مثل لا تقنطوا من رحمة الله الاية اي ان الله يغفر الذنوب جميعا وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا يبالي كما رواه الترمذي من حديث اسماء بنت يزيد وحسنه انا عند ظن عبدي بي كما تقدم والله اعلم
وكان ابو جعفر محمد بن علي يقول انتم اهل العراق تقولون ارجى اية في كتاب الله تعالى قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية ونحن اهل البيت نقول ارجى اية من كتاب الله و
لسوف يعطيك ربك فترضى انتهى وذلك بما ذكر في تفسيره انه عم قال لا يرضى محمد و واحد من امته
في النار اي مؤبدا وكان بعض العارفين يرى اية المداينة في سورة البقرة من اقوى اسباب الرجاء
فقيل له وما فيها من الرجاء فقال الدنيا كلها قليل ورزق الانسان فيها قليل والدين من رزقه
قليل فانظر كيف انزل الله فيه اطول اية ليهتدي بها عبده الى طريق الاحتياط في حفظ دينه
فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه في دنياه وعقباه وروي في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزي الله
النبي والذين امنوا معه ان الله اوحى الى نبيه عم اني اجعل حساب امتك اليك فقال لا يا رب انت خير
لهم مني فقال اذن لا اخزيك فيهم رواه ابن ابي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله تعالى والبيهقي في شعبه من
عقبة بن الوليد ان الخليل قال يوما يا كريم العفو فقال جبريل تدري ما تفسير يا كريم العفو هو ان
يعفو عن السيئات برحمته ثم يبدلها حسنات بكرمه ولابن ابي الدنيا من حديث حذيفة مرفوعا ليغفرن
الله تعالى يوم القيمة مغفرة ما خطرت قط على قلب احد حتى ان ابليس ليتطاول لها رجاء ان تصيبه

وفي

وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة ان لله تعالى مائة رحمة ادخر منها عنده تسعة وتسعين رحمة و
اظهر منها في الدنيا رحمة واحدة يتراحم الخلق بها فتحن الوالدة الى ولدها فاذا كان يوم القيمة
ضم هذه الرحمة الى التسعة والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات و
الارضين قال فلا يهلك على الله يومئذ الا هالك وللترمذي من حديث انس وصححه وابن ماجه من حديث
جابر شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وقال الثوري ما احب ان يجعل حسابي الى ابوي لاني اعلم ان الله تعالى ارحم
بي منهما وقال ابن ادهم خلا لي الطواف ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقفت في الملتزم عند الباب فقلت
يا رب اعصمني حتى لا اعصيك ابدا فهتف بي هاتف من البيت يا ابراهيم انت سألتني العصمة وكل عبادي
المؤمنين يطلبون ذلك فاذا عصمتهم فعلى من اتفضل ولمن اغفر ويؤيده حديث لو لم تذنبوا لذهب الله
بكم وجاء بخلق اخر يذنبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم رواه مسلم من حديث ابي هريرة وكان الحسن
يقول لو لم يذنب المؤمن لكان يطير في الملكوت ولكن الله قمعه بالذنوب ويؤيده حديث لو لم تذنبوا
لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب فقيل ما هو قال العجب رواه البزار وابن حبان والبيهقي من حديث
انس وقال الجنيد ان بدت عين من الكرم الحقت المسيئين بالمحسنين ويؤيده قوله تعالى ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وقال يحيى بن معاذ في مناجاته يكاد رجائي لك مع الذنوب
يغلب رجائي مع الاعمال لاني اعتمد في الاعمال على الاخلاص وكيف احرزها وانا بالآفة معروف و
اجدني في الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وانت بالجود موصوف وكان بعض السلف
يقول في دعائه يا رب واي اهل دهر لم يعصوك ثم كانت نعمتك عليهم سابغة وارزاقك عليهم دارة
سابغة سبحانك ما احلمك وعزتك انك لتعصى ثم تسبغ النعمة وتدر الرزق حتى كانك ربنا
انما تطاع وسبحانك ما احلمك تعصى وتدر الرزق وتسبغ حتى كانك يا ربنا لا تغضب والخوف
عطف على الرجاء وهو الحزن لانتظار مكروه وهو تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في
الاستقبال واما من انس بالله في جميع الاحوال وملك الحق قلبه على النظام وصار ابن وقته ومشاهدة
لجمال الحق على الدوام ولم يبق له التفات الى المستقبل من الايام فلم يبق له خوف ولا رجاء بل صار حاله
اعلى من الخوف والرجاء فانهما زمامان يمنعان النفس من الخروج الى رعوناتها وبهذا اشار الواسطي حيث
قال الخوف حجاب بين الله وبين العبد وقال ايضا اذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا خوف
في الضمائر ويؤيده قوله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وهذا بالنسبة الى الخواص الكرام
واما بالنسبة الى الضعفاء من العوام فمعناه لا خوف عليهم بلحوق العقاب ولا هم يحزنون بفوت الثواب في العقبى
وبالجملة فالمحب اذا اشغله قلبه في مشاهدة محبوبه الخوف فراقه كان ذلك نقصا في شهوده وانما دوام
الشهود غاية المقامات ونهاية الدرجات لكن الكلام الآن في اوائل الحالات فيقول الخوف له اسباب منها

زيد بن زعمه الخ قال في ما من العلم بعدم مبالاته تعالى فانه عز وجل لا يسأل عما يفعل ومن عزته
في صفاته انه اي ان اهلاك العالمين ايد اليه من احد ولم يمنعه مانع لوحدة ذاته كما ورد في حديث مشهور
ان الله تعالى لما خلق ادم مسح على ظهره فاستخرج منه ذريته فقبض قبضة فقال هؤلاء في الجنة ولا ابالي
وقبض اخرى فقال وهؤلاء في النار ولا ابالي اي لا ابالي من ملامة احد اذ لا يجب على الله شيء لا من
اثابة المطيع ولا من تعذيب العاصي او من الطاعة والمعصية اي او المعنى لا ابالي من طاعة مطيع و
من معصية عاص فانه كما ورد لو عذب اهل سمواته وارضه لكان عادلا في حكمه غير ظالم في امره اولا
ابالي لعدم تاثير الاثابة والتعذيب في زيادة ملكي ونقصانه كما في حديث مسلم عن ابي ذر مرفوعا حكاية
من الله تعالى يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو ان اولكم
واخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا اولا ابالي لاني
متصرف في ملكي افعل ما اشاء واحكم ما اريد بالعدل اولاني متفضل غير مائل في ادخال الجنة عادل غير
جائر في ادخال النار لما تقدم او للجهل اي او الخوف هو الخوف للجهل بالخاتمة وهو اي خوف الخاتمة
للمتقي اغلب لانه يحجب معرفته بعيوب نفسه وبعظمة جلال الله وقدسه فاخوف الناس لربه اعرفهم
بنفسه وربه ولذا قال صلى الله عليه وسلم والله اني لاخشاكم لله واتقاكم له رواه البخاري من حديث انس
وللشيخين من حديث عائشة واني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية وقد قال تعالى انما يخشى الله من عباده
العلماء والاعلى من انواع المخاوف واولها على كمال المعرفة ان يكون الخوف من سابقة الازل لان
الخاتمة اللاحقة تتبع المقدمة السابقة فالخاتمة في هذا الباب تظهر ما سبق به القضاء في ام الكتاب
فالانتقال الى القضاء الازلي الذي جرى بتوفيقه القلم اعلى من الالتفات الى ما يظهر في الابد بعد ما كان
في حيز العدم واليه اشار صلى الله عليه وسلم حين كان على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال هذا كتاب الله
كتب فيه اهل الجنة باسمائهم واسماء ابائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص وليعملن اهل السعادة بعمل اهل
الشقاوة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة وليعملن اهل
الشقاوة بعمل اهل السعادة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق
ناقة السعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله والاعمال بالخواتيم رواه الترمذي
من حديث عبد الله بن عمرو بن عاص وقال حسن صحيح غريب وفي رواية السعيد من سعد في بطن امه و
الشقي من شقي في بطن امه رواه البزار بسند حسن ومن هنا خوف الكاملين حيث لم يعرفوا انهم من اي
القبضتين ومن اي الفريقين المذكورين في قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير وفي قوله عز وجل
فمنهم شقي وسعيد وقوله عز وجل فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقوله سبحانه اما شاكرا واما كفورا واما
بالكسر عطف على قوله اما من العلم الخ والمعنى لانتظار مكروه اما من جهة المعرفة بصفة الله تعالى وعزته

واخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو ان اولكم صح

وجلاله في مرتبة عظمته واما من التقصير اي من جهة كثرة المعصية الصادرة عن العبد في حال
غفلته وغرته ويخص الخوف من المعصية بموضع الغرور وعند المواظبة على الطاعة يخلو الاول اي يخص
هذا الخوف ويتميز من الخوف الاول وهو عدم المبالاة بان يقوم بمواظبة على الطاعة فيعلم ان هذا كان
من التقصير لا من عدم المبالاة لان خوف عدم المبالاة لا يزول قط وخوف الثاني يزول عند المواظبة
على الطاعة وتوضيحه ان هذا انقسام الخائفين الى من يخاف من معصيته وجنايته والى من يخاف الله تعالى
نفسه لعظمته العظيمة وجلالته فهذا اعلى رتبة واعلى منزلة ولذا يبقى خوفه وان كان في طاعة الصديقين
واما الاخر فهو في عرضة الامن وان اوظب على الطاعات وداوم على العبادات فالخوف من المعصية خوف
الصالحين والخوف من الله خوف الموحدين والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله فكل من عرفه وعرف صفاته
علم من صفاته ما هو جدير بان يخاف من غير جناية بل العاصي لو عرف الله حق معرفته لخاف الله ولم يخف من
معصيته وتيسر سبيله بها ويمهد له تمام اسبابها فان تيسر اسباب المعصية ابعاد ولم يسبق منه قبل المعصية
معصية استحق بها ان يسخر للمعصية ويجري عليه اسبابها ولا سبق قبل الطاعة وسيلة توسل بها حتى تيسرت
له الطاعات وتمهد له سبيل القربات فالعاصي قد قضي عليه بالمعصية شاء ام ابى فكذا المطيع حسب ما قدره
الله وقضى فالذي رفع محمدا صلى الله عليه وسلم الى اعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ووضع ابا جهل
في اسفل سافلين من غير جناية سبقت منه قبل شهوده جدير بان يخاف منه لصفة جلاله فان من اطاع
الله اطاع بان سلط عليه ارادة الطاعة او اتاه القدرة وبعد خلق الارادة الجازمة والقدرة
التامة يصير الفعل ضروريا والذي عصى عصى لانه سلط عليه ارادة قوية جازمة واتاه الاسباب و
القدرة فكان الفعل بعد الارادة والقدرة ضروريا فليت شعري ما الذي اوجب اكرام هذا وتخصيصه
بتسليط ارادة الطاعات عليه وما الذي اوجب اهانة الاخر وتبعيده بتسليط دواعي المعصية لديه
وكيف يحال ذلك على العبد وينسب اليه واذا كانت الحوالة ترجع الى القضاء الازلي من غير جناية ولا
وسيلة فالخوف ممن يقضي بما شاء ويحكم ما يريد حزم عند كل مريد طالب المزيد ثم الخوف من سكرات
الموت وشدته وما بعده اما من السؤال في القبر من منكر ونكير او عند الموقف من نقير وقطمير او
العذاب في القبر او من هول المطلع او هيبة الموقف والحياء من كشف السوء ومن مزلة الصراط وحدته
وكيفية العبور عليه باختلاف الاحوال والعذاب في النار وما فيها من الاغلال والانكال والاهوال
او فوت الجنة دار النعيم والملك المقيم ونحوها من نقصان الدرجات وخوف حجاب الذات واعلاها
رتبة هو خوف الفراق والحجاب فانه اشد العذاب عند ارباب الالباب وهو خوف العارفين
وما قبل ذلك هو خوف العابدين والصالحين والزاهدين وكافة العاملين ومن لم يكمل معرفته ولم ينفتح
بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بالم البعد والفراق فاذا ذكر له ان العارف لا يخاف النار

وانما يخاف الحجاب في دار وجد ذلك منكرا في باطنه ويجد منه في نفسه قال ذو النون خوف النار
عند خوف الفراق كقطرة قطرة عند بحر لجي ويختلف الاثار للخوف بحسب اختلاف انواعه في الاسرار فمن
خاف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المألوفة بالارادة واظب على تركها وداوم على خلافها ومن
خاف اطلاعه تعالى على السرائر اشتغل بتنقية السر وتطهير القلب من الوساوس في الضمائر فاعتبر وقس
على هذا المخاوف اخر وحكي من خاف اغتراره بزخارف الدنيا زهد فيها ومن خاف بهجوم الموت قبل
التوبة بادر اليها ويؤثر الخوف في البدن بالهزالة اي النحول بازالة اللحم والشحم والصفرة باللون
المصحوب بالكدرة والضعف في القوي والبكاء الصادر عن الخشية واذا كمل الخوف يودي الى
الجنون بان يصعد الى الدماغ فيفسد العقل او يقوى فيورث القنوط واليأس ويفضي الى الموت
بان يشق به المرارة وهو اي الموت من خوف الله شهادة لكن الافضل من عاش وجاهد لقوله عم
طوبى لمن طال عمره وحسن عمله وقد تقدم واعلم ان معنى كونه شهيدا ان له رتبة بسبب موته من الخوف
كان لاينالها لو مات في ذلك الوقت لابسبب الخوف فهو بالاضافة اليه فضيلة واما بالاضافة الى بقائه وطول
عمره في طاعة الله وسلوك سبيل امره فليس بفضيلة بل السالك لطريق الفكر والمشاهدة والترقي في
درجات المجاهدة في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء ولذا ورد لو وزن مداد العلماء بدماء الشهداء
فيرجح مداد العلماء ولولا هذا لكان رتبة صبي او مجنون يفترسه سبع اعلى من رتبة نبي او منزلة ولي
يموت حتف انفه وهو محال والحاصل ان اقصى درجات الخوف ان يسلب الظاهر والباطن مما سوى الله
حتى في متسع لغيرالله وذلك مع بقاء الصحة والعقل فان جاوز هذا الى ازالة العقل والصحة فهو مرض يجب
عليه علاجه ان كان له قدرة لديه ولذا كان سهل يقول للمريدين الملازمين الجوع اياما كثيرة احفظوا
عقولكم فانه لم يكن لله ولي ناقص العقل ويؤيده مااشتهر في لسان العامة ما اتخذ الله وليا جاهلا
ولو اتخذه لعلمه وكذا يؤثر الخوف في الجوارح فيكفها عن السيئات ويقيدها بالطاعات تلافيا لما فرط
في الماضي واستعدادا للمستقبل ولذا قيل ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه بل الخائف من يترك مايخاف
ان يعاقب عليه وقال ابو القاسم الحكيم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب اليه وقيل لذي النون
متى يكون العبد خائفا قال اذا نزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي مخافة طول السقام ومن غلب عليه
خوف الله خافه كل شيء مما سواه ولابي الشيخ وابن حبان وابن ابي الدنيا حديث من خاف الله خافه كل شيء
كما كان هذا المقام المعظم لعمر رض فورد ان الشيطان ليفر من ظل عمر كما مر وكذا يؤثر في الصفات بان يقمع
الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه
اذا عرف سما فيه والاعلى في مراتب الخوف انه يدهشه ويذهله عن الاشياء اي دونها ويفعله حتى
عما يجري على الاعضاء من حركتها فلم تؤثر الاشياء فيه اي في الخائف للغيبة عنها اي لغيبة الخائف عن الاشياء

والعفلة

والعفلة منها كما كان لم عمر حيث قصده الشيطان وهو في الصلوة فاحترق اي الشيطان واذا كان
الامر كذلك فلابد للسالك منه اي من الخوف هناك فهو اي الخوف يزجر النفس اي ويمنعها عن المعصية
وارتكابها وينفي العجب ويدفعه عن الطاعة واكتسابها فاقل درجات الخوف ممايظهر اثره في اعمال المؤثرة
للاحوال ان يمنع من المحظورات ويسمي الكف الحاصل عنها ورعا فان زادت قوته كف عما يتطرق اليه
امكان التحريم فكيف عما لايتيقن ايضا تحريمه ويسمي ذلك تقوي اذ التقوي ان يترك ماريبه الى مالا يريبه
وقد يحمله على ان يترك مالا باس به مخافة مابه باس وهو الصدق في التقوي فانضم اليه التجرد للخدمة
فصار لايبني مالا يسكنه ولايجمع مالا ياكله ولايصرف الى غيرالله نفسا من انفاسه فهو الصدق وصاحبه
جدير بان يسمي صديقا واما الخوف الذي يجري مجرى رقة النساء بخطر بالبال عند سماع اية من القرآن
فيورث البكاء فكذا عند مشاهدة سبب هائل فاذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب الى الغفلة
عن خوف الرب فهذا خوف قاصر قليل الجدوي وهذا حال الناس كلهم الا العارفين والعلماء الراسخين
ولست اعني بالعلماء المترسمين برسومهم والمتسمين باسمائهم فانهم ابعد الناس عن الخوف لما فيهم
من العجب والغرور بل العلماء بايات الله وصفاته وافعاله في مصنوعاته وذلك مما فقد عز وجوده
الان كالكبريت الاحمر في سالف الزمان ولذا قال الفضيل اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك
ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت واما الخوف المفرط وهو الذي يجاوز حد الاعتدال حتى يخرج
الى اليأس والقنوط فهو مذموم ايضا لانه يمنع من العمل والمراد من الخوف هو الحمل على العمل واذا تحقق
اليأس له فهو كفر منه لانه اعتقد عدم قدرته وفقد ارادته على عفو به على ذنوبه مع وجود طاعته [margin: نظر ضعيف لانه يدل على اعتقاد عدم قدرته سبحانه على عفوه في ذلته والاولى من ... الخوف صح]
وعبادته وقد ورد في التنزيل لايأمن مكر الله الاية اي الا القوم الخاسرون اي الذين خسروا انفسهم
واهليهم يوم القيمة بالكفر والمعصية والطريق الموصل الى تحصيل الخوف شيئان النظر في صفاته
تعالى الجلالية كالقهار والمنتقم والجبار وافعاله في مصنوعاته من معاملاته مع طوائف الكفار فمن
عرف الله حق معرفته حمله معرفته على خشيته لمشاهدة عظمة الله وعزته وقد ورد في التنزيل انما يخشى
الله من عباده العلماء لانهم العارفون بصفاته الخائفون منه بحسب ذاته انا اعلمكم بالله واخشاكم له
حديث متفق عليه وذكر الذنوب السابقة والخصوم المتعلقين به يوم القيمة في الاحوال اللاحقة وشدة
العذاب بعد مناقشة الحساب وضعف النفس عن العقاب والحجاب وما ورد فيه اي في فضل الخوف
من الكتاب والسنة واقوال السلف واحوالهم في هذا الباب اما الكتاب فقوله تعالى هدى ورحمة للذين
هم لربهم يرهبون ورضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه ولمن خاف مقام ربه جنتان
وخافون ان كنتم مؤمنين سيذكر من يخشى وهم من خشيته مشفقون واما السنة فقوله عم رأس الحكمة
مخافة الله رواه البيهقي في شعبه من حديث ابن مسعود وقوله لعايشة لما قالت يارسول الله الذين

يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة هو الرجل يسرق ويزني قال لا بل هو الرجل يصوم ويصلي ويتصدق
ويخاف ان لا يقبل منه رواه الترمذي وابن ماجه والحكيم وقوله عم ما من مؤمن يخرج من عينيه
دمعة فان كان مثل راس الذباب من خشية الله ثم يصيب شيئا من حر وجهه الا حرمه الله على النار
رواه الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود وقوله اذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله
تحاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة ورقها رواه الطبراني والبيهقي في شعبه من حديث العباس وقوله
لا يلج النار احد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع رواه الترمذي وقال حسن صحيح وقوله لعقبة
بن عامر حين سئل ما النجاة يا رسول الله قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك و
قد تقدم وقوله ما من قطرة احب الى الله من قطرة دمع جرت من خشية الله او قطرة دم اهريقت في سبيل
الله رواه الترمذي من حديث ابي امامة وحسنه وقوله اللهم ارزقني عينين هطالتين تشفيان
بذروف الدمع قبل ان يصير الدموع دما والاضراس جمرا رواه ابو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر
باسناد حسن وقوله سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وذكر منهم رجلا ذكر الله في خلوة ففاضت
عيناه رواه الشيخان وعن حنظلة قال كنا عند رسول الله صلى الله عم فوعظنا موعظة رقت منها
القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلي فدنت مني المراة وجرى بيننا من حديث
الدنيا فنسيت ما كنا عليه عنده عم واخذنا في الدنيا ثم تذكرت ما كنت فيه وقلت في نفسي
قد نافقت حين تحول عني ما كنت فيه من الخوف والرقة فخرجت وجعلت انادي نافق حنظلة فاستقبلني
ابو بكر فقال كلا لم تنافق فدخلت على رسول الله صلى الله عم وانا اقول نافق حنظلة فقال عم
كلا لم ينافق حنظلة فقلت يا رسول الله كنت عندك فوعظتنا موعظة رقت منها القلوب وذرفت
منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلي فاخذنا في حديث الدنيا ونسيت ما كنا عليه عندك فقال يا
حنظلة لو كنتم ابدا على تلك الحالة لصافحتكم الملئكة في الطرق وعلى فرشكم ولكن يا حنظلة ساعة فساعة
رواه مسلم واما الاثار فقال ابو بكر الصديق من استطاع ان يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتباك وكان
اخذه من قوله فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا او من قوله يبكون ويزيدهم خشوعا او من قوله افمن
هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون ومن قوله خروا سجدا وبكيا وكان محمد بن المنكدر اذا بكى مسح
وجهه ولحيته من دموعه يقول بلغني ان النار لا تاكل موضعا مسته الدموع وقد تقدم في الحديث
ما يساعده وقال عبد الله بن عمرو ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والذي نفسي بيده لو يعلم احدكم
ما وراءه لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وقال ابو سليمان الداراني ما اغرورقت
عين بمائها من خشية الله الا لم يرهق وجه صاحبها قتر ولا ذلة يوم القيمة فان سالت دموعه اطفا
باول قطرة بحارا من النيران ولو ان رجلا بكى في امة ما عذبت تلك الامة وقال كعب الاحبار

والذي

والذي نفسي بيده لان ابكي من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجنتي احب الي من ان اتصدق بجبل من
ذهب وقال عبد الله بن عمر لان ادمع دمعة من خشية الله احب الي من ان اتصدق بالف دينار و
قال الفضيل من خاف الله تعالى دله الخوف على كل خير اي وحفظه عن كل شر وضر وقال الشبلي ما خفت
الله يوما الا رايت له بابا من الحكمة والعبرة ما رايته قط وقال ذو النون من خاف الله تعالى ذاب قلبه
واشتد له حبه وصح له لبه اي عقله وقال ذو النون ينبغي ان يكون الخوف ابلغ من الرجاء فاذا
غلب الرجاء تشوش القلب وكان ابو الحسن الضرير يقول علامة السعادة خوف الشقاوة لان الخوف
زمام بين الله وبين عبده فاذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين وقيل ليحيى بن معاذ من امن الناس
غدا فقال اشدهم خوفا اليوم وقال سهل لا تجد الخوف حتى تاكل الحلال وقال ابو سليمان الداراني
ما فارق الخوف قلبا الا خرب واختلف في ان الرجاء للعبد افضل من الخوف ام الخوف افضل من الرجاء
والحق من القول عدم الانفكاك لاحدهما عن الاخر اذ لو عدم احدهما لصار امنا عند عدم الخوف
او قنوطا عند عدم الرجاء فان الرجاء بلا خوف امن والخوف بلا رجاء ياس وكلاهما ممنوعان بنص
القران فالحق الاعتدال في غالب الاحوال وايضا فهما متلازمان لان كل رجاء محبوب فلا بد ان يخاف فوته
كما يشير اليه قوله تعالى يدعون ربهم رغبا ورهبا ويدعون ربهم خوفا وطمعا نعم يجوز ان يغلب
احدهما على الاخر وهما مجتمعان ويجوز ان يشتغل القلب باحدهما ولا يلتفت الى الاخر في الحال لغفلته عنه
فشرطهما اي شرط وجودهما عدم القطع في كلاهما فالامن والقنوط ينافي عدم القطع فلا يقال
ارجو طلوع الشمس واخاف هجوم الاجل لان امرهما مقطوع فيه عادة بل يقال انتظر لفوت الشرط
وهو عدم القطع نعم يقال ارجو نزول المطر واخاف انقطاعه فلا يطلق اسم الرجاء والخوف الا على
مشكوك يتردد منه اذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف فاذا المحبوب الذي يجوز وجوده يجوز عدمه
لا محالة فتقدير وجوده يروح القلب وهو الرجاء وتقدير عدمه يوجع القلب وهو الخوف فا
لتقديران لا محالة يتقابلان نعم احد طرفي الشك قد يترجح بحضور بعض الاسباب ويسمى ذلك
ظنا فيكون ذلك سبب غلبة احدهما على الاخر فاذا غلب على الظن وجود المحبوب قوي الرجاء وخفي
الخوف بالاضافة وكذا بالعكس والرجاء افضل من حيث هو هو اي مع قطع النظر عن صاحبه انه في
اي مقام هو من مقامات المبتدين والمنتهين من المريدين في طريق المجتهدين او المرادين في امر الدين
فهو اي الرجاء طريق الجنة وسبيل المحبين وهو افضل المقامات واكمل الحالات وورد سبقت رحمتي غضبي
وقد تقدم وفيه تنبيه نبيه على انه ينبغي ان يكون الرجاء اغلب على الخوف وتوضيحه ان الخوف والرجاء
دواآن يداوى بهما القلوب وفضلهما بحسب الداء الموجود فان كان الغالب على القلب داء الامن
من مكر الله والاغترار به فالخوف افضل وان كان الاغلب على العبد هو الياس والقنوط من رحمة الله

الرجاء افضل فيه باعتبار غلبة الخوف افضل لان الاغترار على الخوف اغلب وان نظر الى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء افضل لانه مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله ما يقتضي اللطف والرحمة كانت المحبة عليه اغلب وليس وراء المحبة مقام في طلب الرتب واما الخوف فمستنده الالتفات الى الصفات التي تقتضي العنف والنقمة فلا تمازجه المحبة ممازجة الرجاء وهو اي الرجاء الافضل من الخوف والمفهوم من الاحياء ان الاصلح كما في بعض النسخ هنا ولعله المصلح وانما يكون الرجاء اولى من الخوف ان امتنعت النفس عن التوبة لكثرة المعاصي الموجبة لليأس والقنوط من الرحمة او اقتصرت النفس على الفرائض دون الواجبات والسنن المؤكدات او ضعف بالمرض والكبر واشرف على الموت اي قارب الفوت فان الافضل له هو الرجاء ليموت بزيادة وصف الرجاء على المحبة الذاتية من كثرة الرجاء والخوف افضل واصلح واولى من الرجاء في مقام الدواء ان غلب التمني واعتاد صاحبه المعاصي لغفلته حرمه والاعتدال بين الخوف والرجاء انسب واقرب ان اتقى ظاهر الاثم وباطنه اي جليه وخفيه ولذا قيل لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا وروي ان عليا رضي الله عنه قال لبعض ولده يا بني خف الله خوفا ترى انك لو اتيته بحسنات اهل الارض لم يتقبلها منك وارج الله رجاء ترى انك لو اتيته بسيئات الارض غفرها لك وما يعرض من الاعراض اي ولا يبعد المتقي المذكور اي عن الاعتدال بمعارضة كثرة ارباب الرجاء من الاعمال فكان عمر رضي الله عنه مع كمال تقواه وكثرة اعماله ثم يقول لو لم يدخل الجنة الا واحد من المؤمنين لرجوت ان اكون اياه اي ذلك الرجل ولو لم يدخل النار الا واحد من الخلق لخفت ان اكون اياه وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوي فمثل عمر رضي الله عنه ينبغي ان يساوي خوفه رجاءه فاما العاصي اذا ظن انه ذلك الرجل استثني الذي امر وامن دخول النار كان ذلك دليلا على ما فيه من الاغترار وفسر التحرز عطف بالمعنى لان الفاء في قوله فكان عمر للتعليل المبني فالتقدير لانه كان عمر ولتفسر الاحتراز عن المعاصي الباطنة ويجوز عطفه على قوله بمعارضة فيكون ما بينهما جملة معترضة وفيه جواب لسؤال مقدر وهو ان مثل عمر لم ينبغي ان يساوي خوفه رجاءه بل ينبغي ان يغلب رجاؤه خوفه فاشار الى ان شروط صحة الايمان على وجه التحقيق من الامور الدقيقة فانه لا بد للقلب ان يكون نظيفا من الشرك الخفي والنفاق والرياء وخبايا الاخلاق الخبيثة فيه غامضة والافات من الشهوات وزخارف الدنيا وما يتعلق بها من اللذات والشهوات كثيرة وان سلم القلب في الحال عن هذه الاحوال ربما يلتفت اليها في الاستقبال فان كان ضعيف القلب جبانا في نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما يحكى في احوال الخائفين من الصحابة والتابعين وان كان قوي القلب ثابت الجأش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه فاما ان يغلب رجاؤه فلا ولقد كان عمر يبالغ في تفتيش

قلبه وتقلب حاله من المعاصي كان يقول رحم الله من اهدى الي عيوب نفسي وكذا بما من النفاق وحصال اهله حتى غاية التفتيش اي الحال كان عمر يسال حذيفة بن اليمان عن وجود اثر النفاق فيه اي في عمر اذ كان حذيفة قد خصه عم بعلم المنافقين وكان يسمى صاحب سر النبي واحتمال زوال الايمان اي ولاحتمال زوال الايمان الرجاء في المستقبل من الزمان فيه ان الرجل ليعمل عمل اهل الجنة وفي الاحياء زيادة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا شبر قال في الاحياء وفي رواية الا قدر فواق ناقة ويسبق عليه الكتاب اي مكتوب الازل في علم الله او المكتوب في اللوح المحفوظ او عند تولده في صحائف الملائكة الموكلة على حفظ فيختم له بعمل اهل النار فيدخل النار وكذا فيمن يعمل عمل اهل النار والحديث رواه مسلم في حديث ابي هريرة ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل اهل النار وللبزار والطبراني في الاوسط سبعين سنة واسناده حسن وللشيخين في اثناء حديث لابن مسعود ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع الحديث وليس فيه تقدير زمن العمل بخمسين سنة ولا ذكر شبر ولا فواق ناقة ثم سوء الخاتمة نعوذ بالله منه اي من سوء الخاتمة وتغير الحال فمن ذا يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفي والرياء في زوايا القلب وان اعتقد نقاء قلبه وصفاءه لمن عن مثله خفي يا من مكر الله بتلبيس حاله واخفاء غيبه عنه فان وثق به فمن ابن يثق ببقائه على ذلك الى تمام حسن الخاتمة التي مدار سعادة العاقبة فاذن اقصى غايا المؤمن ان يعتدل خوفه ورجاؤه اما غلبة الرجاء في اكثر الناس فيكون مستنده الاغترار وقلة المعرفة واين مثل عمر حتى يعتدل خوفه ورجاؤه كما مر فالخلق الموجودون في هذا الزمان كلهم الاصلح لهم غلبة الخوف بشرط ان لا يخرجهم الى اليأس وترك العمل وقطع الطمع عن المغفرة فيكون ذلك سببا للتكاسل عن العمل وداعيا الى الانهماك في المعاصي وطول الامل فان ذلك قنوط وليس بخوف انما الخوف هو الذي يحث على الطاعات ويكدر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون الى الدنيا وزخارف اللذات ويدعوه الى التجافي عن دار الغرور والامنيات فهو الخوف المحمود دون حديث النفس الذي لا يؤثر في الكف عن السيئات والحث على العبادات ودون اليأس الموجب للقنوط عن رحمة خالق البريات وقد قال يحيى بن معاذ من عبد الله بمحض الخوف غرق في بحار الافكار ومن عبده بمحض الرجاء اتاه في مفازة الاغترار ومن عبده بالخوف والرجاء استقام في محجة ذوي الاستبصار وقال مكحول النسفي من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجاء فهو مرجي ومن عبده بمجرد المحبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد صديق ثم سوء الخاتمة اما بالشك والتردد في قبول الايمان او الجحود اي الانكار باصل الايمان ومحض الكفر اذ عند النزع اي نزع الروح وحال سكرات الموت وظهور اهواله الموجبة لتغير

احوال فيقبح وجه في حال شك القلب او جحود الرب وذلك يقتضي البعد الابد والعذاب المخلد
وذلك الشك او الجحود انما يقع لظهور بطلان بدعة كان يعتقدها في ذات سبحانه او صفاته
او افعاله في مصنوعاته اونبيا وتجلي في اية من اياته كان يعتقدها اي البدعة تقليدا ممن
هذا حاله او تعويلا اي اعتمادا على مجادلته الكلام اي مجادلته للخصام بما يعول عليه من اصول
علم الكلام ويغتر به مما بين الانام فهواي وقت النزع حالة الانكشاف اي انكشاف كل شئ
على ماهو عليه كما قال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فقوله فهو علة لظهور
بطلان البدعة واما قوله واعتقاد بطلان من كل ما اعتقده فمبتدا وقوله اوشكه بالجر عطف على
بطلان الثاني وقوله لهذا خبر المبتدا اي اعتقاد بطلان كل المعتقدات الصحيحة او اعتقاد
شك كلها لهذا السبب وهو ظهور النزع اي صار هذا الظهور سببا لاعتقاد بطلان جميع الاعتقادات
الصحيحة او سببا لاعتقاد شك الجميع ويجوز كون قوله اوشكه مرفوعا عطفا على قوله واعتقاد قيل
وهو الارجح يعني اعتقاد بطلان من الجميع لهذا السبب اوشك الجميع لهذا السبب والاظهر عندي
انه فعل ماضي عطفا على اعتقده فتامل ثم حاصل كلامه انه جواب سؤال مقدر يترتب على قوله
لظهور بطلان بدعة وتقدير سؤال فان قلت ظهور بطلانها انما يوجب الشك او الجحود في
نفسها فقط دون بقية الاعتقادات الصحيحة وسوء الخاتمة المستلزم خلود النار انما هو باعتقاد
بطلان جميع الاعتقادات الصحيحة او الشك في كلها فكيف يتصور بسوء الخاتمة بها في بدعة واحدة
فاجيب بما تقدم وتوضيحه ان المبتدع مهما كان بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به
متيقنا له عند نفسه ثم لا يظن بنفسه انه اخطاء في هذا الاعتقاد خاصة لان البناء فيه الى رأيه
الحاسد وعقله الفاسد بل ظن ان كل ما اعتقده لا اصل له اذ لم يكن عنده فرق بين ايمانه بالله
ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاداته الفاسدة الصريحة فيكون انكشاف بعض
اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية تلك اعتقاداته او باعثا لشكه فيها فان اتفق زهوق روحه
في هذه الخطرة قبل ان تثبت وتعود الى اصل الايمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشك و
العياذ بالله منه فهؤلاء المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وورد في التنزيل
قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الاية اي الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
والمعاملة لا تنافيه اي ولا تعادي سوء الخاتمة واراد بالمعاملة الورع والزهد وسائر الاعمال الصالحة
فانها لا تكفي لدفع هذا الخطر بل لا بالله ورسوله واليوم الاخر ايمانا ينجي منه الا الاعتقاد الحق
والبله جمع الابله بمعزل عنه اي عن خطر سوء الخاتمة فانهم هم الذين امنوا بالله ورسوله واليوم الاخر
ايمانا مجملا راسخا كالاعراب والبهائم وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر العقلي استدلالا

ولم يشرعوا في الكلام استقلالا ولا صغوا الى اصناف اهل الكلام في تقليد ارائهم المختلفة التي تقتضي
ضلالا واضلالا ومن ثم ورد اكثر اهل الجنة البله رواه البزار من حديث انس ولذا منع السلف
الكرام من البحث والنظر والخوض في الكلام والتفتيش عن هذه الامور بالتمام وامروا الخلق ان يقتصروا
على ان يؤمنوا بما انزل الله جميعه وبكل ما جاء من الظواهر من عنده مع اعتقاد نفي التشبيه ومنعوهم عن
الخوض في التاويل لان الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقباته كؤودة ومسالكه وعرة والعقول
عن درك جلال الله قاصرة وهداية الله بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا
محجوبة وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطربة ومتعارضة والقلوب لما القي اليها في ابتداء
النشو الفة وبه متعلقة والتعصبات ثائرة بين الخلق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة والماخوذة بحسن
الظن من المعلمين في اول الامر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدنيا بمخنقها
اخذة وعن تمام الفكر صارفة فاذا فتح باب الكلام بالله وبصفاته بالراى والمعقول ومن تفاوت
الناس في قرائحهم واختلافهم في طبائعهم وحرص كل جاهل منهم على ان يدعي الكمال والاحاطة بكنه
ذي الجلال او انطلقت السنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين اليهم وتاكد ذلك
بطول الالف فيهم وانسد بالكلية طريق الخلاص عليهم فكانت سلامة الخلق في ان يشتغلوا بالاعمال
الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم ولكن الان قد استرخ العناد وفشى الهذيان وترك
كل جاهل على ما وافق طبعه بظن او حسبان وهو يعتقد ان ذلك علم واستيقان وانه صفو ايمان و
عرفان ويظن ان ما قنع به من حدس وتخمين علم يقيني بل عين يقيني وسيعلمن نباه بعد حين
كما قيل شعر سوف ترى اذا انجلى الغبار افرس تحتك ام حمار وينشد في حق هؤلاء عند
كشف الغطاء احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء ما ياتي به القدر وسالمتك الليالي
فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر واعلم يقينا ان كل من فارق الايمان الساذج بالله
ورسوله وكتبه وخاض في البحث فقد تعرض لخطر سوء الخاتمة وهذا مخلص ما في الاحياء او سوء
الخاتمة بمعاداته تعالى وهو من اضافة المصدر الى مفعوله لعلمه اي لعوم العبد بتفريقه تعالى اياه اي العبد
من الدنيا وتالم القلب ولتوجعه بفواتها اي بفوت الدنيا ولذاتها وكان يستولي حبها عليه
اي على قلبه ويضعف ايمانه بالله وبالدين ولا يكون من ذكره تعالى فيه الا حديث النفس الخطور باليه
وهواي والحال ان قلبه اسود من تراكم ظلام الرذائل من سوء الاخلاق والشمائل فان اتفق زهوق
روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء سرمدا وهلك هلاكا مؤبدا
ولا يظلم ربك احدا وورد في التنزيل قل ان كان اباؤكم واخوانكم الاية اي وازواجكم وعشيرتكم
واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد

لو تبعثم ثم يتصولحتي يأتي امر الله بامره والله لايهدي القوم الفاسقين او سوء الخاتمة تحصل بحب امر دنياوي
كان يحبه العبد فاحجب عنه تعالى مشتغلا لذلك العبد به اي بامر الدنيوي في الاعتقاد وترسخ اي ثبت في
القلب لاينسى حتى في النوم ويعرف هذا بمثال وهو لايخفى عليك ان الانسان يرى في منام جملة من الاحوال
التي عهدها طول عمره حتى انه لا يرى الا مماثل مشاهدته في اليقظة فان المراهق الذي لم يحتلم لا يرى
صورة الوقاع اذا لم يكن قد واقع في اليقظة ولو بقي كذلك مدة لما رأي عند الاحتلام صورة
الوقاع ثم لايخفى ان الذي مضى عمره في التفقه يرى من الاحوال المتعلقة بالعلم والعلماء ما لا يراه التجار
الذي يمضي عمره في التجارة والتجارة يرى من الاحوال المتعلقة باسباب التجارة اكثر مما يراه الطبيب والفقيه
لانه انما يظهر في حالة النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول الالف والموت يشبه النوم ولذا قيل
الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ولكن الموت فوق النوم واما سكرات الموت وغشيانه فقريب من النوم
فيقتضي بذلك تذكر المالوفات من الطاعات والسيئات او اللذات والشهوات ومن هنا يخالف منامات الصالحين
والطالحين وقد قيل كما تعيشون تموتون وتحشرون ويشير اليه قوله تعالى كما بدأكم تعودون وطول
المواظبة على الخير وتخلية الفكر عن الشر عدة وذخيرة بحال سكرات الموت وسكتات الفوت فانه يموت
المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات لديه ولذا نقل عن بقال كان يلقن عند الموت كلمة الشهادة
وهو يقول خمسة ستة اربعة زيادة وهو اي الاجمال المذكور وسائر الامور لكثرة المعاصي
مع قوة الايمان او قلتها مع ضعفه اي لقلة المعاصي مع ضعف الايمان وهذا القسم المذكور او القسم
المسطور من اقسام سوء الخاتمة لا يوجب الخلود في النار بخلاف الاولين من اقسام سوء الخاتمة
فانهما يوجبان الخلود في دار البوار ومن ثم اي ومن اجل ان سوء الخاتمة يتحقق عند النزع يكره
الفجاءة من الموت والبغتة المقتضية لبعض الفوت لجواز اتفاقها اي اتفاق وقوع الفجاءة
على خاطر سوء فيكون سببا لسوء الخاتمة فيضبط الشهادة اي يجب ويتمنى لاستيلاء حبه تعالى
على القلب واعراضه عن الدنيا واقباله بكليته على الرب وهو اي هذا المقام لمن يخلص في النية
ولا يقصد الغلبة من اخذ البلاد وقهر العباد والغنيمة من الامور الدنية وللحذام الانيسة
والصيت بالجاه والرياء والسمعة والعلاج للخلاص عن سوء الخاتمة المعرفة التامة من العلم
النافعة ولزوم الطاعة من العمل الصالح وتعجيل التوبة عن المعصية والنوم على الطهارة
ظاهرا وهو ظاهر وباطنا بان لا يكون في قلبه غل وغش لاحد من خلق الله لورود من بات
على طهارة ثم مات من ليلة مات شهيدا رواه ابن السني عن انس وتنقية القلب اي تصفيته
وتخليته عن حب غير الرب وتلاوة القرآن غيبا ونظرا مع مراعاة المباني وملاحظة المعاني
وطلب العلم النافع من التفسير والحديث والفقه والتصوف فالامر اي امر سوء الخاتمة صعب

اي شديد

اي شديد ومرو ومن ثم يروي عن السلف من الصحابة والتابعين كثرة النوح والبكاء وزيادة
التضرع والدعاء في السراء والضراء فقد قال الحسن البصري يخرج رجل من النار بعد الف عام
ياليتني كنت ذلك الرجل وانما قال ذلك لخوف الخاتمة وقال محمد بن حنيفة لحنيفة والله لا ازكي
احدا غير رسول الله صلى الله عم ولا ابي الذي ولدني فثارت الشيعة عليه فجعل يذكر من فضائل علي ومناقبه
وورد ان النبي عم وجبريل عم بكيا خوفا من الله تعالى فاوحى الله اليهما تبكيا وقد امنتكما فقالا
ومن يأمن من مكرك رواه الطبراني وغيره وكانهما اذ علما ان الله علام الغيوب وانه لا وقوف
لهما على غاية الامور لم يأمنا ان يكون قوله قد امنتكما ابتلاء لهما وامتحانا ومكرا بهما حتى ان سكن
خوفهما ظهر انهما قد امنا من المكر وما وفيا بقولهما هذا ولولا ان الله لطيف بعباده العارفين
اذ روح قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف فاسباب الرجاء للعارفين رحمة
من الله لهم واسباب الغفلة رحمة على عموم الخلق من وجه وكان ابو الدرداء رض يحلف بالله ما احد امن
على ايمانه ان يسلب عند الموت الا سلبه وكان سهل يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة
وكل حركة وهم الذين وصفهم الله اذ قال وقلوبهم وجلة ولما احتضر سفيان جعل يبكي فقيل يا ابا
عبد الله عليك بالرجاء فان عفو الله اعظم من ذنوبك فقال او على ذنوبي ابكي لو علمت اني اموت على
التوحيد لم ابال ان القى الله بامثال الجبال من الخطايا وفي رواية عنه انه قال بكينا على الذنوب
زمانا فالآن نبكي على الاسلام وكان سهل يقول المريد يخاف ان يبتلي بالمعاصي والعارف يخاف ان يبتلي
بالكفر وروي عن عيسى عم انه قال يا معشر الحواريين انتم تخافون المعاصي ونحن معاشر
الانبياء نخاف الكفر وفيه تنبيه نبيه على ان خوف الانبياء اقوى وبه اشار حديث انا اخوفكم بالله و
المعتقد ان الانبياء معصومون من الكفر اجماعا بحسب النقل لكنهم كانوا خائفين من جهة تجويز العقل
اذ لا يجب شيء على الله وان فعله اما العدل واما الفضل وقد قيل كان الخليل عم اذا ذكر خطيئته
يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فياتيه جبريل فيقول له الجبار يقرئك السلام ويقول هل
رأيت خليلا يخاف خليله فيقول يا جبريل اني اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي وعن الحسن لو اعلم
اني بريء من النفاق كان احب الي مما طلعت عليه الشمس وقد قال ان من النفاق اختلاف السر
والعلانية واختلاف اللسان والقلب والمدخل والمخرج ومن الذي يخلص من هذه المعاني بل صارت
هذه الامور مالوفة بين الناس معتادة ونسي كونها منكرا بالكلية بل جرى ذلك على قرب
عهد بزمانه عم فكيف الظن بزماننا هذا حتى قال حذيفة ان كان الرجل ليتكلم بالكلمة
على عهده عم فيصير بها منافقا اني لاسمعها من احدكم اليوم عشر مرات رواه احمد وكان الصحابة
يقولون انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهده عم من الكبائر

رواه البخاري وغيره وقال بعضهم علامة النفاق ان تكره من الناس ما تأتي مثله وان تحب على شيء
من الجور وان تبغض على شيء من الحق وقيل من النفاق انه اذا مدح بشيء ليس فيه اعجبه ذلك وقال رجل
لابن عمر انا ندخل على هؤلاء الائمة فنصدقهم بما يقولون فاذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال كنا نعد هذا
نفاقا على عهده عم رواه احمد وسمع رجل يذم الحجاج ويقع فيه فقال ارايت لو كان الحجاج حاضرا
اكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهده عم واشد من ذلك ما روي ان نفرا
قعدوا على باب حذيفة ينتظرونه فكانوا يتكلمون في شيء من شأنه فلما خرج سكتوا حياء منه فقال
تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهده عم وكان حذيفة يقول
ان يأتي على القلب ساعة يمتلئ بالايمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز ابرة ويأتي عليه ساعة يمتلئ بالنفاق
حتى لا يكون للايمان فيه مغرز ابرة ولعلهم اعنوا به النفاق الذي هو ضد الايمان بل المراد به
ما يجتمع مع اصل الايمان من بعض الصفات والحاصل ان العارف بين الالتفات الى السابقة والى الخاتمة
اللاحقة خائفا منهما ولذا قال عم العبد المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع
فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا
بعد الدنيا الا الجنة او النار ذكره البيهقي وغيره وقال عيسى عم يا معشر الحواريين خشية الله
وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من الدنيا وحق اقول لكم ان اكل الشعير والنوم
على المزابل مع الكلاب في طلب الفردوس قليل وروي عن الصديق انه قال لطائر ليتني مثلك يا طائر
ولم اخلق بشرا وقال ابو ذر وددت لو اني شجرة تعضد وكذا قال طلحة وقال عثمان وددت اني اذا مت
لم ابعث وقالت عائشة وددت اني كنت حيضة ونسيا منسيا وروي ان عمر كان يسقط من الخوف اذا سمع
اية من القران مغشيا عليه وكان يعاد اياما واخذ يوما تبنة من الارض وقال يا ليتني كنت مثل هذه
التبنة يا ليتني لم اك شيئا مذكورا يا ليتني كنت نسيا منسيا يا ليت امي لم تلدني وكان في وجه عمر
خطان اسودان من الدموع ولما قرأ عمر اذا الشمس كورت فانتهى الى قوله واذا الصحف نشرت خر
مغشيا عليه ومر يوما بدار انسان وهو يصلي ويقرأ سورة والطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله تعالى
ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع نزل عن حماره واستند الى حائط فمكث زمانا ورجع الى منزله
فمرض شهرا يعوده الناس ولا يدرون مرضه وقال علي رضه وقد سلم عن صلوة الصبح وقد علاه
كآبة وهو يقلب يده ولقد رايت اصحابه عم فلم ار اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون صفرا
شعثا غبرا بين اعينهم امثال ركب المعزى قد باتوا سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين
جباههم واقدامهم فاذا اصبحوا وذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت اعينهم
بالدموع حتى تبل ثيابهم والله كاني بالقوم باتوا غافلين يعني من حوله ثم قام فما روي بعد ذلك

ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم وقال عمران بن حصين لوددت اني كنت رمادا تسفيني الرياح في يوم عاصف
وقال ابو عبيدة بن الجراح وددت اني كنت كبشا فيذبحني اهلي فياكلون لحمي ويحسون مرقي وكان علي
بن حسين اذا توضأ اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون
بين يدي من اريد ان اقوم وقرئ عند القاري يوما هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق الاية فبكى عبد الواحد
بن زيد حتى غشي عليه وقال وعزتك وجلالك لا اعصيتك جهدي ابدا فاعني بتوفيقك على طاعتك وكان
المسور بن مخرمة لا يقوى على ان يسمع القران من شدة خوفه ولقد كان يقرأ عنده الحرف او الاية
فيصيح الصيحة فما يعقل اياما حتى اتى عليه رجل من خثعم فقرأ عليه يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا
ونسوق المجرمين الى جهنم وردا ولست من المتقين اعد علي القول ايها القاري فاعاد عليه فشهق شهقة
فلحق بالآخرة وروي ان زرارة بن اوفى صلى بالناس صلوة الغدوة فلما قرأ فاذا نقر في الناقور
خر مغشيا عليه فحمل ميتا وسئل ابن عباس عن الخائفين فقال قلوبهم بالخوف قرحة واعينهم باكية
يقولون كيف نفرح والموت وراءنا والقبر امامنا والقيمة موعدنا وعلى جهنم طريقنا وبين
يدي ربنا موقفنا وقال عمر بن عبد العزيز انما جعل الله الغفلة في قلوب العباد رحمة
كيلا يموتوا من خشية الله وقال الفضيل اني لا اغبط نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا اليس هؤلاء
يعاينون يوم القيمة انما اغبط من لم يخلق وروي ان فتى من الانصار دخلته خشية النار فكان
يبكي حتى حبسه ذلك في البيت فجاءه عم ودخل البيت واعتنقه فخر ميتا فقال عم جهزوا
ميتكم فان الفرق من النار فتت كبده رواه ابن ابي الدنيا والبيهقي في الشعب من حديث سهل بن
سعد وقال الغنوي اجتمع اصحاب الحديث على باب فضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي
ولحيته ترجف فقال عليكم بالقران عليكم بالصلوة ويحكم ليس هذا زمان حديث انما هذا زمان
بكاء وتضرع ودعاء الغريق انما هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ
ما تعرف ودع ما تنكر وقال رجل للحسن يا ابا سعيد كيف اصبحت فقال بخير فقال كيف حالك
فتبسم الحسن فقال تسألني عن حالي ما ظنك بناس قد ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت
سفينتهم فتعلق كل انسان منهم بخشبة على اي حال هم قال الرجل على حالة شديدة قال الحسن حالي
اشد من حالهم وعن ابن السماك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلود اما في الجنة او في النار
وقال معاذ بن جبل ان المؤمن لا يسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم وراءه وخلاصة الكلام في
هذا المقام ان غلبة الخوف حال الصحة اصلح ليبعثه على ترك الغفلة وغلبة الرجاء في تلك الحالة
اصلح لانه اجلب للمحبة ولذا قال عم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه رواه مسلم من حديث جابر
ومن هنا لما حضر الوفاة سليمان التيمي قال لابنه يا بني حدثني بالرخص واذكر لي الرجاء حتى القى الله

...ن الظن به ولذلك لما حضرت الوفاة الثوري واشتد جزعه جمع العلماء حوله يرجونه
وقال الامام احمد عند الموت لابنه اذكر لي الاخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن والمؤمن
ذلك ان يحب لقاء الله ان يفنه وان يموت الى الجنة التي هي مقام الانس رزقنا الله من فيض قدسه

الباب التاسع عشر في الفقر والزهد . الفقر فخر الانبياء وحزن الاولياء والزهد

الباب التاسع عشر

زاد الاتقياء وقدم الفقر على الزهد بناء على تقدم وجود اصله في كل مخلوق وشموله كما
يشير اليه قوله تعالى والله الغني وانتم الفقراء والزهد عارض من جهة عدم ميله الى الغنى
المقتر بوصل نيله بسم الله الرحمن الرحيم افتقر الى غنى ربي الكريم . وازهد عن غير بقاء
مولاي العظيم . الفقر فقد ما يحتاج اليه في ظن الفاقد مما لديه اما فقد ما لا حاجة اليه
فلا يسمى الفقر ان كان المحتاج اليه موجودا مقدورا عليه لم يكن المحتاج اليه فقيرا فاذا فهمت
هذا لم تشك في ان كل موجود سوى الله سبحانه فقير لانه محتاج الى دوام الوجود في ثاني الحال ودوام
وجوده مستفاد من فضل الله وجوده وان كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفادا له من
غيره هو الغني المطلق ولا يتصور ان يكون مثل هذا الموجود الا واحد فليس في الوجود الا غني واحد
وكل ما عداه محتاج اليه في ايجاده وامداده والى هذا المعنى اشير الى قوله تعالى والله الغني وانتم
الفقراء وهذا معنى الفقر مطلقا ولكن المراد هنا بيان الفقر من المال على الخصوص والا ففقر
العبد بالاضافة الى اصناف حاجاته لا تحصر فان فرح السالك بالفقد المذكور او بحصول ما يحتاج
اليه وكره الزائد على الضرورة فيما لديه فزاهد اي هو زاهد وهذه الحالة حال العليا وان
لم يكره الزائد على الضرورة كراهة يتأذى بوصوله ولم يرغب في الزائد على الضرورة رغبة
يفرح بحصوله فراض اي فاسمه راض ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه انكار على الله ولا كراهة في فعل
مولاه فتلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر في عقباه وورد يا معاشر الفقراء اي جماعتهم اعطوا
الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وتتمة الحديث والا فلا رواه الديلمي عن ابي هريرة ويكاد
مفهوم الحديث يشعر بان الحريص لا ثواب له على فقره لكن العمومات الواردة في فضل الفقر والقناعة
والزهد يدل على ان له ثوابا فلعل المراد بعدم الرضا هو الكراهة بفعله سبحانه في حبس الدنيا
عنه وان ترك الطلب اي طلب الزائد على الضرورة وهو قادر على طلبه ولكن تركه مع ان الوجود
اي وجود المال الزائد عنده احب من عدم وجوده لرغبته فيه ولكن لم يبلغ من رغبته ان يكون
من طلبه بل ان اتاه عفوا صفوا اخذه وفرح به وان افتقر الى تعب في طلبه لم يشتغل به فقانع اي
فيقال له قانع اذ قنع نفسه بالموجود حتى ترك طلب المفقود مع ما فيه من الرغبة الضعيفة في الوجود
وان رغب في الزائد لو وجد سبيلا الى طلبه ولو بالتعب لطلبه وتركه للعجز اي وترك الطلب لعجزه

عن طلبه او هو مشغول بالطلب وتفيه حريص اسمه وان اضطر اليه اي افتقر الى ما يحتاج اليه وفقده
ضرورة عليه كالجائع الفاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب فمضطر وصفه كيف ما كانت رغبته في الطلب ضعيفة
او قوية وقل ما ينفك صاحب هذه الحالة عن الرغبة في الجملة والاعلى من الفقراء ومن الزهداء واعلى
احوال الخمس تسوية الوجود اي وجود ما يحتاج اليه من فقده والعدم اي وفقد ما يحتاج اليه
فان وجده لم يفرح من شانه ولم يتاذ عن اتيانه وان فقده كذلك كحال عائشة رض اذ اتاها مائة
الف درهم من العطاء فاخذته وفرقته من يومها فقالت خادمها لو ابقيت منها درهما تشتري لنا به لحما
نفطر فقالت لو ذكرتني فعلت فمن هذا حاله لو كانت الدنيا بحذافيرها في يده وخزائنها في تصرفه
لم يضره اذ هو يرى الاموال من جملة خزائن الملك المتعال لا في يد نفسه فلا يفرق بين ان يكون في يده
او في يد غيره وقد حملت خزائن الارض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ابي بكر وعمر رضي الله عنهم فاخذوها
ووضعوها في مواضعها ولم يكن عندهم فرق بين المال والماء في كل الحال فهو استغناء دون الغنى
المطلق لاختصاصه اي الغنى المطلق به اي بالحق تعالى شانه وينبغي ان يسمى صاحبه المستغني لانه غني عن فقد المال
ووجوده جميعا وقد يقال له غني بغنى مولاه لخبر ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ثم هذا العبد
وان استغنى عن المال وجودا وعدما لم يستغن عن اشياء اخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله
فيه استغناؤه الذي زين الله به قلبه فان القلب المقيد بحب الدنيا رقيق والمستغني عنه حر والله تعالى
هو الذي اعتقه عن هذا الرق فهو محتاج الى دوام هذا العتق والقلوب منقلبة بين الرق والحرية في اوقات
متقاربة لانها بين اصبعين من اصابع الرحمن فلذا لم يكن اسم الغني مطلقا عليه مع هذا الكمال الا مجازا وهو اي
الاستغناء المراد بما ورد من الكتاب والسنة في فضل الفقر والفقراء كقوله تعالى للفقراء المهاجرين الاية و
للفقراء الذين احصروا والاية ساق الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة
والاحصار وكقوله عليه السلام لبلال الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا رواه الحاكم من حديث بلال والطبراني
من حديث ابي سعيد بلفظ مت فقيرا ولا تمت غنيا وقوله عليه السلام يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة
عام رواه الترمذي من حديث ابي هريرة وقال حسن صحيح وقوله الفقر زين بالمؤمن من العذار الحسن على خد
الفرس رواه الطبراني من حديث شداد بن اوس وقوله اطلعت في الجنة فرايت اكثر اهلها الفقراء واطلعت
في النار فرايت اكثر اهلها الاغنياء رواه احمد من حديث عبد الله بن عمرو باسناد جيد وللشيخين من حديث
اسامة بن زيد قمت على باب الجنة فاذا عامة من دخلها المساكين واذا اصحاب الجد محبوسون وقوله تحفة
المؤمن في الدنيا الفقر رواه محمد بن خفيف الشيرازي في شرف الفقراء والديلمي من حديث معاذ بن جبل
بسند لا باس به وقوله اخر الانبياء دخولا الجنة سليمان لمكان ملكه واخر اصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن
بن عوف لاجل غناه وفي رواية رايته دخل الجنة زحفا والديلمي عن ابي الدرداء مرفوعا اوحى الله تعالى

اليه بعم يا موسى اذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رايت الغنى مقبلا
فقل ذنب عجلت عقوبته وروي ان عيسى عم مر في سياحته برجل نائم ملتف في عباءة فايقظه
وقال يا نائم قم واذكر الله تعالى فقال ما تريد مني اني قد تركت الدنيا لاهلها فقال له فنم اذن
حبيبي ثم وقال موسى عم يا رب من احباؤك من خلقك حتى احبهم لك فقيل فقير فقير فيحتمل ان يكون الثاني
تاكيدا وان يكون المراد به شديد الفقر وكان عيسى عم احب الاسامي اليه ان يقال له يا مسكين
ولابي الشيخ من حديث انس يقول الله تعالى يوم القيمة ادنوا مني احبائي فيقول الملائكة ومن احباؤك فيقول
فقراء المسلمين فيدنون منه فيقول اما اني لم ازو الدنيا عنكم لهوانكم علي ولكن اردت بذلك ان اضعف
لكم كرامتي اليوم فتمنوا علي ما شئتم ولابي نعيم في الحلية من حديث الحسين بن علي اتخذوا عند الفقراء ايادي فان
لهم دولة يوم القيمة وللطبراني من حديث ابي امامة دخلت الجنة فسمعت حركة امامي فنظرت فاذا بلال
فنظرت الى اعلاها فاذا فقراء امتي واولادهم فنظرت في اسفلها فاذا فيهم الاغنياء والنساء قليل فقلت
يا رب ما شانهم قال اما النساء فاضرهن الاحمران الذهب والحرير واما الاغنياء فاشتغلوا بطول
الحساب فتفقدت اصحابي فلم ار عبد الرحمن بن عوف ثم جاءني بعد ذلك وهو يبكي فقلت ما خلفك عني
فقال اما والله يا رسول الله ما خلصت اليك حتى لقيت المشيبات فظننت اني لا اراك قلت لم قال كنت
احاسب بمالي ولابن ماجه بسند جيد من حديث معاذ الا اخبركم عن ملوك الجنة قالوا بلى يا رسول الله فقال
كل ضعيف مستضعف ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره وللحاكم والترمذي من حديث عائشة
انه عم قال لها ان اردت اللحوق بي فعليك بعيش الفقراء واياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعي
درعك حتى ترقعيه وعن ابن عباس ملعون من اكرم بالغنى واهان بالفقر وقال لقمان لابنه
لا تحقرن احدا لخلقان ثيابه فان ربك وربه واحد وقال يحيى بن معاذ حبك للفقراء من
اخلاق المرسلين وايثارك لمجالستهم من علامات الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامات المنافقين
وقال المؤمل ما رايت الغني اذل منه في مجلس الثوري والداري وغيره من حديث ابن عمر ان لكل شيء
مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبر هم جلساء الله يوم القيمة وفي الصحيحين من
حديث ابي هريرة اللهم اجعل رزق محمد قوتا وفي رواية لمسلم كفافا ولابن ماجه من حديث انس ما من
احد غني ولا فقير الا ود يوم القيمة انه كان اوتي قوتا في الدنيا وللديلمي يقول الله تعالى يوم القيمة
اين صفوتي من خلقي فيقول الملائكة ومن هم يا ربنا فيقول فقراء المسلمين القانعين بعطائي الراضين
بقضائي ادخلوهم الجنة فيدخلونها وياكلون ويشربون منها والناس في الحساب يترددون واما ما
ورد اعوذ بك من الفقر كما للنسائي من حديث ابي سعيد الخدري انه عم كان يقول اعوذ بالله
من الكفر والفقر وفي رواية الحاكم من الفقر والكفر ونحوه من حديث كاد الفقر ان يكون كفرا وقد تقدم فمحمول

على الاضطرار

على الاضطرار بلا انضمام زهد في الاختيار وهو ان يضطر الى الشيء ويفقده لان هذه الحالة اشد
انها مشوشة او محمولة على فقر القلب فهو بذي النون اقرب الناس الى الكفر ذو فاقة لا صبر له وفي الجملة كل ما
هو شاغل عن المولى فهو مشؤوم في الدنيا والاخرى فمن هنا ورد اعوذ بك من شر فتنة الفقر ومن شر فتنة الغنى
فان الفقر يكون منسيا كما ان الغنى يكون مطغيا هذا وسنذكر فضل الزهد في فصله الاتي واما الاثار
والقناعة فكثيرة منها قول عمر رض ان الطمع فقر والياس غنى وانه من ياس عما في ايدي الناس وقنع بما في
يده استغنى عنهم وفي دعائه عم اللهم قنعني بما رزقتني وبارك لي فيه وقد قيل في القناعة شعر اضرع الى
الله لا تضرع الى الناس • واقنع بياس فان العز في الياس • واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم • ان
الغني من استغنى عن الناس • وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي من تحت العرش يا ابن ادم
قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال ابو الدرداء رض ما من احد الا في عقله نقص وذلك اذا
اتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا والليل والنهار دائبين في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن ادم
ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص وقيل لبعض الحكماء ما الغناء فقال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك ومر رجل
بعامر بن عبد القيس وهو ياكل ملحا وبقلا فقال له يا ابا عبد الله ارضيت من الدنيا بهذا فقال افلا
ادلك على من رضي بشر من هذا قال بلى قال من رضي بالدنيا عوضا عن العقبى وروي ان الله تعالى قال
في بعض الكتب المنزلة يا ابن ادم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت
وجعلت حسابها الى غيرك فانا محسن اليك واختلف ان الفقر مع الصبر افضل من الغنى مع الشكر ام الغنى
مع الشكر افضل من الفقر مع الصبر فذهب الجنيد والخواص والاكثرون الى تفضيل الفقر وخالفهم ابن
عطا كما تقدم وقد استدل عليهم بان الغنى وصف الحق واجيب بان غناه سبحانه ليس بالاسباب فانقطع
ولم ينطق في هذا الباب واجيب ايضا بان التكبر ايضا من صفات الحق فينبغي ان يكون افضل من التواضع
ثم قيل له بل هذا يدل على ان الفقر افضل لان صفات العبودية افضل للعبد كالخوف والرجاء وصفات الربوبية
لا ينبغي ان ينازع فيها لما ورد الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني فيهما قصمته وقال
سهل حب العز والبقاء شرك في الربوبية ومنازعة فيها لانهما من صفات الله قلت ويشير اليه قوله تعالى
والله الغني وانتم الفقراء ثم التحقيق ان الفقر والغنى اذا اخذ مطلقا لم يستدل من فحوى الاخبار والاثار
في تفضيل الفقر وانما يتصور التردد في مقامين احدهما فقير صابر ليس بحريص على الطلب بل هو
قانع وراض بالاضافة الى غني منفق ماله في الخيرات ليس حريصا على امساك المال وثانيهما فقير حريص
مع غني حريص اذ لا يخفى ان الفقير القانع افضل من الغني الحريص والممسك وان الغني المنفق ماله في الخير
خير من الفقير الحريص اتفاقا واما الاول فربما يظن ان الغنى افضل من الفقر لانهما تساويا في ضعف
الحرص على المال والغني متقرب بالخيرات والفقير عاجز عنه وهذا هو الذي ظنه ابن عطا في غالب الظن

فاما الغني المتمتع بالمال وان كان في مباح فلا يتصور ان يفضل على الفقير القانع وقد يشهد
له راسخين من سؤال الفقراء عما يوهم ترجيح الاغنياء والحق الاختلاف بحسب الاشخاص بل وتفاوت
الاحوال كما يشير اليه قوله تعالى ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا
بصيرا وفي الحديث القدسي ان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لفسد حاله وان من عبادي
من لا يصلحه الا الغنى ولو افقرته لفسد حاله وفي دعائه عم اللهم وسع علي رزقي عند كبر
سني ومن هنا قيل التسليم اسلم ومقام الرضا اتم والله اعلم ويؤيده قوله تعالى عسى ان تكرهوا
شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون فالفضل اي زيادة
الفضيلة بقدر الفراغ عن الشواغل اي الموانع عن تحصيل الفضائل والدنيا انما احذر عنها اي عن
جهة التشغل عنه تعالى بسببها وتوضيحه ان ما لا يراد لعينه بل يراد لغيره فينبغي ان يضاف الى مقصوده اذ به
يظهر فضله والدنيا ليست محذورة لعينها بل لكونها عائقة عن الوصول الى الله ولا الفقر مطلوب
لعينه ولكن لان فيه فقد العائق عن الله سبحانه وكم من فقير شغلته الدنيا وحبها وكسبها وحرص الفقر
عن المقصد كما كثر ابناء الدنيا وكم من غني لم تشغله الدنيا ولو اكثر من مالها وجاهها كسليمان عليه السلام
وداود وابراهيم وعبد الرحمن بن عوف بن عفان وذلك لان غاية المقصد في الدنيا هو حب الله
والانس به ولا يكون ذلك الا بعد معرفته وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل كما ان الغنى قد يكون من الشواغل
كما يشير اليه قوله عم اعوذ بك من شر فتنة الفقر ومن شر فتنة الغنى كما تقدم وانما الشاغل على التحقيق حب الدنيا
اذ لا يجتمع معه حب المال في القلب والمحب للشيء مشغول به سواء كان في فراقه او في وصاله وربما يكون
شغله في الفراق اكثر وربما يكون في الوصال اكثر والدنيا معشوقة للغافلين فالمحروم عنها مشغول
بطلبها والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع بها اما في حق الاكثر فالفقر افضل اذ هو ابعد عن الخطر
في الشغل عن الدنيا والانس اي وعن الاستيناس بالدنيا والقدرة اي وعن القوة على الشهوة اذ فتنة
السراء اشد من فتنة الضراء ومن العصمة ان لا تقدر ولذا قالت الصحابة بلينا بفتنة الضراء فصبرنا و
بلينا بفتنة السراء فلم نصبر ومن هنا قال عيسى عم لا تنظروا الى اموال اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب
بنور ايمانهم في الجر ان لكل امة عجلا وعجل هذه الامة الدينار والدرهم رواه الديلمي من طريق ابي عبد الرحمن
السلمي من حديث حذيفة وكان اصل عجل قوم موسى عم من حلية الذهب والفضة ايضا فاستواء المال
والماء والذهب والحجر انما يتصور للانبياء والاولياء ثم بعد ذلك بعد فضل الله بطول المجاهدة هنالك
اذ كان عم يقول للدنيا اليك عني اذا كانت تتمثل له بزينتها رواه الحاكم وكان علي رض يقول
يا صفراء غري غيري ويا بيضاء غري غيري وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور مبادي الاغترار بها لولا
ان راى برهان ربه الا في المضطر فليس الفقر افضل في حقه لانه اي المضطر يموت جبرا اي تحاليا

عن الحجر

عن الحجر او قد يكون ذلك كفرا والواجد بالنصب عطفا على الضمير وبالرفع على انه مبتدا
خبره يحصل المعرفة والجملة حالية الا استثناء من المستثنى اي الا المضطر لا يتوب عن المعاصي فالموت خير له
اي فالفقر الموجب للموت خير له اذ يقل معاصيه في تخلص هو عن الم الاضطرار وكذا في نفس الامر اي وكما
ان الفقر افضل في حق الاكثر فكذا هو افضل في نفس الامر تدبر وورد اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا و
احشرني في زمرة المساكين رواه الترمذي من حديث انس وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث ابي
سعيد وفيه مبالغة عظيمة في مدح المساكين حيث لم يقل واحشرهم في زمرتي وهو من التواضع منه عم
وانما اراد بهم الانبياء والمرسلين لان غالبهم كانوا فقراء ومساكين وفي رواية للترمذي زيادة
يوم القيمة فقالت عايشة لم يا رسول الله قال انهم يدخلون الجنة قبل اغنيائهم باربعين خريفا
بلغ عني خطاب منه عم لمن جاء برسالة الفقراء من اصحاب الكرام والمعنى اخبر عني قبلي الفقراء تسلية لهم
حيث ما جعلوا اغنياء ان لمن صبر على الفقر واحتسب اي طلب من الله الاجر منكم ومن امثالكم ثلث
خصال تختص لهم ليست للاغنياء واحدة منها فضلا عن جميعها اما الخصلة الواحدة فان في الجنة غرفا اي
قصورا عالية ينظر اليها اهل الجنة الى نجوم السماء لا يدخلها الا نبي فقيرا وشهيد فقيرا ومؤمن
فقير وهو من لا يكون صاحب نصاب والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء نصف يوم وهو خمسمائة عام
وهذه الجملة رواه الترمذي من حديث ابي هريرة وصححه والثالثة اذا قال الغني سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير وان انفق منها الاف درهم
وكذلك اعمال البر كلها لمن جاء متعلق بيلغ عني اي قال النبي عم لمن جاء برسالة الفقراء ان الاغنياء
يجوز فتح ان وكسرها يحجون ويعتمرون ويتصدقون بفضول اموالهم ونحن عاجزون عن ذلك
في تمام احوالهم وفي الاحياء روي في الخبر ان الفقراء شكوا الى رسول الله عم سبق الاغنياء بالخيرات
والصدقات والحج والجهاد فعلمهم كلمات في التسبيح وذكر لهم انهم ينالون بها فوق ما نال الاغنياء فعلم الاغنياء
بذلك فكانوا يقولون فعاد والى رسول الله صلى الله عم فاخبروه فقال عم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
قال المخرج متفق عليه من حديث ابي نحوه انتهى وقال في الاحياء ايضا وقد استشهد ابن عطا بهذا ايضا
قال وفيه نظر لان الخبر قد ورد مفصلا تفصيلا يدل على خلاف ذلك وهو ان ثواب الفقر في التسبيح
يزيد على ثواب الغني وان فوزهم بذلك الثواب هو فضل الله يؤتيه من يشاء فقد روى زيد بن اسلم
عن انس قال بعث الفقراء الى رسول الله صلى الله عم فقال يا رسول الله اني رسول الفقراء اليك فقال
مرحبا بك وبمن جئت من عندهم جئت من عند قوم احبهم الله قال قالوا يا رسول الله ان الاغنياء
ذهبوا بالجنة يحجون ولا نقدر عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا بفضل اموالهم
ذخيرة لهم فقال عم بلغ عني الفقراء الحديث قال المخرج لم اجده هكذا بهذا السياق والمعروف

في هذا المعنى ما رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر اشتكى فقراء المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فضل الله به عليهم اغنياءهم فقال يا معشر الفقراء الا ابشركم ان فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام ولان عطف على ورد فهو دليل ثان على ان الفقراء افضل في نفس الامر وذلك لان الغنى سبب طول الحساب وهو نوع من العذاب ولذا قال ابو الدرداء رضي الله عنه ما احب ان لي حانوتا على باب المسجد ولا يخطئني صلوة ولا ذكر واربح كل يوم اربعين دينارا واتصدق بها في سبيل الله قيل وما تكره قال سوء الحساب ومن هنا قال شقيق اختار الفقراء ثلثة اشياء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب واختار الاغنياء ثلثة اشياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب والغرور اي وسبب طول الغرور في الامور الموجب للهلاك فقد قال بعض السلف مثل من تعبد وهو طلب الدنيا كمثل من يطفي النار بالحلفاء ومثل من يغسل يده من الغمر بالسمك وقال ابو سليمان الداراني تنفس فقير في شهوة لا يقدر عليها افضل من الف دينار ينفقها غني في سبيل الله عز وجل وقال رجل لبشر بن الحارث ادع الله لي فقد اضر بي العيال فقال اذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله لي في ذلك الوقت فان دعاءك افضل من دعائي وكان يقول مثل الغني المتعبد مثل روضة على مزبلة ومثل الفقراء المتعبد مثل عقد الجوهر على جيد الحسناء وقد كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الاغنياء فان عورض ما ذكر من ادلة تفضيل الفقر على الغنى بان الغنى صفته تعالى والتخلق باخلاقه مندوب اليه كما ورد تخلقوا باخلاق الله وبان الغني قادر على العبادات المالية من الزكوة والحج والعمرة دون الفقير اي علاوة ثم يعترض اي لم يقبل اعتراضه في الامرين فيهما لف ونشر مرتبا قوله لان الغنى بالاسباب والاعراض الواقعة من غير الاكتساب ليس من خلقه اي صفته تعالى كالتكبر بها دون استحقاق للغنى او الكبرياء وذلك لان الله تعالى غني بذاته لا بما يتصور زواله والتكبر لا يليق بالعبد لانه من خاصة صفاته اللائقة بذاته كما اوضحناه فيما تقدم والعبادة اي ولان العبادة المالية انما توجب الثواب في العقبى بترك الدنيا والاشتغال بخدمة المولى كالنوبة في الدنيا يوجب المثوبة في الاخرى بترك الذنب اي مخالفة المولى فلو فضل الغنى على الفقير بهذا الاعتبار لفضل العاصي على المتقي اي الطائع من الابرار وهو لا يصح عند اولي الاستبصار وحقه اي حق الفقير الواجب عليه عشر ونحوها ان لا يكره من احتياجه فعله تعالى شرعا وان كان كارها للفقر طبعا كالمحجوم بل ربما يتقلد منة من الله تعالى تقلد المحجوم اي يتقلده [اي المحجوم] المنة من الحاجم ثم عدم الكراهة من هذه الحيثية واجب ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر وهذا معنى قوله والا يأثم اي وان لم يحبه من حيث انه فعله تعالى يأثم لعدم الرضا بالقضاء وهو واجب على العباد شرعا وان كان الفقر مكروها عنده طبعا وارفع من هذا المقام ان لا يكون كارها للفقر بل يكون راضيا به وارفع ان يكون طالبا له وفرحا به لعلمه بغوائل الغنى ويكون متوكلا في باطنه على الله تعالى واثقا به في قدر ضرورة انه يأتيه الرزق لا محالة

عند المولى ويكون كارها للزيادة على الكفاف وقد قال علي رضي الله عنه ان لله عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر فمن علامته الفقر اذا كان مثوبة ان يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه ولا يشكو الحال ويشكر الله تعالى على فقره ومن علامته اذا كان عقوبة ان يسوء عليه خلقه ويعصي ربه ويكثر الشكاية والتسخط بالقضاء وهذا ادب باطنه مع ربه وسيأتي اي وحق الفقير في ادب ظاهره ان يستر امره ويكتم فقره ويستر ايضا ستره فقد قال بعضهم ستر الفقر من كنوز البر وروي من كنوز البر كتمان المصائب بالتجمل اي باظهار الجمال كانه صاحب المال كما قال صاحب هذا المال شعر واذا تصبك خصاصة فتجمل وقال سفيان افضل الاعمال التجمل عند شدة الاحوال والتعفف عن السؤال واظهار الحال وقد وصف الله تعالى اصحاب الصفة من كمال الجمال بقوله يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف اي اظهارها للعفة حال المحنة وورد ان الله يحب الفقير المتعفف بالعيال رواه ابن ماجه من حديث عمران بن حصين ولا يتواضع اي وحق الفقير ان لا يتواضع لغني بالمال اي للغنى لاجل ماله من المال المستغني عن طلب الكمال من العلوم والاعمال وورد فيه اي في ذم من تواضع لغني لاجل غناه ذهب ثلثا دينه رواه البيهقي وغيره وروى الديلمي من حديث ابي ذر بلفظ لعن الله فقيرا تواضع لغني لماله من فعل ذلك منهم فقد ذهب ثلثا دينه انتهى وذلك لان آلة العبادة قلب ولسان وجوارح وفي تعظيم الغنى لا بد من استعمال اللسان والجوارح وفيه تنبيه على انه لو عظم بقلبه ذهب كل دينه بل حق الفقير ان يترفع عليه اي على الغني استغناء بربه الغني المغني وورد انه اي التكبر على الغني المتكبر صدقة اي ثوابه صدقة او صدقة من صدقات الفقر يدل على صدقه في باب الفقر وفي رواية تدمغ الناهي فانه صدقة وعن علي رضي الله عنه ما احسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله واحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله فهذه رتبة واقل منها ان لا يخالط الاغنياء ولا يرغب في مجالستهم لان ذلك مبادي الطمع قال الثوري اذا خالط الفقير الاغنياء ورغب في مجالستهم فاعلم انه مراء واذا خالط السلطان فاعلم انه لص وقال بعض العارفين اذا مال الفقير الى الاغنياء انحلت عروته واذا طمع فيهم انقطعت عصمته واذا سكن اليهم ضل سعيه ومحنته ولا يتوانى اي وحقه ان لا يفتر عن الطاعة ولا يتكاسل في العبادة بسبب فقره وقلة صبره ويتصدق بالفاضل اي وحقه ان لا يمنع ما يفضل عنه من حاجته كطعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته ويدفع عنه حره وبرده وبيت يكنه ويستره فان ذلك جهد المقل وفضله اكثر من اموال كثيرة يبذل عن ظهر غنى وورد فيه اي في حقه ان درهما من الفقير افضل من مائة الف اي مائة الف درهم من الغني وفي رواية سبق درهم مائة الف درهم وعن ابي هريرة قال عليه السلام درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة الف قيل وكيف يا رسول الله قال اخرج رجل من عرض ماله مائة الف درهم فتصدق بها واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة به نفسه فصار صاحب الدرهم افضل من صاحب المائة الالف

رواه النسائي ويستقرض اي وحقه ان يستقرض تحسينا للظن به تعالى انه يقضيه كن خزائن كرمه وجوده
لا تعويلا اي اعتمادا على السلطان الظالم واعوانه وجوده فيقضي دينه بنفسه ان وجد حلالا
بعده والا اي وان لم يجد حلالا فلا ياخذه فانه يقضيه تعالى في الدنيا ويرضي الخصماء في العقبى اما
بفضله او بعينه له بان يعطي الخصم منزلة يرضى بها عن حقه ويكشف الحال اي وان يظهره ولا يخفيه عن المقرض
لئلا يدخل تحت وعيد من غشنا فليس منا ولا يخدع اي وان لا يخدع المقرض بالمواعيد الكاذبة ويجب
القضاء اي قضاء دين الفقير حيث صرفه في العطاء من بيت المال الموضوع لمهمات المسلمين من الغنائم والصدقات
اي الزكوة ولا يسال اي وحقه ان لا يسال عن الناس اصلا فهو اي السؤال عن الخلق في الاصل اي اصل وضع
الشرع حرام وانما يحل بعوارض فتزع من ضرورة او حاجة مهمة قريبة من الضرورة فان كان عنها بد فحرام
وانما الاصل فيه التحريم لثلثة امور محرمة لتضمنه الشكاية منه تعالى اذ السؤال اظهار للفقر وفقد المال
وذكر لقصور نعمه تعالى عنه في الحال وهو عين الشكوى عن المولى وكما ان عبد المملوك اذا سال غير
سيده كان سؤاله تشنيعا على مالكه فكذا سؤال العبد تشنيع على ربه تعالى وهذا ينبغي ان يحرم ولا يحل
الا لضرورة كما لا يحل الميتة الا لضرورة واذلال النفس اي ولتضمنه اهانة النفس المؤمنة لغيره
سبحانه وقد قيل السؤال ذل ولو ابن الطريق وورد لا يحل للمؤمن ان يذل نفسه يعني لغير الله بل عليه
ان يذل نفسه لمولاه فان فيه العزة والجاه فقد قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فاما سائر
الخلق فانهم عباد امثاله فلا ينبغي ان يذل لهم الا لضرورة في احوالهم ففي السؤال ذل السائل بالاضافة
الى المسؤول ومن دعاء الامام احمد اللهم كما صنت وجهي عن سجود غيرك فصن وجهي عن مسئلة غيرك
وايذاء المسؤول اي ولتضمنه ايذاءه غالبا لانه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيب قلب منه فربما يعطي
حياء من السائل او رياء اذا كان السؤال في المحافل فهو حرام على الاخذ وان منع ربما استحيي وتأذي
في نفسه بالمنع اذ يرى نفسه في صورة البخلاء ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما
مؤذيان والسائل سبب في الايذاء والايذاء حرام الا لضرورة وورد في كون السؤال في الاصل
حرام ما احل من الفواحش غير مسئلة الناس ولفظ الاحياء مسئلة الناس من الفواحش ما احل
من الفواحش غيرها قال مخرجه لم اجد له اصلا انتهى وقد ورد من سال عن غنى فانما يستكثر
من جمر جهنم ومن سال وله ما يغنيه جاء يوم القيمة ووجهه عظم يتقعقع ليس عليه لحم رواه ابو داود
وابن حبان من حديث سهل بن الحنظلية ولمسلم من حديث ابي هريرة من سال الناس اموالهم تكثرا
فانما يسئل جمرا وللشيخين من حديث ابن عمر ما يزال الرجل يسئل الناس حتى ياتي يوم القيمة وليس في وجهه
مزعة لحم ولاصحاب السنن من حديث ابن مسعود من سال وله ما يغنيه كانت مسالته خدوشا او
كدوحا في وجهه ولمسلم من حديث عوف بن مالك الاشجعي انه عم بايع قوما على الاسلام فاشترط

عليهم السمع والطاعة ثم قال كلمة خفية ولا تسالوا الناس شيئا ولقد كان بعضهم يقع السوط من
يده فينزل من فرسه ويتناوله ولا يقول لاحد ان يناوله ولابن ماجة وغيره من حديث ابي سعيد
الخدري رضه من سالنا اعطيناه ومن استغنى اغناه الله ومن لم يسالنا فهو احب الينا للبزار و
الطبراني من حديث ابن عباس استغنوا عن الناس فلو بشوص السواك واسناده صحيح وفي رواية
فعففوا ولو بحزم الحطب فهذه الاحاديث صريحة في تحريم السؤال الا للفقير قال في الاحياء وتقديره غير
اذ ليس الينا موضع التقدير بل يستند ذلك بالتوقيف والتقدير وقد ورد في الاحاديث استغنوا
يغني الله تعالى عن غيره قالوا وما هو قال غداء يوم وعشاء ليلة كذا في الاحياء قال مخرجه هو من
حديث سهل بن حنظلة قالوا ما يغنيه قال ما يغديه او يعشيه ولاحمد من حديث علي باسناد حسن قالوا
وما ظهر غنى قال عشاء ليلة وهذا هو المختار من مذهبنا الحنفية وفي حديث اخر من سال وله خمسون
درهما او عدلها من الذهب فقد سال الحافا وفي لفظ اخر اربعون درهما ولعل هذه الاحاديث
محمولة على حالة احتياج السائل بغير الاكل من الثواب او البيت ونحوهما من ضرور ويات معيشته وقيل يجوز
للسائل ان يسال معيشة سنة لا سيما اذا كان معيلا او لا يعطي العطاء الا في وقت واحد والله سبحانه
اعلم الا اي وحقه ان لا يسال احدا الا لضرورة تميت اي تقتله او تمرض اي تجعله مريضا او تجعله عريانا
ونحوها فالسؤال حينئذ مرخص فيه او لمن عجز عن الكسب بحرفة ونحوها او استغرق وقته في طلب العلم
الشرعي من الامر الاصلي او الفرعي لا لمن استغرق في طلب العبادة فان نفع هذا قاصر ونفع ذلك
متعدد ولان زيادة العبادة نافلة وزيادة العلم فريضة او تعب اولمن تعب بسبب الكسب و
ضعف عن الطاعة وفيها اي وفي حصول التعب الموكد للسؤال اولى ترجع جواز السؤال وفي الحجة وردما يدل
على الرخصة في السؤال حيث قال عم للسائل حق وان جاء على فرس رواه ابو داود من حديث الحسين بن
علي ولابي داود والترمذي وقال حسن صحيح ردوا السائل ولو بظلف محرق وقد سئل بالله من
الانبياء في موضع الضرورة سليمان وموسى والخضر عليهم السلام وروي ان بعضهم راى
ابي الحسين الثوري يمد يده ويسئل الناس في بعض المواطن قال فاستعظمت ذلك واستقبحته
له فاتيت الجنيد فاخبرته فقال لا يعظم هذا عليك فان الثوري لم يسال الناس الا ليعطيهم انما
يسالهم ليثيبهم في الاخرة فيؤجرون من حيث لا يضره ثم قال قال الجنيد هات الميزان فوزن مائة
درهم ثم قبض قبضة والقاها على المائة ثم قال احملها اليه فقلت في نفسي انما يوزن الشيء ليعلم
مقداره فكيف خالطه به مجهولا وهو رجل حكيم فاستحييت ان اساله فذهبت بالبصرة الى الثوري
فقال هات الميزان فوزن مائة وقال ردها عليه وقال قل له انا لا اقبل منك انت شيئا واخذ ما
زاد على المائة قال فزاد تعجبي فسالته فقال الجنيد رجل حكيم يريد ان ياخذ الحبل بطرفيه وزن

المأة لنفسه وطلبا للثواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل فاخذ ما كان لله
ورد ما جعله لنفسها قال فرد دتها الى الجنيد فبكى وقال اخذ ماله ورد ما لنا والله المستعان
فانظر الان كيف صفة قلوبهم واحوالهم وكيف خلصت لله اعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد
منهم قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان وهكذا يتشاهد القلوب ويناجي الاسرار وذلك نتيجة اكل
الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والاقبال على المولى بكنه الهمة ويحترز اي حقه ان يحترز
عن الشكاية من الله في سؤاله فيقول كاتم الحلال لم ان يستغنى بالقلب عن السؤال ثقة بالله الملك
المتعال لكن النفس تريد الشهوة فتوقعني في السؤال وعن الاذلال اي ويحترز عن التذلل في
السؤال فيجتنبه اجتنابا بالنماس ارباب الاموال فيسأل قريبا اي ذا قرابة حميما من اهل الكمال من
وصفه انه لا ينقص ذلك في عينه ولا يزدريه بسبب فقره وكذا حكم صديقه فكان ابراهيم
النخعي يسال اصحابه الدرهم والدرهمين ويعرض عليه غيرهم المائتين فلا يأخذه او كريما من
ذوي الجمال من انه لا يمن على السائل بالعطاء والنوال بل يقبل المنة للسائل عليه في اخذ المال ولو
بالسؤال فقد قال بشر الحافي ما سألت احدا قط شيئا الا سري السقطي لانه قد صح عندي زهده
في الدنيا فهو يفرح بخروج الشيء من يده ويتبرم ببقائه عنده فاكون عونا له على ما يحب وعن
الايذاء اي ويحترز عن ايذاء المسؤول فلا يسأل في الجمع ولا عن الرد والمنع وان لم يكن في الجمع فحرم
ح ما اخذ اذ اعطى المسؤول حياء منه اي من السائل او من حاضر اخر كما لو اخذ عنفا اي غضبا
اذ لا فصل بين الاخذ بضرب العصا او بسوط الحياء بل ضرب الباطن اشد نكاية عن العقلاء
والفارق بين عطائه لله او حياء من الخلق القرائن الموجودة في تلك الحال وفتوى القلب الخالي
عن الميل الى المال وسبيل الخلاص عن الايذاء ان يلقي الكلام تعريضا في الصحبة لا يقدم على البذل
الا متبرع بصدق الرغبة وان لا يعين شخصا للسؤال لئلا يشوش له البال ويشكره اي وحق
الفقير ان يشكره الله سبحانه بعد القبض اي اخذ العطاء بثلثه من الاشياء بالاشتغال بالطاعة
قولا او فعلا مثلا ان يقول الحمد لله او يصلي ركعتين لله تعالى والانفاق فيها اي ويصرف العطاء
في طاعة المولى فهو اي الانفاق في الطاعة الاحب الافضل من غيره المستفاد من قوله او في المباح ينفق
مثل فضول الحلال ومعرفة فضل الفقر اي وبمعرفة المنة لترك التواضع المفرط للمعطي وشكر المعطي
اي وبثنائه الجزاء بكونه سببا في عطائه فورد من لم يشكر الناس لم يشكر الله رواه احمد و
الترمذي وحسنه عن ابي سعيد وذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله اما اذا غفل عن الله
في اخذ العطاء واثنى على المخلوق وشكره بالثناء والدعاء فلا يكون شكره شكرا لله
ويدعو له اي وحقه ان يدعو بالخير للمعطي فيقول طهر الله قلبك في قلوب الابرار وزكى

مطلب نفيس

عملك في عمل الاخيار او يقول بارك الله لك فيما اعطيت وفيما ابقيت فورد من اسدى اي اوصل اليكم
معروفا اي احسانا فكافئوه اي جازوه بمثله لقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان فان لم تستطيعوا
على المكافاة في العطاء فادعوا له باظهار الثناء واسرار الدعاء فللترمذي والنسائي وابن حبان عن اسامة
من صنع اليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد ابلغ في الثناء وللشيرازي عن ابن عباس من
اسدى الى قوم نعمة فلم يشكروها فدعا عليهم استجيب ولابن عساكر عن علي رض من صنع الى احد من اهل
بيتي يدا كافيته عليها يوم القيمة ولا يستصغر اي وحقه ان لا يستصغر العطاء ولا يترك الدعاء والثناء
بحديث من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير والتحدث بنعمة شكر وتركها كفر رواه عبد الله بن احمد في
زوائد المسند عن نعمان بن بشير ولا يفزع اي وان لا يجزع بالمنع فان العطاء والمنع والضر والنفع
بيد الله سبحانه فورد لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت وفي الحكم لابن عطاء ربما اعطاك فمنعك
وقال تعالى كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا وما منع عبد عن باب
الا وفتح له من ابواب ويحترز اي وحقه ان يحترز عن الشبهة اي تناولها فورد في التنزيل ومن يتق
الله يجعل له مخرجا اي من الشدائد الدنيوية والاخروية ويجعل له من كل ضيق فرجا ومن كل عسر يسرا
ويرزقه من حيث لا يحتسب رزقا حلالا طيبا من غير حساب ولا يأخذ اي وان لا يقبل اكثر من قوت
يوم وليلة ان كان من الاقوياء فهو اي اخذ قوت اليوم العزيمة التي يأخذ بها الانبياء و
الاولياء والرخصة للضعفاء ومن له العيال والنساء قوت سنة لتجدد سبب الدخل وهو ما يدخل
على الانسان من ضيعة وزراعة بعدها اي بعد تمام سنة وكان عم لا يأخذ اي لا يدخر للعيال
اكثر منه اي من قوت سنة بل يورث شيئا منه اي من قوت سنة للفقراء حتى ينتهي اي يفرغ ما يدخره
قبل مضي السنة وهو اي ادخار قوت السنة الوسط اي الافضل المتوسط بين الحالة المرضي
من الروايات فروي اربعون يوما او خمسون يوما في مدة جواز الادخار واو للشك او للتنويع
ونصاب الزكوة وهو عشرون دينارا او مائتا درهم وقيمة الضيعة اي المزرعة تستغني طول
عمره وفي معناها قيمة البيوت والحوانيت المستغلة لفوائد الغلة او البضاعة اي قدر رأس التجارة
المحصلة للغنى بسبب الربح الكافي للمعيشة فيتجر بها ويستغني عن غيرها في الاحياء ان في الادخار ثلث
درجات احدها ان لا يدخر الا اليوم وليلة وهي درجة الصديقين وثانيتها ان يدخر اربعين
يوما فان ما زاد عليه داخل في طول الامل وقد فهم العلماء ذلك من ميعاد الله لموسى عم ففهم منه الرخصة
في امل الحيوة اربعين يوما وهذه درجة المتقين وثالثها ان يدخر لسنة وهي اقصى المراتب وهي رتبة
الصالحين ومن زاد في الادخار على هذا فهو داخل في غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية
فغنى الصالح الضعيف لطمانينة قلبه في قوت سنة وغنى الخصوص في اربعين يوما وغنى خصوص الخصوص

الرخصة في جمع القوت

في يوم وليلة وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم لنسائه على مثل هذه الاقسام فبعضهن كان يعطيها قوت سنة عند
حصوله ما يحصل وبعضهن قوت اربعين يوماً وبعضهن يوماً وليلة منهن عايشة وحفصة وقد سكت
عند خرجه ويستر اي وحقه ان يستر السؤال او اخذ السؤال ويكتمه فيسأله في الخلاء دون الملاء
تحاشيا عن هتك المروة اي تحفظا عن خرق الفتوة فانها تقتضي عدم السؤال في حال يوجب الايذاء
او مروة المسؤل اذ ورده السائل مع العدة والقوة وكشف الحاجة وتحاميا عن اظهار الفقر
والفاقة وقد تقدم ان كنوز البر كتمان الفقر وللحسد اي وعن اظهار الحسد الذي لابد من الحسد
والغيبة بالطعن عليه في الغيبة وسوء الظن به في كونه غنيا ويظهر الفقر الذي يقتضي خلقا دنيا وهذه
كلها من الكبائر فصيانتهم عن هذه الجرايم اولى وذا انما يحصل بستر السؤال والاخذ ولا يخفى وعن
اعلان عبادة المعطي فان الاخفاء افضل في الصدقة لقوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان
تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وفي ستر السؤال اعانة للمعطي على اسرار العمل واخفائه الذي
هو الاكمل والاعانة على اتمام المعروف الكمل وعن اعلان مذلة النفس المؤمنة فهو حرام من غير
الضرورة وشبهة الشركة اي وتحاميا عنها لو كان اهدي اليه هدية وعنده قوم او احدهم شركاء
فيها والمراد بهم هم الذين يداومون مجلسه ويعتكفون بابه ويتفقدون اموره لا كل من كان جالسا
في ذلك الوقت عنده كذا في اصول الترمذي والحديث رواه الطبراني من حديث حسن بن علي بلفظ الجلساء
شركاؤه فيها علقه البخاري بصيغة تمريض قال السيوطي واخرجه العقيلي من حديث عايشة انتهى واما حديث
الهدايا تشترك فلا اصل له ويعرف من ستر سؤاله واخذه تحاميا عن هتك ستر المروة في الاخوة بكرامة هم
فهو واخذ غيره كاخذه اي كما اهتم اخذ نفسه ورد لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ويكره
لاخيه ما يكره لنفسه ويظهر اي وحقه ان يظهر السؤال واخذ السؤال قصد الاخلاص في تصحيح الحال
والمعنى ان من ترك السؤال في الملاء لئلا يعيب الخلق عليه في الخلاء فهذا نوع من الرياء فيصح له ان يظهر اخذه
العطاء لئلا يخلص من شائبة الرياء واسقاط الجاه اي ولاسقاط المنزلة عند ارباب الدنيا وهضم النفس
اي ولرياضتها في طريق المولى النافعة له في العقبى واداء الشكر اي ولاداء لنعمة الفقر ورد
في التنزيل لبيان مدح اظهاره واما بنعمة ربك فحدث ولبيان ذم اسراره ويكتمون ما اتاهم الله من
فضله وهذا انما يصح لمن يتلذذ بالفقر والبلاء كما يتلذذ غيره بالسعة والنعماء كمن يقتدي به
الصلحاء ويتفق على فضله العلماء فيظهر الشكر على الفقر ليعلم ان ما يوجب فضيلة الفقر المقرون بالشكر
ويعرف من يظهر السؤال قصدا لاداء الشكر في نعمة الفقر بارادة عطاء الساتر له اي المعطي كعطاء
المظهر له بل ربما يرد العطاء على وجه الاسرار ويقبله على طريق الاظهار عكس فعل بعض الابرار واما
ان بلغ حدا يستوي فيه السر والعلانية في حقه فكبريت احمر اي فهو كبريت احمر عزيز الوجود في دائرة

الشهود كعنقاء المغرب يسمع له اسم ولا يرى له جسم ويترك اي وحقه ان يترك ما اي سؤال
او اخذ ما يدخل فيه اي عطائه السمعة والرياء وكذا المنة والايذاء تحاميا عن الاعانة على الاثم
قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وكان سفيان الثوري يرد
ما يعطي ويقول لو علمت انهم لا يذكرون ذلك افتخارا به لاخذته وعوتب بعضهم في رد صلة كان يأتيه
من صلة فقال انما ارد صلتهم اشفاقا عليهم ونصحا لهم لانهم يذكرون ذلك ويحبون ان يعلم فتذهب
اموالهم ويحبط اجورهم وتفسد احوالهم والاولى ان لا يأخذ الا الحاجة اليه فيما لابد منه وهو مفسر في
حديث رواه الترمذي وصححه عن عثمان مرفوعا لا حق لابن ادم الا في ثلث جلف الخبز والماء وثوب يواري
عورته وبيت اي يسكنه ويكنه فما زاد فهو حسنا ورد ما للمعطي من سعة في ماله باعظم اجرا من الاخذ
اذا كان الاخذ محتاجا اليه رواه الطبراني من حديث ابن عمر والتفريق اي او لا يأخذ الا لاجل تفريقه
على الفقراء المحرومين من خيرات الاغنياء فيعجل في التفريق ولا يمهل تحاميا عن الانس بالدنيا فلا يدخر
فان امساكه ولو ليلة واحدة فيه اختبار وفتنة فربما يخلو في قلبه فيمسكه ولاحمد من حديث عايشة
بسند حسن انه قال في مرضه التي مات فيها يا عايشة ما فعلت الذهب فجاءت ما بين الخمسة الى الثمانية الى التسعة فجعل
يقلبها بيده ويقول ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده انفقيها وفي رواية سبعة او تسعة
دنانير ولم من حديث ام سلمة باسناد صحيح دخل عليه السلام وهو ساهم الوجه اي متغيره قالت فحسبت ذلك من وجع
فقلت يا نبي الله ما لك ساهم الوجه فقال من اجل الدنانير السبعة التي اتينا امس امسينا وهي في خصم الفراش
وفي رواية امسينا ولم ننفقها او الاخذ اي ولا يأخذ الا لاجل اخذه في الملاء والرد في الخلاء فهو اقرب
الى السلامة من السمعة والرياء ومن مجالسة الاغنياء وما يحصل لهم من الايذاء واما ان اخذه في الملاء
وفرقه في الخلاء فهو مقام الصديقين من الاولياء وهذا امر شاق على النفس لا يطيقه الا من اطمانت
نفسه بالرياضة هذا ويجوز له ان يترك ولا يأخذ ليصرف صاحبه الى من هو احوج اليه منه او يأخذ
العطاء ويوصله الى من هو احوج اليه من الفقراء فيفعل كلا منهما في السر وكلا منهما في الملاء ويختار التطوع
اي وحقه ان يختار اخذ صدقة التطوع على الواجب من الزكوة والفطرة ان شك الفقير في شرايط الواجب
اي في وجودها شرايط اخذ الزكوة الواجبة هل هو مستحق الزكوة ام لا فان اشتبه الامر عليه فهو محل
الشبهة او على الفقير انه اي الغني لا يتصدق بصدقة التطوع على غيره اذ لم يأخذ الفقير بعينه او قصد
الفقير التوسيع على الفقراء بايثار مال زكوة الاغنياء فانه يختار اخذه فانه محض الخير ونفع الغير والواجب
اي يختار اخذ صدقة الواجب ان قصد الاعانة على ادائه اي اداء الواجب وقضائه او قصد موافقة
الفقراء ومرافقة الضعفاء او هضم النفس اي رياضة في مقام الابتلاء فامثاله اي امثال ما ذكر يختلف
باختلاف النية اي نيات الصلحاء وجاءت الى فتح الموصلي صرة فيها خمسون درهما فقال حدثنا عطا

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اتاه رزق من غير مسالة فرده فانما يرد على الله تعالى ثم فتح الصرة فاخذ
منها درهما ورد سائرها وكان الحسن يروي هذا الحديث ايضا ولكن حمل اليه رجل كيسا ورزمة من دقيق
فرد ذلك وقال من جلس مجلسي هذا فعل من الناس مثل هذا لقي الله عز وجل يوم يلقاه وليس له خلاق
وهذا يدل على ان امر العالم والواعظ اشد في قبول العطاء وكان الحسن يقبل من اصحابه كذا في الاحياء و
قال المخرج حديث عطاء لم اجده مرسلا هكذا ولاحمد وابي يعلى والطبراني باسناد جيد من حديث خالد بن عدي
الجهني من بلغه عن اخيه معروف من غير مسالة ولا اشراف نفس فليقبله ولا يرده فانما هو رزق ساقه الله
تعالى اليه وجاء خراساني بمال الى الجنيد وسأله ان يأخذه ويأكله فقال افرقه على الفقراء فقال ما اريد
هذا فقال ومتى اعيش حتى آكل هذا فقال ما اريد ان تنفقه في الخل والبقل بل في الحلوى والطيبات فقبل ذلك
منه فقال الخراساني ما اجد ببغداد امن علي منك فقال الجنيد ولا ينبغي ان يقبل الا من مثلك وقيل من
اعطي ولم يأخذ سأل ولم يعط قال العلماء انما يخاف في الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلاء بطمع او دخول في
شبهة اوغيره وفي الاحياء قال بعض العلماء المجاورين بمكة كانت عندي دراهم اعددتها للانفاق
في سبيل الله فسمعت فقيرا وقد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي جائع كما ترى عريان كما ترى فما ترى
فيما ترى يا من يرى ولا يرى فنظرت فاذا عليه خلقان لا تكاد تواريه فقلت في نفسي لا اجد لدراهمي
احسن من هذا فحملتها اليه فنظرت اليها ثم اخذ منها خمسة دراهم فقال اربعة ثمن مئزرين ودرهم
انفقه ثلثا فلا حاجة لي الى الباقي فرده قال فرأيت الليلة الثانية وعليه مئزران جديدان فهجس
في نفسي منه شيئا فالتفت الي واخذ بيدي فاطافني معه اسبوعا كل شوط منها في جوهر من معادن
الارض يتخشخش تحت اقدامنا الى الكعبين منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر
للناس فقال هذا كله اعطانيه فزهدت فيه وآخذ من ايدي الخلق لان هذه اثقال وفتنة وذلك
للعباد فيه رحمة ونعمة والحق ان الزيادة على الحاجة انما يأتيك ابتلاء وفتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل
فيه وقدر الحاجة يأتيك رفقا بك فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء قال تعالى انا جعلنا ما
على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وعن موسى عليه السلام انه قال يا رب جعلت رزقي هكذا على
ايدي بني اسرائيل يغديني يوما ويعشيني يوما هذا الليلة فاوحى الله تعالى اليه هكذا اصنع باوليائي
اجري ارزاقهم على ايدي البطالين من عبادي ليؤجروا فيهم فلا ينبغي ان يرى المعطي الا من حيث
انه مسخر ماجور وقيل في تفسير قوله تعالى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما
آتاه الله معناه ليبع احد ثوبيه وقيل ليستقرض بجاهه فذلك مما آتاه الله وقال بعضهم لله عباد
ينفقون على قدر بضائعهم ولله عباد ينفقون على قدر حسن ظنهم بربهم ومات بعضهم فاوصى
بماله لثلث طوائف الاقوياء والاسخياء والاغنياء فقيل من هؤلاء فقال اما الاقوياء فهم اهل التوكل

على الله واما الاسخياء فهم اهل حسن الظن بالله واما الاغنياء فهم اهل الانقطاع الى الله وكان بشر
يقول الفقراء ثلثة فقير لا يسأل وان اعطي لا يأخذ فهذا مع الروحانيين في عليين وفقير لا يسأل
وان اعطي اخذ فهذا مع المقربين في جنات الفردوس وفقير يسأل عند الفاقة فهذا مع الصادقين
وقال ابراهيم بن ادهم لشقيق البلخي حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من اصحابك قال
تركتهم ان اعطوا شكروا وان منعوا صبروا وظن انه لما وصفهم بترك السؤال فقد اثنى عليهم غاية
الثناء فقال ابراهيم هكذا تركت كلاب بلخ عندنا فقال له شقيق فكيف الفقراء عندكم يا ابا اسحق
فقال الفقراء عندنا ان منعوا شكروا وان اعطوا آثروا فقبل رأسه قال صدقت يا استاذ ثم الزهد الزهد
عزوف القلب اي ميله وانصرافه عن الدنيا الى الآخرة طوعا اي اختيارا وجملة طائعة فالزهد
عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء الى ما هو خير له منه ومنه قوله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم
معدودة وكانوا فيه من الزاهدين اي باعوه طمعا في ان يخلو لهم وجه ابيهم وكان ذلك احب
عندهم من يوسف فاذن كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا وكل من باع الآخرة بالدنيا
فهو ايضا زاهد في الآخرة لكن العبارة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن يزهد في الدنيا كما يخصص
اسم الالحاد بمن يميل الى الباطل واسم الحنيف بمن يميل الى الحق وان كان كل بمعنى الميل في وضع
اللسان فالذي يرغب عن كل ما سوى الله حتى الفراديس فهو الزاهد المطلق والذي يرغب عن كل
حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك الحظوظ في الآخرة بل طمع في الحور والقصور والانهار
والاثمار فهو ايضا زاهد لكن دون الاول والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض
كالذي يترك المال دون الجاه او بالعكس او يترك التوسع في الاكل ولا يترك التجمل والزينة فلا
يستحق اسم الزهد مطلقا ودرجته في الزاهدين درجة من يتوب عن بعض المعاصي في التائبين وقد تقدم
الخلاف في صحة التوبة لكن لا خلاف في صحة الزهد عن البعض ثم الزهد عبارة عن ترك المباحات ومن
ترك ومن ترك المحظورات لا يسمى زاهدا او يشترط في المرغوب عنه ان يكون مقدورا عليه ولذا قيل
لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها اما انا ففيما ذا زهدت
وقال ابن ابي ليلى لابن شبرمة الا ترى الى هذا ابن الحايك لا يفتي في مسألة الا رد علينا يعني ابا ح
فقال ابن شبرمة لا ادري اهو ابن الحايك ام لا ولكن اعلم ان الدنيا غدت اليه فهرب منها وهربت
منا فطلبناها انتهى فمن ان ما عند الله باق وان الآخرة خير وابقى عزب قلبه عن الدنيا الى العقبى
مع القدرة الى تحصيل مراتب الغنى والى هذا الشرط اشار بقوله طوعا ولا يعيبا باليد اي ولا يعتبر
بتصرف المال وتوسع الجاه وجودا او عدما وقلة وكثرة اذا حصل الزهد فيها لوجودها اي الدنيا
جاها ومالا لسليمان عليه السلام مع انه كان زاهدا في الدنيا وراغبا في العقبى كسائر الانبياء والاولياء

وكون عيسى عم اى ولكونه اخذ ابدا من نبينا صلى الله عم مع انه اى نبينا افضل و زهده اتم واكمل لعله
انه لا يبعد ان يوجد في المفضول بعض ما لا يوجد في الافضل فتامل ولعل الحكمة في اختيار عيسى عم
المبالغة في الزهد فانه مسلك اهل الرهب واما نبينا عم فلما كان رحمة لكافة الانام اختار طريقا
يسع جميع امته ان يتبعوه ولانه صاحب الملة الحنيفية السمحاء وليس في دينه من حرج ولكونه مظهر الحرج مرتبة
للجمع بين الصفات الجمالية والنعوت الجلالية كما يشير اليه قوله اشبع يوما فاشكر واجوع يوما فاصبر مع
ان الزهد عند المحققين هو ترك ما يشغلك عن المولى وزاد العيني ثم كل مؤمن يعلم ان الاخرة خير وابقى
لكن قد لا يقدر على ترك الدنيا اما لضعف علمه ويقينه بالمال واما لاستيلاء الشهوة عليه في الحال
واما لاغتراره في الاستقبال بمواعيد الشيطان في التسويف يوما بعد يوم الى ان يختطفه الموت ولا يبقى
معه الا الحسرة بعد الفوت والى تعريف خساسة الدنيا اشار قوله تعالى قل متاع الدنيا قليل والى تعريف
نفاسة الاخرة قوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن واما قول ابن مسعود
ما عرفت ان فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة فرواه
البيهقي في دلائل النبوة باسناد حسن لكن حمل على ان منهم من يريد الدنيا ليصرف في طريق العقبى ومنكم من
يريد الاخرة ويترك الدنيا بالكلية لرضاء المولى وعملا بما قال عيسى عم يا طالب الدنيا ليبر ترك الدنيا
وهو اى الزهد يثمر اشياء المكاشفة لاحوال الاخرة كما سبق في حديثي النجاشي وحارثة رض
اما حديث النجاشي فهو انه سئل رسول الله صلى الله عم عن معنى الشرح في قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام فقيل له ما هذا الشرح فقال ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل
يا رسول الله هل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت
قبل نزوله رواه الحاكم واما حديث حارثة فهو انه لما قال له رسول الله صلى الله عم انا مؤمن حقا قال وما
حقيقة ايمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي ذهبها ومدرها وكاني بالجنة عن يميني و
النار عن يساري وكاني بعرش ربي بارزا فقال عم عرفت فالزم عبد نور الله قلبه بالايمان رواه البزار
من حديث انس رض والطبراني من حديث الحارث بن مالك والفراغ اي ويثمر الزهد فراغ خاطر ارباب الارادة
للعبادة التي هي سلوك سبيل السعادة لورود من احب اخرته اضر بدنياه تمام ومن احب دنياه اضر
باخرته فاثروا ما يبقى على ما يفنى رواه احمد والطبراني من حديث ابي موسى وتعظيم قدرها اى ويثمر
تعظيم مقدار العبادة لورود ركعتان من عالم زاهد خير من عبادة المتعبدين الى اخر الدهر لم اجد له
اصلا بهذا السياق وانما هو عن ابن مسعود موقوفا وللشيرازي في الالقاب عن علي مرفوعا ركعة من عالم
بالله خير من الف ركعة من متجاهل بالله وللديلمي عن انس ركعتان من رجل ورع افضل من الف ركعة
من مخلط ولابن النجار عن محمد بن علي مرسلا ركعتان من عالم افضل من سبعين ركعة من غير عالم وقد

صح لفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد وتلقينه تعالى اى ويثمرها الزهد تلقي الحكمة فقد ورد ان
ان يحبك الله فازهد في الدنيا رواه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد وقد تقدم حديث ازهد في الدنيا
يحبك الله وازهد فيما ايدي الناس يحبك الناس ومعرفته اي ويثمرها تلقي الحكمة فقد ورد اذا
رايتم العبد اعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقي الحكمة رواه ابن ماجه من حديث ابي خالد
وقد قال تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولذا قيل من زهد في الدنيا اربعين يوما اجرى الله
ينابيع الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه كذا في الاحياء وقد يوجد معناه من حديث من اخلص لله اربعين
يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه رواه ابو نعيم من حديث ابو ايوب رض ومن المعلوم انه لا يكون
العبد عابدا مخلصا الا اذا كان زاهدا وفي لفظ ايضا من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة قلبه وانطق
بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها واخرجه منها سالما الى دار السلام رواه ابن ابي الدنيا من حديث
صفوان بن سليم مرسلا ولابن عدي من حديث ابي موسى من زهد في الدنيا اربعين يوما واخلص فيها
العبادة اجرى الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه فهما اى المحبة والمعرفة الثمرتان هما الزهد لا يحصلان
الا بدوام الذكر اى ذكر المولى والفكر لزم العقبى المستغنين مع الشغل بالدنيا وقد قال تعالى اولئك يؤتون
اجرهم مرتين بما صبروا واي على الزهد في الدنيا كما جاء في التفسير وقد قال تعالى انا جعلنا ما على الارض
زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قيل معناه ايهم ازهد فيها وقال تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد
له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وقال تعالى لا تمدن عينيك الى ما
متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى والطبراني من حديث
ابن مسعود بسند حسن من اشرب قلبه حب الدنيا التاط منها اي ابتلاء بثلث شقاء لا ينفد عناه
وحرص لا يبلغ غناه وامل لا يبلغ منتهاه وللديلمي من حديث علي بن ابي طلحة مرسلا لا يستكمل عبد الايمان
حتى يكون قلة الشيء احب اليه من كثرته وله من حديث انس من زهده في الدنيا بصره بعيوب نفسه وفهمه
في الدنيا وعن عيسى عم الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها ولابن حبان من حديث علي من اشتاق الى الجنة
سارع الى الخيرات ومن خاف من النار لها عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا
هانت عليه المصيبات وجاء في الاثار لا تزال لا اله الا الله تدفع عن العباد سخط الله عز وجل ما لم يبالوا ما
نقص من دنياهم على دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال تعالى كذبتم لستم بها صادقين
وعن بعض الصحابة قال تابعنا الاعمال كلها فلم نر في امر الاخرة ابلغ من زهد في الدنيا وقال بعض الصحابة
لصدر التابعين انتم اكثر اعمالا واجتهادا من اصحاب رسول الله صلى الله عم وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم
ذلك قال كانوا ازهد في الدنيا منكم وقال عمر رض الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد وقال
ابن سعد كفى به ذنبا ان الله تعالى زهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها وقال رجل لسفيان اشتهي ان ارى عالما

زاهدا فقال ويحك تلك ضالة لا توجد وقال يوسف بن اسباط اني لاشتهي من الله ثلث خصال
ان اموت حين اموت وليس في ملكي درهم ولا يكون علي دين ولا يكون على عظمي لحم فاعطى ذلك كله و
روي ان بعض الخلفاء ارسل الى الفقهاء بالجوائز فقبلوها وارسل الى الفضيل بعشرة الآلاف درهم
فلم يقبلها فقال بنوه قد قبل الفقهاء وانت ترد وانت حالتك هذه فبكى الفضيل فقال اتدرون
ما مثلي ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها فلما هرمت ذبحوها لكي ينتفعوا بجلدها وكذلك انتم
اردتم ذبحي على كبر سني موتوا يا اهلي جوعا خيرا لكم من ان تذبحوا فضيلا ثم الادنى من مراتب الزهد
باعتبار نفسه اي نفس الزهد وذاته مع قطع النظر عن حكمه وما منه وفيه كما سياتي ان يجاهد فيه اي تحصيل
الزهد لميل النفس الى الدنيا والتفاتها اليها ولكنه يجاهدها ويكفها عنها وهو تزهد وهو مبدء الزهد
في حق من يصل الى درجة الزهد بالكسب والجهد ثم الاعلى منه ان ينتفر طبعه عنها اي عن الدنيا لعدم
ميل نفسه اليها هو زهد فالمتزهد في الدنيا يذيب اولا كيسه ثم يذيب نفسه في الطاعة لا في الصبر
على ما فارقه والمتزهد على خطر لانه ربما تقلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود الى الدنيا والى
الاستراحة بها في قليلها او كثيرها ثم الاعلى منه عدم الميل اليها وعدم النفرة عنها وذلك
بان يترك الدنيا طوعا لا استحقاره اياها بالاضافة الى ما طمع فيه من غيرها خير منها ولكن
هذا الزاهد يرى لا محالة زهده ويلتفت اليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ويظن بنفسه
انه ترك شيئا له قدر لما هو اعظم قدرا منه وهذا ايضا نقصان عند من له عرفان ويعرف صاحب
هذا المقام بتسويته سرقة ماله ومال غيره لعدم ميله الى كل منهما ولقوله عم لا يؤمن احدكم حتى يحب
لاخيه ما يحب لنفسه ولا يكره لاخيه ما يكره لنفسه بل ربما يهون عليه سرقة مال نفسه دون سرقة مال
غيره ثم الاعلى عدم الاعتبار بزهده لفنائه في الله وبقائه به فقد انطوى في نظره وجود كل شيء
فضلا عن زهده وهي المرتبة العليا بان يزهد في الدنيا طوعا ويزهد في زهده ايضا فلا
يرى زهده اصلا اذ لا يرى انه ترك شيئا لما اذ عرف ان الدنيا لا شيء وسببه كمال المعرفة ومثل هذا
الزاهد امن من خطر الالتفات الى الدنيا ومن هنا قال ابو يزيد لابي موسى عبد الرحيم في اي شيء
تتكلم قال في الزهد قال في اي شيء قال في الدنيا فنفض يده وقال ظننت انك تتكلم في شيء الدنيا
لا شيء اي شيء تزهد فيها فاذا لا يلتفت الزاهد الى زهده الا اذا التفت الى ما زهد ولا يلتفت الى
ما زهد فيه الا لانه يراه شيئا معتدا به ولا يراه شيئا معتدا به الا لقصور معرفته فسبب نقصان
الزهد نقصان المعرفة وباعتبار ما منه اي والادنى في الزهد باعتبار ما منه الذهب ان يكون
زهده للنجاة من خوف النار وما فيها من انواع العقاب ثم الاعلى ان يكون زهده من اجل الرجاء
الى الجنة وما فيها من انواع الثواب وانما يكون اعلى مما قبله لاقتضائه المحبة اى زيادتها والمحبة

اعلى

اعلى المقامات كما سياتي في خاتمة الكتاب ثم الاعلى ان يكون زهده من رفع الالتفات لخواطره الى ما سواه تعالى
فلا يكون له رغبة الا في الله وفي لقائه ورضائه ولا تلتفت قلبه الى الالام ليقصد الخلاص منها والى اللذات
ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذي يصبح وهمه هم واحد وهو الموحد الحقيقي
الذي لا يطلب غير الله فقد عبده سواء وجده او فقده وهذا زهد المحبين وهم العارفون لانه لا يحب الله
تعالى خاصة الا من عرفه ولا يظن ان اهل الجنة عند النظر الى وجهه الكريم يبقى للذة الحور والقصور وسائر
النعيم المقيم متسع في قلوبهم بل تلك اللذات بالاضافة الى نعيم الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على اطراف
الارض ورقاب الخلق بالاضافة الى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به فالطالبون لنعيم الجنة
عند اهل المعرفة كالصبي الطالب للعصفور التارك للذة الملك وذلك لقصوره عن ادراك لذة الملك
لا لان اللعب بالعصفور في نفسه اعلى والذي بالعصفور من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق ومن
هنا روي اكثر اهل الجنة البله وعليون لاولى الالباب وباعتبار ما فيه اي الادنى في الزهد باعتبار ما فيه
الزهد ان يكون زهده في بعض الدنيا كالمال دون الجاه او عكسه وهو كالتوبة عن بعض الذنوب وقد
اختلف في صحتها لكن الصحيح اعتبارها في الجملة على ما تقدم بخلاف الزهد فانه لا خلاف في صحة بعضه
ثم الاعلى ان يكون زهده في كلها اي في جميع الدنيا مالها وجاهها ثم الاعلى وهي المرتبة العليا ان يكون زهده
فيما سواه تعالى حتى يزهد في نفسه ايضا وقد ذكر الله تعالى في اية واحدة سبعة مما فيه الزهد فقال زين
للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام
والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن الماب ثم اجمل في اية اخرى ورده الى خمسة فقال
اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد الاية قال
وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور ثم رده الى اثنين فقال المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات
الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا وقال في موضع اخر انما الحيوة الدنيا لعب ولهو ثم رد الكل
الى واحد في موضع اخر فقال ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى فالهوى لفظ يجمع جميع
حظوظ النفس في الدنيا والحاصل ان الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما
رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا واذا رغب عنها لم يردها ولذا لما كتب عليهم القتال
قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب فقال تعالى قل متاع الدنيا قليل والاخرة
خير لمن اتقى اي لستم تريدون البقاء الا لمتاع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وفضح المنافقون
اما الزاهدون والمحبون في الله فقاتلوا في سبيل الله كانهم بنيان مرصوص وانتظروا احدى الحسنيين
وكانوا اذا دعوا الى القتال يستنشقون رائحة الجنة ويبادرون اليه مبادرة الظمآن الى الماء
المبادر حرصا على نصرة دين الله او نيل رتبة الشهادة وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت

سعادة الشهادة حتى ان خالد بن الوليد رض لما احتضر للموت على فراشه كان يقول كم غزوت بروحي
وبحثت على الصفوف طمعا في الشهادة والان اموت موت العجائز فلما مات عد على جسده ثمانمائة ثقب
من آثار الجراحات واما المنافقون ففروا من الزحف خوفا من الموت فقيل لهم ان الموت الذي تفرون
منه فانه ملاقيكم الاية واجمع ما قيل في الزهد قول ابي سليمان الداراني قد سمعنا في الزهد كلاما
كثيرا والزهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله عز وجل ابو سليمان قوله تعالى الا من اتى الله
بقلب سليم فقال هو القلب الذي ليس فيه غير الله وقال انما زهدوا في الدنيا ليفرغوا قلوبهم من همومها
للاخرى وباعتبار الحكم اي الزهد الادني باعتبار الحكم الزهد الفرض اي يجب على السالك ان يزهد
فيه وهو اي الزهد الفرض ان يكون زاهدا في الحرام وهو لا بد منه لكمال الاسلام وجمال الاحكام ثم
السنة اي الزهد الذي يسن للمريد ان يزهد فيه وهو اي الزهد السنة ان يكون زاهدا في الشبهة
ثم الزهد النفل المندوب والمستحب وهو اي الزهد النفل ان يكون زاهدا في المباح وقال قوم الزهد في
الحلال لا في الشبهة والحرام فليس ذلك من درجات في شيء ثم انه ان لم يبق حلال في اموال الدنيا
فلا يتصور الزهد الآن ويؤيده قول الحسن رأيت سبعين بدريا كانوا فيما احل الله لهم ازهد منكم
فيما حرم الله عليكم وفي خبر آخر كانوا بالبلاء اشد فرحا منكم بالرخاء وكان احدهم يعرض له المال
الحلال فلا يأخذه يقول اخاف ان يفسد على قلبي فمن كان له قلب فهو لا محالة يخاف على فساده والذين
قد تمكن حب الدنيا قلبهم فقد اخبر الله عنهم اذ قال ورضوا بالحيوة واطمئنوا بها والذين هم عن
اياتنا غافلون وقال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا وقال
تعالى فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فاحال ذلك
كله على الغفلة وعدم المعرفة فان قلت مهما كان الصحيح ان الزهد ترك ما سوى الله فكيف يتصور
مع الاكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم فكل ذلك اشتغال بما سواه فاعلم ان معنى
الانصراف عن الدنيا الى الله هو الاقبال بالقلب على المولى ذكرا وفكرا ولا يتصور ذلك الا مع البقاء
ولا بقاء الا بضرورات النفس فمهما اقتصرت في الدنيا على دفع المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة
بالبدن على العبادة لم تكن مشتغلا بغير الله فان ما لا يتوصل الى الشيء الا به فهو منه كذا في الاحياء وقد
يقال المراد بالاشتغال بالمولى ان يكون بالقلب دون القالب فان الواصلين الى مقام الحضور لا يشغلهم
شيء من الامور فقلبهم لا يغفل عن الله ولو كانوا في الزهد والتجارة كما يشير اليه قوله تعالى رجال لا
تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الاية كما ان قلب اهل الدنيا لا يغفل عن دنياهم ولو كان قالبهم في
المسجد والطاعة والقراءة ونحوها بل اهل القلوب لكمال ذكرهم وفكرهم لو ارادوا ان يغفلوا قلبهم
ساعة لم يقدروا على ذلك كما ان اهل الغفلة لو اجتهدوا ان يحضروا قلبهم ساعة عجزوا عنها هنالك بل

العارفون

العارفون عدة والغفلة كفرا وزندادا كما يشير اليه العارف ابن الفارض ولو خطرت لي في سواك
ارادة على خاطري سهوا حكمت بردتي فالحاضرون على الدوام هم الانبياء عم والاولياء من اتباعهم
الكرام والغافلون الكاملون هم الكافرون المشهورون بالانعام واما المخلطون فهم في احوالهم مختلفون
فتارة يحضرون واخرى يغفلون وهم الذين قال تعالى فيهم واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا
صالحا واخر سيئا الاية ويخرج السالك عنه اي عن الزهد ويدخل في حب الدنيا خمسة اشياء القصد الى
الكسب ان كان القصد للذة اي لشهوة النفس بالمكسوب دون العدة اي بخلاف ما اذا كان القصد من الكسب
الاستعداد والاستعانة على العبادة التي هي المذهوب والمطلوب وهذا محمل قول ابي سليمان الداراني من تزوج
او سافر في طلب المعيشة او كتب الحديث فقد ركن الى الدنيا وذلك لانه نقل عنه ايضا انه قال كل ما شغلك
عن الله من مال او ولد فهو عليك شؤم والادخار يخرج الثالث عن الزهد ايضا ان زاد الادخار على
قوة السنة كما ثبت الرخصة بالسنة الا من لا يكسب اي لا يقدر على الكسب لعدم حرفة او لاشتغاله بتحصيل
وجود معرفة ولا يأخذ من الايدي مع هذه الحالة ايضا فانه لا يخرج الادخار عن الزهد وان كان
زائدا على قوت السنة كداود الطائي وهو ملك عشرين دينارا ورثها من ابيه قنع بها عشرين سنة
ثم اعلم انه قد يظن ان تارك المال زاهد وليس كذلك فان ترك المال واظهار الخشونة سهل على
من احب المدح بالزهد بل لا بد من الزهد في المال والجاه جميعا في مقام الكمال هذا وقوم يظهرون
الزهد بالتقشف واخرون بالتكلف وعن الخواص قوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس
يموهون بذلك على الناس ليهدى اليهم مثل لباسهم ولئلا ينظر اليهم بالعين التي ينظر بها الى الفقراء
فيحتقروا فيعطوا كما يعطى المساكين ويحتجون لانفسهم باتباع العلم بانهم على السنة وان الاشياء
داخلة عليهم وهم خارجون منها وان ما يأخذون بعلة غيرهم هذا اذا طولبوا بالحقائق والجئوا الى
المضايق وكل هؤلاء اكلة الدنيا بالدين لم يعتنوا بتصفية اسرارهم ولا بتهذيب اخلاق نفوسهم
فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوها حالا لهم فهم مائلون الى الدنيا متبعون للهوى فهذا كله كلام الخواص
فاذا عرفت الزهد مشكل حتى على الزاهد نفسه فينبغي ان لا يتقيد بلبس خاص موافقا السنة وان يعول
في باطنه على ثلاث علامات الاولى ان لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى لكيلا تأسوا على
ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتيكم اي لا تحزنوا حزنا وفي ولا تفرحوا فرح بطر والا فلا يخلو منهما في النفس
باعتبار اصل الطبع ثم الكمال ان يحزن بوجود المال ويفرح بفقده لانه سبب وجود محبة المال و
الثانية ان يستوي عنده ذامه ومادحه بل ينبغي ان يفرح بذمه ويحزن بمدحه والثالثة ان يكون
انسه بالله ونسيانه عما سوى الله ولذا قيل لبعضهم الى ماذا افضى بهم الزهد فقال الى الانس بالله
واما الانس بالدنيا وبالله فلا يجتمعان كالماء والهواء في القدح فالماء اذا دخل خرج الهواء وقد

قال اهل المعرفة اذا تعلق الايمان بظاهر القلب احب الاالدنيا والاخرة جميعا وعمل لهما واذا تعلق
الايمان بسويداء القلب وباشره ابغض الدنيا ولم ينظر اليها ولم يعمل لها ولهذا ورد في دعاء ادم
ع م اللهم اني اسئلك ايمانا يباشر قلبي وقال ابو سليمان من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام
العابدين ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين وقال سري لا يطيب عيش
الزاهد اذا اشتغل عن نفسه ولا يطيب عيش العابد اذا اشتغل بنفسه وقال النصرابادي الزاهد
غريب في الدنيا والعابد وف غريب في الاخرة وقال يحيى بن معاذ الزاهد يسعطك الخل والخردل
والعارف يشمك المسك والعنبر ثم لا يستدل بامساكه قليلا من المال على فقد زهده في مقام
الكمال كداود والطالوت فان مدار الزهد في الدنيا عدم محبتها وقد قال الفضيل جعل الله الشر في
بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد فيها والتغذي بالحلال
المحض اي الاكل من بر ذي دقيق حنطة منخول يخرج من الزهد ايضا والمواظبة على الادام يخرج ايضا
منه وكذا اتخاذ ثوبين كقميصين واثاثين اي متاعين من امتعة البيت كصحنين وابريقين
احدهما زائد عن استعمال وجنس رفيع اي مستحسن ولذيذ من الادام والثوب والاثاث والاولى
في مقام الاعلى عدم التقيد بالادنى والاعلى كما كان طريق المصطفى فقد قال يحيى بن معاذ الرازي
الزاهد الصادق قوته ما وجد ولبسه ما ستر ومسكنه حيث ادركه انما الدنيا سجنه والقبر مضجعه و
الخلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقران حديثه والرب انيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن
شعاره والحياء دثاره والجوع ادام والحكمة كلام والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيمته
والصبر معتمده والتوكل حسيبه والعقل دليله والعبادة حرفته والجنة مبلغه ان شاء الله وحده
ثم اعلم ان المهمات الضرورية في الامور الدنيوية ستة المطعم والملبس والمسكن والاثاث والمنكح وما
يكون وسيلة الى هذه الخمسة المطعم فلا بد للانسان من قوت حلال يقيم صلبه واقل مقداره لقيمات كما
ورد في حديثه واقل جنسه ما يقوت ولو خبز نخالة واوسطه خبز الشعير والذرة واعلاه خبز البر
غير منخول واقل ادامه الملح او البقل والخل واوسطه الزيت والسمن واللبن واعلاه اللحم في الاسبوع
مرة او مرتين ووقته الاقل في ثلثة ايام واوسطه في اليوم والليلة مرة واقصاه في اليوم والليلة مرتين
ويشير اليه قوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وكان يعيش ع م بالاسودين التمر والماء وما
شبع هو واهل بيته من خبز الشعير يومين متتابعين وفي رواية عنه ع م انه من طلب الفردوس
فخبز الشعير له والنوم على المزابل مع الكلاب كثير وكان عيسى ع م يقول يا بني اسرائيل عليكم بالماء
القراح والبقل البري وخبز الشعير واياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره ولما اتى النبي ع م
اهل قبا اتوه بشربة من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح في يده فقال اما اني لست احرمه ولكن اتركه

فصل في الملبس واحوال الصحابة فيه

تواضعا لله واما الملبس فاقل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة وهو كساء يتغطى به
واوسطه قميص وقلنسوة ونعلان واعلاه ان يكون معه ذلك منديل وسراويل واقل جنسه المسوح
الخشنة واوسطه الصوف الخشن واعلاه القطن الغليظ قال ابو بردة اخرجت لنا عايشة كساء ملبدا
وازارا غليظا وقالت قبض ع م في هذين رواه الشيخان ولابن ماجه من حديث ابي ذر باسناد جيد
ما من عبد لبس ثوب شهرة الا اعرض الله تعالى عنه حتى ينزعه وقد اشترى ع م سراويلا باربعة دراهم
كما رواه ابو يعلى من حديث ابي هريرة ولابي الشيخ من رواية عروة بن الزبير مرسلا كان رداؤه ع م
اربعة اذرع وعرضه ذراعان ونصف وفي طبقات ابن سعد من حديث ابي هريرة كان له ازار من
نسج عمان طوله اربعة اذرع وشبر في ذراعين وشبر وعن جابر رض قال دخل ع م على فاطمة رض
وعلي تطحن بالرحى وعليها كساء من اجلة الابل فلما نظر اليها بكى وقال يا فاطمة تجرعي مرارة الدنيا لنعيم
الابد فانزل الله سبحانه ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال وقال ع م لعايشة ان اردت اللحوق
بي فاياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعي ثوبا حتى ترقعيه رواه الترمذي والحاكم وصححه من حديث
عايشة ولابي نعيم والحاكم والبيهقي في شعبه ان من خيار امتي فيما انباني العلي الاعلى قوما يضحكون
جهرا من سعة رحمة ربهم ويبكون سرا من خوف عذابه مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى انفسهم ثقيلة
يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان اجسامهم في الارض وافئدتهم عند العرش وعد على قميص
عمر اثنتي عشرة رقعة بعضها من ادم واشترى علي رض ثوبا بثلثة دراهم ولبسه وهو في الخلافة و
قطع كميه من الرسغين وقال الحمد لله الذي كساني هذا من رياشه وقال بعضهم قومت ثوبي
سفيان ونعليه بدرهم واربعة دوانق ولاحمد من حديث معاذ ان عباد الله ليسوا بالمتنعمين واما
المسكن فالاعلى ان يقنع بزاوية من المسجد كاصحاب الصفة واوسطها بيت من سعف ونحوه وادناها
حجرة مبنية اما بشراء او كراء وللطبراني من رواية ابي العالية ان العباس بنى غرفة فقال له ع م
اهدمها ولابي داود من حديث انس بسند جيد رأى ع م قبة مشرفة فقال لمن هذه قالوا الفلان
فلما جاءه الرجل اعرض عنه فلم يكن يقبل كما كان فسال الرجل اصحابه عن تغير وجهه ع م فاخبر
بذلك فذهب فهدمها فمر ع م بالموضع فلم يرها فاستخبر فاخبر بانه هدمها فدعا له بخير ولابن حبان
في الثقات وابو نعيم في الحلية عن الحسن مرسلا مات رسول الله صلى الله ع م ولم يضع لبنة على لبنة
ولا قصبة على قصبة وقال عبد الله بن عمر مر علينا ع م ونحن نعالج خصا فقال ما هذا
فقلنا خص لنا قد وهي فقال ان الامر اعجل من ذلك رواه ابو داود والترمذي وصححه
وابن ماجه وقال الحسن دخلنا على صفوان بن محرز وهو في بيت من قصب قد مال عليه فقيل
له لو اصلحته فقال كم من رجل قد مات وهذا قائم على حاله ولابي داود من حديث انس بسند جيد

كل بناء وبال على صاحبه الا ما لا بد منه وكان في السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره
لضعف بنائه وكان منهم اذا حج او غزا نزع بيته او وهبه لجيرانه فاذا رجع اعاده قال الحسن
كنت اذا دخلت بيوت النبي عم ضربت الى السقف وقال عم للرجل الذي شكا اليه ضيق منزله اتسع في
السماء يعني في الجنة رواه ابو داود في المراسيل ووصله الطبراني وقال ابن مسعود يأتي قوم
يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين يصلون الى قبلتكم ويموتون الى غير ملتكم
واما اثاث البيت فاعلاها حال عيسى عم اذ كان لا يصحب الا مشطا وكوزا فرأى انسانا يمشط
لحيته باصابعه فرمى المشط ورأى اخر يشرب من النهر فرمى الكوز ثم الظرف ينبغي ان يكون من الخزف
ولو مكسور الظرف وكان السلف يستحبون استعمال آلة واحدة في اشياء متعددة كالذي معه
قصعة يأكل فيها ويشرب فيها وقالت عائشة رض كان ضجاعه اي فراشه عم الذي ينام عليه وسادة
من ادم حشوها ليف رواه ابو داود وابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح وللترمذي
في الشمائل من حديث حفصة ان فراشه عم كان عباءة مثنية ووسادة من ادم حشوها ليف
ورأى عليه السلام على باب منزل عائشة سترا فهتكه وقال كلما رأيته ذكرت الدنيا ارسلي به الى فلان
رواه الترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى من حديثها وقال الحسن ادركت سبعين من الخيار ما لاحدهم
الا ثوبه وما وضع احدهم بينه وبين الارض ثوبا قط وكان اذا اراد النوم باشر الارض بجسمه وجعل
ثوبه فوقه واما المنكح فقال قائلون لا زهد في اصل النكاح ولا في كثرته والى هذا ذهب سهل بن
عبد الله وقال قد حبب الى سيد الزاهدين من النساء فكيف نزهد فيهن ووافقه ابن عيينة وقال
كان علي ازهد الصحابة وله اربع نسوة وبضع عشرة سرية والصحيح ما قاله ابو سليمان الداراني
ان كل ما شغلك عن الله من اهل ومال او ولد فهو عليك مشؤوم وهو مستفاد من قوله تعالى لا تلهكم
اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وقوله ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال ابو سليمان الزهد في النساء ان يختار المرأة الفقيرة الضعيفة
على المرأة الجميلة الشريفة وقال الجنيد احب للمبتدي ان لا يشغل قلبه بثلث والا تغير حاله الكسب
وطلب الحديث والتزوج وقال احب للصوفي ان لا يكتب ولا يقرأ لانه اجمع لهمه واما ما يكون الوسيلة
الى هذه الخمسة فهو المال والجاه اما الجاه فانه قد يفتقر الى خادم له فينفعه وقد يحتاج الى دفع ظلم
عن نفسه او غيره والغالب ان من اشتغل بالعلم والعمل يمهد له من قلوب الخلق ما يدفع به عنه الاذى و
لو كان بين الكفار فكيف بين الابرار واما المال فقدر الضرورة كاف في المعيشة فان كان
كاسبا واكتسب حاجة يومه ينبغي ان يتركه ويشتغل بامر مهم وقد قال ابو سليمان لا ينبغي للرجل ان
يرهق اهله الى الزهد بل يدعوهم اليه فان اجابوه والا تركهم فيفعل بنفسه ما شاء وروي

ان ابراهيم الخليل عم اصابته حاجة فذهب الى صديق له يستقرض شيئا فلم يقرضه فرجع مهموما فاوحى
الله اليه لو سألت خليلك لاعطاك فقال يا رب عرفت مقتك للدنيا فخفت ان اسألك شيئا منها فاوحى
الله اليه ليس الحاجة من الدنيا فينبغي من هذا ان تحصيل قدر الحاجة من امر الدين والاولى المبالغة في
التشديد اي التضييق على نفسك ان كنت من المريد المجتهدين تحاميا اي تحافظا عن ستة اشياء عن الانس
بالدنيا ونسيان العقبى والاشتغال بغير ذكر المولى وعن طول المكث للحساب المفضي لعذاب الحجاب وعن الحبس
والتوقف عن الجنة وما فيها من الثواب واللوم اي وعن الملامة في اكتساب السيئات والتعيير اي التوبيخ في تقصير
الطاعات والحرمان عن الدرجات العالية والمقامات الغالية وهو اي المبالغة على النهج المذكور كله ورد فيه
المأثور من السلف الصالحين منهم الثوري وكان قد شدد على نفسه فقيل له لو خففت لنلت الجنة ايضا
فما هذه الشدة فقال كيف لا اشد على نفسي وقد ورد ان جارية تضحك عند زوجها في الجنة "
فتشرق الجنان الثمانية بنور اسنانها فيظنون ان ذلك نور من جهة الرب سبحانه فيخرون ساجدين "
فنودوا ان ارفعوا رؤوسكم ليس الذي يظنون انما هو نور جارية تبسمت في زوجها واما ما حكي ان
داود الطائي كان له حب مكسور فيه ماؤه فكان لا يرفعه من الشمس ويشرب منه الماء الحار ويقول من
وجد لذة الماء البارد يشق عليه مفارقة الدنيا فلعله محمول على وقت رياضته وابتداء مخالفة النفس
في شهوته والا فيعد من الزهد البارد لانه عم كان يستعذب الماء ويقول في دعائه اللهم اجعل
حبك الي احب من حب الماء البارد وقد دخل بستانا فقال لصاحبه ان كان عندك ماء بات في شن
والا فاتى به فشرب وكان بعض العارفين يقول اذا شربت الماء البارد احمد الله من صميم قلبي وقيل
انما خلق الله اللذات الدنيوية ليكون انموذجا للذات الاخروية وقد قال الله تعالى قل من حرم الله
زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق وقال تعالى يا ايها الذين امنوا كلوا واشربوا من
طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين اي المتجاوزين عن الحد في امر الدين كا
لرهبانية وورد في الحديث لو كانت الدنيا تعدل اي تساوي وتماثل جناح بعوضة ما سقى
كافرا منها شربة ماء رواه الترمذي من حديث سهل بن سعد ورواه ابن ماجه بلفظ تزن بدل
تعدل وقال قطرة ابدا بدل شربة ماء ورواه الحاكم وصححه الدنيا ملعونة وفي نسخة ملعون و
ملعون ما فيها الا ما كان لله وهو العبادة وما يعين عليها وفي رواية الطبراني من حديث ابي الدرداء
الا ما يبتغى به وجه الله عز وجل واسناده لا بأس به ورواه الترمذي من حديث ابي هريرة وحسنه
ولفظه الا ذكر الله وما والاه وعالما متعلما يعني وما يجري مجراه فانه سبحانه وتعالى خلق الاشياء كلها
لعباده كما يشير اليه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وخلق عباده لعبادته كما قال وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون فشكر نعمته ان يصرفها في طاعته وكفرانها ان يصرفها في معصيته او غفلته

ثم للحالة التي قبل الموت خيرا او شرا سميت دنيا والتي بعده اي بعد الموت تكون اخرة فان من مات
فقد قامت قيامته وقد يقال بين الموت والبعث حال يقال له البرزخ فانه الواسطة بين الدنيا والاخرى
لكن العبادة وما لا بد منه فيها مما يعين عليها كالاكل والشرب واللبس والنوم والمخالطة ونحوها
بقدر الضرورة معدودة من الاخرة لخروجها عما جمع من امورها فيما ورد في التنزيل انما الحيوة
الدنيا لعب وهو ما يتعب الشخص فيه نفسه من غير فائدة له وهو فعل الصبيان والمجانين ولهو وهو ما يشغل
به عن الطاعات وتلهو عن العبادات وهو فعل اهل الغفلة من الشبان وارباب المال والجاه كما يشير اليه قوله تعالى
الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر الاية اي وزينة وهي الغالب في النساء ومن تشبه بهن من السفهاء
وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد وهو حال اكثر اهل الدنيا من الاغنياء والامراء فهي
اي الاشياء التي جمعت في الاية السابقة الدنيا باجمعها اي بتمامها ومتاعها مبتدا وخبره ما جمع
من انواعها فيما ورد في التنزيل زين للناس حب الشهوات اي اللذات من النساء والبنين اي دون
البنات ولذا قيل في قوله تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات ان البنات داخلة في
الباقيات الصالحات والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وقد ورد ولو كان لابن ادم واديان
من ذهب لابتغى ثالثا ولن يملا جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب والخيل المسومة اي المعلمة
او المرسلة والانعام من الابل والبقر والغنم والحرث للزراعة والاشجار والاثمار والازهار ذلك
متاع الحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور والله عنده حسن الماب وجزيل الثواب وما
عند الله خير للابرار والشغل بها حب حظوظها اي لذاتها وشهواتها باطنا وتحصيلها ظاهرا
واما الانبياء والاصفياء فاختار الله لهم الدرجات العليا في العقبى والمحن والبلايا في الدنيا فعن
ابي سعيد الخدري عن النبي عم لقد كان الانبياء يبتلى احدهم بالفقر فلا يجد الا العباء وان كان
احدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله القمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم رواه ابن ماجه باسناد صحيح
وعن ابن عباس قال لما ورد موسى ماء مدين كانت خضرة البقل ترى من بطنه من الهزال وعلاجها معرفة
الرب فان معرفة الرب موجبة لحبه وحبه لا يجتمع مع حب غيره كما يشير اليه قوله سبحانه ما جعل الله لرجل من
قلبين في جوفه ولانه تعالى يبغضها فلا ينبغي لاحد ان يحبها والزهد اي ومعرفة قدرها حتى لا يضيعها
في طلبها الدنية ومنعها عن تحصيل المنازل السنية وشرف الاخرة ودرجاتها العالية الباقية ونفاسة
مراتبها الرفيعة المنيعة وخساسة الدنيا من خسة شركائها وسرعة فنائها وكثرة عنائها وقلة غنائها
ويكفيك في ذمها ما ورد في حقها من ان الدنيا جيفة وطالبها كلاب فقد روى ابو الشيخ في تفسيره
عن علي رض موقوفا الدنيا جيفة فمن ارادها فليصبر على مخالطة الكلاب واخرج الديلمي عن
علي مرفوعا اوحى الله الى داود عم يا داود مثل الدنيا كمثل جيفة اجتمعت عليها الكلاب يجرونها

فتحب

فتحب ان تكون كلابا مثلهم فتجرها معهم ولاحمد عن عائشة مرفوعا ورجاله ثقات الدنيا دار من لا دار
له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وفي صحيح مسلم والترمذي عن ابي هريرة مرفوعا الدنيا
سجن المؤمن وجنة الكافر ورواه احمد عن عبد الله بن عمرو بزيادة فاذا فارق الدنيا بحضره
فارق السجن ثم الدنيا فتنة وبلية كما في صحيح مسلم الدنيا خضرة حلوة وان الله مستخلفكم فيها
فناظر كيف تعملون وفقنا الله سبحانه وتعالى بما يحب ويرضى في الدنيا والاخرى وبلغنا المقام الحسنى
مع الذين احسنوا الحسنى

الباب العشرون في التوحيد والتوكل واليقين

الباب العشرون

بسم الله الرحمن الرحيم المنفرد بتوحيد الذات وتفريد الصفات عليه يتوكل المتوكلون وبه يتقرب
المتقون الموقنون ادنى رتبة التوحيد من مراتب الاربع محض القول بالتفريد بان يقول الانسان بظاهر
اللسان لا اله الا الله وقلبه غافل عنه وهو جاهل به او منكر له كتوحيد المنافق وهو اي قوله النفاق والعياذ
بالله منه اي من النفاق وما يترتب عليه من الخلاف والشقاق ولا يفيد ذلك التوحيد في الحال الا
عصمة الدم والمال اي حفظ دم الموحد وماله لورود في الحديث الصحيح وصدره امرت ان اقاتل الناس
حتى يشهدوا ان لا اله الا الله فاذا قالوها اي كلمة التوحيد عصموا مني دماءهم واموالهم تمام الحديث
الا بحقها وحسابهم على الله ثم التصديق معه وهو ان يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين
ويكون اعتقاده كالعاصي اي كما هو اعتقاد العوام والمتكلم وهو الخائض في علم الكلام فهو اي المتكلم
لا يتميز عن العامي في هذا المقام الا بالحيلة اي الصنعة الجدلية الدافعة تشويش المبتدعة المانعة
من انخرام قواعد اهل السنة والجماعة ويفيد التصديق بالجنان مع الاقرار باللسان النجاة من الخلود
في النار ولو كان صاحبه من الفساق والفجار ثم مشاهدة صدور الكل اي ظهور جميع ما يقع في الكون
منه تعالى وهي في الحقيقة هذا يسمى توحيد الافعال في المصنوعات وما سبق توحيد الذات والصفات وهذا
انما يكون بطريق الكشف بواسطة نور الحق لتنوير الاسرار وهو مقام المقربين الابرار وذلك بان
يرى اشياء كثيرة ظاهرها الاغيار ولكنه يراها على كثرتها صادرة من الواحد القهار فيقول
المشاهد ليس في الدار غيره ديار ويفيد هذا التوحيد اعتماد القلب عليه في امور الدنيا والاخرى
وانقطاعه عما سواه فلا يرى احدا يضر وينفع او يعطي ويمنع الا اياه وهو التوكل اي الاعتماد على
الله وعدم الالتفات الى ما عداه وتوضيحه انه ينكشف لك ان لا فاعل الا الله وان كل موجود من خلق و
رزق وعطاء ومنع ونفع وحلو ومر وخير وشر وغنى وفقر وحياة وممات الى غير ذلك مما يطلق
عليه اسم الوجود في دائرة الشهود فالمنفرد بابداعه وابدائه واختراعه هو الله تعالى لا شريك له فيه
واذا انكشف لك هذا لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفك واليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك فانه
الفاعل على الانفراد دون غيره وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات

والارض واذا انفتح لك ابواب المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحا تاما بالمشاهدة بالبصر وانما
يصدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقامين ويبتغي به ان يتطرق الى قلبك شائبة الشرك بشيئين
احدهما الالتفات الى الجمادات اما الالتفات الى الجمادات فكاعتمادك على المطر في خروج الزرع ونباته ونمائه
والى الغيم في نزول المطر وعلى البرد في اجتماع الغيم وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا كله
شرك في التوحيد وجهل بحقائق امر التفريد ولذا قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له
الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون قيل معناه يقولون لولا استواء الريح لما نجونا ومن انكشف
له امر العالم كما هو عليه علم ان الريح هو الهواء لا يتحرك بنفسه ما لم يحركه محرك وكذا محركه وهذا ينتهي الى
المحرك الاول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه ومنه قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله
رمى واما الالتفات الى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية فيقول الشيطان كيف ترى الكل من الله
وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره فان شاء اعطاك وان شاء قطع عنك وهذا الشخص هو
الذي يحز رقبتك بسيفه وهو قادر عليك ان شاء حز رقبتك وان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه
ولا ترجوه وامرك بيده فانت تشاهد ذلك ولا تشك فيه وعند هذا زلت اقدام الاكثرين
الا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان اللعين فشاهدوا بنور البصائر ان جميع ما
في السموات وما في الارض من الشمس والقمر والنجوم والمطر والارض والحجر والمدر والشجر وكل حيوان و
ملك وبشر مسخرات في قبضة القدرة الالهية الصمدانية والقوة السبحانية الربانية ثم اعلم انه سبحانه قال
وما تشاؤون الا ان يشاء الله واجمع السلف على ان ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن فلا يتحرك الانسان ولا يسكن
الا اذا شاء الله شاء العبد ام لم يشا فليست المشية اليه فمهما وجدت المشية التي تصرف القدرة الى مقدورها
انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل الى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة محركة
ضرورة عند انجزام المشية والمشية تحدث ضرورة في القلب فهذه ضروريات ترتبط بعضها الى بعض
وليس للعبد ان يدفع وجود المشية ولا انصراف القدرة الى المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد
بعث المشية للقدرة فهو مضطر في الجميع قيل فهذا جبر محض يناقض الاختيار وانت لا تنكر الاختيار
فكيف تكون مجبرا مختارا اجيب بانه لو انكشف لك الغطاء لعرفت انه في عين الاختيار مجبور فانه عبد مسخر
مقهور ولذا قال بعض العارفين لا تختر فان كنت تختار فاختر انك لا تختار وربك يخلق ما يشاء و
يختار والله اعلم بحقائق الاسرار ثم رؤية عدم ما سواه اي مشاهدة بحجب وجود مولاه فلا يرى
في الوجود الا واحدا وهو مشاهدة الصديقين الاحرار ويفيد هذا التوحيد الاستغراق به اي
بشهوده والغيبة عن الغير اي الغفلة عن وجوده وهو عند الصوفية الفناء في التوحيد الحاصل
من كمال الصفاء وجمال الوفاء من حيث انه لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه ايضا فاذا لم ير نفسه

٧ الالتفات الى اختيار الحيوانات والثاني صح

لكونه

لكونه مستغرقا بالواحد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى انه فني عن رؤية نفسه بالكلية وقد فني
عن رؤية فنائه ايضا ويسمى انفناء عن الفناء ويبقى له البقاء في مشاهدة اللقاء فالاول موحد
بمجرد اللسان وذلك يعصم صاحبه عن السيف والسنان والثاني موحد بجنانه ومفهوم لسانه لكن ليس
فيه انشراح وانفتاح لشانه والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا والرابع موحد بمعنى انه
لم يظهر في نظر شهوده غير الواحد الواجب في وجوده ولا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد
وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد ويسمى مقام جمع الجمع في حال التوحيد وهو ان لا تحجبه الكثرة
عن الوحدة ولا تحجبه الوحدة عن الكثرة وهذا ينبئ لك ان توحيد الفعل مقصد عال للسالكين لكنه
لا يخرج عن مشاهدة الغير والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد السماء
والارض وما بينهما من الطول والعرض وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا فاعلم ان العارفين قالوا
صدور الاحرار قبور الاسرار كما يشير اليه قوله عم لو تعلمون ما اعلم وقالوا ايضا افشاء سر الربوبية
كفر لكن قد يمكن الاشارة الى كشف ما فيه ستره بان يقال الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار
ويكون واحدا بنوع آخر من ملاحظة واستبصار وهذا كما ان الانسان كثير اذا التفت الى روحه وجسمه
واطرافه وعروقه وعظامه واحشائه واعضائه وهو باعتبار اخر ومشاهدة اخرى واحد وكم
من شخص يشاهد انسانا ولا يخطر بباله كثرة امعائه واجزائه فهو في حال الاستغراق والاستهتار به
مستغرق بواحد ليس فيه تفرق وكانه في عين الجمع والملتفت الى الكثرة في تفرقه فكذا كل ما في الوجود من الخالق
والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة وهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد وباعتبارات
اخر سواها كثير ثم هذه المشاهدة التي لا يظهر فيها الا الواحد الحق تارة يدوم وتارة كالبرق
الخاطف وهي الاكثر والدوام نادر عزيز بل في المجاذيب والى هذا المقام اشار الحسين بن منصور
الحلاج حيث راى الخواص يدور في الاسفار فقال فيماذا انت قال ادور في الاسفار لاصحح حالي في التوكل
وقد كان من المتوكلين فقال الحسين قد افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد فكان
الخواص كان في تصحيح المقام الثالث من التوحيد فطالبه بالمقام الرابع من التفريد فان قلت
فكيف الجمع بين التوحيد والشرع اذ معنى التوحيد ان لا فاعل الا الله ومعنى الشرع اثبات الافعال
للعباد فان كان العباد فاعلا فكيف يكون الله فاعلا وان كان الله فاعلا فكيف يكون العبد
فاعلا ومفعول بين فاعلين غير مفهوم فالجواب نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل معنى واحد وان كان
له معنيان ويكون الفعل محتملا مرددا بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الامير فلانا ويقال قتله الجلاد لكن
الامير قتل بمعنى اخر والجلاد قتل بمعنى اخر فكذلك العبد فاعل بمعنى والله فاعل بمعنى اخر فمعنى
كون الله فاعلا انه المخترع الموجد ومعنى كون العبد فاعلا انه المحل الذي خلقت فيه القدرة

بعد ان خلق الله فيه الارادة بعد ان خلق فيه العلم ولاجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله سبحانه
الافعال في القرآن مرة الى الملائكة واخرى الى العباد ونسبها بعينها مرة الى نفسه فقال تعالى قل يتوفيكم
ملك الموت الذي وكل بكم وقال تعالى توفته رسلنا وقال الله يتوفى الانفس حين موتها وقال فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهو جمع بين النفي والاثبات ظاهرا ولكن معناه
ما رميت بالمعنى الذي يكون به الرب راميا اذ رميت بالمعنى الذي يكون العبد به راميا فانهما
لمعنيان مختلفان فالمعنى وما رميت حقيقة اذ رميت مجازا ولكن الله رمى حيث خلق فيك قوة
الرمي او خلق في المرمى الوصول الى عين عدوه وقيل ما رميت خلقا اذ رميت كسبا ولكن الله قدر
رميك اذلا وكذا ذكر الله تعالى في القرآن الادلة والايات في الارض والسموات ثم قال اولم يكف بربك
انه على كل شيء شهيد وقال شهد الله انه لا اله الا هو فبين انه الدليل على نفسه وذلك ليس بمتناقض
بل طريق الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف الله بالنظر الى الموجودات كما قال بعضهم ما نظرت شيئا
الا ورأيت الله بعده وهذا طريق المريد السالك وكم طالب عرف الموجودات بالله سبحانه كما قال بعضهم
ما نظرت شيئا الا ورأيت الله قبله وهذا مسلك المراد المجذوب ومن هنا قال من قال عرفت ربي
بربي ولولا ربي لما عرفت ربي فالحاصل ان الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تناقض لهذه
المعاني اذا فهمت حقايق المعاني ولذا قال عم للذي ناوله التمرة خذها لو لم تاتها لاتتك كما رواه ابن
حبان والطبراني فاضاف الاتيان اليه والى التمرة ومعلوم ان التمرة لا تاتي على الوجه الذي ياتي الانسان
به اليها وكذا لما قال ذلك التائب اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد عم قال عرف الحق لاهله وذلك لان
من اضاف الكل الى الله فهو المحقق الذي عرف الحق لاهله ومن اضاف الى غيره فهو المتجوز في مرام المستعر
في كلامه ومن هنا قال عم اصدق بيت قالته العرب قول لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل
وكل نعيم لا محالة زائل متفق عليه من حديث ابي هريرة والمعنى ان ما لا قوام له بنفسه وانما قوامه بغيره
فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيقته وحقيقته بغيره لا بنفسه فاذن لا حق بالحقيقة الا الحي
القيوم الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فانه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق
وما سواه باطل اي مضمحل وزائل كما قال تعالى كل شيء هالك الا وجهه ومن هنا قال سهل يا مسكين
كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم صرت تقول انا وانا كن الان كان لم تكن فانه اليوم
كما كان وهذا تفصيل ما اجمل في قول بعضهم كان الله ولم يكن معه شيء وهو الآن على ما عليه كان
هذا واذا ثبت في نفسك بكشف او اعتقاد جازم انه لا فاعل الا الله كما سبق واعتقدت
مع ذلك انه له تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام اللطف والرحمة بجملة الاحاد و
انه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمتك

لك عناية ورحمة اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم تلتفت الى غيره بوجه ولا الى نفسك وحولك وقوتك
فانه لا حول ولا قوة الا بالله فالحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة والالتفات الى الغير
لاحد الامرين اما ضعف اليقين وذلك لتطرق الشك وخطوره في امور يجب عدم الالتفات اليها و
عدم الاستيلاء اي ولعله غلبة اليقين واستعلائه على القلب ودخول اليقين سويداءه واما لضعف
الجبلي اي الخلقي الطبيعي وهو مرض القلب باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة لديه
فان القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له من غير نقصان في اليقين فان من كان يتناول عسلا فشبه
بين يديه بالعذرة ربما نفر عنه طبعه ويمتنع عليه تناوله كالجبان مطيع الوهم لا يطيق البيتوتة
في بيت خال او فيه ميت فلو كلف العاقل ان يبيت مع الميت في قبر او فراش او بيت نفر طبعه عن ذلك
وان كان متيقنا لكونه ميتا وانه جماد في الحال وان سنة الله مطردة بانه لا يحشره الآن ولا يحييه
ولو احياه لعاد كما كان واحيه وابقاه وعادته كما ان سنة سبحانه مطردة بان القلم الذي في
يده لا يقلبه حية وان كان قادرا عليه ومع انه لا يشك في هذا اليقين فينفر قلبه عن مضاجعة الميت
في فراش ولا ينفر من سائر الجمادات وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف قل ما يخلو الانسان عن شيء
منه وان قل وقد يقوى فيصير مرضا حتى يخاف ان يبيت في البيت وحده مع اغلاق الباب واحكامه
فاذا لا يتم التوكل الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما يحصل سكون القلب وطمانينته فالسكون
في القلب شيء واليقين شيء آخر فكم من يقين لا طمانينة معه كما قال تعالى اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن
قلبي فالتمس ان يشاهد احياء الميت بعينه ليترقى من مقام علم اليقين الى عين اليقين هذا وقد قال
تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فالانسان بطبعه مشغوف
بسماع تخويف الشيطان ولذا قيل الشفيق بسوء الظن مولع واذا انضم اليه الجبن وضعف القلب و
مشاهدة المتكلين على الطلب والكسب غلب سوء ظنه وضعف قوة توكله وعنه عم ان الله عز وجل
بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط ادنى
درجة التوكل على الله ان يعتمد عليه اعتماد الموكل من المخلوق على الوكيل مثله للعلم اي لعلم الموكل بشفقته
تعالى وقدرته وعلمه كما قدمنا وهذه الدرجة الاولى ثم التوكل الاعلى منه ان يعتمد عليه سبحانه اعتماد
الطفل على الام فيكون حاله مع الله كحالة الطفل مع امه فانه لا يعرف غيرها ولا يفزع الى احد سواها
ولا يعتمد الا اياها فاذا رآها تعلق في كل حال بذيلها ولم يتركها وان نابه امر في غيبتها كان اول
سابق الى لسانه يا اماه يا اماه واول خاطر يخطر على قلبه امه فانها مفزعه وقد وثق كفالتها و
شفقتها وكفايتها وعادتها فمن كان تاله الى الله ونظره الى مولاه واعتماده في دنياه واخراه
كلف به كما يكلف الصبي بامه بل اقوى منه فانه سبحانه ارحم الراحمين فيكون متوكلا حقا كما ان الطفل

متوكل على الله صدقا وهذه المرتبة الثانية الدرجة الاولى بشيئين بعدم الالتفات على الاعتماد استغراقا
يفارق
بالامر في باب الاستناد اذ الصبي اذا طولب لتفصيل الحال لا يعرف ان التوكل ما هو فلا يعرف الا الوكيل و
توضيح في مقام الفرق بين هذا وهذا الاول ان هذا متوكل وقد فني في توكله عن توكله اذ ليس يلتفت
قلبه الى التوكل وحقيقته بل على المتوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه واما الاول فمتوكل بالتوكل
بالتكلف والكسب ليس فانيا عن توكله حيث له التفات الى توكله وشعور به وذلك شغل صارف عن ملاحظة
المتوكل عليه وحده والى هذه الدرجة اشار سهل حيث سئل عن التوكل ما ادناه فقال ترك الاماني قيل
فاوسطه قال ترك الاختيار وهذه اشارة الى الدرجة الثانية وسئل عن اعلاه فلم يذكره وقال لم يعرفه
الا من بلغ اوسطه وترك التدبير اي ويفارق الثانية الاولى بترك تدبير الامور واذا كان في مقام الحضور
فتلك المرتبة الاولى تنافيه اي اصل التدبير بالطريق الذي رسم اي بينه الوكيل به وعينه ان يفعله
تصريحا او تلويحا ولكن تنافي بعض التدبيرات التي ما رسم بها والتكلف في تحصيلها وذلك كالمتوكل على
وكيله في الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي اشار اليه و
كيله او التدبير الذي عرفه من عادته وسنته دون صريح اشارته فاما الذي يعرفه باشارته بان يقول
لست اتكلم الا بحضورك فيشتغل لا محالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضا لتوكله عليه اذ ليس
هو فرعا منه الى حول نفسه وقوته في اظهار الحجة ولا الى حول غيره بل من تمام توكله ان يفعل ما رسم له اذ
لو لم يكن متوكلا ولا معتمدا في قوله لما حضر بقوله واما المعلوم بعادته واطراد سنته فهو انه يعلم من
عادته انه لا يحاج الخصم الا من السجل فتمام توكله اذ كان متوكلا عليه ان يكون معولا على سنته وعادته
ووفاء بمقتضاها وهو ان يحمل السجل مع نفسه اليه عند مخاصمته فاذن لا يستغني عن التدبير في الحضور
وعن التدبير في احضار السجل ونحوه من الشاهد في الامور ثم اعلى رتبة التوكل على الله تعالى ان
يكون المتوكل بين يدي سبحانه في حركاته وسكناته كالميت بين يدي الغسال حال تقليبه وسائر تصرفاته
لا يفارقه الا في انه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك يد الغاسل الميت وهو الذي قوي
يقينه بانه سبحانه مجري الحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات وانه كلما يحدث جبرا فيكون
غائبا عن الانتظار لما يجري ويفارق هذه المنزلة الدرجة الثانية بترك
السؤال مطلقا سواء كان السؤال من الله او من غيره في جميع الاحوال كما روي عن الخليل عليه السلام
انه لما قال له جبريل الك حاجة فقال اما اليك فلا واما الى الله فبلى فقال سل ربك فانك في مقام البلاء
الموت للولاة فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي وحاصله ان صاحب هذا المقام يفارق الصبي في انه من الزام
فان الصبي يفزع الى امه ويصيح وراءها ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها بل مثال هذا صبي فرض انه
يعلم انه وان لم يزعق بامه فالام تطلبه وانه وان لم يتعلق بذيل امه فالام تحمله وانه وان لم يطلب

منها اللبن

منها اللبن فالام تبتديه وترضعه وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه
وعنايته ورحمته ورعايته وانه يعطي ابتداء افضل مما يسأل فكم من نعمة ابتداها قبل الدعاء وبغير
الاستحقاق كما يشير اليه قوله تعالى وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فتلك
اي المرتبة الثانية انما تنافيه اي السؤال من غيره تعالى فقط وهي الدرجة الثالثة اندر اي اقل وقوعا
واعز بقاء ثم الثانية ثم الاولى كذلك فان انبساط القلب الى ملاحظة الحول والقوة والاسباب طبع و
انقباضه بالكلية عن ملاحظة هذه الاشياء عارض لا يدوم فاذن رجوع حال المتوكل الى التبري
من الحول والقوة وهذا هو تحقيق معنى لا حول ولا قوة الا بالله حقا وصدقا وقد اشكل امر الحول والقوة
على المعتزلة والفلاسفة وطوائف كثيرة ممن يدعي انه تدقق في الرأي والمعقول حتى يشق الشعر
بحدة نظره فهي مهلكة مخطرة ومزلقة قدم عظيمة هلك فيه الهالكون اذا اشرق الانفسهم امر وهو
شرك في التوحيد واثبات خالق سوى الله تعالى وجاوز هذه العقبة بتوفيق الله اياه فقد علت
رتبته وعظمت نسبته ورفعت درجته وارتفعت همته وهو الذي يصدق معنى قوله لا حول ولا
قوة الا بالله وعن بعض العارفين انه قال ما مضمونه اسأت بالذنب واعتذرت الى ربي ان
اعتذاري عند قلبي اسوء من ذنبي لتضمنه دعوى الوجود والقدرة والفعل وهذه كلها مخصوصة
بربي ولا بد منه اي من التوكل في امر الرزق وغيره لثمانية اشياء تورد في التنزيل وعلى الله اي لا على ما
سواه فتوكلوا ان كنتم مؤمنين كاملين او اذ صرتم مؤمنين واللام للوجوب وفي اية اخرى وعلى الله فليتوكل
المؤمنون وقال نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي كافيه فيما
تمناه وقال اليس الله بكاف عبده فمن يطلب لغيره الكفاية فهو مكذب لهذه الاية وقال ان الله يحب المتوكلين
وناهيك بخصلة موجبة للمحبة الالهية وقال ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم اي عزيز لا يذل من
استجار به ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجأ الى حماه وذمامه بانه حكيم لا يقصر عن تدبير امر من توكل على
حسن تدبيره ووثق بتقديره وقال وتوكل على الحي الذي لا يموت الى ان من يموت لا اعتماد عليه ولا استناد
اليه كما حكي عن الخواص ولو توكلتم وفي رواية لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق
الطير تغدو خماصا وتروح بطانا رواه الترمذي والحاكم وصححاه من حديث عمر وهو مقتبس
من قوله تعالى وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم وفي رواية زيادة
ولمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال وفي رواية البيهقي لو عرفتم الله حق معرفته لزالت بدعائكم
الجبال وعن ابن مسعود رأيت الامم بالموسم فرأيت امتي قد ملأت السهل والجبل فاعجبني
كثرتهم وهيأتهم فقيل لي ارضيت فقلت نعم فقيل ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة
بغير حساب قيل من هم يا رسول الله قال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون

فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال عم اجعله منهم فقام آخر
فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة رواه مسلم باسناد حسن واتفق عليه الشيخان
من حديث ابن عباس رضي الله عنهما والحاكم وغيره من حديث ابن عباس من سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله
اوثق منه بما في يده وللطبراني وغيره من رواية الحسن عن عمران بن حصين ولم يسمع منه انه قال عم
من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها
ويروى انه لما قال جبريل لابراهيم الخليل عم الك حاجة فقال اما اليك فلا وفاء الدنيا بقوله
حسبي الله ونعم الوكيل انزل الله فيه وابراهيم الذى وفى وقد اوحى الله تعالى الى داود عم ما من
عبد يعتصم بي من دون خلقي فيكيده اهل السموات والارض الا جعلت له مخرجا وقال سعيد بن جبير
لدغتني عقرب فاقسمت علي امي لتسترقيني فناولت الراقي اليد التي لم تلدغ وقال بعض العلماء لا يشغلك
المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع امر آخرتك ولا تنال من الدنيا
الا ما كتبه الله لك وقال هرم بن حيان لاويس القرني اين تأمرني ان اكون فاومأ الى الشام فقال
الهرم كيف المعيشة بها فقال اويس اف لهذه القلوب قد خالطها الشكوك فما تنفعها الموعظة
وقال بعضهم متى رضيت بالله وكيلا وجدت الى كل خير سبيلا وقال ابو موسى الديبلي قلت لابي يزيد
ما التوكل فقال ما تقول انت فقلت ان اصحابي يقولون لو ان السباع والافاعي عن يمينك ويسارك
ما تحرك لذلك سرك فقال ابو يزيد نعم هذا قريب ولكن لو ان اهل الجنة في الجنة يتنعمون واهل
النار في النار يعذبون ثم وقع لك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل قال في الاحياء فما ذكره
خبر عن اعلى احوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره ابو يزيد عبارة عن اعز انواع
العلم الذى هو من اصول التوكل وهو العلم بالحكمة وان ما فعله الله تعالى فعله بالواجب فلا يتميز
بين اهل النار واهل الجنة بالاضافة الى اصل العدل والحكمة وهذا اغمض انواع العلم ووراءه
سر القدرة وابو يزيد قلما يتكلم الا عن اعلى المقامات واقصى الدرجات وليس ترك الاحتراز عن نحو
الحيات شرطا في المقام الاول من التوكل فقد احترز الصديق في الغار اذ سد منافذه الا
ان يقال فعل ذلك برجله ولم يتغير بسببه باطن سره او يقال انما فعل ذلك شفقة على رسوله لا على
نفسه وانما يزول التوكل بحركة سره وتغيره لامر يرجع الى نفسه وفي النظر في هذا المجال لان
امثال ذلك واكثر منه لا يناقض احوال التوكل فان حركة السر من الحيات هو الخوف وحق التوكل
ان يخاف مسلط الحيات اذ لا حول للحيات ولا قوة الا بالله وان احترز لم يكن اتكاله على تدبيره و
حوله وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير ويشير الى هذا المقام قوله تعالى
يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدي المرسلون وقوله فاوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا

تخف

لا تخف انك انت الاعلى انك في المنظر الاعلى وايضا اي كما لا بد من التوكل لوجوبه لا بد منه لما يحصل
فيه التفرغ للعبادة عن الالتفات الى تحصيل الاقوات مما يمنع عن ارادة طريق السعادة فقد سئل ذو
النون المصري عن التوكل فقال خلع الارباب وقطع الاسباب خلع الارباب اشارة الى علوم التوحيد وقطع
الاسباب الى الاعمال في مقام التفريد فقيل له زدنا فقال القاء النفس في العبودية واخراجها من الربوبية
يعني بالتبري من الحول والقوة وايضا لا بد من التوكل فانه كما هو المعلوم فانه لا يتغير المقدر
المقسوم قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا الاية وقد سئل حمدون القصار عن التوكل
فقال ان كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دانق دين لم تأمن ان تموت ويبقى ذلك في عنقك و
ان كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير ان تترك لها وفاء فلا تيأس من الله ان يقضيها عنك
ويقرب منه قول صاحب المنازل ما بيدي لم اعرف نصيب من وما نصيبي لم اعرف بيد من وفي هذا اشارة
الى مد الايمان بسعة القدرة وان في المقدورات اسبابا خفية سوى هذه الاسباب الظاهرة وورد
الرزق مقسوم مفروغ ليس له اصل بهذا المبنى ولكنه صحيح من حيث المعنى فللبيهقي في الشعب مرفوعا
عن ام الدرداء رضي ان الرزق ليطلب العبد كما يطلبه اجله ويشير اليه قوله سبحانه الله الذي
خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم بل فيه تنبيه نبيه على ان ما بقي له شيء من رزقه لم يأته له طلب اجل وقد
قال بعض العلماء لو هرب العبد من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لادركه وانه لو سأل الله ان
يرزقه لما استجاب له وكان عاصيا ويقال له يا جاهل كيف اخلقك ولا ارزقك ولذا قال ابن عباس
اختلف الناس في كل شيء الا في الرزق والاجل فانهم اجمعوا على ان لا رازق ولا مميت الا الله وقال
عيسى عم انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله يرزقها يوما بيوم فان كنتم نحن اكبر بطونا
فانظروا الى الانعام والوحوش كيف قيض الله لها الرزق وقال ابو يعقوب السوسي المتوكلون يجري
ارزاقهم على ايدي العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون وقال بعضهم العبيد كلهم في
رزق الله لكن بعضهم يأكل بذل كالسؤال وبعضهم بتعب وانتظار كالتجار وبعضهم بامتهان كالصناع
وبعضهم بعز كالصوفية يعبدون فيشهدون العزيز فيأخذون رزقهم من يده ولا يرون
الواسطة ويشير الى هذا المقام قوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون
الى ان قال ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون اربع فرغ منهن للخلق بالفتح
وللخلق بالضم والاجل والرزق رواه الطبراني من حديث ابن مسعود ولفظه فرغ الى ابن ادم من اربع
الخلق والخلق والرزق والاجل ورواه احمد والطبراني عن ابي الدرداء رضي بلفظ فرغ الله
عز وجل الى كل عبد من خمس من اجله ورزقه واثره اي عمله ومضجعه اي محل موته وشقي او
سعيد ولقد احسن من قال من اهل الفنون شعر جرى قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك والسكون

حون منه ان يشتهي الرزق يرزقه في غيبه او في الجنين وايضا لابد من التوكل اذ المطلوب من
العبد هو العمل اي الاستعداد على الطاعة لزاد المعاد وهو تعالى قادر على اعطائه بسبب حاصل بالطلب او
دون السبب اي وحاصل بغيره من انواع الكسب فقد قال يحيى بن معاذ في رجوع العبد الرزق دلالة على ان
الرزق مأمور بطلب العبد ويؤيده قوله عم السائل بعد اعطائه التمر خذها ولو لم تأتها لاتتك وقد
تقدم مبناه وما يؤيده من معناه وسئل ابو عبد الله القرشي عن التوكل فقال التعلق بالله في كل حال فقال
السائل زدني فقال ترك كل سبب يوصل الى سبب حتى يكون الحق المتولي لذلك فالاول على المقامات الثلاثة
المتقدمة والثاني اشارة الى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل ابراهيم الخليل اذ قال له جبرئيل الك
حاجة فقال اما اليك فلا اذ كان سؤاله سببا يوصل الى السبب وهو حفظ جبرئيل له فتركه ثقة بان الله ان
اراد سخر جبرئيل له لذلك فيكون هو المتولي لذلك وهذا حال من هو غائب عن نفسه بالله سبحانه قلمن يوهم عزه
وهو حال عزيز في نفسه ودوامه ان وجد بعد منه واعز والموت جوعا مقدر ايضا كالموت سببا فلابد
من التوكل سواء كان سببا فلا بد من التوكل سواء كان سببانا او جيبانا وقد قال ابو سعيد الخراز التوكل
اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب فالاول اشارة الى فزع العبد اليه وابتهاله وتضرعه بين يديه
والثاني اشارة الى كمال توكله عليه فعن ابي علي الدقاق التوكل ثلث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض
فالمتوكل يسكن الى وعده والمسلم يكتفي بعلمه والمفوض يرضى بحكمه ثم اعلم ان الشخص اذا كان بطالا فعليه ان
يصير كاسبا وعمالا ولا معنى للتوكل في حقه الا ما يليق بمقام وفوق مرام فان كمال التوكل مقام من مقامات الدين
يستعان على التفرغ لله تعالى فهو خاصة للمجتهدين اما من العلماء الزاهدين واما من الصالحين العابدين
فالمبطال الاتكال واذا كان مشتغلا بالله وملازما المسجد او بيته وهو مواظب على علم وعبادة فتجيء
نيته وترك رعايته فانه سبحانه ونقابهم رحبته في قلوب خلقه حتى يحملوا اليه فوق كفايته فما روي الى الآن
من قديم الزمان عالم او عابد استغرق الاوقات بالله سبحانه وهو وسط الديار من القرى والامصار
مات جوعا بل لو اراد ان يطعم جماعة من الناس بقوله لقدر عليه فمن كان لله كان الله له لكن ينبغي
ان يكون نظره الى مسبب الاسباب لا الى الاسباب ثم لا يطمع في الحلوى والطير السمان والثياب الرفيعة والبيوت
المنيعة مع انه لو قدر له شيء من ذلك فلابد من ظهوره هنالك كما يشير اليه قوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم
وربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فالاهتمام
الكثير بامر الرزق قبيح من ذوي الدين وهو اقبح من العلماء المجتهدين لان من شرطهم القناعة والاشتغال
بالطاعة حسب الاستطاعة الا اذا اراد ان لا يأخذ من ايدي الناس ويأكل من كسبه فذلك لوجه
لا يقال بالعلم العامل سلوكه لظاهر العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن فان المكتسب يمنع من السير
بالفكر الباطن غالبا باشتغاله بالسلوك مع ان الاخذ من يد من يتقرب الى الله تعالى بما يعطي اولى

لانه تفرغ للمولى واعانة للمعطي على نيل الثواب في العقبى ومن نظر الى مجاري سنة الله علم ان الرزق
ليس على قدر الاسباب ولا على كد الاكتساب وكذلك سأل بعض الاكاسرة حكيما عن الاحمق المرزوق والعاقل
المحروم فقال اراد الصانع ان يدل على نفسه اذ لو رزق كل عاقل وحرم كل جاهل لظن ان العقل رزق
صاحبه فلما رأوا خلافه علموا ان الرازق غيرهم ولا ثقة بالاسباب الظاهرة لهم فقد دخل جماعة على الجنيد
فقالوا نطلب الرزق فقال ان علمتم في اي موضع هو فاطلبوه فقالوا نسأل الله تعالى فقال ان علمتم انه ينساكم
فذكروه فقالوا ندخل البيت ونتوكل وننظر ما يكون فقال التوكل على التجربة شك قالوا فما الحيلة
قال ترك الحيلة وقال احمد بن عيسى الخراز كنت في البادية فنالني جوع شديد فغلبتني نفسي ان
اسأل الله عز وجل طعاما فقلت ليس هذا من افعال المتوكلين فطالبتني ان اسأل الله تعالى صبرا فلما
هممت بذلك سمعت قائلا يقول ويزعم انه منا قريب وانا لا نضيع من اتانا ويسألنا القوي جهده
وصبرا كانا لا نراه ولا يرانا وايضا لابد من التوكل اذ الصلاح في الامور مستور لان من عرف انه
تعالى عرف افعاله وعرف سنته في اصلاح عباده لم يكن فرحه بالاسباب فانه لا يدري اي الاسباب خير له
كما قال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي وايضا لابد من التوكل حيث
انه اي الله سبحانه ضمن الرزق بلا تعليق اي من غير تقييد بشرط الكسب والطلب كما ورد في التنزيل وما
من دابة في الارض الا على الله رزقها اي ولو لم يكسب ولم يطلب لا سيما والرزق مبهم في نفسه غير
معلوم باعتبار كمه وجنسه فعن ابراهيم بن ادهم سألت راهبا من اين تأكل فقال ليس هذا العلم
عندي ولكن سل ربي من اين يطعمني فالحاصل ان من يثق اي يعتمد على سوقي مع ان الغالب عليه الكذب
وخلف الوعد بعد الاغراض والضيافة ولا يثق بضمانه تعالى مع كمال صدقه وجمال وعده وقد قيل
مكتوب في التورية ملعون من ثقته انسان مثله وفي الحديث من اعتز بالعبيد اذله الله رواه ابو نعيم
في الحلية عن عمر وحكي عن عابد انه عكف في مسجد ولم يكن له معلوم فقال له الامام بالمسجد
لو اكتسبت كان افضل لك فلم يجبه حتى اعادها ثلثا فقال في الرابعة يهودي في جوار المسجد قد ضمن
لي كل يوم رغيفين فقال ان كان صادقا في ضمانه فعكوفك في المسجد خير لك فقال يا هذا لو لم تكن
اماما يقف بين يدي الله وبين العباد مع هذا النقص في التوحيد خير لك يعني فضلت وعد
يهودي على ضمان الله تعالى للرزق وايضا لابد من التوكل اذ لا فائدة في الطلب حيث لا يزيد
بطلبه ولا ينقص بتركه فلا منفعة في طلبه الا المذلة لمخلوق مثله ولا يحل للمؤمن ان يذل نفسه
وضياع الوقت اي وتضييع العمر في غير عبادة هي المطلوب من العبد بحسب الامر وايضا لابد من
التوكل ان الحيوة في الاستقبال مشكوك والموت متيقن مسلوك والاستعداد للمتيقن اولى
من الاستعداد للمشكوك بخلاف الثواب والعقاب فانهما ولو كانا مقدرين كسائر الاسباب لكن

لا بد للانسان ان يسعى في الكسب ما يوجب الثواب وفي حاجته ما يقتضيه العقل لو ورد الاوامر
والنواهي في الكتاب وتعليقها على العمل حيث قال من يعمل من الصالحات ومن عمل صالحا الايات قال تعالى
جزاء بما كانوا يعملون وان ليس للانسان الا ما سعى واما ما ورد في التنزيل وابتغوا من فضل الله
فقد يتوهم منه ان المعنى اطلبوا من رزق الله وليس كذلك فالعلم والثواب هما المرادان من فضل
الله وهو امر اباحة بعد الحاجة او امر بطلب الحلال دون الشبهة هذا وقد يظن ان معنى التوكل
ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة وهذا ظن
الجهال وحرام في الشرع والشرع قد اثنى على التوكل به ولا ينال المحظور بمقام من مقامات الدين فذمهم
بقوله ولا ينفيه اي التوكل اربعة اشياء منها الكسب لانه اي التوكل عمل الباطن فيجتمع مع عمل الظاهر بل
هو اتم عند بعض ارباب السرائر ثم في مراتب الكسب تفصيل باعتبار السبب فان كان السبب مقطوعا
به بارتباط المسبب بحيث لم يحصل المسبب بدون السبب لسنته تعالى كمد اليد الى الطعام اي لاكله
والوقاع اي وكالجماع للولد اي لخلقه وبث البذر للحصاد بالفتح والكسر اي لقطعه فالترك خطا
بل جنون محض لو رد في التنزيل ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا وتوضيحه
انه اذا كان الطعام موضوعا بين يديك وانت جايع محتاج اليه ولكنك لست تمد اليد اليه وتقول
انا متوكل وشرط التوكل ترك السعي ومد اليد الى الطعام سعي وحركة وكذا مضغه بالاسنان و
بابتلاعه باطباق اعالي الحنك على اسافله فهذا جنون محض وجهل ظاهر وليس من التوكل شيء
فانك ان انتظرت ان يخلق الله شبعا دون اكل الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر ملكا ليمضغه
ويوصله الى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لو لم تزرع الارض وطمعت ان يخلق الله تعالى نباتا
من غير بذر او تلد الزوجة من غير وقاع كما ولدت مريم فهذا وامثاله جنون وليس التوكل في هذا
المقام بالعمل بل بالعلم والحال اما العلم فهو ان تعلم ان الله خلق الطعام واليد والاسنان وقوة
الحركة وانه هو الذي يطعمك ويسقيك ويشبعك ويرويك واما الحال فهو ان يكون قلبك واعتماده
على الله سبحانه وتعالى لا على اليد والطعام فكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجف في الحال وكيف
تعول على قدرتك وربما يطرء عليك ما يزيل عقلك ويبطل قوة حركتك وكيف تثق على حضور
الطعام وربما يسلط الله تعالى عليك من يغلبك عليه واذا كان هذا علمه وحاله فليمد اليد اليه فانه
متوكل على الله ومعتمد عليه وان كان السبب مظنونا اي مشكوكا فيه لعدم حصول المرتب دونه
اي من غير السبب غالبا كحمل الزاد للسفر في البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادرا فكذلك تركه خطا وجنون
والقاء للنفس في المهلكة لانه اي حمله الزاد في السفر سنة الاولين اي عادة الانبياء والمرسلين
وطريقة السلف الصالحين من الصحابة والتابعين ولكنه اي ترك حمل الزاد يجوز ولذا كان يفعل

الخواص

الخواص وهو من الخواص لكنه بالنسبة الى العوام القاء للنفس في التهلكة وهو حرام وانما يجوز ذلك
ان ارتاضت النفس في مقام الكرام وصبرت عن الطعام اسبوعا اي سبعة ايام او ما قرب منه اي من
الاسبوع واقله ان يكون ثلثة ايام ولياليها وقد روي ان ابا تراب النخشبي راى صوفيا مد يده
الى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلثة ايام فقال له لا يصلح لك التصوف اي لا تصوف الا مع التوكل لمن لم يصبر عن
الطعام اكثر من ثلثة ايام وعن ابي علي الروذباري اذا قال الفقير بعد خمسة ايام انا جايع فالزموه
السوق ومروه بالعمل والكسب دون الشغل عنه تعالى بان يعبده من غير ضيق قلب وتشويش خاطر
كما حكي ان رجلا قال دخل ابو تراب النخشبي مكة طيب النفس فقلت اين اكلت ايها الاستاد قال اكلت بالبصرة
واكلت بالنباج واكلت ههنا كذا في الرسالة القشيرية وقدرت اي وان قدرت وظاهر كلام الاحياء
ان يقال او قدرت على الاقتيات بالحشيش فبعد هذين الشرطين لانه غالبا في البوادي في كل اسبوع
من ان يلقاه ادمي او ينتهي الى قرية او الى حشيش يكون سببا لحيوته وقد يكون لم يات على الرضا هنالك
بالموت ان لم يتيسر شيء من ذلك فان الذي يحمل الزاد قد يوخذ زاده او يضل بعيره فيموت جوعا وذلك
ممكن مع الزاد كما انه ممكن مع فقده واما لو انحاز الى الشعب من الشعاب حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرق
طارق فيه وجلس متوكلا فهو اثم به ساع لان في اهلاك نفسه كما روي ان زاهدا فارق الامصار
واقام في سفح جبل وقال لا اسال احدا شيئا حتى ياتيني ربي برزقي فقعد سبعا فكاد ان يموت
ولم ياته شيء فقال يا رب ان احييتني فاتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني فاوحى الله تعالى
وعزتي لا ارزقك حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس فدخل المصر واقام فجاءه هذا بطعام و
هذا بشراب فاكل وشرب فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله اليه اردت ان تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا
اما علمت ان ارزق عبدي بيد عبادي احب الي من ان ارزقه بيد قدرتي فاذن التباعد عن
الاسباب بالكلية مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله القديمة واما ما ورد في التنزيل وتزودوا وهو
امر بطلب الزاد واخذ الزاد فزاد الاخرة هو المراد بقرينة ما بعده فان خير الزاد التقوى النافعة
في المعاد او هو اي تزودوا امر لقوم خاص من اهل اليمن وغيرهم يقصدون الحج بلا زاد اتكالا على
الناس اي اعتمادا على عطائهم من ازوادهم ويوذون الناس بالالحاح في السؤال ومنهم جمع يدعون
انهم متوكلون والحال انهم متاكلون والا اي وان لم ترتاض النفس ولم تصبر على الطعام فحرام عليه
ترك السبب من الكسب والطلب لانه سعي في الهلاك للبدن والله لا يحب الفساد ورؤف بالعباد
وان كان السبب موهوما كالاستقصاء في دقايق التدبير من امر الزراعة والتجارة وساير انواع
الصناعة ومنه الكي والرقية والطيرة فهو اي الاستقصاء في هذا الباب ينافي التوكل عند
اولي الالباب لانه غاية الحرص ونهاية الاتكال على الاسباب فمن سهل التوكل ترك التدبير وقال

ان الله تعالى خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه واغناهم تدبيرهم ويستغني العزب قلبه اي دون
المعيل فانه يتعين عليه طلب الحلال لاجل العيال فانهم لا يكلفون بالتوكل وفي ماله من الحال
فيختار العزب الكسب بسبب ثلثة اشياء بنية التصدق بما فضل عن قوته على سائر الفقراء لا سيما
ذوي القربى والاعانة على البر اى المساعدة على اهل المجاهدة في العلم والعمل لقوله تعالى وتعاونوا
على البر والتقوى والتحامي اى المحافظة عن الشغل عنه اي عن ذكره وفكره تعالى بالالتفات الى غيره سبحانه
ولو من حوله وقوته فاذا كان المكتسب مكتسبا للعيال او لتفريق ما له من ماله فهو ببدنه مكتسب ومنقطع
وبقلبه عنه منقطع لقوة حاله في مقام كماله والترك اى ويختار العزب ترك الكسب لشغل الكسب
عنه تعالى اى عن القيام بحقه كما هو حقه وانقطاعه اليه اى ولكمال انقطاع العبد الى حضور بره
عملا بقوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا والحاصل ان
الكسب لا ينافي حال التوكل اذا روعيت فيه الشروط وان ضاف اليه الحال والمعرفة ويعرف صاحب
هذا الحال بعدم التغير لفقد المال وكذا التزود ونحوه من الادخار للاستقبال ومن النكاح واختيار
العيال اختيارا وتركا فيختاره بنية التصدق والاعانة ويتركه لشغله عن الحق والعبادة ويكتسب
المعيل لاجل العيال كما روى عن الصديق رضى الله عنه لما بويع للخلافة اصبح فاخذ رزمة متاعه تحت
حضنه والذراع بيده ودخل السوق ينادي فكره المسلمون ذلك فقالوا كيف تفعل هذا وقد اقمت
لخلافة النبوة فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان اضيعهم كنت لما سواهم اضيع حتى فرضوا له
قوت اهله من المسلمين فلما رضوا بذلك راى مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق وقته
لمصالح المسلمين اولى ويتحصل انه يقال انه لم يكن ابو بكر في مقام التوكل فمن اولى به منه فدل
على انه ما كان متوكلا باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات الى قوته وكفايته
والعلم بان الله هو ميسر الاكتسابات ومدبر الاسباب وبشرط كان يراعيها من طريق الكسب من الاكتفاء
بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار ومن غير ان يكون درهم احب اليه من درهم غيره في
السوق ودرهم احب اليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا ومحب لها ولا يصح التوكل الا مع
الزهد في الدنيا ثم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء الزهد وقال ابو جعفر
الحداد وهو شيخ الجنيد وكان من المتوكلين اخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق كنت
اكتسب في كل يوم دينارا ولا ابيت منه دانقا ولا استريح منه الى قيراط ادخل به الحمام بل اخرجه كله
قبل الليل وكان الجنيد لا يتكلم في التوكل بحضرته وكان يقول استحيي ان اتكلم في مقام و
هو حاضر عندي والحاصل ان التوكل مقام شريف ومرام لطيف ولذا قال ابو سليمان الداراني
لاحمد بن ابي الحواري لي من كل مقام نصيب الا من هذا التوكل المبارك فاني ما شممت منه رائحة

مطلب نفيس

هذا

هذا من كلامه مع علو قدره ومقامه ولعله اراد ادراك اقصاه وهي مشاهدة ان لا فاعل الا
الله ورازق سواه وبان كل ما يقدره مولاه على عبده من فقر وغنى وموت وحيوة فهو خير له مما
يتمناه وقال الخواص وقد سئل عن اعجب شيء رآه في اسفاره فقال رأيت الخضر عليه السلام ورضي بصحبتي و
لكني فارقته خيفة ان يسكن اليه نفسي فيكون نقصانا في توكلي ولا يكلف العيال بالاتكال الا ان يساعده
فيما له من الحال بالتوكل مع عدم المال والا فيجب عليه الكسب بقدر نظام الحال فقد قال سهل من طعن
على الكسب فقد طعن على السنة ومن طعن على ترك الكسب فقد طعن على التوحيد فسبحان من اقام العباد
فيما اراد ومع هذا الحال لا يخرج المعيل عن مقام الاتكال على الملك المتعال فقد قال الحسن البصري وددت
ان اهل البصرة في عيالي وان حبة بدينار وقال وهب بن الورد لو كانت السماء نحاسا والارض رصاصا
واهتممت برزقي لظننت اني مشرك برزقي ولا الادخار اي ولا ينافي التوكل وضع الى ذخيرة لما دون
الاربعين يوما من العزب وللسنة من المعيل كما سيأتي واختلف فيه اي في الادخار هل يكون منافيا
للتوكل ام لا فذهب سهل الى انه يخرج به عن التوكل مطلقا وذهب الخواص الى انه لا يخرج عن التوكل
باربعين يوما ويخرج بما زاد على الاربعين وقال ابو طالب المكي لا يخرج عن حدود التوكل
بالزيادة على الاربعين ايضا وهذا اختلاف لا معنى له بعد تجويز اصل الادخار كما في الاحياء على
ما سيأتي بيانه في الاثناء والتحقيق في مقام التوكل ان الفضل في قلة الادخار لقصر الامل في التعلق
بهذه الدار وتوضيحه ان كل ثواب موجود على مقام محمود فانه يتوزع على قدر رتبته فيما يوافقه
وينافيه ثم تلك الرتبة لها بداية ونهاية ويسمى اصحاب النهايات السابقين واصحاب البدايات اصحاب
اليمين اللاحقين ايضا ثم لا اصحاب ادنى درجات السابقين كما قيل نهاية الاولياء بداية الانبياء فلا معنى
للتقدير في مثل هذا التقدير بل التحقيق ان التوكل بترك الادخار لا يتم الا بقصر الامل وتجويز قرب
الاجل واما عدم امل البقاء فيبعد اشتراطه ولو في نفس فان ذلك كالممتنع وجوده في الناس
مطلقا وتوليته في طول الامل وقصره واقل درجات الامل يوم وليلة فما دونه من الساعات واقصاه
ما يكون عمر الانسان بحسب غالب العادات وبينهما درجات لا تحصى لها في الاوقات فمن لم يامل اكثر من شهر اقرب
الى المقصود ممن يامل سنة في الوجود وميقات الكليم اى ميعاد موسى عليه السلام حيث قال تعالى واذ واعدنا
موسى اربعين ليلة ليس للامل اى لجواز طول الامل بقدر اربعين من الاجل فان الواقعة ما
قصد بها بيان ما يرخص فيه الامل بل لاستحقاق نيل المرام اي وصول موعد موسى عليه السلام بعد اربعين
يوما الى مقام الكلام على ما هو السنة الالهية السبحانية والحكمة الرياضية الصمدانية في تدبير
الامور الانسانية كما في صيرورة الجنين اى تصوير الطفل في بطن امه من اطوار الانسانية
الايجادية المتضمنة للتربية التدريجية الامدادية نطفة اربعين يوما وعلقة كذلك ومضغة

على درجات وكذلك السابقون واعلاهم [illegible] البعض اللاحقين صح

كذلك وورد خمرت طينة ادم بيدي اي بصفتي من نعوت الجمال والجلال او بقدرتي وارادتي على
وجه الكمال اربعين صباحا رواه الديلمي من حديث ابن مسعود وسلمان الفارسي باسناد ضعيف وذلك
لان استحقاق تلك الطينة التخمير كان موقوفا على مدة مبلغها ما ذكر ومنه اي مما ذكر من الكتاب والسنة
يوخذ في الرياضة على اختيار المشايخ للاربعين ويؤيده حديث من اخلص لله اربعين يوما ظهرت ينابيع
الحكمة من قلبه على لسانه وقد تقدم ومن حفظ على امتي اربعين حديثا حشر مع العلماء وله طرق يقوي بعضها
ببعض فيصير حسنا والسنة اي ولا ينافي التوكل الادخار للسنة الكاملة من المعيل اي صاحب العيال من الاطفال
والنساء تطييبا لقلوب الضعفاء كما هو المروي في سنة سيد الانبياء ففي الصحيحين انه عم ادخر لعياله
قوت سنة بخلاف ما فوقها فان ما وراء السنة لا يدخره الا الحكم ضعيف القلب والركون الى ظاهر الاسباب من
الطلب والكسب ويترك المضطرب اي المشوش اضطرابا يشغل قلبه عن الذكر والفكر طريق المتوكل غير
المضطرب بالادخار فان كان يصلح قلبه بالادخار فهو اولى في الاختيار بل لو امسك ضيعة يكون
دخلها وافيا بقدر كفايته وكان قلبه لا يفرغ الا به عناية فذلك اولى في مقام عنايته لان الغرض وهو
مدار الامر صلاح القلب في عبادة الرب المعبود فرب شخص يشغله وجود المال عن تحصيل الكمال
ورب شخص يشغله عدم حصول شتات البال والمحذور ما يشغل العبد عن المقصود والا فجميع
ما في الدنيا ليس في عينه لا في وجودها وعدمها محذور ولذا بعث الله رسوله الى اصناف الخلق ومنهم
اهل التجارات والزراعات والمحترفون بانواع الصناعات فلم يأمر التاجر بترك تجارة ولا المزارع بترك
زراعته ولا المحترف بترك حرفته ولا امر التارك لها بالاشتغال بها بل دعا الكل الى الله وطلعته وارشدهم
الى ان فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله سبحانه وعبادته وعمدة الاشتغال في عبادة
الرب هو القلب فصوفي الضعيف ادخار قدر حاجته كما ان الصوفي القوي ترك الادخار على قدر
طاقته فقد ادخر عم لعياله قوة سنة ونهى ام ايمن وغيرها ان تدخر شيئا لغد كما تقدم ونهى
بلالا عن الادخار في كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها وقال انفق بلالا ولا تخش من ذي العرش
اقلالا رواه البزار من حديث ابن مسعود وابي هريرة وذلك حين دخل عليه النبي عم وعنده صبر من
تمر وللطبراني والحاكم من حديث ابي سعيد انه عم قال يا بلال الق الله فقيرا واذا سئلت فلا تمنع واذا
اعطيت فلا تخبا وقد اخبر عم ان الله يحب ان يؤتى رخصه كما رواه احمد وغيره من حديث عمر تطييبا
لقلوب الضعفاء حتى لا ياتي بهم الضعف الى الياس والقنوط فيتركون الميسور عليهم من الرخص لعجزهم
عن منتهى درجات الاقوياء فما ارسل سيد الانبياء الا رحمة للعالمين على اختلاف طبقاتهم وتفاوت
درجاتهم واذا فهمت هذا علمت ان الادخار قد يضر بعض الناس وقد لا يضره ويدل عليه ما روى
ابو امامة الباهلي ان بعض اصحاب الصفة توفي فما وجد له كفن فقال عم فتشوا ثوبه فوجدوا

دينارين

دينارين في داخل ازاره فقال عم كيتان كما رواه احمد وكان غيره من المسلمين يموت ويخلف اموالا فلا
يقول ذلك في حقه فهذا يحتمل وجهين لان حاله يقتضي امرين احدهما انه اراد كيتان من النار كما قال تعالى
فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وذلك اذا كان حاله اظهار الزهد والفقر والتوكل مع الادخار
منه فهو نوع تلبيس وثانيهما ان لا يكون ذلك عن تلبيس فيكون المعنى به النقصان عن درجة كماله كما ينقص
عن جمال الوجه اثر كيتين في الوجه فان كل ما يخلفه الرجل من الدنيا فهو نقصان بدرجته في العقبى اذ
لا يؤتى احد شيئا من الدنيا الا نقص بقدره في العقبى واما بيان الادخار مع فراغ القلب عن المدخر
ليس من ضرورة بطلان التوكل فيشهد له ما روي عن بشر قال الحسين المغازلي من اصحابه كنت عنده
ضحوة من النهار فدخل عليه رجل كهل اسمر خفيف العارضين فقام له بشر وقال ما رأيته قام لاحد غيره
قال ودفع الي كفا من دراهم وقال اشتر لنا بها من اطيب ما تقدر عليه من الطعام والطيب وما قال لي
قط مثل ذلك قال فجئت بالطعام فوضعته فاكل معه وما رأيته اكل مع غيره قال فاكلنا حاجتنا وبقي
من الطعام شيء كثير فاخذه الرجل وجمعه في ثوبه وحمله وانصرف فتعجبت من ذلك وكرهته له
فقال لي بشر لعلك انكرت فعله قلت نعم اخذ بقية من الطعام من غير اذن فقال ذاك اخونا فتح
الموصلي زارنا اليوم من الموصل وانما اراد ان يعلمنا ان التوكل اذا صح لم يضر معه الادخار والله سبحانه
اعلم بحقائق الاسرار ولا مباشرة الاسباب اي ولا ينفي التوكل مباشرة اسباب هي تدفع الضرر المتيقن
المخوف في نفس او مال اذ كان الضرر مقطوعا به او مظنونا اما بالنفس كالتحرز عن النوم في مكمن
السباع اي في الارض المسبعة ومجرى السيل اي وفي مجرى السيل من الوادي لا سيما في الليل فانه ادعى ٣
للويل وتحت الحائط اي الجدار المائل الى السقوط وكذا السقف المنكسر الذي يخاف منه الهبوط
لان التعريض للهلاك منهي عنه فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة ثمة
بخلاف الموهوم اي بخلاف ما اذا كان الضرر موهوما فان مباشرته تنفي التوكل فترك الموهوم
منها من شرط التوكل وهي التي نسبتها الى دفع الضرر نسبة الكي والرقية فان الكي والرقية قد يقدم
بهما على المحذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المحذور لازالة ما وقع ثم ورد في وصف
المتوكلين انهم لا يكتوون ولا يسترقون على ما تقدم فما وصفهم عم الا بترك الكي والرقية و
الطيرة ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا الى موضع بارد لم يلبسوا جبة والجبة تلبس دفعا للبرد المتوقع
الا في اذى الناس الا استثناء من قوله ولا مباشرة اسباب تدفع الضرر اي الا ان يكون الضرر فيما
ناله من اذى الناس له ويكون مما لا اثر له في الخارج كالشتم والملامة والتعيير بالتوبيخ والمذلة
فانه اذا امكنه الصبر والتحمل وامكنه الدفع والتشفي فالاولى فيه الصبر وترك اسباب تدفع الضرر
وقول المص فالاولى اولى من قوله حسنا الاحيا فشرط التوكل الاحتماء والصبر ثم ورد في التنزيل فاعتده

وكيلا واصبر على ما يقولون تمام واهجرهم هجرا جميلا ولنصبرن على ما اذيتمونا اخره وعلى الله فليتوكل
المتوكلون ودع اذيهم اي اترك مدافعته ومعاقبته في الحال او مكافاته ومجازاته في الاستقبال وتوكل
على الله فان من توكل عليه كفاه بخلاف اذى السباع فانهم يجولون على الاضرار وفي معناها الكبار فالصبر
على اذى الحيوانات كالعقارب والحيات ليس من التوكل في الدرجات اذ لا فائدة فيه في حال من الحالات فيأخذ
المتوكل السلاح كما ورد في التنزيل وليأخذوا اسلحتهم في صلوة الخوف وهو امر ايجابا او استحبابا وقد
اختفى عم عن اعين الاعداء في الغار خوفا من ضرر الكفار وقد قال تعالى لموسى عم فاسر بعبادي ليلا
فهذا وما قبله كله في حق النفس واما في حق المال فاشار بقوله ويعقل البعير اي يربط رجله لئلا يفارق
رحله كما ورد انه قال عم للاعرابي لما اهمل البعير وقال توكلت على الله اعقلها وتوكل اي على الله رواه
الترمذي من حديث انس وصححه يحيى القطان ورواه الطبراني من حديث عمر وابن امية الضميري باسناد
جيد بلفظ قيدها وتوكل وبسد الباب اي يغلقه غير مستقص اي مبالغ في الحفظ كالتماسه من الجيران حفظه
مع وجود غلقه وكجمع اغلاق كثيرة في محال فقد كان مالك بن دينار يغلق بابه لئلا بشريط ويقول
لولا الكلاب ما شددته وفيه لطافة اذ الدنيا جيفة وطالبها كلاب كما ورد وقد تقدم ولا يحفظ
متاعا يحرص فيه اي في اخذه السارق ويطمع فيه الطارق فيكون هو سبب معصية باعث معصيته او
يكون امساكه موجب هيجان رغبته بل يقتصر على ما لا بد منه ككوز يشرب منه وركوة يتطهر به وجواب
يضع زاده فيه وسلاح اذا كان من اهل جهاد او سلاح كل احد بحسب مقامه ووفق مرامه كالكسب للعملة
وعدة الحرف للفقراء والعصا سلاح الضعفاء وسنة الانبياء وكان بعض الموحدين لم يكن في خلوته شيء
فاذا دخلها اغلقها فاذا خرج منها تركها مفتوحة ويقول انا متاع البيت ولما اهدى المغيرة لمالك بن
دينار ركوة وقال له خذها قال لا حاجة لي اليها قال لم قال يوسوس لي العدو ان اللص قد اخذها
فكانه احترز من ان يعصي السارق ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان بسرقتها في اللاحق ولذا قال ابو سليمان
هذا من ضعف قلب الصوفية هو قد زهد في الدنيا فما عليه ممن اخذها وبعثه المتوكل ان سرقا اي جعل
مسروقا لمعصية السارق وتعرضه للعقاب اللاحق لا بغمه لنقص المال بل يفرح به اي بنقص المال الحافه
صالحهم اي لما في نقص المال من كمال صلاح الحال تحسينا للظن به تعالى فيما قدره وقضاه من الازل الى آخره
ويشكره تعالى جعله مظلوما لا ظالما ونقص دنياه لا ماله لا دينه الذي من كماله فقد شكى بعض الناس
الى عالم انه قطع الطريق عليه واخذ ماله فقال ان لم يكن غمك انه صار في المسلمين من يستحل هذا اكثر من
غمك بمالك فما نصحت المسلمين وسرق من علي بن الفضيل دينار وهو يطوف بالبيت فرآه ابوه وهو
يبكي ويحزن فقال اعلى الدنيا تبكي فقال لا والله ولكن على المسلمين انه يسال يوم القيمة ولم يكن
له حجة وقيل لبعضهم ادع على من ظلمك فقال اني مشغول بالحزن عليه عن الدعاء عليه ولا يبالغ في

الطلب

الطلب اي طلب المسروق او السارق وسوء الظن بالمسلم اي وفي التهمة وللجيران وغيرهم من اقاربه
واصحابه والاولى ان يعفوا ولا يحل ثانيا فهو اي ما ذكر من العفو والاحلال صدقة ان كان السارق
فقيرا والا اي وان لم يكن السارق فقيرا فاغنيا له عن المعصية التي هي السرقة وعمل لما ورد انصر اخاك
ظالما او مظلوما وتوضيحه في الاحياء فان قلت كيف يتصور ان لا يحزن اذا اخذ متاعه الذي هو
يحتاج اليه ولا يأسف عليه وذلك لانه ان كان لا يشتهيه ولا يريده فلم امسكه لديه واغلق الباب
عليه وان امسكه لانه يشتهيه لحاجته اليه فكيف لا يتاذى قلبه ولا يحزن فقده وقد حيل بينه وبين
ما يشتهيه فاقول انما كان يحفظ ليستعين به على دينه اذ كان يظن ان الخيرة له في ان يكون له ذلك
المتاع ولولا ان الخيرة له فيه ما رزقه الله ولما اعطاه فاستدل على ذلك بتيسير الله وحسن الظن به
تعالى مع ظنه ان ذلك معين له على اسباب دينه ولم يكن ذلك عنده مقطوعا به اذ يحتمل ان يكون خيرته
في ان يبتلى بفقد ذلك حتى يتعب في تحصيله غرضه ويكون ثوابه في التعب والنصب اكثر فلما اخذه الله
بتسليط اللص تغير ظنه لانه في جميع الاحوال واثق بالله حسن الظن به فيقول لولا ان الله علم الخيرة
الا في عدمها لما اخذها مني فبمثل هذا الظن يتصور ان يندفع عنه الحزن اذ به يخرج عن ان يكون
فرحه بالاسباب من حيث انها الاسباب بل من حيث انه يسرها مسبب الاسباب عناية به وتلطفا له وهو كالمريض
بين يدي الطبيب الحبيب يرضى بما يفعله فان قدم اليه الغذاء فرح به وقال لولا انه عرف ان الغذاء
ينفعني وقد قويت على احتماله لما قربه الي وان اخذ عنه الغذاء فرح ايضا وقال لولا انه عرف ان الغذاء
يضرني لما حال بيني وبينه فكل من لا يعتقد في لطف الله ما يعتقده المريض في الوالد الشفيق الحاذق
بعلم الطب فلا يصح منه التوكل اصلا ومن عرف الله تعالى وعرف افعاله وعرف سنته في اصلاح عباده
لم يكن فرحه بالاسباب فانه لا يدري اي الاسباب خير له كما قال عمر رضه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني
لا ادري ايهما خير لي ولذلك ينبغي ان لا يبالي المتوكل بسرقة متاعه او بقائه فانه لا يدري ايهما خير
له في الدنيا ولا في الاخرى فكم من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك للانسان وكم من غني يبتلى بواقعة
لاجل غناه فيقول ليتني كنت فقيرا ويتمناه اذا ما يضطر المتوكل الى تركه في البيت فينبغي ان ينوي عند
خروجه من الرضاء بما يقضيه الله تعالى فيه من تسليط سارق عليه ويقول ما ياخذه السارق هو منه
في سبيل الله او ان كان فقيرا فهو عليه صدقة وان لم يشترط الفقير فهو اولى ويكون له نيتان
لو اخذه غني او فقير احدهما ان يكون ماله مانعا له من المعصية فانه ربما يستغني به فيتولى عن السرقة
بعده وقد زال عصيانه باكله الحرام لما ان جعله في حل والثانية ان لا يظلم مسلما آخر فيكون ماله
فداء لمال مسلم آخر ومهما نوى حراسة مال غيره بمال نفسه او نوى دفع المعصية عن السارق او
تخفيفها عليه فقد نصح المسلمين وامتثل قوله عم انصر اخاك ظالما او مظلوما على ما في الصحيحين

وتمام شيء كيف انصره ظالما قال تحجزه عن الظلم فان ذلك نصرة فنصرة الظالم منعه عن الظلم
وعفوه عنه اعدام للظلم ورفع له والتحقيق ان هذه النية لا تنحصر بوجه من الوجوه اذ ليس فيها
ما يسلط السارق ويغير القضاء الازلي السابق ولكن يتحقق الزهد بنيته فان اخذ ماله كان له بكل
درهم سبعماه درهم لانه نواه وقصده وان لم يؤخذ حصل له الاجر ايضا وجملة الامر
ان يكون في هذا المقام متوكلا على الله سبحانه بالعلم والحال اما العلم فهو ان يعلم ان اللص ان اندفع
لم يندفع بكفايته في اغلاق الباب بل بدفع الله سبحانه اياه كما سبق في الكتاب فكم من بيت يغلق
ولا ينفع وكم من بعير يعقل ويموت او يفلت فكم من اخذ سلاحه يقتل او يغلب فلا يتكل اصلا على
هذه الاسباب على مسبب الاسباب ورب الارباب واما الحال فهو ان يكون راضيا بما يقضي الله تعالى به في نفسه
وبيته ويقول اللهم ان سلطت على ما في البيت من ياخذه فهو في سبيلك وانا راض بحكمك فاني لا ادري
ان ما اعطيتني هبة فلا تسترجعها او عارية او وديعة فتستردها ولا ادري انها رزقي
قبل خلقي او سبقت مشيتك في الازل انها رزق غيري وكيف ما قضيت فانا راض به وما اغلقت الباب
تحصينا من قضائك وتسخطا به على بلائك بل جريا على مقتضى سنتك في ترتيب الاسباب فلا ثقة الا
بك يا مسبب الاسباب ثم اذا عاد فوجد متاعه في البيت فينبغي ان يكون ذلك عنده نعمة جديدة من
الله وان لم يجده بل وجده مسروقا فينظر الى قلبه فان وجده راضيا او فرحا بذلك عالما بانه ما اخذ الله
تعالى ذلك منه في الدنيا الا ليزيد درجة في العقبى فقد صح مقامه في التوكل وظهر به صدقه وان لم قلبه
ووجد فوت الصبر فقد بان له انه ما كان صادقا في دعوى التوكل لان التوكل مقام بعد الزهد
ولا يصح الزهد الا ممن لا ياسف على ما فاته من الدنيا ولا يفرح بما ياتيه بل قد يكون على العكس من ذلك
فكيف يصح له التوكل نعم قد يصح له مقام الصبر ان اخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه في الطلب والتجسس
بعده وان لم يقدر على ذلك حتى تاذى قلبه واكثر الشكوى بلسانه واستقصى الطلب ببدنه فقد كانت
السرقة معصية له في ذنبه من حيث انها اظهرت له قصوره عن جميع المقامات وكذبه في جميع الدعاوى وبعد
هذا ينبغي ان يجتهد حتى يصدق نفسه في دعواها ولا يتدلى بحبل غرورها فانها خداعة امارة بالسوء
مدعية للخير في امور دينها اي العفو ابتداء لينتا وان لم يسرق انتهاء كما في ترك العزل فانه اذا نوى بتحصيل
الولد المجاهد في سبيل الله يثاب به ولو لم يولد له ولد فيه اي في ترك العزل ثواب ولد كبر وقتل
في سبيله تعالى في الاحياء كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ترك العزل واقر النطفة قرارها ان
له اجر غلام ولد من ذلك الجماع وعاش وقتل في سبيل الله وان كان لم يولد له لانه ليس في امر الولد
الا الوقاع واما الخلق والحيوة والرزق والبقاء فليس اليه فلو خلق لكان ثوابه على فعله وفعله لم ينعدم
فكذلك امر السرقة لكن نخرج ما لم اجد له اصلا هذا وان جعله في سبيل الله فيترك طلبه فانه قد قدم

ذخيرة الى الاخرة فان اعيد عليه فلا ياخذ اي فالاولى ان لا يقبله لو اتاه به اي بالمال المسروق وان
جاز الاخذ والقبول فانه ملكه في ظاهر العلم لان النية بمجردها لا تخرج الملك عن يد المالك لكن اخذه
غير مستحسن عند المتوكلين فقد روي ان ابن عمر رضي الله عنه سرقت ناقته فطلبها حتى اعيى ثم قال في سبيل الله
فدخل المسجد فصلى ركعتين فجاءه رجل فقال يا ابا عبد الرحمن ان ناقتك في مكان كذا وكذا فلبس
نعليه وقام ثم قال استغفر الله وجلس فقيل له الا تذهب فتاخذها فقال اني كنت قلت في سبيل الله
وكذا من اخذ رغيفا مثلا ليعطيه فقيرا فغاب عنه كره له ان يرده الى البيت بعد اخراجه منه فيعطيه
فقيرا اخر وحكي عن رجل من العباد بمكة انه كان نائما بجنب رجل معه هميان فانتبه الرجل وفقد
هميانه فاتهمه به فقال له كم كان فذكره فحمله الى البيت ووزنه من عنده ثم بعد ذلك اعلمه اصحابه
بانهم كانوا اخذوا الهميان مزاحا معه فجاء هو واصحابه اليه فردوا الذهب عليه فابى عليهم وقال
خذوه حلالا طيبا فما كنت لاعود في مال اخرجته في سبيل الله ولم يقبل والحوا عليه فدعا بابنه وجعل
يصرها صررا ويبعث بها الى الفقراء حتى لا يبقى منه شيء ثم اقل درجات المتوكل ان لا يدعو على السارق
الذي ظلمه بالاخذ فان فعل بطل توكله ودل ذلك على كراهيته وتاسفه على ما فات وبطل زهده وفي
الخبر من دعى على ظالم فقد انتصر وقد تقدم وفي رواية ان العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه
ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه يقتص له من المظلوم وقد تقدم
وحكي ان الربيع بن خثيم سرق له فرس ثمنه عشرون الفا وكان قائما يصلي فلم يقطع صلوته
ولم ينزعج قلبه لطلبه فجاءه قوم يعزونه فقال اما اني كنت قد رايته وهو يحله قيل فما منعك ان تزجره
قال كنت فيما هو احب الي من ذلك يعني الصلوة في مقام الاحسان وكمال التكلان قال فجعلوا يدعون
على السارق فقال لا تفعلوا وقولوا خيرا فاني قد جعلتها صدقة عليه وقيل لبعضهم في شيء كان قد
سرق له الا تدعو على ظالمك فقال ما احب ان اكون عونا للشيطان عليه قيل ارايت لو ردت عليك السرقة
قال لا اخذها ولا انظر اليها لاني كنت قد احللته لم وقيل لاخر ادع الله على من ظلمك فقال ما ظلمني احد
ثم قال انما ظلم نفسه الا يكفيه المسكين ظلم لنفسه حتى ازيده شرا ولا ازالة الضرر اي ولا ينافي التوكل
رفع الضرر المقطوع به بالسبب المقطوع به كالشرب لدفع العطش وكذا الاكل لدفع الجوع واللبس لدفع
الحر والبرد والمظنون اي الضرر المظنون فيه بالسبب المظنون وهو الطرف الراجح من المشكوك
كالحجامة والفصد والاسهال اي شرب الدواء المسهل وسائر ابواب الطب من معالجة البرودة بالحرارة
ومعالجة الحرارة بالبرودة بخلاف الموهوم وهو الطرف المرجوح من المشكوك كالرقية والطيرة و
الكي فروي ان عمران بن حصين اعتل فاشاروا عليه بالكي فامتنع فلم يزالوا به وعزم عليه الامير
حتى اكتوى فكان يقول كنت ارى نورا واسمع صوتا ويسلم علي الملائكة فلما اكتويت انقطع ذلك

في التوكل ودفع الضرر

عني وكان يقول اكتوينا كيات فما أفلحن ولا أنجحن ثم تاب من بعد ذلك وإنا لنأتم فرد الله عليه
ما كان يجده من الملائكة وقال لمطرف بن عبد الله ألم تر إلى الملائكة التي كان أكرمني الله بها قد ردها الله علي
بعد أن كان قد أحزنه بفقدها والترك لمباشرة السبب حرام في المقطوع به عند خوف الموت دون
المظنون فإن تركه ليس بحرام وأما الموهوم فشرط التوكل تركه إذ وصف به النبي عم المتوكلين وأقواها
الكي ويليه الرقية ولذا نهى عم عن الكي دون الرقية ففي البخاري وأنهى أمتي عن الكي وفي الصحيحين
من حديث عائشة أنه عم رخص في الرقية من كل ذي حمة ثم الطيرة أخذ رأجاتها فالاعتماد عليها
والاكتحال النهاية هذا البنا غاية التعمق في ملاحظة الأسباب وأما الدرجة المتوسط وهي المظنونة كالمداواة
بالأسباب الظاهرة عند الأطباء ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم وتركه ليس محذورا بخلاف
المقطوع بل قد يكون تركه أفضل من فعله في بعض الأحوال وفي بعض الأشخاص ويدل على أن التداوي
غير مناقض للتوكل قوله وأمره وأما قوله فلحديث ما من داء إلا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله
إلا السام يعني الموت رواه الطبراني وغيره وحديث تداووا عباد الله رواه الترمذي وصححه ابن ماجه
من حديث أسامة بن شريك وسئل عم عن الدواء والرقى هل ترد من قدر الله شيئا فقال هي من قدر الله
رواه الترمذي وابن ماجه والحديث المشهور ما مررت بملأ من الملائكة إلا قالوا مر أمتك بالحجامة رواه
الترمذي من حديث ابن مسعود وحديث احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم
رواه البزار من حديث ابن عباس فذكر أن تبيغ الدم سبب الموت وأنه قاتل بإذن الله تعالى وبين أن إخراج
الدم خلاص منه إذ لا فرق بين إخراج الدم المهلك من الإهاب وبين إخراج العقرب من تحت الثياب
وأما أمره عم فقد أمر غير واحد من أصحابه الكرام بالتداوي والحمية وقطع لسعد بن معاذ عرقا أي
فصده كذا في الإحياء رواه مسلم من حديث جابر قال رمي سعد في أكحله فحسمه عم بيده بمشقص الحديث
وقد كوى سعد بن زرارة رواه الطبراني ويؤخذ منه أن سبب الكي إذا كان موهوما فالأولى
تركه وينافي التوكل فعله وقد قال لعلي رضي وكان وجع العين لا تأكل من هذا يعني الرطب وكل
من هذا فإنه أوفق لك يعني السلق الذي طبخ بشعير وقال لصهيب وقد رآه يأكل التمر وهو وجع
العين أتأكل التمر وأنت رمد فقال إنما آكل بالجانب الآخر فتبسم عم وأما فعله عم فقد روي
من طريق أهل البيت أنه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة رواه ابن عدي
من حديث عائشة وقال إنه منكر انتهى وحديث الاكتحال ثابت في الترمذي كما لا يخفى وللطبراني
بإسناد حسن أنه عم لدغته عقرب فغشي عليه فرقاه الناس الحديث وله في الأوسط عن أنس أنه عم
كان إذا اشتكى يقمح كفا من شونيز ويشرب عليه ماء وعسل وللديلمي والطبراني في الكبير من حديث
عبد الله بن جعفر أن النبي عم احتجم بعد ما سم وللبزار وابن عدي في الكامل من حديث أبي هريرة

أنه عم

أنه عم كان إذا نزل عليه الوحي صدع رأسه فيغلفه بالحناء وللترمذي وابن ماجه من حديث سلمى كان
إذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء فكان التداوي مرويا ومشهورا فترك الدواء أيضا مأثور
عن السلف ومسطور فروي عن الصديق أنه قيل له لو دعونا طبيبا فقال قد رآني الطبيب وقال إني فعال
لما أريد وقيل لأبي الدرداء في مرضه ما تشتكي قال ذنوبي قيل فما تشتهي قال رحمة ربي قالوا ألا ندعو
لك الطبيب قال الطبيب أمرضني وقيل لأبي ذر قد رمدت عيناه لو داويتهما فقال إني مشغول عنهما قيل
لو سألت الله أن يعافيك فقال أسأله فيما هو أهم علي منهما وكان قد أصاب ربيع بن خثيم فالج فقيل لو تداويت
فقال قد هممت ثم ذكرت عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا وكان فيهم الأطباء فهلك المداوي
والمداوى لم يغن الدواء من الله شيئا من الداء وكان أحمد بن حنبل يقول أحب لمن اعتقد التوكل و
سلك هذا الطريق أن يترك التداوي من شرب الدواء وغيره وقيل لسهل متى يصح للعبد التوكل فقال
إذا دخل عليه الضرر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت إليه شغلا بحاله وينظر إلى قيام الله تعالى عليه
ووجه الجمع أنه عم وبعض أصحابه الكرام تداووا أسوة للأنام ورخصة في الأحكام وتركه بعض
الأعلام من مشايخ الإسلام عملا بالعزيمة المناسبة لما لهم من المقام وإلا فالتداوي لا ينافي إلا من
حيث رؤية الدواء نافعا دون خالق الدواء فلا يرى أن الدواء نافع بنفسه بل من حيث إنه جعله
الله سببا للنفع كما لا يرى الماء مرويا ولا الخبز مشبعا وفي الإحياء ولا يصح وجه الجمع بين فعله عم وأفعال
التاركين من الأعلام إلا بحصر الصوارف عن التداوي في ذلك المقام فترك الدواء المذكور
في المأثور إنما يؤول لأحد أسباب ستة لمعرفة عدم النفع بالمكاشفة وهو أن يكون المريض من المكاشفين
وقد كوشف له بأنه قد انتهى أجله فإن التداوي لا ينفعه ويكون ذلك معلوما عنده تارة برؤيا صادقة
وتارة بحدس وظن وتارة بكشف محقق ويشبه أن يكون ترك الصديق التداوي من هذا السبب فإنه
من المكاشفين فقد قال لعائشة في أمر الميراث إنما أختاك ولم يكن لها إلا أخت واحدة ولكن كانت
امرأته حاملا فوضعت أنثى فعلم أنه قد كوشف بأنها حامل بأنثى ولا يبعد أيضا أن يكون قد كوشف بانتهاء
أجله وإلا فلا يظن به إنكار التداوي وقد شاهده عم تداوى وأمره كذا في الإحياء والفرق بين
إنكار التداوي وعدم مباشرته كما لا يخفى أو لكون المرض مزمنا والعلاج موهوما في النفع كالكي والرقية
ونحوهما وعليه حمل كلام الربيع أو المشتغل عنه أي لاشتغال قلبه عن المرض وتداويه مما يوافقه وينافيه
بخوف العاقبة وعلمه تعالى بما وقع له في السابقة فينسيه ذلك ألم الأمراض اللاحقة فلا يتفرغ قلبه
للتداوي شغلا بحاله أو تأملا في مآله وعليه يدل كلام أبي الدرداء وأبي ذر في ترك الدواء
فكان تألم قلبه خوفا من ذنبه أكثر من تألم بدنه من طول مرضه ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز
أعزة أو كالخائف الذي يحمل إلى ملك من أجل سياسته إذا قيل له ألا تأكل وأنت جائع فيقول إني

ما تعز عن الاكل والم الجوع بما هو اتم منه ويقرب من هذا استغال سهل رحمه الله حيث سئل ما القوة
فقال هو الحي القيوم فقيل انما سئلناك عن القوام قال القوام هو العلم قيل سئلناك عن الغذاء قال الغذاء
هو الذكر قيل سئلناك عن طعم الجسد قال مالك وللجسد دع من تولاه اولا يتولاه اخرا اذا دخلت
عليه علة فرده الى صانعه اما رايت الصنعة اذا عابت ردوها الى صانعها حتى يصلحها او لقصد
تطويل اي لارادة استبقاء المرض لينال الاجر بالصبر على بلائه تعالى فقد ورد في ثواب المرض ما يكثر
ذكره ومن ذلك ان الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب احدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالابريز
ومنهم من يخرج دون ذلك ومنهم من يخرج اسود محترق رواه الطبراني من حديث ابي
امامة قال ابن مسعود يجد المؤمن من اصح شي قلبا وامرضه جسما ويجد المنافق من اصح شي جسما وامرضه
قلبا وشير اليه قوله تعالى واذا رايتهم تعجبك اجسامهم فلما اعظم الثناء على المرض والبلاء احب
قوم المرض واغتنموه وتركوا الدواء لينالوا ثواب الصبر على الداء فكان فيهم من له علة يخفيها ولا
يذكرها للطبيب ويقاسي العلة ويرضى بحكم الله تعالى وما فيه من الحكمة ويعلم ان ذكر الحكمة اغلب على قلبه من
ان يشغله المرض عنه وانما يمنع المرض جوارحه وعلموا ان صلوتهم من قعود مع الصبر على قضاء الله
تعالى من العلة افضل من الصلوة قائما مع العافية والصحة وكان سهل يقول ترك التداوي وان ضعف
عن الطاعات افضل من التداوي لاجل القوة وكانت به علة عظيمة ولم يتداو بها وكان يداوي الناس منها
وسئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل في شي من الدواء فانما هو سعة من الله عز وجل لاهل الضعف
ومن لم يدخل في شي منه فهو افضل لانه ان اخذ شيئا من الدواء وان كان هو الماء البارد يسال
عنه لم اخذت ذلك ومن لم ياخذ فلا سؤال عليه وكان مذهبه ومذهب البصريين تضعيف
النفس بالجوع وكسر الشهوات لعلمهم ان ذرة من اعمال القلوب مثل الصبر والرضاء والتوكل افضل من
امثال الجبال من اعمال الجوارح والمرض لا يمنع من اعمال القلوب الا اذا كان الم غالبا مدهشا وقال
سهل علل الاجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة او تكفير الذنب بان يرى طول المرض تكفير الخطايا
فلابي يعلى وابن عدي من حديث ابي هريرة لا يزال الحمى والصداع بالعبد حتى يمشي على الارض كا
لبردة ما عليه خطيئة وللطبراني من حديث ابي الدرداء نحوه وله في الاوسط من حديث انس مثل المريض
اذا صح وبري من مرضه كمثل البردة التي تقع من السماء في صفائها ولونها وللقضاعي من حديث ابن
مسعود حمى يوم كفارة سنة وفي رواية حمى ليلة ولاحمد وابي يعلى من حديث ابي سعيد الخدري
باسناد جيد ان رجلا من المسلمين قال يا رسول الله ارايت هذه الامراض التي تصيبنا ما لنا فيها قال
لنا كفارات قال ابي وان قلت قال وان شوكة فما فوقها قال فدعا ان لا يفارقها الوعك حتى يموت
الحديث والوعك الحمى او شدة الحر وللطبراني في الاوسط من حديث ابي بن كعب انه قال يا رسول الله ما جزاء

تكفير الذنب

ثواب مرض الحمى

الحمى

الحمى قال تجري الحسنات على صاحبها ما اختلج عليه قدم او ضرب عليه عرق فقال اللهم اني اسئلك حمى لا تمنعني
خروجا في سبيلك ولا خروجا الى بيتك ولا مسجد نبيك الحديث وقال عيسى عليه السلام لا يكون عالما من لم يفرح بدخول
المصائب والامراض على جسمه وماله لما يرجو في ذلك من كفارة خطاياه وروي ان موسى عليه السلام نظر الى عبد عظيم البلاء
فقال يا رب ارحمه فقال كيف ارحمه مما به ارحمه اي به اكفر ذنوبه وازيد في درجته او امتحان النفس اي
تجربها في القدرة على الصبر في طيه بعد الجزع والفزع والشكاية فقد ورد في معاشر الانبياء اشد الناس
بلاء ثم الامثل فالامثل يبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان صلب الايمان شدد عليه البلاء وان كان في ايمانه
ضعف خفف عليه البلاء رواه احمد وابو يعلى والحاكم وصححه او طغيانها اي تجاوز النفس عن حدها في الفخر
اي في ايام الصحة والعافية بتضييع الوقت بالتنعم في الشهوات واللهوات وتاخير الخيرات اي وتاخير الطاعات والعبادات
والخيرات لتطويل الامل وتبعيد الاجل وتوضيحه ان يستشعر العبد في نفسه مبادي البطر والطغيان بطول
مدة الصحة فيترك التداوي خوفا من ان يعاجله زوال المرض فتعاوده الغفلة في البطر والطغيان او طول
الامل وتسويف العمل بتاخير الخيرات والبركات فان الصحة عبارة عن قوة الصفات وبها تنبعث الهوى وتحرك
الشهوات وتدعو الى المعاصي والسيئات واقلها ان تدعو الى التنعم في المباحات وهو تضييع الاوقات واهمال الربح
العظيم في مخالفة النفس وملازمة الطاعات فاذا اراد الله بعبد خيرا لم يخله عن التنبيه بالامراض والمصيبات
ولذا قيل لا يخلو المؤمن عن علة او قلة او ذلة وروي ان الله تعالى يقول الفقر سجني والمرض قيدي احبس
به من احبه من خلقي وقال بعض العارفين لانسان كيف كنت بعدي قال في عافية قال ان كنت لم تعص
الله فانت في عافية فان كنت عصيته فاي داء ادوى من المعصية ما عوفي من عصى وعن علي رضي
الله عنه انه لما راى زينة النبط بالعراق في يوم عيدهم قال ما هذا الذي اظهروه قالوا يا امير المؤمنين هذا يوم
عيدهم فقال كل يوم لا يعصى الله فيه فهو لنا عيد وما احسن من قال من ارباب الحال شعر ليس العيد
لمن لبس الجديد • انما العيد لمن امن من الوعيد • وقال تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى
قيل اي بالعافية وقال بعضهم انما قال فرعون انا ربكم الاعلى لطول العافية لانه لبث اربعمائة سنة لم
يصدع له راس ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو اخذته الشقيقة لشغلته عن الفضول
الدنيوية فضلا عن دعوى الالوهية وروي ان عمار بن ياسر تزوج امراة ولم تكن تمرض فطلقها
وفي الخبر انه عرض عليه امراة فذكر من صفاتها ونعتها حتى هم ان يتزوجها فقيل انها ما مرضت قط
فقال لا حاجة لي فيها رواه احمد من حديث انس باسناد جيد وذكر عنده الامراض والاوجاع كالصداع
وغيره فقال رجل وما الصداع ما عرفته فقال عني اليك من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى
هذا رواه ابو داود وذلك لما ورد ان الحمى حظ كل مؤمن من النار رواه احمد من حديث ابي امامة
ولابن ماجه من حديث ابي هريرة انه عليه السلام عاد مريضا من وعك كان به فقال ابشر ان الله عز وجل يقول ناري

اخفاء المرض

الرضاء

اسلطها على عبد المؤمن في الدنيا ليكون حظه من النار في العقبى والاولى الاخفاء اي اخفاء مرضه
ليوجد الصبر على بلائه تعالى ورضائه بقضائه سبحانه وتحاميا عن الشكاية الا على سبيل الحكاية وانما جاز
ذلك لثلثة اغراض لقصد العلاج للطبيب اذا كان المريض من الضعفاء بخلاف الاقوياء فكان الامام
الاحمد رحمه الله علل الاجر بها للطبيب اذا سال عنها وتارة يخبر بامراضه يجدها ويقول انما اصف قدرة الله
فيّ او تعليم حسن الظن اي او لتعليم المريدين استحسان الصبر وجواز اظهاره بالشكاية على طريق
الحكاية بل لسيادة الشكر في الرواية بان يظهر المريض بلية يصبر عليها او نعمة يشكر لها فيتحدث به كما يتحدث
بالنعمة وقال الحسن البصري اذا احمد المريض ربه تعالى وشكره ثم ذكر اوجاعه لم يكن ذلك شكوى وهواي
صاحب هذا المقام يكون من المقتدين به او اظهار العجز والافتقار عن الصبر اليه تعالى وهو انما يستحسن من
القوي في مقام الصبر كما روي عن علي رضوانه قيل له في مرضه كيف انت فقال بشر فنظر بعضهم الى بعض
كانهم كرهوا ذلك وظنوا انه شكاية فقال اتجلد على الله تعالى فاحب ان يظهر فيه العجز والافتقار مع ما علم فيه
من القوة والاقتدار فالنية اي تحسينها واصلاحها من خصه لاظهار علمه واسبابها او المعنى ان النية
مرخصة للتداوي وتركه فان ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاوقات انما الاعمال بالنيات واما من
ترك التداوي توكلا فلا وجه له للاظهار اصلا فان الاستراحة الى الدواء احسن من الاستراحة الى
الافشاء وقد قال بعضهم من بث لم يصبر ولذا قال يعقوب عم انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل في معنى
قوله فصبر جميل لا شكوى فيه وقيل ليعقوب عم ما الذي اذهب بصرك قال مر الازمان وطول الاحزان فاوحى
الله تعالى اليه تفرغت لشكواي الى عبدي فقال يا رب اتوب اليك وروي عن طاوس ومجاهد انهما قالا يكتب
على المريض انينه في مرضه وكانوا يكرهون انين المريض لانه اظهار معنى يقتضي الشكوى حتى قيل ما اصاب ابليس
من ايوب عم الا انينه في مرضه فجعل الانين حظه منه ولعله محمول على انينه كان يمكنه ان لا يظهر عند عواده
والا فقد سبق انه تسبيح وثواب عليه مع انه امر طبيعي لا يدخل تحت اختيار المريض وفي الخبر اذا مرض العبد قال
الله تعالى للملكين انظرا ما يقول لعواده فان حمد الله تعالى واثنى عليه بخير دعوا له وان شكا وذكر بشر
قالا كذلك يكون وانما كره بعض العباد عيادة العباد خشية الشكاية في المقام وخوف الزيادة في
الكلام وكان بعضهم اذا مرض اغلق بابه فلم يدخل عليه احد حتى يبرئ فيخرج اليهم منهم الفضيل بن
عياض ووهب بن الورد وبشر بن الحارث وكان الفضيل يقول اشتهي المرض بلا عواد وقال لا اكره
العلة الا لاجل العواد هذا مما ينفع في باب التوكل من حسن الظن بمجيء الرزق ان يسمع الحكايات التي
فيها عجائب صنع الله تعالى في وصول الرزق الى صاحب التوكل في سائر الاوقات كما روي عن حذيفة المرعشي
وكان قد خدم ابراهيم بن ادهم فقيل له ما اعجب ما رايت منه فقال بقينا في طريق مكة اياما لم نجد
طعاما ثم دخلنا الكوفة فاوينا الى مسجد خراب فنظر الى ابراهيم بن ادهم فقال يا حذيفة ارى بك الجوع

فقلت هو

فقلت هو ما راى الشيخ فقال علي بدواة وقرطاس فجئت به فكتب بسم الله الرحمن الرحيم انت المقصود اليه
يا الله بكل حال والمشار اليه بكل معنى شعر انا حامد انا شاكر انا ذاكر انا جائع انا نائع انا عاري هي
ستة فانا الضمين بنصفها فكن الضمين بنصفها يا باري مدحي لغيرك لهب نار خضتها فاجر عبيدك من
لهيب النار ثم دفع الي الرقعة وقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله وادفع الرقعة الى اول من يلقاك
فخرجت فاول من لقيني كان على بغلة فناولته الرقعة فاخذها فلما وقف عليها بكى وقال ما فعل صاحب
هذه الرقعة فقلت هو في المسجد الفلاني فدفع الي صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا اخر
فسالته عن راكب البغلة فقال هذا رجل نصراني فجئت الى ابراهيم فاخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه
يجيء الساعة فلما كان بعد ساعة جاء رجل النصراني واكب على راس ابراهيم يقبله واسلم وقال
ابو يعقوب الاقطع البصري جعت بالحرم عشرة ايام فوجدت ضعفا فحدثتني نفسي بالخروج فخرجت
الى الوادي لعلي اجد شيئا يسكن ضعفي فرايت شلجمة مطروحة فاخذتها فوجدت في نفسي منها وحشة وكان
قائلا يقول لي جعت عشرة ايام واخره يكون حظك شلجمة متغيرة فرجعت ودخلت المسجد فقعدت
فاذا انا برجل اعجمي قد اقبل حتى جلس بين يدي ووضع قمطرة وقال هذه لك فقلت له كيف خصصتني
بها فقال اعلم انا كنا في البحر منذ عشرة ايام واشرفت السفينة على الغرق فنذرت ان خلصني الله
ان اتصدق بهذه على اول من يقع عليه بصري من المجاورين وانت اول من لقيته فقلت افتحها ففتحها
فاذا فيها كعك سميد مصري ولوز مقشر وسكر كعاب فقبضت قبضة من هذا وقبضة من هذا
وقلت رد الباقي الى صبيانك هدية مني لكم وقد قبلتها ثم قلت في نفسي رزقك يسير اليك من عشرة ايام
وانت تطلبه في الوادي وقال ممشاد الدينوري كان علي دين فاشتغل قلبي بسببه فرايت
في النوم كان قائلا يقول يا بخيل اخذت علينا هذا المقدار من الدين عليك الاخذ وعلينا العطاء
فما حاسبت بعد ذلك بقالا ولا قصابا ولا غيرهم وحكي عن بنان الحمال قال كنت في طريق مكة اجيء
من مصر ومعي زاد فجاءتني امراة وقالت يا بنان انت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم انه لا يرزقك
قال فرميت بزادي ثم اتى علي ثلث لم اكل فوجدت خلخالا في الطريق فقلت في نفسي احمله حتى يجيء صاحبه
فربما يعطيني شيئا فارده عليه فاذن انا بتلك المراة فقالت انت تاجر تقول عسى يجيء صاحبه فاخذ
منه شيئا ثم رمت الي شيئا من الدراهم وقالت انفقه فاكتفيت بها الى قريب مصر وحكي ان بنانا
احتاج الى جارية تخدمه فانبسط الى اخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا هو ذا يجيء العير فنشتري ما يوافقك
فلما ورد العير اجمع رايهم على واحدة وقالوا انها تصلح له وقالوا لصاحبها بكم هذه الجارية فقال
انها ليست للبيع فالحوا عليه فقال انها لبنان الحمال اهدتها اليه امراة من سمرقند فحملت الى بنان
وذكرت له القصة وقيل كان في الزمن الاول رجل في سفر ومعه قرص فقال ان اكلته مت فوكل الله

ملكها فقال ان اكله فان رزقي وان لم ياكل فلا نطعم غيره فلم يزل القرص معه الى ان مات ولم ياكله وبقي
القرص بعده ومن عجيب ما في حيوة الحيوان ان دودة اكلها التراب وتموت جوعا خوفا من فراغه
وجزنا على فراقه وكذا طير على ساحل البحر يموت عطشا خوفا من نفاد ما فيه من الماء وقال ابو
سعيد الخراز دخلت البادية بغير زاد فاصابتني فاقة فرايت المرحلة فسررت بان وصلت ثم
فكرت في نفسي اني سكنت واتكلت على غيره سبحانه فاليت ان لا ادخل المرحلة الا ان احمل اليها فحفرت
لنفسي في الرمل حفيرة وواريت جسدي فيها فسمعوا صوتا عاليا في نصف الليل يا اهل المرحلة
ان لله وليا حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه فجاء جماعة فاخرجوني وحملوني الى القرية وروي ان
رجلا لازم باب عمر رض فقال عمر يا هذا اهاجرت الى عمر او الى الله اذهب فتعلم القران فانه سيغنيك
عن باب عمر فذهب الرجل حتى افتقده عمر فاذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة فقال عمر اني
اشتقت اليك فما الذي شغلك عني فقال اني قرات القران فاغناني عن عمر وال عمر فقال عمر رحمك الله
فما وجدت فيه قال وجدت فيه وفي السماء رزقكم وما توعدون فقلت رزقي في السماء وانا اطلبه
في الارض فبكى عمر وقال صدقت وكان عمر بعد ذلك يجلس اليه وقال ابو حمزة الخراساني حججت سنة من
السنين فبينا انا امشي في الطريق اذ وقعت في بئر فنازعتني نفسي ان استغيث ثم قلت لا والله
لا استغيث فما استتم هذا الخاطر حتى مر براس البئر رجلان فقال احدهما تعال حتى نسد راس
هذا البئر لئلا يقع فيه احد فاتوا بقصب وبارية وطموا على راسه فهممت ان اصيح ثم قلت في نفسي
الى من هو اقرب منهما فسكت فبينا انا بعد ساعة اذا انا بشيء وكشف عن راس البئر وادلى رجله
وكانه يقول تعلق بي في المهمة لم كنت اعرف لم ذلك فتعلقت به فاخرجني فاذا هو سبع فمر وتركني
فهتف بي هاتف فقال يا ابا حمزة اليس هذا احسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيت وانا اقول
شعر • اهابك ان اخفي اليك الذي اخفي • وانت عليم ما يلاحظ طرفي • نهاني هواني منك ان اكتم الهوى
واغنيتني بالفهم منك عن الكشف • تلطفت في امري فابديت شاهدي • الى غائبي واللطف يدرك
باللطف • ترايت لي بالغيب حتى كانما • تبشرني بالغيب انك في الكف • اراك وبي من هيبتي لك
وحشة • فتؤنسني باللطف منك وبالعطف • وتحيي محبا انت في الحب حتفه • وذا عجب كون
الحيوة مع الحتف • هذه احوال رجال ما تواقيل الموت فلا حرم نجاهم من الفوت وفي هذا المقام
قال من قال نم نفسك وتعال وبيان ذلك الحال ان تطيب نفس السالك لمهودة المسالك بالموت ان لم ياته
رزقه علما بان رزقه هو الموت والجوع وان كان نقصانا في الدنيا فهو زيادة كما في العقبى فيري
انه سيق اليه خير الرازقين ويعتقد انه سبحانه خير الرازقين كما انه احسن الخالقين والاصل الذي
عليه مدار الدين خصوصا فيه اي في التوكل هو اليقين وقد قال تعالى واعبد ربك حتى ياتيك

اليقين اي يعني اليقين فانه كان عم وابتاء الكرام في مقام علم اليقين ولذا تفسيره الموت عند
عامة المفسرين من الائمة المتحرين وقال عز وعلا هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب الى ان قال
وهم بالاخرة هم يوقنون وقول علي رض لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا لانه انما يزداد وضوحا
عينيا بعد ما كان ظاهرا غيبيا كما ان الذي يري انسانا في وقت الاسفار لا يزداد يقينا عند طلوع
شمس النهار بانه انسان في صورته وهيئته بل يزداد وضوحا في عرفان تفصيل خلقته و
الحاصل انه ما يزداد اليقين في طريق العلم والبيان وانما يزداده باعتبار الظهور والعيان
فينتقل من علم اليقين الى عين اليقين وبرؤية الحق ينتقل من العلم اليقين الى حق اليقين ونظيره
ان خبر الكعبة متواتر عند كل سالك للمناسك فله علم اليقين في سلوك تلك المسالك الى ان يشاهد
البيت من بعيد فيشهد له بعين اليقين مع تاييد ثم اذا قبل الحجر الاسعد والتزم والملتزم انتقل
الى حق اليقين في الحرم المحرم والله سبحانه اعلم وورد عنه صلى الله عليه وسلم كان يحب من العقل اي طبيعته وسجيته
اليقين اي خلقته وطويته ثم بغض الذنوب اي ارتكابها لانها يد مواد الى رغم التوبة عن اكتسابها و
التائب عن الذنوب كمن لا ذنب له في اجتنابها والحديث رواه من افضل ما اتيتم اليقين في امر الدنيا
وعزيمة الصبر في مقام المجتهدين والحديث رواه قال تعالى وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور
وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ولابي نعيم في الحلية والبيهقي عن ابي سعيد رضي الله عنه ان
من ضعف اليقين ان ترضي الناس بسخط الله وان تحمدهم على رزق الله وان تذمهم على ما لم يؤتك الله
ان رزق الله لا يجره اليك حرص حريص ولا يرده كراهة كاره وان الله بحكمته وجلاله جعل الروح و
الفرح في الرضاء واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط وهو اي اليقين عدم الشك في امر الدين
عند المتكلم في علم الكلام والاستيلاء للامر على القلب باستعلاء الرب في علم الاخرة المنتج للعمل في رضاء
الله سبحانه وهذا التعريف عند الصوفية والفقهاء ولذا يوصف عندهم بالضعف والقوة والكمال
والزيادة بخلاف غيرهم ومن هنا قيل لمن جزع وقت الموت ضعف يقينه فلان عند الموت كان لا ظهر ان
يقال في الموت في حال وقوعه مع عدم الشك لاحد من المسلم والكافر فيه اي في وجود الموت وثبوته
فهو يقين يشبه الشك وقوي في الرزق اي ويقال لمن ترك بالجملة مباشرة الاسباب وتوكل على الله
حق توكله بترك الاكتساب قوي فلان في امر الرزق مع الشك فيه اي في وجود الرزق اذ يحتمل عدم
بان يموت جوعا في مقام ومجاريه اي مجاري اليقين ومجاليه كما جاء به الشرع المبين والاصول اليقينية
اربعة التوحيد للحق وبلوغ الرزق للخلق والجزاء على الاعمال واطلاعه تعالى على الاحوال سرا وعلانية
فانه يعلم السر واخفى والجد وي اي فائدة اليقين اربعة ايضا عدم الالتفات الى المسخرات من العلويات
والسفليات والاجمال في الطلب اي طلب الرزق ففي الحديث اجملوا في طلب الدنيا فان كلا ميسر لما كتب له

الخاتمة في المحبة والسلوك

سنة رواه ابن ماجه وغيره من حديث حميد الساعدي والمعنى اكسبوا الدنيا بوجه جميل وهو ان لا يطلب
الا بالوجه الشرعي وتصحيح النية في المقام مع ترك التاسف على الترك قال تعالى لكيلا تاسوا على ما
فاتكم اي من الدنيا وزاد من اسف على دنيا فاته اقترب من النار مسيرة الف سنة ومن اسف
على الاخرة فاته اقترب من الجنة مسيرة الف سنة اخرجه الرازي في مشيخته عن ابي عمرو والاقدام
على الطاعة اي واكتساب العبادة مع الامتناع عن المعصية اي مع الاجتناب عن جميع السيئات
والمبالغة في اصلاح الظاهر والباطن بتحصيل الاخلاق والشمائل وتحسين الاحوال والفضائل

الخاتمة في المحبة والسلوك اي وسلوك طريق المحبة وسبيل المودة ومن لم يعترف
من اهل المعرفة لم يعرف بحقيقة المحبة مع غير الجنس والمثل والصفة وقال لا معنى لها الا المواظبة
على الطاعة وذلك انكر المحبة انكر الانس والشوق والذوق والمحو والصحو والفناء والبقاء و
القبض والبسط وسائر لوازم المحبة وتوابع المودة وسائر مقامات اهل المعرفة وسيجيء كشف الغطاء
عن هذه المقالة ببيان الكتاب والسنة بسم الله الرحمن الرحيم يجلي الامور ويشرح الصدور
والامة مجمعة على ان الحب لله ولرسوله فرض فكيف يفرض ما لا وجود له وكيف يفسر الحب بالطاعة
والطاعة تتبع الحب وثمرته فلا بد من ان يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من احب وورد في
التنزيل ما يقوي هذا التاويل قل ان كنتم تحبون الله اي تدعون محبته فاتبعوني فاني رأس
المحبين في سلوك المودة يحببكم الله كما احبني وسماني حبيب الله وللاتباع حظ من متبوعهم بقدر
الاتباع ومما يدل على اثبات الحب لله قوله عز وجل يحبهم ويحبونه ثم في قوله سبحانه والذين امنوا
اشد حبا لله دليل على اثبات الحب ومنافيه والتفاوت فيه وانه لا يؤمن احدكم ايمانا كاملا او ايمانا
اصلا حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما من الولد والوالد وما عداهما والحديث رواه
الشيخان من حديث انس لا يجد احد حلاوة الايمان الحديث وعن ابي ذر بن العقيلي انه قال يا رسول
الله ما الايمان قال ان يكون الله ورسوله احب اليك مما سواهما وفي الصحيحين من حديث انس ايضا
لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده والناس اجمعين وفي رواية لهما ومن نفسه
والبخاري عن حديث عبد الله بن هشام قال عمر يا رسول الله لانت احب الي من كل شيء الا نفسي فقال
لا والذي نفسي بيده حتى اكون احب اليك من نفسك فقال عمر فانت الان والله احب الي من نفسي
فقال الان يا عمر يعني امنت وهو خبر ويحتمل ان يكون استفهاما ولعل هذه الاحاديث مقتبسة من قوله تعالى
قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون
كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي
الله بامره فان ذلك جرى مجرى التهديد والانكار والمقصد به الاثبات والاقرار وتنبيه على تفاوت

المحبة

المحبة بينه وبين الله سبحانه في هذا المقام بقوله احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله اياي
فاشار الى ان محبة الله اصالة ومحبته عليه السلام تبعية كما يقتضيه المقام الربوبية والعبودية وروي ان رجلا
قال يا رسول الله اني احبك قال استعد للفقر فقال اني احب الله فقال استعد للبلاء رواه الترمذي وحسنه
وعن عمر رضي الله عنه ان النبي عليه السلام نظر الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال عليه السلام انظروا الى هذا الرجل
الذي قد نور الله قلبه لقد رايته بين ابويه يغذوانه باطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله الى
ما ترون رواه ابو نعيم في الحلية باسناد حسن وفي الصحيحين من حديث انس وابن مسعود وابي موسى
قال اعرابي يا رسول الله متى الساعة قال ما اعددت لها فقال ما اعددت لها كثير صلوة ولا صيام الا اني احب
الله ورسوله فقال عليه السلام المرء مع من احب قال انس فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الاسلام فرحهم بذلك
وقال الصديق من ذاق خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه عن جميع البشر اي
من ارباب الدنيا وقال الحسن من عرف ربه احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يغفل فاذا
تفكر حزن وقال ابو سليمان الداراني ان من خلق الله لقوما ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم
عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا وروي ان عيسى عليه السلام مر بثلثة نفر قد نحلت ابدانهم وتغيرت الوانهم
فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما ارى فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله ان يؤمن الخائف ثم جاوزهم
الى ثلثة اخرين فاذا هم اشد نحولا وتغيرا فقال ما الذي بلغكم الى ما ارى فقالوا الشوق الى الجنة فقال
حق على الله ان يعطيكم ما ترجون ثم جاوزهم الى ثلثة اخرى فاذا هم اشد نحولا وتغيرا كان وجوههم
المرايا من النور فقال ما الذي بلغ بكم ما ارى فقالوا الحب لله عز وجل فقال انتم المقربون وقال
هرم بن حيان اذا عرف المؤمن ربه احبه واذا احبه اقبل عليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه
لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الاخرة بعين الفترة وهو يحسده وقال يحيى بن معاذ
عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الامال فكيف حبه وحبه يدهش العقول
فكيف وده ووده ينسي ما دونه فكيف لطفه وقال يحيى بن معاذ مثقال خردلة من الحب احب الي من عبادة
سبعين سنة بلا حب وقال ايضا الهي اني مقيم بفنائك مشغول بثنائك اخذتني اليك وسربلتني بعرفك
وامكنتني بلطفك ونقلتني في الاحوال وقلبتني في الاعمال سترا وتوبة وزهدا وشوقا ورضا وحبا
تسقيني من حياضك وتحملني في رياضك ملازما لامرك مشغوفا بقولك ولما طر شاربي ولاح طائري
فكيف انصرف اليوم عنك كبيرا وقد اعتدت هذا منك صغيرا ولي ما بقيت حولك دندنة وبالضراعة اليك
همهمة لاني احبك وكل حبيب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف والمحبة اعظم المقامات واهم المهمات فقيل المحبة
محو المحب بصفاته واثبات المحبوب بذاته وقيل المحبة ايثار المحبوب على المصحوب وقيل مشاهدة الحبيب
في المشهد والمغيب وقيل المحبة ان تغار على المحبوب ان يحبه مثلك في مقام المحبوب وقيل المحبة معنى من المحبوب

قام القلوب بحر القلوب عن ادراكه نهاية ويمنع الالسن عن عبارة وقال الجنيد رحمه الله المحبة
على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون لعوض فاذا زال العوض زالت المحبة وعن ذي النون قل لمن
اظهر حب الله احذر ان تركن الى غير الله وهي اي المحبة ميل النفس الى الموافق اي الى ما يوافق هواها
ولا ينافي مشتهيها وتوضيحه ان المدركات تنقسم الى ما يوافق طبع المدرك ويلذه ويلايمه والى ما ينافيه
وينافره ويولمه والى ما لا يوثر فيه بايلام ولا التيام فكلما في ادراكه لذة وراحة فهو محبوب عند
المدرك وما كان في ادراكه الم ومحنة فهو مبغوض عنده وما يخلو عن استعقابه لذة وراحة والم و
شدة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فاذن كل لذيذة محبوب عند الملتذ به ومعنى كونه
محبوبا ان في الطبع ميلا اليه ومعنى كونه مبغوضا ان في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع
الى الشيء الملذ فان تأكد ذلك الميل وقوي سمي عشقا وشوقا والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن
المولم المتعب فاذا قوي سمي مقتا ويقال سخطا ثم لما كان الحب تابعا للادراك والمعرفة انقسم لا
محالة بحسب انقسام المدركات بالحواس فلكل حاسة نوع من المدركات ولكل واحد منها لذة في بعض
المدركات وللطبع بسبب تلك اللذة ميل اليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم فلذة العين في الابصار و
ادراك المبصرات الجميلة والصور الحسنة المليحة ولذة الاذن في النغمات الطيبة الموزونة ولذة
الشم في الروايح الطيبة ولذة الذوق في الاطعمة المستلذة ولذة اللمس في اللينة والنعومة ثم
لذات الحواس الخمسة تشاركه فيها البهايم والانسان فان كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى
يقال ان الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يتمثل بالخيال فلا يحب فاذا حد بطل خاصية الانسان وما
تميز به عن الحيوان من الحس السادس الذي يعبر عنه اما بالعقل واما بالنور واما بالقلب او بما شئت من
العبادات فلا مشاحة فيها وهيهات بالبصيرة الباطنة اقوى من البصر الظاهر كما يشير اليه قوله سبحانه
فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والقلب اشد ادراكا من العين ولذا
قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب والا من اتى الله بقلب سليم وجمال المعاني المدركة با
لعقل اعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار ولذا قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما
يعقلها الا العالمون وان في ذلك لآيات لقوم يعقلون فيكون لا محالة لذة القلوب بما يدركه من الامور
الشريفة الالهية التي يجل عن ادراكها الحواس ابلغ واتم فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح القويم
اليه اقوى واتم ولا معنى للحب الا الميل الى ما في ادراكه لذة ولا لذة اعظم من محبته تعالى ومعرفته فلا
ينكر اذا احب الله الا من قعد به القصور عن درجة البهايم عقلا فلا يجاوز ادراكه الحواس اصلا
فالاذ من اللذات المطعم اي لذة الاكل والشرب من المستلذات ثم المنكح من المشتهيات وذلك
بالنسبة الى المكلف والا فالصبي عنده بعد الاكل تمام لذة اللهو واللعب ثم للجاه الصور ثم العلم

بالامر الضروري ويعرف التوقي بترك الادنى استحقاره عند وجدان الاعلى واستشهاده بان
المراة الثيبة اذا ارادت زوجا فخيرت بين شيخ غني وفقير رجل فالغالب انها لا تختار الغني
لا سيما اذا كانت غنية ولها قوة مشتهية فعلم ان لذة المنكح اعلى من لذة المطعم ثم لو فرض انها كانت
من اشراف القوم وفرض ان الرجولية زالت من الناس الا من اراذلهم كالكناسين والدباغين
فالغالب انها لا تختار زوجا من هذه الطائفة ولو كان غنيا وفي الشهوة قويا فعلم ان لذة الجاه
اعلى من لذة المنكح ثم لو فرض شريف ذو نسب ذاق لذة العلم وليس في البلد عالم الا من اراذل القوم
المذكورين فالغالب انه لا يانف ان يحضر في مجلس هذا العالم ليستفيد منه العلم فعلم ان لذة العلم اعلى
من لذة الجاه وكذا لو خير بين النظر الى صورة جميلة وبين استنشاق رايحة طيبة اذا اختار النظر
الى الحسن الصورة علم به ان الصور الجميلة عنده اعلى من الروايح الطيبة وكذا اذا حضر الطعام وكلم
اللاعب بالشطرنج علم ان لذة اللعب عنده اقوى من لذة الاكل واستكراه البعض العلم للنقص في
كماله كاستكراه المريض المطعم لعلة في حاله والصبي المنكح لعدم بلوغ منالها والا فلا يخفى ان في العلم
والمعرفة لذة حتى ان الذي ينسب الى العلم ولو بشيء خسيس كالشطرنج ونحوه من الكيمياء والسيمياء وامثالها يفرح
به والذي ينسب الى الجهل ولو في شيء حقير يغتم بسببه ثم مراتب العلم متفاوتة باعتبار تفاوت المعلوم والعلم
تعالى اشرف العلوم فشرف اي العلم بشرف المعلوم وليت شعري هل في الوجود شيء اجل واعلى واكمل واغنى
من خالق الاشياء ومكملها ومزينها ومبديها ومعيدها ومدبرها ومربيها فالذ العلوم العلم بالله
تعالى وصفاته وافعاله في مصنوعاته وتدبيره في ارضه وسمواته ومن ثم كون الفتوى بل الكتابة اشرف
من الخياطة ونحوها من الصياغة والصباغة والحرفة ثم سبحانه الذ منه اي من العلم به الازدياد الكشف
في معرفة ذاته وصفاته فيها اي في الرؤية حال تجلياته فاللذة باعتبار هذا المعلوم وازدياد الكشف
المفهوم وسببها اي موجب المحبة وباعثها الكمال في الجمال فهو اي الكمال محبوب طبعا ولو في زيادة الجاه
والمال ومن ثم احب العالم لما له كمال في العلم والصالح لما له كمال في العمل لا لصورتهما الظاهرة بل لسيرتهما
الباطنة الباهرة فان الطباع مجبولة على حب الانبياء والعلماء والاولياء مع انهم لم يشاهدوا والمهم شيئا
من الاشياء ومن حب ارباب المذاهب كابي حنيفة ومالك والشافعي واحمد وغيرهم من المشايخ حتى ان
الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه او امامه حد العشق بسببه فيحمله ذلك على ان ينفق جميع ماله
في نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في امامه او شيخه وكم من دم اريق
في نصرة المذاهب باختلاف المراتب فليت شعري من يحب متبوعا من عالم او صالح فلم يحبه ولم
يشاهد قط صورته ولو شاهده ربما لم يستحسن صورته وهيئته فاستحسانه الذي حمله
على افراط حبه انما هو لاستحسان سيرته وهي صورته الباطنة لا صورته الظاهرة والوجه الجميل لما لم

من[illegible]ية للجمال والكلام البليغ لما ان من سيرة اهل الكمال والاحسان فان الانسان اي جبلته
عبيده اي عبيد الاحسان وفي نسخ الاحياء عبد الاحسان وهو اظهر لحمله على الانسان والمعنى انه
قد جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء عليها كما ورد وقد ورد ايضا اللهم لا تجعل لفاجر
علي يدا فيحبه قلبي كما رواه الديلمي وهذا المقام اذا حقق رجع الى الاول فان المحسن من امد بالمال والمعونة
وسائر الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وتمام الشهود وهو من جملة الكمال الا ان الاول كمال لذاته وهذا
من عوارض صفاته بل اذا حكي من سيرة بعض الملوك واصحاب المال في اقطار الارض العدل والاحسان
غلب حبه على القلوب مع الياس من انتشار احسانه لبعد المزار وتنائي الديار فاذا ليس حب الانسان مقصورا
على من احسن اليه فقط بل المحسن في نفسه محبوب وان كان لا ينتهي احسانه قط الى المحب لان كل جمال وحسن
فهو محبوب فالصور ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملها وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر
والصورة الظاهرة بالبصرة الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل
اليها ومن كانت البصيرة الباطنة اغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة اكثر من حبه
للمعاني الظاهرة فشتان بين من يحب نقشا مصورا على الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب
نبيا من الانبياء لجمال صورته الباطنة ولا كمال في الجمال والجلال الا لله تعالى شانه وهو الملك المتعال وكذا
احسانه الاتم كما يشير اليه قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله والاعلى ان يحب الله لذاته مع قطع النظر
عما يقتضيه صفاته الجمالية من رجاء الجنة ونعوته الجلالية من خوف العقوبة وما يوجبه صفات
الافعال من الاكرام او الاحسان والامتنان وهو اي الحب الذي لذاته من المواهب اللدنية والمراتب
العندية كما ورد نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه بخلاف غيره اي غير الحب لذاته من انواع الحب دون الكمال العبدية
الاتية المعبر عنها بقوله ثم للكمال ثم للاحسان وهو اي حب الذي للاحسان لحب النفس اي نفس المحب
في الحقيقة وان كان ينطلق عليه حب الله في ظاهر الشريعة والطريقة فاذن يرجع الفرق الى التفاوت
الربوبية والافعال واحد يرجع الى حب الانسان نفسه فكل من احب المحسن لاحسانه فما احب ذاته تحقيقا
بل احب احسانه وهو فعل من افعاله لو زال زال الحب مع بقاء ذاته ولو نقص نقص الحب ويتطرق اليه
الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان ونقصانه وفي الاحياء ان الانسان لا يخفى انه يحب نفسه ولا يخفى
انه قد يحب غيره لاجل نفسه وهل يتصور ان يحب غيره لذاته لا لاجل نفسه هذا مما قد يشكل على الضعفاء
حتى يظنوا انه لا يتصور ان يحب الانسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ الى المحب سوى ادراك ذاته
فالحق ان ذلك متصور وموجود ولاهل الكمال مدرك ومشهور وذلك لتعين الجمال لان ادراك
الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ولا تظنن الصور الجميلة لا يتصور الا لقضاء
الشهوة فان قضاء الشهوة لذة اخرى قد يحب الصور الجميلة لاجلها وادراك نفس الجمال ايضا لذيذ

فيجوز ان يكون محبوبا بالذات وكيف ينكر هذه الخضرة والماء الجاري محبوبا لا ليشرب الماء او يوكل
الخضرة او ينال منها حظ سوى نفس الرؤية فقد كان عليه السلام يحب الخضرة والماء الجاري كما روى ابو نعيم
في الطب النبوي من حديث ابن عباس انه عليه السلام كان يحب ان ينظر الى الخضرة والماء الجاري والطباع السليمة
من العوارض السقيمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار المليحة الالوان
والاثار حتى ان الانسان ليتفرج عن الغموم بالنظر اليها لا لطلب حظ وراء النظر عليها فاذا ثبت ان الله
جميل كان لا محالة محبوبا عند من انكشف له جماله وجلاله كما ورد ان الله جميل يحب الجمال رواه مسلم
من حديث ابن مسعود هذا وقد يكون الموجب للمحبة مناسبة خفية بين المحب والمحبوب اذ رب شخصين
يتاكد الحب بينهما لا بسبب جمال او حظ بل بمجرد تناسب الارواح وتشاكل الاشباح كما ورد
الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف رواه مسلم من حديث ابي هريرة و
التعارف هو التناسب والتناكر هو التباين ثم اعلم ان المستحق للمحبة انما هو الله وحده وان من احب
غير الله لا من حيث نسبته الى الله فذلك لجهله وقصوره في معرفة ربه وانما يحب غيره من الانبياء والاصفياء
لكونهم احباء له سبحانه ومحبوب المحبوب محبوب ولان اسباب المحبة المتقدمة مجتمعة في حقه سبحانه بجملتها
على وجه الدوام والكمال واما في حق غيره تعالى فلا يوجد الا احادها على وجه النقصان والزوال و
انها حقيقة في حقه عز وجل وفي حق غيره مجاز محض بل وهم وتخيل صرف لا حقيقة لها في شهودهم
كما في وجودهم فان العبد لا وجود له من ذاته بل هو محو محض وعدم صرف لولا فضل الله عليه بالابقاء
والامداد ثم المحبة ثمرة المعرفة تنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها ولذا قال
الحسن من عرف ربه احبه ومن عرف النار بعد منها ومن عرف الدنيا زهد فيها ثم الله سبحانه هو المنفرد
بالجود والاحسان والطول والامتنان من غير غرض ولا عوض بخلاف احسان الانسان مع ان احسانه
ايضا من جملة احسان الملك المنان بل الاحسان على وجه الكمال من غيره محال وكيف يكون غيره محسنا و
ذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان وخالق اسباب
الاحسان ثم العلم من اسباب المحبة فاين علم الاولين والاخرين من علم الله تعالى الذي لا يعزب عنه مثقال
ذرة في السموات ولا في الارض ولقد خاطب الخلق كلهم فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا بل لو اجتمع اهل
الارض والسماء ان يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق نملة او بعوضة لم يطلعوا على عشر عشيره كما قال ولا
يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء فالقدر اليسير الذي علمه الخلائق كلهم فبتعليمه علموه كما قال تعالى خلق
الانسان علمه البيان ثم لا قدرة ولا قوة الا بالله فان العبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا و
لا حيوة ولا نشورا وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق
قدرته وخالق اسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضة على اعظم ملك واقوى ملك لاهلكته فليس

للعبد قوة الا بتمكين مولاه كما يشير اليه حديث لا حول ولا قوة الا بالله وكما قال في اعظم ملوك الارض انا
مكنا له في الارض واتيناه من كل شيء سببا والسموات مطويات بيمينه والارض ومن عليها جميعا في قبضته
وناصية جميع المخلوقات بيد قدرته ان اهلكهم من عند اخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه ذرة وان خلق
امثالهم الف الف مرة لا يزيد في كماله سبحانه ذرة وليس كمال الغراس الا بقدر ما اعطاه واما كماله فكمال
معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوة الانبياء الاقرار بالقصور عن وصفه ونعته
كما قال سيد المرسلين عم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال سيد الصديقين العجز عن
ادراك الادراك ادراك فسبحان من لم يجعل للخلق طريقا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته فالواجب على
العبد ان يحب الله لجمال ذاته وكمال صفاته لا لغرض ولا عوض مما يلائم قلب العبد في حالاته ولذاته وحي
الى داود عم ان اود الاوداء الي من عبدني لغير نوال ولكن ليعطي الربوبية حقها وفي الزبور ومن
اظلم ممن عبدني لجنة او نار لو لم اخلق جنة ونارا لم اكن اهلا ان اطاع ومر عيسى عم على طائفة من العباد
وقد نحلوا وقالوا نخاف النار ونرجو الجنة فقال لهم مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم ومر بقوم اخرين كذلك
فقالوا نعبده حبا له وتعظيما لجلاله فقال انتم اولياء الله معكم امرت ان اقيم وقال ابو حازم
اني استحيي ان اعبد الله للعقاب والثواب فاكون كالعبد السوء اذا لم يخف لم يعمل او كالاجير السوء ان
لم يعط اجرا لم يعمل ثم المناسبة للمحبة بين الله وعبده انه امر ان يتخلق باخلاقه في اكتساب محامد الصفات
التي هي من النعوت الالهية كالعلم والبر والاحسان واللطف وافاضة الرحمة على الخلق والنصيحة
والارشاد لهم الى الحق فكل ذلك يقرب العبد من الله سبحانه قرب الصفات ويشير الى تلك المناسبة قوله
انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق اذ لم يستحق داود خلافة الله الا بتلك
المناسبة واليه يومي قوله عم ان الله خلق ادم على صورته اي صفته الجمالية من نعوت الجمالية و
الجلالية وقد ظن القاصرون ان لا صورة الا الصورة الظاهرة فشبهوا وجسموا وصوروا
تصويرا كثيرا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واليه الاشارة بقوله تعالى في الحديث القدسي مرضت فلم
تعدني قال وكيف ذلك قال مرض عبدي فلان ولو عدته لوجدتني عنده وهذه المناسبة لا تظهر
الا بالمواظبة على النوافل بعد احكام الفرائض واتمام الشمائل كما قال تعالى لا يزال العبد يتقرب الي
بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به كما رواه
مسلم من حديث ابي هريرة وهذا موضع يجب قبض عنان القلم عنه فقد تحزب الناس فيه الى قاصرين مالوا
الى التشبيه الظاهر والى غالبين مسرفين جاوزوا حد المناسبة الى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم
انا الحق وضل النصارى في عيسى عم وقالوا هو الاله وقال اخرون تدرعت الناسوت باللاهوت وقال اخرون
اتحدت كما يقول الوجودية وهم طائفة ابن عربي بالمعية واما الذي انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل

والاتحاد

والاتحاد والحلول اتضح لهم في ذلك حقيقة سر التنزيه فهم الاقلون عددا والاكثرون قدرا
ولعل ابو الحسن النوري كما ينظر من هذا المقام اذ غلبه الوجد في قول القائل هذا الكلام شعر لا زلت
انزل في ودادك منزلا يتحير الالباب عند نزوله واثارها اي نتائج المحبة وثمارها خمسة
الشوق وهو غلبة الخوف في مقام الذوق ورد طال شوق الابرار الى لقائي قال ابو الدرداء
لكعب اخبرني عن اخص اية يعني في التورية فقال يقول الله تعالى طال شوق الابرار الى لقائي
واني الى لقائهم اشد شوقا وقال مكتوب في جانبها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال
ابو الدرداء اشهد سمعت رسول الله صلى الله عم كذا في الاحياء وسكت عن تخريجه ومن دعاء نبينا عم
كما اخرجه النسائي والحاكم اللهم اني اسألك الرضاء بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر
الى وجهك وشوقا الى لقائك وكان ابراهيم ادهم من المشتاقين قال فقلت يوما يا رب ان اعطيت احدا
من المحبين لك ما يسكن به قلبه قبل لقائك فاعطني ذلك فقد اضر بي القلق قال فرايت في النوم انه
اوقفني بين يديه وقال يا ابراهيم اما استحييت مني ان تسالني ان اعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي
وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه فقلت يا رب تهت في حبك فلم ادر ما اقول فاغفر لي وعلمني
ما اقول فقال قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على بلائك واوزعني شكر نعمائك واوحى الله الى داود عم
يا داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا
الي وتقطعت اوصالهم من محبتي يا داود هذه ارادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي بالمقبلين
علي يا داود احوج ما يكون عبدي الي اذا استغنى عني وارحم ما اكون بعبدي اذا ادبر عني واجل
ما يكون عبدي اذا رجع الي وهو اي الشوق غلبة التطلع اي الاشراف من وراء حجب الغيب الى الجمال اي
جمال الحق وسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن البصائر والابصار بشدة ظهوره ولذا قيل
شعر لقد ظهرت فما تخفى على احد الا على اكمه لا يبصر القمر لكن بطنت بما اظهرت محتجبا فكيف يعرف
من بالعزة استترا فهو الاول والاخر والظاهر والباطن وانبعاث القلب الى الطلب اي وقيام قلب
العبد الى طلب الرب فلقد كاد للخواص يضرب صدره ويقول واشوقاه الى من يراني ولا اراه ويقال
الشوق نار الله الموقدة من نور بلائه لاهل ولايته اشعلها في قلوب اوليائه حتى تحرق بها ما في قلوبهم
من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات فيكونوا من خلاص اصفيائه ويرتفع بالموت شوق اللقاء
اي الملاقات لحصوله حال النزع والاشراف ولا يرتفع شوق زيادة الانكشاف وهي الرؤية المعبرة
عنها بالزيادة في قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة فللرؤية رتب لا تتناهى لعدم تناهي
تجليات الالهية الصمدية الازلية الابدية ومن جهة عدم نهاية التجليات الجمالية لاهل الجنة قال تعالى لهم
ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد فتزايد النعم ساعة فساعة كما يشير اليه قوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة

ظن القاصرون

درجاته الواحد الذي رزقنا من قبل اي صورة والوانه متشابها اي برده لا الثاني يزيد على
الاول لذة وكذا من جهة عدم نهاية التجليات والجلالية لاهل النار قال عز وعلا فذوقوا فلن نزيدكم
الا عذابا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا غيرها ليذوقوا العذاب فلا يدخل
تحت الحصر دركات اهل النار كما لا يدخل في حيز الحصر درجات اهل الجنة فكل عارف في الجنة
عرضها السموات والارض من غير ان يضيق على مثله اصلا الا انهم يتفاوتون في سعة منتزهاتهم بقدر
درجاتهم في اتساع نظرهم وسعة معارفهم في مقاماتهم فهذا القدر ينبهك على ان معرفة الله تعالى الذ
الاشياء ولذا لا يدرجة النظر والرؤية الا العارفون في الدنيا فالرؤية بقدر المعرفة لان المعرفة هي
البذر الذي ينقلب في الاخرة مشاهدة كما ينقلب النواة شجرة ومن لم يعرف الله في الدنيا لا يراه في العقبى
كما انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي ايضا على درجات
مختلفة ولذا قال عم ان الله يتجلى للناس عامة ولابي بكر خاصة كما رواه ابن عساكر من حديث جابر و
ذلك لانه كما فضل الناس بسر وقر في صدره فضل لا محالة بتجل انفرد به في سره ونوضحه ان طيبة
الجنة لكل واحد فيها ما يشتهيه فمن لم يشتهي الا لقاء الله فلا لذة له في غيرها بل ربما يتاذى به فاذا
نعيم الجنة بقدر رحابة وحب الله بقدر معرفته فاصل السعادات هي المعرفة التي عبر عنها الشرع بالايمان
والاسلام والاحسان والله المستعان فللعارفين في معرفتهم وفكرتهم لمناجاة الله لذات لو عرضت عليهم
الجنة في الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا بها لذة الجنة ثم الواصلون الى رتبة المعرفة ينقسمون الى الاقوياء
المرادين المجذوبين فيكون اول معرفتهم لله تعالى ثم به يعرفون غيره والى الضعفاء المريدين من المجتهدين
فيكون اول معرفتهم بالافعال ثم يترقون منها الى الفاعل والى الاول الاشارة بقوله تعالى اولم يكف بربك
انه على كل شيء شهيد وبقوله شهد الله انه لا اله الا هو ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك
قال عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي والى الثاني الاشارة سنريهم اياتنا في الافاق وفي
انفسهم الاية وبقوله اولم ينظروا في ملكوت السموات وبقوله قل انظروا ماذا في السموات والارض وهذا
الطريق هو الاسهل على الاكثرين والاوسع على السالكين واليه الاكثر دعوة القرآن المبين فالعارف
لا يرى غير الله ولا يعرف سواه ويعلم انه ليس في الوجود الا الله وافعاله اثر من اثار قدرته فهي تابعة
فلا وجود لها بالحقيقة وانما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الافعال كلها ومن هذا حاله فلا
ينظر في شيء من الافعال الا ويرى فيه الفاعل ويذهب عن الفعل من حيث انه ارض وسماء وشجر وماء
بل ينظر فيه من حيث انه صانعا فلا يكون نظره مجاوزا له الى غيره فكل العالم تصنيف الله فمن نظر اليها
من حيث انها فعل الله كان الموحد الحق الذي لا يرى الا الله بل لا ينظر الى نفسه من حيث نفسه بل من
حيث انه عبد الله فهذا الذي يقال انه فني في التوحيد وانه فني عن نفسه واليه الاشارة بقوله

من قال

بقوله من قال كنا بنا فغينا عنا فبقينا بلا نحن ولذا قال ابو سليمان الداراني ان لله عبادا ليس يشغلهم
عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف يشغلهم الدنيا عن الله وفي اخبار عيسى عم اذا رأيت الغني
مشغوفا بطلب الرب فقد الهاه ذلك عما سواه وقال ابو سليمان ايضا من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو
غدا مشغول بنفسه وقال الثوري لرابعة ما حقيقة ايمانك قالت ما عبدته خوفا من ناره ولا رجاء الجنة
فاكون كالاجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا اليه وقالت في معنى المحبة نظما فشغلي بذكرك عمن
سواكا • احبك حبين حب الهوى وحبا لانك اهل لذاكا • فاما الذي هو حب الهوى • فشغلي
بذكرك عمن سواكا • فاما الذي انت اهل له • فكشفك للحجب حتى اراكا • فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي •
ولكن لك الحمد في ذا وذاكا ولعلها ارادت بحب الهوى حب الله لاحسانه اليها وبانعامه عليها بحظوظ
العاجلة وبحبه لما هو اهله الجلال والجمال الذي انكشف لها وهو اعلى الحبين واقواهما وقد قيل لرابعة
ما تقولين في الجنة قالت الجار ثم الدار فبينت انه ليس في قلبها التفات الى الجنة بل الى رب الجنة وبذلك يشير
قول اسية رب ابن لي عندك بيتا في الجنة هذا ومن عرف الله ان اللذات المعرفة والشهوات المختلفة كلها
تنطوي تحت هذه اللذة كما قال الشاعر كانت لقلبي اهواء مفرقة • واستجمعت مذ راتك العين اهوائي •
فصار يحسدني من كنت احسده • وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي • تركت للناس دنياهم ودينهم ••
شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي • وقال بعضهم وهجره اعظم من ناره • ووصله اطيب من جنته • وما
اراد وا بهذا الا ايثار لذة القلب في معرفة الرب على لذة الاكل والشرب والجماع ونحوها فان الجنة
معدن تمتع الحواس فاما القلب فلذته في لقاء الله في مقام الايناس والانس ايضا من اثار المحبة
وهو اي الانس غلبة الفرح بالقرب الى الرب وقصر النظر على المطالعة او مراقبة ومشاهدة ومن
هنا قيل الاستيناس بالناس علامة الافلاس ومن انس بالله توحش عن خلق الله وفي اخبار داود عم
ان الله تعالى قال يا داود ابلغ اهل ارضي اني حبيب لمن احبني وجليس لمن جالسني وانيس لمن
انس بذكري وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن اطاعني ما احبني عبد اعلم
ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسي واحببته حبا لا يتقدم اليه احد من خلقي من طلبني بالحق وجدني
ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا اهل الارض ما انتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي
ومجالستي وسروها وانسوا بي اونسكم واسارع الى محبتكم فاني خلقت طينة احبائي من طينة ابراهيم
خليلي وموسى نجيي ومحمد صفيي وانا خلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي وفي اخبار
داود عم ايضا ان الله اوحى اليه قل لعبادي المتوجهين الى محبتي ما ضركم اذا احتجبت عن خلقي
ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الي بعيون قلوبكم وما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا اذا بسطت
لكم كرامتي وما ضركم سخط الخلق اذا التمستم رضائي وفي اخباره ايضا ان الله اوحى اليه ان كنتم تحبوني

الضرب

فاخرج حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبها لا يجتمعان في قلب يا داود خالص احبتي مخالصة
وخالط اهل الدنيا مخالطة ومن هنا قيل علامة الانس بالحق ضيق صدره من معاشرة الخلق
واستهتاره بعذوبة الذكر دون لذاذة الفكر فاذا خالط فهو منفرد في جماعة ومجتمع في خلوة
وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغائب في شهود ومخالط بالقالب ومباين
بالقلب ويفارق الانس الشوق بكونه اي الانس حالة الاضافة الى الحاضر وذلك اي الشوق حالة
الاضافة الى النائي اي البعيد الغائب ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له انت مشتاق فقال لا انما الشوق
الى الغائب فاذا كان الغائب حاضرا فالى من اشتاق هذا كلام مستغرق بالفرح لما ناله غير ملتفت الى
ما بقي في الامكان من مزايا الالطاف ومن غلب عليه حال الانس لم يكن شهوته الا في الانفراد والخلوة كما
حكي ان ابراهيم بن ادهم نزل من الجبل فقيل له من اين اقبلت فقال من الانس بالله وذلك لان الانس
بالله يقتضي التوحش من غير الله بل كل ما يعوق عن الخلوة فيكون من اثقل الاشياء على القلب كما روي
ان موسى عم لما كلمه ربه مكث دهرا لا يسمع كلام احد من الناس الا اخذه الغشيان لان الحب يوجب
عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره المطلوب فيخرج عذوبة ما سواه من القلوب وقال بعض
الحكماء في دعائه يا من آنسني بذكره واوحشني من خلقه وقال الله لداود عم كن لي مستانسا ومن سوائي
مستوحشا وقيل لرابعة بم نلت هذه المنزلة قالت بتركي ما لا يعنيني وانسي بمن لم يزل وقيل من ذاق
حلاوة الوحدة استوحش من نفس الوجدة وكان يشير اليه قول من قال شعر • وجودك ذنب
لا يقاس به ذنب وعن علي رض في وصف اهل الانس هم قوم هجم بهم الامر على حقيقة الامر فباشروا
روح اليقين • واستلانوا ما استوعره المترفهون • وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا
بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه وقد قيل
شعر • الانس بالله لا يحويه بطال • وليس يدركه بالحول محتال • والانسون كلهم رجال عجب •
وكلهم صفوة لله عمال • ويجدي اي يثمر الانس الانبساط اي النشاط على حاشية البساط
بالاقوال والاحوال والمناجاة على سبيل الادلال كما ورد في التنزيل واذ قال ابراهيم رب ارني
كيف تحيي الموتى وقال موسى رب ارني انظر اليك الخ في الاول اي اجيب ابراهيم بقوله
فخذ اربعة من الطير الآية لوجود الشرط فيما طلبه واعتذر في الثاني اي جواب موسى بقوله
لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني لفقده اي لفقد الشرط وعدمه
كما بينه قوله فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ولولا الانس اي وجوده المقتضي للانبساط
لموسى عم لعوتب على ما صدر عنه بالسؤال والكلام كما احترق قوم الكليم عليه التسليم حيث قالوا
ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فالانبساط قد يكون منكر الصورة لما فيه

من الجرات

من الجرات وهيبة القلة ولكن يحتمل ممن يقيم مقام الانس كموسى عم ومن لم يقم ذلك المقام ونشبه بهم
في الفعل والكلام هلك به واشرف على الكفر بسبب كما في قوم موسى ومثاله ما جاء برخ الاسود الذي
امر الله تعالى موسى كليمه عم ان يسأله ان يستسقي لبني اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين خرج موسى عم
يستسقي لهم سبعين الفا فاوحى الله اليه كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم وسرائرهم خبيثة يدعونني
على غير يقين ويامنون مكري ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى استجيب له فسال عنه
موسى عم فلم يعرف فبينما موسى عم يمشي ذات يوم في طريق اذا بعبد اسود قد استقبله بين عينيه تراب
من اثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى عم بنور الله فسلم عليه فقال ما اسمك فقال اسمي برخ
فقال انت طلبتنا منذ حين اخرج فاستسق لنا فقال في كلامه هذا من فعالك ولا هذا من حلمك وما الذي
بدا لك انقصت عليك عيونك ام عاندت الرياح عن طاعتك ام نفد ما عندك ام اشتد غضبك
على المذنبين الست كنت غفارا قبل خلق الخاطئين خلقت الرحمة وامرت بالعطف ام ترينا انك ممتنع
ام تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما برح برخ حتى اخضلت بنو اسرائيل بالقطر وانبت الله العشب
في نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى عم فقال كيف رايت حين خاصمت ربي
كيف انصفني فهم موسى عم به فاوحى الله اليه ان برخا يضحكني كل يوم ثلث مرات وعن الحسن قال احترقت
اخصاص البصرة فبقي في وسطها خص لم يحترق وابو موسى امير يومئذ بالبصرة فاخبر بذلك فبعث
الى صاحب الخص فاتي بشيخ فقال له يا شيخ ما بال خصك لم يحترق قال اني اقسمت على ربي عز وجل الا يحرقه
فقال ابو موسى اني سمعت رسول الله صلى الله عم يقول يكون في امتي قوم شعثة رؤسهم دنسة ثيابهم
لو اقسموا على الله لابرهم رواه ابن ابي الدنيا في كتاب الاولياء قال الحسين ايضا ووقع حريق بالبصرة
فجاء ابو عبيدة الخواص فجعل يتخطى النار فقال له امير البصرة انظر لا تحترق بالنار فقال اني اقسمت على ربي
عز وجل الا يحرقني بالنار قال فاعزم عليها ان تطفأ فعزم عليها فطفئت وكان ابو حفص يمشي ذات يوم فاستقبله
رستاقي مدهوش فقال له ابو حفص ما اصابك قال ضل حماري ولا املك غيره فوقف ابو حفص وقال
وعزتك لا اخطو خطوة حتى ترد عليه حماره قال فظهر الحمار في الوقت ومر ابو حفص رح فهذا وامثاله
يجري لذوي الانس وليس لغيرهم ان يتشبه بهم قال الجنيد اهل الانس يقولون في كلامهم ومناجاتهم
في خلواتهم اشياء هي كفر عند العامة لو سمعها العوام لكفروهم وهم يجدون المزيد في احوالهم وذلك
يحتمل منهم ويليق بهم واليه اشار القائل شعر • قوم تخالجهم زهو بسيدهم • والعبد يزهو على مقدار •
مولاه • تاهوا برؤيته عما سواه له • يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا • ومن الانبساط قول موسى عم ان
هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وقوله في الاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون
وقومه فقال ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون والا على الترك اي والاولى من المراتب في مقام الانس

هو ترك الانبساط في حضرة المولى اسعفنا عن السؤال في مراتب الانتقال والاحوال كما كان له عم في
غير بل الفتنة حيث كان متادبا في مقام الانس والدلائل واكتفي بالحال عن السؤال تبعا للخليل حين
قال حسبي من سؤالي علمه بحالي كما يشير اليه قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة
ترضاها اي تحبها وتهواها والقرب ايضا من اثار المحبة كما يشير اليه حديث لا يزال العبد يتقرب الي
بالنوافل حتى احبه وهو اي القرب زوال كل معترض اي شاغل ومانع عن ذكره تعالى وفكره وهو اي
المعترض انما هو النفس اي متابعة هواها ومطاوعة مشتهاها قال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه وورد
ابغض اله عبد في الارض الهوى وقيل وجودك ذنب لا يقاس به ذنب والشيطان لانه يدعو غيره الي
الطغيان في الدنيا والي النيران في العقبى ولان نسبة الاضلال اليه ايضا قد يبعد عن حقيقة صفة
الجلال فانه من اسباب الضلالة كما ان النبي عم سبب الهداية فاضافة الهداية الى النبي عم في قوله وانك
لتهدي الي صراط مستقيم مجاوزا وانك لا تهدي من احببت حقيقة ومن المجاز في جانب الاضلال قول الخليل
رب انهن لتهدي من احببت حقيقة ومن المجاز في جانب الاضلال قول الخليل اضللن كثيرا من الناس
فهو الله سبحانه هو الهادي والمضل من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ويضل من يشاء
ويهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين كما هو اعلم بالضالين والخلق لان مخالطتهم غالبا يبعد عن الغيبة
والعبد عن قرب الرب لا سيما حب الاهل والولد والاصحاب والاولاد والاحباب والعقار من البساتين والمتنزهات
من الدور في الديار حتى النوح بطيب اصوات الاطيار وروح نسيم الاسحار فبقدر انسه وقربه الي غيره يبعد
عن انسه وقربه الي مولاه كما انه لا يقرب الانسان من المشرق الا ويبعد من المغرب بالضرورة بقدره الا
لمن وصل الى مقام جمع الجمع بحيث لا يحجبه الوحدة عن الكثرة ولا الكثرة عن الوحدة والدنيا فان قطع علايقها
ورفع عوايقها واخراج حب غير الله من القلب هو الموجب لقرب الرب فان القلب مثل الاناء الذي لا يتسع
للخل والهواء ما يملا منه الماء وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وكمال الحب الموروث القرب ان يحب الله
بكل قلبه وما دام يلتفت الي غيره في زاوية من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشتغل بغير الله وجه وقربه ينقص
منه حب الله ويبعد عن قرب ربه وبقدر ما يبقى في الاناء من الماء ينقص من الخل والهواء ويشير الي هذا
التفريد والتجريد قوله سبحانه قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وقوله ان الذين قالوا ربنا الله اي في
مقام التوحيد ثم استقاموا على مقام التجريد وقدم التفريد بل هو معنى قولك لا اله الا الله اي لا معبود
ولا موجود ولا مشهود سواه وكماله اي القرب الغيبة في رؤية فعله اي غيبة العبد في رؤية افعال
ربه حتى لا يري نفسه ايضا فاعله في الحقيقة كما ورد في التنزيل وما رميت خلقا وحقيقة اذ
رميت كسبا ومجازا وقد سبق تحقيقه وتدقيقه وحاصل المرام في هذا المقام ان الحبيب هو القريب من الله
والقرب من الله هو البعد من صفات البهايم ونعوت الشيطان والتخلق بمكارم الاخلاق التي هي اخلاق

الرحمن فهو قريب بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا وصار قريبا فربما يتوهم بعض ان القرب لما يتجدد
فقد تغير وصف العبد والرب جميعا اذ صار قريبا بعد ان لم يكن وهو محال في حق الله تعالى اذ التغير
عليه من المحال بل لا يزال في نعوت الكمال وصفات الجمال والجلال على ما كان عليه في ازل الازال فكلما صار
العبد اكمل صفة واتم معرفة واثبت في قهر النفس والشيطان صار اقرب الى الرحمن منتهى الكمال فيه وقرب
كل واحد منه بقدر كماله في التخلق باخلاق الله وافعاله والاتصال ايضا من اثار المحبة وليس المراد بالاتصال
هنا ضد الانفصال ولذا قال وهو اي الاتصال يراد به المكاشفة والمشاهدة في مقام المراقبة والمشاهدة
اقوى من المكاشفة اذ يتصور وهم الخلاف في المكاشفة بخلاف المشاهدة والحاصل ان المكاشفة اول نتايج
المجاهدة والمشاهدة نهاية المساعدة ويشير اليه قوله عم بعد ذكر الايمان والاسلام والاحسان ان
تعبد الله كانك تراه وان لم تكن تراه فانه يراك وقيل المحاضرة ابتداء والمكاشفة بعده والمشاهدة
انتهاء والمحاضرة حضور القلب وقد يكون بتواتر البرهان وهو بعد وراء الستر وان كان حاضرا
باستيلاء الذكر والمكاشفة حضوره بنعت البيان غير مفتقر الي تامل دليل وطلب سبيل والمشاهدة
هو وجود الحق من غير بقاء تهمة وبلا ريبة فاذا اصحا سماء الاسرار عن غيوم الاستار فشمس الشهود
مشرقة عن برج شرف الانوار كذا في الارشاد المريدين وهو تفسير علم اليقين وعين اليقين وحق
اليقين شعر • عباراتنا شتى وحسنك واحد • فكل الي ذاك الجمال يشير • كما في قول ابن عمر رضي الله عنهما كنا
نتراءى اي الله تعالى في ذلك المكان اي نتكلف في مشاهدته او نجتهد حتى نصل الي مرتبة رؤيته
ومن لم يحضره في ذلك الحال الذي هو على الشان جلي البرهان وانما قال هذا الكلام حال كونه
معتذرا عن تركه رد السلام لبعض الصحابة الكرام في الطواف اي في حال طواف بيت الله الحرام
وحارثة اي وكلمة قول حارثة للنبي عم كما سبق في تحقيق المقام وما ورد اي وكما في ما ثبت اعبد الله
وهذا نقل بالمعنى والصواب ان ينقل بالمبنى وهو ان تعبد الله كانك تراه وهذا مقام اعلى للعبد و
اقصاه واما ادناه فكما يشير اليه اخر الحديث فان لم تكن تراه فانه يراك وقد بسطنا القول فيه
في شرح الاربعين وهو خير المعين وحب الله تعالى العبد اي للعبد ايضا من اثار محبة العبد له سبحانه
وورد في التنزيل ما يدل علي ثبوت المحبة من الجانبين حيث قال يحبهم ويحبونه وفي تقديم يحبهم ايماء
الي ان الاصل هو المحبة الازلية الصمدية الموجبة لمحبة العبد المحبة الابدية وورد في الحديث اذا
احب الله تعالى عبدا ابتلاه بالمصائب على قدر ماله من المراتب فان اشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل
فان احبه الحب البالغ اقتناه واقتناء المال وغيره اتخاذه قنية والمعنى اختياره من بين خلقه
وجعله من خواص ملكه وفي رواية قيل ما اقتناه قال لم يترك له اهلا ولا ولدا اي في قلبه فعلامة
محبة الله الذي يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره كما يشير اليه قوله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه

محبة الله للعبد

رواه الطبراني وفي رواية اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر على بلائه اجتباه في مقام ولايته وان
رضي باعطائه اصطفاه لمقام لقائه وبعض العلماء اذا رايتك تحبه ورايته يبتليك فاعلم انه يريد
ان يصافيك والحديث الثاني ذكره صاحب الفردوس من حديث علي ولم يخرجه ولده في مسنده وقد يتوهم
من المتن انهما حديث واحد وليس كذلك كما بيناه وورد ايضا اذا احب الله عبدا من عبيده جعل له
واعظا من نفسه بصيرة بعيوب نفسه ويروى من طريق انس وزاجرا من قلبه يامره بالخير وينهاه
عن الشر والحديث رواه ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ام سلمة باسناد حسن ولكن
بلفظ اذا اراد الله بعبد خيرا الحديث ولمن حديث انس كما رواه الديلمي اذا احب الله عبدا لم يضره
ذنب والتائب كمن لا ذنب له ثم تلا ان الله يحب التوابين ومعناه انه اذا احبه تاب عليه قبل الموت فلم يضره
الذنوب الماضية وان كثرت كما لا يضره الكفر الماضي قبل الاسلام وان كبر وقال عم ان الله تعالى
يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب رواه احمد والحاكم وصححه من حديث
ابن مسعود ولاحمد وابي يعلى من حديث ابي سعيد من اكثر ذكر الله احبه الله وعن رابعة من احب
شيئا اكثر ذكره فذكر الله علامة لمحبة الله ولمحبة العبد اياه وفي الصحيحين من احب لقاء الله
احب الله لقائه وقال زيد بن اسلم ان الله ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول اعمل ما شئت
فقد غفرت لك ويؤيده انه ورد مثل هذا لاهل بدر ومعناها اي معنى محبة الله العبد ان يبتليه
به اي من علامة ما احب العبد للمولى ان يبتليه بالبلاء الموجب لزيادة ولائه واما علامة كونه محبوبا
له تعالى ان يتولى الله تعالى شانه ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر لامره
والمزين لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه وجاعل همومه هما واحدا من
ذكر ربه والمبغض الدنيا في قلبه الموحش له من غيره والمونس له بلذة المناجاة في خلوته والكاشف
له عن الحجب بينه وبين معرفته فانظر في تحقيق هذا المبنى فما ايسر الدعوى وما اعز المعنى وقد قال
بعض العلماء ليس في الجنة نعيم اعلى من نعيم اهل المحبة والمعرفة ولا في جهنم عذاب اشد من عذاب من ادعى
المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشيء من ذلك وقد جاء من بعض المتجرين من المفسرين في قوله تعالى ويوم القيمة
ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة انهم هم الذين ادعوا المعرفة والمحبة من غير تحقق تلك
الحالة فلا يصلح العبد بعزه اي بعز مولاه فيما قدره وقضاه كما ورد في التنزيل واصطنعتك
اي اخترتك بالرسالة لنفسي اي لمعرفة ذاتي وصفاتي وعلاماتها اي امارات محبة العبد لله ثمانية كما انها
لانه قد يدخل في الدعوى ما يجاوز حد المعنى ويزيد عليه في المبنى فينتظم عليه العقوبة في العقبى ويعجل
عليه البلوى في الدنيا لكونه ذلك من الافتراء على الله نعم قد يكون المحب سكرة في حبه حتى يدهش في عقله و
فيضطر الى اظهار حبه لربه والا فصدور الاحرار قبور الاسرار ولقد قال بعض الابرار شعر

من اطلعوا على سر فنيت به لو باسوه على الاسرار ما عاشا وحب الموت فانه سبب اللقاء ولذا قال عم لن تروا
ربكم حتى تموتوا وقال حذيفة عند الموت حبيب جاء على فاقة لا افلح اليوم من قدم وفي وصية ابي بكر لعمر
رضي الله عنهما الحق ثقيل وهو مع ثقله مرئ والباطل خفيف وهو مع خفته وبي فان حفظت وصيتي لم يكن غائب
احب اليك من الموت وهو مدركك وان ضيعت وصيتي لم يكن غائب ابغض اليك من الموت ولن تعجزه و
كان الثوري وبشر الحافي يقولان لا يكره الموت الا المريب لان الحبيب على كل حال لا يكره لقاء الحبيب نعم
من يكون في ابتداء مقام المحبة ليس يكره الموت بل يكره عجلته قبل ان يستعد للقاء ربه وعلامته المداومة
على الطاعة واستغراق الهم في استعداد زاد المعاد وان يكون مؤثرا ما احب الله على ما يحب نفس العبد وهواه
فان من بقي مستمرا على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه بل ترك المحب هوى نفسه لهوى محبوبه كما قيل شعر
اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد والاطاعة اي بمداومة الطاعة بقدر الاستطاعة
فمن احب الله لا يتبع هواه كما قال ابن المبارك شعر تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري في الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع وفي هذا المعنى من بديع المعنى شعر واترك
ما اهوى لما قد هويته وارضى بما يرضى وان هلكت نفسي والتلذذ في العبادة بالمواظبة على الذكر
والمداومة على الفكر وكثرة التلاوة فقد حكي عن بعض المريدين قال كنت قد وجدت حلاوة المناجاة
في شدة الارادة فادمنت قراءة القران ليلا ونهارا ثم لحقتني فترة فانقطعت عن التلاوة
قال فسمعت قائلا يقول في منامي ان كنت تزعم انك تحبني فلم جفوت كلامي اما تدبرت ما فيه من لطيف
عتابي وشريف خطابي فانتبهت وقد اشرب قلبي تلاوة القران فعاودت الى حالي وقال ابن مسعود
لا ينبغي ان يسال احدكم الا القران فان كان يحب القران فهو يحب الله تعالى وان لم يكن يحب القران
فلم يكن يحب الله وقال سهل علامة حب الله حب القران وحب القران حب النبي عم وعلامة حب النبي حب
السنة وعلامة حب السنة حب الاخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا ياخذ منها الا زادا
يبلغه الى العقبى وعن مطرف ان المحب لا يسام من حديث حبيبه واوحى الله الى داود عم قد كذب
من ادعى محبتي فاذا جنه الليل نام عني اليس كل حبيب يحب لقاء حبيبه فها انا ذا موجود لمن
طلبني وقال يحيى بن معاذ من احب الله ابغض نفسه اي لانه مما سواه وقال ايضا من لم تكن فيه ثلث
خصال فليس بمحب يؤثر كلام الله على كلام الخلق ولقاء الله على لقاء الخلق والعبادة على خدمة العبيد
ثم اعلم انه ليس في الوجود غيره سبحانه في عين اهل الشهود ومن ذاته وصفاته ومصنوعاته ولذا ذكر
عن الشيخ ابي سعيد الميهني لما قرئ عليه قوله يحبهم ويحبونه قال بحق يحبهم فليس يحب الا نفسه على معنى انه
الكل وان ليس في الوجود غيره فمن لا يحب نفسه وافعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته
وتوابع ذاته من حيث انها متعلقة بذاته فهو اذا لا يحب الا نفسه كما ان العالم لا يحب جميع مصنوعاته

ومكنونات الامن حيث اثار قدرته وانوار ارادته واسرار صفاته وما ورد من الفاظ في محبة
عباده انما لبساه ويرجع معناه الي كشف الحجاب عن قلبه حتي يراه بقلبه ويشاهده بلبه والي تمكنه اياه
من قربه والي ارادته ذلك به في ازله فحبه لمن حبه ازلي مهما اضيف الي الارادة الالهية الازلية
اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طريق الازلية القرب الي الرب واذا اضيف الي فعله الذي
يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث سببه الذي يقتضيه كما قال لا يزال العبد يتقرب
الي بالنوافل حتي احبه فيكون تقربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجب عن قلبه وحصوله
في درجة القرب من ربه وكل ذلك فعل الله ولطفه به فهو معني حبه وجملة الكلام في هذا المقام ان
حب العبد لله ثمرة حب ربه الازلي ونتيجة حب ربه الابدي لحب العبد مكتنف بين حبي الرب كما يشير
اليه قوله يحبهم ويحبونه مع قوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ثم لا يخفى
ان مراتب الحب وما فيه من الدرجات انما تكون علي قدر الطاعة والعبادات ويدل علي تفاوت المقامات
ما روي ان ابا حذيفة بن ربيعة بن عبد شمس لما زوج اخته فاطمة من سالم مولاه عاتبته قريش
في ذلك وقد قالوا انكحت عقيلة من عقايل قريش مولى فقال والله لقد انكحته اياها واني لاعلم
انه خير منها فكان قوله اشد عليهم من فعله قالوا فكيف وهي اختك وهو مولاك فقال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اراد ان ينظر الي رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الي سالم كذا في
الاحياء وقال مخرج احاديثه من حديث ابي حذيفة وروى ابو نعيم في الحلية المرفوع منه في عمران
سالما يحب الله حقا من قلبه وفي رواية ان سالما شديد الحب لله عز وجل لو لم يخف الله ما عصاه
فهذا يدل علي ان من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب غيره ايضا فلا جرم يكون تنعمه بلقاء الله
عند قدومه عليه علي قدر حبه له وعناه بفراق الدنيا عند الموت علي قدر حبه لها وتعلقه بها
وقد قال بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب احب الله حبا متوسطا واذا دخل سويداء
القلب احبه الحب البالغ وترك المعاصي وقال الجنيد الناس في محبة الله عام وخاص فالعوام
نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام احسانه اليهم وكثرة نعمه عليهم فلم يتمالكوا ان احبوه الا انهم يقل حبهم
ويكثر علي قدر نعمته قلت ويشير الي ذلك قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع
وامنهم من خوف بل ايماء الي رجائهم للجنة وخوفهم النار في دار القرار ومن هنا قال الشبلي
لما سمع قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة فاين من يريد الله وقد اجبت
عن هذا في بعض مؤلفاتي والمصيبة اي وتلذذ في البلية لما يري فيهما من فعل المبلي سواء يكون
في مقام الصبر او الرضاء او الشكر والحرص في الخلوة عن الخلق دون الجلوة لانها غالبا تمنع عن
مشاهدة الحق واقل درجات الحب التلذذ بالخلوة التنعم بمناجاته من دون الرياء والسمعة فمن كان

المقام والاشتغال بكلام الدنيا الذل عنده من العبادات واطيب من مناجاة الله فكيف تصح محبته
فعلامة كمال الانس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة وكمال الاستيحاش من كل ما ينغص عليه الخلوة و
يفوته عن لذة المناجاة وعلامة الانس ان يصير العقل والفهم كله مشغوفا بلذة المناجاة كالذي
يخاطب معشوقه ويناجيه وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان في صلوته فوقع الحريق في داره
ولم يشعر به وقطعت رجل بعضهم بسبب علة اصابته وهو في الصلوة ولم يشعر به وعن الصديق من ذاق
من خالص محبة الله شغله ذلك من طلب الدنيا واوحشه من جميع البشر والمناجاة اي والحرص في الدعاء والثناء
والثناء في جميع الحالات والمقامات فيواظب علي التهجد ويغتنم هدو الليل وصفاء الوقت عن الخلايق بانقطاع
العلايق وانفصال العوايق ويبغض الدنيا بان لا يأخذ منها الا الزاد العقبي من سلوك طريق المولي
وفي اخبار داود عليه السلام لا تستانس الي احد من الخلق فاني انما اقطع عني رجلين رجل استبطاء ثوابي
فانقطع ورجل نسيني فرضي بحاله وعلامة ذلك ان اكله الي نفسه واذا دعه في الدنيا حيران ثم مهما
انس بغير الله صار مستوحشا من الله ساقطا عن درجة محبته وفي قصة برخ وهو العبد الاسود الذي
استسقى موسى عليه السلام اذ الله تعالى قال لموسى ان برخا نعم العبد هو الا ان فيه عيبا قال رب وما عيبه قال يعجبه
نسيم الاسحار فيسكن اليه ومن احبني لم يسكن الي غيري والوحشة من الخلق لان محبة الله ومحبة غيره لا
يجتمعان واتحاد الهم هم الدين لما ورد من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله هم الدنيا والاخرة قال
بعض العارفين ان الله تعالى عباد احبوه فاطمأنوا اليه فذهب عنهم التاسف علي كل ما فاتهم فلم يشتغلوا
بحظ انفسهم اذ كان ملك مليكهم تاما وما شاء كان فالكان لهم فهو واصل اليهم وما فاتهم
فبحسن تدبيره لهم ثم من حق المحب اذا رجع من غفلته في لحظة ان يقبل علي محبوبه ويشتغل بالعتاب
لنفسه ويسالم ويقول يا رب باي ذنب قطعت برك عني وابعدتني عن حضرتك وشغلتني
بنفسي وبمتابعة الشيطان وطريقها اي الطريق تحصيل المحبة السلوك اي سير مسالك اهل الشريعة
والطريقة والحقيقة من منازل السائرين ومراحل الطائرين وقد قيل ان الطريق الي الله بعدد
انفاس الخلايق وفيه تنبيه نبيه علي ان كل مخلوق له سر مع خالقه لا يطلع عليه الا من هو اقرب منه اليه
وعن هذا قال تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ثم اقرب الطريق الي الله تعالى
هو المحبة وهي حاصلة بمتابعة الكتاب والسنة ومخالفة الهوى والبدعة وتمام باجتناب السيئات
من المحرمات والمكروهات واكتساب الطاعات من الفرايض والنوافل من السنن المؤكدات والمستحبات فورد
لا يزال العبد يتقرب الي اي بعد اداء الفرائض والواجبات والسنن والرواتب بالنوافل من الصلوة
والطواف والذكر والفكر والثناء والدعاء وما استحسنه العلماء حتى احبه حبا يليق بارباب
المناقب فان الحبيب حبا يليق فاكنت له سمعا يسمع بي وبصرا يبصر بي وقلبا يعقل بي ويدا يبطش

لي ورجعلة تنفوي لي رواه البخاري وغيره بالفاظ مختلفة فيستنتج ذلك من السالك صفاء ذكر
ورقة قلب ورقة فكر يمحو عنه ما سبق من الغفلة ويكون هفوة سببا لتجدد ذكر ربه وصفاء قلبه
ومهما لم ير الحب الا المحبوب ولم ير شيئا الا منه لم ياسف على فقد المطلوب واستقبل الكل بالرضا بما وقع
من القضاء وعلم ان المحبوب لم يقدر له الا ما فيه خيرة وبتذكر قوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا فهو خير لكم
ولعله عم قال في هذا المقام انه ليغان على قلبي في اليوم والليل فاستغفر الله سبعين مرة كما في الصحيحين
وانما كان استغفاره من القدم الاول فانه كان بعدا بالاضافة الى القدم الثاني كما قيل حسنات الابرار
سيئات المقربين الاحرار ويكون ذلك عقوبة لاهل التوفيق على الهفوة في الطريق والالتفات الى غير الحبيب
والرفيق كما روي عنه عم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى انه قال في بعض الكتب المنزلة ان ادنى ما اصنع
بالعالم اذا اثر شهوات الدنيا على طاعتي ان اسلبه لذة مناجاتي فسلب المزيد بسبب الشهوات عقوبة
العموم واما الخصوص فمحجوبون عن المزيد بمجرد الدعوى والعجب والركون الى ما ظهر من عوائد اللطف
وذلك هو المكر الخفي الذي لا يقدر على الاحتراز منه الا القوي من ذوي الاقدام الراسخة وقد سمع
ابراهيم بن ادهم قائلا يقول وهو في سياحته وكان على جبل لبنان شعر • كل شيء منك مغفور
سوى الاعراض عنا • وقد وهبنا لك ما فاتك بقي ما فات منا • فاضطرب وغشي عليه فلم يفق يوما وليلة
وطرت عليه احوال وغلبة ثم قال سمعت النداء من الجبل يا ابراهيم كن عبدا فكنت عبدا واسترحت
وقد قدمنا ان درجات الحب لا نهاية لها في مقام القرب فحق العبد ان يجتهد في كل نفس ما يفيد حبا
حتى يزداد فيه قربا ولذا قال عم من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من امسه فهو ملعون
كذا في الاحياء وقال هو رح لا اعلم هذا الا في منام لعبد العزيز بن ابي رواد قال رايت النبي عم
في المنام فقلت يا رسول الله اوصني فقال ذلك بزيادة في اخره رواه البيهقي ولعل تلك الزيادة
ما في بعض الروايات ومن لم يكن في زيادة فهو في نقصان وقد قال الشيخ البستي شعر • زيادة المرء
في دنياه نقصان • وربحه غير محض الخير خسران • وقال بعض العارفين من عبد الله بمحض المحبة
من غير خوف هلك بالبسط والادلال ومن عبده بالخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد و
الاستيحاش ومن عبده من طريق المحبة والخوف احبه الله تعالى وقربه ومكنه وعلمه فالمحب لا يخلو
عن خوف والخائف لا يخلو عن محبة ولكن الذي غلبت عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف
الا اليسير يقال هو في مقام المحبة ويعد من المحبين ويجعل في طريق السير من الطائفة المجذوبين
المحبوبين وقد قيل في وصف الحال العارفين شعر • قريب الوجد ذو مرمى بعيد • عن الاحوال
منهم والبعيد • لقد عزت معانيه فغابت • عن الابصار الا للشهيد • غريب الوصف ذو علم
غريب كان فؤاده زبر الحديد • يرى الاعياد في الاوقات تجري • له في كل يوم الف عيد • و

وللاحباب

وللاحباب افراح بعيد ولا يجد السرور له بعيد وكان الجنيد ينشد ابياتا يشير بها الى اسرار
العارفين وان ذلك لا يجوز اظهاره للغافلين وهي هذه حرفت باناس في الغيوب قلوبهم •
تحلو بقرب الماجد المتفضل • عراصا بقرب الله في ظل عرشه • تجول بها ارواحهم وتنقل • مواردهم
فيها على العز والبها • ومصدرهم عنها لما هو اكمل • تروح بعز مفرد من صفاته • وما لكم اولى الذي به
واعدل • ساكتم من علمي به ما يصونه • وابذل منه ما ارى الحق يبذل • فاعطي عباد الله منه
حقوقهم • وامنع منه ما ارى المنع اعدل • على ان للرحمن سرا يصونه • الى اهله السر والصون اجمل
فامثال هذه المعارف التي اشير اليها لا يجوز ان يشترك الناس فيها ولا ينبغي ان يظهرها من انكشف
له شيء منها لمن لم ينكشف له عنها بل لو اشترك الناس فيها لخربت الدنيا ولم يبق على نظامها فالحكمة
تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا وتمامها ولذا قيل الغفلة من الله رحمة ولولا الحمقى لخربت الدنيا
بل لو اكل الحلال اربعين يوما لتعطلت الدنيا لزهدهم فيها وذهولهم عنها وبطلت الاسواق
والمعايش منها بل لو اكل العلماء من محض الحلال لاشتغلوا بانفسهم بتحصيل الكمال ولو قفت الالسنة
والاقلام عن كثير مما انتشر من العلوم بين الانام ولكن لله فيما هو شر ظاهر حكم واسرار على
ما لا يخفى كما ان له في الخير اسرارا وحكما لا تحصى فلا نهاية لحكمته ولا غاية لقدرته هذا وقد يظهر
مقال الشرع على لسان العارف حال السكر فهو معذور ولانه سهو وادر بما يشتعل من الحب نيرانه فلا
يطيق سلطانه وقد يقبض القلب به فلا يندفع فيضانه ولا ينطق لسانه فيقول القادر على
كتمانه شعر قالوا قريب فقلت ما انا صانع بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري فما لي منه غير ذكر
بخاطر يهيج نار الحب والشوق في صدري والعاجز عنه يقول شعر • تخفى فتبدي الدمع اسراره
ويظهر الوجد عليه النفس • ويقول ايضا شعر • ومن قلبه مع غيره كيف حاله • ومن سره في جفنه
كيف يكتم • وكان صاحب البردة اخذ من هذه الزبدة في قوله • ايحسب الصب ان الحب منكتم ما بين
منسجم منه ومضطرم • وقال بعض العارفين اكثر الناس من الله بعدا اكثرهم اشارة به اي الى مقام
قربه وقد دخل ذو النون المصري على بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة فراه مبتلا ببلاء فقال
لا يحبه من وجد الم ضربه فقال الرجل لكني اقول لا يحبه من لم يتنعم بضربه فقال ذو النون ولكني
اقول لا يحبه من نفسه بحبه فقال الرجل استغفر الله واتوب اليه من دعوى حبه وقد قال
ابو تراب النخشبي في علامة الحب ابياتا منها شعر • لا تخدعن فللحبيب دلائل • ولديه من تحف الحبيب وسائل •
منها تنعمه بمر بلائه • وسروره في كل ما هو فاعل • فالمنع منه عطية مقبولة • والفقر اكرام وبر عاجل • ومن
الدلائل ان يرى من عزمه • طوع الحبيب وان الح العاذل • ومن الدلائل ان يرى متبسما • والقلب فيه
من الحبيب بلابل • ومن الدلائل ان يرى متفهما لكلام من يحظى لديه السائل ومن الدلائل ان يرى

تقشفنا متحففنا من كل ما هو فاني وقال يحيى بن معاذ الرازي في هذا المعنى من المبني شعر ۰
ومن الدلائل ان تراه مشمرا ۰ في خرقتين على شطوط الساحل ۰ ومن الدلائل حزنه ونحيبه ۰ جوف الظلام
فما له من عاذل ۰ ومن الدلائل ان تراه مسافرا ۰ نحو الجهاد وكل فعل فاضل ۰ ومن الدلائل زهده فيما ترى
من دار ذل والنعيم الزائل ۰ ومن الدلائل ان تراه باكيا ۰ ان قد راه على قبيح فاعل ۰ ومن الدلائل ان
تراه مسلما ۰ كل الامور الى الملك العادل ۰ ومن الدلائل ان تراه رضيا ۰ بمليكه في كل حكم نازل ۰۰۰
ومن الدلائل ضحكه بين الورى ۰ والقلب محزون كقلب الثاكل ۰ وهو اي السلوك او طريقه بلزوم
عشرة اشيا يكون رفيقه بلزوم الوضوء اي الطهارة الظاهرة فهو اي الوضوء وما في معناه ينور
القلب بسبب تاثير صفاء الظاهر لصفاء الباطن والخلوة اي وبلزومها عن الجلوة فهي اي الخلوة
تفرغ عن الشواغل المانعة عن تحصيل الفضائل وتقدم تحقيق بحث الخلطة والعزلة ثم القوم
يختلفون في طريق سلوكهم فمنهم من جعل مدار الخلوة على خلوة القلب عن ذكر الرب ومشاهدة
الحق ولو كان في مجمع الخلق كما يشير اليه قوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وهو
طريق السادة النقشبندية والقادة الشاذلية ويقال في حقهم انهم غريبون قريبون
وكائنون وغريبون ومنهم من اختار الخلوة المتعارفة بينهم تهوينا للمبتدي
وتسهيلا للمنتهي وكان المصنف منهم ولذا قال والاولى ان يكون السالك الذاكر في بيت مظلم
ليس فيه منافذ الا ما لا بد منه او يلف راسه اذا كان في مسجد ونحوه ويغمض عينيه حال ذكره وفكره
لا حين صلوته فانه مكروه على خلاف دابه عم وسنته وانما يختار البيت المظلم ولف الراس وتغميض
العين لتركد الحواس اي تسكن وتستقر وفيه ان ما ذكر انما هو يسكن حاسة البصر ولعله اراده
بصيغة الجمع لتوارد النظر والسكوت اي بلزوم عن غير ذكر ربه فقد ورد من صمت نجا ومن
كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فهو
اي السكوت المشتمل على الفكر يلقح العقل اي ينتج كماله ويقوي القوى من اللسان وما يتبعه من الجوارح
والاركان والجوع اي وبلزوم للصيام او للصبر على فقده والا فهو ليس مطلوبا بنفسه ولذا ورد
في دعائه عم واعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع فانه اذا اشتد عن حده يكون شاغلا لصاحبه
عن ذكر ربه وفكره والسهر في الذكر والفكر والعبادة والتلاوة والا فهو ايضا ليس بمطلوب
في حد ذاته فهما اي الجوع والسهر ينوران القلب اذا كان مشتغلا بذكر الرب بتقليل دمه و
ذوبان شحمه فيكون مضيقا لمجاري الشيطان ودخوله ووصوله فيحتاج رعايتهما على الاعتدال فانهما فا
الافراط والمبالغة فيهما شاغل عن العبادة كالتفريط والتقصير عن قدر الحاجة لارباب الارادة
واصحاب السعادة ونفي الخواطر وبلزوم نفيها ودفعها اذا كانت مذمومة كما قال العارف بن

الفارض

الفارض شعر ۰ ولو خطرت لي في سواك ارادة ۰ على خاطري سهوا حكمت بردتي ۰ اي بارتدادي عن
مقام كمالي وحال ودادي وهذا اذا استقرت للخواص ولم تكن من العوارض والا فلا عبرة لها واشار اليها
بقوله فالتمييز بين الخاطر الالهي والملكي والشيطاني والنفسي شاغل للسالك عما هو بصدده من حصول
ذكر ربه ووصول قربه في مقام حبه والتسليم اي وبلزوم تسليم وتفويض له تعالى في كل حال من جميع
اموره الدنيوية والاخروية فيترك تدبيره واختياره في جميع احواله الى ما يريده الحق في ازله
ونصب متفقد اي وبلزوم تعيين خادم متفقد للوازمه يبلغ القوت الحلال اي يوصل اليه ماكوله
ومشروبه من مال الحلال والا فشبهه اقرب اليه من الحرام فان هذا الزمان زمان الشبهات وفقدان
الحلال الصرف من الطيبات فهو اي الحلال الاصل في محافظة الاعمال والافعال كما يشير اليه قوله تعالى
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا كلوا ما رزقناكم
واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون فقدم اكل الحلال على الاعمال وقد امر الله به المؤمنين بما امر
المرسلين اشعارا بان هذا شان السالك من السابقين واللاحقين ولان الحلال يثبت ثواب
عبادة لم يفعله الشخص والحرام يبطل ثواب عبادة فعلها وتوضيحه شخص تعب في النهار
بسبب كسب الحلال وكانت له وظيفة عبادة في الليل من الاعمال ففاتت منه العمل بسبب فتور
البدن وظهور الكسل فلا شك انه يثاب على تلك العبادة بسبب تحسين النية في الارادة و
من اكل الحرام ولبس الحرام وترك المنام وقام الليلة كلها بالصلوة وسائر انواع العبادات
لا يقبل منه كما ورد من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيه درهم حرام لم يقبل الله له صلوة ما دام
عليه منه شيء رواه احمد عن ابن عمر بل قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين يعم اكل الحرام وسائر
المحرمات على الانام وترك غير الفرايض القطعية والظنية والرواتب اي وغير السنن المؤكدة
للصلوة الخمس وهذا اللزوم بالنسبة الى المبتدي حيث الافضل في حقه مجرد الذكر واما بالنسبة
الى المتوسط فالاكمل في حقه التلاوة وبالنسبة الى المنتهي الصلوة لانها جامعة للذكر والتلاوة و
للجوارح واختلاف الحالة كما في عوارف المعارف وذكر الدائم اي ولزوم الذكر على سبيل الدوام
مستقبلا لبيت الله الحرام مع الحضور اي حضور القلب في مشاهدة الرب ولعله اراد بالحضور
هي مجرد نفي الغفلة واما الذكر فانما يكون باللسان اي بلسان البيان او بلسان القلب والجنان
او بالجمع بينهما وهو اكمل وان كان الذكر الخفي افضل لقوله تعالى واذكر ربك في نفسك وهو يحتمل
انه اراد به الخفية عن الخلق واخفى منها وهي الرمز للحق كما لا يخفى وكذا ما ورد خير الذكر الخفي
وورد ان الذكر الذي لا يعلم الحفظة افضل مما تعلم سبعين ضعفا فلذا اختاره النقشبندية
لتسليك المريدين قياما ونهم بان يلصقوا السنتهم الى حنكهم ويقولوا بلسان قلوبهم لا اله الا الله

وهو المثبت فنفي لا اله ينفي ما سوى الله وفي الا الله الاثبات صفاته ويريدون بالكلمة نفي الا المعبود
او موجود او مشهود بحسب مراتبهم وتفاوت مناصبهم واما اهل الذكر الجلي او الخفي باللسان فيشيرون في النفي
الى جانب اليمين وفي الاثبات الى جانب اليسار وهو القلب وهذه كلها اصطلاحات المشايخ الكبار واختيارات
لهم في مقام الاظهار والاظهار وان لم يثبت عن النبي المختار تلقين ذكر ولا اعطاء خرقة ولا طريق
مصلحة انما الثابت بالتواتر الصحبة والسنة اذا عرفت هذا قيل افضل الذكر هو الله لانه الحق لا سواه
الا انه لا يحصل به التوحيد في مقام التفريد اذ اثبات وجوده لا شك لاحد في شهوده ولذا قالت
رسلهم افي الله شك وقال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فلا بد من كلمة التوحيد
لتحقق صفة التفريد وقد امر جميع الانبياء والرسل لذلك لاتباعهم واشياعهم وورد عن نبينا صلى
الله تعالى عليه وسلم افضل الذكر لا اله الا الله تمام وافضل الدعاء الحمد لله كما رواه الترمذي والنسائي و
النسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن جابر مرفوعا وقيل الله لا اله الا هو الحي القيوم وهو لا ينافي
ما تقدم لما فيه من زيادة الحي القيوم ولانه اية من القران واتم على التوحيد مع زيادة البرهان
فالحي الازلي الابدي يشير الى ان غيره لا يصلح للالوهية لانه اما لا حيوة له ولا حياته حادثة والقيوم
هو الذي يقوم بذاته ويقوم غيره باظهار صفاته من قدرته وارادته وحكمته في مصنوعاته
وفي هذا التلويح الى بطلان ما تقوله الوجودية من المعية في المراتب الشهودية حيث قال ابن عربي
سبحان من اوجد الاشياء وهو عينها وقد وقع التناقض في عين كلام المنافي المرام فانه اذا
الاشياء واحدثها كيف يتصور ان يكون عينها فما للتراب ورب الارباب فهو ابعد من قول
بالايجاد في مقام الاتحاد والله رؤف بالعباد ثم ورد في بعض الروايات تقوية لما تقدم الاسم
الاعظم ثابت في اية الكرسي اي في اولها وال عمران اي في صدر صورتها وهما يشتركان
فيه اي في وجود لفظ الله لا اله الا هو الحي القيوم فيهما دون غيرهما من السور فانها خالية
عنهما والحديث رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه وابن ابي شيبة عن اسماء بنت يزيد
مرفوعا بلفظ اسم الله تعالى الاعظم في هاتين الايتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن
الرحيم وفاتحة ال عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم والظاهر ان في الايتين كلتاهما معا
على سبيل الاجتماع ويحتمل الانفراد وكذا الكلام فيما ورد من حديث ابي امامة اسم الله الاعظم في
ثلث سور البقرة وال عمران وطه قال القاسم التابعي فالتمسته فوجدته ان الحي القيوم
لوجوده فيها ويؤيده حديث اصحاب السنن الاربعة وغيرهم ان الاسم الاعظم يا حي يا قيوم المناسب
لما تقدم والله اعلم واما ما اورده المصنف رحمه الله في حديث ثم في المستدرك للحاكم عن سعد بن
ابي وقاص اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى لا اله الا انت سبحانك

افضل الذكر

اسم الله الاعظم

اني كنت

اني كنت من الظالمين وهو دعوة ذي النون يونس عليه السلام ويؤيده قوله سبحانه فاستجبنا له ونجيناه من
الغم وكذلك ننجي المؤمنين وقيل هو هو حيث صدر به وختم به في قوله هو الله الذي لا اله الا هو فقال
شعر اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره • هو المسك ما كررته يتضوع • ومن هنا قيل ان في كلمة الجلالة انواعا
من الجلالة اذ لو حذف الف بقي لله ولله ملك السموات والارض واذا حذف لام الاولى بقي له وله
ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الاولى والاخرة وله الكبرياء في السموات والارض واذا حذف
لام الثانية بقي هو لا اله الا هو قل هو الله احد الخ هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو
بكل شيء عليم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فسبحان من لا يعرفه ما هو الا هو وقد جاء في الاسم
الاعظم روايات اخر كما بينته في شرح الحصن والجمهور على ان الاسم الاعظم هو الله وقد قال
القطب الرباني السيد عبد القادر الجيلاني ان الله هو الاسم الاعظم لكن بشرط ان تقول
وليس في قلبك سوى الله ومن هنا قال الشيخ مشايخنا ابو الحسن البكري قدس الله سره السري
في اول حزبه استغفر الله مما سوى الله وتعقبه بعض العلماء الظاهر حيث لم يعرف الله ولا ما
سواه فقد صرحت في جوابه وبينت القول بصوابه والاولى فيه اي في المختار من الاذكار
الاستغناء من القلب فيختار ما يلهم القلب الرب فيواظبه ليلا ونهارا وسرا وجهرا حتى يسقط
حركة اللسان اي كلفتها ويجري الذكر على اللسان دون اختيار اي من غير تكلف تذكار و
احضار ثم يرجع الذكر الى القلب اي ينتهي اليه ويستولي عليه ثم يمحى وينمحي الحروف من
المبنى ويبقى المعنى ثم يرتفع العدد من المائة الف ونحوها ما لا بد له احضار المبنى ويصير
مداومة تصور الذكر حالة مستديمة دالة على رتبة مستقيمة ومنه يحدث المحبة وتظهر المودة
فلا ينسى المذكور في حال من احوال الذاكر كالاكل والشرب والخلطة والعزلة والسكوت والكلام
واليقظة والمنام فقد قال المحبة دوام الذكر ويؤيده حديث من احب شيئا اكثر ذكره وقال
سفيان المحبة اتباع صاحب النبوة ويؤيده اية قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني ولله در القائل
شعر عجبت لمن يقول ذكرت ربي • وهل انسى فاذكر ما نسيت • اموت اذا ذكرتك ثم احيي •
ولولا حسن ظني ما حييت • فاحيي بالمنام واموت شوقا • فكم احيا عليك وكم اموت • فليت خيالكم
نصب لعيني • فان قصرت في نظري عميت • شربت الحب كاسا بعد كاس • فما نفد الشراب ولا رويت •
وقال ابن الجلاء اوحى الله الى عيسى عليه السلام اني اذا اطلعت على سر عبد فلم اجد فيه حب الدنيا
والاخرة وملائه وتوليته بحفظي ثم يغيب الذكر عن مشاهدة جميع الاشياء ظاهرا وباطنا في
مكوناتها من ارضها وسمواتها حتى عن النفس وجودها واجزائها وصفاتها اي وعن شهود
صفاتها الذميمة والمحمودة وسائر حالاتها فيغيب عن محاضراتها في المذكور وهو القرب المأثور عن الجمهور

خص بالخواص المحبة محو الارادات واحتراق جميع الصفات والحاجات ثم يغيب الذاكر عن الذكر اي
عن وجوده وشهوده ايضا كما غاب عما عداه من المسطور في شهود المذكور اي حضوره بطريق
الفرح والسرور وهو الفناء في بحر النور ثم يحدث الاتصال وهو كمال البقاء في التراشي عن جمال الحب
ويشاهد هذا الذاكر ما يشاهد من عالم الوصال لظهور النور من اشعة الجمال ولمعة الجلال في مقام
الكمال والغفلة اي وللغفلة والذهول عن الشواغل والموانع من حصول الوصول الى تحقيق
الفروع والاصول وقالت رابعة العدوية يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت جارية لها حبيبنا معنا
ولكن شغل الدنيا عنه قطعنا وكانه ماخوذ من قوله تعالى وهو معكم اين ما كنتم وقوله شغلتنا اموالنا
واهلونا وقال السري من احب الله عاش ومن مال الى الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح بلا شي
والعاقل عن عيوبه فتاش فكانه مقتبس من قوله تعالى فلنحيينه حيوة طيبة وقال هرم بن حيان
المومن اذا عرف ربه احبه واذا احبه اقبل عليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا
بعين الشهوة ولم ينظر الى العقبى بعين الرغبة وبقي بجسده في الدنيا وروحه في العقبى مع المولى
في المقام الاعلى وقال الشبلي اوحى الله الى داود عم يا داود ذكرى للذاكرين وجنتي للمطيعين
وزيارتي للمشتاقين وانا خاصة وبصير الذاكر من ملوك الدين ومن ائمة المجتهدين و
مشايخ المسلمين ووحيد عصره وفريد دهره بتوفيق ربه وهو خير المعين لتحقيق علم اليقين
فيكمل ايمانه واسلامه ولصانه في عين اليقين واستغرق في بحر التوحيد ولهم التفريد وغاص
في عين العلم وغاب عن غيره في زمن الحلم فلنذكر بعض احوال المحبين فقد قال بعضهم لبعض
العارفين انك محب فقال لست محبا انما انا محبوب والمحب متعوب فكانه اشار الى انه مجذوب ومطلوب
وانه بسبب لذته في خدمة محبوبه غير متعوب ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال
اجتمع الى سهل اخوانه فقالوا سالت الله عز وجل دفعهم فسكت ثم قال لله عباد في هذه البلدة
لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الارض ظالم الا مات في ليلة واحدة ولكن لا يفعلون قيل
ولم قال لانهم لا يحبون ما لا يحب الله وقيل لبشر باي شي بلغت هذه المنزلة فقال كنت اكاتم الله
حالي يعني اسأله ان يكتم علي ويخفي امري وروي انه راى الخضر فقال له ادع الله لي فقال له ادع
الله لي فقال يسر الله عليك طاعته قلت زدني قال وسترها عليك فقيل معناه سترها عن الخلق
حتى لا يطلعوا عليها وقيل معناه سترها عنك حتى لا تلتفت انت اليها وفي الاخبار ان الله تعالى
اوحى الى بعض انبيائه انما اتخذ لخلتي من لا يفتر عن ذكري ولا يكون له هم غيري ولم يوثر علي
شيئا من خلقي وان احرق بالنار لم يجد لحرق النار وجعا وان قطع بالمنشار لم يجد لمس الحديد
الما فمن يبلغ الى ان يغلبه الحب الى هذا الحد حتى لا يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات وكل ذلك

وراء الحب وراء كمال الايمان ولا حصر لمقامات الايمان وتفاوتها في الزيادة والنقصان والله
المستعان ومما يؤيد هذا الشان من البرهان ما روي انه عم قال لابي بكر الصديق ان الله قد
اعطاك مثل كل من آمن بي من امتي واعطاني مثل ايمان كل من آمن بي من ولد ادم رواه الديلمي
عن علي • وقد انتهى الكتاب الذي هو لباب الالباب لكل فاضل وباب عند ارباب الالباب متحلي
المقطع المشير الى ان ختامه مسك فلينافس المتنافسون بالدعاء المذكور عن سيد الابرار في
سند الاخيار اللهم انا نسألك الهدى بالايمان والتقى عن العصيان والعفاف بالكفاف للانسان
والغنى عن الخلق في جميع الاحيان والحديث رواه مسلم والترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود بلفظ
اللهم اني اسألك الحديث فلعل ما ذكره رواية في المبنى او نقل بالمعنى واختار صيغة الجمع لتدخل معهم
ويدخل معه كما في قوله ونعوذ بك من علم لا ينفع وهو يحتمل احتمالين احدهما انه في نفسه لم يكن
من العلوم النافعة كما يشير اليه ما ورد ان من العلم جهلا وثانيهما انه لم ينتفع صاحبه بالعلم
به لما ورد اشد الناس عذابا عالم لم ينفعه الله بعلمه ونعم ما قال ذو الحال الفاخرة شعر
يا من تباعد عن مكارم اخلاقه • ليس التفاخر بالعلوم الزاخرة • من لم يهذب علمه اخلاقه •
لم ينتفع بعلومه في الاخرة • وقلب لا يخشع بان اسود بالغفلة ولم يوثر فيه النصيحة والموعظة
كما قال تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله وقال عز وعلا الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم
لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم
وقال عز وعلا من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة ونفس لا تشبع من الدنيا فتكون
حريصا عليها ومقبلا بكليته اليها وكانه من كثرة اكلها وعدم قناعتها بمقدار كفايتها ودعاء
لا يسمع اي لا يقبل في حال دعوتها والحديث رواه ابن ابي شيبة عن ابن عمر والطبراني في
الاوسط عن ابن عباس وزاد اللهم اني اعوذ بك من هؤلاء الاربع ورواه الحاكم وابن
ابي شيبة عن ابن مسعود بلفظ اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء
لا يسمع ونفس لا تشبع وفي رواية لابن حبان وغيره عن انس اللهم اني اعوذ بك من علم
لا ينفع وعمل لا يرفع وقلب لا يخشع وقول لا يسمع وفي رواية لابي داود عن ابي هريرة
اللهم اني اعوذ بك من الاربع من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ودعاء لا يسمع
ففي هذه الروايات دلالة واضحة على عدم منع جواز السجع الصادر عن استقامة الطبع كما
حكي انه قال لصاحب المنازل اترك السجع فقال رجعت عما سجعت واخر دعوينا بتوفيق
مولانا ان الحمد لله رب العالمين فيما اولانا في اولينا واخرانا وفيه ايماء الى قوله سبحانه وتعالى
اخبارا عن اهل الجنة ان يقولوا فيها هذا الكلام وهو ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم

دعويهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم دعويهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها
سلام واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين وفيه تنبيه نبيه على ان اخر مقاما اهل الجنة
في درجات المعرفة والمحبة هو الرضاء والشكر بمزيد النعمة وازالة المحنة كما يومي اليه
قوله سبحانه الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة
من فضله لا يمسنا فيها نصب اي تعب ولا يمسنا فيها لغوب اي كلال او كسل وفسر الحزن بانواع
بحسب ما كان كل احد مبتلى بفرد من اصنافه فقيل حزن الفقير كري البيت او التحويل منه او حزن
الفراق وحجابه وهو لاهل الاشتياق الى مشاهدة الله ورفع نقابه وهو اعلى ارباب الكمال واعلى
مناصب اصحاب الجمال المتزايد المترقي ساعة فساعة الى ازل الازال والله سبحانه اعلم بحقايق
الاحوال والسلام على عباده الصالحين من الانبياء والمرسلين السابقين والصلوة على محمد
سيد الاولين والاخرين وخاتم النبيين وعلى اتقياء امته من اهل بيته وصحابته واتباعهم و
اشياعهم اجمعين الى يوم الدين آمين خاتم رب العالمين فرغ بيد مؤلفه رحم وغفر مع
سلفه وخلفه اخر يوم الخميس المشرف على ليلة الجمعة المسما بليلة الرغايب من شهر الله المعظم رجب
المرجب واحد اشهر الحرم من شهور عام الاربعة عشر بعد الالف من هجرة خير البشر وشافع المحشر
من مكة الامينة الى المدينة النازل فيها المؤمنين انواع السكينة حامدا ومصليا ومسلما
ومفوضا ومتكلا ومؤمنا ومسلما ومسلما والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا وصلى
الله على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين تم م م م م م م م م

قد تم هذا الكتب بكرم
الله وبالطف
تم

قد فرغ من تسويد هذا الكتاب المسمي بشرح بعين العلم وزين الحلم لعلي القاري عفي عنه الباري
بعون الله الملك المآب من يد اضعف العباد وافقر الفقرا الى خالق الفقر والغنا
علي بن الحاج مصطفى التوقادي غفر الله له ولوالديه ولاستاديه ولمسببه تحريره ولمن نظر
اليه بعين عناية في اليوم الثاني من ذا الحجة المشرف بالعيد والحج والذبح
لسنة تسع واربعين ومأة والف من هجرت صاحب العز والشرف تمت